مجلـــة

دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

رئيس التحرير :أ.د. رفاه جاسم حمادي

مدير التحرير : أ.م.د. عادل شابث جابر

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. أحمد مالك الفتيان	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. حميد أحمد التميمي	كلية الآداب / جامعة البصرة
أ.د. طالب منعم الشمري	كلية التربية / جامعة واسط
أ.د. هديب حياوي	كلية الآداب /جامعة بابل
أ.د. عادل تقي البلداوي	كلية التربية / جامعة المستنصرية
أ.د.علي ياسين الجبوري	كلية الآثار / جامعة الموصل
ا.د. خليل علي مراد	كلية الآداب / جامعة صلاح الدين

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٥٥) اب لسنة ٢٠١٦

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

التصحيح اللغوي م.م. عبد الخالق حسن

الاشراف المالـــي : انتصار حميد مجيد

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047

البريد الالكتروني: jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

شروط النشر في المجلة

١. أن يكون متسماً بالجدة والموضوعية ويدخل ضمن الاختصاصات التي تختص بها المجلة .
٢. إعتماد الاسلوب العلمي في كتابة الموضوع سواء بما يتعلق بالهوامش أو الأمانة العلمية.
٣. سلامة البحث من الاخطاء اللغوية والمطبعية وخاضعاً للتقويم العلمي .
٤. أن تكون طباعة الهوامش في نهاية البحث .
٥. أن يكون حجم البحث معقولاً ولا يتجاوز الخمسين صفحة .
٦. أن لا يكون البحث مستلاً من رسالة أو اطروحة جامعية لغير طلبة الدراسات العليا .
٧. يقدم الباحث نسخة مطبوعة مع قرص مدمج للمادة المقدمة للنشر مع مبلغ خمسين ألف دينار للباحثين داخل العراق ومائة دولار للباحثين من خارج العراق.
٨. يفضل أن يحتفظ الباحث بنسخة أخرى من القرص المدمج .
٩. يفضل أن ينتهي البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .
١٠. المجلة غير مسؤولة عن إرجاع البحوث المنسوخة أو الاقراص المدمجة .

محتويات العدد (٥٥)

ت	البحث	الباحث	الصفحة
١	التعويض في النهج الاقتصادي الاسلامي	د. هند ستار هادي التميمي	٣١-١
٢	موقف الارمن من الحروب الصليبية (٤٨٩-٥٠٠هـ/١٠٩٥-١١٠٦م)	أ.م.د غالب ياسين فرحان الدليمي	٨٢-٣٢
٣	الدولة الشاهينية(٣٢٩ه - ٣٧٣ه) دراسة تاريخية	م.م عمر محمد احمد	١١١-٨٣
٤	الداعي الفاطمي أبي يعقوب السجستاني (المتوفى: ٣٦١ هـ/٩٧١م)	م. م . حنان شهاب احمد	١٤٨-١١٢
٥	مرويات ابن حبان بشأن الغنيمة	د. ورقاء يونس	١٨٦-١٤٩
٦	الري والزراعة في خراسان	م. د. نعمة شكر محمود الجبوري	٢٢٩-١٨٧
٧	آراء وأفكار تربوية في أروقة مجلس النواب العراقي عام ١٩٤٨	م.م.حميد حسون نهاي العكيلي	٢٦٨-٢٣٠
٨	بواكير الحركة الوطنية التركية (١٩١٨-١٩٢٠)	م.د. أنس إبراهيم خلف العبيدي	٣٣٨-٢٦٩
٩	الشيخ العربي التبسي ودوره التربوي والاصلاحي في الجزائر (١٨٩١-١٩٥٧)	د. صبري كامل هادي التميمي	٣٦٦-٣٣٩
١٠	ابو فرج عبد الرحمن بن قدامة المقدسي(ت٦٨٢ه/١٢٨٣م) ودوره العلمي في الاسلام	محمد عباس جاسم	٣٩٣-٣٦٧
١١	تاريخ واهداف المستشرقين اليهود في ترجمة القرآن الكريم الى اللغة العبرية	م.م. براء خلف حمادي	٤٢٠-٣٩٤
١٢	الآثار العمارية والفنية للملك شمشي أدد الاول (١٨١٣-١٧٨١) ق . م دراسة في ضوء النصوص المسمارية	م .علي هاشم معضد	٤٤٢-٤٢١
١٣	الرمزية في الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين وحضارة ايران قديما	م.د. خمائل شاكر ابو خضير	٥٠٠-٤٤٣
١٤	المستشرق اليهودي" ريفلين" وترجمته للقرآن الكريم (آيات من سورة طه انموذجا)	م.م.وسام عبد الستار دواح المفرجي	٥٠٧-٥٠١

١٥	نشاط العيون والطلائع في الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة ١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣١م	أ.م.د. صباح خابط عزيز سعيد أ.م.د. سلام علي مزعل	٥٠٨-٥٤٦
١٦	الحرب الاهلية الاولى في لبنان ونظام القائمقاميتين	م. عبد السلام محمد السعدي	٥٤٧-٥٨٨
١٧	دور الحبيب بورقيبة في تجديد عمل الحركة الوطنية في تونس (١٩٢٩ – ١٩٤٥)	أ.م.د. حسن زغير حزيم	٥٨٩-٦١٧
١٨	مدارس نيسابور في القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد	م.د: حسين إبراهيم محمد	٦١٨-٦٥٢
١٩	علامة العبودية والعملية الجراحية لإزالتها في العراق القديم "دراسة في ضوء الكتابات المسمارية القانونية	د. قصي منصور عبد الكريم	٦٥٣-٦٨٠
٢٠	المربية (في ضوء نص مسماري غير منشور من العصر الاكدي)	أ.د . باسمة جليل عبد	٦٨١-٦٩٠
٢١	دور الوزير في مصر القديمة	أ.م.د. احمد لفته محسن	٦٩١-٧٣٧
٢٢	دور الثقافة المدنية في العراق بعد عام ٢٠٠٣.	م.م إيثار عبد الجليل علي الطاهر	٧٣٨-٧٥٨
٢٣	الأبنية الدينية التراثية في مدينة العمارة	أ.د. رفاه جاسم السامرائي صلاح الدين محسن زاير	٧٥٩-٧٩٥

التعويض في النهج الاقتصادي الاسلامي

د.هند ستار هادي التميمي

التعويض في النهج الاقتصادي الاسلامي

د.هند ستار هادي التميمي

المقدمة:

اعاضني، وعوضني، وعاوضني اذا أعطاك العوض،[١] والتعويض البدل، والجمع أعواض عضت فلاناً وأعضته وعوضته اذا أعطيته بدل ما ذهب منه،[٢] وعوض فلاناً تعويضاً اي أعطاه العوض.[٣]

وورد التعويض في القرآن الكريم في قوله تعالى: " **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم**".[٤]

فان الله عوض من اسلم منهم بخير الدنيا والآخرة، " نزلت هذه الاية في العباس بن عبد المطلب فانه اسر يوم بدر وكانت معه عشرون اوقية[٥] من الذهب فأخذت منه".[٦] وأتاه الله خيراً مما أُخذ منه فقد" كان له عشرون عبداً يتجر كل عبد في عشرين الف درهم".[٧].

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات الكريمة في تعويض الله لعباده المؤمنين بخير مما أُخذ منهم.

وعوض الله رسولنا محمد **(صلى الله عليه واله وسلم)** بالخُمس بدلاً عن الصدقة " لانهم **(ال البيت)** عوضوا عن الصدقات المفروضات بخُمس الخُمس لقوله **(صلى الله عليه واله وسلم)**: أوليس في خُمس الخُمس ما يغنيكم عن اوساخ الناس، فلان تحريم الصدقات عليهم ثابتاً لا يزول، كان ما عوضوه من خُمس الخُمس ثابتاً لهم لا يزول".[٨].

واتفق البيهقي[٩] مع الماوردي في هذا النص.

اولا: التعويض في النهج الاقتصادي الاسلامي

١- سياسة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في التعويض

أ- تعويض المهاجرين:

لمّا ظهر النبي **(صلى الله عليه واله وسلم)** على اموال بني النضير[١٠] سنة ٤هـ/ ٦٢٥م، وهي فيء خالص لرسول الله[١١] **(صلى الله عليه واله وسلم)** وليس للمؤمنين منها شيء، فعوض منها المهاجرين لما لاقوه من تعذيب قبل الهجرة وما خلفوه في ديارهم من أبنائهم، واموالهم، وتجاراتهم.

وخطب رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** في الانصار قائلاً: " ان اخوانكم المهاجرين ليست لهم أموال فان شئتم قسمت هذه الاموال بينهم وبينكم جميعاً، وان شئتم أمسكتك أموالكم، فقسمت هذه فيهم خاصة؟ قالوا: لا بل اقسم هذه فيهم، واقسم لهم من اموالنا ما شئت، فنزلت الاية " **ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة**".[١٢]

وورد هذا النص عند البلاذري.[١٣]

وبهذا فان رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** قسمها في المهاجرين دون الانصار سوى اثنان منهم سهل بن حنيف[١٤] وأبو دجانة[١٥] لفقرهما.

ب- وفد هوازن:

بعد ان نصر الله رسوله محمد **(صلى الله عليه واله وسلم)** في غزوة حُنين وفد وفد من هوازن على رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** بالجعرانة[١٦] بعدما قسم الغنائم وتراجوا رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** " بان يرد عليهم ابنائهم ونسائهم... فرَدّ عليهم رسول الله ما كان له ولبني عبد المطلب ...وسأل لهم قبائل العرب فاتفقوا على قول واحد بتسليمهم ورضاهم ودفع ما كان في ايديهم من السبي".[١٧] .

ويبدو ان بعض القبائل قد تمسكت بحقها من السبي، فقد ذكر ابن سعد[١٨] ان رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)**عوض من تمسك بحقه من هذا السبي ابلاً.

واختلف الطبري[١٩] في قيمة التعويض فقال: " اما من تمسك بحقه من هذا السبي منكم فله بكل انسان ست فرائض من اول شيء نصيبه فرُدّوا الى الناس ابنائهم ونسائهم".

وورد نص الطبري عند احمد بن حنبل،[٢٠] و النسائي.[٢١]

وفي الوقت نفسه الذي عوض فيه رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** القبائل الا انه اطلق سبي هوازن بدون اخذ عوض منه (اي بطيب نفس).

جـ- من لحق به الضرر:

عمد رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** على تطبيق مبدأ التعويض لمن لحق به الضرر من المسلمين كتعويضه لصفوان بن المعطل[٢٢] بسبب الضرر الذي لحق به في دفاعه عن رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** والمسلمين[٢٣] حين قال حسان بن ثابت[٢٤]:

أرى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

فقال رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم):** " من لي من اصحاب البساط، فقال صفوان بن المعطل: انا لك يا رسول الله منهم، فخرج اليهم واخترط سيفه، فلما رأوه مُقبلاً عرفوا في وجهه الشر ففروا وتبددوا، وادرك حساناً داخلاً بيته فضربه وفلق اليتيه".[٢٥]

وعنى حسان بن ثابت بـ (الجلابيب) المهاجرين فقد كان بعض الناس يُسمون المهاجرين بالجلابيب، واشار الى المنزلة التي بلغها هذا الدين وكثرة من اعتنقه.[٢٦] اما قوله (ابن الفريعة) فانه قصد به نفسه، ففريعة بنت خالد بن خنيسة الانصارية هي والدة حسان بن ثابت واليها كان يُنسب، اذ شعر حسان بدنو مكانته فاطلق على نفسه

(بيضة البلد) وهي مثل عند العرب تقوله في الذليل منهم، اي اذل من بيضة النعام التي تترك بيضتها على حد قول البكري.[٢٧]

ولا بد ان نشير الى ان حسان بن ثابت قال شعره هذا قبل ان يُسلم ويُصبح شاعر رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)**.

وانشد صفوان بن المعطل حسان بن ثابت قائلاً:

تلقّ ذباب السيف عني فانني غلامٌ اذا هُوجيت لست بشاعر[٢٨]

واختلف البكري[٢٩] مع ابن شبة فيما عوض به النبي **(صلى الله عليه واله وسلم)** صفوان بن المعطل، ذكر:" اعطاه النبي بئر حاء وهو قرب قصر بني حديلة".

واضاف الذهبي[٣٠] رواية لا نجدها عند ابن شبة والبكري : " اعطاه سيرين أُخت مارية فولدت له ابنه عبد الرحمن".

وان اختلاف قيمة التعويض من مال، او حائط (بستان)، او بئر، او ابل لا يقلل من قيمته فالمهم هو اعتماد الدولة على هذا المبدأ في سياستها مع الناس.

ثانيا: التعويض في النظم الاقتصادية.

١-عهود الصلح:

عوض المسؤولون في الدولة الناس الذين أجلوهم من أراضيهم اذا تضمن الصلح بين قائد الجيوش وبين اصحاب الاراضي شرط التعويض، وترد اشارات مهمة في المصادر عن اثر عهود الصلح في مبدأ التعويض، كاجلاء الخليفة عمر بن الخطاب **(رضي الله عنه)** اصحاب الاراضي من يهود خيبر دون تعويضهم لان ارضهم فتحت سنة ٧هـ /٦٢٨م بمجهود قتالي وفقاً لما ورد عند ابي عبيد،[٣١] و البلاذري،[٣٢] و قدامة،[٣٣] ولان رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** شرط عليهم قائلا: " انا نُخرجكم اذا شئنا". وفي هذا الاجراء اصبحت رقبة ملكية الارض للامة واهلها السابقين عاملين فقط.[٣٤]

وهذا خلاف ما ورد في فدك، وبجيلة، ونجران اذ عوضوهم عن ارضهم ومالهم كالاتي:

أ- فدك[٣٥]:

تداولت المصادر التاريخية[٣٦] الكثير في موضوع فدك والحديث فيها يخرجنا عن صلب الوضوع.

فدك هي ما افاء الله على رسوله **(صلى الله عليه واله وسلم)**، فكانت للنبي خالصةً لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وصالح اهلها على " النصف له والنصف لهم".[٣٧]

ولان صيغة التفاوض بينهم وبين رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** على النصف فان الخليفة عمر بن الخطاب **(رضي الله عنه)** عوضهم ثمن نصف ارضهم عندما اجلاهم منها، ذكر ابن شبة[٣٨]: " ان النبي صالح اهل فدك على النصف له والنصف لهم، فلم يزالوا على ذلك حتى اخرجهم عمر بن الخطاب واجلاهم فعرض لهم بالنصف الذي كان عوضا من نصفهم الذي اقره الرسول لهم في صيغة التفاوض من ابل، ورجال، ونقد حتى اوفاهم قيمة نصف فدك عوضاً ونقداً ثم اجلاهم منها".

واضاف قدامة بن جعفر[٣٩] ان الخليفة اجلاهم الى بلاد الشام.

وهذا يشير الى عدالة المسؤولين في الدولة فما كان للخليفة ان يخرجهم دون تعويضهم نقدًا وعيناً.

ب-بجيلة[٤٠]:

عوض الخليفة عمر بن الخطاب **(رضي الله عنه)** جرير بن عبد الله البجلي[٤١] بثمانين ديناراً ليترك ما بيديه من ارض السواد بعد ان اعطاها الخليفة اليه ثلاث سنوات، ذكر ابن آدم[٤٢]: " اعطى عمر جريراً وقومه ربع السواد فأخذوه سنتين او ثلاثا ثم ان جريراً وفد الى عمر مع عمار فقال له عمر: يا جرير لولا اني قاسم

مسؤول لكنتم على ما كنتم عليه ولكني ارى ان ترده على المسلمين فرده عليه وأعطاهم عمر ثمانين ديناراً".

وورد نص ابن آدم عند الطحاوي[٤٣] مطابقاً.

وذكر البلاذري[٤٤] نصاً مهماً عن امرأة من بجيلة رفضت ان تُسلم ارضها حتى يعوضها الخليفة، قال: " قالت امرأة يقال لها أُم كرز: ان ابي هلك وسهمه ثابت في السواد واني لن اسلم، فقال لها: يا أُم كرز ان قومك قد اجابوا، فقالت له: ما انا مسلمة او تحملني على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء وتملأ يدي ذهباً، ففعل عمر ذلك".

وتطابق نص البلاذري مع ما ذكره الداودي[٤٥].

وهذا يذكرنا بفعل رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** مع هوازن اذ رفضت بعض القبائل ان تتنازل عن حقها من السبي لوفد هوازن حتى يعوضهم رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** ففعل ذلك.

جـ- نجران[٤٦]:

صالح رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** اهل نجران على ان لهم ارضهم واموالهم " ان لهم ما تحت ايديهم من قليل وكثير من بيعهم، وصلواتهم، ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله، وان لا يغير اسقف اسقفيته، ولا راهب رهبانيته، ولا كاهن كهانيته، ولا يغير حق من حقوقه، ولا سلطانهم شيء مما كانوا عليه ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين".[٤٧]

واضاف ابن شبة[٤٨] الى نص ابن سعد قوله: " ولنجران وحسبها جوار الله وذمة محمد النبي على انفسهم، وملتهم، وارضهم، واموالهم...".

وهذا يعني ان رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** قد ضمن لهم حقهوقهم في ارضهم واموالهم فهي ملك لهم.

وورد نص مماثل لما ذكره ابن سعد وابن شبة عند ابي داود السجستاني،[٤٩] والبلاذري،[٥٠] والطبري،[٥١] والبيهقي،[٥٢] والمقريزي.[٥٣]

وكانوا نصارى ففرض عليهم رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** الجزية مع ضيافة رُسله ومساعدتهم عند هلاك عدتهم على ان لهم الامان من جيوش السلمين وكتب لهم كتاباً في هذا.[٥٤]

والذي يهمنا ان الخليفة عمر بن الخطاب **(رضي الله عنه)** حين اجلاهم[٥٥] عوضهم ارضهم واموالهم بسبب كتاب الصلح بينهما والذي جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب به عمر امير المؤمنين لاهل نجران من سار منه امن بأمان الله لا يضره احد من المسلمين وفاءاً لهم بما كتب لهم محمد النبي وابو بكر... واما بعد فمن مروا به من امراء الامم وامراء العراق فليوسعهم من حرث الارض فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله وعقبة لهم مكان ارضهم لا سبيل عليه فيه لاحد ولا مغرم...".[٥٦]

ولم يتعرض لهم الخليفة عثمان بن عفان **(رضي الله عنه)** في خلافته وانما استمر عهد الصلح قائماً على عدم المساس بحقوقهم ايفاءاً لعهد رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** معهم، والخليفة عمر بن الخطاب **(رضي الله عنه)**، فقد كتب الخليفة عثمان بن عفان **(رضي الله عنه)** لاهل نجران كتاباً بعد ان شكوا اليه حالهم في العراق كما اورده ابو يوسف[٥٧]: " ...واني وفيت لهم بكل ارضهم التي تصدق عليهم عمر عقبى مكان ارضهم باليمن فاستوصي بهم خيراً فانهم اقوام لهم ذمة...".

وعندما سألوا الامام علي بن ابي طالب **(عليه السلام)** ان يرده لبلادهم اجابهم: " اني وفيت لكم بما كتب لكم محمد وابو بكر وعمر فمن اتى عليهم من المسلمين فليف لهم ولا يضاموا ولا يظلموا ولا ينقص من حقوقهم...".[٥٨]

وان التزام الخلفاء الراشدين بتعويض اهل نجران يعني مراعاتهم لاهل الذمة وعدم التفرقة بينهم وبين المسلمين، فضلاً عن عمق تمسكهم بالشرع الاسلامي.

٢- الغنيمة :

الغنيمة هي ما اصيب من اموال هل الحرب[٥٩] وقهر الكفرة على وجه يكون فيه اعلاء كلمة الله تعالى وحكمه[٦٠] بايجاف خيل وركاب.[٦١]

وفيه تشريعات كثيرة تناولتها المصادر باسهاب لا نستطيع ذكرها حتى لا نخرج عن سياق الموضوع.[٦٢]

وترد عند السرخسي[٦٣] اشارة مهمة انفرد فيها عن المصادرالاخرى ذكر فيها اعتماد المسلمين التعويض في حالة وجود عيب في بعض الغنيمة بعد القسمة او قبلها، " لو وجد بعض الرقيق الذين جعلهم للخمس حُراً مُسلماً، او ذمياً، او ام ولد مسلم... ان كان وجد هذا بعد اتمام القسمة بتسليم اربعة الاخماس الى الغانمين وقسمته بينهم، او وجد ذلك بعد قسم الخمس بين اهله دون الاخماس الاربعة فانه لا ينقص القسمة، ولكنه يرجع بقدر ما يحصل به المعادلة عند الكثرة، وعند القلة يصير الى التعويض من بيت المال ان كان وقع ذلك في قسم الغانمين".

وذكر السرخسي[٦٤] متى يحق او لا يحق لامير العسكر التعويض من الغنيمة اذا أُهدي اليه هدية من العدو، " ولو ان ملك العدو اهدى الى امير العسكر فأراد ان يُعوضه من الغنيمة فليس له ذلك فانه ثبت في الغنيمة حق الغانمين... (فليس له) ان يخص ملك العدو بشيء منه".

ولكن اذا صيرت الهدية من الغنيمة فله الحق بالتعويض من الغنيمة، ذكر: " ما اهدي اليه يصير من الغنيمة فيجوز له ان يعطي عوضه من الغنيمة"،[٦٥] على ان لا يكون العوض اكثر من قيمة الهدية، فقال: " انه لا يعوض من الغنيمة اكثر من الهدية، بما لا يتغابن الناس فيه فان فعل ذلك فليجعل ذلك الفضل من ماله".[٦٦]

وفي هذا مراعاة للغانمين بان لا تُسلب منهم حقوقهم وغنائمهم التي هم احق الناس بها، كما ويبين عدالة المسؤولين في الدولة.

اما اذا غنم المشركون مال المسلم ثم وجده المسلم فان له التعويض ان اصابها بعد قسمة الغنائم بين الغانمين، وان اصابها قبل قسمة الغنائم فهي له من غير عوض لقول رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** عن ابن عباس في عبد وبعير احرزهما العدو ثم ظفر بهما، ذكر: " ان اصبتهما قبل القسمة فها لك بغير شيء، وان اصبتهما بعد القسمة فهما لك بالقيمة".[٦٧] وعند الشافعي[٦٨] هي له قبل وبعد قسمة الغنائم.

٣- الجزية :

هي ما يصالح به اهل الذمة بمال يؤدونه عن رؤوسهم،[٦٩] فهي على قدر الطاقة من اهل الذمة بلا حمل عليهم،[٧٠] وفي الجزية احكام مهمة وردت في العديد من المصادر التاريخية.[٧١]

ووقع خلاف بين العلماء فيما اذا كانت الجزية عوضاً للمسلمين ام عقوبة على اهل الذمة؟

وعدّ الفاكهي[٧٢] الجزية تعويضاً للمسلمين لما لحق بهم من المشركين، فذكر: " كان المشركون يوافون بالتجارة فيبتاع منهم المسلمون فلما حرم على المشركين ان يقربوا المسجد الحرام وجد المسلمون في انفسهم مما قطع عليهم من التجارات التي كان المشركون يوافون بها، فقال الله تعالى: " **وان خفت عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله**"[٧٣] ثم احل الله تبارك وتعالى في الاية التي تتبعها الجزية ولم تكن توجد قبل ذلك عوضاً لما منعهم من موافاة المشركين بالتجارة فقال "**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر**" الى قوله " **وهم صاغرون**"[٧٤] فلما احل الله تعالى ذلك للمسلمين علموا ان الله تبارك وتعالى قد عاضهم افضل مما منعهم من موافاة المشركين بالتجارة".

واتفق عدد من المُصنفين مع الفاكهي الذين عدّوا الجزية عوضاً للمسلمين، منهم الصنعاني[٧٥] اذ اورد: " اغناهم الله بالجزية الجارية شهراً بشهر وعاماً بعام".

وذكر الماوردي[٧٦]: " ان الجزية عوضا عن حقن الدم والاقرار على الكفر". وفي كتابه **(الاحكام السلطانية)** عندما قارن بين الجزية والخراج جاء برأي مختلف، ذكر: " ان كل واحد منهما مأخوذ عن المشرك صغاراً له وذلة".[٧٧] وهذا يعني ان الماوردي عد الجزية تعويضاً للمسلمين واذلالاً للمشركين.

وورد نص الصنعاني والفاكهي عند البيهقي[٧٨] مطابقاً، وذكر فلهاوزن[٧٩] في تعريفه للجزية: " ان الجزية اتاوة تدفع مقابل الامان والحماية من جانب الدولة".

وخالف الزرعي[٨٠] من سبقه من المصنفين في الجزية بقوله: " واما من قال ان الجزية عوض عن سكن الدار كما يقول اصحاب الشافعي فهذا القول ضعيف"، وفي نص آخر " الجزية من باب العقوبات".[٨١]

ونرى ان الجزية اصغاراً لاهل الذمة وفي الوقت نفسه تعويضاً للمسلمين.

وترد في المصادر اشارات مهمة في التعويض كالخيار في البيع اي لا يجوز الخيار اكثر من ثلاثة ايام فان ردها فعليه التعويض لقول رسول الله **(صلى اله عليه واله وسلم)**: " من ابتاع مصراة[٨٢] فهو بالخيار ثلاثة ايام فان ردّها ردّها ومعه صاع[٨٣] من تمر".[٨٤]

وهذا يعني ان رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** حدّد التعويض في حالة ردها بصاع من التمر لضمان حقوق المسلمين.

وذكر ابو يوسف[٨٥] التعويض فيمن اضر بارض غيره دون اذن، بقوله: " ولو ان رجلا احتفر بئراً، او نهراً، او قناة في ارض لرجل بغير اذنه فله ان يمنعه من ذلك وان يأخذه بطم ما احدث من الحفر في ارضه فان كان ذلك اضر بأرضه ضمن قيمة الفساد وهو ما نقص من ارضه بالحفر".

وفي الرجل الذي له قناة واحتفر رجل قناة فأجراها من تحته فله بمنعه الا " ان يكون اذن له ووقت له وقتاً ثم منعه من ذلك قبل ان يجيء الوقت فاذا كان على هذا ضمن له قيمة البناء ولم يضمن له قيمة الحفر".[٨٦]

وطبق مبدأ التعويض في اغلب مرافق الدولة وليس حصراً في الجوانب الاقتصادية والمالية الا اننا سلطنا الضوء على هذا الجانب فقط.

الخلاصة:

وتبين مما سبق ان التعويض يمثل تمسك الحكام بالشرع الاسلامي الحنيف وعدالة المسؤولين في الدولة مع رعاياهم الذين وقع عليهم الظلم وذلك بتعويضهم ببدل مما أُخذ منهم، وفي القران الكريم نجد آيات عدة تبين تعويض الله للمؤمنين عمّا اصابهم من البلاء بخير الدنيا والاخرة.

واتضح ايضاً ان التعويض تنوع بين ابل، ومال، وحائط(بستان)، وبئر، وارض وفقاً لسياسة المسؤولين في الدولة، او طبيعة العهود القائمة بين قادة الجيوش وسكان الاراضي.

ولم يفرق الخلفاء الراشدين في تعويضهم لمن لحق به الضرر بين مسلم او ذمي فهم جميعاً على حد سواء.

الهوامش:

(١) ابو النصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج١٠، ص١٠٩٢.

(٢) محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المضري (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ج٧، ص١٩٢.

(٣) سعدي ابو جيب، القاموس الفقهي، ط٢، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٢٦٨.

(٤) سورة الانفال، آية ٧٠.

(٥) الاوقية تساوي ١٢/١ من الرطل. ينظر: فالتر هنتس، الماكييل والاوزان الاسلامية، ترجمة: كامل العسلي، (عمان: مطبعة القوات المسلحة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ص٨.

(٦) ابو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٩٨هـ/١١٠٤م)، تفسير القران، تحقيق: ياسر ابراهيم وغنيم عباس غنيم، (الرياض دار الوطن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج٢، ص٢٨١.

(٧) السمعاني، تفسير القران، ج٢، ص٢٨١.

(٨) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، الحاوي في الفقه الشافعي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج٨، ص٤٤٣.

(٩) ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد على مذهب السلف واصحاب الحديث، (بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ص٣٢٦.

(١٠) بناحية الغرس وما والاها مقبرة بني حظم وقتئذ اذ كانوا حلفاء بني عامر. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٧٨؛ مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن الاثير (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، ط٢ (قم: مؤسسة اسماعيليان، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤)، ج٣، ص٣٥٩.

(١١) للمزيد من المعلومات عن اموال بني النضير، ينظر: محمد بن ادريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، مسند الشافعي، (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا)، ص٢٥؛ ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، الثقات، تحقيق: شرف الدين احمد، ط١(بيروت: دار الفر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ص٢٤١؛ ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/

١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى القادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج٣، صص٢٠٣-٢٠٤.

(١٢) ابو زيد عمر بن شبة النميري (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط١(بيروت: دار التراث، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج٢، صص٤٨٨-٤٨٩. سورة الحشر، آية ٩

(١٣) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري(ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، ص٣٤.

(١٤) من اصحاب النبي **(صلى الله عليه واله وسلم)**، كان بدريا واستخلفه الامام علي بن ابي طالب **(عليه السلام)** على المدينة حين خرج الى العراق، وولاه فارس وشهد معه صفين، توفى سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م. للمزيد عن سيرته، ينظر: ابو الحسن احمد بن عبد الله العجلي (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، الثقات، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ج١، ص٤٣٩؛ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: ضلاح الدين المنجد، ط٢(الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م)، ج١، ص٤٤.

(١٥) هو ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري، آخى النبي **(صلى الله عليه وآله وسلم)** بينه وبين عتبة بن غزوان، وشارك في معركة احد، توفى سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م في خلافة ابي بكر الصديق **(رضي الله عنه)**. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٥٦؛ شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن احمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط

ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج١، ص٢٤٣.

(١٦) الجعرانة: ماء بين الطائف ومة وهي الى مة اقرب. ينظر: ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨)، معجم البلدان، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م)، ج٢، ص١٤٢.

(١٧) ابو عبد الله محمد بن سعد البصري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، بلا)، ج١، ص١١٥.

(١٨) الطبقات الكبرى، ، ج١، ص١١٥.

(١٩) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢)، تاريخ الرسل والملوك، ط١ (بيروت دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ج٢، صص١٧٣-١٧٤.

(٢٠) ابو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥)، المسند، (القاهرة: مكتبة قرطبة، بلا)، ج٢، ص٢١٨.

(٢١) ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، سنن النسائي، (بيروت: دار الفكر، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م)، ج٤، ص١٢٠.

(٢٢) ابو عمرو صفوان بن المعطل بن رحيضة بن المؤمل السلمي، المذكور بالبراءة من الافك، مات في اخر خلافة معاوية بن ابي سفيان (٤١-٦٠هـ/ ٦٦٠-٦٧٩م)، وقيل سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وقيل قتل غازيا سنة ١٩هـ/ ٦٤٠. ينظر: ابو حاتم محمد بن حبان التميمي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، مشاهير علماء الامصار، تحقيق: م . فلايشهمر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م)،ص٣٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢، صص٥٤٥-٥٥٠.

(٢٣) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج١، صص٢٧٢- ٢٧٣.

(٢٤) الشاعر ابو الوليد ويقال ابو الحسام حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، شاعر رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** وصاحبه، مات ايام استشهاد الامام علي بن ابي طالب **(عليه السلام)**، وقيل سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣م عن مائة وعشرين سنة. ينظر: ابو بكر احمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م)، الاحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل احمد الجوابرة، ط١(الرياض: دار الراية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ج٤، ص١٠١؛ ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص١٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢، صص٥١٢-٥١٣.

(٢٥) ابن شبة، تاريخ الدينة المنورة، ج١، صص٢٧٢٧-٢٧٣.

(٢٦) شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل محمد عوض، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج٨، ص٧٣.

(٢٧) ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري(ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، ج١، ص٤١٤.

(٢٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، صص١١٤-١١٥.

(٢٩) معجم ما استعجم، ج١، ص٤١٤.

(٣٠) سير اعلام النبلاء، ج٢، ص١٦٢.

(٣١) ابو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣١م)، الاموال، تحقيق: محمد عمارة، ط١ (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨)، ص٧٨.

(٣٢) فتوح البلدان، ص٤٣.

(٣٣) قدامة بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حبيب الزبيدي، (بغداد: دار الحرية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١)، ص٢٥٩.

(٣٤) احمد بن حنبل، المسند، ج١، ص١٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٣٨. ينظر ايضاً: حمدان عبد الجيد الكبيسي، الخراج احكامه ومقاديره، (بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص٧٥.

(٣٥) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة وهي مما افاء الله على رسوله. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٨.

(٣٦) للمزيد من المعلومات عن فدك، ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٢؛ ابو بكر احمد بن عبد العزيز البصري الجوهري (ت ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)، السقيفة وفدك، تحقيق: محمد هادي الاميني، ط٢ (بيروت: منشورات الكتبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص٩٩؛ فخر الدين ابو حامد عبد الحميد بن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (بيروت: دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م)، ج١٦، ص٢٥١.

(٣٧) مالك بن انس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، الموطأ، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م)، ج٢، ص٨٩٢؛ ابو عبيد، الاموال، ص٧٨؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٥٩.

(٣٨) تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص١٩٤.

(٣٩) الخراج وصناعة الكتابة، ص٢٥٩.

(٤٠) هم بنو انمار بن اراش بن لحيان بن عمرو، ودار بجيلة وخثعم يمانية، وقيل ان بجيلة هي اسم امهم وهي من سعد العشيرة واختها باهلة ولدتا قبيلتين عظيمتين نزلت الكوفة منها ابو عمرو جرير بن عبد الله البجلي. ينظر: ابو محمد عبد الملك بن ايوب بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ج١، ص١٢٥؛ عز الدين علي بن محمد بن الاثير الشيباني (ت

٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الانساب، (بيروت: دار صادر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ج١، ص١٢١.

(٤١) ابو عمرو جرير بن عبد الله البجلي، كان ممن هاجر الى رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)**، ما حجبه رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** منذ اسلم ولا راه الا تبسم في وجهه، سكن الكوفة فلما وقعت الفتن خرج هو وعدي بن حاتم وحنظلة الكاتب وقالوا: لا نقيم ببلدة يُسب فيها عثمان بن عفان **(رضي الله عنه)**فخرجوا الى قرقيساء وسكنوها، ومات جرير سنة ٥١هـ/٦٧١م. ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص٤٤.

(٤٢) يحيى بن ادم القرشي (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، الخراج، (بيروت: دار الحداثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ج٢، ص٢٤٧.

(٤٣) ابو جعفر احمد بن محمد الطحاوي(ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، شرح معاني الاثار، تحقيق: محمد زهري النجار، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م)، ج٣، ص٢٤٩.

(٤٤) فتوح البلدان، ص٢٦٧.

(٤٥) ابو جعفر احمد بن نصر الداودي (ت ٤٠٢هـ/ ١٠١١م)، الاموال، تحقيق: رضا محمد سالم شحادة، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، صص٤٥-٤٦.

(٤٦) في مخاليف اليمن من ناحية مكة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٦٦.

(٤٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٦٦.

(٤٨) تاريخ المدينة المنورة، ج٢، صص٥٨٤-٥٨٦.

(٤٩) سنن ابي داود، ج٢، ص٤٢.

(٥٠) فتوح البلدان، صص٧٥-٧٦.

(٥١) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢٩٥.

(٥٢) ابو بر احمد بن الحسين البيهقي(ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)،السنن الكبرى، (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)،ج٩، ص١٩٥.

(٥٣) احمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، امتاع الاسماع بما للنبي من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج١٤، ص٧٠.

(٥٤) " هذا كتاب محمد النبي رسول الله لاهل نجران، ان في كل سوداء، او بيضاء، وصفراء، وتمرة، ورقيق، وافضل عليهم وترك ذلك لهم على الفي حلة في كل صفر الف حلة، وفي كل رجب الف حلة، مع كل حلة اوقية، وما قضوا من دروع، او خيل، او ركاب، او عرض اخذ منهم بحساب". ينظر: ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج٢، صص٥٨٤-٥٨٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، صص٧٥-٧٦.

(٥٥) اجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب **(رضي الله عنه)** لانه خافهم على المسلمين، وقد كانوا اغذوا الخيل والسلاح في بلادهم فأجلاهم عن نجران اليمن واسكنهم نجران العراق. ينظر: ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، الخراج ، (بيروت: منشورات الجمل، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ، ص٩٠.

(٥٦) ابو يوسف، الخراج، ص٨٩.

(٥٧) الخراج، ص٨٩.

(٥٨) المصدر نفسه، ص٩٠.

(٥٩) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثر، ج٣، ص٣٨٩.

(٦٠) علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)، التعريفات، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، ص٢٠٩.

(٦١) محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ/ ١٥٤٥م)، التوقيف على مهمات التعريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص٥٤٢؛ الركاب: مفردها ركب وهي الرواحل من الابل. ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٣٠.

(٦٢) للمزيد من المعلومات عن الغنيمة، ينظر: ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي(ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (لندن: مطبعة اكسفورد، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ج١، ص٩٨؛ ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨)، سنن الدارمي، (دمشق: باب البريد، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، ج٢، ص٢٢٤؛ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، صحيح البخاري، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)، ج١٠، ص٩١؛ الماوردي، الحاوي في الفقه الشافعي، ج٨، ص٣٨٨.

(٦٣) محمد بن احمد السرخسي (ت ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦)، شرح السير الكبير، تحقيق: محمد علي الجيلاني، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)،ج٣، ص١٦١.

(٦٤) شرح السير الكبير، ج٤، ص٢٤٨.

(٦٥) شرح السير الكبير ، ج٤، ص٢٤٨.

(٦٦) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٤٨.

(٦٧) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري (ت ١٨٢هـ/)، الرد على سير الاوزاعي، تحقيق: ابو الوفا الافغاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا)،

ص٥٧؛ ابو الحسن علي بن خلف بن بطال القرطبي (ت ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ابو تميم ياسر ابراهيم، ط٢(الرياض: مكتبة الرشيد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٥، ص٢٢٩؛ جمال الدين ابو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)، نصب الراية لاحاديث الهداية مع حاشية بغية الالمعي في تخريج الزيلعي، تحقيق: محمد عوامة، ط١(جدة: مؤسسة الريان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج٣، ص٤٣٥.

(٦٨) محمد بن ادريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، الام، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ج٤، ص٢٥٤؛ الماوردي، الحاوي في الفقه الشافعي ، ج١٤، ص٢١٧.

(٦٩) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٢٦؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٤٤.

(٧٠) ابو عبيد، الاموال، ص١١٦.

(٧١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٣؛ احمد بن حنبل، المسند، ج١، ص١٩١؛ ابو داود السجستاني، سنن ابي داود، ج٢، ص٤٣؛ ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ج٣، ص٧٣٣. ينظر ايضا: عبد العزيز الدوري، اوراق في التاريخ والحضارة اوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط٢(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، صص١٦٤-١٦٥.

(٧٢) ابو عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهي (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، اخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، (بيروت: دار الخضر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج٣، ص٤٣٣.

(٧٣) سورة التوبة، آية ٢٨.

(٧٤) سورة التوبة، آية ٢٩.

(٧٥) ابو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، ط٢(بيروت: المكتب الاسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، ج٦، ص٢١.

(٧٦) الحاوي في الفقه الشافعي، ج١٤، ص٣٠٠.

(٧٧) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ص١٤٢.

(٧٨) السنن الكبرى، ج٩، ص١٨٥.

(٧٩) يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدول العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريده، ط٢(القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص٢٨.

(٨٠) ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الزرعي (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، احكام اهل الذمة، تحقيق: يوسف احمد البكري وشاكر توفيق العاروري، ط١(بيروت: دار الحزم، ١٩٩٧م)، ج١، ص١٠٩.

(٨١) الزرعي، احكام اهل الذمة، ج١، ص١٠٩.

(٨٢) مصراة: هي الناقة، او البقرة، او الشاة يُصرّى اللبن في ضرعها اي يُجمع ويُحبس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٤٥٨.

(٨٣) الصاع: هو اقل من ثمانية ارطال واكثر من سبعة ارطال، والصاع الشرعي يتكون من اربعة امداد. ينظر: ابن آدم، الخراج، ج٤، ص٥٤٩؛ فالتر هنتس، المكاييل والاوزان الاسلامية، ص٦٣.

(٨٤) اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن راهويه المروزي (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، مسند ابن راهويه، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين برد البلوسي، ط١(المدينة المنورة: مكتبة الايمان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ج١، ص٤١٧؛ احمد بن حنبل،

المسند، ج١٦، ص١٧٣؛ ابو عوانة يعقوب بن اسحاق الاسفرائيني(ت ٣١٦هـ/)، مسند ابو عوانة، (بيروت: دار المعرفة، بلا)، ج٣، ص٢٦٧؛ ابو محمد عبد الله بن محمد الجارود (ت٣٠٧هـ/٩١٩م)، المنتقى من السنن المسندة، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١(بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ص١٤٦.

(٨٥) الخراج، ص١٢٠.

(٨٦) المصدر نفسه، ص١٢١.

المصادر:

- **ابن الاثير**، عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)،

١- اللباب في تهذيب الانساب، (بيروت: دار صادر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م).

- **ابن الاثير**، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)،

٢- النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، ط٢ (قم: مؤسسة اسماعيليان، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤).

- **ابن ادم**، يحيى القرشي (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)،

٣- الخراج، (بيروت: دار الحداثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

- **الاسفرائيني**، ابو عوانة يعقوب بن اسحاق (ت ٣١٦هـ/٩٢٨م)،

٤- مسند ابو عوانة، (بيروت: دار المعرفة، بلا).

- **ابن انس**، مالك (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)،

٥- الموطأ، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

- **البخاري**، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)،

٦- صحيح البخاري، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

- **ابن بطال**، ابو الحسن علي بن خلف القرطبي (ت ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م)،

٧- شرح صحيح البخاري، تحقيق: ابو تميم ياسر ابراهيم، ط٢(الرياض: مكتبة الرشيد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- **البكري**، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)،

٨- معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).

- **البلاذري**، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)،

٩- فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).

- **البيهقي**، ابو بكر احمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)،

١٠- الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد على مذهب السلف واصحاب الحديث، (بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م).

١١- السنن الكبرى، (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م).

- **الترمذي**، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)،

١٢- سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

- **الجارود**، ابو محمد عبد الله بن محمد (ت٣٠٧هـ/٩١٩م)،

١٣- المنتقى من السنن المسندة، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١(بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

- **الجرجاني**، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)،

١٤- التعريفات، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

- **ابن الجوزي**، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)،

١٥- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى القادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

- **الجوهري**، ابو النصر اسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م)،

١٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

- الجوهري، ابو بكر احمد بن عبد العزيز البصري (ت ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)،

١٧- السقيفة وفدك، تحقيق: محمد هادي الاميني، ط٢ (بيروت: منشورات الكتبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

- **ابن حبان**، ابو حاتم حمد بن احمد التميمي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)،

١٨- الثقات، تحقيق: شرف الدين احمد، ط١(بيروت: دار الفر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

١٩- مشاهير علماء الامصار، تحقيق: م . فلايشهمر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م).

- **ابن حجر العسقلاني**، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)،

٢٠- الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل محمد عوض، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

- **ابن ابي الحديد**، فخر الدين ابو حامد عبد الحميد (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)،

٢١- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (بيروت: دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م).

- **ابن حنبل**، ابو عبد الله احمد الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥)،

٢٢- المسند، (القاهرة: مكتبة قرطبة، بلا).

- **الدارمي**، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨)،

٢٣- سنن الدارمي، (دمشق: باب البريد، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م).

- **الداودي**، ابو جعفر احمد بن نصر (ت ٤٠٢هـ/ ١٠١١م)،

٢٤- الاموال، تحقيق: رضا محمد سالم شحادة، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

- **الذهبي**، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧)،

٢٥- العبر في خبر من غبر، تحقيق: ضلاح الدين المنجد، ط٢(الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م).

٢٦- سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

- **ابن راهويه**، اسحاق بن ابراهيم بن مخلد المروزي (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)،

٢٧- مسند ابن راهويه، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين برد البلوسي، ط١(المدينة المنورة: مكتبة الايمان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

- **الزرعي**، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)،

٢٨- احكام اهل الذمة، تحقيق: يوسف احمد البكري وشاكر توفيق العاروري، ط١(بيروت: دار الحزم، ١٩٩٧م).

- **الزيلعي**، جمال الدين ابو محمد عبد الله بن يوسف (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)،

٢٩- نصب الراية لاحاديث الهداية مع حاشية بغية الالمعي في تخريج الزيلعي، تحقيق: محمد عوامة، ط١(جدة: مؤسسة الريان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

- **السرخسي**، محمد بن احمد (ت ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦)،

٣٠- شرح السير الكبير، تحقيق: محمد علي الجيلاني، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

- **ابن سعد**، ابو عبد الله محمد البصري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)،

٣١- الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، بلا).

- **السمعاني**، ابو المظفر منصور بن محمد (ت ٤٩٨هـ/١١٠٤م)،

٣٢- تفسير القران، تحقيق: ياسر ابراهيم وغنيم عباس غنيم، (الرياض دار الوطن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

- **الشافعي**، محمد بن ادريس (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)،

٣٣- مسند الشافعي، (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا).

٣٤- الام، ط٢ (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

- **ابن شبة**، ابو زيد عمر النميري (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م)،

٣٥- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط١(بيروت: دار التراث، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

- **الشيباني**، ابو بكر احمد بن عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م)،

٣٦- الاحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل احمد الجوابرة، ط١(الرياض: دار الراية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

- **الصنعاني**، ابو بكر عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)،

٣٧- مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، ط٢(بيروت: المكتب الاسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).

- **الطبري**، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢)،

٣٨- تاريخ الرسل والملوك، ط١ (بيروت دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

- **الطحاوي**، ابو جعفر احمد بن محمد (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)،

٣٩- شرح معاني الاثار، تحقيق: محمد زهري النجار، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م).

- **ابو عبيد**، القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣١م)،

٤٠- الاموال، تحقيق: محمد عمارة، ط١ (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨).

- **العجلي**، ابو الحسن احمد بن عبد الله (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)،

٤١- الثقات، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م).

- **الفاكهي**، ابو عبد الله محمد بن اسحاق (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)،

٤٢- اخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، (بيروت: دار الخضر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

- **الكاتب**، قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)،

٤٣- الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حبيب الزبيدي، (بغداد: دار الحرية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١).

- **الماوردي**، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)،

٤٤- الحاوي في الفقه الشافعي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٤٥- الاحكام السلطانية والولايات الدينية، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

- **المقريزي**، احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)،

٤٦- امتاع الاسماع بما للنبي من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

- **المناوي**، محمد بن عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ/ ١٥٤٥م)،

٤٧- التوقيف على مهمات التعريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

- **ابن منظور**، محمد بن مكرم الافريقي المضري (ت٧١١هـ/١٣١١م)،

٤٨- لسان العرب، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م).

- **النسائي**، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)،

٤٩- سنن النسائي، (بيروت: دار الفكر، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م).

- **ابن هشام**، ابو محمد عبد الملك بن ايوب الحميري (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)،

٥٠- السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

- **الواقدي**، ابو عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)،

٥١- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (لندن: مطبعة اكسفورد، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

- **ياقوت الحموي**، ابو عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨)،

٥٢- معجم البلدان، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م).

- **ابو يوسف**، يعقوب بن ابراهيم الانصاري (ت ١٨٢هـ/)،

٥٣- الرد على سير الاوزاعي، تحقيق: ابو الوفا الافغاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا).

٥٤- الخراج، (بيروت: منشورات الجمل، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

المراجع:

- **ابو جيب**، سعدي ،

٥٥- القاموس الفقهي، ط٢، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

- **الدوري**، عبد العزيز ، (الدكتور)

٥٦- اوراق في التاريخ والحضارة اوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط٢(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

- **فلهاوزن**، يوليوس،

٥٧- تاريخ الدول العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريده، ط٢(القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

- **الكبيسي**، حمدان عبد الجيد ، (الدكتور)

٥٨- الخراج احكامه ومقاديره، (بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

- **هنتس**، فالتر ،

٥٩- الماكييل والاوزان الاسلامية، ترجمة: كامل العسلي، (عمان: مطبعة القوات المسلحة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

Abstract:

The compensation represent justice officias in the state with their people who have been shadow, by compensated them instead of what they took off them. In the Quran we finded a lot of (Ayat) showing that God compensation the believers because of what they tested from the scourage.

We found that compensation has been deversitied like sheeps, money, groves, water well and lands according to poicy officials in the states and the types of covenants between the armies commanders and residents of occupied.

موقف الارمن من الحروب الصليبية

(٤٨٩_٥٠٠هـ/١٠٩٥_١١٠٦م)

أ.م.د غالب ياسين فرحان الدليمي

المديرية العامة لتربية محافظة الأنبار

موقف الارمن من الحروب الصليبية (٤٨٩_٥٠٠هـ/١٠٩٥_١١٠٦م)

أ.م.د غالب ياسين فرحان الدليمي

المستخلص :

تناول هذا البحث دراسة تاريخية لموقف الأرمن من الحروب الصليبية للمدة من (٤٨٩_٥٠٠هـ /١٠٩٥_١١٠٦م) فقد تم الكشف عن موقف الأرمن من الصليبيّن في منطقة قيليقية ومدنها المهمة التي كان أغلب سكانها من الأرمن ومدى التعاون الذي قدموه للقوات الصليبية ضد سلاجقة الأتراك المسلمين حيث كانت تلك المناطق ذات صراع كبير بين الدولة البزنطينيّة والسلاجقة الأتراك, كذلك بيّنت موقف الأرمن في مدن طرسوس وأذنه والمصيصة ومدى التعاون والخدمات التي قدمت للصليبيّن فضلاً عن موقف الإمارات الأرمنيّة في بلاد الجزيرة الفراتيّة والتي كانت ذات علاقة حميمة مع الصليبيّن والتي ساعدتهم في توسع نفوذهم في تلك المنطقة, كما اوضحت موقف الأرمن في امارة انطاكيه الصليبية والذين كان لهم الفضل الكبير في إسقاط تلك المدينة بيد الصليبيّن .

Abstract

This research deals with the study of historical position of Armenians about the Crusades for the period (489-500 A.H./1095-1106A.D.). It has been disclosed the Armenian position about the Crusaders in the Cilicia region and its important cities, which was most of the Armenian population. And also it has been detected over the cooperation they have extended to the crusader forces against the Seljuk Turks, where

these regions were once of a major struggle between the Byzantine state and the Seljuk Turks.

This study also shows the Armenian position on the cities of Tarsus, Adana, Mopsuestia .the extent of cooperation and the services provided to the Crusaders as well as the position of Armenian Emirates in the country of Upper Mesopotamia, which was once an intimate relationship with the Crusaders that helped them to expand their influence in the region. This study also shows the Armenian position in the Emirate of Antioch Crusader, who have had the great favour of toppling that city to the crusaders.

المقدمة :

تعد مناطق تواجد الأرمن مسرحاً لمجريات الصراع القائم بين السلاجقة والبيزنطيّين والصليبيّن ، وقد أدرك الأرمن هذا الصراع وعملوا جاهدين من الاستفادة منه ، سواء في تكوين إمارات أرمنيّة لهم في المنطقة ، أو من خلال تقديم المساعدات المادية والمعنوية للصليبين , فقد تناول هذا البحث موقف الأرمن من الحروب الصليبيّة للفترة من (٤٨٩-٥٠٠هـ/١٠٩٥-١١٠٦م) وموقفهم من الصراعات التي دارت في منطقة آسيا الصغرى وخاصةً في إقليم قيليقيه الذي كان يشكل أغلب سكانة من الأرمن الذين كان لهم الدور البارز في مساندة القوات الصليبية التي دخلت واستولتْ على المدن المهمة ، مثل نيقية عاصمة السلاجقة الأتراك المسلمين حيث ظهرت دعوات من المدن ذات الكثافة الأرمنيّة تدعو الصليبيّن إلى القدوم اليها وخاصة في الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى , كذلك أوضحت موقف الأرمن من الحروب الصليبيّة في مدن طرسوس وأذنه والمصيصة وعين زربة ، ومدى تعاون سكان هذه المدن مع الصليبيّن ، فضلاً عن ذلك سيطرت تلك القوات على خطوط المواصلات الرئيسية التي تربط آسيا الصغرى في بلاد الشام

ثم توسع التواجد الصليبيّ وامتداده إلى بلاد الشام وخاصة في المناطق الشمالية كما أوضحت مدى تعاون الأرمن مع الصليبين في الإمارات الأرمنيّة في بلاد الجزيرة الفراتيّة والتي كانت تشكل مناطق مهمة بالنسبة للصليبيّن مثل : إمارة الرها – والتي استطاع الصليبيّن السيطرة عليها وتأسيس أول امارة صليبيّة لهم فيها – كذلك مدن ملطيه ، ومرعش ، ورعبان ، وكيسوم ، وسروج ، ولبيرة التي سيطرت عليها القوات الصليبيّة من خلال تعاون أمراء وسكان الأرمن في هذه المدن والذين كانوا عاملاً مساعداً للصليبيّن في تثبيت أركان حكمهم كذلك تسليم إمارة انطاكية إلى القوات الصليبيّة من خلال الخيانة التي قدمها الأرمن الموجودين في المدينة للأمير الصليبيّ بوهيمند اذ انتهى موقف هذه الإمارة بمقتل الأمير السلجوقيّ ياغي سيان وإقامة إمارة صليبية في انطاكيه بزعامة الإمبراطور البيزنطيّ بوهيمند .

الارمن عبر التاريخ :

اختلفت الكثير من الدراسات الحديثة حول اسم الأرمن وأصولهم العرقية وأجمعت أنَّهم من الشعوب الهندو أوربية التي وصلت إلى آسيا الصغرى وأرمينيّة بعد تمازجهم مع سكانها الأصليّين, أذ بدأت عشائر الأرمن بالانتشار في أرمينية إلى السهوب في جنوب وغرب بيحيرة فان (van) ، ثم ازداد عددها في السهول ؛ فأطلقت على المنطقة التي سكنوها أرمية (arme) ، أو أرميني (armini) ، ثم تمكنوا من بسط نفوذهم سكنوا مقاطعة هاياسا الشرقية ؛ لذلك حمل الأرمن اسم هاي(hai) بمعنى: هايستان ثم اطلق عليهم الفرس اسم أرمينيا (armina) وسمي كذلك: أرمينوي(arminoi), ثم وجد اسم أرمينيا على صخره بيهستون (behistun) التي تركها الملك الفارسيّ داريوس الاول عام ٥٢١ ق.م , التي تشير إلى بلاد الأرمن , ثم بدأت الدولة الارمنية منذ عام ٥٨٥ ق.م[١].

وإرْمينية – بكسر أوله واسكان ثانيه – بلد معروف يضم كورا كثيرة منها الأرمن وهي أُمة مثل الروم[٢] ويصفهم ابن الوردي: بأنّ الأرمن شعب ينتمي إلى العرق الأري (الهندو اوربي) ، ويعود وجودهم في ارض إرمينية التاريخية – الهضبة الارمينية (ارض ارمينيا العضمى والصغرى) الممتدة في الأجزاء الوسطى والشرقية من آسيا الصغرى (تقع حاليا في تركيا) يعود إلى الالف الثالث ق.م , وتمتد ارمينية التاريخية إلى الشرق من المنابع العليا من نهر الفرات وحتى بحر قزوين وايران , وتحدها من الجنوب سلسلة جبال طوروس الارمنية على حدود العراق الشمالية , في حين تمتد ارمينية الصغرى إلى الغرب من منابع نهر الفرات, وتبلغ مساحة ارمينية العضمى وارمينية الصغرى معا حسب تقديرات بعض المؤرخين نحو ٣٥٨ الف كم٢[٣].

والارمن كانو فرقتين احداهما تمثل الكثلكة وقد انفصلت عن بعضها فأصبحت طائفتين احداهما تدعى بالارمن الكاثوليك واخرى تدعى بالارمن العتق[٤], ويذكر ك.ل أستارجيان : أنَّ مملكة ارمينية قامت في المنطقة المعروفة باقليم قيليقيا * الذي تحده من الشرق جبال الامانوس ومن جهتي الشمال والغرب جبال طوروس ومن جهة الجنوب البحر المتوسط[٥].

موقف الارمن من الحروب الصليبية .

كانت الاراضي الارمينية عبر التاريخ مسرحآ للاحداث السياسية والعسكرية القائمة بين الامبراطورية البيزنطينية والسلاجقة الاتراك المسلمين , ونتيجة لما تعرضت له المدن الارمنية من خطر الاتراك وتهديدهم للاراضي الارمنية قام ملك مدينة أني* وهو اكبر ملوك ارمينية بدعوة للامبراطورية البيزنطينية لتسليمهم بلاده سنة (٤٣٧هـ /١٠٤٥م) على ان يأخذ اقليم قيليقية عوضا عنها [٧] كما قام أمير مدينة قابس* الارمنية بتسليم مدينتة وكل الاراضي والقرى التابعة لها ايضا

للبيزنطينيين مقابل أن يحصل على اراضي اكثر امنا واستقرارا فكانت جبال طوروس هي هدفه الذي استقر فيه [٨] ، وبذلك استمر خطر الاتراك على ارمينية متواصلا , فقد تعرضت مدينة ملطية* هي الاخرى للنهب والسلب والدمار من قبل القوات السلجوقية التركية واستمر هذا الخطر يهدد ارواح وممتلكات سكان تلك المدن التي كان معظم سكانها من الارمن مما دفعهم ان يهجروا مدنهم بحثاً عن اماكن اكثر امناً واستقراراً لهم , ونتيجة لهذه الظروف التي عصفت بتلك المنطقة فقد استطاعت الدولة البيزنطينية من ضم جميع الامارات الارمنية لسيادتها في الوقت الذي استمرت فيه الغزوات السلجوقية التركية لأرمينية للفترة بين عامي (٤٥٧ – ٤٦٣هـ/ ١٠٦٢–١٠٧٠م) [٩].

وبسبب المعانات الكبيرة التي عاناها السكان الارمن في ارمينية الكبرى فقد هاجرت اعداد كبيرة منهم إلى المناطق الأكثر امناً ومنها منطقة كبدوكيا* وجبال طوروس في قيليقية وذلك ؛ لبعد تلك المناطق عن خطر السلاجقة الاتراك المسلمين الذين كانو يهددون وجودهم بأستمرار , وهذا ما دفع بسكان الارمن إلى زيادة انتشارهم في آسيا الصغرى وخاصة الجزء الجنوبي الشرقي من الاناضول [١٠].

لقد شهدت سنة (٤٩٠هـ/ ١٠٩٥م) توسعا بيزنطينياً في غرب آسيا الصغرى مما مكنها من الاستيلاء على الجهات الساحلية المهمة [١١] . ومما زاد الموقف تعقيداً في آسيا الصغرى هو وجود اعداد كبيرة من الارمن كانو يعيشون ضمن دولتهم في هذه المنطقة منذ فترات لم تكن بالقصيرة , لكن الدولة البيزنطيّة ضمت ارمينية إلى املاكها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي , لكن توسع الدولة السلجوقية في القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي في مناطق آسيا الصغرى وعلى حساب أملاك الدولة البيزنطينية مكنتهم من ضم معظم مناطق اقليم ارمينية وهذا ما دفع بسكان الارمن الموجودين في تلك المناطق إلى ان يهاجروا إلى المناطق التي يتوفر فيها الأمان , فساروا إلى المناطق الجبلية الوعرة في الجنوب الشرقي من آسيا

الصغرى حيث يقع اقليم قيليقة ، وتركزوا في عدة مناطق متفرقة منها : أضنة* وطرسوس* والمصيصة* وعين زربة* والتي كانت ملاذاً أمناً لاعداد كبيرة من المهاجرين الارمن منذ القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) , وما أن سقطت عاصمة ارمينية الكبرى أني (Any) بيد السلاجقة سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) حتى ازدادت هجرة الشعوب الارمنية إلى قيليقية ثم جاءت بعد ذلك معركة ملاذ كرد* سنة (٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) [١٢] ؛ لتزيد من اعداد المهاجرين الأرمن أليها , وقد عاش هؤلاء حياة غير مستقرة بين هيمنة البيزنطينين تارة والسلاجقة الأتراك الذين كانت بيدهم السطوة العسكرية تارة اخرى , فقد كانت حماية تلك المدن بأيديهم وذلك لمهارتهم في أستخدام السلاح والقدرة على حماية القلاع والحصون في المدينة , أما الأرمن فقد كان يشتغلون في مهن بسيطة وهي الزراعة والتجارة [١٣] .

ويبدو من خلال ما تقدم بأنَّ الأرمن لم يسمح لهم بحمل السلاح ؛ لأنَّ الاتراك لم يثقوا بهم وكانوا يدركون مسبقا مدى تعاون هؤلاء مع الصليبين في حالة دخولهم إلى تلك المناطق .

وبعد أن انتشرت الفوضى نتيجةً لضعف الأمبراطورية البيزنطينية والحروب الاهلية التي ضربت داخلها وتدهور أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والادارية دفع بتمرد كثيرا من رعاياها الأرمن الذين عينهم الأباطرة البيزنطييّن حكاماً على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطينيّة بالتوسع والازدياد مؤسسين بذلك أمارات مستقلة لهم[١٤].

ومن بين هؤلاء ألامراء الأرمن الذين أدوا دورا فاعلاً في تاريخ المنطقة هما الأميران روبين* وأوشين*الذان نجح كل منهما في تأسيس أمارة ارمنية له , فقد خرج روبين (٤٧٢هـ /١٠٧١م) عن طاعة الدولة البيزنطينيّة مستقلاً منصبة الاداري وأسس لنفسه أمارة مستقلة في المنطقة الواقعة إلى الشمال الغربي من قيليقيه بعد أن استولى على حصون وقلاع تلك المنطقة [١٥] ، وخلفه أبنة قسطنطين الأول الذي اتخذ من

قلاع بارتزربرت الواقعة إلى شمال الغربي من مدينة سيس* مقرا له وعاصمة لأمارتة فالتف حولة الأرمن الموجودين في تلك الأرجاء وقدم له أحد الأمراء الذين كانوا قد هاجروا بعد موقعة ملاذ كرد (٤٦٣هـ /١٠٧١م) وهو الأمير كوغ باسيل* عونة في السيطرة على مدن قيلقية [١٦].

أمّا الإمارة الأرمنية الثانية فهي أمارة أوشين والتي أسسها الأمير أوشين بن هيثوم مؤسس أسرة هيثوم المشهورة وقد أستغل بالمنطقة الواقعة إلى الغرب من أبواب قيلقية وأتخذ من قلعة لأمبرون المطلة على جبال طوروس وسهل قيلقية مقرا له وأستولى على جانب من مدينة أذنه [١٧].

لقد أقامت هاتان الأسرتان علاقات ودية مع الصليبين كما أنظم الأرمن إلى القوات الصليبية في قتالهم ضد السلاجقة الاتراك المسلمين مستقلين سوء الأوضاع السياسية وأنشغال الدولة البيزنطينية في حروبها مع السلاجقة والخلافات القائمة بين السلاجقة أنفسهم من أجل توسيع أمارتيهما على حساب أراضي تلك القوتين , أذ أن أميرا تلك الأمارتين كانا يدينان بالمذهب الأرمنيّ وهم من أشد أنصار الكنيسة الأرمنيّة التي تولي الكره والعداوة لبيزنطة [١٨].

واصلت الحملة الصليبية الأولى تقدمها حتى وصلت إلى مشارف القسطنطينية سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٥م) ودخل قادتها في مفاوضات مع الإمبراطور البيزنطي الأاكسيوس كومنين[١٩] ، الذي طلب منهم أداء اليمين والقسم له بالولاء بأن تكون القوات الصليبية تسير حسب توجيهاته[٢٠] ، وبهذا حقق الإمبراطور البيزنطيّ هدفة من تحميل القائد الصليبي بوهيمند النورماني* والقيادات الاخرى الذين كانوا معه بالاستجابة لأوامرة والتي كانت تتضمن اعطاءه كل الاراضي التي سيتم الاستيلاء عليها والتي سبق وأن استولت عليها سلطنة سلاجقة الروم والتي كانت تابعة للأمبراطورية البيزنطينيّة من قبل [٢١] ، وتمت المصادقة على هذه الاتفاقية بالقسم

بالإنجيل حتى لا يمكن نقضها إلى الأبد وبموجب ذلك تعهد الأمبراطور البيزنطي بتقديم التعزيزات للقوات الصليبية وقادتها [٢٢].

ويبدو من كل هذه التحالفات المشار إليها سابقا بأن سلطنة سلاجقة الروم ستكون الهدف المباشر للحملة الصليبية الأولى , وهو ماحصل فعلاً , أذ بدأ الصليبيون أول عمل عسكري لهم بمحاصرة العاصمة السلجوقية نيقية* والتي مالبثت أن استسلمت لهم في سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٥م) [٢٣]. ومع أن سقوط نيقية كان سقوط مدينة واحدة ألا أن الأثار المترتبة على سقوطها كانت هائلة , فقد أرتفعت معنويات الجيش الصليبيّ وأزالت من نفوسهم أزمة الخوف والحلم الذي يراودهم بسحق قوتهم , وبذلك حدث نشاط أرمنيّ ملحوظ ؛ نتيجة الهزيمة التي لحقت بالسلاجقة وأيضاً نتيجة دخول الصليبيّن الكاثوليك القريبين من الأرمن على عكس البيزنطينين الأرثوذكس , ومن هنا سيظهر تعاون ملحوض بين الأرمن والصليبين وظهرت دعوات من المدن ذات الكثافة الأرمنيه تدعو الصليبيّن إلى القدوم إليها وخاصة في الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى .

لقد كانت نيقية تحتل موقعا جغرافيا مميزا مما يجعلها في حالة بقاءها بيد السلاجقة تشكل خطرا على خطوط مواصلاتهم مع بلاد الشام , وبهذا توحدت أهداف الصليبيّن والبيزنطينيّن بعمل عسكري أدى إلى احتلالها [٢٤] ثم أعقب ذلك هزيمة الجيش السلجوقي أمام البيزنطينين في معركة دوريليوم (Doryleaum) [٢٥] على الرغم من الامدادات التي قدمها السلطان قلج أرسلان* وكانت هذه المعركة خسارة كبيرة للمسلمين لأنّها فتحت كل الطرق المؤدية إلى آسيا الصغرى أمام الصليبين [٢٦] ، مما أتاح للصليبين التوغل بأتجاة التجمعات والأمارات الأرمنية الخاصة بسلاجقة الروم في قبادوقيا ثم في قيليقيه وما جاورها[٢٧].

من خلال ذلك لابد أن نعرف موقف الأرمن من هذه المتغيرات وخاصة موقفهم من القوات الصليبيّة , فقد وجد الأمراء الأرمن من الصليبين الحليف والحامي القوي

الذي يمكنهم من انشاء مملكتهم بعد صراع دام طويلاً بين الأمراء الروبنييّن ولهيثومييّن, أدى فيه البيزنطينيون دورا كبيرا من خلال دعمهم المستمر واللامحدود للبيت الهيثومي؛ وذلك بسبب العداء المشترك للروبنييّن الذين حملوا الصليبيّن مسؤولية ضياع استغلالهم في الوطن الام ارمينية الكبرى فضلا عن محاولتهم بالتوسع على حساب الاراضي البيزنطينية [٢٨].

أما الأمراء الروبنيين فقد دأبوا على عقد الاحلاف والاتفاقيات مع الصليبيّن اذ وجد كل من الطرفين ضالتة في الطرف الآخر , فقد طمح الأمراء الأرمن إلى اتخاذ الصليبين سندا لهم في صراعهم ضد البيزنطينين والأمراء الهيثوميين في حين وجد الصليبيون في الأمراء الروبنيين أعوانا لهم في تحقيق أهدافهم لأقامة كياناتهم في الشرق, ويتضح لنا من خلال ذلك الدعم الذي قدمة الأرمن للحملة الصليبية الأولى أذ ارشدوهم إلى الطرق المؤدية إلى بلاد الجزيرة وشمال الشام [٢٩] ، فضلا عن ذلك دورهم في مساعدة الصليبين أثناء استيلائهم على الرها وأنطاكيه عن طريق الامدادات العسكرية والدعم المادي الضخم وخاصة عند حصارهم لأنطاكية سنة (٤٩١هـ/١٠٩٨م) [٣٠] .

موقف الأرمن من الحروب الصليبية في مدن طرسوس , أذنة , المصيصة .

كان للتواجد الأرمني الكثيف في قيليقيه عاملاً أساسيا سهل مهمة القوى الصليبية في الاستيلاء على هذا الاقليم حيث يتكون معظم سكان المدن والقلاع من العنصر الارمني على الرغم من وجود حاميات سلجوقية كان قد وضعها السلاجقة في المدن الكبيرة مثل طرسوس وأذنه والمصيصة التي كان يشكل غالبية سكانها من العنصر الأرمني منذ أيام السلطان سليمان بن قتلمش علما بأن الأرمن هاجروا من ارمينية عندما أستولى السلاجقة على مواطنهم الاصلية , ونتيجة للتوسع السلجوقي في آسيا

الصغرى خشوا على انفسهم فتوجهوا إلى قيليقيه التي تتميز مدنها طرسوس وأذنه والمصيصة بأنها تتحكم بالطرق التي تربط بين آسيا الصغرى وبلاد الشام وهي التي عرفت بالثغور الاسلامية [٣١].

أخذت القوى الصليبية بالتقدم لدخول مناطق آسيا الصغرى ولم تستطع القوى السلجوقي ايقاف هذا التقدم وباءت كل محاولاتهم بالفشل أمام تصميم الصليبين في اختراق المنطقة وعندما وصلوا إلى مدينة هرقلة* انشق كل من تانكريد* وبلدوين البولوني* عن الجيش الرئيسي وتوجها إلى قليقية في الجزء الجنوبي الشرقي من آسيا الصغرى ليؤسسوا أمارات لهم [٣٢] ، واذا كان الصليبيون قد واجهوا قدرا كبيرا من الترحيب في التجمعات الأرمنية في قبادوقيا وما يجاورها من الحصون والمدن [٣٣] فأنَّ الحملتين التي تفرعتا من الجيش الصليبي الرئيسي توجهتا بناءً على اقتراح من الإمبراطور البيزنطي وذلك لبسط سيطرتهم على الأقاليم التي عرفت فيما بعد باسم آسيا الصغرى التي كانت تسكنها عناصر ارمنية على الرغم من أن تانكريد وبلدوين كانا ممتنعين عن الآعتراف بالأتفاقية التي عقدها الصليبيون مع البيزنطينين [٣٤] .

كان بلدوين يعد نفسه الأقرب إلى الأرمن وهم غالبية اهل اقليم قيليقيه بحكم الصلة التي كانت تربطة بأمير ارمني أسمه بقراط , تعرف علية في نيقية بعد فرارة من حبس الأمبراطور البيزنطي وظل هذا الرجل يلازم بلدوين في جميع حملاته [٣٥] ، والحَّ على بلدوين واستطاع ان يقنعه بأن الأرمن بأمس الحاجة لمساعدتة وهو ما أعتبرة بلدوين فرصة لتحقيق طموحاته , ووعدة بأن ينظم هو إلى تلك الحملة التي يشنها بلدوين [٣٦].

توجه تانكريد نحو مدينة طرسوس على رأس قوة عسكرية تتألف من مائة فارس ومائتين من المشاة بناءً لأستدعاء اهلها من الأرمن فلم تستطع الحاميات السلجوقية التركية من مواجهتها مما أدّى إلى تراجعهم إلى داخل المدينة وتحصنوا فيها , فكان اهل طرسوس يتكونون من الأرمن والأغريق وقلة قليلة من الترك ، أي: سلاجقة الروم

الذين كانت لهم الغلبه الحربية , ويذكر وليم الصوري (أن الأرمن والأغريق لم يكن يسمح لهم بأستلام السلاح , وأنهم لهذا السبب انصرفوا إلى ممارسة التجارة ، والاشتغال بالزراعة) في حين كان حمل السلاح من حق القلة التركية – أي السلجوقية والتي كانت حراسة الحصون موكولة لهم [٣٧] ، في الوقت الذي كانوا فيه يتعاملون بغلظة مع السكان كما يبدو من حديث وليم الصوري الذي يذكر بأنهم أعتمدوا على سياسة (قمع الاهالي بشدة) ؛ لذا فقد كان من الطبيعي أن يتطلع سكان هذا المدينة من الأرمن وغيرهم إلى الخلاص من الحكم السلجوقي[٣٨].

أما الحملة الثانية التي توجهت إلى طرسوس فكانت بقادة بلدوين الذي توجه على رأس قوة عسكرية صليبية أُخرى تتألف من خمسمائة فارس وألفين من المشاة أشتركت جميعها في حصار المدينة وعندما وجدوا الاتراك بأنَّهم غير قادرين على مواجهة تلك الجموع الصليبية الكثيفة آثروا الخروج من المدينة والانسحاب منها [٣٩] , ولقد أثار الأنسحاب هذا ارتباكا لدى الأرمن وسكان المدينة الاخرين ؛ لذا فقد قاموا بالمناداة على الصليبين في ذات الليلة التي خرج منها السلاجقة , وهم يرفعون اصواتهم رغبة في أن يصل ترحيبهم إلى معسكر الصليبين حيث قالوا : (بادرو أيها الفرنجة المنتصرون , بادروا فأن الترك الذين اضطربوا خوفا , قد أنصرفوا جميعاً في آن واحد)[٤٠] ، وبهذا فتح الأرمن ابواب المدينة للصليبين الذين دخلو أليها دون مقاومة تذكر[٤١].

وبوصول الصليبين إلى مناطق قيليقيه بدأت تظهر بوضوح أطماع أمرائهم في تأسيس إمارات خاصة بهم , فقد أثار سقوط طرسوس بيد الأمير الصليبيي تانكريد عدم رضا بلدوين عن المكانة التي حققها الأمير تانكريد بين الأرمن في طرسوس وبدأوا يطالبونه اقتسام النفوذ فيها مما أثار خلاف كبير بين الطرفين , لم يشأ المؤرخ المجهول أن يفصلة , بل أكتفى بذكر جواب تانكريد الذي قال فية : (لقد أختارني رجال هذة المدينة أميراً عليهم , وهم لايريدون سواي اميراً)[٤٢].

ويبدو انّ هذا الموقف المتأزم بين الأميرين الصليبين هو مادفع أهل المدينة من الأرمن والأغريق , وحسم الموقف من جانبهم فقد رأوا ان بلدوين أشد من تانكريد بأساً واكثر منة جنداً – على حد قول وليم الصوري – فأثروا أن يذعنوا له , على نفس الشروط التي سبق لهم اشتراطها على الأمير تانكريد , فقامو بأنزال رايتة ورفع راية بلدوين مكانها [٤٣].

ومهما يكن من أمر فقد قام الأرمن بأدخال بلدوين وجميع عساكرة إلى المدينة وخصصوا له برجين جعلوها سكننا خاصا له في حين تفرق جندة في بيوت الأهالي[٤٤] وأن الأرمن ساعدو القوات الصليبية وقدموا لهم (مواكيل كثيرة وذخيرة وافرة ...) [٤٥] الا أن بلدوين غادر طرسوس بعد أن ترك جينمار البولوني [٤٦] نائبا عنة فيها , على رأس حامية صليبية عسكرية لحماية المدينة [٤٧] .

ويبدو أن بلدوين خاف أن تتعرض المدينة لمهاجمة السلاجقة الأتراك المسلمين, أو ان يحاول الأرمن فيها الأتصال مع الأمير تانكريد ؛ لإعادته إلى المدينة , خاصة أنهم لايرحبون به وأن مشاعرهم وعاواطفهم لاتزال مع تانكريد .

ويتضح مما تقدم أن ماجرى من حوار بين الأرمن في طرسوس وبين الأميرين الصليبين تانكريد وبلدوين من حيث اصرارهم على التعهد بحمايتهم وعدم أجبارهم على ترك منازلهم ، أو مزارعهم ، إنهم كانوا في ظل الحكم السلجوقي مفتقرين إلى حياة آمنة, كما أن مصدر عيشهم الأساسي وهو الزراعة والتجارة كان مهدداً , ولذلك كانوا يتطلعون إلى الوجود الصليبي على أنهم الأمل في تحقيق وضعا أفضل لهم , ولهذا أحسنوا أستقبالهم[٤٨]. كذلك لعب الأرمن دورا كبيرا في طرسوس في التعاون مع القوى الصليبية أذ أنهم كانوا عاملاً أساسيا في تهميش القوة السلجوقية ومنعها من أن تتخذ من مدينتهم التي تتمتع بالموقع الجغرافي الحيوي , مجالاً لضرب القوات الصليبية , وقد ساعد هذا على تخفيف الضغط السلجوقي على الحملة الصليبية الرئيسية ومكنها من تحقيق الأنتصارات[٤٩].

ورغم الخلاف الديني بين الأرمن والصليبين ألا أنهم كانوا على استعداد لتحالف معهم لعدم وجود أي خلافات مسبقة بينهم فضلاً عن ذلك فأن أهدافهم واحدة وهي مقاومة السلاجقة الأتراك المسلمين , لهذا كانت الأمارات الأرمنية بمثابة قواعد استفاد منها الصليبيون وكانت بمثابة حواجز للإمارات الصليبية ضد غزوات السلاجقة الأتراك المسلمين[٥٠] ، وعندما كانت القوات السلجوقية تخرج لملاقات القوات الصليبية حال تعرض مدنهم وقراهم للغزو الصليبي كانت مجاميع كبيرة من الأرمن تخرج من قراهم على شكل كمائن منظمة تكمن عند الممرات وينقضون على السلاجقة الأتراك المسلمين في حالة أنكسارهم امام الصليبين فيقتلون ويسلبون ممن يظفرون به[٥١] ؛ لذلك اضطرت اعداد كبيرة من السلاجقة واغلبهم من الفلاحين على ترك قراهم نتيجة الأعمال العدوانية التي يقوم بها الأرمن اذ نهبوا مواشيهم وسلبوا ارزاقهم التي كانت مصدر عيش لهم [٥٢] ، وهكذا كانت مواقف الأرمن مع الصليبين فهم يسيرون حسب ما تقتضية مصلحتهم .

اما موقف الأرمن في مدينة أذنه من الحملة الصليبية التي يقودها الأمير الصليبي تانكريد فقد توجه هذا الأمير إلى مدينة أذنه فوصلها وهي في حالة من الفوضى والأضطرابات ويرجع سبب ذلك ان الأرمن فيها كانوا تحت هيمنة احد الفرسان من الصليبين واسمه (جيلف) [٥٣] الذي انفصل عن القوات الصليبية الرئيسة , واستطاع الاستيلاء على قعلة المدينة وحصل على الكثير من الغنائم والمكاسب المادية[٥٤].

كذلك تعرضت هذا المدينة إلى غارات كبيرة من قبل الأمير اوشين الأرمني امير لأمبرون لأنقاذ حاميتة الأرمنية التي كانت تنازع السلاجقة في السيادة على المدينة , فقد أستطاع تانكريد بحنكتة وذكاءة من ظم الأمير الأرمني اوشين مع قواته إلى جانبه وكذلك قوة الأمير جيلف , وامام هذا التحالف قام السلاجقة بالانسحاب من المدينة[٥٥] وتمكن تانكريد من دخولها ورتب امورها بعد ان أقر عليها الأمير

جيلف[٥٦] ، بعد ذلك طلب الأمير الأرمني أوشين من تانكريد وبعد الحاح كبير ان يمضي إلى مدينة المصيصة حيث تلهف جميع سكانها من الأرمن على الخلاص من قبضة السلاجقة الأتراك المسلمين [٥٧] فوصل إلى المصيصة في سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٧م) والتي كانت أنذاك تحت سيطرة سلطة السلاجقة , وعند وصولة إلى المدينة خرج السلاجقة هاربين منها فتسلمها من اهلها الأرمن الذين قدموا له المساعدة الكبيرة [٥٨], وبعد ايام من سيطرة تانكريد على مدينة المصيصة لحق به بلدوين وظهر تنافس شديد بين الطرفين مرة اخرى إلاّ ان تانكريد اغلق ابواب المدينة امام بلدوين الذي يعد الخصم الشديد له وارغمة ان يعسكر خارج المدينة مع قواتة وجرى قتال بين الطرفين لكنة انتهى إلى عقد الصلح[٥٩].

ويبدو ان الاتفاق تم بينهما بعد عدول بلدوين عن تأسيس امارة له في قيليقيه فتلقى توجية من مستشارة بقراط بالتوجة شرقا حيث كان الأرمن يلتمسون مساعدتة[٦٠] فغادر المنطقة وسار متوجها إلى الجيش الصليبي الرئيسي الذي مالبث ان ألتحق بة عند مدينة مرعش* [٦١] .

اما تانكريد فلم يبقى هو الأخر في المصيصة بعد رحيل بلدوين عنها , فقد ترك في المدينة حاميات صليبية وتوجه إلى الجنوب فكان سكان الأرمن يرحبون بة ويقدمون له الهدايا الثمينة تعبيراً عن طاعتهم وولائهم له [٦٢] ، وتوجه بعسكره حتى وصل إلى الأسكندرونة وبسط نفوذة عليها بعد ان اذعنت حاميتها له , وترك فيها قوة صليبية ثم توجة إلى الشام عبر سلسلة جبال الأمانوس وانضم إلى الجيش الصليبي الرئيسي الذي كان يحاصر مدينة انطاكية[٦٣].

ويلاحظ من خلال ما تقدم ان الأمير الصليبي تانكريد الذي احكم سيطرته على قيليقيه كان بحاجة ماسه إلى استكمال مسيره وذلك بالسيطرة على مينائها الحيوي المتمثل بميناء الاسكندرونة الذي توجة ألية بقواتة وبمساعدت القوات الأرمنية التي زوده بها الأمير الأرمني قسطنطين بن روبين , وتمكن من اخضاعة له [٦٤] وهذا ما

سهل للصليبين بالتواصل مع اوربا والحصول على الكثير من الأمدادات العسكرية والمادية التي يحتاجونها[٦٥] .

لذلك نلاحظ بأن توجه كل من الأميرين الصليبين تانكريد وبلدوين الذين كانا يشكلان رأس الرمح الصليبي في الحملة على اقليم قيليقيه طرسوس , أذنه , والمصيصة , اذ كانت المغامرة التي قاما بها في بسط نفوذهما على هذا الاقليم برعاية وتوجيه من الأرمن الذين كانوا يشكلون غالبية سكان تلك المدن , فقد كانوا أدلاء للقوات الصليبية وقدموا لهم المساعدات في المأكل والمشرب وكل مايحتاجونه , وذلك من اجل بسط نفوذهم على مدن قيليقي مثل طرسوس ,أذنه , المصيصة وطرد السلاجقة المسلمين منها الذين كانوا يشكلون في نظر الأرمن الأعداء الحقيقيّن لهم , وقد أدرك الصليبيون من خلال سيطرتهم على تلك المناطق بأنّة لا جدوى من اقامة إمارة صليبية بها , وانما كان هدفهم هو ترك القوات الأرمنية الحليفة لهم بحماية تلك المنطقة لمنع القوات السلجوقية المتفرقة في أنحاء مناطق قيليقية من استخدام هذه المنطقة قاعدة لشن هجماتها على القوات الصليبية أثناء مهاجمتها لمدينة أنطاكية والتي كانت تشكل الهدف الرئيسي للصليبين , ومن المعلوم بأن القوات السلجوقية في هذه المناطق باتت شبه منتهية وبالتالي استقل الأرمن بها .

الإمارات الأرمنية في الجزيرة الفراتية وموقفها من الحروب الصليبية .

إمارة الرها: عندما نجح الصليبيون في اختراق آسيا الصغرى وسقوط مدينة نيقية عاصمة السلاجقة بأيديهم واصلوا تقدمهم تجاه بلاد الشام حتى وصلوا إلى مدينة انطاكية والتي فرضوا عليها الحصار , ويبدو أنَّ بلدوين يروم بتأسيس إمارة صليبية ارمنية ضمن الأراضي التي تسيطر عليها ارمينة في منطقة الجزيرة الفراتية , وقد شجعه على ذلك عدة عوامل منها وفاة زوجته غودفير(Gudwir) والتي افقدتة امله بعد وفاتها من ارث ملكها النورماني [٦٦] فضلا عن ذلك الدعوة التي وجهها له

مستشاره بقراط الأرمني بالذهاب إلى منطقة الفرات لما تمتاز بها تلك المنطقة من ثروات كبيرة وسهولة الاستيلاء عليها بأقل خسائر[٦٧] ؛ وذلك لأنَّ معظم سكانها من الأرمن الذين كانوا على اتم الأستعداد لتسليمها للقوات الصليبية [٦٨] ، كما سانده بذلك بعض الأمراء الأرمن الذين كانوا موالين للصليبين والذين كانت تخضع لهم معظم مناطق الجزيرة الفراتيّة ومنهم كواسيل شقيق مستشارة بقراط الذي كان يبسط نفوذه على مدينة مرعش من جهة الشرق والتي كان أغلب سكانها من الأرمن[٦٩] ، كما كانت له صلة بأمير الرها ثوروس الذي كان يتابع أخبار الصليبين في آسيا الصغرى , والراجح أنَّ بلدوين غادر اقليم قيليقيه بعد ان تلقى هو ومستشاره بقراط دعوة من ثوروس يطلب منهم القدوم إلى الرها[٧٠] ، والتي كان أغلب سكانها من الأرمن والذين رحبوا بالصليبين واعتبروهم المنقذين لهم وهي الفرصة التي انتظروها منذ فترات طويلة من أجل التخلص من السيادة البيزنطينية والسلجوقية [٧١] ، وكان قدوم بلدوين إليهم قد لاقى ترحيباً كبير من قبل سكان الأرمن واعتبروه المحرر لهم[٧٢].

توجه بلدوين بقواته إلى الرها وخلال توجهه انضم اليه اعداد كبيرة من الأرمن كما اتصل بالأمراء والنبلاء الأرمن الذين كانوا موجودين في المدن الواقعة على الطريق المؤدي إلى مدينة عينتاب* وكان من بينهم بقراط صديق بلدوين فاستولى عليها دون قتال[٧٣] ، كما أستولى على بلدة الراوندان* التي كانت تتحكم بالطرق المؤدية إلى انطاكية وسلمها إلى مستشارة بقراط لتولي امرها [٧٤] ، ثم استولى وبمساعدة اهلها الأرمن على مدينة تل باشر* التي تمتاز بموقعها الستراتيجي[٧٥].

غادر بلدوين تل باشر متوجها إلى الرها بقوة عسكرية تقدر بحوالي ثمانين فارسا[٧٦], بينما يذكر متي الرهاوي بأنَّ القوة التي خرجت معه حوالي ستون فارسا[٧٧] وعندما علم بلدوك امير مدينة سميساط* بقدوم بلدوين إلى الرها عن طريق مدينة تل باشر خرج لملاقاته ونصب له كمين عند البيرة* وهي المنطقة التي تقع على احد

الممرات التي تعبر نهر الفرات[٧٨] ، واستطاع بلدوين النجاة من هذا الكمين عن طريق السكان الأرمن الموجودين في المنطقة الذين ارفدوة بكثيرا من المعلوامات التي سهلت له عبور نهر الفرات والوصول إلى الرها في الأول من ربيع الأول سنة (٤٩١هـ/١٠٩٨م)[٧٩] وقد جرى استقبالة بحماس ورحب به سكان الرها واميرها ثوروس[٨٠] .

كان ثوروس الأرمني ليس له اولادٌ ولا بناتٌ وهو كبير في العمر , وهو من اتباع المذهب الأرثوذكسي الأقرب لدولة البيزنطينية الأمر الذي يجعله غير مرغوبٍ فيه من قبل السكان الأرمن الذين يتبعون الكنيسة الأرمنية , وعندما تعرضت امارته للتهديد من قبل امير الموصل كربوغا طلب من بلدوين المساعدة العاجلة [٨١].

ويبدو ان بلدوين لم يلبِ طلب ثوروس إلاّ بتحقيق بعض الشروط التي وضعها والتي تحقق مطالبه , فقد طلب بلدوين من ثوروس ان يتخذه ابنا وريثا له ؛ لأنَّ ثوروس لم ينجب ابناءً , وامام تهديد امير الموصل كربوغا اضطر ثوروس الموافقة على هذا الشروط خشية من اكتساح اراضيه [٨٢] وبهذا اصبح بلدوين ومنذ تنفيذ الشروط الأبن الوحيد والوريث الشرعي لثوروس في حكم الرها [٨٣].

وبما أنَّ أغلب سكان الرها غير راضين على ثوروس ؛ وذلك بسبب اعتناقه المذهب الأرثوذكسي كما ذُكِرَ سابقا واعترافه بالتبعية للإمبراطور البيزنطي وعدم قدرته على حمايتهم وحماية محاصيلهم من اعتداءات السلاجقة الأتراك المسلمين , كما كان قد أنهكهم بالضرائب التي يحصلها منهم ليدفعها للسلاجقة للحد من هجماتهم على الرها[٨٤], وعلى اثر ذلك ظهرت في الرها مؤامرات اودت بحياة ثوروس , وقد وجهت الاتهامات إلى بلدوين الذي كان يعلم مسبقا بنية الثائرين التخلص منه واحلاله محله[٨٥]، وتزوج بلدوين من امرأة ثوروس واصبح حاكما لأمارة الرها , وبهذا تأسست اول إمارة صليبية في الشرق الأسلامي [٨٦].

وبعد استقرار بلدوين في الرها واصبح الوريث الشرعي لحكمها ولما كانت الحامية الصليبية في الرها صغيرة والشعب بكامله من الأرمن تقريبا ولكي يضمن استمرارية حكمه في المنطقة فقد اتخذ بلدوين عدة خطوات لتثبيت اركان امارتة وعدم السماح بحدوث اي اضطرابات فقد عمل على دمج وتقوية الوحدة بين الأرمن والصليبين وتمثل ذلك بزواجه من الأميرة اردا وهي ابنة احد الزعماء الأرمن (٨٧) . أمّا الخطوة الأخرى التي اتبعها بلدوين فقد عمل على توسيع رقعة إمارة الرها على حساب العدو اللدود للأرمن وهم السلاجقة الأتراك , فجهز حملة مشتركة من الأرمن والصليبين وتوجه إلى مدينة سميساط لكي يحد من نفوذ اميرها بلدوك الداشمندي* وهو احد امراء السلاجقة الأتراك المسلمين الذين كانو يشكلون خطرا على الرها (٨٨) ، فقد ضاعف بلدوك الجزية عليهم وفرض الظرائب على حقولهم وارهقهم بالخدمات , واخذ يحتجز اولادهم كرهائن حتى يضمن انجاز هذه المهام (٨٩) ، وقد طلب سكان الأرمن من بلدوين تخليصهم من استبداد وجبروت بلدوك وفك اسر ابناءهم , ولكي يضمن ولاء الأرمن ومحبتهم له فقد قرر بلدوين مهاجمة سميساط وانضم اليه الأمير الأرمني قسطنطين احد اتباع ثوروس وسكان الرها من الأرمن والذين يجدون ببقاء بلدوك خطرا على مستقبلهم (٩٠) فضلا عن ذلك فقد كانت سميساط تشكل موقع متوسط بين الإمارات الأرمنية فبقاءها يشكل خطرا على مستقبل هذه الإمارات وخاصة أنّ معظم سكانها من الآرمن الموالين لبلدوين الذي نال شهرة كبيرة بين سكان تلك المدن (٩١) ، وقد استمرت هذه الحملة التي اشترك فيها جيش من الأرمن إلى جانت الصليبين ست ايام (١٦ ربيع الأول ٤٩١هـ) إلاّ انها باءت بالفشل ولم تحرز اي تقدم وفاجأ السلاجقةُ الأتراك المسلمين عسكرهم وقتلوا منهم اعدادا كبيرة , مما اضطر بلدوين وجيشة إلى الانسحاب عائدا إلى الرها (٩٢) ، بعد ان ترك قوة عسكرية في منطقة سان جون القريبة من سميساط والتي حددت من هجمات السلاجقة الأتراك على الرها(٩٣).

وامام هذه الهجمات المتكررة وجد الأمير السلجوقي بلدوك امير سميساط ان لا طاقة له بحرب مع الجيش الصليبي والأرمني , ونتجية لعدم اهتمام سلاجقة فارس والشام بالأمر وكثرة الخلافات بينهم فقد سلم سميساط إلى بلدوين مقابل مبلغ من المال يقدر بحوالي عشرة الاف دينار ذهب(٩٤) .

ان وجود مثل هؤلاء الحكام المفرطين والبائعين كل شي مقابل المال يفسر لنا مدى ضعف حكام الإمارات الاسلامية ولم يكونوا على قدر الأزمة التي عصفت بالأمة الاسلامية وهذا واضح من خلال الأجتياح الصلبيبي الأرمني للبلاد الاسلامية وسقوط الإمارات الواحدة تلو الاخرى .

ومن الخطوات الاخرى التي اتبعها بلدوين لكسب الأرمن إلى جانبه هو تحرير الأسرى الأرمن من السجون السلجوقية التركية وخاصة في سميساط واعادتهم إلى عوائلهم الأرمنية دون مقابل وهذا ما اكسبة مودة الشعب الأرمني وتعاطف الناس معه(٩٥) ، لدرجة ان وليم الصوري يذكر أن الأرمن تولدت لديهم النصيحة من اجل استمرار وسيادة بلدوين واصبحو يعتبرونة بمثابة الوالد الأمين على ابناءهم (٩٦) ومما رسخ من ثقة الشعب الأرمني بالأمير الصليبي بلدوين بشكل اكبر انه انكر تبعيته للإمبراطور البيزنطي وهذا ما ارضى الشعب الأرمني حيث أنَّ الأرمن المتعصبين لمذهبهم كانوا يحتقنون بشدة على المذهب الأرثوذكسي , والجدير بذكر أنَّ المذهب الأقرب إلى الكنيسة الغربية منه إلى الارثوذكسي ولكنه ليس متطابقا معها وسمح بلدوين بالحرية العقائدية في إمارة الرها ولم يضغط مطلقا على الأرمن لتقليد المذهب الكاثوليكي الغربي وهذا مالاقى قبولا ورضا عاما عند الشعب الأرمني (٩٧) .

إمارة ملطيه*: وفي سنة (٤٩٣هـ/١١٠٠م) تعرضت إمارة ملطية الأرمنية لتهديد من قبل كمشتكين غازي الداشمندي من اجل فتحها اذ كان غالبية سكانها من الأرمن فأستنجد حاكمها الأرمني جبريل*بالقائد الصليبي بوهيمند (٩٨) ، الذي ما لبث أن لبى طلبا لنجدته واعداً اياه بتسليمه المدينة لأنّه كان يدرك أهمية الأرمن والدور الذي

يمكن ان يقوموا بة في القضايا المتعلقة بتاريخ المنطقة وخاصة فيما يتعلق بالأزمة التي عصفت بة امام الأمبراطورية البيزنطينية , لذلك وجد نفسة امام خيار الدفاع عنهم والحرص على حمايتهم انطلاقا من المعتقد السائد من وجهة نظرهم بأن النورمان والأرمن تجمعهم مصلحة مشتركة وهي العداء للأمبراطورية البيزنطينية والمسلمين[٩٩] فقد اظهر بوهيمند اهتمامه بالأرمن فأقام علاقات صداقة مع الأساقفة الأرمن وهم سيبريان اسقف انطاكيه وجيريجوري اسقف مرعش ,

والذي اراد بوهيمند من خلالها التأثير على امير ملطيه بتسليم المدينة في حالة طرد الداشمند منها [١٠٠] .

توجهه بوهيمند إلى ملطيه وهو يقود القوات الصليبية والأرمنية وكان برفقتة الأمير الصليبي ريتشار وهو ابن عمه واسقفا انطاكيه ومرعش الأرمنيان[١٠١] فتقدمت قواتهم بأتجاة ملطية وكان يعتقدون أن قواتهم قادرة على القضاء على قوات الداشمندي الا انهم فوجئوا بكمائن نصبها لهم الداشمندي أدت إلى ايقاع خسائر كبيرة بهم من خلال معركة طاحنه دارت بين الطرفين , فوقع على اثرها بوهيمند الصليبي وابن عمة ريتشارد في الأسر وقتل الأسقفيان الأرمنيان وذلك في (٨شوال ٤٩٣هـ /١٥ آب ١١٠٠م)[١٠٢] ، اما القوات التي نجت من المعركة فقد استطاعت الوصول إلى الرها[١٠٣] .

وبمساعدة الأمير الأرمني كوغ فاسيل تم تحرير بوهيمند الصليبي من الأسر بعد دفع فدية مالية كبيرة للداشمندي ونزل ضيفا على فاسيل الأمير الأرمني الذي استقبلة استقبالا حسناً واغدق علية الهدايا الثمينة , وباحتفال كبير اصبح بوهيمند الأبن المتبنى لكوغ فاسيل وبعد فترة عاد بوهيمند إلى انطاكية, وكذلك اطلق سراح ريتشارد ابن اخت بوهيمند من قبل الداشمند مراعاة للأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين[١٠٤] .

واصل الأمير السلجوقي كمشتكين الداشمندي ضغوطاتة على ملطية حتى وصل إلى أبوابها من اجل فرض سيطرتة عليها إلاّ انه فوجئ بحشد كبير من القوات الأرمنية والصليبية بقيادة الأمير الصلبيبي بلدوين متوجها من الرها وانطاكية قاصدا ملطية وامام هذه الحشود الكبيرة رأى الداشمندي ضرورة الانسحاب وعدم الاصطدام بقوات بلدوين الذي خشي هو ايضا من الوقوع في الكمائن ؛ فعاد إلى ملطية [١٠٥] واستقبله أميرها جبرائيل استقبالا كبيرا وتقديرا لما قدمه بلدوين بأعتبارة المنقذ له وللشعب الأرمني الذي تعرض إلى مخاطر جسيمة فقد تنازل عن ملطية واصبحت تحت سيادة بلدوين[١٠٦] الذي قفل عائدا بقواته إلى الرها بعد ان ترك قوة عسكرية في ملطية تقدر بحوالي خمسين فارسا للدفاع عنها[١٠٧] وبظم ملطية توسعت حدود امارة الرها الصليبية إلى اقصى الشمال من بلاد الشام الشماليه حيث حدود ارمينة [١٠٨] .

أما الأمارة الأرمنية الاخرى التي اقيمت في منطقة الجزيرة الفراتية فهي امارة رعبان* وكيسوم التي اسسها الأمير الأرمني كواسيل أو اواسيل اللص والتي تمتد حدودها من مدينة مرعش إلى نهر الفرات [١٠٩]. لم تشر المصادر الأولية على أن الأمارة الأرمنية رعبان وكيسوم كانت خاضعة إلى امارة الرها الصليبية الا رواية واحدة تشير إلى ان كيسوم والرعبان تابعة إلى الرها دون تحديد تاريخ تبعيتها [١١٠] أن الأمير الأرمني كواسيل (كوغ باسيل) كما يسمى لدى البعض قد فرض هيمنتة على هذا الأمارة واتسع نفوذة وازدات قوتة لدرجة اقلقت الصليبين انفسهم فكان يشكل خطرا على سكان المنطقة[١١١] ، مما دفعهم إلى الاستنجاد ببلدوين الصليبي الذي ارسل قوة عسكرية قوية تقدر بحوالي خميسن فارسا مع عدد كبير من سكان المنطقة بقيادة اخية الدوق جودفري الذي استطاع من اخضاع كواسيل لأمرته [١١٢] واخذت معظم مناطق رعبان وكيسوم تخضع بتبعيتها إلى امارة الرها الصليبية , وان انتقال سكانها الأرمن إلى اراضي الرها واستنجادهم بلدوق جودفري (Godfrey) يعني انهم فضلوا الحكم

الصليبي على حكم اميرهم كواسيل وبالقضاء على وجودة اصبحت مناطق تلك الأمارة خاضعة لسيادة الرها تلقائيا في سنة (٤٩١هـ/١٠٩٨م)[١١٣] .

أمارة سروج* والبيرة* : وهي من الأمارات الأرمنية الأخرى التي اقيمت في الجزيرة الفراتية , فقد استطاع الأمير الصليبي بلدوين من خلال توسيع أمارة الرها ان يستولي على سروج [١١٤] وعلى الكثير من المواقع والمدن في شمال الجزيرة الفراتية , فأمتدت رقعة امارتة فوق مساحة واسعة من الأرض تقع شرق وغرب نهر الفرات فكانت سروج تابعة إلى سقمان بن ارتق وكان ينوب عنه فيها ابن اخية بلك بن بهرام بن ارتق [١١٥] فقد كان اميرها بلك يشكل خطرا على الرها من خلال غاراتة المتواصل عليها ممادفع بسكان الرها الأرمن ان يستنجدو ببلدوين للسيطرة عليها [١١٦] ومما شجعة على بالاستيلاء على سروج هو المعاملة السيئة من قبل اميرها بلك للسكان ومصادرتة لأموالهم مما خلق في انفسهم عدم الرضا عنه [١١٧] ونتيجة للضغط الشديد من قبل الصليبين والأرمن على سروج فقد ادرك بلك خطورة الموقف مما دفعة إلى التفاوض لتسليم المدينة إلى بلدوين وفق شروط يتفق عليها بينهم [١١٨] ولهذا استطاع بلدوين ان يتخلص من خطر سروج المحدق بهم وذلك بضمها إلى الأمارات الصليبية الأخرى فضلاً عن ذلك فقد كسب ود الأمير بلك بن بهرام إلى جانبه والاستفادة من مهاراته وطاقاته العكسرية .

تسلم بلدوين المدينة في سنة (٤٩١هـ/١٠٩٨م) وترك فيها قوة عسكرية تقدر بحوالي ثلاثمائة فارس بقيادة احد فرسانة الذي كان له دور كبير في المفاوضات مع اهل سروج وهو الأمير فوشية الشارتري بعد ان فرض على سكانها الجزية[١١٩] وبعد ان تسليم فوشية الشارتري سروج فرض على سكانها العرب اجراءات انتقامية منها مصادرة اموالهم وفرض الضرائب فجمع الكثير من الأموال التي استطاع من خلالها تقوية مركزة في المدينة [١٢٠] .

ومهما يكن من أمر فأن احتلال سروج من قبل القوات الصليبية والأرمنية كان له اهمية كبيرة بالنسبة لهم ؛ لأنها تحتل موقعا متوسطا على الطريق الموصل بين الرها الصليبية ونهر الفرات وهذا ما يمنحهم ممرا حرا بين انطاكية والرها [١٢١] .

امّا البيرة , فقد كانت الهدف الثاني للأمير الصليبي بلدوين بعد سيطرتة على سروج لما تتمتع به من موقع ستراتيجي متميز فهي تشكل نقطة عبور نهر الفرات من الرها إلى مدينة عينتاب , وبعد المفاوضات مع اميرها الأرمني أبو الغريب تم الاستيلاء علها في عام (٤٩١هـ/١٠٩٨م) واقره حاكما عليها وبهذا اصبحت البيرة تابعة لأمارة الرها الصليبية وبتبعية البيرة وسروج التي هي امارة ارمنية إلى بلدوين استطاع ان يفرض سيطرتة على الممرات المهمة المؤدية إلى غرب الفرات وبهذا وطد الأمن والاستقرار في تلك المنطقة [١٢٢] .

إمارة مرعش: وهي الإمارة الأرمنية الاخرى التي أسسها الأمير الأرمني ثاتول والذي كان موظفا لدى الدولة البيزنطينية وعندما سيطر الصليبيون على مرعش اقر حاكما عليها من قبل الدولة البيزنطينية وذلك تقديرا لما قدمه من خدمات جليلة واستقبال حسن اذ مدَّ يد العون والمساعدة للصليبين هو والسكان الأرمن الموجودين في مرعش[١٢٣] ، واستطاع ان يضم إلى إمارته العديد من القرى والمدن والحصون والقلاع التي تقع في الجبل الأسود , وضل حاكما على هذه الإمارة إلى ان ضمها الصليبيون لهم سنة (٤٩٧هـ/١١٠٤م) [١٢٤] .

ونتجية للمكانة الكبيرة التي يتمتع بها أمير مرعش بين الأرمن ولكونة احد زعمائهم الأغنياء اذ يمتلك قوات عسكرية كبيرة فضلا عن املاك واسعة تقع بالقرب من جبل طوروس [١٢٥] فقد قرر بلدوين الزواج من أردا (Arda) بنت الأمير ثاتول الأرمني صاحب مرعش [١٢٦] وكان بلدوين يهدف من وراء هذا الزواج هو اقامة الصليبيون في امارتة ودمجهم مع العنصر الأرمني , لذلك جعل نفسة انموذجاً للأخرين كذلك كان يهدف إلى توطيد علاقته مع سكان الأرمن وتعزيز مكانته بهم

للوقوف إلى جانبه في الحملات التي يواجهها في المناطق المجاورة لتوسيع حدود امارته [١٢٧] ويعد زواج بلدوين الصليبي من اردا بنت الأمير الأرمني هو توسيع املاكة والحصول على الأموال الكبيرة للأستفادة منها في تمويل قوته العسكرية سيما وان الأمير الصليبي ثاتول كان من اكبر الأغنياء الأرمن [١٢٨] كذلك كان بلدوين قد حصل على وعد من ثاتول الأرمني بأن ترث ابنته املاكه بعد وفاته [١٢٩] .

وعلى الرغم من ان مرعش لم تكن تابعة إلى أمارة الرها الصليبية لكن السياسية التي انتهجها بلدوين بتوطيد علاقته بالأمراء الأرمن من خلال زواجه من ابنة ثاتول أمير مرعش وحصوله على ارث العرش الأرمني بعد وفاة والدها فإنّها تدين بسيادتها إلى بلدوين الصليبي ويذكر مونروند (أنَّ بلدوين استطاع بهذا الزواج توسيع حدود امارته حتى وصل إلى جبال طوروس) [١٣٠] .

اما موقف المسلمين الموجودين في مرعش فقد هاجر اعداد كبيرة منهم ديارهم نتيجة الظلم والمعاملة السيئة التي لحقت بيهم من جراء سياسة بلدوين وبطش الصليبين والأرمن فضلا عن الضرائب التي تفرض عليهم واخذ محاصيلهم ومصادرة اموالهم [١٣١] ولم تنجوا الطوائف الاخر التي هي اقل عددا مثل اليهود من هيمنية الأرمن والصليبين ونهب اموالهم واملاكهم [١٣٢] .

ويبدو مما تقدم عن موقف الأمارات الأرمنية من الحروب الصليبية بأن الأرمن وجدوا في الصليبين قوة جديدة مختلفة عن كل من البيزنطيين والسلاجقة الأتراك المسلمين كقوة قد تحقق لهم ما لم يستطيعوا هم تحقيقة , وخاصة في ظل تشتتهم السياسي , فوجدو في الصليبين من سيقدم لهم العون والمساعدة , لذلك عملوا على استرضاء الصليبين والتعاون معهم لتحقيق طموحاتهم بأقامة دولة أرمنية .

موقف الأرمن في أنطاكيه من الحروب الصليبية.

تعد أنطاكيه من اهم المدن في منطقة بلاد الشام وآسيا الصغرى فهي المدينة التي سقطت بيد الدولة البيزنطينية سنة (٢٥٨هـ/٩٦٩م) في عهد الامبراطور البيزنطي نقفور قوقاس [١٣٣] ، وكان لسقوطها أثار كبيرة في العالم الاسلامي أذ قتل اعداد هائلة من سكانها وشرد الباقون خارج المدينة , وبعد موقعة ملاذ كرد سنة (٤٦٣هـ/١٠٧١م) شهدت انطاكيه هجرة اعداد كبيرة من السلاجقة والأرمن إليها وان العنصر الأرمني كان هو الغالب على السكان وهذا ماغير التركيبة السكانية للمدينة , وكان للانهيار البيزنطي امام السلاجقة دافعا كبيرا دفع البيزنطيين إلى التعاون مع الأرمن على الرغم من كراهيتها لهم لمقاومة السلاجقة [١٣٤] ، وهذا اعطى دافعا قويا للأرمن مما ساعدهم بالخروج عن تبعية الدولة البيزنطينية فقد استطاع الأمير الأرمني فيلاريتوس* ان يستولي على انطاكيه بعد مقتل اخر حاكم بيزنطي[١٣٥] .

خضعت انطاكيه لحكم الأرمن لمدة سبعة سنوات بعد ان أسقطها سليمان بن قتلمش مؤسس دولة سلاجقة الروم سنة (٤٧٧هـ/١٠٨٥م)[١٣٦] ، وظلت انطاكية ذات تركيبة سكانية مختلفة تضم المسلمين والبيزنطينين الأرثوذكس والأرمن الذين ازداد عددهم في السنوات الأخيرة , فأصبحت بمرور الزمن من المناطق المتنازع عليها من قبل السلاجقة والبيزنطينين والأرمن فضلا عن القوى الصليبية بقيادة بوهيمند الصليبي[١٣٧] بعد ان انتصر الصليبيون على السلاجقة في آسيا الصغرى واستولوا على عاصمتهم نيقية , واصلوا تقدمهم ونجحوا في تأسيس اول امارة صليبية لهم في المشرق وهي الرها ثم واصلوا تقدمهم بعد ذلك إلى مدينة انطاكية [١٣٨] ، وكانت انطاكية من اقوى المدن تحصينا فهي محاطة بأسوار عالية من كل جانب وعلى هذه الأسوار ثلاثمائة وستون برجا للمراقبة فضلا عن قلعتها الحصينة وكانت لها أهمية كبيرة لدى الصليبين الذين وصلوا اليها في شهر ذي القعدة سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٧م) وفرضوا عليها الحصار وعندما علم صاحبها ياغي سيان بذلك اخرج النصارى الأرمن

من المدينة خوفا منهم مما دفعهم بالانضمام إلى القوات الصليبية المرابطة على اسوار انطاكيه ولمدة تسعة اشهر [١٣٩] ، واعتبروا عمل ياغي سيان هذا اساءة لهم ومصادرة حقهم في المدينة [١٤٠] فكان هذا عاملا مساعدا للقوات الصليبية من اجل التعاون مع القوات الأرمنية للسيطرة على المدينة فضلا عن ذلك فقد لعبت الخلافات والأطماع الشخصية بين الأمراء السلاجقة وعدم توحيد جهودهم ضد الخطر البيزنطي دورا بارزا في اضعاف الجبهة الاسلامية , فلما طال حصار الصليبين على انطاكية لعبت الخيانة دورها الكبير, فقد ظهر فيها رجل ارمني الأصل كان يتظاهر بالإسلام وكان هذا الرجل مقربا من ياغي سيان حاكم المدينة اذ كان يوليه بعض الأبراج المهمة في انطاكيه واسمه نيروز او فيروز [١٤١] ، فقد تبادل الرسائل السرية مع الأرمن الموجودين مع الجيش الصليبي الذين اخرجهم ياغي سيان , وعندما وصلت المعلومات إلى القائد الصليبي بوهيمند تكتم عليها كثيرا وتراسل مع هذا الأرمني سرا إذ طلب منه مالاً واقطاعا بعد الاستيلاء على المدينة فوافق بوهيمند على ذلك[١٤٢] وفي صباح يوم ٣ يونيو سنة (٤٩١هـ/١٠٩٨م) فتح فيروز الأرمني الأبواب في البرج الذي كان يشرف عليه و بعض الأبراج الأخرى فدخلت اعداد هائلة من الجيش الصليبي إلى داخل المدينة في الساعات المبكرة من الصباح وكان باستقبالهم السكان الأرمن الموجودين داخل المدينة وانضموا أليهم ومدوا لهم يد العون والمساعدة وزودوهم بكل ما يحتاجونة من المعلوات عن تواجد الأمير السلجوقي ياغي سيان [١٤٣] الذي ادرك المؤامرة بعد فوات الأوان واستطاع الهروب مع حمايته الاَّ أن بعض سكان الأرمن من اهل انطاكية استطاعو ان يلقوا القبض عليه ويقتلوه [١٤٤].

بعد ان احتل الصليبيون انطاكية وهزموا المسلمين وجدوا انفسهم امام مشاكل كثيرة كان من أبرزها من الذي يسيطر على المدينة فكان هناك تنافس كبير بين الأمراء الصليبين بوهيمند وريموند حول من الذي يحكم المدينة , فعندما نجح بوهيمند من اختراق اسوار انطاكية واحتلالها من خلال خيانة الأمير الأرمني فيروز فقد طلب

من الأمراء الصليبين ان يسلموه ما بأيديهم من ابواب المدينة وابراجها فاستجابوا إلى طلبة باستثناء ريموند الذي كان المنازع له على حكم انطاكية , وبعد خلافات كبيرة واشتداد النزاع بينهم اتفقوا على تقسيم المدينة بينهم فكانت الأجزاء الشمالية والشرقية والوسطى بما فيها القلعة من حصة بوهيمند بينما كان الجزء الجنوبي الغربي منها من حصة ريموند [١٤٥] وعلى الرغم من الخلافات التي قامت بين الأمراء الصليبين حول حكم المدينة فقد اتفقوا على تجميدها لكي يوحدوا جهودهم في المسير إلى بيت المقدس وهذا ما سهل لبوهيمند ان يقوي ويثبت مركزه فيحكم أمارة انطاكية لوحده [١٤٦] .

واصل بوهيمند سياسته التوسعيه بعد احتلالة انطاكيه فخرج سنة (٤٩٣هـ/١١٠٠م) على رأس قوة عسكرية قليلة متوجه إلى مدينة ملطيه ملبين نداء حاكمها الأرمني جبريل الذي تعرض من قبل كمشتكين بن غازي الداشمندي [١٤٧] وقد وقع بوهيمند في مصيدة احدى الكمائن التي نصبت له التي انتشرت في ارض مدينة مرعش بتوجية من كمشتكين بن غازي ونقل إلى قلعة نكسار التي تقع في الشمال الشرقي لآسيا الصغرى [١٤٨] وبعد بضعة شهور من استيلاء الداشمندي على ملطيه تم تسليم بوهيمند للصليبين سنة (٤٩٦هـ/١١٠٣م) مقابل فدية مالية كبيرة كان للأمير الأرمني كواسيل النصيب الأكبر في دفعها فقد قدم منحة قدرها عشرة الأف قطعة ذهبية وكان كواسيل الأرمني هو الذي تزعم المفاوضات مع الداشمند وساهم باطلاق سراحة , واستضافه عدة ايام [١٤٩] ، وخلال مده الأسر كان ابن اختة تانكريد هو الذي يحكم مدينة انطاكيه وقد بذل له الأمير بوهيمند اقطاعا فيها اكراما له وحفظا لمكانته بعد ان فقد اقطاعه [١٥٠] وقد تركه كحاكم لأمارة انطاكيه واتجه بوهيمند إلى الغرب طالبا المزيد من الدعم عندما شعر بأن انطاكية الصليبية مهددة بالأنهيار والسقوط وتحدق بها الأخطار الداخلية والخارجية [١٥١].

استقل تانكريد في شمال بلاد الشام والجزيرة الفراتية ولم يكن له منافسا من الأمراء الصليبين , وعندما وجد تانكريد انطاكية والرها تمران بظروف صعبة وكان عليه ان يدافع عنهما امام هجمات البيزنطيين والسلاجقة , وبما ان بوهيمند ترك خزانة انطاكية خاوية فقد ساهم كبار الأثرياء في انطاكية من الأمراء الأرمن والسريان في دفع اموال طائلة إلى تانكريد وذلك ليمكنه من تجنيد الفرسان للدفاع عنها امام الأعداء(١٥٢) .

ونتيجة للتدابير التي اتخذها تانكريد لم يأتي ربيع عام (٤٩٨هـ/١١٠٥م) حتى كان قد اتخذ موقف الهجوم امام البيزنطينين والسلاجقة والعمل على اعادة مافقدة الصليبيون من اراضيهم (١٥٣) .

ويبدو لنا من خلال ذلك ان السكان الأرمن كانوا يسعون دائما باالتعاون مع الصليبين سواء كان من خلال تزويدهم بالمعلومات او تقديم الأموال الطائلة التي كان الصليبيون يحتاجونها في حملاتهم العسكرية خاصة ان معظم الأغنياء هم من الأمراء الأرمن والهدف من ذلك التعاون هو الخروج من الاضطهاد البيزنطي والسلجوقي والحصول على الأستقلال بما تحت ايديهم من مدن فكانوا ينظرون إلى الوجود الصليبي في بلادهم الفرصة الثمينة طالما سعوا لها , فقد رحبوا ببلدوين وبوهيمند وتانكريد الأمراء الصليبين الأبرز في هذه الحملات الصليبية التي اجتاحت بلاد ارمينية وآسيا الصغرى وشمال بلاد الشام والجزيرة الفراتية وهم يهدفون من وراء ذلك إلى تحقيق امنياتهم وغاياتهم التي كانو ينشدونها وهي اقامة دولة ارمينية مستقلة .

ومما تقدم تبين ان الغالبية العظمى من الأرمن كانت متعاطفة ومناصره للقوات الصليبية الوافدة , على امل الوصول الى حلمهم المنشود في اقامة دولة قومية لهم في الاماكن التي امنوها لسلطانهم كما نوهنا لذلك سلفا في بحثنا هذا ، بعيدا عن تنافس البيزنطيين والسلاجقة في المنطقة ، وكان لجهودهم هذه اكبر الأثر في تسهيل وصول القوات الصليبية الى اغلب مدن آسيا الصغرى والشام: أذ ماعرفنا ان الأرمن عملوا

كمقاتلين بمعية الجيش الصليبي فضلا عن كونهم كانو أدلاء للقوات الغازية ، علما انهم ومنذ القرن الاول للهجرة كانوا يشكلون فرقا عسكرية تأتمر بأمرة الامبراطور البيزنطي يحركها حيثما اراد ، سعيا وراء الاستقرار وطلبا للأمان ، لكن الوقت كان مؤاتيا لهم في تحقيق ما كان يصبون لهم في مدة البحث الذي نحن بصدده ، فوجدوا من الصليبيين اداة يمكن الانتفاع منها للوصول الى المبتغى .

الهوامش.

١- المدور,مروان, الأرمن عبر التاريخ,دار مكتبة الحياة , بيروت , ١٩٨٢, ص٩٨- ص١١٢

٢- الحميري, أبو عبد الله محمد بن عبدالمنعم (ت٩٠٠هـ) , الروض المعطار في خبر الأقطار, ط٢ ,تحقيق , احسان عباس , مؤسسة ناصر للثقافة , بيروت , ١٩٨٠,ج١ , ص٢٥.

٣- سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت ٨٥٢هـ), عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وخريدة الغرائب , تحقيق, انور محمود زناتي , جامعة عين شمس , القاهرة ,ج١ ,ص٧٦.

٤- الغزي , كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البابلي الحلبي (ت١٣٥١هـ) , نهر الذهب في تاريخ حلب , ط٢ , دار القلم , حلب , ١٤١٩هـ, ج١ , ص١٣١.

٥- تأريخ الأمة الأرمنية , مطبعة الأتحاد الجديدة , الموصل , ١٩٥١, ص٢٠٣. المدور , مروان , الأرمن عبر التاريخ , ص٢٢٣.

*- وتلفظ كذلك كيليكة , قاليقلا , ينظر : ابن الفقيه , أبو بكر محمد بن محمد , مختصر كتاب البلدان , د.ط , دار احياء التراث , بيروت , ١٩٨٨, ص٢٦٣.

وتعرف ايضا بأسم ارمينة الصغرى , عثمان , فتحي , الحدود الاسلامية البيزنطينية بين الأحتكاك الحربي والأتصال الحظاري , ط١ , الدار الفراتية للطباعة والنشر , مدريد , ١٩٦٦, ص٢٢٦.

٦- ابن خلدون , عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) , العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) ط٣ , دار الكتاب البناني , بيروت , ١٩٥٨م , ج٥ , ص٤٨١.

٧ – رنسيمان , ستيفن , تاريخ الحروب الصليبية ط١, ترجمة السيد الباز العريني , دار الثقافة , بيروت , ١٩٦٧,ج١ , ص٥٧.

٨ – رنسيمان , تأريخ الحروب الصليبية ,ج١ , ص٥٧–ص٩٥

*- أني : وهي قلعة حصينة ومدينة بأرض ارمينية بين اخلاط وكنجة , ينظر : الحمويّ , ياقوت بن عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ) معجم البلدان , دار صادر , بيروت , ١٩٩٥.

*- قابس : وهي مدينة جليلة مسورة بالصغر الجليل من بنيان الأول ذات حصن حصين وأرباض واسواق وفنادق وجامع سري وحمامات كثيرة ويحاط بها خندق كبير , البكري , أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد الأندلسي (ت٤٨٧هـ) المسالك والممالك , دار الغرب الاسلامي , ١٩٩٢, ص ٦٥٦.

*- ملطية : وهي من بناء الأسكندر وجامعها من بناء الصحابة , بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام وهي للمسلمين , الحموي , معجم البلدان , ج٥ ,ص١٩٢.

٩- ابن الأثير , علي بن محمد بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ , دار صادر , بيروت , ١٩٧٩, ج١٠ , ص٤٩.

*- كبدوكيا : وتلفظ ايظا قبدوقيا , وهي إلى الشمال من قيليقية , ويسميها المؤرخ المجهول كبدوشيا , ينظر : المؤرخ المجهول , اعمال الفرنجة وحجاج بيت

المقدس , ترجمة , حسن حبشي , دار الفكر العربي , القاهرة , ١٩٨٥, ص٤٦.

١٠- الجنزوري , علية عبدالسميع , امارة الرها الصليبية , ص٣٦.

١١- عاشور , د. سعيد عبد الفتاح , الحركة الصليبية , القاهرة , ١٩٦٢ , ج١ ,ص١٠٠.

*- أذنة : بلد من الثغور قرب المصيصة مشهور , الحموي , معجم البلدان ,ج١ ,ص١٣٣.

*- طرسوس : مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم , الحموي , معجم البلدان ,ج٤,ص٢٨, ويصفها الصوري بقولة (ان مؤسس طرسوس كان يعدعا طايس وهو ثاني اولاد ((حاقام)) ابن يافث الذي تذهب الرويات القديمة إلى أنه الأبن الثالث لنوح ويدللون على صحة هذا القول بأن المدينة تحمل اسم مؤسسها) وليم , الصوري (ت٥٨١هـ) تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة في ما وراء البحار) ص١, ترجمة , سهيل زكار , دار الفكر , دمشق , ١٩٩٠, ج١ , ص٢٣٥ .

*- المصيصة : وهي المدينة على نهر جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس , الحموي , معجم البلدان ,ج٥ ,ص١٤٥.

*- عين زربة : بلد بالثغور من نواحي المصيصة , الحموي , معجم البلدان , ج٤ ,ص١٧٧.

*- معركة ملاذ كرد : وهي المعركة التي حصلت بين السلاجقة والبيزنطينين سنة (٤٦٣هـ /١٠٧١م) وكان سقوط أني عاصمة ارمينية ثم سيطر السلاجقة عليها مقدمة المعركة بين السلاجقة والبيزنطينين وكان رد فعل الدولة البيزنطينية بأن دفعت بكل قواتها العسكرية نحو ارمينية الكبرى بقيادة الأمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينتس (٤٦٠-٤٦٤هـ/١٠٦٠-١٠٧٢م) إلاّ أنَّ هذا التحرك باء

بالفشل فقد انتصر السلاجقة واسر رومانوس وكانت هذه المعركة في عهد ألب أرسلان السلجوقي , ينظر : ابن القلانسيّ, أبو يعلى , حمزة (ت٥٥٥هـ) ,تاريخ دمشق , تحقيق , سهيل زكار , دار حسان , دمشق , ١٩٨٣, ص١٦٧. الفارقي , احمد بن يوسف تاريخ الفارقي , تحقيق , بدوي عبد اللطيف , وزارة الثقافة والأرشاد القومي , القاهرة , ١٩٥٩ ,ص١٨٩.

١٢- ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج ١٠ , ص٥٦-ص٦٧. حبشي , حسن , الحروب الصليبية , القاهرة ,١٩٥٨, ص٣٢,ص٣٣.

١٣- الصوري , وليم ,تاريخ الحروب الصليبية , تحقيق , حسن حبشي , ج١ , ص٢٣٦.

14- Roberts lop2, Byzntiun the world Aroundit :Ecomie and institutiona Relation, London , 1979.p.342.

*- روبين : وهو الشخص الذي يحيط بأصله الغموض وكل ماورد عنة انه من سلالة آخر الملوك البقراطيين وهو الملك جاجيك الثاني الذي وضع اسس لدولة ارمينية التي استمرت نحو ثلاثة قرون , ينظر: عاشور , د.سعيد عبد الفتاح , بحوث في تاريخ العصور الوسطى , ص٢٣٤,ص٢٣٥. علي , عبد الحفيظ ,المسلمون والبيزنطينيون , ج٢ , ص١٧٣.

*- اوشين : وهو احد النبلاء الذين هاجروا من ارمينية إلى قيليقية بعد معركة ملاذ كرد سنة (٤٦٣هـ/١٠٧١م) وأتخذ له امارة في الجانب الغربي وكانت مدينة طرسوس من اهم مدنها , ينظر : رنسيمان , تاريخ الحروب الصليبية , ج١ , ص١١٣ . عاشور , د. سعيد عبد الفتاح , بحوث ودراسات , ص٢٣٤.

١٥- استارجيان , تاريخ الأمة الأرمنية , ص٢٠٥.

*- كوغ باسيل أو باسيل اللص , اطلق عليه هذا اللقب بسبب وقوعة مرارا بأيدي الأعداء وكان مقر اقامته في مدينة كيسون إلى الشمال الشرقي من مرعش ,

ويذكر اسمة عند ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج١٠ ,ص٤٦١ , بأسم كواسيل صاحب رعبان ويتفق ابن خلدون مع ابن الأثير حول اسم كواسيل , مج ٥ ,ص٢٢٤.

*- سيس : وهي مدينة بالثغور الشامية بين انطاكية وطرسوس , الحموي , معجم البلدان , ج٣,ص٢٩٧. البغدادي , عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ) مراصد الأطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع , ط١ , تحقيق , محمد علي البجاري , دار الجيل , بيروت , ١٩٩٢, ج٣ ,ص٧٦٦.

١٦- استارجيان , تاريخ الأمة الاسلامية , ص٢٠٥, ص٢٠٧

١٧- عاشور , د. سعيد عبد الفتاح , بحوث ودراسات , ص٢٨٨. رنسميان , تاريخ الحروب الصليبية , ج١ , ص٢٧٩ .

18- vasili:History of رنسيمان, تاريخ الحروب الصليبية ,ج١, ص٢٧٩ the Byzantine vol .2.p.415.

١٩- ابن الأثير, الكامل في التاريخ ,ج٩ ,ص١٤. رنسيمان , الحروب الصليبية ,ج١,ص٢٣٣

٢٠- طقوش ,د.محمد سهير , تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام , ط٢ ,دار النفائس للطباعة والنشر,بيروت ,٢٠١٠, ص١٣٩.

*- بوهيمند النورماني : هو ابن روبرت جويسكارد , وكان بوهيمند اكثر اقترابا من الأمبراطور البيزنطي وكان يهدف من وراء حملتة هذه تحقيق طوحاتة في تأسيس امارة خاصة به وهذا ماتحقق له, فقد اصبح هو القائد الأعلى للحملة الصليبية الأولى واستطاع من ان يؤسس امارة انطاكية سنة (٤٩١هـ/١٠٩٨م), الصوري , وليم , الحروب الصليبية , تحقيق , حسن حبشي , ج١ ,ص١٦٩- ص١٧١. حبشي , حسن , الحروب الصليبية , ص٧٤.

٢١-المؤرخ المجهول , اعمال الفرنجه, ص٣٠ , ابن الاثير, الكامل في التاريخ , دار صادر , ج١٠ , ٢٧٣ .الرهاوي , متي , تاريخ متي الرهاوي , ترجمة وتعليق ,د. محمود محمد الرويضي وعبد الرحيم مصطفى , مؤسسة حمادة للدراسات العليا, أربد , ٢٠٠٩ , ص٦٨ .

*-نيقيه : وهي من مدن آسيا الصغرى وهي عاصمة سلطنة سلاجقة الروم , الصوري , وليم , الحروب الصليبية , ج١ و ص١٩٩- ص٢٠٠ .

٢٢- الرهاوي , متي , تاريخ متي الرهاوي , ص٦٨ , طقوش , د. محمد سهيل , تاريخ الحروب الصليبية , ط١ , دار النفائس للطباعة , بيروت , ص٨٣ .

٢٣- المؤرخ المجهول , اعمال الفرنجة , ص٣٥ – ص٣٨ . ابن القلانسي , ذيل تاريخ دمشق , ص١٣٥ . حبشي , حسن , الحروب الصليبية الاولى ,ص٨٤.

٢٤- المؤرخ المجهول , اعمال الفرنجة , ص٣٥ , ص٣٨ .

٢٥- المصدر نفسه , ص٣٨-ص٤٠ .

*- قلج أرسلان : وهو داود بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق السلجوقي كان له من البلاد قونية واعمالها واقصر وسيواس وملطية, كانت مدة ملكه اكثر من تسع وعشرون سنة وكان ذي سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر , توفي سنة ٥٨٨هـ ,ينظر: ابن العماد الحنبلي, عبد الحي بن احمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ) ,شذرات الذهب في اخبار من ذهب ,ط١,تحقيق, محمود الارناؤوط, دار ابن كثير,دمشق,بيروت,١٩٨٦,ج٦,ص٤٨٤ .ابن الوردي, عمر بن المظفر بن محمد ابن أبي الفوارس (ت٧٤٩هـ) ,تاريخ ابن الوردي ,ط, دار الكتب العلمية ,بيروت ,١٩٩٦,ج٢,ص١٠٤

٢٦- الرهاوي ,متي , تاريخ متي الرهاوي , ص٧٠ .

٢٧- الصوري , وليم ,الحروب الصليبية , تحقيق , حسن حبشي , ح١ ,ص٢٣٤ – ص٢٣٧ . حبشي , حسن ,الحروب الصليبية الاولى ,ص٨٤ .

٢٨- خانجي , أنطوان, مختصر تواريخ الارمن , ترجمة , مجموعة من المؤرخين الارمن إلى العربية , دير الاباء الفرنسيسكان , اورشليم , ١٨٦٨م , ص٢١٥ .

٢٩- المدور , مروان , الارمن عبر التاريخ , ص٢٢٥ .

٣٠- رنسيمان , تاريخ الحروب الصليبية , ج١ , ص٣١٤.

32 -Grousset ,Rene , 1947 , Historie de ,L , Armeine des origins a lo 71 , paris : p 522

*- هرقلة : مدينة ببلاد الروم سميت بهرقلة بنت الروم بن اليقز بن سام بن نوح علية السلام وكان الرشيد غزاها بنفسة ثم افتتحها عنوتاً بعد حصار وحرب شديدة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٩٨ .

*- تانكريد : وهو ابن اخت بوهيمند شاركة معه في الحملة الصليبية الاولى ورفض اداء اليمين للامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنيين ، اصبح له نفوذ في انطاكية فيما بعد ، توفي سنة (٥٠٦هـ / ١١١٢ م) ، المؤرخ المجهول ، اعمال الفرنجة ، ص٤٥ .

*- بلدوين البولوني: وهو الذي اسس اول امارة لاتينية في الشرق وهي الرها ثم عين ملكا على بيت المقدس , ولد سنة (٤٥٠هـ/١٠٦٠م) وتوفي سنة (٥١١هـ/١١١٧م) ,يبظر: الشارتري , فوشيه ,(ت٥٢١هـ) ,تاريخ الحملة إلى القدس, ط١, ترجمة , زياد العسلي , دار الشروق والتوزيع , عمان ,١٩٩٠.

٣٢- الشارتري , فوشيه, ص٥١. الصوري , وليم , تاريخ الحروب الصلبية , ص٢٣١.

٣٣- الصوري , وليم , الحروب الصليبية , تحقيق, حسن حبشي , ج١,ص٢٣٦- ص٢٤١ . حبشي ,حسن , الحروب الصليبية الاولى , ص٩٤-ص١٠١.

٣٤- عاشور , الحروب الصليبية , ج١, ص١٧٤.

٣٥- الصوري , وليم , الحروب الصليبية , ترجمة , حسن حبشي , ج١ ,ص٢٥٦.

٣٦- رنسيمان , تاريخ الحروب الصليبية , ج١ ,ص٢٨٣. الصوري , وليم , الحروب الصليبية , ترجمة , حسن حبشي , ج١ , ص٢٥٦.

٣٧- الصوري , وليم , الحروب الصليبية , ترجمة, حسن حبشي , ج١,ص٢٣٧-ص٢٤١.

٣٨- المؤرخ المجهول , اعمال الفرنجة , ص٤٥. الصوري , وليم , الحروب الصليبية , ترجمة , حسن حبشي , ج١, ص٢٣٨-ص٢٤٠.

٣٩- الشارتري , فوشيه, ص٥١,ص٥٢

٤٠- الصوري ,وليم , الحروب الصليبية , ترجمة, حسن حبشي, ج١, ص٢٣٨-ص٢٤٠.

٤١- الشارتري , فوشيه , ص٥١,ص٥٢.

٤٢- المؤرخ المجهول , اعمال الفرنجة , ص٤٤,ص٤٥.

٤٣- الصوري , وليم , تاريخ الحروب الصليبية , ص٢٣٦.

٤٤- المؤرخ المجهول , اعمال الفرنجة , ص٤٥.

٤٥- المصدر , نفسه , ص٤٥.

٤٦- الصوري, وليم , الحروب الصليبية , ترجمة , حسن حبشي, ج١,ص٢٣٦.

٤٧- المصدر , نفسه ,ص٢٣٦.

٤٨-المصدر, نفسه, ص٢٣٦.

٤٩- المصدر , نفسه , ص٢٣٨.

52 -peronund, Regine ,1963 ,The crusaders ,First published , oliver and Boyed Edinbergh and London .p. 138.

٥١- المؤرخ المجهول, اعمال الفرنجة, ص٥٩.

٥٢- ابن العديم, كمال الدين عمر بن احمد(ت٦٦٠هـ) , زبدة الحلب في تاريخ حلب , تحقيق,سامي الدهان, المطبعة الكاثوليكية , بيروت , ١٩٥٤, ج٢,ص١٢٧.

الطباخ , محمد راغب الحلبي , اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء , ط٢, تصحيح وتعليق , محمد كمال , دار العلم , حلب , ١٩٨٨, ج١, ص٢٤١,ص٢٤٢.

٥٣- الصوري, وليم , الحروب الصليبية , تحقيق , حسن حبشي, ج١,ص٢٣٩.

٥٤- المصدر نفسه, ص٢٥٦.

٥٥- المصدر نفسه , ص٢٥٦.

٥٦- المصدر نفسه, ص٢٥٨.

٥٧- الخانجي , انطوان , مختصر تواريخ الارمن , ص٢١٦.

٥٨-الصوري , وليم , الحروب الصليبية , تحقيق, حسن حبشي, ج١,ص٢٥٨-ص٢٦٠.

٥٩- المصدر نفسه, ج١,ص٢٥٨-ص٢٦٠.

٦٠- المصدر نفسه, ج١,ص٢٦٤. حبشي ,حسن, الحروب الصليبية , ص١٨٢. مونروند, مكسيموس, تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب, ترجمة, مكسيموس مظلوم , مطبعة دير الرهبان الفرنسكيين , ١٩٦٥, ج١, ص٨٤.

٦١- رنسيمان , ستيفن, تاريخ الحروب الصليبية , ص٢٩٩,ص٢٠٠.

*- مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني بناه مروان بن محمد, الحمودي ,معجم البلدان ,ج٥,ص١٠٧.

٦٢- الصوري, وليم, الحروب الصليبية ,ج١,ص٢٦١_ص٢٦٣.مونروند, تاريخ الحروب الصليبية المقدسة , ج١, ص٨٣.

٦٣- الصوري , وليم , الحروب االصليبية , ج١, ص٢٦١-٢٦٣. زابورون, ميخائيل, الصليبيون في الشرق, ترجمة , الياس شاهين, دار التقدم , موسكو , ١٩٨٦, ص٨٠.

٦٤-رنسيمان, تاريخ الحروب الصليبية ,ج١ ,ص٢٨٣.

٦٥- المصدر نفسه, ج١,ص٢٨٦.

٦٦- الصوري , وليم , ج١, ص٢٥٣, ص٤٧٧. حبشي حسن, الحروب الصليبية , ص ١٠٢.

٦٧- الصوري , وليم , ج١, ص٢٦٤. مونروند, تاريخ الحروب الصليبية المقدسة , ج١, ص٨٤.

٦٨- الحريري, سيد علي , الاخبار السنية في الحروب الصليبية , ط١, المطبعة العمومية , القاهرة , ١٨٩٩م, ص١٦.

٦٩- رنسيمان , تاريخ الحروب الصليبية , ج١, ص٢٨٧. طقوش , د. محمد سهيل , تاريخ حروب الصليبية , ص٩٥.

٧٠-الصوري , وليم, ج١,ص٢٥٦,ص٢٥٧.

٧١- الصوري , وليم, ج١, ص٢٦٤. ابن تغري بردي , يوسف (ت٨٧٤هـ), النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , ط١, تحقيق, محمد حسين , دار الكتب , بيروت ,١٩٩٢, ج٥, ص١٤٦.

٧٢-مونروند , تاريخ الحروب الصليبية المقدسة , ج١,ص٨٥.

*-عينتاب: قلعه حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدلوك وهي الآن من اعمال حلب , الحموي , معجم البلدان , ج١, ص١٧٦.

٧٣- الصوري, وليم , ج١, ص٢٦٤.

*-الراوندان : قلعه حصينة وكوره طيبة معشبه مشجرة من نواحي حلب, الحموي , معجم البلدان , ج٣, ص١٩.

٧٤- مونروند, تاريخ الحروب الصليبية المقدسة , ج١,ص٨٥.

*- تل باشر: قلعه حصينة وكوره واسعه في شمال حلب بينهما يومان وأهلها نصارى من الارمن , الحموي , معجم البلدان , ج٢, ص٤٠.

٧٥- ابن شداد , محمد بن علي(ت ٦٨٤هـ), الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة , تحقيق, سامي الدهان , منشورات وزارة الثقافة الارشاد القومي , دمشق, ١٩٦٣, ج٢, ص٢٤.

٧٦- الشارتري, فوشية , ص٥٢. الصوري , وليم , ج١,ص٢٦٦.

٧٧- الرهاوي متي , تاريخ متي الرهاوي , ص٨٤.

*- سميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الشام على غربي الفرات ولها قلعه في شق منها يسكنها الارمن , الحموي, معجم البلدان , ج٣, ص٢٥٨.

*- البيرة : بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعه حصينة ولها رستاق واسعة , الحموي , معجم البلدان , ج١, ص٢٥٦.

٧٨- الشارتري, فوشية, ص٥٢.

٧٩- المصدر نفسه , ص٥٣.

٨٠- المصدر نفسة , ص٥٢. الصوري , وليم , ج١, ص٢٥٩.

٨١- الشارتري, فوشية , ص٥٢.

٨٢- الصوري , وليم , ج١, ص٦٦. مونروند , تاريخ الحروب الصليبية المقدسة , ج١, ص ٨٦,ص٨٧.

٨٣- الصوري , وليم , ج١,ص٤٧٨, الحريري الاخبار السنيه, ص١٧

٨٤- الشارتري, فوشية , ص٢٢, الصوري , وليم , ج١, ص٢٦٥,ص٢٦٦.

٨٥- الصوري , وليم , ج١,ص٢٦٨_ص٢٧٠.

٨٦- الشارتري , فوشية , ص٥٢, ص٥٣.

٨٧- الصوري , وليم , ج١, ص٣٧٥.

*- داشمند : هو كمشتكين بن محمد بن الداشمند وسمي بالداشمند ؛ لأنَّ ابوه كان معلم التركمان والمعلم كان يعرف بهذا الاسم وكان يمتلك مدينة ملطية, أبو الفدا, اسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ), المختصر في اخبار البشر ,ط١, المطبعة الحسينية , مصر , د.ت, ج٢. ص٢٩.

٨٨- الصوري , وليم , ج١,ص٢٦٨.

٨٩- المصدر نفسة ,ج١, ص٢٦٧,ص٢٦٨.

٩٠- المصدر نفسه , ج١,ص ٢٦٨.

٩١- الرويضي , د. محمود محمد , امارة الرها الصليبية , ط١,مطبعة البهجة , عمان , ٢٠٠٢م , ص٢١٤.

٩٢- الصوري , وليم , ج١ , ص٢٦٨.

٩٣- المصدر نفسه , ج١ , ص٢٦٩.

٩٤- الصوري , وليم , ج١ ,ص٢٦٨_ص ٣٧٨. رهاوي ,مؤلف سرياني , الحملتان الصليبيتان الاولى والثانية , منشور في كتاب الحروب الصليبية , ترجمه, سهيل زكار , مطبعة الملاح , دمشق , ١٩٨٤, ج٢,ص٤٦٦.

٩٥- الصوري , وليم ,ج١,ص٢٦٩-ص٣٧٨,رهاوي , مؤلف سرياني , ج٢ , ص٤٦٦

٩٦- الصوري , وليم ,ج١,ص٢٦٩

٩٧- رنسيمان , ستيفن ,تاريخ الحروب الصليبية ,ج١,ص٢٩٣,عبيد , اسحاق تاوضروس ,روما وبيزنطة , دار المعارف ,مصر ,١٩٧٠,ص١١٠.

*- ملطية : وهي من بناء الأسكندر وجامعها من بناء الصحابة بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين ينظر : الحموي ,معجم البلدان ,ج٥,ص١٩٢.

*- جبريل: ويسمى خوريل وهي تحريف لكلمة جبريل او جافريل ,ويسمية ولي الصوري جبرائيل ويذكر ان اصلة أرمني وهو صهر الأمير ثوروس الأرمني ينظر : الصوري ,وليم ,ج١ , ص٤٧٤.

٩٨- الشارتري ,فوشية ,ص٨٤ .رنسيمان ,الحروب الصليبية ,ج١ ,ص٤٧٣. الرهاوي ,متي , تاريخ متي الرهاوي , ص١٠٩.

٩٩- ابن العبري , غريغوريوس بن اهرون الطبيب الملطي (ت٦٨٥هـ) , تاريخ مختصر الدول , تصحيح وفهرست الأب انطون صالحاني اليسوعي , دار الرائد البناني , بيروت , ١٩٨٣, ص١٢٥. الرهاوي متي , تأريخ متي الرهاوي ,ص١٠٩.

١٠٠- الشارتري , فوشية , ص٨٤.

١٠١- الرهاوي , متي , تاريخ متي الرهاوي , ص١٠٩

١٠٢- الصوري , وليم , ج١ , ص٤٧٤. الشارتري , فوشية , ص٨٤, ص٨٥. الرهاوي , متي ,تاريخ متي الرهاوي , ص١٠٩.ابن العديم , زبدة الحلب , ج٢ , ص١٤٥.

١٠٣- الصوري , وليم ,ج١ , ص٤٧٤. طقوش , د. محمد سهيل , تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ,ص

١٠٤- الشارتري , فوشية , ص٨٥ . الصوري , وليم ,ج١ ,ص٤٧٤. الرهاوي , متي ,تاريخ متي الرهاوي ,ص١٣٤, ص١٣٥

١٠٥- المصدر نفسة , ص٨٥

١٠٦- المصدر نفسة ,ج١,ص٨٥

١٠٧- المصدر نفسة ,ج١ ,ص٨٥

١٠٨- الرويضي ,د.محمود محمد , امارة الرها الصليبية ,ص٢٤٨.

*- رعبان : مدينة تقع إلى الفرات بين مرعش وكيسوم , تحمل هذا المدينة اسم النهر الذي تقع علية وهي مدينة قديمة البناء من اعمال حلب وتعد من العواصم وللمدينة قلعة مبنية على حافة جبل لتراقب معبر النهر ومفترق الطريق ينظر : ابن رستة , احمد ابن عمر (ت ٣١٠هـ) الاعلاق النفيسة , مطبعة بريل , ليدن , ١٨٩١م,ص١٠٧

١٠٩- رنسيمان , تاريخ الحروب الصليبية ,ج١ ,ص٢٧٨

١١٠- الدواداري , عبدالله بن ايبك (ت ٧٣٦هـ) كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة المضيئة في رضا الدولة الفاطمية) تحقيق , صلاح الدين المنجد , مطبعة التأليف والترجمة , القاهرة , ١٩٦١, ج٦ , ص٤٥٠. الحموي , محمد ابن علي (ت٦٣٩هـ) التأريخ المنصوري (تلخيص كتاب الكشف ولبيان في حوادث الزمان) ,دار النشر للأداب الشرقية , موسكو , ١٩٦٠ , ص١٥٩.

١١١- الصوري , وليم ,ج١ , ص٣٧٤

١١٢- المصدر نفسة ,ج١,ص٣٧٤

١١٣- الرويضي , د. محمود محمد , أمارة الرها الصليبية , ص٢١٥

*- سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر , ينظر : الحموي , معجم البلدان ,ج٣ , ص٢١٦.

*- البيرة : بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة ولها رستاق ينظر : الحموي , معجم البلدان ,ج١ ,ص٥٢٦

١١٤- الصوري , وليم , ج١ , ص٢٦٨-ص ٢٧٠.

١١٥- ابن شداد , الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة , ج٣ , ق١, ص١٠٤ .ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج١٠ , ص٣٦٨.

١١٦- الصوري ,وليم ,ج١ , ص٢٧٠.

١١٧- المصدر نفسة , ج١ ,ص٢٧٠

١١٨ – رهاوي , مؤلف سرياني , تحقيق , سهيل زكار ,ج٢ ,ص٤٦٣.

١١٩– الصوري , وليم ,ج١ ,ص٢٧٠ – ص٣٧٧

١٢٠– رهاوي , مؤلف سرياني , زكار , ج٢ ,ص٤٦٣.

١٢١– الصوري , وليم , ج١ ,ص٣٧٠

١٢٢– الصوري , وليم ,ج١ ,ص٢٧٠ . مرسي الشيخ , محمد , الجهاد المقدس ضد الصليبين حتى سقوط الرها (٤٩١–٥٣٩هـ/١٠٩٧– ١١٤٤م) , دار المعرفة الجامعة ,الاسكندرية , ١٩٩٠ , ص١٠٨

١٢٣– رهاوي , مؤلف سرياني , ج٢ , ص٤٥٨

١٢٤– المصدر نفسة , ج٢ , ص٤٥٨– ص٤٥٩

١٢٥– الصوري ,وليم , ج١ ,ص٤٧٨

١٢٦– رنسيمان , تاريخ الحروب الصليبية ,ج١ ,ص ٢٩٦.

١٢٧– غنيم , حامد , الجبهة الأسلامية في عصر الحروب الصليبية , مكتبة الشباب , القاهرة , ١٩٧١, ج١ , ص١٢٥

١٢٨– الصوري , وليم , ج١ , ص٥١٨, ص٥١٩

١٢٩– المصدر نفسة , ج١ , ص٥١٨, ص٥١٩

١٣٠– تأريخ الحروب المقدسة , ج١ , ص٨٩. المعاضيدي , خاشع , تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي , دار الكتب للطباعة والنشر , جامعة الموصل , بغداد,١٩٨١, ٥٧

١٣١– المقريزي , احمد بن علي , (ت٨٤٥هـ) أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفا , تحقيق , محمد حلمي محمد , مطابع الأهرام التجارية , القاهرة , ١٩٩٣, ج٣ , ص٢٥

١٣٢– عمر فوزي , ساجدة , يهود الرها صيارفة طريق الحرير, مجلة المؤرخ العربي , العدد ١٨ , اتحاد المؤرخين العرب , بغداد , ١٩٨١, ص٢٨٨– ص٢٨٩.

١٣٣- ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج٢ , ص ٤٩٤, ص٤٩٥

١٣٤- غنيم , حامد , الجبهة الأسلامية في مواجة المخططات الصليبية , ص٩١

*- فيلاريتوس : كان موضع ثقة بيزنطة فهو ممن شارك إلى جانبها في معركة ملاذ كرد (٤٦٣هـ/١٠٧١م) غير ان طموحة دفعة إلى ان يعلن استقلالة عن بيزنطة في نفس سنة التي كلف بالمهمة المشار أليها , واسس امارة ارمنية في مدن قيليقية وانطاكية والرها (٤٧٠-٤٧٩هـ/١٠٧٧-١٠٨٦م) فألتف الأرمن حولة وقدموا له عونهم ,ينظر : ابن العبري , تاريخ مختصر الدول , ص١١٧ . عاشور , د. سعيد عبد الفتاح , بحوث ودراسات , ص٢٣.

١٣٥- غنيم , حامد , الجبهة الأسلامية , ص٩١

١٣٦- ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج١٠ , ص١٣٨ , ص١٣٩

١٣٧- ابن القلانسي ,ذيل تاريخ دمشق , ص١٣٥

١٣٨- تقلى , آسيا سليمان , دور الفقهاء والعلماء المسلمون في الشرف ادنى في الجهاد ضد الصليبين , مكتبة العبيكات , الرياض ,٢٠٠٢م , ص٢٤١.

١٣٩- ابن الأثير , الكامل في التاريخ , طبعة دار الكتب العلمية , بيروت ,ج٩ ,ص١٤

١٤٠- ابن القلانسي ,ذيل تاريخ دمش , ص١٣٥

١٤١- ابن الأثير الكامل في التاريخ , الطبعة العلمية , ج٩ , ص١٤

١٤٢- الأثير , الكامل في التاريخ , ج٨ , ص١٦٨ . ابن العديم , زبدة الحلب , ج٢ , ص١٣٤. الرهاوي , متي , تاريخ متي الرهاوي , ص٩١ –ص٩٢

١٤٣- ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج٨ , ص٤١٧.ابن القلانسي ,ذيل تاريخ دمشق , ص١٣٥

١٤٤- ابن العديم , زبدة الحلب , ج٢ ,ص١٣٤. ابن القلانسي , ذيل تاريخ دمشق , ص١٣٥

١٤٥- عاشور , د. سعيد عبد الفتاح , الحركة الصليبية, ص٢١٢- ص٢١٦

١٤٦- المعاضيدي , خاشع , الوطن العربي والغزو الصليبي , ص٤٢. الصوري , وليم , ج١ ,ص٣٣٩- ص٣٤٠

١٤٧- رنسيمان , ج١,ص٤٧٣,قدر ابن الأثير القوة التي خرجت مع بوهيمند بخمسة الأف مقاتل وهو عدد كبير اذا ماقورنت بعملية اسرة , ينظر : الكامل في التاريخ , ج٨ , ص٤٣٨

١٤٨- ابن القلانسي , ذيل تاريخ دمشق , ص ٢٢٣, ص٢٢٤

١٤٩- ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج١٠ , ص٣٤٥.

١٥٠- الشارتري, فوشية , ص١٣٠ . الصوري , وليم ,ج١ ,ص٥٠٩.

١٥١- الصوري ,وليم ,ج١ ,ص٥١٧.ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق , ص١٤٦. الشارتري , فوشية , ص١٣١.

١٥٢- الصوري , وليم , ج١ ,ص٥١٧.

١٥٣- رنسيمان , تأريخ الحروب الصليبية , ج٢ , ص٨٧.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية.

١-ابن الأثير , علي بن محمد بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ), الكامل في التاريخ , دار صادر, بيروت, ١٩٧٩, طبعة دار الكتب العلمية , بيروت , ٢٠٠٣.

٢-أبن أبيك , عبدالله الدواداري (ت ٧٣٦هـ) كنز الدرر وجامع الغرر المعروف (الدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية) , تحقيق , صلاح الدين المنجد ,مطبعة التأليف والترجمة , القاهرة , ١٩٦١.

٣-البغدادي, عبد المؤمن بن عبد الحق , (ت ٧٣٩هـ) , مراصد الأطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع , ط١ , تحقيق , محمد علي البجاري , دار الجيل , بيروت , ١٩٩٢.

٤-البكري , أبو عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن الأندلسي (ت٤٨٧هـ) , المسالك والممالك , دار الغرب الأسلامي , ١٩٩٢.

٥- ابن تغري بردي , يوسف (ت٨٧٤هـ) , النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر و القاهرة , ط١ , تحقيق, محمد حسين , دار الكتب , بيروت , ١٩٩٢.

٦-الحموي , محمد بن علي (ت٦٤٣هـ) , التأريخ المنصوري , (تلخيص كتاب الكشف والبيان في حوادث الزمان) , دار النشر للأداب الشرقية , موسكو , ١٩٦٠م.

٧-الحموي , ياقوت بن عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ) , معجم البلدان , دار صادر , بيروت , ١٩٩٥م.

٨-الحموي , أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ) الروض المعطار في خبر الأقطار , ط٢, تحقيق, احسان عباس , مؤسسة ناصر للثقافة , بيروت , ١٩٨٠م.

٩- خانجي, أنطوان , مختصر تواريخ الأرمن , ترجمة مجموعة من المؤرخين الأرمن إلى العربية , دير الأباء الفرنسيكان اورشليم, ١٨٦٨م.

١٠- ابن خلدون , عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والمعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تأريخ ابن خلدون) , ط٣, دار الكتاب اللبناني , بيروت , ١٩٥٨م.

١١- ابن رستة , احمد بن عمر (ت٣١٠هـ) الاعلاق النفيسة , مطبعة بريل , ليدن , ١٨٩١م

١٢- رهاوي , متي , تاريخ متي الرهاوي , ترجمة وتعليق , د.محمود محمد الرويضي , عبدالرحميم مصطفى , مؤسسة حماده للدراسات الجامعية أربد , ٢٠٠٩م.

١٣- رهاوي , مؤلف سرياني ,الحملتان الصليبيتتان الاولى والثانية . منشور في كتاب الحروب الصليبية , ترجمة , سهيل زكار , مطبعة الملاح ,دمشق , ١٩٨٤.

١٤- الشارتري , فوشية (ت٥١٢هـ) تأريخ الحملة إلى القدس ,ط١, ترجمة , زياد العسلي , دار الشروق للتوزيع , عمان ,١٩٩٠.

١٥- ابن شداد , محمد بن علي (ت٦٨٤هـ) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة , تحقيق ,سامي الدهان , منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي , دمشق , ١٩٦٣م.

١٦- الصوري , وليم , (ت٥٨١هـ) تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة في ماوراء البحار) ,ط١, ترجمة , سهيل زكار , دار الفكر , دمشق , ١٩٩٠. وكذالك , تحقق , حسين حبشي , د.ط. الهيئة الفكرية للكتاب , القاهرة , ١٩٩٢.

١٧- ابن العديم , كمال الدين عمر بن احمد (ت٦٦٠هـ) , زبدة الحلب في تاريخ حلب , تحقيق سامي الدهان , المطبعة الكاثوليكية ,بيروت , ١٩٥٤.

١٨- ابن العبري , غريغوروس بن اهرون الملطي (ت ٦٨٥هـ) ,تاريخ مختصر الدول , تصحيح وفهرسة الأب أنطوان صالحي اليسوعي , دار الرائد اللبناني , بيروت , ١٩٨٣.

١٩- ابن العماد الحنبلي , عبد الحي بن احمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ) , شذرات الذهب في اخبار من ذهب , ط١ , تحقيق , محمود الأرناؤوط , دار ابن كثير , دمشق ,د.ق .

٢٠- الغزي , كامل بن حسين بن مصطفى البابلي الحلبي (ت١٣٥١هـ) , نهر الذهب في تاريخ حلب , ط٢ , دار القلم , حلب , ١٤١٩هـ.
٢١- الفارقي , احمد بن يوسف , بن علي الأرزق (ت٥٧٢هـ) , تأريخ الفارقي , تحقيق , بدوي بعد اللطيف , وزارة الثقافة والأرشاد القومي , القاهرة , ١٩٥٩.
٢٢- أبو الفدا , اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ) , المختصر في اخبار البشر ,ط١, المطبعة الحسينية ,مصر ,د.ت .
٢٣- ابن الفقية , أبو بكر محمد بن محمد (ت٢٩٠هـ) , مختصر كتاب البلدان , د.ط , دار احياء التراث , بيروت , ١٩٨٣.
٢٤- ابن القلانسي , أبو يعلى حمزة (ت٥٥٥هـ) , ذيل تاريخ دمشق , تحقيق , سهيل زكار , دار حسان ,دمشق , ١٩٨٣م.
٢٥- المقريزي , احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) , أتعاض الحنفا بأخبار الأمة الفاطمين الخلفا, تحقيق , محمد حلمي محمد , مطابع الأهرام التجارية , القاهرة ,١٩٩٣.
٢٦- ابن الوردي , سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت٨٥٢هـ) , عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وخريدة الغرائب , تحقيق , انور محمود زناتي , جامعة عين شمس , القاهرة , د.ت.
٢٧- ابن الوردي , عمر بن المظفر بن عمر بن محمد أبي الفوارس (ت٧٤٩هـ) , تاريخ ابن الوردي , ط١, دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٩٦م.

المراجع الحديثة .

١-أستارجيان ,ك,ل,تاريخ الأمة الأرمنية , مطبعة , الأتحاد الجديدة , الموصل , ١٩٥١.

٢-تقلى, آسيا سليمان , دور الفقهاء و العلماء المسلمون في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبين ,مكتبة العبيكات , الرياض , ٢٠٠٢.

٣-الجنزوري , عليه عبد السميع , امارة الرها الصليبية .

٤-الحريري, سيد علي , الأخبار السنية في الحروب الصليبية , ط١, المطبعة العمومية , القاهرة , ١٨٩٩.

٥-حبشي , حسن , الحروب الصليبية , القاهرة , ١٩٥٨.

٦-الرويضي , د.محمود محمد , امارة الرها الصليبية , ط١, مطبعة البهجة , عمان , ٢٠٠٢م.

٧- زابورون , ميخائيل , الصليبيون في الشرق , ترجمة , الياس شاهين , دار التقدم , موسكو , ١٩٨٦.

٨-ستيفن ,رنسيمان ,تاريخ الحروب الصليبية , ط١, ترجمة , السيد الباز العريني , دار الثقافة , بيروت , ١٩٦٧

٩-الطباخ , محمد راغب الحلبي , اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء, ط٢, تصحيح وتعليق , محمد كمال , دار العلم , حلب , ١٩٨٨.

١٠- طقوش ,د.محمد سهيل , تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ,ط٢, دار النفائس للطباعة والنشر , بيروت , ٢٠١٠م.

١١- طقوش , د.محمد سهيل , تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) ,ط١, دار النفائس للطباعة والنشر , بيروت , د.ت

١٢- طقوش ,د.محمد سهيل , تاريخ السلامية في بلاد الشام ,ط٣,دار النفائس , بيروت , ٢٠٠٩م.

١٣- عاشور ,د. سعيد عبد الفتاح , الحركة الصليبية , مكتبة الأنجلو مصرية , القاهرة , ١٩٦٢.

١٤- عاشور, د.سعيد عبد الفتاح , بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوصطى , القاهرة , ١٩٧٧.

١٥- عثمان , فتحي , الحدود الأسلامية البيزنطينية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري , ط١, الدار القرانية للطباعة والنشر ,مدريد, ١٩٦٦.

١٦- عبيد, اسحاق تاوضروس , روما وبيزنطه , دار المعارف , مصر , ١٩٧٠م.

١٧- علي , عبد الحفيظ, المسلمون والبيزنطينيون,.

١٨- غنيم , حامد, الجبهة الأسلامية في عصر الحروب الصليبية ,مكتبة الشباب , القاهرة , ١٩٧١.

١٩- المدور , مروان , الأرمن عبر التاريخ , دار مكتبة الحياة , بيروت , ١٩٨٢.

٢٠- مرسي الشيخ , محمد , الجهاد المقدس ضد الصليبين حتى سقوط الرها (٤٩١-٥٣٩هـ/١٠٩٧-١١٤٤م) , دار المعرفة الجامعة ,الأسكندرية , ١٩٩٠.

٢١- المؤرخ المجهول , اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس , ترجمة , حسن حبشي , دار الفكر العربي , القاهرة , ١٩٥٨.

٢٢- المعاضيدي , خاشع , تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي , دار الكتب للطباعة والنشر , جامعة الموصل , بغداد , ١٩٨١.

٢٣- مونروند, مكسيموس , تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب , ترجمة , مكسيموس مظلوم , مطبعة دير الرهبان الفرنسيسكيين , ١٩٦٥.

المقالات.

عمر فوزي , ساجدة , يهود الرها صيارفة طريق الحرير ,مجلة المؤرخ العربي, العدد ١٨ ,اتحاد المؤرخين العرب, بغداد , ١٩٨١.

المصادر الاجنبية

1-Roberts lop2, Byzantium the world Araundnit ; Ecomic and institution Relation , London, 1979.

2- Vasiliev, A, A, 1952, History of the Byzantine Empire, to voles, the university of Wisconsin press, London.

3- Groused, Rene, History de, L, Armenia des origins a, lo71 Paris.

4- Pernound , Regina, 1963, the crusaders, First published, Oliver and Boyed Edinburgh and London.

الدولة الشاهينية(٣٢٩هـ ـ ٣٧٣هـ)
دراسة تاريخية

م.م عمر محمد احمد
وزارة التربية
المديرية العامة لتربية ديالى

الدولة الشاهينية(٣٢٩هـ . ٣٧٣هـ)
دراسة تاريخية

م.م عمر محمد احمد

الخلاصة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين وبعد

تعتبر الدولة الشاهينية التي اسسها عمران بن شاهين من الدويلات التي ظهرت في البطائح ، والتي استمرت اكثر من اربعين سنة(٣٢٩هـ ـ ٣٧٣هـ) ساعده في ذلك طبيعة المنطقة الجغرافية ، الذي جعلها مقرا للصوص والخارجين عن السلطة ، وعلى الرغم من محاولات حكام بغداد المتكررة في القضاء على هذه الدولة ن واعادتها تحت نفوذهم وارسلوا الجيوش تلو الجيوش وخرج معز الدولة بنفسه للقضاء على حكم بني شاهين ، لكهنم فشلوا جميعا ومنو بالهزيمة واضطروا الى الاعتراف بسلطة ابن شاهين .

وقبل الحديث عن الدولة الشاهينية اخترنا ان نتحدث عن البطائح التي تحصن بها ابن شاهين ، ثم ذكر عمران بن شاهين وتاسيسه دولته ، ثم وفاته وانتقال الحكم الى اولاده ثم انقراض ملك بن شاهين .

Conclusion

AL- dawlah AL-shaheenya which foundation by Aumran bin shaheen consider form states which appearance in albataih و and countiune nore than fourty years (329H – 373H)و help him in that natural of geography area . who made it site to theifs and ontlaws و in spite of trying Baghdad's و rulers recurring in

erushing on this state and returning it under thim reing و then sent armies after armies و and my is aldawlah him self emerge for crushing on bani shaheen ruly و but they all fail and defeat and the impel to confession ibn shaheens power.

المقدمة

شهدت القرنين الثالث والرابع الهجريين ضعف مؤسسة الخلافة ، وسيطرة الاتراك ثم البويهين على مقاليد الحكم ، ولم يبقى للخليفة سوى السلطة الرمزية فقط ، مما ادى الى انسلاخ الكثير من الولايات عن جسد الدولة العباسية ، واصبحت دويلات مستقلة بذاتها على الرغم من اعترافها بسلطة الخليفة ، لكن لم يبقى للخليفة اي سلطة على هذه الممالك ، ومن هذه الدويلات الدولة الشاهينية التي ظهرت في البطائح ، اسسها عمران بن شاهين ، والتي استطاعت ان تستمر قرابة اربعين سنة ، ساعده على سيطرته طبيعة المنطقة وصعوبة السيطرة عليها ، مما جعلها مقرا للصوص والخارجين عن الدولة على مر التاريخ ، خاصة في اوقات ضعف السلطة ، وللتعرف اكثر على الدولة الشاهينية اخترناها موضوعا لبحثنا ، فتحدثنا في البداية عن معنى البطيحة لغة واصطلاحا وموقعها الجغرافي ثم عن عمران بن شاهين مؤسس الدولة الشاهينية ، ثم عن ولايه ابنه الحسن بن شاهين ، ثم ولاية ابو المعالي بن الحسن ثم سيطرة المظفر بن علي على السلطة وقضائه على حكم بني شاهين.

البطائح لغة واصطلاحا

البطائح جمع ومفردها البَطِيحَةُ: بالفتح ثم الكسر، والبطيحة والبطحاء واحد، وتبطّح السيل إذا اتّسع في الأرض، وبذلك سمّيت بطائح واسط لأن المياه تبطّحت فيها أي سالت واتّسعت في الأرض[١]، وقيل الْبَطِيحَةُ وَالْأَبْطَحُ وَالْبَطْحَاءُ كُلُّ مَكَان مُتَّسِعٍ وَالْأَبْطَحُ مَسِيلٌ وَاسِعٌ فِيهِ دِقَاقُ الْحَصَى[٢]

اما اصطلاحا فهي ارض تقع بَيْنَ واسطَ والبَصْرة، وَهُوَ مَاءٌ مُسْتَنْقِع لَا يُرَى طَرَفَاهُ مِنْ سَعَته، وَهُوَ مَغِيضُ مَاءِ دِجْلَة والفُرات،[٣]، وقدرت مساحتها ثلاثون فرسخا في ثلاثين [٤]، تزيد وتقل حسب زيادة المياه ، حدّ منها جزيرة العرب وحدّ أرض ميسان[٥]، وحدّ دجلة بغداد وحدّ مصبّ الفرات والنّهروان[٦]، وهي مغطاة بالقصب الكثيف الملتف ، وقد خرجت من هذه البطائح أنهار منها ، نهر المرأة ونهر ابن عمر، ونهر مرة[٧].

وكانت سفن البحر قديما تجري من بلاد الهند فتدخل في دجلة البصرة حتّى تأتي المدائن[٨]، فتمرّ حتّى تخرج فوق فم الصّلح[٩]، فتصير إلى دجلة بغداد فتأتي المدائن، ثمّ إنّها خرقت الأرض حتّى مرّت بين يدي واسط[١٠]، حتّى صبّت ماءها في هذه البطائح،[١١] واهم مدنها جيّدة الصّليق مدينة على بحيرة طولها أربعون فرسخا ، يتّصل ضياعها بسواد الكوفة يليها في الكبر الجامدة ، وهما من دجلة على ناحية وسائر المدن دونهما وهرار والحدّاديّة والزّبيديّة[١٢]، والحويزة وتقع في وسطها[١٣]، اما سكانها فهم خليط من الناس فقد سكنتها قبيلة يشكر[١٤]، وباهلة[١٥]، وبنو عبس[١٦][١٧]، بالاضافة الى ان الحجاج[١٨]، جاء بخلق من زط السند وأصناف اخرى منَ الأمم معهم عوائلهم وأولادهم وجواميسهم فأسكنهم فيها[١٩] كما سكنها اقوام الزنوج[٢٠]، الذين اشتراهم اهل البصرة فسكن منهم الالوف في المنطقة[٢١]، وقيل عن اطباع سكان البطيحة ان عقلهم سخيف ، ولسانهم قبيح ، لكنهم اشداء القتال صبورين في المعارك ، لهم معرفة بطرق البطائح[٢٢]، اما اجواءها فهي شديدة الحرّ كربة بليذة بقّ مهلك وعيش ضيّق وليلها عذاب وماؤها مالح وتربتها حين تجف فيها المياه في غاية الخصب ، لذلك كانت تزرع بالرز وكان يكثر فيها السمك ، وكتب رجل إلى صديق له كتاباً من الحويزة يصفها فقال: وما أدراك ما الحويزة! دار الهوان ومنزل الحرمان ثم ما أدراك ما الحويزة! أرضها رغام وسماؤها قتام، وسحابها جهام وسمومها سهام، ومياهها سمام وطعامها حرام، وأهلها لئام، وخواصها عوام، وعوامها طغام! لا

يروي ريعها ولا يرجى نفعها، ولا يمري ضرعها ولا يرعى زرعها، ولقد صدق الله قوله فيها: ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات! وأنا منها بين هواء وبيء وماء رديء، وشباب غمر وشيخ غوي، يتخذون الغمر أدباً والزور إلى أرزاقهم سبباً، يأكلون الدنيا سلباً ويعدون الدين لهواً ولعباً. ولو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً[٢٣]

البطيحة عبر التاريخ

كانت قديما قرى متّصلة وأرضا عامرة، فاتّفق في ايام كسرى أبرويز[٢٤]، في سنة (٦هـ) زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها لا بعدها، وانبثقت[٢٥] بثوق عظام فجهد أبرويز أن يسكرها ، فغلبه الماء ومال إِلَى موضع البطائح ، فطفا عَلَى العمارات والزروع فغرق عدة طساسيج[٢٦]، كانت هناك، وركب كسرى بنفسه لسد تلك البثوق ، ونثر الأموال عَلَى الأنطاع ، وقتل الفعلة بالكفاية، وصلب عَلَى بعض البثوق فيما يقال أربعين جسارا في يوم ، فلم يقدر للماء عَلَى حيلة،[٢٧] ثم جاء الإسلام فاشتغل بالحروب ، وولي بعده ابنه شيرويه[٢٨]، فلم تطل مدّته، ثم ولي نساء لم تكن فيهن كفاية،[٢٩]

ثُمَّ دخلت العرب أرض العراق ، ولم يكن للمسلمين درية بعمارة الأرضين، فلما ألقت الحروب أوزارها ، واستقرّت الدولة الإسلامية قرارها، استفحل أمر البطائح ، وانفسدت مواضع البثوق ، وتغلب الماء على النواحي، ودخلها العمّال بالسّفن ، فرأوا فيها مواضع عالية لم يصل الماء إليها، فبنوا فيها قرى، وسكنها قوم وزرعوها الأرز،[٣٠]

فلما ولي معاوية بْن أَبِي سُفْيَان[٣١]، ولى عَبْد اللَّهِ بْن دراج[٣٢]، مولاه خراج العراق واستخرج له منَ الأرضين بالبطائح ، ما بلغت غلته خمسة آلاف ألف ، وذلك أنه قطع القصب وغلب الماء بالمسنيات،[٣٣] [٣٤]

فلما كان زمن الحجاج غرق ذلك ، لأن بثوقا انفجرت فلم يعان الحجاج سدها مضارة للدهاقين[٣٥]، لأنه كان اتهمهم بممالأة ابن الأشعث[٣٦] حين خرج عَلَيْهِ[٣٧].

ثم سعى الحجاج بعد ذلك الى استصلاح الارض ، فكتب إِلَى الخليفة الوليد بْن عَبْد الملك[٣٨] يعلمه:" أنه قدر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم فاستكثرها الوليد، فقال له مسلمة بْن عَبْد الملك[٣٩]: أنا أنفق عليها عَلَى أن تقطعني الأرضين المنخفضة الَّتِي يبقى فيها الماء بعد انفاق ثلاثة آلاف ألف درهم يتولى إنفاقها ثقتك ونصيحك الحجاج فأجابه إِلَى ذلك فاستخرج له نحو خمسين فرسخا في مثلها، فحفر النهرين المسمين بالسبين وتألف الاكره[٤٠] والمزارعين وعمر تلك الأرضين وألجأ الناس إليها ضياعا كثيرة للتغزز به، فلما جاءت الدولة المباركة وقبضت أموال بني أمية أقطع جميع السيبين داود بْن علي ابن عَبْد اللَّهِ بْن العَبَّاس[٤١]، ثُمَّ ابتيع ذلك من ورثته بحقوقه وحدوده فصار من ضياع الخلافة"[٤٢].

عمران بن شاهين

نظرا لطبيعة البطيحة فقد كانت المكان الملائم لتحصن الخارجين عن الدولة ، وخاصة في اوقات ضعف الدولة ، لذلك كان مقرا للكثير من هؤلاء الخارجين عن الدولة ، وكلفت الدولة الكثير من المال والجهد للسيطرة عليها ، ومن هنا جاء اختيار عمران بن شاهين لهذه المنطقة، لتكون مقرا لحكمه ودولته .

لم نجد في المصادر التاريخية معلومات عن نسب عِمْرَانَ بن شاهين ، لكن نسبه التنوخي الى بني سليم[٤٣]، في رواية قال فيها:" أَنِّي كنت قد لجأت إِلَى البطيحة، هَارِبا من نكبة لحقتني، واعتصمت بأميرها معِين الدولة أبي الْحُسَن عمرَان بن شاهين السّلمِيّ"[٤٤]، في حين قال صاحب كتاب العيون والحدائق ان ابن شاهين يزعم انه عربي من بني سليم ، والحقيقة:" انه سوادي المنشأ واللغة"[٤٥]، ويبدو ان قول

التنوخي هو الراجح ان ابن شاهين يعود نسبه الى بني سليم لانه كان قد لجأ اليه والتقى به[٤٦]، وكان ابن شاهين من سكنة منطقة الجامدة وكان يتصرّف في الجباية[٤٧]، وحصل منها بيده مال فصرفه ، وقيل كان عليه دماء ، فهرب إلى البطيحة خَوفًا مِنَ السُّلْطَانِ وممتنعا من الدولة ، وَأَقَامَ بَيْنَ الْقَصَبِ وَالْآجَامِ[٤٨]، وَاقْتَصَرَ في طعامه عَلَى مَا يَصِيدُهُ مِنَ السَّمَكِ وَطُيُورِ الْمَاءِ ، ثُمَّ صَارَ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ يَسْلُكُ الْبَطِيحَةَ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّيَّادِينَ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ اللُّصُوصِ، فَقَوِيَ بِهِمْ، وَحَمَى جَانِبَهُ مِنَ السُّلْطَانِ، فَلَمَّا خَافَ أَنْ يُقْصَدَ، اسْتَأْمَنَ (إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْبَرِيدِيِّ)[٤٩]، فَقَلَّدَهُ حِمَايَةَ الْجَامِدَةِ وَنَوَاحِي الْبَطَائِحِ، وَمَا زَالَ يَجْمَعُ الرِّجَالَ إِلَى أَكْثَرِ أَصْحَابِهِ، وَقَوِيَ وَاسْتَعَدَّ بِالسِّلَاحِ، وَاتَّخَذَ مَعَاقِلَ عَلَى التُّلُولِ الَّتِي بِالْبَطِيحَةِ، وَغَلَبَ عَلَى تِلْكَ النَّوَاحِي[٥٠] [٥١].

فَلَمَّا اشْتَدَّ أَمْرُهُ، سَيَّرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ[٥٢]،وَزِيرَهُ أَبَا جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيَّ، سنة (٣٣٨هـ)، لمحاربته فَسَارَ إِلَيْهِ فِي الْجُيُوشِ، وَحَارَبَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَاسْتَأْسَرَ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ، لكن عِمْرَانُ بْنُ شَاهِينَ هرب وَاسْتَتَرَ، وَأَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ ، لكن الظروف انقذته فقد توفيَ عِمَادَ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهِ[٥٣]، بِفَارِسَ[٥٤]، وَاضْطَرَبَ جَيْشُهُ ، فَكَتَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الصَّيْمَرِيِّ بالتوجه إِلَى شِيرَازَ[٥٥]، لِإِصْلَاحِ الْأُمُورِ بِهَا، فَتَرَكَ عِمْرَانَ وَسَارَ إِلَى شِيرَازَ، فخرج عِمْرَانُ بْنُ شَاهِينَ مِنِ مخباه، وَجَمَعَ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ[٥٦]،

وبعد ان اكمل أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّيْمَرِيُّ، وَزِيرُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مهمته في فارس ، عاد لمحَاصِرَةُ عِمْرَانَ بْنَ شَاهِينَ ، فاصيب بالمرض وَأَخَذَتْهُ حُمَّى حَادَّةٌ فتوفي ، سنة (٣٣٩هـ)[٥٧]، فبعث مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى قِتَالِهِ رُوزْبَهَانَ[٥٨]، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ عَسْكَرِهِ، فَنَازَلَهُ وَقَاتَلَهُ، فَطَاوَلَهُ عِمْرَانُ، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ فِي مَضَايِقِ الْبَطِيحَةِ، فَضَجَرَ رُوزْبَهَانُ وَأَقْدَمَ عَلَيْهِ طَالِبًا لِلْمُنَاجَزَةِ، فَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ عِمْرَانُ وَهَزَمَهُ وَأَصْحَابَهُ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ وَغَنِمَ جَمِيعَ مَا مَعَهُمْ مِنَ السِّلَاحِ وَآلَاتِ الْحَرْبِ، فَقَوِيَ بِهَا،[٥٩]

وبلغت قوته وسيطرته الى حد انَ طَمِعَ هو وأَصْحَابُهُ فِي السُّلْطَانِ، وبدأوا يقطعون الطريق على اي شخص يمر بهم من أَصْحَابِ السُّلْطَانِ، ويَطْلُبُونَ مِنْهُ الْبَذْرَقَةَ[٦٠] وَالْخِفَارَةَ، فَإِنْ أَعْطَاهُمْ، وَإِلَّا ضَرَبُوهُ وَاسْتَخَفُّوا بِهِ وَشَتَمُوهُ[٦١]

مما ادى الى انْقَطَاعَ الطَّرِيقُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ الْجُنْدُ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْعُبُورِ عَلَيْهِمْ إِلَى ضَيَاعِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ بِالْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا، فَشَكَا النَّاسُ ذَلِكَ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِيِّ[٦٢] سنة (٣٤٠هـ)، بِالْمَسِيرِ إِلَى وَاسِطَ لِهَذَا السَّبَبِ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ، فَأَصْعَدَ إِلَيْهَا، وَأَمَدَّهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِالْقُوَّادِ وَالْأَجْنَادِ وَالسِّلَاحِ، وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِي الْإِنْفَاقِ، فَزَحَفَ إِلَى الْبَطِيحَةِ وَضَيَّقَ عَلَى عِمْرَانَ، وَسَدَّ الْمَذَاهِبَ عَلَيْهِ، فَانْتَهَى إِلَى الْمَضَايِقِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا عِمْرَانُ وَأَصْحَابُهُ، وكاد ان يظفر به ويقضي عليه لولا تدخلَ ، رُوزْبَهَانُ فقد اراد أَنْ يُصِيبَ الْمُهَلَّبِيَّ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْهَزِيمَةِ، وَلَا يَسْتَبِدَّ بِالظَّفَرِ وَالْفَتْحِ، وَأَشَارَ عَلَى الْمُهَلَّبِيِّ بِالْهُجُومِ عَلَى عِمْرَانَ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، فَكَتَبَ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ يُعَجِّزُ الْمُهَلَّبِيَّ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ يُطَاوِلُ لِيُنْفِقَ الْأَمْوَالَ وَيَفْعَلَ مَا يُرِيدُ، فَكَتَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِالْعَتَبِ وَالِاسْتِبْطَاءِ، فَتَرَكَ الْمُهَلَّبِيُّ الْحَزْمَ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَدَخَلَ بِجَمِيعِ عَسْكَرِهِ، وَهَجَمَ عَلَى مَكَانِ عِمْرَانَ، لكن عمران كان قد قد استعدْ وجَعَلَ الْكُمَنَاءَ فِي الْمَضَايِقِ، كما ان رُوزْبَهَانُ تاخر في الهجوم لِيَسْلَمَ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ[٦٣].

فَلَمَّا تَقَدَّمَ الْمُهَلَّبِيُّ، خَرَجَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْكُمَنَاءُ، وَوَضَعُوا فِيهِمُ السِّلَاحَ، فَقُتِلُوا، وَغُرِّقُوا، وَأُسِرُوا، وَانْصَرَفَ رُوزْبَهَانُ سَالِمًا هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَأَلْقَى الْمُهَلَّبِيُّ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ فَنَجَا سِبَاحَةً، وَأَسَرَ عِمْرَانُ الْقُوَّادَ وَالْأَكَابِرَ، فَاضْطُرَّ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى مُصَالَحَتِهِ وَإِطْلَاقِ مَنْ عِنْدِهِ مِنْ أَهْلِ عِمْرَانَ وَإِخْوَتِهِ، فَأَطْلَقَ عِمْرَانُ مَنْ فِي أَسْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، وَقَلَّدَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْبَطَائِحَ، فَقَوِيَ وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ[٦٤].

لكن هذا الصلح لم يدم طويلا ، ففي سنة (٣٤٤هـ)، وصل خبر الى عمران بن شاهين ان معز الدولة قد مات ، بسبب مرض اصابه ، فصادف ان مرت قافلة فيها عدد كبير من التجار ، وفيها مَالٌ يُحْمَلُ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَهْوَازِ[٦٥]، فهجم

عليهم وأَخَذَ الْجَمِيعَ، فَلَمَّا تعافى مُعِزُّ الدَّوْلَةِ من مرضه، رَاسَلَ ابْنَ شَاهِينَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ مَا أَخَذَهُ لَهُ، وَحَصَّلَ لَهُ أَمْوَالَ التُّجَّارِ، مما ادى الى انفساخ الصُّلْحُ الذي كان بَيْنَهُمَا(٦٦)،

وبسبب استمرار سيطرة ابن شاهين على البطائح ، وقطعه طريق البصرة وعدم مقدرة الجيوش التي بعثها معز الدولة في القضاء عليه ، قرر الأمير معزّ الدولة الخروج إلى واسط لمحاربة عمران بن شاهين بنفسه، فجهز جيشا وخرج من بغداد يوم الثلاثاء الحادي عشر من رجب سنة (٣٥٥هـ)، ورحل إلى واسط وكان مريضا ومحموما، وكان قد صمّم على مناجزته وأن لايقبل منه صلحا ومالا أو يرضى منه إلّا بحضور بساطه ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى وَاسِطَ بعث إليه أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي(٦٧)، مع جيش فابتدأ أبو الفضل يسدّ الأنهار عن البطائح لمحاصرة ابن شاهين(٦٨).

لكن مرض معز الدولة زاد عليه وأحسّ بالضعف، فَاسْتَنَابَ عَلَى الْحَرْبِ ، وظنّ أنّه يتماثل للشفاء فيعاود، لكن اشتدت به العلة فرجع إلى بغداد(٦٩).

وعندما وصل الى بغداد اشتدّ مرضه وَصَارَ لَا يَثْبُتُ فِي مَعِدَتِهِ شَيْءٌ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ وجدّد العهد لابنه بختيار(٧٠)، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ ، وَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ، وَتَصَدَّقَ بِأَكْثَرِ مَالِهِ، وَأَعْتَقَ مَمَالِيكَهُ، وَرَدَّ شَيْئًا كَثِيرًا عَلَى أَصْحَابِهِ، فَتُوُفِّيَ منتصف ربيع الآخر من سنة (٣٥٦هـ)، وَدُفِنَ بِبَابِ النِّبْنِ فِي مَقَابِرِ قُرَيْشٍ، فقام ابنه عزّ الدولة بختيار مكانه، وفي هذه الاثناء سقد مطر غزير ببغداد استمر ثلاثة أيّام بلياليها ومنع الناس من الحركة ولم يتمكن الديلم من اطلاع رؤوسهم ومنع سائر الناس من البروز وتردّد النقباء إلى رؤسائهم فأرضى كل أحد بما سكن إليه وانجلت السماء عن سكون الجند ورضا الكافّة .فكتب إلى العساكر بمصالحة عمران بن شاهين ففعلوا وعادوا(٧١).

بعد ان استتبت الامور الى بختيار قرر في سَنَةُ (٣٥٩هـ)، التحرك للقضاء على عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ، فَأَقَامَ بِوَاسِطَ يَتَصَيَّدُ شَهْرًا، ثُمَّ أَمَرَ وَزِيرَهُ أَبَا الْفَضْلِ أَنْ يَنْحَدِرَ إِلَى الْجَامِدَةِ، وَطُفُوفِ الْبَطِيحَةِ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَسُدَّ أَفْوَاهَ الْأَنْهَارِ وَمَجَارِيَ الْمِيَاهِ إِلَى الْبَطِيحَةِ، وَيَرُدَّهَا إِلَى دِجْلَةَ ، فَبَنَى الْمَسْنِيَّاتِ الَّتِي يُمْكِنُ السُّلُوكُ عَلَيْهَا إِلَى الْعِرَاقِ، فَطَالَتِ الْأَيَّامُ، وَزَادَتْ دِجْلَةُ فَخَرَّبَتْ مَا عَمِلُوهُ. وَانْتَقَلَ عِمْرَانُ إِلَى مَعْقِلٍ آخَرَ مِنْ مَعَاقِلِ الْبَطِيحَةِ وَنَقَلَ كُلَّ مَالِهِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ، وَاسْتَقَامَتِ الطُّرُقُ، وَجَدُوا مَكَانَ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ فَارِغًا، فَطَالَتِ الْأَيَّامُ، وَضَجِرَ النَّاسُ مِنَ الْمُقَامِ، وَكَرِهُوا تِلْكَ الْأَرْضَ مِنَ الْحَرِّ، وَالْبَقِّ، وَالضَّفَادِعِ، وَانْقِطَاعِ الْمَوَادِّ الَّتِي أَلِفُوهَا، وَشَغَبَ الْجُنْدُ عَلَى الْوَزِيرِ، وَشَتَمُوهُ، ورفضوا أَنْ يستمروا، فَاضْطُرَّ بَخْتِيَارُ إِلَى مُصَالَحَةِ عِمْرَانَ عَلَى مَالٍ يَأْخُذُهُ مِنْهُ(٧٢).

وَكَانَ عِمْرَانُ قَدْ شعر بالخوف ، وَبَذَلَ لَهُ خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا رَأَى اضْطِرَابَ أَمْرِ بَخْتِيَارَ بَذَلَ أَلْفَيْ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَلَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِمْ رَهَائِنَ، وَلَا حَلَفَ لَهُمْ عَلَى تَأْدِيَةِ الْمَالِ، وَلَمَّا رَحَلَ الْعَسْكَرُ قطع عمران الطريق وخطف الكثير من التجار فَغَنِمَ مِنْهُمْ الكثير من المال ، اما عسكر بَخْتِيَارَ، فقد فسد وَزَالَتْ عَنْهُمُ الطَّاعَةُ وَالْهَيْبَةُ، وَوَصَلَ بَخْتِيَارُ إِلَى بغداد فِي رَجَبٍ سَنَةَ (٣٦١هـ) (٧٣).

وفي سنة (٣٦٣هـ)، استغل الاتراك فرصة خروج بختيار الى الاهواز ، لقتال ابن شاهين فسيطروا على بغداد ، فتحير بختيار بن معز الدولة في أمره فهو لا يستطيع الدخول إلى بغداد، فقرر ان يراسل ابن شاهين ويطلب منه ان يساعده ، فانفذ إليه خلعا وفرسا بمركب ذهب ، وتوقيعا بإسقاط ما بقي عليه من مال الصلح الذي كان صالحه عليه ، وخطب إليه احدى بناته ، وطلب منه ان يبعث إليه عسكرا في الماء يستعين به على حرب الأتراك ، وبعث اليه الرسال بيد حاجب له ، فلما أدّى اليه الرسالة اجابه ابن شاهين فقال له:" يا هذا قد جئتنا فى أمور غير متوجهة عندنا ولا لائقة بأحوالنا ، أما هذا الدين المتروك فالتحمد علينا به مع علمنا بأنّه ساقط باطل

لا يحسن لكنّا نقبل ذلك ، وأما الوصلة فأنا رجل لا أواصل أحدا من خلق الله إلّا أن يكون الذكر من عندي والأنثى من عنده ، وقد خطب إليّ الطالبيون مع أنّهم موال ، فما أجبت أحدا منهم الى ذلك لأنّ نفسي لا تسمح له وهؤلاء أولاد أخى هم أكفاء بناتي ما واصلت أحدا منهم ، ولكن إن شاء أن نتصاهر على السبيل الأخرى فعلت ، وأما الخلعة[٧٤] والفرس فلست ممن يلبس لباسكم ولا أركب الخيل لأنّ دوابّي هذه السفن ، لكن أبا محمد ابني يقبل ذلك ولا يردّه ، وأما عسكري وإنفاذه فليس تسكن رجالي الى مخالطتكم ، لكثرة من قتلوا من رجالكم على مرّ السنين والوقائع، ثم قال للرسول: قل له: ينبغي أن تتوقّر وتترزّن ، ولا تستعمل هذه الخفة والنزق فقد قصدتني محاربا لى فرجعت عنى منهزما ، وقصدت الأهواز فرجعت منهزما على هذه الحال والصورة من الفتنة ، وأنا أعلم أنّ أمرك سيتأدّى الى أن تجيئني وتلوذ بى وتحصل عندي ، وسأذكّرك هذا وتعلم حينئذ أنّى أعاملك بالجميل وبخلاف ما عاملتنى به أنت وأبوك قبلك"[٧٥].

ولكن تغير الحال فبعد ان سكنت فتنة الاتراك وعودة عز الدولة الى بغداد اطلق بختيار في سنة (٣٦٤ هـ) على عمران بن شاهين لقب معين الدولة[٧٦]

وفي سنة (٣٦٦هـ)، خرج بختيار مع وزيرة وجيشه يريد الزيارة والتصيد ، وذهب الى واسط وهناك اتصل بابن شاهين فتوطدت العلاقة بينهما بشكل كبير، ووقعت بينهما مصاهرات فتزوج بختيار بابنة عمران بن شاهين ، وتزوج الحسن بن عمران بابنة بختيار[٧٧]

وبينما هو في واسط اذ وصلت الاخبار بتحرك عضد الدولة من فارس نحو العراق ، ووصل جيشه الى الاهواز ، فخرج بختيار لمواجهته لكن عضد الدولة تمكن من هزيمة جيش بختيار ، ورجع منهزما الى واسط ، وكان قد خسر كل ما يملك ، فأنفذ عمران بن شاهين[٧٨]، ابنه الحسن وكاتبه وقوّاده فى عدّة زواريق وآلات إلى

بختيار ، وحمل إليه وإلى ابن بقية مالا وثيابا ، وحمل المرزبان بن بختيار إلى أبيه من الأبلّة[٧٩]، وكان قد ذهب اليها مالا وثيابا فتأثثوا وتزوّدوا[٨٠].

فخافوا أن يسير عضد الدولة إلى واسط فيقبض عليهم ولا يستطيعون الهرب ، فأصعدوا فى الماء واخترقوا البطائح ، فتلقاهم عمران بن شاهين فى عسكره وآلاته ، وقبّل يد بختيار وتطاول بختيار له وعطف به إلى دار ابنه الأكبر ، وهو أبو محمد الحسن فأنزله فيها للوصلة بينهما ، ولأنّها كانت أحسن دار بالبطيحة ، وأنزل محمد بن بقية[٨١] عليه فأقاموا عنده أضيافا ثلاثة أيام ،ثم رحلوا ورحل الحسن بن عمران معهم إلى واسط[٨٢].

وفاة عمران بن شاهين

توفى عمران بن شاهين فجأة يوم الخميس ، لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة (٣٦٩هـ)، وكان قد ركب فى غداة هذا اليوم للتنزه على عادة كانت له ، فلما عاد إلى داره تشكّى دون ساعة فمات ، وكانت مدة سيطرته على البطيحة اَرْبَعِينَ سَنَةً[٨٣].

ولاية الحسن بن عمران

عندما توفي عمران بن شاهين وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ الْحَسَنُ، فحاول عَضُدِ الدَّوْلَةِ استغلال الاوضاع واسترجاع الْبَطِيحَةِ، فَجَهَّزَ الْعَسَاكِرَ مَعَ وَزِيرِهِ الْمُطَهِّرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ[٨٤]، فَأَمَدَّهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالسِّلَاحِ وَالْآلَاتِ، وَسَارَ الْمُطَهِّرُ فِي صَفَرَ، فَلَمَّا وَصَلَ شَرَعَ فِي سَدِّ أَفْوَاهِ الْأَنْهَارِ الدَّاخِلَةِ فِي الْبَطَائِحِ، فَضَاعَ فِيهَا الزَّمَانُ وَالْأَمْوَالُ، وَجَاءَتِ الْمُدُودُ، وَبَثَّقَ الْحَسَنُ بْنُ عِمْرَانَ بَعْضَ تِلْكَ السُّدُودِ، فَأَعَانَهُ الْمَاءُ فَقَلَعَهَا. وَكَانَ الْمُطَهِّرُ إِذَا سَدَّ جَانِبًا انْفَتَحَتْ عِدَّةُ جَوَانِبَ، ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَسَنِ وَقْعَةٌ فِي الْمَاءِ فَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ، وَكَانَ الْمُطَهِّرُ سَرِيعًا قَدْ أَلِفَ الْمُنَاجَزَةَ، وَلَمْ يَأْلَفْ فِي الْمُصَابَرَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ[٨٥].

وَكَانَ مَعَهُ فِي عَسْكَرِهِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْعَلَوِيُّ الْكُوفِيُّ[٨٦]، فَاتَّهَمَهُ بِمُرَاسَلَةِ الْحَسَنِ، وَإِطْلَاعِهِ عَلَى أَسْرَارِهِ، وَخَافَ الْمُطَهِّرُ أَنْ تَنْقُصَ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وَيَشْمَتَ بِهِ أَعْدَاؤُهُ، فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ، فَأَخَذَ سِكِّينًا وَقَطَعَ شَرَايِينَ ذِرَاعِهِ، فَخَرَجَ الدَّمُ مِنْهُ، فَدَخَلَ فَرَّاشٌ لَهُ، فَرَأَى الدَّمَ فَصَاحَ، فَدَخَلَ النَّاسُ فَرَأَوْهُ، وَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فَتَكَلَّمَ، وَكَانَ بِآخِرِ رَمَقٍ، وَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ أَحْوَجَنِي إِلَى هَذَا، ثُمَّ مَاتَ وَحُمِلَ إِلَى بَلَدِهِ كَازَرُونَ[٨٧]، فَدُفِنَ فِيهَا[٨٨].

وبعد موت قائد الجيش بعث عَضُدُ الدَّوْلَةِ مَنْ حَفَظَ الْعَسْكَرَ، واضطر الى مَصَالَحَة الْحَسَنَ بْنَ عِمْرَانَ عَلَى مَالٍ يُؤَدِّيهِ، وَأَخَذَ رَهَائِنَهُ [٨٩].

بعدها دبر عضد الدولة حيلة للاطاحة بالحسن بن عمران بالاتفاق مع والي البصرة وكاد ينجح بالاطاحة به لولا تعجل الكمناء فتمكن الحسن من الفرار والرجوع الى مقره بمساعدة جنوده[٩٠].

قُتِلَ الْحُسَنُ بْنُ عِمْرَانَ

كان للحسن بن عمران اخ يدعى ابو الفرج ، وكان هذا قد حَسَدَ اخوه عَلَى وِلَايَتِهِ للبطيحة وَمَحَبَّةِ النَّاسِ لَهُ، لذلك فكر في القضاء عليه والتخلص منه ، وجاءت الفرصة فيْ سَنَةُ (٣٧٢هـ)، أَنَّ أُخْتًا لَهُمَا مَرِضَتْ، فَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ لِأَخِيهِ الْحُسَنِ: إِنَّ أُخْتَنَا مريضة ، فَلَوْ عُدْتَهَا فَفَعَلَ وَسَارَ إِلَيْهَا، وكان أَبُو الْفَرَجِ قد رَتَّبَ فِي الدَّارِ نَفَرًا يُسَاعِدُونَهُ عَلَى قَتْلِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْحُسَنُ الدَّارَ تَخَلَّفَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَدَخَلَ أَبُو الْفَرَجِ مَعَهُ وَبِيَدِهِ سَيْفُهُ، فَلَمَّا خَلَا بِهِ قَتَلَهُ، وَوَقَعَتِ الصَّيْحَةُ، فَصَعِدَ إِلَى السَّطْحِ وَأَعْلَمَ الْعَسْكَرَ بِقَتْلِهِ، وَوَعَدَهُمُ الْإِحْسَانَ فَسَكَتُوا، وَبَذَلَ لَهُمُ الْمَالَ، فَأَقَرُّوهُ فِي الْأَمْرِ، وَكَتَبَ إِلَى بَغْدَاذَ يُظْهِرُ الطَّاعَةَ، وَيَطْلُبُ تَقْلِيدَهُ الْوِلَايَةَ[٩١].

ولاية ابي الفرج

بعد ان تمكن ابو الفرج من قتل اخيه الحسن وتولي السلطة على البطيحة ، قدّم الجماعة الذين قتلوا اخوه على أكابر القوّاد ، مما اثار حفيظتهم ، ومنهم

المظفر[٩٢]، الذي كان من كبار قواد عمران الذين أبلوا معه فى حروبه ، لذلك عمل على تحريض القادة وقال لهم:" قد فعل هذا الرجل ما فعل من استحلال محرّم أخيه وصبرنا عليه مع وجوب حقّه وحق أبيه ولم يقنعه سوء فعله حتى استأنف حطّ منازلنا وتقديم أراذلنا ولا نأمن أن يتعدى الأمر من بعد إلى إزالة نعمتنا واطّراح حرمتنا"، فاتفقت كلمة الجماعة على كراهيته ثم تكفل المظفر بأمر قتله[٩٣].

مقتل ابي الفرج

بعد ان اتفق المظفر مع قادة الجند على قتل ابي الفرج ، بقي ينتظر الوقت المناسب للقضاء عليه ، فصادف ان ركب أبا الفرج من دار الإمارة إلى بناء استحدثه فلما عرف المظفر قصده إلى الموضع ودخل عليه فلمّا رآه أبو الفرج قال له:" فيم حضرت ، قال: علمت ركوب الأمير فأحببت خدمته"، وحضر من أعطاه كتابا، فلمّا أخذه وتشاغل بقراءته جرّد المظفر سيفه وثار اليه فضربه ، فهجم على المظفر حرس ابي الفرج ولكنه قاومهم حتى تمكن من قتل ابي الفرج ، وكان قد أصابته جراحات فى يده وضربات فى ذباب سيفه ، وكان ذلك سنة ثلاثمائة وثلاث وسبعين ، فاسرع إلى المنصورة التي بها دار الإمارة ، وأخرج أبا المعالي ابن أبى محمد ابن عمران ، وهو صغير السنّ ، فأقامه أميرا وأطلق المال وأرضى الجند[٩٤]

استيلاء المظفّر على البطيحة وخلع أبي المعالي

كان ابو المعالي صغيرا في السن ، لذلك تولى حجابته وادارة الامور المظفر بن علي ، فسيطر على جميع مفاصل الدولة ، وطمع في الاستقلال بأمر البطيحة وازاحة ابو المعالي ، ففي سنة (٣٧٣هـ)، دبر حيلة للتخلص منه ، فصنع كتابا على لسان صمصام الدولة سلطان بغداد بولايته ، واعطاه الى صاحب بريد ، وَأَمَرَهُ أَنْ يسلمه اليه إِذَا كَانَ الْقُوَّادُ وَالْأَجْنَادُ عِنْدَهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، ولكي تنطوي الحيلة على ابو المعالي ، جعل على الرسول أثر السفر ، بحثَ أَتَاهُ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْغُبَارِ، فقرأ الكتاب بحضرتهم، وتلقّاه بالطاعة ، وعزل أبا المعالي وأخرجه مع أمّه إلى واسط ، وكان

يصلهما بالنفقة ، وأحسن السيرة بالناس،[٩٥] ادى خلع ابو المعالي الى نهاية حكم بني شاهين للبطيحة بعد حكم دام حوالي اثنان واربعون سنة.

الخاتمة

١. عمران بن شاهين هو مؤسس الدولة الشاهينية التي ظهرت ظهرت في البطيحة سنة ٣٢٩هـ

٢. استمرت الدولة الشاهينية قرابة اثنين واربعين سنة من ٣٢٩هـ الى ٣٧٣هـ

٣. يعتبر حكم ابن شاهين العصر الذهبي للدولة الشاهينية حيث ضعفت وانقرضت بعد فتره قصيرة من وفاته

٤. اعترف معز الدولة وعز الدولة بسلطان ابن شاهين بعد ان تمكن من دحر جنودهم

٥. اطلق بختيار على عمران بن شاهين لقب معين الدولة

٦. لجا بختيار الى ابن شاهين وطلب الحماية منه بعد فتنة الاتراك ببغداد ومحاولة عضد الدولة السيطرة على الحكم

٧. توفي ابن شاهين سنة ٣٧٢هـ

٨. تزوج الحسن بن شاهين من ابنة بختيار وتزوج بختيار ابنة عمران بن شاهين

٩. قتل ابو الفرج اخية الحسن بن شاهين بعد ان حسدة على سلطانه ومحبة الناس له

١٠. انتهى حكم بني شاهين سنة ٣٧٣هـ بعد ان خلع المظفر ابو المعالي عن الحكم بسبب صغره وعدم مقدرته على ادارة شؤون الدولة .

الهوامش

(١) **ياقوت الحموي** ، أبو عبد الله بن عبد الله البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر (بيروت . ١٩٦٠)،ص٤٥١

(٢) **النسفي**، أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، نجم الدين (المتوفى: ٥٣٧هـ)، طلبة الطلبة ،المطبعة العامرة، مكتبة المثنى (ببغداد . ١٣١١هـ)،ص١٥٧

(٣) **ابن منظور** ، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب** ، ط١ ، دار صادر (بيروت . بلات)،ج٢ص٤١٤

(٤) **الفرسخ**: ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ص٢٦

(٥) **ميسان**: مدينة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط. **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ج٥ص٢٤٢

(٦) **النهروان**: وهي ثلاثة نهروانات: الأعلى والأوسط والأسفل، ويقبل من نواحي أذربيجان إلى جانب العراق فيسقي قرى كثيرة ثم ينصبّ ما بقي منه في دجلة أسفل المدائن، **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ج٥ص٣٢٥

(٧) **الأندلسي** ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ـ ٤٨٧هـ)، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، (بلام ـ ١٩٩٢ م)،ج١ص٢٣٤ ؛ النسفي، طلبة الطلبة ، ص١٥٧ ؛ **الحِميرى**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت .٩٠٠هـ) الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح: إحسان عباس، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، دار السراج (بيروت ـ ١٩٨٠ م)،ص٩٣

(٨) **المدائن:** هي جمع مدن وعددها سبع من بناء الأكاسرة على طرف دجلة ، تتميز بلطافة هوائها وطيب تربتها وعذوبة مائها ، فتحت على يد سعد بن أبي وقّاص سنة ١٦ هـ أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ج٥ص٧٥

(٩) **فم الصّلح:** هو نهر كبير فوق واسط يستمدّ من دجلة على الجانب الشرقي. **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ج٣ص٤٢١

(١٠) **واسط:** مدينة تقع بين البصرة والكوفة بناها الحجاج سنة ٨٤ وفرغ منها في سنة ٨٦ . **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ج٥ص٣٤٧

(١١) **الأندلسي** ، المسالك والممالك،ج١ص٢٣٦

(١٢) **المقدسي** ، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣ ، مكتبة مدبولي (القاهرة . ١٤١١/١٩٩١م)، ص٥٣

(١٣) **القزويني** ، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٦٠م)، ص٣٥٨

(١٤) **يَشْكُر بن وائل** بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمِيّ ابن جديلة بن أسد بن ربيعة إخوة بكر بن وائل . الهمداني ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (ت . ٥٨٤هـ)، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ، عبد الله كنون ، ص٣٦

(١٥) **باهلة بن أعْصُر**، ويقال يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن بزار بن معدّ بن عدنان . **الهمداني** ، عجالة المبتدي ، ص٧

(١٦) **عَبْس بن بَعِيض** بن ريث بن غَطَفان بن سعد بن قَيْسِ عَيْلان، بطن من مضر. **الهمداني** ، عجالة المبتدي ، ص٢٦

(١٧) **الأندلسي** ، المسالك والممالك،ج١ص٢٣٥

(١٨) **الحجاج بن يوسف:** أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ،توفي سنة خمس وتسعين . **ابن خلكان** ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٨٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت .١٩٦٨)، ج٢ص٥٣

(١٩) **البلاذري** ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت ، ١٩٨٨م)، ص٣٦٤

(٢٠) **الزِّنْجُ:** جِيلٌ مِنَ السُّودانِ وَهُمُ الزُّنُوجُ، وَاحِدُهُمْ زِنْجِيٌّ وزَنْجِيٌّ . **ابن منظور** ، لسان العرب ،ج٢ص٢٩٠

(٢١) **ابن مسكويه** ، أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق: أبو القاسم إمامي ، ط٢ ، سورش ، (طهران ـ ٢٠٠٠م)، ج٤ص٣٩٩

(٢٢) **المقدسي** ، أحسن التقاسيم ، ص١١٩

(٢٣) **القزويني** ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٣٥٨

(٢٤) **كسرى أبرويز** بن هرمز بن كسرى انوشروان، وكان من أشد ملوك الفرس بطشا، وأنفذهم رأيا وأبعدهم غورا، وبلغ من البأس والنجدة والنصر والظفر ، ولذلك سمي أبرويز، وتعني: المظفر . **الطبري** ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الأمم والملوك ، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت . ١٤٠٧)، ج٢ص١٧٦

(٢٥) **بثق:** البَثْقُ: كسْرُك شطَّ النَّهْرِ لِيَنْشَقَّ الْمَاءُ. والبَثْق شِقَّ النَّهْرِ يَبْثُقه بَثْقاً كسَره ليَنبَعِث ماؤُه وَجَمْعُهُ بُثوق. **ابن منظور** ، لسان العرب ، ج١٠ص١٢

(٢٦) **الطَّسُّوجُ:** النَّاحِيَةُ . **ابن منظور** ، لسان العرب ،ج٢ص٣١٧

(٢٧) **البلاذري** ، فتوح البلدان ،ص٢٨٦ص٢٨٨

(٢٨) **شيرويه**، واسمه قباذ بن أبرويز بن هرمز بن كسرى انوشروان تولى حكم بلاد فارس بعد قتل ابيه كسرى **الطبري** ، تاريخ الأمم والملوك ،ج٢ص٢١٨

(٢٩) **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ص٤٥١

(٣٠) **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ص٤٥١

(٣١) **مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ** بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ مؤسس الدولة الاموية توفي سَنَةَ سِتِّينَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً . **ابن سعد** ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت٢٣٠هـ)، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد ، تحقيق : عبد العزيز عبد الله السلومي ، مكتبة الصديق ، (الطائف ، ١٤١٦هـ)،ج١ص١٠٤ص١٥٤

(٣٢) **عبد الله بن دراج** مولى معاوية بن أبي سفيان ولاه على خراج الكوفة . **ابن عساكر** ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ)، تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، ١٩٩٥م)،ج٢٨ص٣٥

(٣٣) **المُسَنَّاة:** ضَفيرةٌ تُبْنى لِلسَّيْلِ لتردَّ الْمَاءَ، سُمّيت مُسَنَّاةً لأَن فِيهَا مفاتحَ لِلْمَاءِ بِقَدْرِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِمَّا لَا يَغْلِب . **ابن منظور** ، لسان العرب ،ج١٤ص٤٠٦

(٣٤) **البلاذري** ، فتوح البلدان ،ص٢٨٦ص٢٨٨

(٣٥) **الدِّهْقانُ والدُّهقان:** التَّاجِرُ. **ابن منظور** ، لسان العرب ،ج١٠ص١٠٧

(٣٦) **ابْنُ الأَشْعَثِ:** عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ قَيْسٍ الكِنْدِيُّ قائد جيش الحجاج وكان قد بَعَثَهُ عَلَى سِجِسْتَانَ، فَثَارَ هُنَاكَ، فقضى عليه سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِيْنَ هجرية. **الذهبي** ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز

(ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء ، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارناؤوط ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٨٥م)،ج٤ص١٨٤

(٣٧) **البلاذري** ، فتوح البلدان ،ص٢٨٦ص٢٨٨

(٣٨) **الخَلِيْفَةُ**، أَبُو العَبَّاسِ الوَلِيْدُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ الأُمَوِيُّ، الدِّمَشْقِيُّ، بُوْيِعَ بِعَهْدٍ مِنْ أَبِيْهِ ،مَاتَ فِي سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِيْنَ، وَلَهُ إِحْدَى وَخَمْسُوْنَ سَنَةً . **الذهبي** ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ص٣٨٤

(٣٩) **مَسْلَمَةُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ** بنِ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ الأُمَوِيُّ الأَمِيْرُ الضِّرْغَامُ، قَائِدُ الجُيُوْشِ، وَيُلَقَّبُ: بِالجَرَادَةِ الصَّفْرَاءِ، وَهُوَ الَّذِي غَزَا القُسْطَنْطِيْنِيَّةَ، وَفِي سَنَةِ مائَةٍ وِعِشْرِيْنَ . **الذهبي** ، سير أعلام النبلاء ، ج٥ض٢٤١

(٤٠) **الأُكَرُ**: الحُفَرُ فِي الأَرض، واحِدَتُها أُكْرَةٌ. والأَكَّارُ: الحَرَّاثُ، والزَّرَّاعُ.**ابن منظور** ، لسان العرب ،ج٤ص٢٦

(٤١) **دَاوُدُ بنُ عَلِيٍّ** عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ الهَاشِمِيُّ ، كَانَ ذَا بَأْسٍ، وَسَطوَةٍ، وَهَيْبَةٍ، وَجَبَرُوتٍ، وَبَلاَغَةٍ ، توفي سَنَةَ مائَةٍ وَثلاَثٍ وَثَلاَثِيْنَ . **الذهبي** ، سير أعلام النبلاء ، ج٥ص٤٤٥

(٤٢) **البلاذري** ، فتوح البلدان ،ص٢٨٦ص٢٨٨ ؛ **الأندلسي** ، المسالك والممالك ،ج١ص٢٣٤

(٤٣) هم **بني سُليم** بْن مَنْصُور بْن عكرمة بْن خَصَفَة بْن قيس بْن عيلان. **البلاذري** ، أنساب الاشراف ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، ط١ ، موسوعة الاعلمي ، (بيروت – ١٣٩٤هـ)،ج١٣ص٣٠١.

(٤٤) **ابو علي**، الحسن بن أبي قاسم (ت٣٨٤هـ)، الفرج بعد الشدة ، ط٢ ، منشورات الشريف الرضي ، (قم – ١٣٦٤هـ)،ج١ص١٧٣.

(٤٥) **مؤلف مجهول** ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تحقيق عمر السعيدي (دمشق : المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٧٣م) ، ص ٤٦١ .

(٤٦) الفرج بعد الشدة ، ج١ص١٧٣.

(٤٧) **الجِبَايَة:** وَهُوَ اسْتِخْرَاجُ الأَموال من مَظانها . ابن منظور ، لسان العرب ،ج١٤ص١٢٩

(٤٨) **اجامٌ لشَّجَرُ** الْكَثِيرُ الملتفُّ. . ابن منظور ، لسان العرب ،ج١٢ص٨

(٤٩) **أَبِي القَاسِمِ**، عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ البَرِيديّ صَاحِبَ الْأَهْوَازِ وَوَاسِطٍ توفي سَنَةُ ثلثمائة وتِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ص٢٦٨

(٥٠) **الطبري** ، تاريخ الأمم والملوك ،ج١١ص٢٦٩ ؛ **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص١٥١ ؛ **ابن الأثير** ، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الحسن عز الدين (ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، ١٩٩٧م)، ج٧ص١٨٦ ؛ **أبو الفداء** ، الملك المؤيد صاحب حماه (ت٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر ، ط١ ، المطبعة الحسينية المصرية ، (بلام ، بلات)، ج٢ص١٢١؛ **الذهبي** ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ص٢٩٩ ؛ **ابن الوردي** ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص (ت٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)،ج١ص٢٩٣ ؛ **ابن كثير** ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي (بلام ، ١٩٨٨م)، ج١١ص٢٥١ ؛ **ابن خلدون** ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من

ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون) ، تحقيق : خليل شحاذة ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٨٨م)،ج٣ص٥٢٦

(٥١) لم تذكر المصادر تاريخ سيطرة ابن شاهين على البطائح ولكنها ذكرت في وفاته انه ان مدة حكمه للمنطقة اربعين سنة وبما انه توفي سنة ٣٦٩ هـ فهذا ينعي ان بداية سيطرته على المنطقة سنة ٣٢٩هـ .

(٥٢) **معز الدولة** ابن بويه أبو الحسين أحمد بن بي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام وأحد ملوك الديلم، دخل العراق سنة ثلثمائة وأربع وثلاثين ، في خلافة المستكفي توفي يوم الاثنين سابع عشر ربيع الآخر سنة ثلثمائة وست وخمسين ببغداد . **ابن خلكان** ، وفيات الأعيان ،ج١ص١٧٧

(٥٣) **عماد الدولة** أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو الديلمي صاحب بلاد فارس أول من ملك من بني بويه، توفي سنة ثلثمائة و تسع وثلاثين بشيراز. **ابن خلكان** ، وفيات الأعيان ،ج٣ص٣٩٩

(٥٤) **فارِسُ:** ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرّجان ومن جهة كرمان السّيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران فتحها سعد بن ابي وقاص سنة ١٦ هـ في خلافة عمر بن الخطاب . **البلاذري** ، فتوح البلدان ، ص٢٥١ ؛ **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ج٤ص٢٢٧

(٥٥) **شِيرازُ:** بلد عظيم يقع في وسط بلاد فارس، بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخا. **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ج٣ص٣٨٠

(٥٦) **الطبري** ، تاريخ الأمم والملوك ،ج١١ص٢٦٩ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص١٨٦ ؛ **ابن كثير** ، البداية والنهاية ، ج١١ص٢٥١ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٣ص٥٢٦

(٥٧) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص١٥٦

(٥٨) **روزبهان بن ونداد** خرشيد الديلمي من كبار قوّاد الديلم، رفعه معزّ الدولة واعتمد عليه في حروبه قتل سنة ثلاثمائة وخمس وأربعين بعد ان خرج على معز الدولة . **ابن الأثير**،الكامل في التاريخ ، ج٧ص٢٥٥

(٥٩) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص١٦٣ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص١٩٤ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٣ص٥٢٦

(٦٠) **البَذْرقة:** الخُفارة . **ابن منظور** ، لسان العرب ،ج١٠ص١٤

(٦١) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص١٦٣ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص١٩٤ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٣ص٥٢٦

(٦٢) **المهلبي**، أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلبي وكان غاية في الأدب والمحبة لأهله. ولاه الوزارة معز الدولة سنة ثلثمائة وتسع وثلاثين ، توفي سنة ثلثمائة واثنتين وخمسين . **ابن خلكان** ، وفيات الأعيان ،ج٢ص١٢٤

(٦٣) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص١٦٣ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص١٩٤ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٦٤) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص١٦٣ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص١٩٤ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٦٥) **الأهواز:** وهي جمع هوز وأصله حوز ، وهي سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم ويجمعهن الأهواز. **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ج١ص٢٨٤.

(٦٦) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص١٦٩ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٢١١ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٦٧) **الوَزِيْرُ أَبُو الفَضْلِ**, العَبَّاسُ بنُ الحُسَيْنِ الشِّيْرَازِيُّ, كَاتبُ معزِّ الدَّوْلَةِ, وكتبَ لعزِّ الدَّوْلَةِ, ثُمَّ وَزَرَ لَهُ, ثُمَّ عمل وزارة المطيع, وَعُزِلَ سنَةَ ثَلاَثِمائَةٍ واثْنَتَيْنِ سِتِّيْنَ, ثُمَّ نُكِبَ وَحُمِلَ إِلَى الكُوْفَةِ, فَمَاتَ بِرَمْيِ الدَّمِ بَعْدَ مُدَيْدَةٍ . **الذهبي** ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ص٢٦١

(٦٨) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٢٥٧ ؛ أبو الفداء ، المختصر ،ج٢ص١٠٦ ؛ ابن خلدون ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٦٩) **الطبري** ، تاريخ الأمم والملوك ،ج١١ص٤٠٧ ؛ **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٢٦٩ ؛ **ابن كثير** ، البداية والنهاية ، ج١١ص٢٩٥

(٧٠) **أبو منصور**: بختيار الملقب عز الدولة بن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي، كان ملكاً سرياً، شديد القوى، قتل سنة ثلثمائة وسبع وستين ،في المعركة التي جرت بينه وبين ابن عمه عضد الدولة . **ابن خلكان** ، وفيات الأعيان ،ج١ص٢٦٧

(٧١) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٧٠ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٢٦٧ ؛ **ابن الوردي** ، تاريخ ابن الوردي ، ج١ص٢٨٣ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٥٨٨

(٧٢) **الطبري** ، تاريخ الأمم والملوك ،ج١١ص٤٢٨ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٢٩٦ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٧٣) **الطبري** ، تاريخ الأمم والملوك ،ج١١ص٤٢٨ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٢٩٦ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٧٤) **الخِلْعَةُ**: خِيَارُ الْمَالِ . **ابن منظور** ، لسان العرب ،ج٦ص٨٩

(٧٥) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٣٧٤ ص٣٧٩ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٣٢٢ ؛ **ابن كثير** ، البداية والنهاية ، ج١١ص٣١٤ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٥٩٥

(٧٦) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٤٠١، **الأنطاكي** ، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت . ٤٥٨هـ)، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخاء ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس (لبنان . ١٩٩٠م)، ص١٦١

(٧٧) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٤١٣

(٧٨) **المرزبان بن بختيار:** أمير بالبصرة اطلق والده عليه لقب إعزاز الدولة . **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٤٠١ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ، ج٣ص٥٣٢

(٧٩) **الأبلّة:** بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة . **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ج١ص٧٧

(٨٠) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٤١٦

(٨١) **ابن بقية:** الوزير أبو الطاهر محمد بن محمد بن بقية بن علي، الملقب نصير الدولة، وزير عز الدولة بختيار كان من جلة الرؤساء، أكابر الوزراء، وأعيان الكرماء قتل سنة ثلثمائة وسبع وستين . **ابن خلكان** ، وفيات الأعيان ،ج٥ص١١٩

(٨٢) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٤١٧

(٨٣) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٤٤٧ ؛ **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٣٦٧ ؛ **أبو الفداء** ، ، المختصر ،ج٢ص١٢١ ؛ **الذهبي** ، سير

أعلام النبلاء ، ج١٢ص٢٩٩ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٨٤) **الْمُطَهِّرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ** ابو القاسم وزير عضد الدولة وقائد جيشه قتل نفسه عندما فشل في القضاء على الحسن بن عمران. **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٣٦٧

(٨٥) **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٣٦٧ ؛ **أبو الفداء** ، المختصر ،ج٢ص١٢١ ؛ **ابن الوردي** ، تاريخ ابن الوردي ، ج١ص٢٩٣ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٨٦) **مُحَمَّد بْنِ عُمَر** بْن يَحْيَى بْن الْحُسَيْن أبو الحسن العلوي: من أهل الكوفة سكن بغداد، وكان المقدم على الطالبيين في وقته توفي سنة ثلاثمائة وتسعين ببغداد، ثم حمل إلى الكوفة فدفن فيها . **الصفدي** ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارنؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، ٢٠٠٠م)،ج٤ص١٧٢

(٨٧) **كازرون** : بلدة عامرة كبيرة بفارس بين البحر وشيراز. **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، ج٤ص٤٢٩

(٨٨) **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٣٦٧ ؛ **أبو الفداء** ، المختصر ،ج٢ص١٢١ ؛ **ابن الوردي** ، تاريخ ابن الوردي ، ج١ص٢٩٣ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٨٩) **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٣٦٧ ؛ **أبو الفداء** ، المختصر ،ج٢ص١٢١ ؛ **ابن الوردي** ، تاريخ ابن الوردي ، ج١ص٢٩٣ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٩٠) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٦ص٤٦٢ص٤٦٤

(٩١) **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٣٩٣ ؛ **أبو الفداء** ، المختصر ،ج٢ص١٢٣ ؛ **ابن الوردي** ، تاريخ ابن الوردي ، ج١ص٢٩٥ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٩٢) **المظفر بن علي** من كبار قادة عمران بن شاهين تمكن من ازاحة ابو المعالي وتولى امارة البطيحة وَأَحْسَنَ السِّيرَةَ، وَعَدَلَ فِي النَّاسِ ، توفي سنة ثلاثمائة وست وسبعين . **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج٧ص٣٩٨ص٤١٦

(٩٣) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٧ص١١٠ص١١٤؛**ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٩٤) **ابن مسكويه** ،تجارب الأمم ، ج٧ص١١٠ص١١٤ ؛**ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ،ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

(٩٥) **ابن مسكويه** ، تجارب الأمم ، ج٧ص١١٠ص١١٤ ؛ **ابن خلدون** ، ديوان ابن خلدون ، ج٤ص٦٧٧ص٦٧٨

المصادر والمراجع

۞ **ابن الأثير** ، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الحسن عز الدين (ت٦٣٠هـ)

١. الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، ١٩٩٧م).

۞ **الأندلسي** ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)،

٢. المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، (بلام ـ ١٩٩٢ م)

۞ **الأنطاكي** ، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت . ٤٥٨هـ)

٣. تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ ۞ أوتيخاء ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس (لبنان . ١٩٩٠م)

۞ **البلاذري** ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ)،

٤. أنساب الاشراف ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، ط١ ، موسوعة الاعلمي ، (بيروت – ١٣٩٤هـ).

٥. فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت ، ١٩٨٨م)

۞ **التنوخي** ، ابو علي الحسن بن أبي قاسم (ت٣٨٤هـ)،

٦. الفرج بعد الشدة ، ط٢ ، منشورات الشريف الرضي ، (قم – ١٣٦٤هـ)،

۞ **الحميري**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت .٩٠٠هـ)،

٧. الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح: إحسان عباس، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، دار السراج (بيروت - ١٩٨٠ م)

۞ **ابن خلدون** ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت٨٠٨هـ)،

٨. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون) ، تحقيق : خليل شحاذة ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٨٨م)،

۞ **ابن خلكان** ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٨٨٢م)

٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت .١٩٦٨)

۞ **الذهبي** ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ)،

١٠. سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارناؤوط ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٨٥م)

۞ **ابن سعد** ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت٢٣٠هـ)،

١١. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد ، تحقيق : عبد العزيز عبد الله السلومي ، مكتبة الصديق ، (الطائف ، ١٤١٦هـ)

۞ **الصفدي** ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ)،

١٢. الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارنؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، ٢٠٠٠م)

۞ **الطبري** ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)

١٣. تاريخ الأمم والملوك ، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت . ١٤٠٧)

۞ **ابن عساكر** ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ)،

١٤. تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، ١٩٩٥م)

۞ **أبو الفداء** ، الملك المؤيد صاحب حماه (ت٧٣٢هـ)،

١٥. المختصر في أخبار البشر ، ط١ ، المطبعة الحسينية المصرية ، (بلام ، بلات)

۞ **القزويني** ، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ))،

١٦. آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٦٠م)

۞ **ابن كثير** ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)،

١٧. البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي (بلام ، ١٩٨٨م)

۞ **ابن مسكويه** ، أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ)

١٨. تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق: أبو القاسم إمامي ، ط٢ ، سورش ، (طهران ـ ٢٠٠٠م)

۞ **المقدسي** ، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري،

١٩. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣ ، مكتبة مدبولي (القاهرة . ١٤١١/١٩٩١م)

۞ **ابن منظور** ، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)،

٢٠. لسان العرب ، ط١ ، دار صادر (بيروت . بلات)

۞ **النسفي**، أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، ، نجم الدين (المتوفى: ٥٣٧هـ)،

٢١. طلبة الطلبة ،المطبعة العامرة، مكتبة المثنى (ببغداد . ١٣١١هـ).

۞ **الهمداني** ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (ت . ٥٨٤هـ)،

٢٢. عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ، عبد الله كنون .

۞ **مؤلف مجهول** ،

٢٣. العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تحقيق عمر السعيدي (دمشق : المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٧٣م).

۞ **ابن الوردي** ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص (ت٧٤٩هـ)

٢٤. تاريخ ابن الوردي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

۞ **ياقوت الحموي** ، أبو عبد الله بن عبد الله البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ،

٢٥. معجم البلدان ، دار صادر (بيروت . ١٩٦٠).

الداعي الفاطمي أبي يعقوب السجستاني(المتوفى:٣٦١ هـ/٩٧١م)

م. م. حنان شهاب احمد

جامعة بغداد

كلية التربية / ابن رشد

الداعي الفاطمي أبي يعقوب السجستاني(المتوفى:٣٦١ هـ/٩٧١م)

م. م . حنان شهاب احمد

الملخص

انجبت الامة العربية الاسلامية كثيرا من الشخصيات التي تركت اثرا في تاريخنا الاسلامي، ومنهم: (الداعي الفاطمي ابي يعقوب السجستاني)،من الشخصيات التي يشار لها بالبنان، ومن الذين ساهموا في إحياء النهضة العلمية ، حتى اعتبر بحق شيخ الفلاسفة الإسماعيليين والعلم الأول في نهضتهم، حيث عاصر الدعوة الإسماعيلية في دور الظهور أي في أبان نهضتها فكان داعيا من دعاتها يذود عنها بلسانه وقلمه.

summary

Gave birth to the nation Arabahalasalamah a lot of characters that have left an impact in the Muslim history, including: (calling Fatimid Abe Jacob Sijistani), figures which are referred stigmatized them, and philosophers who contributed to the revival of the scientific renaissance, even considered the right of Sheikh philosophers, Ismail's and the first flag in the renaissance, where contemporary Ismaili da'wa in the role of appearing in any Aban renaissance was calling from advocates upholds her tongue and pen

المقدمة

الحمد لله، الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، الخالد بلا انقضاء، الخالق بلا اقتداء، الباري من غير اقتضاء، والصلاة والسلام على أطيب البرية محتداً، وأطهرهم

مولداً، وأصلبهم معجماً، وأظهرهم معجزاً، محمدٍ ذي الاخلاق العظيمة، والطرائق القويمة، وعلى آله الطيبين الاطهار.

وبعد : يزخر التاريخ الفاطمي بالعديد من الشخصيات والفلاسفة الذين ساهموا في إحياء النهضة العلمية ، ومنهم ابو يعقوب السجستاني حتى اعتبر بحق شيخ الفلاسفة الإسماعيليين هذا الداعي احد كبار الدعاة الفاطميين البارع الخبير في علم التأويل والحقائق وذلك ما تؤكده مؤلفاته ورسائله في علم الحقائق العرفانية، فقد ساهم أسوة بغيره من العلماء والمفكرين في عصره في الصراع الفكري والديني الذي كان يدور في تلك البلاد بين المذاهب والفرق المختلفة خصوصا بعد ان ذاعت شهرته في إفحام مناظريه من الفرق الأخرى المدعومة من بعض الحكام والأمراء الخصوم السياسيون للدولة.

من الصعوبات التي واجهت البحث شحة المصادر التي تتحدث عن تاريخ حياته ، وماقام به من اعمال خدمت المذهب الاسماعيلي في مجال الفكر.

وبعد فنحن لم ندخر جهداً في إعداد ا البحث المتواضع وتطلب ذلك وقتاً وجهد جهيد ولا ندعي الكمال من حيث استعراض المادة التي تتعلق بالموضوع لأن الكمال لله وحده، لان الكمال لله وحده .

السيرة الذاتية لابي يعقوب السجستاني

اولا: اسمه

هو أبو يعقوب اسحاق بن أحمد السجزي[١] ،هذا ماذكرته المصادر التاريخية وتوقفت عند ذلك الحد ولم تشر الى باقي سلسلة نسبه ، ولعل سبب ذلك يعود إلى أنه أحد الدعاة الاسماعيلين الذين عاصروا الدعوة الإسماعيلية بمرحلتيها (السر و الظهور) لذلك استخدم التقية [٢] ، اذ كان الداعي يخفي عقيدته عن الناس ، فكان

يتظاهر بمذهب السنة مع أهلها ، والتشيع مع الشيعة [٣]، لأن نظام الدعوة كان يفرض على العالم الأسماعيلي إن يكون عارفاً بكل عقائد الفرق التي تعيش في عصره ، وملماً بقواعدها ونظمها ، وفروعها، وهكذا نجحت الإسماعيلية في تكوين قوة كبيرة لها جيشها ونظمها وقواعدها[٤].

ثانيا: لقبه

لقب الداعي أبو يعقوب بالقاب عدة ارتبطت باسمه ، ودلت عليه ومنها السجزي[٥]، نسبة الى ناحية سجز[٦]، أما لقبه الأشهر الذي يعرف به فهو السجستاني[٧] نسبة إلى سجستان[٨].

ولقب احيانا اخرى بصاحب سجستان[٩] الملقب بالخيسفوج[١٠]، وقيل ايضا انه لقب بدندان[١١]، ولقِبَ أيضاً بشيخ الفلاسفة[١٢] ويعود ذلك لكونه قد نجح في استخدم الفلسفة سلاحاً ضد خصوم الإسماعيلية ونقاد المذهب[١٣] ، فكان بها علماً من اعلام الدعاة الإسماعيلية وأحد المفكرين الذين نهضوا بالفكر الاسماعيلي.

ثالثا: حياته ونشأته

من خلال البحث في المصادر تتضح ندرة المصادر التي تطرقت الى تفاصيل حياة أبي يعقوب السجتاني, إلا أنها على الرغم من قلتها أسهمت في وضع بعض النقاط على حروف كتاب حياته الشخصية ، ومنها عرفنا أن الداعي أبا يعقوب السجستاني ولد في عام (٢٧١هـ/٨٨٥م) في سجستان جنوب خراسان [١٤] ، وقيل في نسبه امرين الاول : انه ينتسب إلى أُسرة فارسيّة، والثاني: أنّه من أصل عربي، كان جدُّه من الكوفة ثم انتقل وسكن سجستان، اذ يشير (مصطفى غالب)[١٥]،الى ذلك بقوله (إنه من اصل عربي جاء جده من الكوفة وقطن في سجستان، حيث نشأ وترعرع في مدارس الدعوة في اليمن)، غير أن هذا الرأي لم نجد مايؤيده في المصادرالاسلامية، وعلى الرغم من ذلك ويمكن تفسيرها بأن جده كان أحد الذين شاركوا في فتوح المشرق لا سيما إن حركة الفتح انطلقت من محورين هما

الكوفة والبصرة في عهد الخلافة [١٦] وبعد أن اكتمل الفتح لجأت الخلافة الى توطين الفاتحين في تلك المناطق في محاولة لنشر الإسلام في تلك البقاع والحفاظ عليها , وربما كان احد الذين استقروا في سجستان هناك ومن ثم يكون ابو يعقوب السجستاني عربي النسب فارسي النشأة ولا يمت لرستم[١٧] الفرس بصلة ، ثم بعد ذلك التحق بالخدمة الفعلية بعد ان تخرج وأصبح من كبار الدعاة ، واليد اليمنى للداعي النسفي (ت ٣٣١هـ /٩٤٢م) [١٨] .

عاصر السجستاني الدعوة الإسماعيليّة الباطنيّة في عصر الظهور أي إبان ازدهار الدولة الفاطميّة وظهورها دولة إسلاميّة ذات كيان حضاري، وعلمي، واجتماعي، وسياسي[١٩] ، وقد استخدم الفلسفة سلاحاً ضد خصوم عقيدته المذهبية [٢٠]، إذ كان بها علماً من أعلام الدعاة الإسماعيلية وأحد المفكرين الذين نهضوا بالفكر الاسماعيلي [٢١].

ويذكر السجستاني في كتابه "الافتخار " انه كان في العراق سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م) بعد هجرته عن منصرفه من الحج والخليفة العباسي القاهر[٢٢] رحل وأجلس الراضي"،[٢٣] وبناءً على ماذكره يمكننا القول أنه كان بالغاً هذه الحقبة ومؤهلاً ، وكان يمارس مهنته بنشاطه في الدعوة الإسماعيلية حتى تدرج في المناصب فأصبح " صاحب سجستان"، أما نشاطه الفكري فهو متجدد العطاء وليس أدل على ذلك من التاريخ الذي وضعه لتاريخ تاليف كتابه " الافتخار" إذ يقول : قد خرج رسول الله (ﷺ) من العالم ومضى بعده ثلاثمائة ونيف وستون " [٢٤] ، وبذلك نستطيع أن نحدد نشاطه على أقل تقدير يمتد من سنة (٣٢٢هـ/٩٣٢م) إلى سنة (٣٦١هـ/٩٧٢م)، وهذا بطبيعة الحال يخالف ما ذهب اليه المؤرخون إذ قالوا بأنه توفي سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) [٢٥] أدى خلالها دوراً مهما في مجال الفلسفة وأسهم بصورة فعّالة في المساجلات والمناظرات العلمية التي كانت تجري في ذلك العصر بين الفرق والمذاهب في بلاد فارس ،ولم ينقطع عطاء أبي يعقوب السجستاني بعد

وفاته فقد ترك أرثاً فكرياً عميقاً وأنتج جيلاً لا يقل أهمية عنه يأتي في طليعتهم تلميذه حميد الدين الكرماني الملقب بـ (حجة العراقيين) [٢٦] الذي سار على منهاجه، ودعا إلى تعاليمه .

رابعا: **رحلاته**:

لم تشر المصادر التاريخية كعادتها لتفاصيل تتعلق بحياة أبي يعقوب السجستاني , إلا أنه ذكر في كتابه الإفتخار أشارات يسيرة لرحلتين كانت وجهته مكة المكرمة و العراق , وهي على ما يبدو رحلة حج فيقول : ((كنت بالعراق عند منصرفي من الحج والخليفة العباسي القاهر رحل وأُجلس الراضي، وكان في اهل العراق ولولة وتوجع...) [٢٧] وفيما عدا ذلك لم نعثر على نص يؤكد أن الداعي السجستاني هل مارس في تلك الرحلتين نشاطاً دعوياً أم لا , هذا النص يبين ان الداعي كان في رحلتين الاولى الى مكة حيث كان موسم الحج ، والثانية نحو بغداد والظاهر أنها كانت في حقبة زمنية واحدة رافقها نشاط الداعي ومحاولة نشر المذهب الاسماعيلي لاسيما في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وكسب أنصار وتأييد للخلافة الفاطمية في مصر، وقد يكون للداعي رحلات متعدد الأ أن أغفال كتب التاريخ عن ذكرها أدى الى فقدان جزء مهم من حياة ونشاط هذا الداعي .

خامسا: **وفاته**

اختلفت الاراء في سنة وفاة الداعي أبي يعقوب السجستاني اذ يرى بعض الدارسين أنه قتل في سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) [٢٨]وهو رأي مردود , لسببين أولهما ورود اشارتان في كتابه الافتخار للسنوات (٣٢٢ هـ/٩٣٣م) و(٣٦١ هـ/٩٧١م) وثانيهما قول المؤرخ ابو القاسم الكاشاني [٢٩] بالقول:(أن أبا يعقوب السجزي كان داعيا في سيستان في هذا التاريخ –اي سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م)) [٣٠].

وهناك رأي آخر يقول أنه قتل سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) ، فيبدو انه الاقرب الى الصحة ولا نقول بتمام صحته نظراً إلى ما جاء ذكره آنفاً حول أشارته لأحداث تتعلق بعام (٣٦١هـ/٩٧١م) , وبناءً على ما تقدم يمكن الأستنتاج بأنه كان حياً في عام (٣٦١هـ/٩٧١م) ويمكن أن وفاته في تلك السنة أو بعدها بقليل إذ لا يوجد ما يؤكد حياته بعد هذه الحقبة .

من جانب آخر تدل حادثة مقتله على عجزالسلطة عن مقارعة الحجة بالحجة فقد ثارت حفيظة أولئك الخصوم الذين رأوا فيه خطرا عليهم، فقرروا التخلص منه بالقتل، وتدلنا هذه الحادثة على انه في كل زمان ومكان يعيد التاريخ نفسه حيث يلجا المتطرفون أصحاب الفكر الأحادي الى العنف لإسكات الأصوات المخالفة بدلا من مقارعة الحجة بالحجة، كان الداعي أبا يعقوب السجستاني فقد كان عالما وداعيا عظيما دفع حياته ثمنا لفكره وعقيدته التي آمن بها.

عصره السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي :

قبل الحديث عن عصر الداعي أبي يعقوب السجستاني، لابد من القول إن الدارس لعصور العلماء من محدثين ومؤرخين ودعاة يحتاج الى تحديد البيئة التي عاش فيها هؤلاء وتحديد مكانتهم وتفاعلهم معها، إذ أن هذه المعرفة تساعد في رسم صورة قريبة لطبيعة ذلك العصر على اعتبار ان صورة الانسان وافكاره واثاره لا تتضح الا عن طريق معرفة وسطه الاجتماعي والديني والفكري والسياسي الذي نشأ فيه[٣١].

الانسان بطبعه مدني لا يستطيع العيش بمعزل عن الناس ، ولا يخفى ما للبيئة من أثر عجيب في علوم الانسان وافكاره وميوله، عاش السجستاني في حقبة كانت حافلة بأحداث سياسية واجتماعية وعلمية واقتصادية كان لها اثر كبير في تشكيل

شخصيته وسنحاول إلقاء الضوء على هذه الاحداث بشيء من الاختصار وعلى النحو الآتي:

كان مولد أبو يعقوب السجستاني في العقد الاخير من خلافة ، الخليفة العباسي المعتمد على الله (٢٥٦ – ٢٧٩هـ) [٣٢] .

شهدت هذه الحقبة اضطرابات سياسية شديدة وثورات وانقسامات وفي مقدمتها ثورة الزنج سنة (٢٥٥هـ /٨٦٨م)، اذ قام داعي اسمه علي بن محمد[٣٣] ، فادعى أنه عباسي، ودعا الناس إلى طاعته حتى وصل بغداد، فأقام بها عامًا يستميل الناس سرًّا، ثم شخص إلى البصرة، ونزل بقصر قريب منها يعرف بقصر القرشي، وهناك استعان بالعبيد الذين كانوا يعملون بتلك النواحي في حمل السباخ وغيره لأهل البصرة، وهم كثيرو العدد يهمهم أن ينالوا الحرية ويخرجوا مما هم فيه [٣٤] ، فكيف لو وُعِدوا مع الحرية بالسيادة .

وبعد فشل محاولات عدة تمكن الموفق طلحة[٣٥] من تحقيق انتصارات عدة على جيوش صاحب الزنج والسيطرة على مناطق صاحب الزنج واستولى على الاحواز ، وأجلى الزنج عنها وكان ذلك سنة (٢٦٧هـ/٨٨٩م) [٣٦]، وعلى الرغم من أن المعتمد بالله كان الخليفة الرسمي فإن أخاه الموفق كان صاحب السلطة الفعلية، فكان له الأمر والنهي، وقيادة الجيش ومحاربة الأعداء، ومرابطة الثغور، وتعيين الوزراء والأمراء، وكان قضاء الموفق على ثورة الزنج سنة(٢٧٠هـ / ٨٨٣م) بمثابة أعظم إنجاز له.

وفي هذه الحقبة قامت الدولة الطولونية بمصر سنة (٢٥٨هـ/٨٦٩م) واستمرت حتى سنة (٢٩٢هـ/٧٤٠م)، ومؤسسها أحمد ابن طولون[٣٧] كان مملوكًا تركيًّا أثنى عليه ابن الاثير بالقول [٣٨] قائلاً : "وكان عاقلاً حازمًا، كثير المعروف والصدقة، متدينًا، يحب العلماء وأهل الدين، وعمل كثيرًا من أعمال البر ومصالح المسلمين " ،

واستطاع تأسيس دولة تحكم ذاتيًّا بعيدًا عن الخلافة العباسية امتدت حقبة حكمها في المدة من (٢٥٤- ٢٩٢هـ/ ٨٦٨- ٩٠٥م).

أما في المشرق قامت الدولة الزيدية[٣٩] في طبرستان[٤٠] بالاضافة الى الصراع بين دويلات المشرق (الصفاريين والسامانيين والغزنويين) [٤١] ، وتدهور أوضاع الخلافة العباسية في تلك الحقبة .

من الاحداث الأخرى التي شهدها عصر الداعي السجستاني ، ظهور القرامطة[٤٢] بثلاثة مواضع البحرين والعراق والشام، ازداد خطر القرامطة اتساعًا وعنفًا ، فوصل أقصاه سنة(٣١٧هـ /٩٢٩م)، حينما دخلوا مكة المكرمة ،بقيادة أبى طاهر القرمطى ، قاموا بالاستيلاء على الحجر الأسود وأخذه إلى مركزهم الرئيس بَهجَر وظل بها إلى أن رده إلى مكانه في عهد المطيع سنة (٣٣٩هـ / ٩٥٠م) اضافة الى انهيار مركز الخلافة العباسية، وسيطرة البويهيين على الخلافة سنة (٣٣٤ هـ /٩٤٥م) ، و قامت الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا (المغرب ومصر) فأصبحت دعوة علنية وذلك سنة(٢٩٧هـ / ٩٠٨م)، وعملت على لنشر مبادئ المذهب إلاسماعيلي وأفكاره من خلال إرسال الخلفاء الفاطميين دعاتهم إلى أمراء القبائل العربية في بلاد الشام يدعوهم للخطبة للخليفة الفاطمي بدلاً من الخليفة العباسي وتغيير صيغة الأذان وجعله حسب المذهب الإسماعيلي [٤٣].

أما الاوضاع الأقتصادية التي شهدها عصر الداعي ابي يعقوب السجستاني فيمكن القول إنها كانت بصورة عامة فترة الازمات بالنسبة للدولة العباسية، يظهر الوضع الاقتصادي في الدولة الفاطمية وهو ماسنوضحه على النحو الاتي:

مرت على الدولة في العصر العباسي أزمات اقتصادية ترجع الى اسباب متعددة منها الفتن والحروب وكثرة البذخ والإسراف والثراء غير المشروع لبعض الوزراء والكتاب، وحدوث الكوارث الطبيعية والجفاف، فاضطرت الدولة في سبيل تأمين الأموال اللازمة لها للأنفاق على الجيش والبلاط بالقيام بعدة إجراءات منها تقليص

النفقات وضرب النقود لتأمين السيولة النقدية ومصادره أموال الوزراء والكتاب الذين خلعوا بل حتى أموال قسم من الخلفاء، وإقتراض الأموال من التجار على أن تسدد لهم الأموال حال تحسن مالية الدولة فترة الازمات فكانت اولها الأزمة الاقتصادية في عهد الخليفة المعتضد بالله الذي حكم سنة (٢٧٩-٢٨٩ هـ/ ٨٩٢ – ٩٠١ م) الذي وجد بيت المال خاوياَ ، وليس موجوداً فيه مال ولا ذهب، ويذكر "أن الخليفة المعتضد بالله أراد تجهيز جيش فعجز عن ذلك بيت مال العامة فأخبر بمجوسي له مال عظيم فاستدعاه يستقرض منه على أن يعيده له، فقال له: مالي بين يديك يا أمير المؤمنين فلتأخذ ما تشاء، فقال: من اين عرفت أننا نرده لك، فقال المجوسي: يا أمير المؤمنين يأتمنك الله تعالى على عباده وبلاده فتؤدي الأمانة وتفيض العدل، وتحكم بالحق، وأخاف على جزء من مالي؟ فدمعت عيناهُ فقال: انصرف قد وفرّ الله عز وجل مالك وأغنانا عن القرض منك"[٤٤].

اما في مجال الثقافة فقد شهدت الحركة العلمية لاسيما في العصر الفاطمي تقدماً كبيراً ، فتفوقت على مثيلتها في العهد الطولوني والإخشيدي ، و تميَّزت بنشاطها، فكان في مصر طائفة من علماء الدعوة الفاطمية والمؤرخين والفلاسفة والأدباء أسهموا في النهضة الثقافية التي تجلت في ذلك العصر أهتم الفاطميون، منذ استقر سلطانهم في مصر، بالعمل على نشر الثقافة العلمية والأدبية فضلاً عن الثقافة المذهبية [٤٥] التي تتصل بالدعوة الإسماعيلية كالفقه والتفسير، وكان للجامع الأزهر أثر كبير في النهوض بالحياة الثقافية في مصر. وقد ظهرت فكرة الدراسة به في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي حين قام قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان المغربي[٤٦] بشرح كتاب "الاقتصار" الذي وضعه أبوه، ويشتمل على مسائل فقهية استمدها من أئمة أهل البيت ، كما عقدت الحلقات العلمية بقصر الخليفة لقراءة علوم أهل البيت[٤٧]

هكذا كانت الحقبة بين القرنين الثالث والرابع الهجري مشحونة بالدعوات والمناظرات الفكرية والمذهبية, فبرز العديد من العلماء والمفكرين والفلاسفة الإسلاميين في المجادلات والمناقشات للتبشير بعقائدهم ومذاهبهم وآرائهم وأفكارهم، ولكون هذا الداعي احد كبار الدعاة الفاطميين المسئولين في فارس عن مدارس الدعوة في تلك البلاد وهو البارع الخبير في علم التأويل والحقائق وذلك ما تؤكده مؤلفاته ورسائله في علم الحقائق العرفانية ، فقد ساهم أسوة بغيره من العلماء والمفكرين في عصره في الصراع الفكري والديني الذي كان يدور في تلك البلاد بين المذاهب والفرق المختلفة لاسيما بعد أن ذاعت شهرته في إفحام مناظريه من الفرق الأخرى المدعومة من بعض الحكام والأمراء الخصوم السياسين للدولة، وقد ظهر ذلك جليا في مؤلفاته التي بلغت درجة من الدقة في التعبير الكلامي والحجة في الدفاع والمنطق في المواجهة .

مؤلفات الداعي أبي يعقوب السجستاني دراسة في محتواها :

يعد أبو يعقوب السجستاني من الفلاسفة الذين اسهموا في إحياء النهضة العلمية، بل يمكننا القول انه علم من أعلام الفكر الاسماعيلي الذي ترك بصمة واضحة في الدعوة، لعل ذلك يتجلى بوضوح من خلال مؤلفاته التي تركها لنا ،ونحن بدورنا سنحاول أن نلقى الضوء على اهم ماتضمنته هذه الكتب من أفكار ظهرت وجهة نظر الداعي في تلك الفترة ومدى ما بلغة من علم ومعرفة انعكست من خلال كتبه، ولابد لنا من الاشارة قبل الخوض في محتوى الكتب أن أبا يعقوب خلف طائفة من المؤلفات الفلسفية بعضها نشر، وقسم ضئيل منها فقد ، وبعضها الاخر، لاتزال محفوظة مركونة في زوايا النسيان ، أو تحفظ اتباع المذهب الاسماعيلي من نشرها ومنع تحقيقها ، ومن مؤلفاته :

١. إثبات النبوءات

الكتاب بمثابة قطعة ادبية فلسفية تبحث قي اثبات وتاكيد ان النبوة صدق وحق وانها الرئاسة الروحية لكونها اعلى الدرجات التي يمكن ان يصلها الانسان ، وبذلك يصل الى الورثة الحقيقيون للانبياء (عليهم السلام) وهم الائمة(عليهم السلام)، قسم الداعي السجستاني هذا الكتاب إلى سبع مقالات وتقسم كل مقالة إلى اثني عشر فصلاً، تناول فيه ، اثبات النبؤات ، من المراحل جميعها ، الطبيعية والروحية، ويتعرض بالذكر للأمور التي اتفق عليها الرسل، والادلة على إثبات نبوة النبي محمد (ﷺ) كذلك تعرض لما آسماه عجائب القرآن والشريعة ، وبذلك يصل الى حقيقة الورثة الحقيقيين للأنبياء وهم الأئمة [٤٨].

ثم يعرج على المقرين بالنبوءة فيصنفهم الى ثلاث فرق الأولى الحشوية التي تمسكت بالأخبار والروايات من غير وقوف على الحقيقة ، والثانية صاحبة التقليد التي اخترعت من عقولها استنباطات لإيهام الضعفاء إنها حجج دون الوقوف على الحقيقة ، والثالثة صاحبة الحقائق التي قبلت الدين من عترة النبي والوصي امتثالا لقوله : " ... و أما المقرون بالنبوءة فهم أيضا على ثلاثة أصناف: صنف منهم الحشوية، قلدوا أمر النبوءة إلى الآباء و الاسلاف، و تمسكوا بالأخبار و الروايات، من غير وقوف منهم على حقيقة النبوءة، و أعظم حججهم في إثبات النبوءة السفاهة على المنكرين لها، و الصنف الثاني أيضا منهم هم : أصحاب التقليد غير أنهم اخترعوا من تلقاء أنفسهم استنباطات أوهموا الضعفاء أنها حجج بالغة، من غير وقوف منهم على حقيقة النبوة، و ما فيها من الجو هالت يصح إثبات النبوءة بها، و الصنف الثالث هم: أهل الحقائق الذين قبلوا الدين من عتره النبي (ﷺ) و الوصي، و وضعوا الحق في موضعه، الذي جعله الله فيه، و وصلوا ما أمر الله به

أن يوصل، فشهدت الآفاق، و الأنفس، و التراكيب، و الألفاظ المنطقية لهم على صدق ما أدعوه من قبول النبوءة على بصيرة و يقين " [٤٩].

وفي كتاب إثبات النبوءات فصلا كاملا بعنوان " أن أول رسالة يؤديها العقل انما هي معرفة المبدع سبحانة وتعالى" [٥٠]، إذ يعد السجستاني العقل هبة من الفضائل التي خص الله سبحانه وتعالى البشر لا سواه ليميز بها الخير من الشر، وبين الحق والباطل.

واوضح السجستاني في الفصل التاسع من المقالة الاولى افضلية الرسل على البشر من خلال نصوص التي يوردها في كتابه ، ووصفهم " افضل الخلائق في هذا العالم الجسماني "[٥١] ، وأضاف أن هناك من قال : إن سياسة الملوك أشرف من سياسة الرسل ، لاختلاف سياسة الملوك لطبقات الناس وعمومية سياسة الرسل لجميع الناس عموما واحد ، فأجاب السجستاني على ذلك : " إنما اختلفت سياسة الملوك لنقصان تدابيرهم ، واتفقت سياسة الرسل لكمالهم، وتمام قوتهم المتصلة بهم من العالم الروحاني " [٥٢] .

ووصف سياسة الرسل والملوك بكلامه أن سياسة الرسل " كمثل الجلاب المتخذ بالسكر وماء الورد والفائق يصلح لجميع المرضى ... " [٥٣] ، أما سياسة الملوك فقد وصفها " كمثل بعض الادوية التي تصلح لبعض الامراض دون بعض ... " [٥٤].

يرى السجستاني ان الرسل لايصلون لا الى مرحلة التبليغ والرسالة حتى تكتمل لديهم صفات الكمال لتلقي الرسالة: " ظهور الرسالة تابع لظهور الرسول، وظهور الرسول تابع لكمال الخلقة ، ثم لم توجد الخلقة الا بمتوسطات روحية او جسمانية، كذلك الرسول لايظهر الا بمتوسطات روحانية أوجسمانية ، والمثل في ذلك إن الخلق الاول وهو السابق الذي لم يسبقه خلقه انما بواسطة الامر... وان شرف

الرسول على الرسول انما هو من اجل شرف الواسطة التي تقع بينه وبين الرسل..."[٥٥]

وأضاف أن الرسل ليسوا بمنزلة واحدة هناك تفاوت في المنزلة التي منحها الله لهم وجعل التفريق بين الرسل على ثلاثة أوجه وتمثل الاول بعبور المراحل من الدور الاول الى اخره ، " فان من وقف على حد ابراهيم وامن به وصدقه في دعواه ولم يعبره الى حد موسى فقد فرق بينه وبين موسى والذي اوصل الله وحده به ، وبمن وقف على حد موسى وامن به وصدقه ولم يعبره الى حد عيسى فقد فرق بينه وبين عيسى والذي اوصل الله حده به ... " [٥٦] ، وهكذا حتى يصل الداعي الى الامام القائم (عليه السلام) والائمة من بعده لكونهم ورثة الرسول (صلى الله عليه وآله) .

والله جعل النبوة من نسل واحد وجعل الامامة وراثة للنبوة، والورثة الحقيقيين للأنبياء هم الأئمة (عليهم السلام) وان خروجها عن بيت النبوة ، أدى الى حدوث الفضائح وسفك الدماء ، والاتجار بالمحارم حتى لم يبقّ من القران الإ رسمه ومن الاسلام الا اسمه [٥٧].

٢. كتاب الينابيع

الينابيع وهو كتاب من الكتب المهمة في مجال الحكمة والعلوم الإلهية المتعلقة بالواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء، وبشكل يتوافق مع مبدأ التوحيد الإسلامي الذي يؤكد على وحدانية الله المطلقة الخارجة عن الوصف ، وقد حرص فيه الى الاتيان بشي جديد ،وعدم الخوض في مواضيع سبق ذكرها من قبل السلف فأشار الى ذلك بالقول : " فان الاولى بالمرء العاقل اللبيب ان لايستعمل خاطره باستخراج اشياء جرى ذكرها من السلف، في الكتب التي الفوها... " [٥٨].

وقسم هذا الكتاب إلى أربعين يُنبوعاً، جعل كلَّ ينبوع مشابهاً لحدٍّ من الحدود الدينيّة، المعروفة في نظام الدعوة الإسماعيلية.

ونرى أن السجستاني قد وضعه لطبقة خاصّة من الدعاة، وأصحاب المراتب العليا في الدعوة، وإلى الذين وصلوا في دراساتهم الفلسفيّة إلى الذروة فيشير الى ذلك بقوله : "... لايصلح الا لمن دامت رياضته للمقدمات البرهانية ، وصفت نيته لقول الاشياء النورانية ،وجانب نفسه عن الشهوات الحسية الرديئة ... " [٥٩] .

وتحدث الداعي عن هذا الكتاب بقوله "... الينابيع ينبوعان : طبيعي وروحاني , فالينبوع الطبيعي هو العيون النابعة من الركن البارد الرطب الطبيعي، وقوامه المواليد الطبيعية من الجماد والنبات والحيوان والبشر، والينبوع الروحاني هو العيون النابعة بالعلوم الربانية من السابق الذي جاءت به حياة نفوس المؤمنين فأردت أن أقابل في هذا الكتاب الينابيع الطبيعية بالينابيع الروحانية وأن أكشف عن مرموزاتها وأشرح كل دقيق وجليل لتظهر قدرة الله جل جلاله عند المعاندين الجاحدين بآياته المكذبين لرسله وخلفائه في أرضه " [٦٠].

٣. الافتخار

يعد هذا الكتاب من كتب التراث الفاطمية النادرة التي تعالج علم الحقائق العرفانية معالجة علمية في ضوء العقيدة الفاطمية التوحيدية ، والتأويلية والفلسفية كما هو معلوم في الفكر الإسماعيلي بأن علم الحقائق، أو علم المبدأ والمعاد يشتمل على التوحيد والإبداع والخلق والكون والبشر والنبوءة والإمامة والقيامة، والبعث وقد جسد المؤلف هذه الأفكار الفاطمية الصحيحة في الرد على من يرى في علم التوحيد الفاطمي خروجا على الإسلام قسم إلى اثني عشر باب ، تناول فيها موضوعات مختلفة منها المعرفة ، والتوحيد ، ومعرفة امر الله ﷻ، والرسالة، والوصاية والامامة، ومعرفة القيامة والبعث والثواب والعقاب والصوم والحج والزكاة ،وكما تضمن الكتاب أسرارا ورموزا كانت خافيةعلى المهتمين بالدراسات الفاطمية [٦١] .

وقد ذكر سبب تسميته بالافتخار فقال: (أحببت ان اضمن هذا الكتاب الموسوم بالافتخار مابه يفتخر أهل الحقائق على الناس كافه, فان الأمم كثيرة ونحلهم مختلفة

آرائهم متباينة وكل حزب بما لديهم فرحون وهم في غمرتهم ساهون وفي طغيانهم يعمهون وفي ربهم يترددون, قد رضوا بالتقليد دون التحقيق وبالخبر دون العيان) [٦٢].

٤. النصرة:

سبق وتطرقنا الى هذا الكتاب في حديثنا عن كتاب الرياض للكرماني، وهو يبحث في فلسفة التأويل ويرد فيه على كتاب الداعي أبي حاتم الرازي المسمى (الإصلاح) الذي ينقد كتاب الداعي النسفي المسمى (المحصول) ، وكان بعض الإسماعيلية ينسبونه إلى الكرماني (ت ٤١١هـ/ ١٠٩٢م) ، ويظهر أن الكتاب قد ضاع والكرماني كان قد إطلع عليه واشار إليه في كتابه [٦٣] .

وهذه الكتب جميعها تبحث في علم التأويل الذي تميز به وبرع فيه دعاة وعلماء الإسماعيلية غيرهم ، وقد اقتدى بهم بعض فلاسفة العلماء المسلمين الذين أتوا بعدهم أمثال الفارابي وابن رشد وحتى الإمام الغزالي في مرحله لاحقة من حياته عندما تصوف وكتابه [٦٤]

٥. كتاب الموازين :

هو كتاب فلسفي قسم إلى تسعة عشر ميزاناً، تكلم كل ميزان عن أمر يمّت بصلة الى المذهب الاسماعيلي ، بصلات وثيقة منها، العقل والنفس، والائمة ، والحج والدعاة، وغيرها من الموضوعات التي تفيد الباحث في تاريخ التطور العقلي للمذهب الاسماعيلي [٦٥].

٦. تحفة المستجبين :

هو عبارة عن قطعة ادبية رائعة موجزة معبرة أو قصيدة نثرية زاخرة بروائع الحكمة وحقائق العلم ،وقد وضعت بأسلوب شيق خال من كل أثر للتعقيد، خصصت هذه الرسالة لطبقة المستجيبين، والطلاب الذين تهمهم هذه الدراسات العلمية، فقد تناول فيها موضوعات مهمة مثل الامامة، والعقل، ورتب المأذونين، والمستجيبين للدعوة [٦٦].

٧. كتاب الاكسير:

او ما يطلق عليه كتاب " الغريب " وهو عبارة عن رسالة فلسفية في العقائد الإسماعيلية التأوليه ، فقد رد فيه السجستاني على بعض الفلاسفة والاطباء المخالفين له في العقيدة وشبههم بالمرضى ، وذكر الكون وعلاقته بالأشياء وذكر الرسول الكريم محمد (ﷺ) وآل بيته (عليهم السلام)[٦٧].

وله مؤلفات أخرى منها : كتاب المقاليد ، وكتاب مسليات الاحزان ، وكتاب سلم النجاة ، وكتاب سرائر المعاد ، وكتاب كشف الموجوب ، وكتاب الوعظ ، وكتاب أسس البقاء ، وكتاب خزانة الادلة ، وكتاب تألف الارواح ، وكتاب تأويل الشريعة ، وكتاب اساس الدعوة [٦٨] ، وكتاب سوسن النعم او سوسن البقاء ، وكتاب البرهان [٦٩] ،

الا اننا لم نحصل على اغلب هذه الكتب لأسباب ذكرت انفآ ، بالإضافة الى كونها بلغات أخرى مثل الفارسية ولم نتمكن من ترجمتها لضيق الوقت .

الهوامش

(١) الطهراني ، اغا بزرك ، الذريعة الى تصانيف الشيعة ، دار الاضواء، بيروت، ١٩٨٣م، ج١٨، ص١٥٩؛ مصطفى، غالب ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر ، سوريا، دمشق ، ط١ ، ١٩٥٣م، ص٣٣٦؛ الامين، السيد محسن، دار المعارف، بيروت،١٩٨٠،ج٣، ص١٣٣٦.

(٢) التقية: لغةً هي الحيطة والحذر من الضرر والاسم : التقوى واصلها اوتقى ، يوتقي ، فقلبت الواو إلى ياء للكسرة قبلها، ثم بدلت إلى تاء وادغمت فقيل : اتقى ، يتقي، (الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاريخ العروس من جواهر القاموس، بيروت: مكتبة الحياة، د.ت ، ج١، ص ٢٣٦ ، اما التقية اصطلاحاً، تعني التحفظ عن ضرر الغير بموافقته عن قول وعن فعل ودل على وجوبه العقل، إذ كان لدفع الضرر الواجب (النوبختي، فرق الشيعة، ص ٧٦ ، ويؤكد هذا الجانب قوله تعالى (لَا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (سورة آل عمران ، آية ٢٨) ، اما الاسماعيلية اسند إلى التقية بقول الامام الصادق) " التقية ديني ودين ابائي من لا تقيه له لا دين له . ينظر: الداعي ادريس، عيون الاخبار، ج٤ ، ص٢٥٥ وللتفصيل حول التقية ينظر (الاستربادي النحوي ، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق: محمد نور الحسين ومحمد الزقراق ، بلا.ت ، ج٤، ص ٤٩٦ ؛ كاشف الغطاء ، اصل الشيعة ، ص ١٩٢؛ العميدي، ثامر هاشم، واقع التقية عند المذاهب والفرق الإسلامية غير الشيعة الامامية القاهرة: مطبعة النهضة ، ١٩٩٥م ، ص ٢١.

(٣) الشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة , والشيعة أتباع الرجل وإنصاره. ينظر: ابن منظور, ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ,مادة (شيع) دار صادر , بيروت , ١٩٥٦ , ج ٨ , ص ١٨٨ – ١٨٩ ، مادة ((شيع))؛ الزمخشري , جار الله محمود بن عمر , الكشاف عن حقائق التنزيل , مطبعة دار المعارف, مصر ، ١٩٥٤ ، ج ٤, ص٤٨.

(٤) الأعظمي ، محمد حسن ، عبقرية الفاطميين ، منشورات دار مكتبة الحياة ،ص ١٨

(٥)الخوارزمي،أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت: ٤٤٠هـ/٨٥٦م)،تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في
العقل أو مرذولة،عالم الكتب، بيروت،ط٢، ١٤٠٣ هـ، ص٥٠.

(٦) سجز : بكسر أوّله، وسكون ثانيه، وآخره زاي ، اسم لسجستان البلد المعروف في أطراف خراسان ، ينظر : الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله
(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت :١٩٩٥ ، ج٣ ، ص١٨٩ .

(٧) السجستاني،الافتخار، تح: اسماعيل قربان حسين يونا والا،دار الغرب الاسلامي،٢٠٠، مقدمة المحقق، ص١١

(٨) السجستاني، نسبة إلى مقاطعة سجستان، وهي ناحية كبيرة، وولاية واسعة بينها وبين هراة عشرة ايام، أرض سجستان سبخة ورمال حارة، بها نخيل، ولا يقع بها الثلج، وهي أرض سهلة لا يرى فيها جبل، وأقرب جبال منها من ناحية فره، وتشتد رياحهم وتدوم على أنهم قد نصبوا عليها أرحية تدور بها وتنقل رمالهم من مكان إلى مكان ولولا أنهم يحتالون فيها لطمست على المدن والقرى، وبلغني أنهم

إذا أحبوا نقل الرمل من مكان إلى مكان من غير أن يقع على الأرض التي إلى جانب الرمل جمعوا حول الرمل مثل الحائط من حطب وشوك وغيرهما بقدر ما يعلو على ذلك الرمل وفتحوا إلى أسفله بابا فتدخله الريح فتطير الرمال إلى أعلاه مثل الزوبعة فيقع على مد البصر حيث لا يضرهم، وكانت مدينة سجستان قبل زرنج يقال لها رام شهرستان، وقد ذكرت في موضعها، وبسجستان نخل كثير وتمر، وفي رجالهم عظم خلق وجلادة ويمشون في أسواقهم وبأيديهم سيوف مشهورة، ويعتمون بثلاث عمائم وأربع كل واحدة لون ما بين أحمر وأصفر وأخضر وأبيض وغير ذلك من الألوان على قلانس لهم شبيهة بالمكوك ويلفونها لفا يظهر ألوان على قلانس لهم شبيهة بالمكوك ويلفونها لفا يظهر ألوان كل واحدة منها، وأكثر ما تكون هذه العمائم إبريسم طولها ثلاثة أذرع أو أربعة وتشبه الميانبندات، وهم فرس وليس بينهم من المذاهب غير الحنفية من الفقهاء إلا قليل نادر، ولا تخرج لهم امرأة من منزل أبدا وإن أرادت زيارة أهلها فبالليل، وبسجستان كثير من الخوارج يظهرون مذهبهم ولا يتحاشون منه ويفتخرون به عند المعاملة ينظر: اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، البلدان، وضع حواشيه ، محمد امين صناوي ، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م ، ص ١٠١ ؛ الحموي، معجم البلدان ، ج٤، ص ٤٩٢، السجستاني، الينابيع، ص ٤٦ ؛ حسن وشرف ، عبد الله المهدي، ص ٢٥١؛ كباشي، غنية ياسر، المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد،بغداد،٢٠٠٧، ص ٣٨٠.

(٩) السجستاني، الافتخار ، ص١١

(١٠) الخيسفوج في اللغة تعني حب القطن، ضرب من الشّجر يُتّخذ مِنْهُ العِساس والقِصاع و الاعروار. ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن

عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)،العين، تح: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،٢٠٠٨،ج٨، ص٢٢٨؛ الزهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠١م،ج٧، ص٢٧٠؛ ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، المخصص، تح: خليل ابراهيم جفال، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م،ج٣، ص٢٨٧.

(١١)دندان: الدن ما عظم من الرواقيد كهيئة الحب، إلا أنه طويل مستوى الصنعة في أسفله كهيئة قونس البيضة، والجميع الدنان دن وأدنن ودنان ودننة، الدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه عنه لأنه يخفيه، والهينمة نحو منها . ينظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)،العين: تح: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار الهجرة، ايران، ١٤٠٩هـ/١٩٨٥م،ج٨، ص٩؛ الزهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تح: حمد عوض مرعب، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠١م،ج١٤، ص٥١.

(١٢) السجستاني، الينابيع، المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر, بيروت، ١٩٦٥، ص ٤٦ مقدمة المحقق؛ مادلونج ، ويلفيرد، ابو يعقوب السجستاني وقوى العقل السبع، ترجمة: سيف الدين القصير، نشر ضمن كتاب الاسماعيليون في العصر الوسيط ، دمشق: دار المدى، ١٩٩٨م، ص ٩٣.

(١٣)مادلونج ، ابو يعقوب السجستاني ، ص ٩٣

(١٤) خراسان بلاد واسعة اول حدودها مما يلي العراق واخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنه وسجستان من اهم مدنها نيسابور وهراة ومرو اختلفت آراء المؤرخين في أصل تسميتها فقيل انها سميت نسبة الى خراسان بن سام ابن نوح وقيل ان خراسان كلمة مكونة من اسمين (خر) ومعناها الشمس و(سان) معناه

اصل الشيء وقيل: معناه كل سهل فتحت على يد عبد الله بن عامر بن كريز سنة (٣١هـ/ ٦٥١م) في ايام الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (٢٣هـ-٣٥ هـ/٦٤٥م-٦٥٥م). للمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص١٢٧؛ الاصطخري، ابو اسحاق بن ابراهيم بن محمد (هـ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢٢٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٠.

(١٥)السجستاني، الينابيع، ص ٤٦ مقدمة المحقق؛ للتفصيل انظر: مادلونج، ويلفيرد، ابو يعقوب السجستاني ، ص ٩٣ .

(١٦) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ات: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)،فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨،

(١٦) ص٣٨١؛ الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧١،ج٤، ص١٨٠ ؛ ابن اعثم الكوفي، ابو محمد احمد (ت: ٣١٤هـ/ ٦٢٦م)، الفتوح، تح: علي شيري، ط١، دار الاضواء، لبنان، ١٤١١هـ، ج٢، ص٣٣٩؛ ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) المنتظم في تواريخ الملوك والامم، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٥م ، ج٤، ص٣٢٧ .

(١٧) رستم : رستم فرخزاد هو قائد الجيش الفارسي في عهد آخر ملوك الدولة الساسانية

يزدجرد الثالث (٦٥١ هـ /٦٣٢م)أصله من أرمينيا، وكان يخدم ملك الفرس بإخلاص أرسل يزدجرد الثالث القائد رستم لقيادة الجيش الفارسي ليواجه جيوش

المسلمين التي كانت تخترق العراق تمهيداً لفتح بلاد فارس . ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٢٥١

(١٨) النسفي عبد اللّه بن أحمد النسفي البردغي، كان كبير دُعاة خراسان وتركستان، استطاع أن يدخل في المذهب الإسماعيلي الكثيرين، من أهل تلك البلاد، اشتهر في تعمّقه بدراسة فلسفة المذهب الإسماعيلي؛ ومن أشهر موَلفاته: كتاب المحصول يتألّف من ٤٠٠ صفحة جلّها في الفلسفة الإسماعيليّة، توفي هذا الداعي سنة ٣٣١هـ. ينظر: ابن النديم، ابو الفرج محمد بن بن اسحاق بن محمد (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٠م)،الفهرست، تح: ابراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٣٤؛غالب، مصطفى، اعلام الاسماعيلية ، دار اليقظة ، بيروت . لبنان ، ١٩٦٤م،ج٢ ، ص١٨٨.

(١٩) عارف، تامر : مقدمة كتاب الرياض ، دار الثقافة، بيروت،١٩٦٦م ، ص ١٠

(٢٠) السجستاني، الينابيع ، ص ٤٦

(٢١) الكرماني، الرياض، ص ١٠ ؛ حسن ابراهيم و طه احمد شرف ، عبد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ، مكتبة النهضة، مصر،١٩٨٠م، ص ٢٥٢

(٢٢) القاهر العباسي، هو ابو منصور محمد بن المعتضد بن طلحه بن المتوكل كانت مدة خلافته ثلاث سنين من سنة (٣١٩هـ/٩٣١م). إلى سنة (٣٢٢هـ/٩٣٤م) . ينظر: ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٣، ص٣٠٥؛ ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)،الكامل في التاريخ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م ،ج٦، ص٧٧٢؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، تاريخ الخلفاء ، اخرجه، احمد بن شعبان بن احمد ، ط١، القاهرة: مكتبة الصفا، ٢٠٠٥م ، ص ٢٨٦

(٢٣) الراضي، ابو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل بويع له يوم خلع القاهر كانت مدة خلافته سبع سنين من سنة (٣٢٢هـ/٩٣٤م إلى سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٣٣٥ ؛ ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٧١١ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص٢٨٩.

(٢٤) السجستاني ، الافتخار، ص ١٨١ – ص١٨٥

(٢٥) حسن ، عبد الله المهدي، ص ٢٥١؛ كباشي، غنية، المكونات ، ص ٣٥٨

(٢٦) احمد بن عبد الله الكرماني حميد الدين، ويلقب بحجة العراقيين، من دعاة الإسماعيلية وكتابهم، كان داعي الدعاة للحاكم الفاطمي في مصر، والمسؤول في أيامه عن الدعوة في المشرق، وهو يخالف غلاة الإسماعيلية الذين أصبحوا دروزا، ولد في القاهرة، ورحل إلى إيران سنة ٤٠٨ ومات فيها له (مجموعة رسائل – خ) تبلغ ١٣ رسالة أهمها الرسالة التاسعة واسمها (مباسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين). ينظر غالب، مصطفى،اعلام الاسماعيلية،ص٩٩؛ بدوي، اسماعيل، مذاهب الاسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١، ايلول ، ١٩٧٣م، ج٢، ص١٩٧؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص١٥٦

(٢٧) السجستاني، الافتخار، ص١٧٦.

(٢٨) حسن ، عبد الله المهدي، ص ٢٥١؛ كباشي ، المكونات الثقافية ، ص ٣٥٨.

(٢٩) الهمداني، جامع التواريخ ،ا لقاهرة:وزارة الثقافة و الارشاد القومي، ص١٢.؛ السجستاني، الافتخار ، مقدمة المحقق، ص١٣

(٣٠) حسن ، عبد الله المهدي، ص ٢٥١؛ كباشي ، المكونات الثقافية ، ص ٣٥٨.

[٣١] الزيادي ، ابو حسان الحسن بن عثمان (ت ٢٤٢هـ)، مقتطفات من كتاب التاريخ على السنين، تح : حسين البهادلي ، بيت الحكمة، بغداد: ٢٠٠٢ ، ص٢٩.

(٣٢) أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم، أبو العباس، المعتمد على الله: خليفة عباسي

ولد بسامراء، وولي الخلافة سنة ٢٥٦هـ بعد مقتل المهتدي بالله بيومين. وطالت أيام ملكه، وكانت مضطربة كثيرة العزل والتولية، بتدبير الموالي وغلبتهم عليه، فقام ولي عهده أخوه الموفق بالله (طلحة) فضبط الأمور، وصلحت الدولة وانكفت يد المعتمد عن كل عمل مات مسموما. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م)،المعارف، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٣٩٤؛ الطبري، تاريخ ،ج٩، ص٧٤٧.

[٣٣]صاحب الزنج: علي بن محمد بن احمد بن عيسى ن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) واكثر الناس يقدحون في هذا النسب لاسيما الطالبين ، واتفقوا على انه من عبد القيس وامه أسدية ، ولد في قرية ورزنين ينظر: الطبري، تأريخ ، ج٩، ص ٤١٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٢٠٥– ٢٠٦ .

(٣٤) الطبري، تاريخ ، ج٩، ص٤١٠ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص٢٧، ابن الاثير الكامل،ج٧، ص٢٠٦.

[٣٥] الموفق: محمد بن جعفر المتوكل ، ولد سنة ٢٢٩هـ، ولقب بالموفق بالله، توفي سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م) في بغداد وله سبع واربعون سنة . ينظر: الطبري، تاريخ ، ج١٠، ص ٢٠–٢١؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج٥، ص١٢١– ١٢٢ ؛ ابن الاثير، الكامل ، ج٧، ص٤٤١–٤٤٣.

(٣٦) الطبري، تاريخ ، ج٩، ص ٥٦٧ – ٥٧٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص٣٤٤ – ٣٥٠ ؛ فوزي، عمر، الخلافة في عصر الفوضى بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ١٥٢ .

(٣٧)أحمد بن طولون أبو العباس: الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور، تركي مستعرب، كان شجاعا جوادا حسن السيرة، يباشر الأمور بنفسه، موصوفا بالشدة على خصومه وكثرة الإثخان والفتك فيمن عصاه ، بنى الجامع المنسوب إليه في القاهرة ، ومن آثاره قلعة يافا (بفلسطين) كان أبوه مولى لنوح بن أسد الساماني (عامل بخارى وخراسان) وأهداه نوح في جملة من المماليك إلى المأمون، فرقاه المأمون وولد له أحمد (صاحب الترجمة) في سامراء فتفقه وتأدب وتقدم عند الخليفة المتوكل إلى أن ولي إمرة الثغور وإمرة دمشق ثم مصر سنة(٢٥٤هـ /٨٦٨م)وانتظم له أمرها مع ما ضم إليها. ووقعت له مع الموفق العباسي أمور، فرحل بجيش إلى أنطاكية فمرض فيها، فركب البحر إلى مصر، فتوفي بها ، يؤخذ عليه أنه كان حاد الخلق، سفك كثيرا من الدماء في مصر والشام . ينظر: الطبري ، تاريخ ،ج٩، ص٥٩٣؛المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦ هـ/٩٥٧م) ،التنبيه والاشراف، عني بتصحيحه مراجعته: د. عبدالله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي للنشر، القاهرة، ١٩٨٠م ، ص١٦٣؛ابن الجوزي،المنتظم،ج٤، ص٤٥١؛ الزركلي، الاعلام، ج١، ص١٤٠.

(٣٨) ابن الأثير، الكامل ج٦، ص٣٢٨ .

(٣٩) الزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ولم يجوّزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، الا انهم جوّزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الإمام الحسن (عليه السلام)

أو من أولاد الإمام الحسين (عليه السلام)، وكان من مذهبهم جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل . ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تح : محمد سيد كيلاني، ، دار المعرفة، بيروت ، ١٩٨٤م ، ج ١، ص ١٥٤– ١٥٥.

(٤٠) بفتح أوله وثانيه وكسر الراء، أوردت المصادر الجغرافية آراءً مختلفة لأصل كلمة طبرستان، فذكر ابن الفقيه أن طبرستان سميت بهذا الأسم لأن قوماً من جيلان دخلوها وكان بها شجر كثير، فكانوا لا يرون الأرض لكثرة الشجر وألتفافه. فقالوا: لو قطعنا هذا الشجر بالفؤوس ونزلناها وعمّرناها ففعلوا ذلك، فسميت البلاد حسب لغتهم طبرستان أي بلاد الفؤوس، لأن (طبر) بالفارسية الفأس، و(ستان) المكان. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، جـ٣،ص ٥٠١ .

(٤١) للتفاصيل عن دويلات المشرق ينظر : المشهداني ، تاريخ الدول الاسلامية في اسيا ، ص ٣٢–٤ ٩

القرامطة : سميوا القرامطة نسبة الى زعيمهم حمدان قرمط هو لقب رجل بسواد الكوفة ، وهو أول من نشر مذهب (٤٢) القرامطة ، ظهر بالكوفة سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م ، ثم انتقلت دعوتهم الى باقي اجزاء الجزيرة ومنها البحرين . ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٦١

(٤٣) حسن، ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٠٤

(٤٤) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥،ص١٣٦.

(٤٥) حسن، إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر ، ص١٢٧.

(٤٦)هو علي بن النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن القاضي النعمان الفقيه الاسماعيلي الذي كتب الفقه الاسماعيلي الفاطمي وأرخ للدولة الفاطمية . ينظر : كباشي ، المكونات ، ص ١٦٩ .

(٤٧) سرور، محمد، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي،(القاهرة: ١٩٧٨) ، ص ٢٣٠.

(٤٨)للتفصيل ينظر: حسن ، عبد الله المهدي ، ص ٢٥٢

(٤٩) السجستاني، أبو يعقوب اِسحق , اِثبات النبوءات ، تح: عارف تامر, ط٢ ، دار المشرق ،(بيروت : ١٩٨٦) , ص٦.

(٥٠) السجستاني، اِثبات النبوءات, ص١٢٣ .

(٥١) السجستاني، اِثبات النبوءات, ص ٣٨.

(٥٢) السجستاني، اِثبات النبوءات, ص ٣٩.

(٥٣) السجستاني، اِثبات النبوءات, ص ٣٩.

(٥٤) السجستاني، اِثبات النبوءات, ص ٣٩.

(٥٥) السجستاني، اِثبات النبوءات, ص ٤١.

(٥٦) السجستاني، اِثبات النبوءات, ص ٤٣.

(٥٧) السجستاني، اِثبات النبوءات, ص ٩١.

(٥٨) السجستاني، الينابيع,, ص ٥٨.

(٥٩) السجستاني، الينابيع, ص ٥٩.

(٦٠) السجستاني، الينابيع, ص ٦٢- ص٦٣.

(٦١)السجستاني، اِلافتخار، ص ١٦ – ص٣٣

(٦٢)السجستاني، الافتخار، ص ٧٧ –٧٨

(٦٣) ينظر: الكرماني، الاصلاح ، ص ١٠-١١

(٦٤) حسن ، عبد الله ، المهدي، ص ٢٥٣

(٦٥)السجستاني، الينابيع، ص ٤٧ ؛ حسن ، عبد الله ، المهدي، ص ٢٥٣

(٦٦) السجستاني، تحفة المستجيبين ، ص ١٧

[٦٧] حول هذه الرسالة ينظر، السجستاني، رسالة الاكسير، نسخة خطية مصورة ، ورقة ٢ ومابعدها

[٦٨] السجستاني ، الينابيع ، ص ٤٧

- **المصادر والمراجع**
- **-القران الكريم**

اولا: المصادر الاصيلة:

❖ **ابن الأثير،أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).**

١- الكامل في التاريخ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م

❖ **الاسترابادي النحوي ، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن .**

٢- شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق: محمد نور الحسين ومحمد الزقراق ، بلا.ت .

❖ **ابن اعثم الكوفي، ابو محمد احمد (ت: ٣١٤هـ/ ٦٢٦م).**

٣- الفتوح، تح: علي شيري، ط١، دار الاضواء، لبنان، ١٤١١هـ.

❖ **ابن القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف(ت: ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م)،**

٤- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، بيروت ،٢٠٠٥.

❖ الاصطخري، ابو اسحاق بن ابراهيم بن محمد (هـ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

٥- المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤.

❖ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ات: ٢٧٩هـ/٨٩٢م).

٦- فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨.

٧- أنساب الاشراف، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧.

❖ الخوارزمي،أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت: ٤٤٠هـ/١١٢٠م).

٨- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة،عالم الكتب، بيروت،ط٢، ١٤٠٣ هـ.

❖ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) .

٩- المنتظم في تواريخ الملوك والامم، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٥م.

❖ الحلي، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (٧٢٦ هـ/١٣٠١م)،

١٠- خلاصة الأقوال في معرفة الرجال،تح: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم،١٩٧٧م.

❖ ابن حسول، أبو العلاء محمد بن علي بن الحسن(ت٤٥٠هـ / ١٠٥٨م).

١١- تفضيل الأتراك على سائر الأجناد، باعتناء: عباس العزاوي، أسطنبول، ١٣٦٠هـ / ١٩٤٠م.

❖ البخاري، أبو نصر سهل بن عبدالله بن داود بن سليمان ابن أبان بن عبدالله (ت: ٣٤١ هـ/٨٦٩م) .

١٢- سر السلسلة العلوية، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٧٠م.

❖ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

١٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٨م.

❖ السجستاني، أبو يعقوب اِسحق .

١٤- اثبات النبوءات ، تحقيق عارف تامر,ط٢ ، دار المشرق بيروت ، لبناني.

١٥- الينابيع،دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠١م.

١٦- الافتخار، تح: اسماعيل قربان حسين يونا والا، دار الغرب الاسلامي،٢٠٠.

١٧- رسالة الاكسير، نسخة خطية مصورة في مكتبة القاهرة.

❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(٩١١ هـ/١٥٠٥م).

١٨- تاريخ الخلفاء ، اخرجه، احمد بن شعبان بن احمد ، ط١، القاهرة: مكتبة الصفا، ٢٠٠٥م.

❖ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر احمد (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م).

١٩- الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

❖ الازهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م).

٢٠- تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠١م

❖ الزمخشري , جار الله محمود بن عمر (٥٣٨ هـ/١١٨٧م).

٢١- الكشاف عن حقائق التنزيل , مطبعة دار المعارف, مصر ، ١٩٥٤.

❖ الزيادي ، أبو حسان الحسن بن عثمان (ت: ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م).

٢٢- مقتطفات من كتاب التاريخ على السنين، جمع وتحقيق: حسين البهادلي ، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢.

❖ الزركلي، خير الدين.

٢٣- الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

❖ الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

٢٤- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.

❖ ابن داود، تقى الدين الحسن بن على بن داود .

٢٥- الرجال لابن داود، ، منشورات الشريف الرضي، قم، بلا .ت .

❖ الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
٢٦- تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.
❖ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (١٠٨٩ هـ /١٦٧٨م).
٢٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م .
❖ ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت: ٥٨٠هـ/١١٨٤م).
٢٨- الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة،٢٠٠١.
❖ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت: ١٧٠هـ/٨٣٠م).
٢٩- العين، تح: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،٢٠٠٨.
❖ ابو الفرج الاصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد ابن الهيثم (المتوفى: ٣٥٦هـ/٦٤٧م).
٣٠- مقاتل الطالبيين، دار المعرفة، بيروت،١٩٩٨٠.
❖ ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م)،
٣١- المعارف، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

❖ القرطبي،عريب بن سعيد(٣٦٩هـ/١٦٧٠م).
٣٢- صلة تاريخ الطبري ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٧٠.
❖ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)
.
٣٣- التنبيه والاشراف، عني بتصحيحه مراجعته: د. عبدالله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي للنشر، القاهرة، ١٩٨٠م.
٣٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨م .
❖ ابن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري(ت: ٧١١هـ/١١٣٧م).
٣٥- لسان العرب ، دار صادر , بيروت , ١٩٥٦.
❖ مسكويه ، أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م) .
٣٦- تجارب الامم وتعاقب الهمم، تح: ابو القاسم امامي، ط٢، دار سروش ، ردمك،.
❖ مرعشي، ظهير الدين بن نصير الدين(ت٨٨١هـ / ١٤٧٦م).
٣٧- تاريخ طبرستان ورويان ومازندران ، تحقيق:عباس شايان، طهران، جابخانه فردوسي، ١٣٣٣هـ/١٩١٤م.
❖ ناصر خسرو ، أبو معين الدين ناصر (ت: ٤٨١هـ /١٠٨٨ م)
٣٨- سفر نامة، الهيئة المصرية،١٩٩٣.
❖ ابن النديم، ابو الفرج محمد بن بن اسحاق بن محمد (ت: ٣٨٥ هـ /٩٩٠م)،

٣٩- الفهرست، تح: ابراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.

❖ الهمداني، رشيد الدين فضل الله(ت:٣٨٤ هـ/٩٩٤م).

٤٠- جامع التواريخ ،ا لقاهرة:وزارة الثقافة و الارشاد القومي،١٩٧٧.

❖ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م).

٤١- البلدان، وضع حواشيه ، محمد امين صناوي ، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م .

❖ ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٤٢- معجم البلدان ، مطبعة بيروت ،١٩٥٧م .

❖ ابو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت: ١٨٢هـ/٧٩٨م),

٤٣- الخراج، تح: طه عبد الرؤوف سعد وسعد خميس محمد، مطبعة النهضة، القاهرة، ١٩٦٥م.

ثانيا: المراجع

❖ أمين،احمد .

44- ظهر الإسلام، نوابغ الفكر، مصر،١٩٨٨.

❖ احمد عبدالباقي.

45- معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، بيروت،١٩٩٣ .

❖ الأعظمي ، محمد حسن .

❖ 46- عبقرية الفاطميين ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٠.

❖ آدم، متز.

47- الحضارة الإسلامية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة،.

❖ الامين، السيد محسن،

48- دار المعارف، بيروت، ١٩٨٠.

❖ بدوي، اسماعيل.

49- مذاهب الاسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١، ايلول ، ١٩٧٣م.

❖ الباشا ، حسن.

50- دراسات في تأريخ الدولة العباسية ، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، ١٩٧٥.

❖ جعفريان، رسول.

٥١ - الشيعة في ايران، ترجمة: علي هاشم الأسدي، ط١،مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

❖ الجاف، حسين.

٥٢- الوجيز في تاريخ ايران، بيت الحكمة،٢٠٠٣.

❖ حيدر، محمد علي.

٥٣- الدويلات الإسلامية في المشرق، القاهرة، عالم الكتب، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

❖ حسن ابراهيم و طه احمد شرف .

٥٤- عبد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٨٠م.

❖ سرور، محمد.

٥٥- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨.

❖ فوزي، عمر،

٥٦- الخلافة في عصر الفوضى ، بغداد، ١٩٧٧.

❖ عبد العظيم ، محمود الديب.

٥٧- نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي، دار البشير،عمان، ١٩٩٤.

❖ غالب، مصطفى.

٥٨- اعلام الاسماعيلية ، دار اليقظة ، بيروت . لبنان ، ط١ ،١٩٦٤م.

❖ النجاشي، أبي العبّاس أحمد بن علي.

٥٩- رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ،١٩٨٠.

❖ الطهراني ، آغا بزرك .

٦٠- الذريعة الى تصانيف الشيعة ، دار الاضواء، بيروت، ١٩٨٣م.

❖ مصطفى، غالب .

٦١- تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر ، سوريا، دمشق ، ط١ ، ١٩٥٣م.

❖ كاشف الغطاء ،محمد حسين.

٦٢- اصل الشيعة،مؤسسة الامام علي عليه السلام، ١٩٩٦م.

❖ العميدي، ثامر هاشم.

٦٣- واقع التقية عند المذاهب والفرق الإسلامية غير الشيعة الامامية القاهرة: مطبعة النهضة ، ١٩٩٥م.

❖ مادلونج ، ويلفيرد.

٦٤- ابو يعقوب السجستاني وقوى العقل السبع، ترجمة: سيف الدين القصير، نشر ضمن كتاب الاسماعيليون في العصر الوسيط ، دمشق: دار المدى، ١٩٩٨م.

الرسائل الجامعية :

❖ كباشي، غنية ياسر.

٦٥- المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية ، ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد،بغداد،٢٠٠٧.

مرويات ابن حبان بشأن الغنيمة

د. ورقاء يونس

مرويات ابن حبان بشأن الغنيمة

د. ورقاء يونس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وشفيعنا يوم الدين سيدنا أبا القاسم محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين.

لا تخلو مدة من مدد التاريخ العربي الإسلامي بين الفينة والأخرى من ظهور بعض الشخصيات العلمية أو السياسية أو الإدارية أو الاقتصادية أو العسكرية، ويصبح لهذه الشخصية أو تلك دور فعال في تقدم الحضارة الإسلامية. ومن بين هؤلاء العلماء، الإمام العالم أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد البستي السجستاني (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).

تناول البحث ابن حبان ونشأته وحياته العلمية، حيث تناولت فيه اسمه ونسبة وكنيته، ومولده ونشأته وطلبه للعلم، حيث ولد ابن حبان في مدينة بست وهي إحدى مدن إقليم سجستان سنة بضع وسبعين ومائتين للهجرة. وقد أمضى ابن حبان طفولته وأوائل شبابه في مدينة بست، ثم غادرها إلا انه عاد أليها في آخر عمره، وتوفي فيها.

وذكرت في البحث شيوخه الذين اخذ عنهم علوم الحديث والفقه والعربية والطب والفلك. وتلاميذه الذين نهلوا من علمه. ومقتطفات من اقوال العلماء في مكانتة العلمية والثناء عليه.

وتضمن البحث آراء ابن حبان في الغنيمة حيث اتفق ابن حبان في كثير من آراءه التي أوردها في صحيحه بشأن الغنيمة مع آراء أكثر فقهاء المذاهب الإسلامية ولم يكن هناك إلا عددا قليلا ممن كان له رأي آخر. ولم يتحرج ابن حبان في أن

يعرض آراء غيره في مسألة ما. ولا عجب في ذلك فالكل ينهل من منبع واحد، هو كتاب الله وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم). وبذلك يكون كتاب "صحيح ابن حبان" في مقدمة المصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث فهو يعد كنز ثمين ومعين لا ينضب لمن يريد أن يدرس تجليات الفكر الاقتصادي الإسلامي.

ويأتي القرآن الكريم وكتب التفسير في مقدمة الكتب التي أعانتنا في هذا البحث، ومنها كتاب "جامع البيان عن تأويل أي القرآن" للطبري (ت٣١٠هـ) الذي أعاننا على تفسير الآيات التي استشهدنا بها وأوردها ابن حبان مع كتب الصحاح والأسانيد الأخرى. وكتاب "لباب التأويل في معالم التنزيل" للبغوي (ت٥١٠هـ).

وكتب الفقه والحديث التي لم يكن لي غنى عنها في كتابة هذا البحث وذلك لما حوته من معلومات قيمة بشأن الغنيمة. منها كتاب "الأم" للشافعي (ت٢٠٤هـ) ذو الأجزاء الثمانية. وكتاب "المحلى بالآثار" لابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ). وكتاب "المهذب في فقه الإمام الشافعي" للشيرازي (ت٤٧٦هـ).

ومن كتب الحديث التي رفدت هذا البحث بمعلومات قيمة كتاب "المسند" لابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ). وكتاب "صحيح البخاري" للبخاري (ت٢٥٦هـ).وكتاب "سنن أبي داود" لأبي داود (ت٢٧٥هـ).

ورفدت كتب الأموال هذا البحث بمعلومات قيمة لا غنى عنها. ويأتي في مقدمتها كتاب "الأموال" لأبي عبيد (ت٢٢٤هـ) الذي أسهب في عرض آراء الفقهاء والعلماء، ومن ثم كثيرا ما كان يبدي رأيه في المسألة التي يعرضها فيقول: (وعندي كذا وكذا...).

وأعانتني كتب الخراج في انجاز هذا البحث لما تضمنته من معلومات اقتصادية ومالية متنوعة وكثيرة. وفي مقدمة هذه الكتب كتاب "الخراج" لأبي يوسف (ت١٨٢هـ) الذي كثيرا ما كان يستشهد بما مورس فعلا في عصر الرسالة والراشدين،

مما يسبغ على مرويات أبي يوسف الثقة والمصداقية. وكتاب "الخراج" لابن ادم (ت ٢٠٣هـ).

اولا/ ابن حبان ونشأته:

. اسمه ونسبه وكنيته:

هو الامام العالم الفاضل المتقن المحقق الحافظ العلامة[١] ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد عدنان التميمي البستي السجستاني[٢] ، عرف بابن حبان، وكني بابي حاتم، فهو عربي الاصل، افغاني المولد والبلد[٣].

. مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد ابن حبان في مدينة "بست"[٤]، سنة بضع وسبعين ومائتين للهجرة[٥]، ولم تذكر المصادر سنة ولادته تحديدا، لكنها اتفقت على انه توفي سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م في عمر الثمانين، وبذلك تكون ولادته في حدود سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٨م او قريبا منها. وقد امضى ابن حبان طفولته واوائل شبابه في مدينة "بست"، ثم غادرها الا انه عاد اليها في اخر عمره، وتوفي فيها[٦].

لم يرد في المصادر التي بين ايدينا بداية تحرك ابن حبان في طلب العلم، وكيف كانت ؟، وهل كان ذلك باعتناء والده، او احد افراد اسرته، او احد اقاربه، ام لا؟. ولكن الذي يبدو انه طلب العلم بنفسه، وان عمره انذاك ينيف على العشرين عاما، يتضح ذلك من قول الامام الذهبي[٧]: "طلب العلم على راس الثلاث مئة". ورغم ان ابن حبان تاخر قليلا في طلب العلم، الا انه كما يبدو قد شمر عن ساعد الجد ما اطاق، وبذل همة عالية قربت اليه البلاد النائية

والمسافات البعيدة، فرحل الى اعاظم شيوخ وعلماء وقته في بلادهم كما سنرى، ليدرك الاسانيد العالية، فتطلب ذلك ان يرحل الى اكثر من اربعين بلدا من بلدان العالم الاسلامي، في رقعة واسعة من الارض[٨].وبلغ مجموع شيوخه في هذه الرحلة اكثر من الفي شيخ [٩].

. شيوخه وتلاميذه:

شيوخه:

وفق ابن حبان في رحلته الطويلة ايما توفيق، فقد اجتمع له من الشيوخ والروايات والاخبار الشيئ الكثير والعدد الوفير، وسأوردهم لبيان منزلة كل منهم، مرتبين بحسب سنوات وفاتهم وهم:

١. المحدث القاضي ابو محمد اسحاق[١٠] بن ابراهيم بن اسماعيل البستي، توفي حوالي (سنة ٣٠٠هـ). سمع ابن حبان منه ببست[١١].

٢. الامام الحافظ الرحال ابو علي الحسين بن ادريس بن مبارك بن الهيثم الانصاري الهروي (ت٣٠١هـ) الذي كان محدثا ثقة، له تاريخ كبير وتصانيف[١٢]. سمع ابن حبان منه بهراة[١٣].

٣. ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن العباس الهروي (ت ٣٠١هـ او ٣٠٢هـ/ ٩١٤م) ، الامام الحافظ المحدث الثقة، جمع وصنف[١٤].

٤. ابو العباس الشيباني: المحدث الحافظ الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز الشيباني الخراساني النسوي (ت٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، الذي كان محدث خراسان في عصره، مقدما في الثبت، والكثرة، والفهم، والفقه والادب[١٥]. من تصانيفه: "المسند الكبير"، و "الجامع"، و "المعجم"[١٦]. ويبدو ان صلة ابن حبان بشيخه هذا قوية لذلك قال: "حضرت دفنه في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاث مئة"[١٧].

٥. الامام الحافظ الحجة ابو اسحاق عمران بن موسى بن مجاشع الجرجاني (ت٣٠٥هـ/٩١٧م)، محدث جرجان في زمانه. من آثاره: "المسند" في الحديث،[١٨].

٦. ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه الازدي المطلبي النيسابوري المعروف بابن شيرويه (ت٣٠٥هـ/٩١٧م) الامام الحافظ الفقيه صاحب التصانيف[١٩]. سمع ابن حبان منه بنيسابور[٢٠].

٧. ابو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي البصري (ت٣٠٥هـ/٩١٧م)، الامام العلامة المحدث الاديب الاخباري الذي كان ثقة صادقا مأمونا اديبا فصيحا مفوها، رحل اليه طلبة العلم من الافاق[٢١]. سمع ابن حبان منه بالبصرة[٢٢].

٨. مسند بغداد ابو عبد الله احمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد البغدادي الصوفي الكبير (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) ، وثقه الخطيب البغدادي وغيره، وكان صاحب حديث واتقان[٢٣].

٩. الحافظ الحجة العلامة القاضي عبدالله بن احمد بن موسى بن زياد الجواليقي الاهوازي (ت٣٠٦هـ)، كان احد الحفاظ الاثبات، وصاحب التصانيف[٢٤]، قيل انه كان يحفظ مئة الف حديث[٢٥].

١٠. ابو يعلى الموصلي: هو الامام الحافظ الثقة المحدث، احمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي (ت٣٠٧هـ/٩١٩م) الذي انتهى اليه علو الاسناد، بحيث انه اصبح اعلى اسنادا من النسائي، ازدحم عليه طلاب الحديث، ومنهم ابن حبان، واجمعوا على ثقته ودينه[٢٦]. من تصانيفه: "المسند"، و "المعجم"[٢٧]. سمع ابن حبان منه بالموصل[٢٨].

١١. احمد التستري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): هو الامام الحجة المحدث البارع الثقة علم الحفاظ، شيخ الاسلام ابو جعفر احمد بن يحيى بن زهير التستري الزاهد، الذي جمع وصنف وعلل وصار يضرب به المثل في الحفظ[٢٩].

١٢. الحسين القطان (ت٣١٠هـ): هو المحدث الحافظ الثقة، ابو علي الحسين بن عبد الله بن يزيد بن الازرق القطان الرقي المعروف بالجصاص، رحال مصنف[٣٠]. سمع ابن حبان منه بالرقة[٣١].

١٣. شيخ عسقلان ابو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة بن زيادة بن طفيل اللخمي العسقلاني (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) الامام الثقة المحدث الكبير. كان ذا معرفة وصدق[٣٢]. سمع ابن حبان منه بالرملة[٣٣].

١٤. ابو محمد عبد الله بن محمد بن سلم بن حبيب المقدسي الفريابي الاصل (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) الذي كان عالما محدثا عابدا ثقة. وصف بالصلاح والدين[٣٤]. سمع ابن حبان منه ببيت المقدس[٣٥].

١٥. الامام الحافظ الحجة الفقيه ابو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي (ت٣١١هـ/٤٢٣هـ)، امام نيسابور في عصره، قال فيه ابن حبان[٣٦]: ما رأيت على وجه الارض من يحسن صناعة السنن، ويحفظ الفاظها الصحاح وزياداتها حتى كأن السنن كلها بين عينيه الا محمد بن اسحاق بن خزيمة فقط. وقال الذهبي[٣٧]: "صار يضرب به المثل في سعة العلم والاتقان"، ولقبه السبكي[٣٨] بـ "امام الائمة". ومصنفاته تزيد على مئة واربعين كتابا منها: "صحيح ابن خزيمة" الذي كان السابق الى تأليفه بعد البخاري ومسلم، وقد لزمه ابن حبان، ودرس على يديه الفقه، حتى انه حذا حذوه في طريقة استنباطه. سمع ابن حبان منه بنيسابور[٣٩].

١٦. ابو حفص عمر بن محمد بن بجير بن خازم بن راشد الهمذاني البجيري السمرقندي (ت٣١١هـ/٩٢٣م) الامام الحافظ الكبير المحدث الثبت الجوال[٤٠]، الذي وصفه الذهبي[٤١] بانه "كان من اوعية العلم". من آثاره: "المسند"، و "الصحيح"، وغيرها[٤٢]. سمع ابن حبان منه بالصغد بما وراء النهر[٤٣].

١٧. الحافظ ابو جعفر محمد بن احمد بن ابي عون النسوي الريائي (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) الذي كان محدثا ثقة[٤٤].

١٨. السراج الثقفي: (ت ٣١٣هـ/ ٩٢٥م): هو الامام الحافظ المسند المؤرخ الثقة ابو العباس محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن مهران السراج الثقفي مولاهم

الخراساني النيسابوري، محدث خراسان. من مؤلفاته: "المسند الكبير"، و "التأريخ" وغير ذلك[٤٥] . سمع ابن حبان منه بنيسابور[٤٦].

١٩. الحسين الحراني (ت ٣١٨هـ/٩٣٠م): هو ابو عروبة الحسين بن محمد بن ابي معشر مودود السلمي الحراني الجزري، الامام الحافظ المحدث المؤرخ ، مفتي اهل حران، ومصنف كتاب "الطبقات" وكتاب "تأريخ الجزيرة"[٤٧]. سمع منه ابن حبان بديار ربيعة[٤٨].

٢٠. محمد الرازي (ت٣٤٧هـ/٩٥٩م): ابو الحسين محمد بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن الجنيد الرازي، الامام المحدث الحافظ ، كان ثقة نبيلا مصنفا[٤٩]، قال الذهبي[٥٠]: "جمع وصنف وأرخ، وافنى عمره في الطلب". له مصنف في اخبار الشافعي[٥١].

٢١. ابو بكر عمر بن سعيد بن احمد بن سعد بن سنان الطائي المنبجي، الامام المحدث القدوة العابد[٥٢]. قال فيه ابن حبان[٥٣]: "كان قد صام النهار وقام الليل ثمانين سنة، غازيا مرابطا . رحمة الله عليه . ". وقال الذهبي[٥٤]: "لم اظفر له بوفاة". سمع ابن حبان منه بمنبج[٥٥].

. <u>تلاميذه والراوون عنه:</u>

تخرج على يد ابن حبان ونهل من علمه عدد كبير من افاضل العلماء وكبار الرواة وقرؤوا عليه واستجازوه في الرواية منهم:

١. النوقاتي (ت٣٨٢هـ): هو المحدث الحافظ الاديب ابو عمر محمد بن احمد بن محمد سليمان بن غيثة النوقاتي، من اهل سجستان (ونوقات محلة فيها)، صاحب التصانيف الكثيرة منها: "العتاب والاعتاب" و"اداب المسافرين" و"اخبار العشاق". كان يقرض الشعر[٥٦].

٢. الدارقطني (ت ٣٨٥هـ/٩٩٦م): هو الامام الحافظ ابو الحسن علي بن عمر بن احمد بن مهدي الدارقطني الشافعي، امام عصره في الحديث، واول من صنف

القرآت وعقد لها ابوابا. من تصانيفه: كتاب "السنن" و"العلل الواردة في الاحاديث النبوية" [٥٧].

٣. ابن منده (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٦م): الامام الحافظ محدث الاسلام ابو عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الاصفهاني[٥٨].

٤. ابو علي منصور بن عبد الله بن خالد بن احمد الذهلي الخالدي الهروي (ت٤٠١ او ٤٠٢هـ)، العلم الحافظ للحديث الرحال[٥٩]. كان ممن تتلمذ على يد ابن حبان وروى عنه[٦٠].

٥. الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ/١٠١٦م): هو ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه الضبي النيسابوري، الشهير بالحاكم[٦١]. من اكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. صنف كتبا كثيرة، منها:"المستدرك على الصحيحين" اربع مجلدات[٦٢]، و"تاريخ نيسابور"[٦٣] وغيرهما. وكان قد قرأ على شيخه ابن حبان جملة من مصنفاته[٦٤].

٦. ابو الحسن محمد بن احمد بن محمد بن هارون الزوزني المحدث، روى عن شيخه ابن حبان كتابه "التقاسيم"[٦٥]. وخلق كثير سواهم[٦٦].

. وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعطاء الثر والجهاد المتواصل، قضى جلها ابن حبان في الاسفار وطلب العلم، والاملاء والاستملاء والتصنيف، وتعرض فيها للامتحان والابتلاء، شاء الله له ان يرجع الى مسقط راسه بست، ليمضي فيها بقية حياته، ويوافيه اجله وهو بين اهله واصحابه وطلابه، وذلك ليلة الجمعة لثمان ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م، وهو في عمر الثمانين، فدفن بعد صلاة الجمعة في الصفة التي ابتناها قرب داره. قال ياقوت[٦٧]: "وقبره ببست معروف يزار الى الان".

ثانيا/ مكانته العلمية واراء العلماء فيه

. العلوم التي برع فيها ابن حبان:

ان مما يثير الاعجاب بابن حبان ما تميز به طوال رحلته وطلبه للعلم في همة لا يعتريها فتور، وحرص على اقتناص الفوائد، فلم يسترح قلمه عن كتابة ما تسمعه اذناه من الشيوخ، حتى جاوز في ذلك الحد احيانا[٦٨]، ففي هذا الصدد ذكر ياقوت الحموي[٦٩] ان ابن حبان كان يكتب كل ما يقوله ابن خزيمة (ت٣١١هـ) لانه كان قد لازمه مدة طويلة، وتتلمذ على يديه واستوعب تصانيفه.

ابدع ابن حبان في شتى العلوم والمعارف المعروفة في زمانه، على ان اعظم ما برع فيه، وغدا من اعلامه، علم الحديث فقد صار الامام الحافظ المجود العلامة الثقة الثبت المتقن المحقق[٧٠]. ومصنفات ابن حبان شاهد له على ثقافته الواسعة، وعقليته المبدعة، ورسوخ قدمه، وهذا ياقوت الحموي[٧١] يشهد بذلك، فيقول: "ومن تامل تصانيفه تأمل منصف، علم ان الرجل كان بحرا من العلوم"، اذ "اخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره". وقد عكست مؤلفاته هذه علو قدره، وسمو شأنه، وطول باعه، حتى صارت كما قال ياقوت[٧٢]: "عدة لاصحاب الحديث".

وتبحر في علم الفقه حتى صار من كبار فقهاء الشافعية[٧٣]، واهله تمكنه فيه ان يكون قاضيا ماهرا، اذ كان لا يلي القضاء انذاك الا من كان مطلعا حاذقا ممتلئا بعلم الفقه، فتولى القضاء في: مدينة نسا، وسمرقند، وبخارى وغيرها، ولعل هذا . كما قال بعضهم . ما اثار حفيظة بعض فقهاء الحنفية الذين كانوا يعدون وظيفة القضاء وقفا عليهم في تلك الديار، فجرت بينه وبينهم تجاذبات وخصومات، حملت ابن حبان لان يتحامل مضطرا على شيخهم ابي حنيفة، فألف في مناقبه ومثالبه، وهو غير محق في هذا العمل، اذ الاولى به ان يكظم غيظه، فلا يأخذ احدا بذنب غيره، وابو حنيفة ذاك الامام الجليل القدر، من طبق علمه الافاق[٧٤].

وكان ابن حبان بارعا في علم اللغة العربية ايضا، حتى سبر غورها، وادرك مقاصد الفاظها واسرار تراكيبها، ما مكنه ان يستنبط المسائل والاحكام الشرعية من ايات القران الكريم والسنة النبوية، وكثيرا ما كان يمهد لاستنباطه بذكر القاعدة اللغوية

المتعارف عليها عند العرب، كقوله: "العرب تذكر الشيئ في لغتها بعدد معلوم ولا تريد بذكرها ذلك العدد نفيا عما وراءه"[٧٥] وقوله: "العرب في لغتها تطلق اسم النهاية على بدايتها، واسم البداية على نهايتها"[٧٦]، وغير ذلك مما دونه في كتابه "التقاسيم والانواع" المعروف باسم "صحيح ابن حبان"، مما يدل على مدى تعمقه في فهم اللغة العربية، واتقانه لاسرارها، وحقيقتها ومجازها، واستعاراتها.

وفضلا عن ذلك يلاحظ ان عقلية ابن حبان تأثرت بعلم الكلام حتى تلون به فكره واسلوبه وتفسيراته واستنتاجاته، وما طريقة ترتيب كتابه حسب التقاسيم والانواع الا نتيجة من نتائج تأثره بعلم الكلام[٧٧].

واطلع على شيئ من علم الطب والفلك، ويظهر انه بلغ فيهما رتبة جيدة[٧٨]، كما اطلع على علوم اخرى ما جعل الحافظ ابن حجر[٧٩] يقول: "كان صاحب فنون، وذكاء مفرط، وحفظ واسع الى الغاية". مما وفر له النظر والتشخيص فأصبحت اراؤه وطروحاته موضع دراسة وتمثل وبناء فكري ناضج فحاز على شروط ومتطلبات العالم بتفوق.

. اراء العلماء في ابن حبان وثناؤهم عليه:

ان هذه السيرة الحميدة والفضل الباهر لابن حبان وما تميز به من سعة العلم وتفقه في الدين وتقوى دفعت كثير من العلماء وافاضل الناس لمدحة والثناء عليه، ومن ضمن هؤلاء:

ابو سعد عبد الرحمن بن احمد الادريسي الذي قال: "ابو حاتم البستي كان من الفقهاء والحفاظ المشهورين، عالما بالطب والنجوم وفنون العلوم الف المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب المشهورة في كل فن وفقه الناس بسمرقند ثم تحول الى بست"[٨٠].

ونقل لنا ياقوت الحموي[٨١] قول عبد الله بن محمد الاسترابادي: "ابو حاتم بن حبان البستي كان على قضاء سمرقند مدة طويلة، ومن الفقهاء والحفاظ المشهورين، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم".

في حين قال تلميذه الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك: "ان ابا حاتم البستي القاضي كان من اوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال، صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق اليه"[٨٢].

ونقل الذهبي[٨٣] عن الخطيب البغدادي قوله: "وكان ابن حبان ثقة نبيلا فهما".

وقال ياقوت الحموي[٨٤] في معجم البلدان: "وكان ابن حبان مكثرا من الحديث والرحلة والشيوخ عالما بالمتون والاسانيد اخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم ان الرجل بحرا من العلوم".

وقال ابن الاثير في حق ابن حبان[٨٥]: "امام عصره له تصانيف لم يسبق اليها".

ووصفه الامام الذهبي[٨٦]: "الامام، العلامة، الحافظ، المجود، شيخ خراسان".

"وكان عارفا بالطب والنجوم، وعلم الكلام والفقه، رأسا في معرفة الحديث"[٨٧].

وقال الصفدي[٨٨]: "كان ابن حبان من الفقهاء والحفاظ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم".

وقال ابن كثير[٨٩]: "محمد بن حبان صاحب (الانواع والتقاسيم) واحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين".

وقال ابن حجر العسقلاني[٩٠]: "كان ابن حبان من ائمة زمانه وطلب الحديث على رأس سنة ثلاث مئة".

واضاف ابن حجر العسقلاني[٩١]: "وكان عارفا بالطب والنجوم والكلام والفقه رأسا في معرفة الحديث"

ووصفه[٩٢] بأنه كان "صاحب فنون وذكاء مفرط وحفظ واسع الى الغاية".

وقال في حقه ابن العماد الحنبلي[٩٣]: "كان حافظا ثبتا اماما حجة، احد اوعية العلم في الحديث والفقه واللغة والوعظ والطب والنجوم وعلم الكلام. ولي قضاء سمرقند، ثم قضاء نسا، وغاب دهرا عن وطنه، ثم عاد الى بست وتوفي فيها سنة ٣٥٤هـ".

ثالثا/ اراءه في الغنيمة:

- **الغنيمة لغة واصطلاحا:**

الغنيمة في اللغة: مأخوذة من غنمت الشيء اغنمه غنما اصبته غنيمة ومغنما والجمع الغنائم[٩٤]. قال ابن ادم[٩٥]: "الغنيمة ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه". وقال الفيروزابادي[٩٦]: اخذت لفظة الغنيمة من الغنم، وهو ما يؤول على المسلمين من اموال وكراع وسلاح عنوة وحربا. والغنيمة كما يراها ابن منظور[٩٧]: مأخوذة من غنم الشيء غنما: أي فاز به او استأثر به. ويرى ابن الاثير الشيباني[٩٨]: ان الغنيمة والمغنم شيء واحد، وان كلا اللفظتين تشيران الى مضمون واحد. وفي ضوء ذلك يتضح ان لفظة الغنيمة تعني كل ما يناله الشخص او الجماعة بسعي ما، سواء أكان هذا السعي مجهود قتالي، ام شكل اخر مما يؤدي الى حيازت مال[٩٩].

اما اصطلاحا: عرفها بعض الفقهاء بانها: اسم لما يؤخذ من الكفار على وجه القهر والغلبة[١٠٠]. في حين عرفها فقهاء اخرون هي: ما اخذ من الكفار بالقتال وايجاف الخيل والركاب. والايجاف: هو الاعمال، وقيل الاسراع[١٠١]. ويرى الطوسي[١٠٢] ان الغنيمة: كل ما اخذ بالسيف من اهل دار الحرب الذين امر الله تعالى بقتالهم من الاموال والسلاح والكراع والمماليك وغيرها مما يحويه عسكر العدو ومما لم يحوه. الا ان ابن قدامة[١٠٣] يرى ان الغنيمة: ما اخذ منهم قهرا بالقتال، واشتقاقها من الغنم، وهو الفائدة.

. مشروعية اخذ اموال الغنيمة:

الاصل في مشروعية اخذ اموال الغنيمة ما جاء في القران الكريم، ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١٠٤]. اوضحت هذه الاية مشروعية اخذ اموال الغنيمة وطريقة تقسيمها بين من اسهم في الحصول عليها، اذ تقسم الغنيمة خمسة اخماس، اربعة اخماسها لمن قاتل عليها، والخمس الباقي يوزع لخمسة اصناف كما ذكر الله عز وجل: للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[١٠٥]. واتفق العلماء ان سورة الانفال نزلت بعد معركة بدر ٢هـ/ ٦٢٤م، وان غنائم بدر لم تخمس[١٠٦]. وكان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) يوزع الخمس على وفق مضمون الاية الكريمة رقم (٤١) من سورة الانفال[١٠٧].

. قسمة الغنيمة:

استهل ابن حبان حديثه عن قسمة الغنيمة، بان اورد قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾[١٠٨]. وفي ضوء ذلك يرى ابن حبان بان غنائم الحرب فيها الخمس[١٠٩] مستندا على ما ورد في هذه الاية. وقد وافقه في ذلك علماء المسلمين[١١٠].

وفيما يعمل في الغنائم اذا غنمها المسلمون قال ابن حبان[١١١]: كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اذا اصاب مغنما، امر بلال بن رباح، فنادى في الناس، فيجيئ الناس بغنائمهم، فيخمسه ويقسم الخمس لمن سماهم الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ

وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[١١٢]. وانقسم رأي العلماء الى ثلاثة اقوال في مسألة تقسيم الخمس، فمنهم من يرى ان الخمس يقسم الى خمسة اسهم كما قسم في عهد رسول (صلى الله عليه واله وسلم) سهم لله ورسوله، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل[١١٣]. وايد هذا التوجه صاحب "كفاية الاخيار" الذي قال: "ويقسم الخمس على خمسة اسهم، سهم لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ويصرف بعده للمصالح، وسهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابناء السبيل ... وصدر بذكر الله تعالى تبركا، وقيل ليعلم انه ليس مختصا بالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) اختصاصا يسقط بموته ..."[١١٤]. فيما اشارت روايات اخرى الى ان الخمس يقسم الى ثلاثة اسهم: سهم لليتامى، واخر للمساكين، وسهم لابن السبيل. وذكر الله تعالى في الاية للبركة، وسهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قد سقط بموته، لانه كان يأخذ بوصف الرسالة لا بوصف الامامة، وكذلك سهم ذوي القربى لانهم كانوا يستحقونه زمن الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) بالنصرة له وبعد وفاته بالفقر لانقطاع النصرة[١١٥]. وفريق ثالث من العلماء يرى ان القسمة في الغنيمة مفوضا امرها الى الامام، يفعل ما يراه مصلحة للامة[١١٦].

ثم يقسم اربعة اخماس الغنيمة بين المقاتلين الذين اسهموا في المعركة[١١٧]. يكون للراجل سهما واحدا، وللفارس ثلاثة اسهم، سهما له، وسهمين لفرسه[١١٨]. وهذ قول اكثر اهل العلم من اصحاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم)[١١٩] وهذا الرأي المرجح والمؤيد من الامام مالك[١٢٠] ، وابي يوسف[١٢١]، وابن ادم[١٢٢] ، والشافعي[١٢٣] ، واحمد بن حنبل[١٢٤] وابن حزم[١٢٥]. وفي هذا الصدد قال ابو حنيفة [١٢٦]: يعطى للفارس سهمين، سهم له وسهم لفرسه. وهذا رأي الطوسي[١٢٧] ايضا. بينما اشارت مرويات ابن حبان عن عبد الله بن عمر، ان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) جعل للفرس سهمين، وللفارس سهما

واحدا[١٢٨]. وجاءت رواية ابن حبان هذه متفقة مع ما اورده ابو يوسف[١٢٩]، ويحيى بن ادم[١٣٠]، وابو عبيد[١٣١]، وقدامة بن جعفر الكاتب[١٣٢]، وغيرهم.

ويرى ان قبل الاسلام كانت الغنائم توضع فتأتيها نار فتأكلها، فقد روى ابو هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): ان نبيا من الانبياء غزا بأصحابه، فقال: لا يتبعني رجل بنى دارا لم يسكنها او تزوج امرأة لم يدخل بها، او له حاجة في الرجوع، قال: فلقي العدو عند غيبوبة الشمس، فقال: اللهم انها مأمورة، واني مأمور، فأحبسها علي، حتى تقضي بيني وبينهم، فحبس الله عليه، ففتح الله له فجمعوا الغنائم، فلم تأكلها النار، وكانوا اذا غنموا غنيمة بعث الله عليها النار، فأكلتها، فقال لهم نبيهم: ان فيكم غلولا، فليأتني من كل قبيلة رجل، فليبايعني، فأتوه فبايعوه فلزقت يد رجلين منهم بيده، فقال: انكما غللتما، فقالا: اجل صورة رأس بقرة من ذهب، فجاءا بها، فألقياها في الغنائم، فبعث الله النار فأكلتها، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عند ذاك ان الله اطعمنا الغنائم رحمة رحمنا بها، وتخفيفا خففه عنا لما علم من ضعفنا[١٣٣].

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، انه قال: "لم تحل الغنائم لاحد سود الرؤوس قبلكم، كانت تنزل من السماء نار فتأكلها، فلما كان يوم بدر وقع الناس في الغنائم، فانزل الله تعالى: "لولا كتاب من الله سبق لمسكم، فيما اخذتم عذاب عظيم"[١٣٤][١٣٥] . واورد قدامة بن جعفر الكاتب[١٣٦] رواية عن ابي ذر الغفاري مؤداها ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اخبره عشية معركة بدر قائلا: "احلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي".

وفيما يتعلق بالمدد الذي يلحق بالجيش المحارب، فقد اورد ابن حبان رواية عن الوليد بن مسلم[١٣٧]، قال: سألت ابا عمرو الاوزاعي (ت١٥٧هـ) عن سهام من لم يشهد الفتح والقتال من المدد فقال: لا يسهمون ألا ترى الى الطائفتين تدخلان من درب واحد او دربين مختلفين فتغنم احداهما ولا تغنم الاخرى واحداهما قوة للاخرى فلا

تشرك احداهما الاخرى غنما جميعا او غنم احدهما بذلك مضى الامر فيهم[١٣٨].

وروى ابو هريرة، قال: ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعث سرية قبل نجد، عليها ابان بن سعيد بن العاص، فقدم على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعد فتح خيبر، فقلت يارسول الله، لا تقسم لهم ! فقال: فغضب ابان. فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "مهلا ياابان"، وابى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ان يقسم لهم شيئا[١٣٩]. الا ان رواية اخرى تشير ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اعطى من غنائم خيبر لوفد الدوسريين وفيهم ابو هريرة، ووفد الاشعريين، اذ رأى ان يكون لهؤلاء نصيب من الغنيمة، لكنه لم يشأ ان يبت في هذا الامر الا بعد ان يستطلع رأي الصحابة الذين اسهموا في هذا الفتح، فوجد استجابة تامة منهم وعندئذ اشرك هؤلاء القادمين في غنيمة خيبر[١٤٠].

والمهم في الامر ان ابن حبان قال[١٤١]: الجيش اذا فتح موضعا من مواضع اعداء الله ثم لحق بهم جيش اخر من المسلمين بعد فراغهم من فتحهم يجب ان تقسم الغنائم بين الجيش الذي كان الفتح قد تم على ايديهم، فيسهم للفارس ثلاثة اسهم، سهمان لفرسه وسهم له ويسهم للراجل سهما واحدا ولا يسهم لمن اتى بعد الفتح مما غنموا شيئا الا ان يكون الجيش الذي لحق بالجيش الاول كان مددا لهم فاذا كان كذلك كانوا كأنهما جيش واحد اصلهم واحد ويكون مددهم عند الحاجة اليهم فحينئذ يسهم لهم كلهم.

وفي هذه المسألة يرى الامام مالك (ت١٧٩هـ) الذي نقل لنا وجهة نظره ابن عبد البر[١٤٢] الذي قال: ان المدد اذا حضر بعد انقضاء الحرب فلا حق له في الغنيمة. واتفق معه في ذلك الشافعي (ت٢٠٤هـ)[١٤٣] الذي قال: فان جاء المدد للمسلمين قبل ان تنقطع الحرب فحضروا من الحرب شيئا قل او كثر اشركوا في الغنيمة، وان كان قدومهم بعد انتهاء الحرب وبان النصر المؤزر للمسلمين، فلا يكون لهم نصيب من الغنيمة. وهذا ايضا رأي الامام احمد[١٤٤]، وكذلك رأي البغوي[١٤٥]

الذي قال في شرح السنة: الغنيمة انما يستحقها من شهد الوقعة على قصد الجهاد سواء قاتل، او لم يقاتل، فاما من حضر بعد انقضاء الحرب، فلا حق له فيها. وروي عن ابي بكر وعمر (رضي الله عنهما) انهما قالا: الغنيمة لمن شهد الوقعة. بينما ذهب ابو حنيفة[١٤٦] الى ان المدد اذا لحقوا بعد انقضاء الحرب اسهم لهم.

واورد ابن حبان عن ابي موسى الاشعري[١٤٧]، قال: قدمنا على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعدما فتحت خيبر بثلاث ايام فاسهم لنا ولم يسهم لاحد لم يشهد الفتح غيرنا[١٤٨]. قال ابن حبان[١٤٩]: واما اسهام المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم) للاشعريين بعدما فتح خيبر كان ذلك من خمس خمسه الذي فتحه الله عليه ليستميل بذلك قلوبهم وهذا لا يعني انهم اعطوا من مغانم خيبر حيث لم يشهدوا فتحها. وبذلك يكون ابن حبان قد انفرد في هذا الرأي الذي يبدو انه ادق واقرب الى الصواب من غيره.

ويرى ابن حبان انه يستحب للامام اعطاء المؤلفة قلوبهم من خمس خمسه، معللا ذلك بما روي عن صفوان بن امية[١٥٠] انه قال: لقد اعطاني رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يوم حنين من الغنيمة وانه لمن ابغض الناس الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي[١٥١].

وتأسيسا على ذلك اصبح يجوز للامام ان يسهم للموالي من خمس خمسه اذا شهدوا الحرب والقتال. وحجة ابن حبان في ذلك ما رواه عمير مولى آبي اللحم[١٥٢]، قال: شهدت حنين وانا عبد مملوك، فقلت يارسول الله سهمي فأعطاني سيفا، وقال: تقلده، واعطاني من خرثي[١٥٣] المتاع[١٥٤]. ويبدو ان عطاء عمير كان من باب الرضخ الذي تناولناه بهذه الدراسة في مكان اخر.

وفي ضوء ذلك ذهب فقهاء الحنفية[١٥٥] والشافعية[١٥٦] والحنابلة[١٥٧] الى ان العبيد لا يسهم لهم، ولكن يرضخ[١٥٨] لهم حسب ما يراه الامام اذا قاتلو. ولا يشترط الحنفية والشافعية لاعطاء الرضخ للعبد اذن السيد، فيعطى له الرضخ اذا حضر

الوقعة وان لم يأذن له سيده[١٥٩]. وذهب الحنابلة الى انه اذا غزا العبد بغير اذن سيده لم يرضخ له ولا لفرسه لعصيانه[١٦٠]. ويرى المالكية على المشهور انه لا يرضخ للعبيد كما لا يسهم لهم[١٦١].

ويرى ابن حبان بان ما غنم المسلمون من اموال اهل الحرب يخمس خلا ما يؤكل لقوتهم مستشهدا بما رواه عبد الله بن عمر، قال: ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وجه جيشا فغنموا طعاما وعسلا فلم يخمسه النبي (صلى الله عليه واله وسلم)[١٦٢]. وردت هذه الرواية عند ابي داود[١٦٣]، والطبراني[١٦٤]، والهيثمي[١٦٥].

ومرويات ابن حبان تشير الى ان الاراضي المغنومة مقسومة كالمنقول، انطلاقا من قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "ايما قرية عصت الله ورسوله فان خمسها لله ولرسوله ثم هي لكم"[١٦٦]. وبذلك يكون ابن حبان قد اتفق في هذه المسألة مع الامام الشافعي[١٦٧] الذي قال: كل ما حصل مما غنم من اهل دار الحرب من شيء قل او كثر من دار او ارض وغير ذلك من مال او سبي قسم كله بين المقاتلين فان طابت نفوس جميع اهل العسكر على تركها اوقفها الامام حينئذ للمسلمين والا فلا. وايدهما في ذلك ابن حزم[١٦٨]، وذهب ابو حنيفة[١٦٩] الى ان الامام في الاراضي المغنومة مخير بين ان يقسمها بين الغانمين، وبين ان يمن بها على الكفار فيردها عليهم، كما فعل النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بدور مكة، وبين ان يقفها، كما فعل عمر (رضي الله عنه) باراضي سواد العراق. وعلق البغوي[١٧٠] على هذا القول: ونحن نقول: مكة فتحت صلحا، فلم تكن اراضيها مغنومة، وسواد العراق وقفها عمر بطيب انفس الفاتحين اعطاهم عليها عوضا، فتركوا حقوقهم فوقفها. وقال مالك[١٧١]: توقف الارض ولا تقسم ولا تكون ملكا لاحد. وايده في ذلك الطوسي[١٧٢] الذي قال: ان الارض التي اخذت عنوة بخيل وركاب فهي موقوفة متروكة في يد من يعمرها ويحييها ويقوم عليها على ما يصالحم الوالي على قدر

طاقتهم من الخراج النصف او الثلث او الثلثان، وعلى قدر ما يكون لهم صالحا ولا يضر بهم.

الخاتمة

كرس هذا البحث لدراسة آراء ابن حبان بشأن الغنيمة في كتابه (صحيح ابن حبان)، فتناولت حياة هذا العالم الكبير، فتبين انها كانت حافلة بالعلم والعطاء والفضل والفضيلة. وخلص هذا البحث إلى إن:

. ابن حبان كان يعرض آراءه بشأن الغيمة مدعومة بأحاديث نبوية مسندة ومخرجة ومعززة بحوادث تاريخية موثقة بكتب الحديث والفقه أو كتب التاريخ العام أو كتب الخراج أو كتب الأموال.

. كان ابن حبان يعرض الأحاديث النبوية الشريفة بسندها ومتنها، وكثيرا ما يورد أكثر من رواية للحديث الواحد.

. ولوحظ إن ابن حبان كان أحيانا يحاجج مخالفيه في أحكام بعض الأمور الخاصة بمسألة الغنيمة ويعطيهم البرهان على صواب رأيه مدعوما بالكتاب والسنة. ولا غرابة في ذلك لان كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم) هي المنبع العذب الذي يستقي منه ابن حبان آراءه وأحكامه.

الهوامش:

(١)ابن حبان، ابو حاتم محمد بن حبان (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، مقدمة صحيح ابن حبان، ترتيب وتبويب: الامير علاء الدين الفارسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م) ، ج١، ص٧؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، (بيروت، دار احياء التراث العربي،

١٩٩٦م)، ج١، ص٤١٥؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تذكرة الحفاظ، (بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٧٥)، ج٣، ص٩٢٠؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين(ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، (مصر، مطبعة هجر، ١٩٥٢م)، ج٣، ص١٣٥.

(٢)ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن(٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م)، ج٥٢، ص٢٥١؛ ابن نقطة، ابو بكر محمد بن عبد الغني(ت٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)، صص٦٤ . ٦٥ ؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، اللباب في تهذيب الانساب، (بيروت، دار صادر، د.ت)،ج١،ص١٥١.

(٣)القفطي، جمال الدين علي بن يوسف(ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، انباه الرواة على انباه النحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٧٣م)، ج٣، ص١٢٢؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك(ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، (بيروت، دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٢٣٦؛ الاسنوي، عبد الرحيم الاسنوي(ت٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية، (بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٧م)، ج١، ص٤١٨.

(٤)بست: مدينة بين سجستان وهراة من اعمال كابل. (ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٢٨).

(٥)الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ج١٦، ص٩٣؛ العراقي، ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين (ت٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م)، طرح التثريب في شرح التقريب، (بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت)، ج١، ص١٠٢؛

الهيتمي، احمد بن محمد (ت٩٧٤هـ/ ١٥٦٨م)، المنهاج القويم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ص٣١.

(٦)ينظر: ابن الاثير،ابو الحسن علي بن ابي الكرم (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ)، ج٧، ص٢٥٩؛ ابن الصلاح، ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن(ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، طبقات الفقهاء الشافعية، (بيروت، دار البشائر الاسلامية، ١٩٩٢)، ج١، ص١١٧. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٢هـ)، ج٣، ص٥٠٦.

(٧)ميزان الاعتدال، ج٣، ص٥٠٦.

(٨)ابن حبان، مقدمة صحيح ابن حبان، ج١، ص١٠. (ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٨).

(٩)ابن حبان، صحيح ابن حبان ، ج١، ص١٥٢.

(١٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٨، ص١٠١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص١٤٠.

(١١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٥.

(١٢) ابن ماكولا، ابو نصر علي بن هبة الله (ت٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م) الاكمال، (القاهرة، دار الكتاب العربي، د.ت)، ج٢، ص٤٥٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ج١١٣؛ البغدادي، اسماعيل باشا بن محمد (ت١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (استانبول، ١٩٤٥م)، ج١، ص٣٠٤.

(١٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٥، ص٣٩٦.

(١٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٦٩٧؛ سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص١١٤.

(١٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص١٥٨. ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد(ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، (دمشق، دار الفكر، د.ت)، ج٥، ص٢٣٦٩؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص١٩٨.

(١٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٣، ص٩٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص١٥٩؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، (دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٥٧م)، ج٣، ص٢٢٨.

(١٧) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص١٥٩.

(١٨) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٦٧١؛ سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص١٣٦.

(١٩) ابن نقطة، التقييد، ص٣١٩؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٧٠٥؛ سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص١٦٦.

(٢٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٥.

(٢١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٦٧٠؛ وسير اعلام النبلاء، ج١١، ص٦.

(٢٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٦.

(٢٣) ابن ابي يعلى، ابو الحسين محمد بن محمد(ت٥٢٦هـ/ ١١٣٠م)، طبقات الحنابلة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٣٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص١٥٢.

(٢٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٧، ص٥١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، صص١٦٨. ١٧٣.

(٢٥) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص١٦٩؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٣٠٢.

(٢٦) ابن حبان، الثقات،ج٨، ص٥٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص١٥٨؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، طبقات الحفاظ، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، ج١، ص٣٠٧.

(٢٧) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١١، ص١٠٧؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص١٧.

(٢٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٦.

(٢٩) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٧٥٧؛ سير اعلام النبلاء، ج١١، ص٥٦٧

(٣٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٤، ص٩٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٧، ص٢١٩؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، ص٢٥.

(٣١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٦.

(٣٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٢، ص٣١٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٩٢.

(٣٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٦.

(٣٤) السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ/ ١١٧٦م)، الانساب، (بيروت، دار الجنان، ١٤٠٨هـ)، ج٤، ص٣٧٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٢، ص١٩٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٠٦..

(٣٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٥.

(٣٦) ابن حبان، ابو حاتم محمد بن حبان (٣٥٤هـ)، الثقات، (حيدر اباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ)، ج٩، ص١٥٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٥ .

(٣٧) سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٦٥.

(٣٨) طبقات الشافعية، ج٣، ص١٠٩.

(٣٩) ابن حبان، مقدمة صحيح ابن حبان، ج١، ص١٤.

(٤٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٥؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٢٠٧.

(٤١) سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٠٢.

(٤٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٥، ص٣١٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٠٢.

(٤٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٥.

(٤٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١١، ص٢٦٦.

(٤٥) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (بيروت، دار صادر، ١٣٥٨هـ)، ج١٣، ص٢٥٢؛ ابن الجزري، ابو الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، (بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج٢، ص٩٧.

(٤٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٥.

(٤٧) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٧٧٤؛ وسير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٥١٠؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، ص٦٠.

(٤٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٦.

(٤٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٣، ص٣٣٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص١٧؛ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، طبقات الشافعيين، (المملكة العربية السعودية، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٣م)، ص٢٦٣.

(٥٠) سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص١٨.

(٥١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١، ص١٦.

(٥٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٢٣، ص٢٢٩؛ سير اعلام النبلاء، ج١١، ص١٧٩.

(٥٣) نقل لنا قوله الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١١، ص١٧٩.

(٥٤) المصدر نفسه، ج١١، ص١٧٩.

(٥٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٦.

(٥٦) ينظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج٥، ص٢٣٤٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٧، ص١٤٤.

(٥٧)ينظر: ابن الاثير، ابو السعادات المبارك بن محمد(ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، جامع الاصول من احاديث الرسول، (القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٣م)، ج١٢، ص٧١٤؛ ابن نقطة، ابو بكر محمد بن عبد الغني (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)، اكمال الاكمال، (مكة المكرمة، جامعة ام القرى، ١٤هـ)، ج١، ص٩٩.

(٥٨)ابن الاثير، جامع الاصول، ج١٢، ص٤١٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦، صص٤٤٩ . ٤٦١.

(٥٩)ينظر: ابن حجر، ابو الفضل احمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) لسان الميزان، (بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ)، ج٥، ص٧٠؛ الزركلي، خير الدين بن محمد، الاعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م)، ج٦، ص٢٩.

(٦٠)الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ج١٥، ص٩٧؛ ابن الاثير، اللباب، ج١،

ص٤١٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٧، صص١١٤ . ١١٥ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٦.

(٦١)ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام الاشعري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ)، صص٢٢٧ . ٢٣١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٧، ص١٦٢.

(٦٢)ابن عساكر، التبيين، ص٢٢٨؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٧، ص١٦٢.

(٦٣)طبقات الشافعية، ج٣، ص٦٤.

(٦٤)السمعاني، الانساب، ج١، ص٣٤٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٧، ص١٦٣.

(٦٥)الذهبي، المشتبه في الرجال اسمائهم وانسابهم، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٦٢م)، ج١، ص٥١؛ ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله (ت٨٤٢هـ/ ١٤٦٤م)، توضيح المشتبه، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ج١، ص٣٧٣.

(٦٦)ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، صص٤١٦ . ٤١٧.

(٦٧)معجم البلدان، ج١، ص٤١٨.

(٦٨)ابن حبان، مقدمة صحيح ابن حبان، ج١، ص١٧.

(٦٩)ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٩.

(٧٠)الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٩٢٠؛ وسير اعلام النبلاء، ج١٦، ص٩٢.

(٧١)معجم البلدان، ج١، ص٤١٤.

(٧٢)المصدر نفسه، ج١، ص٤١٥ .

(٧٣)ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٥ ؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ص١٣١.

(٧٤)ابن حبان، مقدمة صحيح ابن حبان، ج١، ص١٨.

(٧٥)المصدر نفسه ، ج١، ص٣٧٥.

(٧٦)المصدر نفسه، ج١٥، ص٤٨.

(٧٧) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف (المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م)، ج١، ص١١٥.

(٧٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٨؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٩٠؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ص١٣٢.

(٧٩) ابن حجر، لسان الميزان، ج٥، ص١١٥.

(٨٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٨).

(٨١) المصدر نفسه، ج١، ص٤١٨.

(٨٢) ينظر: السمعاني، الانساب، ج١، ص٣٤٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج١، ص٤١٧.

(٨٣) سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص٩٤. (ينظر: ابن العماد، عبد الحي الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، (بيروت، المكتب التجاري، ١٩٨٨م)، ج٢، ص١٦).

(٨٤) معجم البلدان، ج١، ص٤١٧.

(٨٥) اللباب، ج١، ص١٥١.

(٨٦) سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص٩٢.

(٨٧) ميزان الاعتدال، ج٣، ص٥٠٦. (ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج١، ص٤١٧).

(٨٨) الوافي بالوفيات، ج٢، ص٢٣٤.

(٨٩) البداية والنهاية، ج١١، ص٢٩٣.

(٩٠) لسان الميزان، ج٥، ص١١٢.

(٩١) المصدر نفسه ، ج٥، ص١١٢.

(٩٢) المصدر نفسه، ج٥، ص١١٤.

(٩٣) شذرات الذهب، ج٢، ص١٦.

(٩٤) الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/ ١١٧٤م)، المفردات في غريب القران، (دمشق، دار القلم، ١٤١٢م)، ص٨٢٠؛ الفيومي، احمد بن محمد، المصباح المنير، (بيروت، المكتبة العلمية، د.ت)، ج٢، ص٤٥٥؛ الفيروز ابادي، ابو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص١١٤٣.

(٩٥) ابن ادم، يحيى بن ادم القرشي (ت٢٠٣هـ/ ٨١٩م)، الخراج، (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م)، ص١٧.

(٩٦) القاموس المحيط، ج٤، ص١٥٨ (مادة غنم).

(٩٧) ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١م/ ١٣١١م)، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ)، ج١، ص١٣٣ (مادة غنم).

(٩٨) الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٧٤م)، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٠م)، ج٣، صص٣٨٩– ٣٩٠.

(٩٩) الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٧٤م)، الخلاف، (قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٧م)، ج٢، ص٣٨٢؛ القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٣م)، الجامع لاحكام القران،

(القاهرة ، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج٨، صص١ – ٢.

(١٠٠) الموصلي، ابو الفضل عبد الله بن محمود (ت٦٨٣هـ)، الاختيار لتعليل المختار، (القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، ج٣، ص٨١.

(١٠١) الشافعي، ابو عبد الله محمد بن ادريس (ت٢٠٤هـ/ ٨١٢م)، الام، (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ج٤، ص١٣٩؛ الشيرازي، ابو اسحاق ابراهيم بن علي (ت٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)، التنبيه في الفقه الشافعي، (بيروت، عالم الكتب، د.ت)، ص٢٣٥.

(١٠٢) النهاية، ص١٩٦. (ينظر: النووي، يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، غريب الفاظ التنبيه، (دمشق، دار العلم، ١٤٠٨هـ)، ج١، ص٣١٧).

(١٠٣) ابن قدامة، ابو محمد عبد الله بن احمد، (مصر، دار المنار، ١٣٦٧م)، المغني، ج٦، ص٣١٢.

(١٠٤) سورة الانفال، اية ٤١ .

(١٠٥) البغوي، ابو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ/ ١١٣٢م)، لباب التأويل في معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر واخرين، (المملكة العربية السعودية، دار طيبة، ١٣١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج٣، ص٣٥٧؛ المراغي، احمد بن مصطفى (ت١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)، ج١٠، ص٣.

(١٠٦) ابو عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/ ٨٤٠م)، الاموال، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)، صص٣١٥ و ٣٢٦؛ الطبري، ابو جعفر

محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٣٢م)، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج٢، ص٤٥٨.

(١٠٧) ينظر: ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢هـ/ ٧٩٩م)، الخراج، (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م)، ص١١٦؛ ابن هشام، ابو محمد عبد الملك بن هشام (ت٢١٣هـ/ ٨٣٤م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، صص٢٤٢ – ٢٤٣؛ ابو عبيد، الاموال، صص٢٠ – ٢١.

(١٠٨) سورة الانفال، اية ٤١ . (ينظر: ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١١، ص١٣١).

(١٠٩) الخمس: اسم لحق في المال (الغنائم والمتاجر والمناكح وما يجري مجراها) يجب للامام. (ينظر: القطيفي، الفاضل، السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج، (قم، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٣هـ)، ص٤٧؛ النجفي، محمد حسن (ت١٢٦٦هـ هـ)، جواهر الكلام، (قم، مطبعة خورشيد، ١٣٦٥هـ)، ص١٤٦؛ الانصاري، مرتضى (ت ١٢٨١هـ)، الخمس، (قم، مطبعة باقري، ١٤١٥هـ)، ج١١، ص٢١.

(١١٠) ابو يوسف، الخراج، ص18؛ ابن ادم، الخراج، ص91؛ ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد (٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، المحلى بالاثار، (مصر، ادارة الطباعة المنيرية،١٣٩٤م) ج٧، ص٣٢٧؛ الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، (القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٦م)، ص١٣٩؛ الطوسي، الخلاف، ج٢، ص٣٢٨.

(١١١) صحيح ابن حبان، ج١١، ص١٣٨. (ينظر: ابو داود، السنن، ج٣، ص٦٨؛ الحاكم، المستدرك، ج٢، ص١٣٨؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٦، ص٥٢٧؛ الهيثمي، موارد الظمان، ص٤٠١).

(١١٢) سورة الانفال، اية ٤١.

(١١٣) الشيرازي، التنبيه، ص٢٣٥؛ ابن قدامة، ابو محمد عبد الله بن احمد (ت٦٢٠هـ/١٢٢٤م)، عمدة الفقه، تحقيق: احمد محمد عزوز، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٢٤٤؛ المقدسي، ابو الفرج عبد الرحمن بن محمد (ت٦٨٢هـ/ ١٣٠٤م)، الشرح الكبير على متن المقنع، (بيروت، دار الكتاب، د.ت)، ج١٠، ص٤٩٢.

(١١٤) الحسيني، كفاية الاخيار، ص٥٠٦.

(١١٥) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٧، ص١٢٥؛ الموصلي، الاختيار، ج٥، ص٧٦؛ البابرتي، العناية، ج٥، ص٥٠٣.

(١١٦) ينظر: ابن عبد البر، الكافي، ج١، ص٤٧٨؛ ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج١، ص٣٥٦؛ ابن رشد الحفيد، ابو الوليد محمد بن احمد(ت٥٩٥هـ/ ١١٩٩م)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (بيروت، دار الفكر، د.ت)، ج٢، ص١٥٣).

(١١٧) الشافعي، الام، ج٤، ص١٤٥؛ الطوسي، النهاية، ص١٩٨؛ الشيرازي، المهذب، ج٣، ص٢٩٦.

(١١٨) ابن حبان، صحيح ابن حبان ، ج١١، ص١٤٣.

(١١٩) البغوي، شرح السنة، ج١١، صص١٠١ . ١٠٢.

(١٢٠) المدونة، ج١، ص٥١٨؛ المالكي، المعونة، ج١، ص٤٠٢؛ داماد افندي، عبد الرحمن بن محمد (ت١٠٧٨هـ/ ١٧٠٠م)، مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر، بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت)، ج١، ص٦٤٥.

(١٢١) الخراج، ص٢٩. (ينظر: الشيباني، ابو عبد الله محمد بن الحسن (ت١٨٩هـ/ ٨١١م)، الاصل المعروف بالمبسوط، تحقيق: ابو الوفا الافغاني، (كراتشي، ادارة القران والعلوم الاسلامية، د.ت)، ج٢، ص١٧٨؛ والسير؛ تحقيق: مجيد خدوري، (بيروت، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٥م)، ص١١٢).

(١٢٢) الخراج، ص١٨.

(١٢٣) الام، ج٤، ص٦٩. (ينظر: السرخسي، المبسوط، ج١٠، ص٤١؛ المرغيناني، الهداية، ج٢، ص٣٨٨؛ الشربيني، الاقناع، ج٢، ص٥٦٤؛ البجيرمي، سليمان بن محمد (ت١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م)، تحفة الحبيب على شرح الخطيب، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج٤، ص٢٦٧).

(١٢٤) الخرقي، ابو القاسم عمر بن الحسين (ت٣٣٤هـ/ ٩٥٦م)، مختصر الخرقي، تحقيق، (طنطا. مصر، دار الصحابة للتراث، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص٩٦؛ ابن قدامة، المغني، ج٩، ص٢٤٨؛ الحجاوي، الاقناع، ج٢، ص٢٨.

(١٢٥) المحلى، ج٥، ص٣٩٣.

(١٢٦) السرخسي، المبسوط، ج١٠، ص٤١؛ السمناني، ابو القاسم علي بن محمد (ت٤٩٩هـ/ ١١٢١م)، روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق:صلاح الدين الناهي، (بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٧٣م)، ج٣، ص٢٥٤؛ الكاساني، بدائع الصنائع، ج٧، ص١٢٦؛ المرغيناني، متن بداية المبتدي في فقه الامام ابي حنيفة، (القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح، د.ت).

(١٢٧) النهاية، ص٢٩٥؛ والخلاف، ج٢، ص٣٣٣.

(١٢٨) ابن حبان، صحيح ابن حبان ، ج١١، ص١٤٣.

(١٢٩) الخراج، صص١٨ و ١٩.

(١٣٠) الخراج، ص١٧.

(١٣١) الاموال، ص٣٣٦ وما بعدها.

(١٣٢) الخراج، ص٢٣٧.

(١٣٣) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١١، ص١٣٥. (ينظر: النسائي، السنن الكبرى، ج٨، ص١٤٤؛ الطحاوي، شرح مشكل الاثار، ج٣، ص٩٦؛ الحاكم، المستدرك، ج٢، ص١٥١).

(١٣٤) سورة الانفال، اية ٤١ .

(١٣٥) ابو يوسف، الخراج، ص٢٨؛ ابو عبيد، الاموال، ص٣١٧؛ المالكي، المعونة، ج١، ص٣٩٦؛ ابن حزم، المحلى، ج٧، ص٣٣٧؛ الطوسي، الخلاف، ج٢، ص٣٣٣؛ ابن قدامة، المغني، ج٦، ص٣١٣.

(١٣٦) الخراج، ص٢٣٥ وما بعدها.

(١٣٧) ابو العباس الوليد بن مسلم الاموي بالولاء الدمشقي (ت١٩٥هـ): عالم الشام في عصره، من حفاظ الحديث. له ٧٠ تصنيفا في الحديث، منها: (السنن)، و (المغازي). (ينظر: الزركلي، الاعلام، ج٨، ص١٢٢).

(١٣٨) ابن حبان، صحيح ابن حبان ، ج١١، ص١٤٣.(ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص١٣٨؛ ابو داود، السنن، ج٣، ص٧٣؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٦، ص٣٣٤).

(١٣٩) ابن حبان، صحيح ابن حبان ، ص١٤٢. (ينظر: الطيالسي، المسند، ج٤، ص٣١٦؛ البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص١٣٨؛ ابو داود، السنن، ج٣، ص٧٣؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٦، ص٥٤٣).

(١٤٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٧٨؛ قدامة، الخراج، ص٢٥٨.

(١٤١) صحيح ابن حبان ، ج١١، ص١٤٣.

(١٤٢) الكافي، ج١، ص٤٧٥. (ينظر: المالكي، المعونة، ج١، ص٣٩٩؛ ابن جزي، القوانين الفقهية، ص١٠٠).

(١٤٣) الام، ج٤، ص١٥٣. (ينظر: الشيرازي، المجموع، ج١٩، ص٣٦٤؛ والمهذب، ج٣، ص٢٩٩؛ الانصاري، الغرر البهية، ج٤، ص٦٦؛ الشربيني، الاقناع، ج٢، ص٥٦٣).

(١٤٤) ابن قدامة، الكافي، ج٤، ص١٤٧.

(١٤٥) البغوي، شرح السنة، ج١١، صص٩٧ . ٩٨.

(١٤٦) الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/ ١١١٢م)، الوسيط في المذهب، تحقيق: احمد محمود ابراهيم ومحمد محمد تامر، (القاهرة، دار السلام، ١٤١٧هـ)، ج٤، ص٥٤٢؛ البغوي، شرح السنة ، ج١١، ص٩٧ ؛الكاساني، بدائع الصنائع، ج٧، ص١٢١.

(١٤٧) ابو موسى عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب الاشعري القحطاني (ت٤٤هـ): صحابي من الشجعان الولاة الفاتحين، واحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد عشية حرب صفين. ولد في زبيد (باليمن). قدم مكة عند ظهور الاسلام، فأسلم، وهاجر الى ارض الحبشة، ثم استعمله رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) على زبيد وعدن. وفي سنة ١٧هـ ولاه عمر بن الخطاب البصرة، فأفتتح اصفهان والاهواز، ولما ولي عثمان اقره عليها، ثم عزله، فأنتقل الى الكوفة، فطلب اهلها من عثمان توليته عليهم فولاه، فأقام بها الى ان قتل عثمان، فأقره الامام علي (عليه السلام) الذي ما لبث ان عزله، فرجع الى الكوفة، فتوفي فيها. (ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ج١،

ص٤٤٢؛ ابن حجر، الاصابة، ج٤، ص١٨١؛ الزركلي، الاعلام، ج٤، ص١١٤).

(١٤٨) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١١، ص١٤١. (ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص١٣٨؛ الترمذي، السنن، ج٤، ص١٢٨؛ ابو يعلى، المسند، ج١٣، ص٢٠٦). سبق ان مر معنا قدوم وفد الدوسريين والاشعريين ومعهم ابو موسى الاشعري.

(١٤٩) صحيح ابن حبان، ج١١، ص١٤٣.

(١٥٠) ابو وهب صفوان بن امية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي المكي (ت٤١هـ): صحابي، فصيح جواد. كان من قريش في الجاهلية والاسلام. اسلم بعد الفتح. وكان من المؤلفة قلوبهم. شهد اليرموك، ومات بمكة. له في كتب الحديث ١٣ حديثا. (ينظر: الزركلي، الاعلام، ج٣، ص٢٠٥).

(١٥١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١١، صص١٥٨ . ١٥٩.(ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص٧٣٧؛ الترمذي، السنن، ج٣، ص٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٩٠؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٧، ص٣٠). (والذي نريد ان نشير اليه هنا ان ما اعطي لصفوان بن امية وغيره هم من المؤلفة قلوبهم، فأتخذ هذا الاجراء كي يألفهم على الاسلام).

(١٥٢) آبو اللحم: الشاعر عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله الغفاري الكناني (ت٨هـ)، الذي كان شريفا في الجاهلية والاسلام، ومن قدماء الصحابة وكبارهم. عرف بآبي اللحم، لانه كان يأبى ان يأكله. وقيل: لامتناعه عن اكل ما ذبح على الانصاب. شهد وقعة حنين مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، واستشهد بها. (ينظر: الزركلي، الاعلام، ج٤، ص١٠٠).

(١٥٣) الخرثي: اردأ المتاع والغنائم. (ابن ماجة، السنن، ج٢، ص٩٥٢).

(١٥٤) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١١، ص١٦٢. (ينظر: ابن ماجة، السنن، ج٢، ص٩٥٢؛ ابو داود، السنن، ج٣، ص٧٥؛ الترمذي، السنن، ج٤، ص١٢٧؛ ابن ابي شيبه، المسند، ج٢، ص٢٨٣؛ ابن حنبل، المسند، ج٣٦، ص٢٧٠).

(١٥٥) السرخسي، المبسوط، ج٢، ص٢١٢؛ السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٣٠٠؛ البغوي، شرح السنة، ج١١، ص١٠٤؛ الكاساني، بدائع الصنائع، ج٧، ص١٢٦؛ المرغيناني، الهداية، ج٢، ص٣٩٠؛ ومتن بداية المبتدي، ص١١٧؛ الموصلي، الاختيار، ج٤، ص١٣٠.

(١٥٦) الشافعي، الام، ج٤، ص١٧٦؛ الماوردي، الحاوي، ج١٤، ص١٦٣؛ الشيرازي، المهذب، ج٣، ص٢٩٨؛ النووي، ابو زكريا يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، (بيروت، المكتب الاسلامي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ج٦، ص٣٧٠.

(١٥٧) ابن قدامة، عمدة الفقه، ص١٤٣؛ والمغني، ج٨، ص٤١٠.

(١٥٨) الرضخ: العطية القليلة. (ينظر: الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصري (ت١٧٠هـ/ ٧٩٢م)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، د.م)، ج٤، ص١٧٦؛ المرسي، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت٤٥٨هـ/ ١٠٨٠م)، المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٥، ص٤١).

(١٥٩) ابن عابدين، رد المحتار، ج٣، ص٢٣٥؛ الرملي، نهاية المحتاج، ج٦، ص١٤٨.

(١٦٠) المرداوي، ابو الحسن علي بن سليمان الحنبلي (ت٨٨٥هـ/ ١٥٠٧م)، الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف، (بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت)، ج٤، ص١٦٥؛ البهوتي، كشاف القناع، ج٣، ص٨٧؛ الحجاوي، الاقناع، ج٢، ص٢٦.

(١٦١) مالك، المدونة الكبرى، ص٥١٩؛ ابن البراذعي، ابو سعيد خلف بن محمد المالكي (ت ٣٧٢هـ/ ٩٨٥م)، التهذيب في اختصار المدونة، تحقيق: محمد الامين بن محمد سالم، (دبي، دار البحوث للدراسات الاسلامية واحياء التراث، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج٢، ص٦٨؛ ابن رشد ، ابو الوليد محمد بن احمد القرطبي (ت٥٢٠هـ/ ١١٤٢م)، البيان والتحصيل، تحقيق: محمد حجي واخرون، (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٢، ص٥٥٥.

(١٦٢) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١١، ص١٥٧.

(١٦٣) السنن، ج٣، ص٦٥.

(١٦٤) المعجم الكبير، ج١٢، ص٣٦٩.

(١٦٥) موارد الظمآن، ص٤٠٢.

(١٦٦) ابن حبان، صحيح ابن حبان ، ج١١، ص١٥٧.

(ينظر: ابو داود، السنن، ج٣، ص١٦٦؛ الصنعاني، المصنف، ج٦، ص١٠٤؛ ابن حنبل، المسند، ج١٣، ص٥٣٠؛ مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص٣٧٦؛ ابن حزم، المحلى، ج٥، ص٤١١).

(١٦٧) الام، ج٤، ص١٢٥١. (ينظر: ابن حزم، المحلى، ج٥، ص٤٠٨؛ العمراني، البيان، ج١٢، ص٣٣٦؛ الزيلعي، تبيين الحقائق، ج٣، ص٢٤٨).

(١٦٨) المحلى، ج٥، ص٤٠٨.

(١٦٩) السرخسي، المبسوط، ج١٠، ص٣٧؛ البغوي، شرح السنة، ج١١، ص٩٥. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٧، ص١١٩؛ ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد، ج٢، ص٣٩٦.

(١٧٠) شرح السنة، ج١١، ص٩٥.

(١٧١) نقل لنا رأيه ابن حزم، المحلى، ج٥، ص٤٠٨.

(١٧٢) الطوسي، تهذيب الاحكام، ج٤، ص١٣٠.

الري والزراعة في خراسان

م.د.نعمة شكر محمود الجبوري

وزارة التربية
المديرية العامة لتربية
بغداد الكرخ / ٣

الري والزراعة في خراسان

م.د. نعمة شكر محمود الجبوري

المقدمة

إن الأنسان الذي يعيش على سطح هذه الكرة الأرضية بحاجة إلى قوت توفره له الأرض عندما يزرعها، والأنهار والبحار عندما يبحث فيها عن مصادر قوته، عندها تدخل الزراعة بأنواعها وفروعها، وما تتأثر به من مناخ، وما يهطل عليها من أمطار، وما تحتاج إليه من مياه جوفية وسطحية كالأنهار والبحيرات، وما يحيط بها من محيطات وبحار، تساعد الأنسان من تبادل السلع في المجتمع، أو شراء حاجاته أو بيع منتجاته، فتكون الدراسة الاقتصادية واجبة.

ولا بد من الإشارة إلى أن ما تمتعت به خراسان من موارد اقتصادية كبيرة كل ذلك ساعد على رخاء اقتصادي متميز ظهر على نحو واضح فيها، فأستحقت خراسان المكانة الاقتصادية المرموقة التي وصلت إليها إبان مدة البحث.

من هنا جاءت هذه الدراسة تحت عنوان الري والزراعة في خراسان، وكان لابد من البدء بمدخل لمعرفة: معنى خراسان، وحدودها، وتقسيماتها الأدارية، ثم جعلنا هذه الدراسة في أربعة مباحث:

المبحث الأول: الري والزراعة في نيسابور.

المبحث الثاني: الري والزراعة في مرو.

المبحث الثالث: الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر.

المبحث الرابع: الري والزراعة في بلخ.

وقد أشتمل كل مبحث من هذه المباحث الآنفة الذكر على مطلبين: المطلب الأول الموارد المائية في ذلك الربع من أرباع خراسان، والمطلب الثاني الزراعة لكل ربع من أرباع خراسان.

وختمت هذه الدراسة بقائمة بأهم المصادر الهامة التاريخية والجغرافية، التي عاش أصحابها في بلاد المشرق الإسلامي خلال مدة الدراسة، وكذلك استعنت بعدد من المراجع والأبحاث التي تناول أصحابها جوانب من الحياة الاقتصادية، فأضاءت العديد من هذه الجوانب، وكانت دراساتهم مرجعاً لنا.

مدخل التعريف بخراسان

(معناها، وحدودها، وتقسيماتها الأدارية)

اختلف البلدانيون في أصل معنى كلمة خراسان فمنهم من أعادها إلى أحد أولاد سام بن نوح، وآخرون عزو التسمية إلى خيراتها الكثيرة، وذهب آخرون إلى كونها مطلع الشمس.

فابن الفقيه (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م) [١]، الذي تزامنت حياته وعطاؤه العلمي مع الاطار الزمني الذي يتناوله هذا البحث، يرجح أصل التسمية إلى خراسان بن عالم بن سام بن نوح، ويؤكد أن "خراسان وهيطل ابنا عالم بن سام بن نوح لما تبلبلت الألسن في يوم واحد، فنزلوا بلادهم التي هي تسمى بهم إلى اليوم، فأما هيطل فولده من وراء نهر بلخ، وتسمى تلك البلاد الهياطلة، وبقي خراسان من هذا الجانب".

ويرى آخرون أن الكلمة تتألف من شطرين فـ"خر" معناها "كُل" أما "أسان" فتعني "سهل" أو "بلا تعب"، وبهذا تصبح "كُل بلا تعب"[٢]، الأمر الذي ينطبق على خيرات خراسان الكثيرة كما ستوضحه الصفحات التالية، إلا أن هناك رأياً ثالثاً فيه كثير من الصواب ويرجح على سابقيه، بل أن العديد من البلدانيين يتفقون على أن "خر" تعني "الشمس" بالفارسية، وأما "أسان" فهي موضع الشيء ومكانه، فيصبح المعنى "مكان الشمس" أو "مطلع الشمس"[٣].

ومثلما أختلف اللغويون والبلدانيون في أصل تسمية خراسان اختلفوا بحدودها، وهذا التأطير الجغرافي يدخل به الجانب السياسي، فالجغرافيون العرب حددوا اقليم خراسان من جهة الشرق باقليم سجستان والهند، ومن غربها صحراء الغز وجرجان، ومن شمالها بلاد ما وراء النهر، ومن الجنوب صحراء فارس وقومس إلى نواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري وقزوين(٤).

وقسّم عدد من البلدانيين القدامى المعمورة على أقاليم، فوضعوا خراسان ضمن الإقليم الرابع وفي الربع الأول من ربع المشرق الذي يمثل ربع المملكة(٥)، وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك وعد خراسان* اسماً يشمل كل بلدان العجم، فقد أشار ابن حبان البستي(٦) (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م) إلى ذلك صراحة: "أما خراسان فهو اسم يقع على بلدان العجم جملة وإن كان كل ناحية منها لها اسم منفصل تعرف به، لأن كل بلد الغالب على أهل الرطانة فهو داخل في جملة خراسان".

ولا بد من الإشارة إلى أن إقليم خراسان ضم تضاريساً مختلفة ففيه سهول واسعة غمرته أنهار كثيرة، ولهذا فهي سهول غنية بمواردها الطبيعية وتنوع منتجاتها الزراعية، وفي شمالها الشرقي مناطق رعوية تمتد عبر الأراضي الصينية والروسية، وهذا وحده جعلها مركزاً للاحتكاك التجاري والحضاري، فاسهمت في نشر الإسلام حتى وصل إلى حوض الفولغا وهضبة التبت. كما أن توافر الموارد الزراعية اسهم في استقرار السكان وإقامة المدن والقرى، ومن ثم ازدهار التجارة جراء وفرة الإنتاج الزراعي فضلاً عن وجود مراكز صناعية عديدة في مرو وهراة ونيسابور، وكل تلك العوامل جعلت من مدن خراسان وأرباعها، تضم قوة عسكرية عدت الأكثر ضمن إقليم المشرق ركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم(٧).

ويبدو أن لخراسان مكانة سياسية واقتصادية سبقت وصول الإسلام إليها، إذ قسمت إدارياً أبان العصر الساساني على أربعة أقسام إدارية، وحكم كل قسم منها مرزبان، وحكم أولئك المرازبة اصبهبذ يقال له "باذوسبان"، فهناك ربع يتبع مرزبان

مرو الشاهجان وأعمالها، وربع آخر إلى مرزبان بلخ وطخارستان، وثالث مرزبان لهراة وبوشنج وباذغيس وسجستان، ورابع لمرزبان ما وراء النهر بخارى والشاش والصغد[٨].

وبقي التقسيم الإداري لخراسان في القرنين الأول والثاني الهجري على ما هو عليه، فعندما فتحها العرب المسلمون على يد عبدالله بن عامر أبقاها أرباعاً، نيسابور ومرو وهراة وبلخ[٩]. ويبدو أن الظروف والأحوال التي رافقت تكوين الدولة الإسلامية هي التي حتمت على أولي الأمر التركيز على توسيع رقعة الدولة وحماية حدودها وضبط الأمن فيها، فضلاً عن تنظيم علاقتها بالخلافة ولا سيما في الأمور المالية والإدارية، والأهم من ذلك ما فرضته تعاليم الإسلام وأولها التسامح مع المجتمعات التي ضموها إلى الدولة الإسلامية الواسعة الأرجاء[١٠]، إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن تقسيم خراسان الإداري شهد تغيراً واضحاً بعد استقرار الأوضاع السياسية، ففي خراسان مثلاً أبان العصر العباسي، ومنذ مطلع القرن الثالث الهجري ألغيَّ التقسيم الرباعي وظهر نظام الكور الذي نفذ في زمن الطاهريين[١١]، إلا أن ما يجدر ذكره أن أسماء الأرباع بقيت هي الأسماء المستعملة ، فقد ذكر أبو زيد البلخي[١٢] (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م) والاصطخري[١٣] (ت٣٤١هـ/٩٥٢م) بأن لخراسان أربع كور "تجمع على الأعمال وتفرق فإن أعظمها نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ". وإذا غدت مرو وبلخ عاصمتي خراسان بعد الفتح الإسلامي فإن الأمر تغير بعد قيام الإمارة الطاهرية إذ نقلت دار الإمارة إلى نيسابور وغدت عاصمة للإقليم[١٤].

شغلت خراسان حيزاً كبيراً من كتب البلدانيين العرب فوصفوها وصفاً دقيقاً سواء في تسليط الضوء على مواردها المائية أو الزراعية، وسنلقي الضوء على هذه الأرباع فقط بقدر تعلق الأمر بموضوع البحث الذي يمثل أرباع نيسابور، ومرو الشاهجان، وبلخ، وبلاد ما وراء النهر.

المبحث الأول

الري والزراعة في نيسابور

كانت نيسابور أكثر مدن خراسان أهمية[١٥]، وهي التي تمثل الربع الغربي من خراسان، والتي يقال أن اسمها نسبة إلى سابور* الذي قام ببنائها[١٦]، كما أطلق عليها أيضاً اسم "أبر شهر"[١٧]، وهناك من البلدانيين من يسميها "ايرا نشهر"[١٨]*.

ووثقَّ كثير من المؤرخين ثراء نيسابور الاقتصادي، فعدها الثعالبي[١٩] "سُرة خراسان وغرتها"، أما المؤرخ والجغرافي المقدسي[٢٠]، فوصفها بسعة مساحتها بقوله "وهي كورة واسعة جليلة الرساتيق والضياع والقنى"، ويؤكد ذلك السمعاني[٢١] بقوله أنها "أحسن مدينة وأجمعها للخيرات بخراسان"، فلا عجب إذا ما غدت مركزاً للنشاط الاقتصادي[٢٢].

ويضم ربع نيسابور عدداً من المدن والرساتيق والكور مثل: باذغيس، بوشنج، طوس، قوهستان، فضلاً عن كورة هراة التي عدت واحدة من أعظم الكور في خراسان، وأتخذها الولاة قصبة ولاية خراسان لأهميتها[٢٣]، إذ امتازت بعمارتها وسعة مساحتها[٢٤]، ولخص القزويني[٢٥] أهميتها بقوله "ما كان بخراسان مدينة أجل ولا أعمر ولا أحصن ولا أكثر خيراً منها، بها بساتين كثيرة ومياه غزيرة"، وأكد تلك الصفات ياقوت الحموي[٢٦]، سواء بسعة رزقها وكثرة أهلها وأسواقها العامرة، كما تمتعت هراة بنشاط وحركة تجارية مزدهرة مع باقي المدن الخراسانية، بل هي محط لإنزال الحمولات الآتية من فارس إلى خراسان[٢٧].

المطلب الأول: الموارد المائيــة :

كانت الاحوال الجغرافية لمدينة نيسابور اثرها في اتخاذ الوسائل الفاعلة لحل مشكلة المياه سواء اكان ذلك للشرب ام لسقي الحقول والمزارع فوجود المرتفعات الجبلية بجانب السهول والوديان والمفاوز قد أدى الى تعدد وسائل الري وتنوعها[٢٨] . وقد اهتم البلدانيون العرب بذكر موارد مياه مدينة نيسابور لاهمية المدنية وعظمتها

وعلى مدى اهتمام السلطة المحلية والاهالي في حل مشكلة الارواء عندهم لدرجة كبيرة . لان المياه مصدر مهم لحياة المدينة واقتصادها الزراعي وتطورها الحضاري[٢٩] ويذكر اليعقوبي[٣٠] ان مدينة نيسابور "شربها من العيون والاودية" وقال ابن رستة[٣١] "ومياهها من قني تحت الارض وبعض مياهها من الاودية " .

واشار ابن خرداذبة[٣٢] الى ان "انهار نيسابور ومجرى مائها من العيون" . ويتضح من ذلك تنوع مصادر مياه نيسابور فالاصطخري[٣٣] يوضح وسائل الري والشرب في المدينة فيقول "واكثر مياهها تخرج تحت مساكنهم وتظهر خارج البلد في ضياعهم ولها قني تظهر في البلد وتجري في دورهم وبساتينهم داخل البلد وخارجاً عنه.

ويفهم من هذه الرواية ان مدينة نيسابور تخترقها شبكة من القنوات بعضها تجري تحت الارض وبعضها الاخر فوق الارض , ولابد من انها كانت موزعة بشكل هندسي بارع يظهر دقة العمل ومدى اهتمام ولاة نيسابور من العرب المسلمين بشؤون العامة والمحافظة على مصالح الفلاحين انذاك[٣٤] ومن المؤكد ان هذه القنوات كانت تأتي بالمياه من وادي سغاور الذي هو عبارة على نهر كبير يسقي منه بعض البلد ورساتيق نيسابور الكثيرة . وعلى هذا الوادي قوام لحفظه وصيانته " وليس لهم في البلد نهر اعظم منه"[٣٥] .

ولم يشر الجغرافيون العرب الى مصدر مياه وادي سغاور . ولكن الذي يستنتج من رواية بعضهم ان مجرى مياه مدينة نيسابور من العيون والاودية[٣٦] . ويمكننا القول ان مياه وادي سغاور مصدرها مساقط المياه من الجبال القريبة والمحيطة بالمدينة . وربما كان جبل مورجان الذي سبق ذكره . ومن مجاري الاودية والعيون التي تغذي نهر وادي سغاور .

وهذا نص المقدسي[٣٧] الذي يقول فيه "اما نيسابور فلهم قني تجري تحت الارض بارد في الصيف يتجوز اليها من اربع مراق الى سبعين . ثم تظهر في

الضياع فتسقيها . ومنها ما تظهر في البلد ويدور في المحلات مثل التي بالحيرة ، وباب معمر، وقناة ابي عمرو الخفاف ، وقناة شادياخ وزقاق الدارين ، وسوار كاريز . كل هذه تجري على وجه الارض.

ونجد في بعض المواضع آبار حلوة ولهم نهر على فرسخ بقرية بشتقان يدير سبعين رحى".

وهناك نهر يقال له "عطشاباد" أي نهر العطش وهذا النهر وان كان ماؤه في الربيع كافيا لادارة عشرين رحى في مدى عشرين فرسخاً من مجراه . لكنه في الفصول الاخرى لا يبقى فيه من الماء ما يروي عطش انسان . ومن ذلك جاء اسمه المشؤوم[٣٨] . وذكر البيهقي[٣٩] (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م) ان بين محلة بلقاباذ وحيوه نهراً صغيراً كان يفيض بشدة في الربيع .

وكما يفهم من رواية المقدسي[٤٠] . ان هناك انهاراً اخرى صغيرة وابار مياهها حلوة تساعد على عملية الارواء وسقي المزروعات ولشرب سكان نيسابور . تلك المدينة التي تقع في سهل نصف دائري . وتواجه المفازة وهي في جنوبه . ويسقي هذا السهل انهار كثيرة تنحدر اليه من المرتفعات التي في شماله وشرقه . وبعد ان تسقي رساتيق نيسابور تفنى في المفازة.

وعلى خمسة فراسخ من شمال المدينة عند منابع نهر نيسابور (سغاور) كانت بحيرة صغيرة في الجبال في اعلى المضيق يقال لها "جشمه سبز" أي العين "العين الخضراء" ومنها كان يخرج نهران يجري احدهما الى الغرب والاخر الى الشرق . وينحدر النهر الشرقي الى وادي المشهد . والظاهر ان هذه البحيرة كانت في جبل يقال له "كوه كلشان" وفيه كانت مفازة الرياح العجيبة وذكر ان محيط بحيرة "جشمه سبز" نحو فرسخ[*] وقيل انها لا قرار لها[٤١] .

ومن اكبر انهار نيسابور "شورة رود" النهر الملح" وكانت تلتقي فيه مياه النهر الاتي من دزباد وبعد ان يسقي رساتيق كثيرة يفنى في المفازة[٤٢] .

ومن الأنهار التي كانت تخرج من بحيرة جشمه سبز نهر بشتقان ونهر بشتفروش . وكلاهما يفيض في الربيع وتلتقي مع نهر شورة رود[٤٣] وهذا يدل على غزارة مياه نيسابور وكفايتها لسقي مزارع الاهالي وارواء بساتينهم وشربهم . ودليل ذلك ما رواه المقدسي[٤٤] عن ابي بكر العبدوي قال : "قست مياه دجلة الى مياه نيسابور فتساويا" وعندما تحدث المقدسي[٤٥] ايضا عن ارباع نيسابور ذكر ان ربع الشامات " ربع واسع يسمونه " تك اب " أي اليه يجري الماء .. وفي القصبة كلها يخرج ويظهر" . وربع ريوند "ربع سري نزه يشقها نهر" .

وتحدث القزويني[٤٦] (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) عن جوين فقال : "هي اربعمائة قرية على اربعمائة قناة . والقنوات منشؤها من مرتفع من الارض والقرى على منسفل . احدهما بجانب الاخر" .

واشار ابو الفدا[٤٧] (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) الى مياه نيسابور . وان اكثرها من القني . كما قال عن ازذوار "نزهة متصلة العمارة كثيرة القني والبساتين".

ومن دون شك ان وفرة المياه هذه وحسن تقسيمها وتوزيعها في شبكة القنوات ومجاري الارواء . مع توافر المناخ المعتدل وخصوبة التربة قد ادت مجتمعة الى النهوض بالنشاط الزراعي ووفرة انتاجه وحسن نوعيته .

وصف البلخي[٤٨] نيسابور بانها "ازكي ارض خراسان السقي" وقال ابن الفقيه[٤٩] . عن نيسابور "احسن الارض مستخرجة" ومع وجود المياه الوفيرة بعض الشيء والامكانات الحسنة في وسائل الارواء وادامة القنوات . الا ان ثمة مشكلات قد تحدث في بعض الاحيان في عملية الارواء هذه . مما يؤدي احياناً الى قلة مياه السقي للزروع والبساتين[٥٠] .

وكثيراً ما كانت تحدث المنازعات والخصومات حول عملية الارواء بين اهالي نيسابور مما اضطر الامير عبدالله بن طاهر[٥١] (ت٢٣٠هـ/٩٤١م) امير خراسان وما وراء النهر الى ان يجمع اليه فقهاء خراسان ويستقدم بعضهم من العراق لحل

المشكلات بين الفلاحين وعلى وفق الاسس الفقهية . فصنفوا له كتاب "القني " الذي ظل معمولاً به الى زمن كرديزي (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م) [٥٢] .

ومن الممكن ان يكون الكتاب قد ضم كثيراً من المعلومات عن وسائل الري وكيفية بناء القني وسقي المدن والاسس الادارية والفقهية التي اتخذت بتدارك السلبيات التي قد تحدث جراء السقي ومع اننا لا نملك معلومات عن الكتاب وعن هؤلاء الفقهاء الذين وضعوا بنوده ومدى الافادة منه كان بلا شك يمثل رمزاً لاهتمام الولاة بأمور الري والزراعة في اقليم خراسان عامة ونيسابور خاصة[٥٣] .

ولكي يتفادى سكان مدينة نيسابور الجفاف وقلة المياه ولا سيما للشرب ذكر ياقوت الحموي[٥٤] ان شرب الماء لسكان المدينة كان من القني التي ينزل اليها في سراديب مهيأة لهذا الغرض . وقد اشار الى هذه السراديب المقدسي[٥٥] . الذي قال ان مياهها باردة في الصيف وينزل اليها بدرجات تبلغ في اربع الى سبعين درجة . وهذا يدل على عمق المياه وغزارتها تحت مستوى سطح الارض .

اضافة الى ذلك فان اهالي مدينة نيسابور قد عملوا على بناء صهاريج – احواض ماء – يخزن فيها الماء تفادياً لقلة الماء وجفافه في بعض الاوقات[٥٦] .

يشير الحاكم النيسابوري[٥٧] الى المياه التي تدخل مدينة نيسابور من وديانها لسقي المزروعات وشرب الاهالي وقال : هي "شغاندير . ووادي بوشنقان ، وحرواسب . اما التي لا تدخل المدينة والتي تقوم بسقي الارباع والرساتيق فهي : عطارود ووادي شامات ، ووادي بستفروش ، ووادي ديزباد" . ويبدو ان من مشكلات قنوات الري في نيسابور هي عمقها فهذا ابن حوقل[٥٨] ذكر ان "قنيهم في عمق الارض . وربما كان منها شيء بينه وبين وجه الارض مائة درجة ، ويزيد وينقص في نفس نيسابور" وربما يكون ذلك من الصعوبة ظهورها على سطح الارض .

ولا ننسى نص المقدسي[٥٩] وكيف ان قني نيسابور تجري تحت الارض وينزل اليها" من اربع مراق الى سبعين" .. وهذا يوضح مدى عمق مياه نيسابور التي تصل الى سبعين درجة .

ويحكي عن الامير اسماعيل بن احمد الساماني (ت٢٩٥هـ/٩٠٣م) حاكم خراسان وما وراء النهر . وكان اميراً عادلاً انه عندما دخل نيسابور واستحسنها واستطابها قال : "يا لها من مدينة لو لم يكن بها عيبان . قيل ما هما . قال : كان ينبغي ان تكون مياهها التي في باطن الارض على ظاهرها . ومشايخها الذين على ظاهرها في باطنها[٦٠] .

المطلب الثاني: الزراعـــة:

تعد الحياة الاقتصادية عاملاً حيوياً مهماً حيوياً مهماً لأي بلد، وأن كل مدينة ليس لها اقتصاد جيد هي مدينة غير منتجة ويؤدي ذلك إلى سوء أحوالها الاجتماعية لأن هلاك المدينة اقتصادياً يؤدي إلى هلاكها اجتماعياً.

وقد تفوقت مدينة نيسابور في إنتاجها الزراعي خلال الحقب الزمنية المتعاقبة واشتهرت بزراعة الحبوب فضلاً عن زراعة القطن والغلات الزراعية الأخرى[٦١] وكانت الحبوب تكثر عند أطرافها التي تتوافر فيها المياه الوفيرة وحقول القطن والقمح[٦٢].

وعلى ما يبدو إن مناطق إنتاج الحبوب كانت توجد في مناطق مختلفة تحيط بمدينة نيسابور.

يشير المقدسي إلى أن مدينة بشت اشتهرت بجميع الحبوب[٦٣]. وكانت تسوقها فضلاً عن نشاطات أخرى للمنطقة[٦٤]. هذا ولقد كانت تحمل هذه الغلات من ترشيز إلى نيسابور وسبزوار[٦٥]. وكان رسناق استوا من أكثر الرسانيق حبوباً وهو يقوم بأكثر ميرة نيسابور[٦٦]. وعلى ما يبدو إن إنتاجها كان على درجة كبيرة حتى إنها كانت تصدِّره إلى مناطق عدة.

وهكذا فإن إنتاجها للحبوب كان على درجة كبيرة في نيسابور ومدنها إلا أنه لم ترد أي تفاصيل حول هذه الحبوب سوى ما أوردته. ومن الزراعات المهمة الأخرى هي الفواكه.

إذ «إن نيسابور مدينة من مدن خراسان، ذات فضائل حسنة وعمارة كثيرة الخيرات والفواكه والثمرات، جامعة لأنواع المسرات وعتبة الشرق»[٦٧].

ومن زروعها الأخرى المشهورة بها نيسابور سفرجل نيسابور[٦٨]. إذ إن أفضل وأحسن فواكه للإقليم سبعة مواضع[*] ومنها نيسابور[٦٩] ويقال لنيسابور «دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياهها وحسنها»[٧٠]. إذ تشتهر بأنواع الفواكه مما جعلها غنية بالنعم وأغنى مدن خراسان في الخيرات[٧١] وكانت فيها أيضاً بساتين مشهورة بالتين والكماة[**] والراوند[***][٧٢]. ومما يبدو إنه كان يستخرج من شجر الراوند العطور لأنه شجر طيب الرائحة.

ومن خلال ما يوجد في كل مدينة من مدن نيسابور جعلها متطورة في زراعتها وخيراتها وعدم اقتصارها على نوع واحد، إذ إن الشامات وهو ربع من أرباع نيسابور تكثر به المزارع العديدة وبشتفروش وهو ربع كثير الأعناب إذ إنه دخل في يوم واحد من باب الجيق عشرة آلاف جمل عنب. وفيه بستان مشمش غلته كل يوم دينار من أول المشمش إلى انقضاءه[٧٣]. واشتهرت طوس بالمشمش[٧٤]. وتميزت نسا بأنها بلد كثير الخيرات مشتبك الأشجار حسن الثمار[٧٥]. وأن ريوند وهو ربع من أرباع نيسابور «كثير الكروم والأعناب الجيدة والفواكه الحسنة»[٧٦]. ويأتي من جرمق وهي ثالث قرية في الطريق من نيسابور إلى أصفهان فيها عين ماء ونخيلات وزروع[٧٧]. ويبدو إن هذه العيون للمياه كانت تستعمل لسقي المزروعات أيضاً وهذا يدل على إن كل مدينة كانت لها ما يسد احتياجها للمياه، لذلك كثرت زراعتها.

ولقد كان لنهر نيسابور أثر مهم إذ إن سير مجراه يجعل الأرض خصبة وينبع من قهستان وهو غزير المياه في منطقة نيسابور وفيها أيضاً ضياع كثيرة (أراضي زراعية)[٧٨].

إذ إن جريانه المستمر جعل أرض نيسابور خصبة وتعد عملية إرواء طبيعي لأهل نيسابور. هذا فضلاً عن قنوات نيسابور التي كانت مصدر مياه مهم أيضاً لهم ولزراعتهم.

ولقد كان الخراج يؤخذ مرتان في السنة، في الصيف والشتاء[٧٩]. وفي عهد السامانيين «كان الخراج يفرض على أساس ما إذا كانت الأرض تسقى أو لا تسقى وإذا كانت تسقى بآلة أو بغير آلة، فإن كانت لا تسقى بالآلات دفع عنها مقدار وهو المعيار، ويؤخذ ثلثا ذلك عما يسقى بآلة، ونصفه عما لا يسقى قط»[٨٠].

المبحث الثاني

الري والزراعة في مرو الشاهجان

مَرْوَ بفتح الميم والواو بينهما الراء ساكنة [٨١] والنسبة اليها مَرْوزي [٨٢].

ورد معناها في المصادر بشيء من الاختلاف، فقسم منها يذكر انها سميت المرو[٨٣] " حجارة بيض براقة قداحة، تكون فيها النار وتقدح منها النار ولا يكون المرو اسود ولا احمر وقد يقتدح بالحجر الاحمر، فلا يسمى مروا والواحدة منها مروة". والبعض أشار الى انها " ضرب من الرياحين أي انها شجر طيب الريح" [٨٤]. أما في بعض المصادر الجغرافية ، فقد ذكرت مرو الشاهجان بمعنى واضح " المرو، المرح، والشاه ، الملك ، والجان النفس، فقيل تلك مرح الروح لانها للملك خاصة"[٨٥] أو " مرح نفس السلطان " [٨٦].

وقد وردت مرو بمعنى " حجر القداحة ، وبمعنى العشب الطيب ، ويدعونها بـ " مرو الطيبة" [٨٧] وقيل لها" الشاهجان " فقط [٨٨] " لانها موضع الملوك ومستقرهم "

[٨٩]، وقد اشار ليسترنج الى معنى الشاهجان " بانها الصيغة العربية لكلمة شاهگان الفارسية ، ومعناها السلطاني او يخص السلطان " [٩٠] .

ومما يبرز واضحاً ان هذا المعنى مرتبط الى حد كبير بكونها مقر سلطنة ملوك خراسان وعاصمته منذ القدم ومستقرهم [٩١].

واشارت صاحبة " سفرنامة مرو" انها قبلاً تدعى بـ " دار الملك " وفي الوقت الحاضر فقد تعارف الناس على تسميتها ايضاً بـ "مارو شاهو جهان " أي " مرو ملك العالم ". و اوضحت ان مرو شاهجان تعطي معنى جان شاه ، هي في الواقع مرو شاهكان والتي تعني شاهانة " الملكية" وشاهوار " الثمين النفيس " وقيل لها " جوهرة الرمال ومدينة انس الشاهات وطربهم" [٩٢].

وقد ميّزت العديد من المصادر بين مرو الشاهجان ، ومدينة أخرى الى الجنوب منها وهي " مرو الروذ " باطلاق مسميات عديدة على الاولى وهي " ام خراسان " [٩٣]،

و"مرو العظمى " [٩٤] و" مرو الكبرى" [٩٥] و"مرو الطيبة" [٩٦] . وفي كثير من الاحيان يشار الى المدينتين معاً فيطلق عليهما اسم " المروين" [٩٧].

ومدينة مرو هي عاصمة اقليم خراسان القديمة على نهر المرغاب [٩٨]. إذ تعدّ ثاني ارباع خراسان [٩٩].

أما بالنسبة الى موقع مدينة مرو، فقد أشير الى انها تقع على بعد ٢٦٥كم شمال شرقي مشهد (طوس) و ٣٥٠كم شمال هراة ، و ٤٤٥ كم شرقي بلخ، و ٣٢٠كم جنوب غرب بخارى ، و ٤٣٥ كم جنوب شرقي خيوه [١٠٠] .

وأشار كذلك الحميري [١٠١] من خلال وصفها الى موقعها بنص قال فيه : " وهي في ارض مستديرة بعيدة عن الجبال وليس في شيء من حدودها جبل ، وأرضها كثيرة الرمل وابنيتها بالطين ، وحدّها من المشرق بشاطىء جيحون ، وفي الجنوب حدود الترمذ والبحر ، وفي الشمال اوائل درب خوارزم ، وفي المغرب أول حدّ سرخس

، وهي سهلية رملية تحيط بها الرمال والمفاوز، ويجري فيها نهر عظيم منه شربهم يقبل من ناحية الجنوب من مرو الروذ ، وهو شرب مرو الروذ وابتداؤه من حدود الباميان " .

أما مدن ربع مرو وكورها فأشهرها: ابيورد، آمل الشط، خوارزم، زم، سرخس، الطالقان، مرو الروذ، ونسا(١٠٢).

المطلب الأول: الموارد المائيــة :

تقع مرو على نهر مورغاب أي " ماء مرو" ويجري هذا النهر من جبال الغور شمال شرقي هراة، ثم يجري بمرو الروذ ثم يدور شمالاً الى مرو الكبرى حيث تتشعب منه جملة انهار ثم يفنى ماؤه في مفازة الغز (١٠٣).

وفي جنوب مدينة مرو الكبرى على فرسخ أقيم سد عظيم ، تتفرع منه أربعة انهار صغيرة ، تصل الى كل مناطق المدينة (١٠٤) . ويذكر الاصطخري ، الذي وصف مدينة مرو بانها مقسّمة الى أربعة أرباع ولكل ربع من هذه الارباع نهر يسمى باسمه ويقوم بسقايته وهي :

١- هرمز فره: وفيه ابنية كثيرة ، وهو ربع مما يلي سرخس ، كان طاهر بن الحسين قائد المأمون بنى فيها تلك الابنية وأراد ان ينقل اليها السوق ودار الامارة ، ومن نهره شرب محلة الشاباي .
٢- الماجان: وعليه دار الامارة والمسجد الجامع المحدث والحبس .
٣- الرزيق (*) : ومجرى نهر هذا الربع على باب المدينة وعليه المسجد العتيق .
٤- باسعدي: وعلى نهر هذا الربع شرب محلة باب سنجان وبني ماهان . وعلى هذا النهر كانت دور مرزبان مرو (١٠٥) . ويذكر صاحب حدود العالم ان هناك بعض التوابع لمرو تقع على ضفاف نهر مرو ، وهي كشميهن،، مسفرى ، فاشان، سوسنقان، شابرنج (١٠٦).

وأشار السمعاني الى انهار لم يرد ذكرها في المصادر الجغرافية ، ومن المحتمل انها انهار فرعية صغيرة ، وهو نهر " الاسقبذي " خلال إشارته الى المحدث محمد بن عبد الله ابن قهزاد الكشميهني (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م) [١٠٧] والى نهر" الخارقان" خلال ترجمته لابي حفص النشائي الواعظ (ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م) [١٠٨] .

المطلب الثاني: الزراعـــة:

أما بالنسبة الى احوالها الزراعية والاقتصادية ، فقد كانت أراضيها زراعية إذ اشتهرت بزراعة انواع مختلفة من المحاصيل الزراعية ومن ضمنها زراعة الحبوب والحنطة والشعير [١٠٩] ، فضلاً عن ذلك اشتهرت بزراعة الفواكه التي تحمل الى الآفاق [١١٠] ومنها زراعة البطيخ [١١١] والاعناب [١١٢]. وكان الزبيب يحمل من قرية كشميهن على خمسة فراسخ من مرو [١١٣]، والفائض من مزروعاتها يحمل الى المناطق القريبة والبعيدة عنها[١١٤].

وأشار صاحب حدود العالم [١١٥] الى نشاطها الاقتصادي خلال وصفه لها بقوله " مدينة كبيرة وهي قديمة وكانت أم خراسان ٠٠٠ وهو مكان ذو نعمة وسرور وله قهندز طهمورث مؤسس هذه المدينة ، وفيها قصور وابنية عالية خارج المدينة وحدائق وفيها أكاسرة بني ساسان ، وفي كل خراسان لا توجد مثلها من حيث موضع سوقها الممتع وخراجها ومنتجاتها ومنها يخرج القطن الجيد والخل والقماش الحرير ونوع من النباتات ذات الاشواك ٠٠٠ " .

.

المبحث الثالث

الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر

أن مصطلح (بلاد ما وراء النهر) هي البلاد الواقعة شمال شرق خراسان[١١٦] وهي الأراضي الواقعة خلف الضفة اليمنى لنهر جيحون[١١٧].

ومن الأسماء الأخرى التي أطلقت على بلاد ما وراء النهر، بلاد (تركستان)[١١٨] التي يعرفها ياقوت الحموي[١١٩]. بقوله إنها (اسم جامع لجميع بلاد الترك) وتركستان كلمة فارسية معناها (بلاد الترك) [١٢٠].

وقد حدد الاصطخري[١٢١] حدود الاقليم بقوله: (اما ما وراء النهر فيحيط به من شرقه فامر وراشت وما يتاخم الختل من ارض الهند على خط مستقيم وغربية بلاد الغزية والخرلخية من حد طراز ممتداً من التقويس حتى ينتهي الى فاراب وبينكد وسغد سمرقند ونواحي بخارى الى خوارزم حتى ينتهي الى بحيريتها وشمالية الترك الخرلخية من اقصى بلد فرغانه الى الطراز على خط مستقيم وجنوبية نهر جيحون من لدن بدخشان الى بحيرة خوارزم على خط مستقيم).

قسم المقدسي بلاد ما وراء النهر الى ست كور واربع نواحي فاولها من قبل مطلع الشمس[١٢٢] وحد الترك فرغانة ثم واسبيحاب ثم الشاش ثم اشروسنه ثم الصغد ثم بخارى، والنواحي: ايلاق ، كش ، نسف ، الصغانيان [١٢٣].

إن التحديد الاداري والجغرافي لبلاد ما وراء النهر كان من الاهمية بمكان بالنسبة للدولة العربية الاسلامية خاصة انها على تخوم حدود الترك فتعد بذلك مناطق ثغور[١٢٤] اسلامية متقدمه (فهم ثغر المسلمين في وجه الترك)[١٢٥] يمنعونهم من دار الاسلام (وجميع ما وراء النهر ثغر)[١٢٦]. وصف اهلها بالبأس والشجاعة (فليس في الاسلام ناحية اكثر حظاً في الجهاد منهم)[١٢٧] ولان اغلب حدودهم اقرب الى دار الحرب كفرغانه والختل وخوارزم وغيرها التي تتاخم ثغور الترك[١٢٨] الذين يحاربون ويغزون فليس هناك بلد من اقليم خراسان (الا وهم يحاربون الترك وتحاربهم

الترك من سائر الاجناس)[١٢٩] . ومما يدلل على ذلك ان الاصطخري يشير الى ان الخليفة المعتصم (٢٢٧.٢١٨ هـ / ٨٣٣ . ٨٤١ م) كتب الى واليه على خراسان عبد الله بن طاهر[١٣٠] كتاباً يسأله عمن يمكنه حشده من ما وراء النهر فانفذ الكتاب الى نوح بن اسد فكتب اليه (ان بما وراء النهر ثلاثمائة الف قرية وليس من قرية الا يخرج منها فارس وراجل لايبين على اهلها فقدهم ، وبلغني ان بالشاش وفرغانه من الاستعداد ما لا يوصف مثله عن ثغر من الثغور ...)[١٣١] .

فهذا الاقليم وصف بانه من (انزه النواحي واخصبها واكثرها خيراً وليس بها موضع خال من العمارة من مدينة او قرى او مزارع او مراع ، هوائها اصح الاهوية ومياهها اعذب المياه واخفها والمياه العذبة عمت جميع جبالها وضواحيها وترابها اطيب الاتربة)[١٣٢] .

المطلب الأول: الموارد المائية:

إنّ اهم ما يمكن ملاحظته بوضوح فيما يتعلق بمصادر المياه في بلاد ما وراء النهر هو الكثرة والتنوع والغزارة ، بمعنى إنّ هذه الشروط التي انعم الله سبحانه بها هذه البلاد قد امتازت بكثرتها وتنوعها فضلاً عن غزارة انتاجها ، فالانهار هي احدى اهم مصادر المياه في هذه البلاد وعلاوة على كثرتها قد امتازت بشدة جريانها ذلك ان جل منابعها كانت في الجبال مما اعطاها صفة الجريان الدائم على مر السنة دون انقطاع ، وقد فصل البلدانييون العرب والمسلمون في صفات انهار بلاد ما وراء النهر وميزوا بين ما هو منبعه من الجبل وبين الانهار التي تنبع من اسافل الجبال بمعنى اذا وقعت الامطار والثلوج على الجبال تصب في مغارات وتبقى هناك مخزونة في فصل الشتاء فاذا كان هناك منفذ في اسفل الجبل ينفذ منه الماء على شكل جداول صغيرة تجتمع مع بعضها البعض حتى تتشكل منها انهار واودية ، اما اذا كانت خزانات الماء في اعلى الجبل فيستمر جريانها ذلك ان مياهها تصب الى سفح الجبل ولا تنقطع مادتها لوصول مددها من الامطار ، اما الانهار النابعة من اسافل

الجبال فتجري منها الانهار عند وصول مددها من مياه الامطار والثلوج ثم تنقطع عند انقطاع هذا المدد وترى المياه فيها واقفة وهي الانهار الموسمية التي تجري في بعض ايام السنة ثم تنقطع لانقطاع مادتها[١٣٣] .

وفي الواقع فان اجتماع هذه الصفات المهمة في انهار بلاد ما وراء النهر (المنابع من الجبال ، والمادة من الثلوج والامطار ، والجريان الدائم ، فضلاً عن غزارة المياه) قد اعطى لهذه البلاد بعداً تكاملياً فيما يتعلق بمصادر المياه الامر الذي ادى الى قيام مشاريع زراعية وعمرانية كبرى كانت سبباً في ازدهار هذه البلاد.

ومن أشهر هذه الأنهار من الناحيتين الجغرافية والاقتصادية:

١- نهر **جيحون** : بفتح الجيم وسكون الياء وضم الحاء وسكون الواو والنون[١٣٤] ، احد أعظم انهار خراسان، ينبع نهر جيحون من بحيرة في منطقة التبت في هضبة بامير[١٣٥] ، وتبلغ مساحة هذه البحيرة حوالي اربعون ميلاً[١٣٦].

٢- **نهر سيحون**: بفتح اوله وسكون الياء والحاء واخره نون وهو مشتق من الفعل (ساح – يسيح – سيحا – سيحانا) [١٣٧] ومعناه الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وهي التسميه التي اطلقت على النهر الفاصل بين بلاد الترك وبلاد الإسلام[١٣٨] والذي يسمى في المصادر العربيه سيحون[١٣٩]. وينبع نهر سيحون من جبال تيان شان[١٤٠] وهذه الجبال معروفة لدى البلدانيين العرب والمسلمين بجبال البتم[١٤١] وهو نهر يتشكل من مجموعه من الانهار تجتمع اليه في حدود الترك والاسلام[١٤٢] والنهر الرئيسي المكون لنهر سيحون ويسمى عمود النهر مخرجه من بلاد الترك ويظهر في حدود اوزكند[١٤٣] وان منبع هذا العمود من خلف جبل يدعى (خلخ) [١٤٤] ويسمى منبعه ايضاً سيحون[١٤٥].

٣- **نهر السغد** : ينبع نهر السغد من جبال البتم والتي تعرف ايضاً (بتمان) [١٤٦] وهي المنطقة الجبلية الواقعة على المجرى الاعلى لنهري جيحون وسيحون ، وجبال البتم ثلاث الاول والاوسط والداخل[١٤٧] ، وان منبع نهر السغد من البتم الاوسط (

وجميع مياه بخارى وسمرقند وجميع الصغد من البتم الاوسط) [١٤٨] . واصل النهر ينبع من بحيرة تعرف (بوي[١٤٩] او جن[١٥٠] او مجي[١٥١] او وي[١٥٢]) وهو عبارة عن خزان رئيسي لمياه النهر .

٤- **نهر القصارين** : ياتي هذا النهر من حيث الاهمية بعد نهر السغد الذي يسقي اقليم السغد ويجري الى الجنوب من نهر السغد وينتهي مثله الى مناقع ، وهذا النهر اقصر طولاً من نهر السغد ، ونهر القصارين هو التسمية التي كان يحملها النهر في القرن الرابع الهجري[١٥٣].

٥- **الأمطار** : وهي من وسائل الارواء المهمة في مواسم سقوطها في فصلي الشتاء والربيع ، ويطلق على عملية ارواء الاراضي بهذه الطريقة (العذي) [١٥٤] ، اما الاراضي التي تسقيها فتسمى (المباخس) [١٥٥] اي الاراضي الديمية ، وقد اشار الاصطخري[١٥٦] الى هذه الطريقة كاحدى الطرق الاروائية المستخدمة في بلاد ما وراء النهر بقوله " وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مدن او قرى او مباخس ... " ومما يبدو فان هذه الطريقة في الارواء محدودة لان المصادر الجغرافية ذكرتها بشكل محدود دون التوسع في ذكرها كطرق الارواء الاخرى فضلاً عن ان هذا الاقليم قد حفته الانهار دائمة الجريان كثيرة المياه فكان الاستغناء بها اوسع وافضل .

٦- **الآبار**: الآبار هي حفائر تحفر حتى ينبع الماء من اسفلها ويرتفع فيها ارتفاعاً لا يبلغ اعلاه[١٥٧]. وإذا ما نظرنا الى التوزيع الجغرافي للابار في بلاد ما وراء النهر فانه يعطينا صورة واضحة ويؤشر على محدودية هذا النظام الاروائي في تلك البلاد التي تحتوي على انهار عظام وظفت في خدمة المساحة المزروعة الواسعة من جهة وانها اقتصرت على المناطق الصحراوية البعيدة عن مجاري الانهار من جهة اخرى ، وهي نسبياً قليلة في تلك البلاد ، فضلاً عن ذلك فان التصحر ليس وحده سبباً في لجوء المزارعين الى حفر الابار ، وان انقطاع مياه بعض الانهار الجارية كان احد اسباب حفر الابار، فمدينة امل وزم وهما مدينتان متقاربتان في الكبر على شط جيحون تحيط

بها جميعاً مفازة تصل من حدود بلخ الى بحيرة خوارزم والغالب على هذه المفازة الرمال وليس بها عيون ولا أنهار الا أبار ومراع ، وفي المناطق الواقعة بين خوارزم وبلاد الغزية مفاوز فيها ابار والسوائم بها[١٥٨] كما ان المفاوز تحيط إقليم خوارزم من كل جانب[١٥٩] وقد وصف المقدسي[١٦٠] ابار مدينة امل بانها قريبة ، والمقصود بذلك ليس عميقة وعلى الرغم من اعتمادها في نظامها الاروائي على الابار فانها وصفت بكثيرة الضياع غالية الخراج غزيرة المياه[١٦١] ، واعتمد اهالي مدينة اخسيسك على الآبار، اذ وصفت بانها مدينة خصبة الغالب على اطرافها السوائم من الابل والغنم والمراعي والمساكن وهي احدى مناطق اقليم الصغانيان[١٦٢]

٧- **العيون** : العيون هي مياه تنبع من الارض وتعلوا الى سطح الارض ثم تسرح في قنى حفرت لها[١٦٣] . ولقد ذكرت المصادر البلدانية العديد من العيون موزعة على إقليم بلاد ما وراء النهر وفصلت في دورها في عملية الارواء والاعتماد عليها في السقي.[١٦٤]

٨- **القنوات:** ويعرف هذا النظام من الاقنية في بلاد فارس بنظام (الكهاريز) [١٦٥] ، اما في بلاد ما وراء النهر فيعرف بنظام (الاريكات) [١٦٦] اذ تعمل مجاري تحت الارض لسحب المياه الجوفية التي تنبع من العيون واسالتها الى الاراضي الزراعية سيحاً ، وذلك بحفر ابار على مسافة معينة على طول النفق لرفع اتربة المجرى بواسطتها ، وتختلف المسافات بن بئر واخر حسب طبيعة الارض فهي تتراوح بين خمسة الى عشرة امتار وتمتد احياناً الى عشرين متراً[١٦٧].

المطلب الثاني: الزراعة:

تجري الفلاحة في بلاد ما وراء النهر في الاراضي المروية (السيحية) والاراضي البعلية (ما سقته السماء) وهذان النوعان مختلفان عن بعضهما من حيث نوعية المزروعات ومن ناحية التكنيك الزراعي .

فالاقتصاد الزراعي في الاراضي المروية سيحاً يتطلب انفاق عمل ومال كبير لذلك فان نوعية المزروعات في هذه الاراضي ذات قيمة اقتصادية عالية ومنها القطن والارز والقمح والشعير وغيرها من المحاصيل الزراعية المهمة اقتصادياً[١٦٨] ويمكن ان تكون هناك فلاحة مروية على ارتفاع ١٠٠٠-١٢٥٠ متر فوق سطح البحر[١٦٩].

وتزدهر الزراعة المروية سيحاً في وادي الصغد وفرغانه والشاش وهي سهول واقعة اسفل سفوح الجبال وهي السهول التي ترويها الانهار الجبلية والتي تعد ايضاً مناطق ملائمة لشق القنوات المائية التي يجري فيها الماء تلقائياً[١٧٠] .

وتشغل المزارع الحقلية والبساتين مساحات كبيرة من الاراضي السيحية الواقعة في القرى وخارجها من الرساتيق. كذلك فأن سفوح الجبال هي أيضاً مناطق أساسية للزراعة السيحية في بلاد ما وراء النهر[١٧١] .

فقد اقيمت المزارع والاراضي الزراعية على القنوات المائة في مدينة سمرقند وبخارى وغيرها من مدن الاقليم التي تعتمد زراعتها على مياه الانهر الرئيسية وتفرعاتها من القنوات المائية[١٧٢] .

اما الاراضي البعلية فهي الاراضي العالية في الجبال والتي يجود فيها محصول القمح والشعير[١٧٣] وكذلك المناطق التي انهارها موسمية فيكون ريها مباخس في الغالب[١٧٤] .

لقد انتشرت الزراعة الحقلية في كل انحاء اقلي ما وراء النهر لاسيما انها تعد المورد الاساسي الغذائي الذي يمد المدن بالحبوب والخضراوات والذي لا يمكن الاستغناء عنها لذا كانت المؤلفات البلدانية عندما تتحدث عن المزارع في أقليم ما وراء النهر فأنها تشير الى أن كل بلدة في هذا الأقليم لها مزارع(كل بلدة بما وراء النهر لها مزارع) [١٧٥] .

وذكرت تلك المصادر مواصفات المزارع واستخدمت مجموعة من التعابير للدلالة على حسن تلك المزارع من ناحية عمارتها وحجمها الانتاجي ، فقد وصفت

مزارع الصغد بانها في (اضعاف خضرة النبات) [١٧٦] وان هذه المزارع (ممتدة على حافتي نهر الصغد) [١٧٧] ونتيجة كثرة المزارع في مدينة كش وخضرتها سميت بـ (قنبر الخضراء) [١٧٨]، نسف وصفت مزارعها بالخصبة[١٧٩] ووصفت الحقول الزراعية في الشاش بالكثيرة[١٨٠] واستخدمت تعابير (مزارع كريمة) [١٨١] ، (طيبة المزارع) [١٨٢] ،(غزيرة المزارع) [١٨٣] ،(زروع كثيرة) [١٨٤] (مزارع مشتبكة) [١٨٥] .

ومن المحاصيل الزراعية:

الحنطة [١٨٦]، الشعير [١٨٧]، الارز [١٨٨]، الحمص [١٨٩]، الدخن[١٩٠])، الذرة [١٩١]، السمسم [١٩٢]، العدس [١٩٣]، الكتان [١٩٤]، الكمون [١٩٥]، القطن [١٩٦]، الفوة[١٩٧]، الزعفران[١٩٨].

أما البساتين: امتازت بساتين ما وراء النهر بوجود: التفاح [١٩٩]، الرمان [٢٠٠]، الكروم[٢٠١]، البرقوق [٢٠٢]، الخوخا[٢٠٣] ، السفرجل [٢٠٤]، الكمثري [٢٠٥]، البطيخ[٢٠٦] .

ومن اشجار الفاكهه الطبيعية

انتشرت هذه الفاكهة في بلاد ما وراء النهر ولاسيما في المناطق الجبلية واستخدمت ثمارها لاغراض غذائية بسبب تنوعها وكثرتها ومن اهم هذه الثمار : اللوز [٢٠٧]، الفستق [٢٠٨]، الجوز [٢٠٩].

المبحث الرابع

الري والزراعة في بلخ

أما ربع بلخ فقيل عن بلخ المدينة الشهيرة بأنها مدينة خراسان العظمى[٢١٠]، وسمّتها بعض المصادر بالإسكندرية لأن الاسكندر الأول قام ببنائها[٢١١].

اشتهرت بخيراتها وغلالها الكثيرة التي تحمل إلى أنحاء خراسان وخوارزم[٢١٢]، وفيها أسواق وصناعات، ويتوسط المسجد المدينة وتحيطه الأسواق[٢١٣].

ومثل معظم المدن القديمة فللمدينة سور له أبواب ويمر بها نهر دهاس الذي يسقي رساتيقها، وتحف المدينة البساتين والكروم[٢١٤]. ومن أجمل وأشمل الأوصاف ذلك الوصف الذي ذكره المقدسي[٢١٥] "بحسن موقعها وسعة طرقها وبهجة شوارعها وكثرة أنهارها والتفاف شجرها وصفاء مائها واشراق قصورها وسور مدينتها ومسجد جامعها واحكام صنعته وجلالة موضعه ليس بأقاليم العجم مثلها حسناً ويساراً".

وأشهر مدن بلخ الجوزجان، والباميان، والفارياب وكابل وغزنة، وخلم[٢١٦].

وفيه من الموارد المائية والزراعية على ما ذكرناه في الأرباع الثلاثة السابقة فلا داع للتكرار.

الهوامش :

(١) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت٣٢٠هـ)، مختصر كتاب البلدان، ليدن، مطبعة بريل، ١٣٠٢هـ، ص٣١٤.

(٢) البكري، أبو عبيدعبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط١، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، د. ط، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، ص٤٨٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢، ص٤٠٩؛ الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت٧٢٣هـ أو

٧٢٧هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، لبنان، دار القلم للطباعة، ١٩٧٥م، ص٢١٤.

(٣) السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور الخراساني المروزي (ت٥٦٢هـ) الأنساب، تقديم محمد أحمد حلاق، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م، م٢، ص١٣٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢، ص٤٠٩؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، بغداد، مكتبة المثنى، د. ت، جـ١، ص٢٢٩؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين محمد بن على الملك المظفر (ت٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م، ص٤٤١؛ ينظر ايوار "خراسان"، دائرة المعارف الإسلامية، م٨، ص٤٨٢.

(٤) الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الكرخي (ت٣٤١هـ)، مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبدالحق الحسيني، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة، مطابع دار القلم، ١٩٦١م، ص١٤٥؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ)، صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩، ص٣٥٨.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص٣٣؛ ينظر الحديثي، قحطان عبدالستار، أرباع خراسان، البصرة، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٠، ص١٩.

(*) علماً بأن خراسان في الوقت الحاضر مقسمة بين ثلاث دول هي الاتحاد السوفيتي، وافغانستان، وإيران. باريزي، إبراهيم باستاني، يعقوب بن الليث الصفار، ترجمة وتعليق محمد فتحي الريس، د. م، دار الرائد العربي، د. ت، ص١٠٩؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة وتعليق بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ص٤٢٣.

(٦) البستي، محمد بن حبان (ت٣٥٤هـ)، مشاهير علماء الأمصار، عني بتصحيحه م. فلا يشهمرا، د. م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص٥٩.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٦١-٣٩٥؛ المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المعروف بالبشاري (ت٣٧٥هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الإقليم، ط٢، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٦م، ص٢٠٦؛ ينظر الحديثي، أرباع خراسان، ص١٨-١٩؛

فوزي، فاروق عمر، الإدارة العربية لبلاد فارس في القرن الأول الهجري، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٤، السنة ١٣، ١٩٨٧م، ص١١٤.

(٨) ابن خرداذبه، ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت نحو ٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، د. ت، ص١٨؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٢١-٣٢٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢، ص٤٠٩-٤١٠؛ ينظر الحديثي، أرباع خراسان، ص١٩؛ المسعودي، نجم عيدان إبراهيم، خراسان في العصر العباسي الأول دراسة في أحوالها السياسية والإدارية، ١٣٢-٢٠٥هـ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص٤٠؛ ايوار، "خراسان"، دائرة المعارف الإسلامية، م٨، ص٢٨٢.

(٩) اليعقوبي، أحمد بن واضح (ت٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، النجف، مطبعة الغرى، ١٣٥٨هـ، جـ٢، ص١٤٤؛ المقدسي، المطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ)، البدء والتاريخ، باريس، د. ط، ١٩٠٧م، ص٧٩؛ الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ)، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م، ص٢٠٣؛ شيخ الربوة، شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت٧٢٧هـ)، نخبة الدهر وعجائب البحر، بطر سبورغ، د. ط، ١٨٦٥م، ص٢٢٣.

(١٠) الحديثي، أرباع خراسان، ص٢٠-٢١؛ المسعودي، خراسان، ص٤٣؛ العلي، صالح أحمد، إدارة خراسان، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٥، ١٩٧٢م، ص٣١٣.

(١١) الحديثي، أرباع خراسان، ص٢٢.

(١٢) البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت٣٢٢هـ)، الأقاليم، المكتبة المركزية، جامعة البصرة، تحت رقم ٦٣٧، نسخة مصورة عن نسخة مكتبة الحكيم العامة، النجف الأشرف، تحت رقم ٦٣٢، ورقة رقم ١١٢.

(١٣) مسالك الممالك، ص١٤٥.

(١٤) اليعقوبي، البلدان، ص٦٧؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٦٣؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص٢٠١.

(١٥) بوزورث، "نيسابور"، دائرة المعارف الإسلامية، ط١، أ. جي. بريل تحرير م. ت هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. ناسيت، ر. هارتمان، إشراف محمد سمير سرحان، الشارقة، طبعة مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٨م، جـ٣٢، ص١٠٠٠٧، وينظر الحديثي قحطان،

أرباع خراسان، ص٢٢٠؛ الحديثي، ظفار، مدينة نيشابور، دراسة في الجغرافية التاريخية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٣م، ص٤٦.

(*) سابور هو ثاني ملوك الساسانيين الفرس. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٢، ص٥٨، ٦١؛ ينظر لتسرنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٤.

(١٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٢، ص٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص٨٥٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٨٨؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٢٥.

(١٧) الاصطخري، مسالك الممالك، م١، ص١٤٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٦١؛ ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر (ت٦٨١هـ)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، باعتناء أحمد سعد علي، بيروت، المكتبة الشعبية، د. ت، ص١٦٠.= = و"أبرشهر" تعني مدينة الغيم وظهرت بهذا الاسم في الدراهم التي ضربت في العهدين الأموي والعباسي، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٤.

(١٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٩٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢، ص٨٥٧؛ ينظر Honigmann. E, "Nishapur", EI2, Leiden, Brill, 1987, vol. VI, P. 928.

(*) ويذكر ياقوت أيضاً إلى ان "أيرا نشهر" أطلقت على مدينة أخرى غير نيسابور، معجم البلدان، م٤، ص٨٥٧.

(١٩) لطائف المعارف، ص١٩١.

(٢٠) أحسن التقاسيم، ص٢٩٩.

(٢١) السمعاني، الأنساب، م٤، ص٤٥٦، ينظر: الحديثي، ظفار، مدينة نيشابور،ص٤٦-٤٧.

(٢٢) بوزورث "نيسابور"، دائرة المعارف الإسلامية، جـ٣٢، ص١٠٠٠٧؛ الحديثي، ظفار، مدينة نيشابور، ص٩٨-١٠٠.

(٢٣) اليعقوبي، البلدان، ص٤٢؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٤٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٦٣، ٣٦٦؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٠؛ ينظر الحديثي، أرباع خراسان، ص٢١.

(٢٤) اليعقوبي، البلدان، ص٤٤؛ ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت٣٠٠هـ)، الأعلاق النفيسة، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩١م، ص١٨٣.

(٢٥) آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٨١.

(٢٦) معجم البلدان، م٤، ص٩٥٨، ينظر: الحديثي، ظفار، مدينة نيشابور، ص١٧، ٤٦.

(٢٧) الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٥٠؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٤، الحميري، الروض المعطار، ص٥٩٥.

(٢٨) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص ص١٧٠-١٧١، الحديثي، خراسان في العهد الساماني،رسالة دكتوراه، ١٩٨٠،على الالة الكاتبة،كلية الاداب، جامعة بغداد، ص٤١٣.

(٢٩) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص ص١٧١-١٧٢، الاصطخري، مسالك الممالك، ص٢٥٥، المقدسي، احسن التقاسيم، ص ص٣١٦-٣١٧.

(٣٠) البلدان، ص٢٧٨.

(٣١) الاعلاق النفيسة، ص١٧١.

(٣٢) المسالك والممالك، ص١٧٨.

(٣٣) مسالك الممالك، ص٢٥٥، ينظر : ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٦٣.

(٣٤) ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٦٣، الحديثي، خراسان في العهد الساماني، ص٤١٥.

(٣٥) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص١٧٨، الاصطخري، مسالك الممالك، ص٢٥٥، الحديثي، خراسان في العهد الساماني، ص٤١٥.

(٣٦) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص١٧١، اليعقوبي، البلدان، ص٢٧٨.

(٣٧) احسن التقاسيم، ص٣٢٩.

(٣٨) لسترنج، بلدان الخلافة، ص٤٢٩.

(٣٩) البيهقي : ابو الفضل محمد بن حسين (ت٤٧٠هـ)، تاريخ البيهقي، ترجمة، يحيى الخشاب، وصادق نشأت، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٥٦م، ص٤٣٨.

(٤٠) احسن التقاسيم، ص٣٢٩، وينظر : لسترنج، بلدان الخلافة، ص٤٢٧.

(*) الفرسخ طوله نحو ٦ كيلومترات : هنتس، المكاييل والاوزان، ص٩٤.

(٤١) لسترنج، بلدان الخلافة، ص٤٢٨ نقلاً عن المستوفي القزويني من نزهة القلوب .

(٤٢) م.ن.

(٤٣) لسترنج، بلدان الخلافة، ص٤٢٩ نقلاً عن المستوفي القزويني من نزهة القلوب.

(٤٤) احسن التقاسيم، ص٢٩٩.

(٤٥) م.ن، ص ص٣١٦- ٣١٧.

(٤٦) القزويني . زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٢٢هـ) . اثار البلاد واخبار العباد، بيروت، دار صادر ١٩٦٠م، ص ص٣٥٢-٣٥٣.

(٤٧) ابو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، باعتناء رينودماك كوكين، باريس دار الطباعة السلطانية ١٨٤٠م، ص٤٥١.

(٤٨) صور الاقاليم، ص١٢٣.

(٤٩) مختصر كتاب البلدان، ص٢٢٧.

(٥٠) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٣١٨.

(٥١) عبدالله بن طاهر الخزاعي امير المشرق تسلم امره خراسان عام ٢١٣هـ/٨٢٨م . انظر ترجمته، الحديثي، الطاهريون، ص ص١٦،١٢٣.

(٥٢) كرديزي : ابو سعيد عبد الحي بن الضحاك (ت٤٤٠هـ)، زين الاخبار، ترجمة محمد بن تاويت، فاس ١٩٧٢م، ص٩، الحديثي، خراسان في العهد الساماني، ص٤١٥، بارتولد. ف، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، نقله عن الروسية، صلاح الدين عثمان، الكويت ١٩٨١ م، ص٣٣٧.

(٥٣) الحديثي، خراسان في العهد الساماني، ص ص٤١٥-٤١٦.

(٥٤) معجم البلدان، جـ٥، ص٣٣١.

(٥٥) احسن التقاسيم، ص٣٢٩.

(٥٦) لسترنج، بلدان الخلافة، ص٤٢٩.

(٥٧) تاريخ نيشابور، ص١٣٨، اللهيبي، مدينة نيسابور، ص٢٤.

(٥٨) صورة الارض، ص٣٦٣.

(٥٩) احسن التقاسيم، ص٣٢٩.

(٦٠) القزويني، أثار البلاد، ص٤٧٣، وانظر : ترجمة اسماعيل ابن احمد الحديثي، خراسان في العهد الساماني، ص٣٣، ص٥٨ وما بعدها .

(٦١) دهخدا، معجم اللغة، ص١٠٠٨.

(٦٢) سامي، قاموس الأعلام، مج ٦، ص٤٦٣١.

(٦٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣١٨.

(64) Encyclopedia – Britanica, Vol. 16, p. 532.

[٦٥] القزويني، نزهة القلوب، ق١ من المقالة الثالثة، ص١٧٥.

[٦٦] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣١٩.

[٦٧] القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٧٣، القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ص٤٩٠.

[٦٨] الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٤١، ولطائف المعارف، ص٢٣٨.

[*] المواضع السبعة، المدائن ونيسابور وأرجان والري ونهاوند وماسبذان وحلوان الجبل الهمذاني، مختصر البلدان، ص٢١١.

[٦٩] ابن بطوطة، ابن بطوطة ورحلته، ص٩٤، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٧.

[٧٠] دهخدا، معجم اللغة، ص١٠٠٧.

[٧١] لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٧١.

[**] الكماة، خرج الناس يتكمؤون، أي يجتنون الكماة، الجوهري، الصحاح، مادة رند، ج١ ص٤٧٥.

[***] لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٧١.

[٧٢] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣١٧.

[٧٣] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣١٨.

[٧٤] الثعالبي، لطائف المعارف، ص٢٣٨.

[٧٥] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٠.

[٧٦] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣١٦.

[٧٧] القزويني، نزهة القلوب، ق١ من المقالة الثالثة، ص١٧٣.

[٧٨] ابن البلخي، رسالة بلاد فارس، ص١٥٢.

[٧٩] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٩٥.

[٨٠] حيدر، الدويلات الإسلامية في المشرق، ص١٩٢.

(٨١) السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ)، الانساب، تح عبد الله عمر البارودي، بيروت، ط١، مط دار الجنان، ١٩٨٨، جـ٥، ص ٢٦٥؛ ابن عبد الحق البغدادي رضي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع، تح جون بون، ليدن، بريل، جـ٣، ص ٧١.

(٨٢) ابن عبد ربه، احمد بن محمد(ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تح عبد المجيد الترحيني، بيروت، ط٣، مط مؤسسة جواد، ١٩٥٧، جـ٧، ص ٢١٨؛ السمعاني، الانساب، جـ٥، ص٢٦٥؛

السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر أبو الفضل (ت ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وانواعها، تح علي فؤاد منصور، بيروت، ط١، مط دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، جـ٢، ص ٢١٩؛ وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، بيروت، ط٣، مط دار المعرفة، ١٩٧١، مج٨، ص ٧٦٣.

والمرزوي: "من شاذ النسب حيث ان الزاء قبل الياء في النسبة تلتزق" . ينظر: المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٣٨١هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليدن، بريل، ١٩٠٦، ص ٣١١.

يذكر السمعاني، الانساب، جـ٥، ص ٢٦٦: " كان إلحاق الزاي في هذه النسبة، فيما اظن للفرق بين النسبة الى المروي،وهي الثياب المشهورة بالعراق منسوبة الى قرية بالكوفة، واما ببغداد درب يقال له درب المروزي " أو محلة المراوزة، وظني أنها من الكرخ من ينسب اليها مروزي. ويذكر ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ٣، ص٧١ " محلة المراوزة محلة كبيرة متصلة بالحربية يسكنها أهل مرو" .

يذكر ابن منظور " المروزي من شاذ النسب لان المروزي على غير القياس والثوب من مرو " المروي" على القياس ". ينظر: لسان العرب، بيروت، مط دار صادر، مادة مرا،مج ١٥، ص٢٧٦.

(٨٣) ابن زكريا، أبو الحسن بن احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، بيروت، ط٢، مط دار الفكر، ١٩٧٩، مادة مرا، مج ٥، ص ٣١٤؛ ابن منظور، لسان العرب، مج ١٥، ص ٢٧٥؛ الزبيدي، محمد بن مرتضى (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس، بيروت، مط دار صادر، ١٩٦٦، مادة مرا، مج ١٠، ص ٣٤٠. ينظر عن هذه الحجارة، صورتها وتفاصيلها بملحق نهاية الاطروحة .

(٨٤) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، بيروت، مط دار الفكر، ١٩٧٨، مادة مرا، مج٤، ص ٣٨٩.

(٨٥) ابن الفقيه الهمذاني، ابو بكر احمد بن محمد(ت ٣٤٠هـ)، مختصر كتاب البلدان، ليدن، بريل، ١٨٨٥م، ص ٣١٩.

(٨٦) البكري، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تح مصطفى السقا، القاهرة، ط١، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١، جـ٤، ص ١٢١٦.

(٨٧) التبريزي، ابن خلف محمد حسين، برهان قاطع، تصحيح واهتمام محمد عباس، بيروت، ١٣٣٦هـ، ص ١٠٧٦؛ التونجي، محمد، المعجم الذهبي، بيروت، ط٢، دار العلم للملايين، ١٩٨٠، ص ٥٤١.

(٨٨) التبريزي، برهان قاطع، ص ٦٩٩.

(٨٩) السمعاني، الانساب، جـ٥، ص ٢٦٥.

(٩٠) كي،بلدان الخلافة الشرقية،نقله الى العربية بشير فرنسيس، كوركيس عواد، بغداد، بلا ط، مط الرابطة، ١٩٥٤، ص ٤٤٠.

(٩١) الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٧١١هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح د. إحسان عباس، ط١، مط مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠، ص ٥٣٣.

(٩٢) لامب، هارولد، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ترجمة اللواء بهاء الدين نوري، بغداد، مط السكك الحديدية، ١٩٤٦، ص ١٣٢.

(٩٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ٢٩٨؛ مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب ؛ بكوشش دكترمنو چهر ستوده، تهران، چاپخانة دانشگاه، ١٩٦٢، ص ٩٤.

(٩٤) ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ٣، ص ٦٨.

(٩٥) ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٤٠.

(٩٦) التبريزي، برهان قاطع، ص ١٠٧٦.

(٩٧) ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ٣، ص ٦٨.

للتفاصيل ينظر: الشمري،مها محسن " مدينة مرو منذ الفتح حتى نهاية العصر الاموي . دراسة في احوالها السياسية والادارية وأثرها في الدعوة العباسية"،رسالة ماجستير، كلية التربية . ابن رشد / جامعة بغداد، عام ٢٠٠٠م،الفصل الاول،ص ص٦.١

(٩٨) النرشخي، ابو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ)، تاريخ بخارى، عرّبه عن الفارسية، تح د. امين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، مصر، مط دار المعارف، القاهرة،١٩٦٥، ص ٥٥.

(٩٩) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص ص ٣٢١.٣٢٢,

(١٠٠) سامي،شمس الدين،قاموس الاعلام،اسطنبول،مط طهران،١٨٩٨، جـ٦، ص ٤٢٦٧

(١٠١) الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٥٣٢.

وقد أشارت صاحبة سفرنامة مرو (خديجة رضا زادة مقدم) الى انها طالعت موسوعة "دهخدا " وعدداً من الكتب حول مرو، وقد كُتب في الموسوعة في وجه تسمية مرو، ان الناس في نواحي شرقي خراسان قد عرفوا بان مرو هي " مور" على " دور" وهي بمعنى المحيط أو الدائرة، وان السكان سموها " مَوْري" على وزن " دوري" ودوري في اللغة التركمانية والتركية " بشقاب : أي الصحن" وقالت أيضاً : وقد تذكرت انني عندما رأيت من خلال نافذة الطائرة المنظر السفلي على الارض شاهدت صحراء واسعة، وارضاً رملية مالحة غير محاطة باي جبل من كافة اطرافها، فقد كانت بحق مثل صحن كبير جداً وتحتوي تلك الاراضي على بعض برك الماء الصغيرة .

(١٠٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٩٩؛ ياقوت الحموي، معجمم البلدان، م٤، ص٥٠٦؛ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ص٣٩٥.

(١٠٣) الاصطخري، ابو اسحاق إبراهيم بن محمد(ت ٣٤٦هـ)، مسالك الممالك، ليدن، بريل، ١٩٢٧، ص ٢٦١؛ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ)، صورة الارض، ليدن، ط٢، بريل، ١٩٣٩، جـ٢، ص ٤٣٤؛ ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٣٩.

(١٠٤) ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٤٠.

(*) الرزيق: بفتح الراء وكسر الزاي بعدها الياء الساكنة المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها القاف، قال ابن ماكولا : وهو نهر كان بمرو عليه محلة كبيرة وهو الآن خارجها وليست عليه عمارة، قال السمعاني : قرية كبيرة على هذا النهر يقال لها "الرزيق" ينزلها وزراء آل سلجوق . ينظر: الانساب، جـ٣، ص ٦٠.

(١٠٥) مسالك الممالك، ص ص ٢٥٩.٢٦٠.

(١٠٦) مؤلف مجهول، ص ص ٩٤.٩٥.

(١٠٧) الانساب، جـ٣، ص ٤٥٩.

(١٠٨) التحبير في المعجم الكبير، تح منيرة ناجي سالم، بغداد، مط الارشاد، ١٩٧٥، جـ١، ص ص ٥٣٩ـ٥٤٠. ينظر عن صاحب الترجمة : أبو حفص النشائي (ت ٥٣٩هـ) الوعاظ المراوزة.

(١٠٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٩٩.

(١١٠) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد(ت ٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، عني بتصحيحه رينود ديسلان والبارون ماك، باريس، مط دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م، ص٤٩٩.

(١١١) الموسوعة الاسلامية، اسطنبول، مط التعليم الوطنية، مج ٧، ص ٧٧٣.

(١١٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٩٩.

(١١٣) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ٤٤٦.

(١١٤) الموسوعة الاسلامية، مج ٧، ص ٧٧٣.

(١١٥) مؤلف مجهول، ص ٩٤.

(١١٦) البلخي، ابو زيد احمد بن سهل (ت٣٢٢هـ /٩٣٣م)، صور الاقاليم، مخطوطة مكتبة الحكيم العامة رقم ٦٣٢، النجف، ورقة ١١٢ ؛ الاصطخري، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٨هـ /٩٥٧م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، (وزارة الثقافة والارشاد القومي مصر _١٩٦١)، ص١٤٥ ؛ ابن حوقل، ابي القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، صورة الارض، (بيروت _لات)، ص٣٥٨؛ المقدسي، محمد بن احمد البشاري (ت٣٧٥هـ / ٩٨٥م)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، (ليدن . ١٩٠٩)، ص٢٦٠،

(١١٧) الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٦١ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٨١ ؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٦١ ؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م)، معجم البلدان، (بيروت . ١٩٩٥)، ج٥، ص٤٧ ؛ ارمينوس فامبري، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر، ترجمة احمد محمود ساداتي، (مطابع شركة الاعلانات الشرقية . ١٨٧٢م)، ص٥٧ ؛ بارتولد، فاسيلي فلاديميرفتش، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، (الكويت . ١٩٨١)، ص١٤٥ ؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (بغداد . ١٩٤٥)، ص٤٧٦.

[١١٨] تركستان قسمت الى تركستان الشرقية (الصينية) وتركستان الغربية (الروسية)، جمعت تحت تسمية اسيا الوسطى وتشمل تركستان الغربية ست جمهوريات هي كزاخستان، قرغزستان، اوزبكستان، تركمانستان، طاجكستان، قرة فالباق، للمزيد ينظر : النرشخي، ابي بكر محمد بن جعفر (ت٣٤٨هـ/٩٥٩م)، تاريخ بخارى، تعريب امين عبد المجيد ونصر الله مبشر الطرازي، (دار المعارف . مصر . لات)، ص١٩ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٤٣٨، الساداتي، تاريخ الدول الاسلامية، ص١٦٥.

[١١٩] معجم البلدان، ج٢،ص٢٣.

[١٢٠] بارتولد، تركستان، بحث منشور في دائرة المعارف الاسلامية، اعداد وتقديم احمد الشنتاوي واخرون، ج٥، ص٢٠٩ ؛ زغلول، الاسلام والترك، ص١٣٤

[١٢١] المسالك والممالك، ص١٦١.

[١٢٢] مطلع الشمس وهي تسمية اطلقت على خراسان وتعني بلاد الشمس المشرقة وقيل ان معنى خراسان مكان الشمس وقد اورد الشاعر ابو تمام بيت شعراً بهذا الخصوص مدح فيه والي خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين (ت٢٣٠هـ / ٨٤٤ م) يقول فيه :

امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

ينظر : ابو تمام، حبيب بن اوس (ت٢٣٢ هـ/٨٤٦م)، الديوان، (القاهرة . ١٩٤٢)، ص١٠٢ ؛ الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥ هـ/٩٤٦م)، اخبار ابي تمام، تحقيق خليل محمود واخرون، (القاهرة . ١٩٣٧)، ص٢١٢ ؛ ابن الاثير، ابو الحسن عز الدين محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الانساب، (بيروت . ١٩٨٠)، ج١، ص٤٢٩ .

[١٢٣] المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٦٠ .

[١٢٤] الثغر، مما يلي دار الحرب وهو الموضع الذي يكون فاصلاً بين بلاد الاسلام وبلاد الكفار (ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١ هـ/١٣١١م)، لسان العرب، (مصر- لات)، ج٥، ص١٧١).

[١٢٥] الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٦٣ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٨٧ .

[١٢٦] الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٦٣ .

[١٢٧] م . ن، ص١٦٣؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٦١ ؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٤٨٧ .

[١٢٨] الترك عدة قبائل منها : التغزغز، التبت، الخرلخ، الغز، البجناك، التركش اركش، خفجاخ، خرخيز، الكيماك، ولكل جنس من الترك مملكة مفردة، وأن جميع مدنهم ست عشرة مدينه، ينظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٥٥ ؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٣١ ؛ ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص٢٩٥ ؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٣٢٩ ؛ قدامة، الخراج، ص١٩٥، ١٩٦، ١٩٧ ؛ القزويني، زكريا بن محمد (ت٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م)، اثار البلاد واخبار العباد، (دار صادر . ١٩٦٠)، ص٥٥٨ .

[١٢٩] ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص٢٩٥ .

[١٣٠] من اشهر حكام الادارة الطاهرية تولى ولاية خراسان سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٩ م، من قبل الخليفة المامون وصف بانه له رسوم حسنة كثيرة وكان شديد الاهتمام بالعمارة والزراعة، توفي سنة ٢٣٠ هـ /٨٤٤م في عهد الخليفة الواثق . ينظر :الكرديزي، زين الاخبار، ص٩-١٠ ؛ عباس اقبال، تاريخ ايران بعد الاسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، (القاهرة . ١٩٨٩)، ص١٥.

[١٣١] مسالك الممالك، ص١٦٣ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ٣٨٧ .

[١٣٢] ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٣١٦ ؛ القزويني، اثار البلاد، ص٥٥٨ .

(١٣٣) ينظر : القزويني، عجائب المخلوقات، ص١٤٠ ؛ الوردي، خريدة العجائب، ص١٣٤ ؛ الزياتي، ابو القاسم (ت ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣م)، الترجمانة الكبرى، حققه عبد الكريم الفيلالي، (مطبعة فضالة المحمدية . ١٩٦٧)، ص٣٠٩ .

(١٣٤) للمزيد : ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٩٦ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٤٤٤ .

(١٣٥) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص٩١-٩٢ ؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٧٣ ؛ قدامة، الخراج، ص١٥٧ ؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤، ص٥٩ .

(١٣٦) قدامة، الخراج، ص١٥٧ .

(١٣٧) ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن البدوي (ت - ٣٢١ هـ/٩٣٣م) جمهرة اللغة، (بيروت - ١٩٢٦)،ج٣، ص٣٥ ؛ ابن زكريا، ابو الحسن احمد بن فارس،(ت - ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت . لات)، ج٣، ص١٢٠ ؛ ابن

منظور،، لسان العرب، ج٣، ص٢٥١ ؛ الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت . ٨١٧ هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، (بيروت . ١٩٧٨)، ج٣، ص٤٢ .

(١٣٨) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٩٤ .

(١٣٩) البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ج٣، ص٧٧١ ؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٤ ؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٧٦٤ ؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٦١ .

(١٤٠) ستروويف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص٢٨٠ .

(١٤١) زغلول، الاسلام والترك، ص١٣٧ .

(١٤٢) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٤٠ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٤١٩ ؛ المقدسي، البدء والتاريخ،ج ٤، ص٦٠ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٨ ؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٩٤ .

(١٤٣) ابن حوقل، صورة الارض، ص٤١٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج ٢، ص٣٤٨ ؛ الرازي، هفت اقليم، ص٣٣٢.

(١٤٤) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٤٠ ؛ وذكر المستوفي القزويني انه ينبع من جبل جدغل (نزهة القلوب، ص٢١٧) يبدو ان هذا الاسم اطلق على احد روافده الرئيسي وليس عموده .

(١٤٥) الرازي،هفت اقليم، ص٣٣٢ .

(١٤٦) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٣٠، ٤٠ .

(١٤٧) البلخي، صور الاقاليم، ورقة١٤٥ ؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٨٤ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٤١٥ .

(١٤٨) البلخي، صور الاقاليم،ورقة ١٤٥ ؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٨٤ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٤١٥ ؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع،ج ١، ص١٦٢ ؛ ابو الفداء، تقويم البلدان ن ص٤٨٤ .

(١٤٩) البلخي، صور الاقاليم، ص١٣٩ .

(١٥٠) ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٨٢ .

(١٥١) الادريسي، نزهة المشتاق،ج ١، ص٥٠٦ .

(١٥٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج ٣، ص٤٠٩ .

(١٥٣) البلخي، صور الاقايم، ورقة ١٤٣ ؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٨١ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٤١٢ ؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٨٢ .

(١٥٤) يقال للزروع والنخيل ما لا يسقى الا بماء السماء وكذلك عذي الكلأ والنباتات ما بعدهن الريف وانبته ماء السماء (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٩٢) .

(١٥٥) البخس ارض تنبت بغير سقي والجمع بخوس والبخس من الزرع بما لم يسق بماء عد سقاه ماء السماء (ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٤) .

(١٥٦) مسالك الممالك، ص١٦١ ؛ كذلك ينظر ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٨٢ .

(١٥٧) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص١٩٧ .

(١٥٨) الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٥٧ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٧٦ .

(١٥٩) الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٦٨ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٩٥ .

(١٦٠) احسن التقاسيم، ص٢٩٢ .

(١٦١) م . ن، ص٢٩٢ .

(١٦٢) ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٩٣ .

(١٦٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص١٩٧ .

(١٦٤) ابو سعيد، الجغرافيا، ص١٦٢ .

(١٦٥) سوسة، احمد، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، (بغداد . ١٩٤٨)، ج١، ص٢٧٢ .

(١٦٦) ستروبيف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص٣١١ . وذكر بارتولد انه كان يطلق على القنوات في تركستان لفظة (اريق) او (ارغ) (تركستان، ص١٦٩) .

(١٦٧) سوسة، ري سامراء، ص٢٧٢ .

(١٦٨) سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص١٨٧ .

(١٦٩) م . ن، ص١٨٧ ؛ ستروويف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص٣٠٠ .

(١٧٠) م . ن، ص١٨٩ .

(١٧١) الاصطخري، مسالك الممالك، ص١١ وما بعدها ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٨٤ ؛ ستروويف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص٣٠٠ .

(١٧٢) المستوفي القزويني، نزهة القلوب، ص١١٢ .

(١٧٣) سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص١٨٧ .

([١٧٤]) أبن حوقل، صورة الأرض، ص٤١٣.

([١٧٥]) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج ١، ص٥٣٣ .

([١٧٦]) م . ن،ج ٣، ص٤٣٥ .

([١٧٧]) م . ن،ج ٣، ص٤٣٥ .

([١٧٨]) الرازي،هفت أقليم،ص٣٨٦.

([١٧٩]) لسترنج، بلدان الخلافة، ص٥١٣ .

([١٨٠]) م . ن، ص٥٢٤ .

([١٨١]) الادريسي، نزهة المشتاق،ج ٢، ص٦٩٦ .

([١٨٢]) م . ن، ج١، ص٥٠٢ .

([١٨٣]) م . ن،ج ١، ص٥٠٣ .

([١٨٤]) م . ن، ج١، ص٥٠٤ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٨٠، ٤٤٠ .

([١٨٥]) الادريسي، نزهة المشتاق، ١، ص٥٠٦ .

([١٨٦]) بارتولد، تركستان، ص٢٧٧ .

([١٨٧]) الوطواط، مباهج الفكر،ج ١، ص١٤٤ .

([١٨٨]) الوطواط، مباهج الفكر،ج ١، ص١٤٨ .

([١٨٩]) الغرناطي، زهرة البستان، ص٤٥٨ .

([١٩٠]) الغرناطي، زهرة، ص٤٦٨ .

([١٩١]) الوطواط، مباهج الفكر،ج ١، ص١٤٩-١٥٠ ؛ الغرناطي، زهرة البستان، ص٤٦٧ .

([١٩٢]) البيروني، الاثار الباقية، ص٢٣٦ ؛ الغرناطي، زهرة البستان، ص٤٧١ .

([١٩٣]) الوطواط، مباهج الفكر،ج ١، ص١٥٦ ؛ الغرناطي، زهرة البستان، ص٤٦٣ .

([١٩٤]) الوطواط، مباهج الفكر،ج ١، ص١٦٥ .

([١٩٥]) الغرناطي، زهرة البستان، ص٤٨٢ .

([١٩٦]) الوطواط، مباهج الفكر،ج ١، ص١٦٨ .

([١٩٧]) الغرناطي، زهرة البستان، ص٥٠٤ .

([١٩٨]) الغرناطي، زهرة البستان، ص٥٠٥ ؛ الوطواط، مباهج الفكر،ج ٢، ص٤١٦-٤١٨ ؛ وعن انواعه واستخدامه ينظر: الدمشقي، الاشارة الى محاسن التجارة، ص٣٣ .

([١٩٩]) ابن بصال، الفلاحة، ص٦٤ .

([٢٠٠]) القزويني، عجائب المخلوقات، ص١٩٣ ؛ قسطوس، كتاب الفلاحة، ص٨٧ .

([٢٠١]) الغرناطي، زهرة البستان، ص٣٨٢ ؛ الوطواط، مباهج الفكر،ج ٢، ص٣٢٠ .

([٢٠٢]) الوطواط، مباهج الفكر، ج١، ص٣٠٦ .

([٢٠٣]) ابن بصال، الفلاحة، ص٧٠-٧١ ؛ الغرناطي، زهرة البستان، ص٢٣٩، ٣٧٤ ؛ قسطوس، الفلاحة، ص٨١ .

([٢٠٤]) ابن بصال، الفلاحة، ص٦٣ ؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص١١٥ ؛ قسطوس، الفلاحة، ص٩٠ .

([٢٠٥]) ابن بصال، الفلاحة، ص٦٧ .

([٢٠٦]) الغرناطي، زهرة البستان، ص٥١٢ ؛ الوطواط، مباهج الفكر،ج ١، ص١٧٤-١٧٥ .

([٢٠٧]) ابن بصال، الفلاحة، ص٧١ ؛ الغرناطي، زهرة البستان، ص٣٧٢ ؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٠١ .

([٢٠٨]) الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٦٦ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٩٢ .

([٢٠٩]) ابن بصال، الفلاحة، ص٧٢ ؛ قسطوس، الفلاحة، ص٩٤ .

([٢١٠]) اليعقوبي، البلدان، ص٥٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٦.

([٢١١]) ابن الفقيه، البلدان، ص٣١٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م١، ص٧١٣.

([٢١٢]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، م١، ص٧١٣؛ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبدالحق (ت٧٣٩هـ)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، جـ١، ص٢١٧.

([٢١٣])الحميري، الروض المعطار، ص٩٦.

([٢١٤]) الاصطخري، مسالك الممالك، ص١٥٥-١٥٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٧٣.

([٢١٥]) أحسن التقاسيم، ص٣٠٢.

([٢١٦]) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٥، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م١، ص٤٨١؛ م٢، ص١٤٩، ٤٦٥، م٣، ص٤٩١، ٨٨٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٦.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

١- ابن الاثير ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت: ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الانساب، ج٣، مكتبة المثنى، (د.ت).

٢- البكري، عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم في اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، د.ط، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

٣- البيهقي، ابو الفضل محمد بن الحسين (ت: ٤٧٠هـ)، تاريخ البيهقي، ترجمه الى العربية: يحيى الخشاب، وصادق نشأت، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٥٦م.

٤- البلخي، أبو زيد احمد بن سهل (ت: ٣٢٢هـ)، مخطوطة صور الاقاليم المكتبة المركزية، جامعة البصر، تحت رقم ٦٣٧، نسخة مصورة بالمايكروفلم، عن نسخة مكتبة الحكيم العامة، النجف الاشرف، تحت رقم ٦٣٢، ورقة.

٥- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، الرحلة، المسماة تحفة الانظار في غرائب وعجائب الاسفار، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

٦- التبريزي، ابن خلف محمد حسين، برهان قاطع، تصحيح واهتمام: محمد عباس، بيروت، ١٣٣٦هـ.

٧- الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت: ٤٢٩هـ): لطائف المعارف، تحقيق: ابراهيم الابياري، مصر، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٠م.

٨- الحميري، محمد عبد المنعم (ت: ٧٢٣هـ): الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، لبنان، دار القلم للطباعة.
٩- ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي، (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
١٠- ابن خرداذبه، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو ٣٠٠هـ) المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.
١١- ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر (ت: ٢٩٠هـ/ ٨٩٠م): الاعلاق النفيسة، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٨م).
١٢- ابن زكريا، ابو الحسن بن احمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، ط٢، مط، دار الفكر، ١٩٨٩م.
١٣- السمعاني، ابو عبد الكريم بن محمد بن منصور الخراساني المروزي (ت: ٥٦٢هـ)، الانساب، تقديم: محمد احمد جلاق، بيروت، لبنان، دار احياء التراث العربي، ١٩٩٩م.
١٤- السبتي، محمد بن حبان (ت: ٣٥٤هـ) مشاهير علماء الامصار، عني بتصحيحه، م. فلا يشهمرا، د. م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.
١٥- السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر ابو الفضل (ت: ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وانواعها، تح: علي فؤاد منصور، بيروت، ط١، مط دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
١٦- الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم الكرخي (ت: ٣٤١هـ)، مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد الحق الحسيني، مراجعة: محمد شعبق غربال، القاهرة، مطبعة دار القلم، ١٩٦١م.

١٧- ابن الفقيه، ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني (ت: ٣٢٠هـ)، مختصر كتاب البلدان، ليدن، مطبعة بريل، ١٣٠٢هـ.
١٨- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن نور الدين محمد بن علي الملك المظفر (ت: ٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م.
١٩- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم الطرنوسي، ط٥، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠٦هـ).
٢٠- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ق ٦٢٢هـ): آثار البلاد واخبار العباد، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠م.
٢١- المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء المعروف بالبشاري (ت: ٣٧٥هـ) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٢، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٦م.
٢٢- النرشخي، ابو بكر محمد بن جعفر (ت: ٣٤٨هـ): تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية، تح: د.أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، مصر، مط دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.
٢٣- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله البغدادي (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٠٦م.
٢٤- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت: ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): كتاب البلدان، ط٣، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٧.

المراجع:

٢٥- بوزورث، نيسابور، دائرة المعارف الاسلامية، ط١، أ، جي، بريل تحرير م.ت هوتسما، ت، و، أولود.

٢٦- بارتولد، ف، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان، الكويت، ١٩٨١م.

٢٧- الحديثي، قحطان عبد الستار، ارباع خراسان، البصرة، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.

٢٨- سامي، شمس الدين، قاموس الاعلام، اسطنبول، مط طهران، ١٩٩٨م.

٢٩- لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة وتعليق: بشير فرسيس وكروكيس عواد، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤م.

٣٠- كرديزي، ابو سعيد عبد الحي ابن الضحاك (ت: ٤٤٠ هـ)، زين الاخبار، ترجمة: محمد بن تاوين، فاس، ١٩٧٢م.

٣١- لامب، هارولد، جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ترجمة: اللواء بهاء الدين نوري، بغداد، مط السكك الحديدية، ١٩٤٦م.

٣٢- وجدي، محمد فريد، دائرة معارف في القرن العشرين، بيروت، ط٣، مط دار المعرفة مج٧، ١٩٧١م.

33- Encycolpedia- Bnitanica, vol.16, p.5320.

آراء وأفكار تربوية في أروقة مجلس النواب العراقي عام ١٩٤٨

م.م. حميد حسون نهاي العكيلي

وزارة التربية/الرصافة/٢

حـــزيـران ٢٠١٦

آراء وأفكار تربوية في أروقة مجلس النواب العراقي عام ١٩٤٨

م.م.حميد حسون نهاي العكيلي

المقدمة:

بعد تشكيل الحكومة العراقية في ٢٣ آب ١٩٢١ ، سعت وزارة المعارف من خلال النخبة التي تسنمت مهام الوزارة الى إرساء قواعد وأسس التعليم الصحيحة في البلاد من أجل النهوض والرقي الى مصاف الدولة المتقدمة. أن المتتبع لمناقشات المجلس النيابي في عام ١٩٤٨ يجد موضوع التعليم في مقدمة تطلعاتهم، حيث لم يفوتوا أي فرصة إلا واستغلوها ليؤكدوا على أن التعليم من الأسس المهمة لبناء المجتمع وتطوره لذلك نجدهم يناقشون كل شاردة وواردة في هذا الموضوع قبل تشريعه، مما حفزنا بصورة كبيرة الى كتابة بحثنا الموسوم آراء وأفكار تربوية في مجلس النواب العراقي عام١٩٤٨.

تطرق البحث الى تشكيل وزارة السيد محمد الصدر ثم تناول الأفكار التربوية التي طرحها النواب وآرائهم بشأن المنهاج الدراسية وحالة المعلمين بعدها سلط الضوء على تطلع النواب الى النهوض بواقع التعليم العالي وأرائهم في تطوير مدارس الأوقاف. ثم ختم البحث بعرض آراء النواب ومقترحاتهم في الانضمام الى منظمة الأمم المتحدة(اليونسكو).

وزارة محمد الصدر

أدّت وثبة[١] كانون الثاني ١٩٤٨[٢] العارمة لا الى اسقاط وزارة صالح جبر[٣] فقط وانما، الى تمزيق معاهدة بورتسموث التي حاولت منها بريطانيا ومؤيدوها من السياسيين العراقيين فرض قيود والتزامات جديدة على العراق كان من شأنها تكبيله من

جديد، الى تكليف احد ابطال ثورة العشرين السيد محمد الصدر[٤] بتشكيل وزارة جديدة في ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٨ لتكون اولى مهامها تهدئة الناس وعودتهم إلى حياتهم الطبيعية بعد اسابيع من الغليان الثوري الذي اصاب الحياة بشللٍ تام [٥].

سارعت وزارة الصدر حال تشكيلها الى ارسال عدة رسائل تهدئة للشعب العراقي، اهمها :انها دعت إلى تشكيل لجنة تحقيق بكل الاحداث التي رافقت وثبة الشعب العراقي، وفي الوقت نفسه اطلقت الوزارة المذكورة سراح المعتقلين الذين جرى اعتقالهم إبّان الوثبة، والاهم من ذلك برأينا انها طلبت من مجلس الغذاء العالمي تزويد العراق بكميات من القمح لسد النقص الكبير الحاصل في العراق.[٦]

كما قامت وزارة الصدر بحل مجلس النواب في ٢٢ شباط ١٩٤٨، واخذت بتهيئة الاجراءات والمستلزمات لاجراء انتخابات مجلس نيابي جديد بدأت الانتخابات بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٤٨ وطلب رئيس الوزراء عشية الانتخابات من الشعب العراقي المحافظة على الهدوء وضبط النفس واحترام حرية الناخبين والمنتخبين اثناء سير الانتخابات. لكن الذي حدث ان القائمين على رأس النظام السياسي في العراق لم يستطيعوا ان يتركوا الانتخابات تجري بطريقة بعيدة عن التدخل، فأدى تدخلهم السافر الى فوز مؤيدي الحكومة[٧] اي حكومة بالاغلبية الكبرى[٨].

بعد ان انهت وزارة محمد الصدر مهمتها في التهدئة واجراء انتخابات مجلس النواب، انصرفت عن مسرح السياسة، لتفسح المجال لمزاحم الباجه جي[٩] في تشكيل وزارة جديدة[١٠].

المهم بالنسبة لنا، ان مجلس النواب، الذي افتتح اعماله الوصي عبد الاله[١١] بتاريخ ٢١ حزيران عقدا اجتماعين في سنة ١٩٤٨ الاول كان اجتماعاً غير اعتيادي بدأ بتاريخ ٢٢حزيران ١٩٤٨ وانتهى بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ عقد خلاله ٢٧ جلسة، اما الاجتماع الاعتيادي الذي بدأ اجتماعاته في الاول من كانون الاول

١٩٤٨، وعقد آخر جلسة له بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٤٩ فأن عدد جلساته كانت قد بلغت ٥٦ جلسة[١٢].

الافكار التربوية التي طرحها اعضاء النواب :

اشتمل الفكر التربوي الذي شهدته اروقة مجلس النواب في اجتماعة سنة ١٩٤٨ على عدة موضوعات تربوية في المقدمة منها موضوع مكافحة الامية، وضرورة تشييد العديد من المدارس. فقد كان نائب بغداد عبد الكريم كنة، اول من طالب وزير المعارف[١٣] في خطابة الذي القاه بتاريخ ١٩٤٨/٩/٢٣ بالعمل على احتضان الاطفال كل الاطفال في المدارس، وانقاذهم من التسكع في الطرقات، وفي عين الوقت دعا وبحماسة واضحة الى تهيئة الفرص اللازمة لجعل التعليم الزامي[١٤]، وهي دعوة صادقة ورائدة تستحق الثناء.

وعلق النائب عبد الرحمن الجليلي على خطاب العرش بهذه الكلمات الواضحات "**كنت ارجو لو ان خطاب العرش حوى وعداً ببناء المدارس الى جانب وعده ببناء السجن، لأن المدرسة افضل في الغاية من السجن، واذا انشئنا مجتمعاً مخلصاً متزناً مثلا فلا نحتاج إلى هذه السجون" مؤكداً على ان بناء السجون العصرية في بغداد وترك الاطفال في المدارس غير الصحية او في الطرقات امراً بعيداً جداً عن العدالة**[١٥].

ومما يحسب للنائب عبد الكريم كنة انه طالب وزارة المعارف بفتح مدارس مسائية لاستيعاب من لا يتمكن من الالتحاق بالمدارس النهارية. بعد ذلك عرج النائب في خطابة على موضوع القبول في المدارس، وذلك عندما قال: " **لو كان ديوان وزارة المعارف يعرف ما تحتاجه المدارس في بدء كل سنة لاستطعنا بدراسة بسيطة ان نتلافى هذه المشكلة، بدلاً من ان نرى الاباء يركضون وراء المتنفذين وهولاء يهرعون الى ديوان الوزارة ليحصلوا على بطاقة (كارت) الى مدير المدرسة او مديرة القبول من اجل قبول اولادهم، ثم نبههم بأن التعليم حق للجميع ولكنه اصبح الان**

حقاً لصاحب الكارت، متسائلاً بألم فهل عملت الوزارة على تلافي ذلك" . كما تطرق نائب بغداد لموقف المرحلة العمرية للطالب المراد تسجيله في المدارس الابتدائية والمتوسطة، داعياً الى عدم تحديد سن التعليم في هذه المراحل، لان العراق ليس بغداد فقط، وانما للعراق ريف ولا يستطيع الطفل فيه ترك الحقل وترك مساعدة اهله عند بلوغه السن السابعة، وان ذهنيته لا تتحمل وهو بهكذا عمر ارساله الى المدرسة لذلك نراهم عندما يبلغون سن العاشرة او الثانية عشر لا تستقبلهم المدارس الحكومية فيبحثون عن المدارس الاهلية وهي متواجدة في الريف، وختم خطابه بهذه الكلمات التي عبر فيها النائب عن المام بالموضوع ومشاعر انسانية رائعة عندما قال: " **ان العدالة تقتضي قبول هولاء في المدارس الحكومية، ولا سيما وان كثير من التلاميذ هم من الفقراء الذين لا يملكون الاجور الدراسية، فنراهم وبسبب عجزهم المادي يتركون الدراسة، فارجو من وزير المعارف ان لا يعفو البعض من الطلاب وانما يكون الامر عاماً وشاملاً للجميع** "[١٦].

أبدى في الوقت عينه النائب حسين جميل[١٧] امتعاضه من سياسة وزارة المعارف بشأن قبول الطلبة الجدد في الاول الابتدائي. فالوزارة لم تتمكن من قبول مواليد سنة ١٩٤٢ في مدارس بغداد، على الرغم من انهم بلغوا سن الدراسة، وتحول الامتعاض الى استغراب كبير عندما اعلن بأن سبب عدم القبول هو وجود اعداد من الاطفال من المواليد السابقة، موضحاً " **ان العذر الذي تقدمت به وزارة المعارف يدل على تقصير واضح من قبل الوزارة لا في الوقت الحاضر فقط، بل في السنين السابقة ايضاً، اذ لم توفر المدارس الكافية لقبولهم** "[١٨]. ثم اشار النائب المذكور الى عملية بناء المدارس الابتدائية التي لم تراعَ فيها الوزارة موضوع قرب المدارس او بعدها عن سكن الطلاب، ففي بعض المناطق لاسيما بغداد يؤكد النائب على ان هنالك محلات عديدة لا توجد فيها مدرسة واحدة، الامر الذي يدفع الاطفال الى الذهاب الى المدارس البعيدة عن سكناهم مما يعرضهم لاخطار مختلفة، منها كثرة السيارات في الشوارع وما

يمكن ان يحدث من عمليات دهس، فضلاً عن ما يعانيه الطلبة ايام المطر من متاعب كثيرة ومعاناة قاسية [١٩].

ومن جانبه حاول النائب حسن عبد الرحمن ان يقنع وزارة المعارف باتباع سياسة بناء المدارس بطريقة بسيطة، واستخدام ما هو متوفر من مواد اولية محلية، وان تترك كمال الكمال في هذا الوقت. من المفيد ان نتركه يتحدث قائلاً : "**اننا في اعمالنا نبغي الكمال، والكمال ليس بالامكان الحصول عليه دائماً, ارى اننا نذهب الى البساطة التي لا ارى فيها اي بأس او مانع في ان نبني المدرسة الاولية والابتدائية من اللبن بدلاً من الطابوق. ان الاهتمام بتكثير المدارس اهم من التأنق في بناياتها، وآمل ان يدرس المهندسون ذو الاختصاص موضوع تشييد البنايات الحكومية من المواد المحلية، اذ لا يوجد اي عائق يعوق ابن القرية في ان يتعلم في الكوخ على ان يكون مشيد بطرق صحية تتخلله الهواء والشمس ومانع للرطوبة ,ان تبسيط الإنشاءات له اثر كبير في تذليل المشكلة المالية**"[٢٠].

لم يكن خطاب النائب اسماعيل الغانم[٢١] اكثر جرأة وصراحة فقط، وانما اصاب كبد الحقيقة فهو اولاً ارجع مشكلات وزارة المعارف إلى الطبقة الحاكمة في البلاد، اذ عدها هي المسؤولة عن تلك المأسي قائلاً:-

" **ان امة يعيش (٩٥%) من سكانها في ظلام الجهل والامية، لا يمكن ان يخصص في ميزانيتها (٨.٨%) من الايراد العام للتعليم، في الوقت الذي يخصص (٨%) من الايراد العام للشرطة. وهذا اذا عني شيئاً فأنما يعني اننا في دولة بوليس بحق وحقيقة**".ومضى يقول: "**وهل يعقل ان يتساوى وزير المعارف ومدير الشرطة في النفقات**" **بعد ذلك ذكّر المقيمين على التعليم بحقيقة هامة وهي "ان اهداف التعليم يا سادة ليس تلقين المعلومات الجافة، بل هي تنمية للروح وتثقيف للذهن وتنشئة للبدن تنشئة صالحة" واضاف قائلاً: " لقد اصبح الشعب يتحسس بلزوم التزود من المعارف والعلوم. اتذكر اننا كنا اطفالاً عام ١٩٢١وكان المختارون يأخذوننا قسراً**

من بيوتنا الى المدارس والان الحال انعكس الاب يأخذ طفله والام تأخذ طفلتها الى ابواب المدارس، ويرجعان وقد اغرورقت محاجرهما بالدموع لانهما لم يجدا مكاناً في المدرسة، هذا التطور سببه انتشار الوعي وشعور الناس بحاجتهم إلى المعرفة" واضاف قائلاً: "يؤسفني ان اقول ان وزارة المعارف لم تقم بمهامها على الوجه الاكمل، لا بل لم تنجز حتى ولا (١٠%) من واجباتها بهذا الشأن "[٢٢].

لم يكتف النائب اسماعيل الغانم بذلك فقط وانما، ضمن خطابه ملاحظات مهمة عن نسبة المعلمين التي ازدادت، بالمقابل زادت نسبة الطلاب التي تضاعفت عشرات المرات، متسائلاً هل هذا هو الطموح. ثم يذكر المسؤولين ان تركيا استطاعت محو الامية في خمس سنوات، وجارتنا ايران ترسل ما لا يقل عن (٥٠٠) الى اوربا وغيرها. واما نحن فقد اكتفينا بنشر التعليم الريفي على اسس مغلوطة غير علمية، مستغرباً من فتح كلية الحقوق على مصراعيها، حتى بلغ عدد طلابها اربعة الاف طالب لا يجدون لهم عملاً عند تخرجهم. وفي ختام خطابه حذر من سلوك بعض اصحاب الاختصاص المتأثرين بالثقافة البريطانية، على العملية التربوية اذ قام هؤلاء بتنظيم رحلات ترفيهية للطلبة الى معسكرات الجيش البريطاني،واسترسل في خطابه قائلاً: "**لو كنا ايها السادة دولة مالكة حريتها وتحترم نفسها لجيئ بالمسؤولين وحوسبوا حساباً عسيراً على ما اقترفوه. معتبراً هذه الاعمال ليست الا تدميراً للروح الوطنية،وان واجب وزارة المعارف انشاء جيل وطني لا ان تعلمه على التجسس للاجنبي والارتماء في احضانه** "[٢٣].

اما فيما يخص مكافحة الامية فأن اروقة مجلس النواب شهدت افكار ومقترحات جديرة بالوقوف امامها. فقد لاحظ نائب البصرة عبد الرزاق الحمود تناقضاً واضحاً فيما تقوله وتدعوا له وزارة المعارف في مكافحة الامية وبين قيامها بتخفيض الاعتمادات الخاصة بمحو الامية من (١٢) الى (١٠) الاف دينار[٢٤].

اما النائب عبد الكريم كنة فقد اقترح على وزارة المعارف تشريع قانون يلزم فيه خريجي الثانويات بتعليم عدد معين من ابناء الشعب، وبعد ان يؤدي الطلاب الاميون الامتحان وينجحوا، يمنح هؤلاء شهادة الثانوية. ان هذه الطريقة في محو الامية تؤدي الى توفير كبير في النفقات التي تدفعها وزارة المعارف للمدرسين، اذ ستكون ضئيلة جداً، فضلاً عن انها لا تحتاج الى نفقات اخرى تصرف على الاثاث والابنية، كون التعليم سيكون في ذات المدارس، اي ان الدوام يصبح مرتين او ثلاث مرات في اليوم[٢٥]. وبعد ذلك لفت النائب المذكور انظار المسؤولين في وزارة المعارف الى ان منعها من ارسال الأولاد الى رياض الاطفال الاجنبية لا يكفي، وانما الحل يكمن في قيام الوزارة المذكورة برفع مستوى التعليم في المدارس الحكومية اذ ان هذا هو الذي سيقطع الطريق على من يرسلون ابناءهم إلى المدارس الاجنبية ومن يخالف هذا الامر يجري التحقيق معه لينال جزاءه العادل[٢٦].

كما اقترب النائب عبد الرحمن الجليلي[٢٧] من موضوع مكافحة الامية، منتقداً سياسة وزارة المعارف التي وصفها بالمتناقضة، ففي الوقت الذي نرى في خطاب العرش وعداً بتقديم لائحة مكافحة الامية، وجدنا احصائيات المدارس الابتدائية تقول ان (٢٠%) من المتقدمين اليها من الاطفال تم قبولهم. اما الباقي فقد تركتهم الوزارة في الطرقات، ثم يتساءَل بألم واضح، اليس طرد الاطفال عوناً على نشر الامية، فكيف نوفق بين الاثنين، بين مكافحة الامية وطرد هولاء ثم اورد حقيقة مؤلمة وهي ان مجموع ما تخرج من المدارس الابتدائية منذ تأسيسها حتى ذلك الوقت (١٩٤٨) هو (٤٠) الف طالب فقط، مما يوضح بصورة جلية حجم الامية الموجودة في البلاد[٢٨].

وخاض نائب بغداد خدوري خدوري في الموضوع نفسه ولكن من زاوية اخرى وذلك عندما اشار الى ما اسماه التخبط الحكومي الحاصل في الواقع التربوي. ففي الوقت الذي تريد فيه الحكومة النهوض بواقع التعليم العالي وتثقيف المجتمع بارسالها لائحة قانون الجامعة العراقية، وقانون مكافحة الامية، نجد كثير من المدارس العالمية تفتقر

الى الاساتذة، وكثير من المدارس الابتدائية والثانوية تفتقر الى المعلمين، بحيث تم اغلاق المدارس لهذا السبب، مما يؤدي الى انتشار الامية بشكل كبير[٢٩].

اعتبر النائب مجبل الوكاع[٣٠] نشر التعليم الاجباري هو ركيزة الاصلاح الاجتماعي، فضلاً عن العمل على تثقيف طبقات الشعب والقضاء على الامية وتهذيب سكان الارياف. و لا يتم ذلك برأي النائب المذكور الا من خلال قيام الحكومات المتعاقبة بارسال فرق تعليمية ثقافية الى الارياف النائية، من اجل تعميم الثقافة الاجتماعية، وتحسين قابلية السكان لكي يصبحوا مستعدين لتلقي كل نصيحة تقيهم من الجهل الذي هو اساس كل خطيئة[٣١].

آراء النواب بشأن المناهج الدراسية وحالة المعلمين:

حظي موضوع المناهج الدراسية المعمول بها في المدارس العراقية، وحالة المعلم وأوضاعه، باهتمام ملحوظ من لدن بعض النواب. فقد عد النائب عبد الرحمن الجليلي مناهج التعليم في العراق خاطئة من اساسها، فليس هنالك برأيه تعليم زراعي ولا صناعي. و" **كيف لنا انشاء كليه هندسة نافعة اذا لم يكن لدينا الفنيون الاكفاء** " وفق القاعدة التي تقول: "**ان لكل مهندس عشرة الى اثني عشر من المهنيين الفنيين**". ففي كلية الهندسة يتخرج سنوياً (٤٠) مهندساً، فهل اعددنا لهم العدد الكافي من الفنيين. ومضى يقول: نحن بحاجة ماسة الى تعليم زراعي وصناعي فهل بالامكان تحقيق ذلك[٣٢].

هاجم من جانبه عبد الرزاق الحمود[٣٣] وزارة المعارف في خطابه الذي القاه في الجلسة رقم (٤٢) بتاريخ ١٤ ايار ١٩٤٩ على خلفية المناهج الدراسية قائلاً:

"**ان مناهج التدريس في وزارة المعارف سواء منها ما يخص المدارس الابتدائية او الثانوية، تنقصها العناصر اللازمة لتوجيه الناشئة توجيهاً صحيحاً، فالمناهج طويلة وذات موضوعات متنوعة وخالية من التوجيه العملي، ولا يعود على الطالب منها الا**

الكلل والملل، ويخرج بالنتيجة وهو غير متعلم شيئاً". ثم يدلل على ما ذهب اليه بقوله: "فلو استعرضنا خريج الثانوية نجده لا يعرف شيئاً من اللغة الانكليزية الا مبادئ بسيطة، وليس لديه ثقافة عامة الا جزءاً يسيراً، لان الاهداف العليا المرسومة التي ينبغي ان تستهدف غير موجودة، فلا تثقيف للذهن ولا تنمية للروح مما انعكست اثاره السلبية على الواقع التعليمي والتربوي. وللنائب رأي خاص بشأن مناهج المدارس الابتدائية لا بأس من ذكره عندما قال: "ان المدارس في وضعها الحالي مفسدة لابناء القرى. ان ابناء القرى يدخلون المدرسة ويتلقون التعليم كما يتلقاه ابن بغداد والبصرة والموصل وسائر مراكز الالوية. يدخل ابن الفلاح وهو عاري القدم حالق الرأس، يدخل في هذه البيئة وينقطع عن بيئته، فيتعلم لبس الحذاء وتطويل الشعر بل وتسريح الشعر ويترك معاونة والده في شؤون الزراعة، حتى اذا اتم الدراسة الابتدائية في القرية، فلا يمتلك المال لمواصلة دراسته في المراكز، ولا الحكومة تقوم بهذا الواجب، كما انه لا يستطيع العودة الى بيئة والده ليصبح فلاحاً، لهذا يعد التعليم في القرى افساداً لا تثقيفاً وتمرداً على البيئة التي يجب ان يتمسك بها ولا ينحرف عنها"[٣٤].

وعليه فأنه يؤكد ان المناهج في الريف يجب ان تختلف تمام الاختلاف عن مناهج المدن، يجب ان يتعلم الزراعة بصورة منظمة ويتلقى من الثقافة ما تنفعه في بيئته حتى يستفيد من تلقاه من دراسة، كذلك ارى ان السياسة التي درجت عليها وزارة المعارف منذ البداية سياسة مخطئة ومفسدة ومضللة بالنسبة لابناء القرى والارياف[٣٥]" ولم ينس النائب المذكور ان يشكر وزير المعارف لدعوته لتدريس مادة الدين الاسلامي، لان الدين برأيه هو غذاء الروح، لكنه اشترط ان يقوم بتدريسهِ مختصين ليقوموا بتعليم الدين لا عن طريق الدراسة بل عن طريق ممارسة اركان الفروض الاسلامية[٣٦].

كما تضمن خطاب النائب عبد الرزاق الحمود ملاحظة غاية في الاهمية، وتتعلق بالمواد الدراسية التي يتلقاها الطلبة في المدارس الاسرائيلية والاليانس، لانها مناهج تهدف إلى تربية النشئ تربية تجعله مؤمناً بالصهيونية وكل ما هو يهدم كيان العراق، وعليه فأنه دعا وزارة المعارف الى تفعيل رقابتها على تلك المدارس، وان يكون الاشراف قوياً، لكي لا يتلقى الطلاب المبادئ التي تساعد على هدم كيان العراق. وفي هذه المناسبة قارن نائب البصرة بين المدارس الرسمية الحكومية والمدارس الرسمية اليهودية موضحاً ان الطالب الذي يتخرج من المدارس اليهودية يعرف اللغة الانكليزية والفرنسية واصول التجارة، وغيرها من العلوم الاخرى التي لا يعرفها غيره، لانهم اتجهوا اتجاهاً عملياً، وادخلوا كل ما يؤدي الى ان يكون الطالب مستعداً على مقابلة الحياة. اما الطالب فلا يجيد ذلك وثقافته ناقصة ومبتورة لا بل مشوهة، فأعادة النظر في المناهج امر بالغ الاهمية[٣٧].

بالمقابل وصف النائب عبد الكريم كنة وضع المناهج بانه " **محزن ومؤسف في آن واحد، اذ كانت عرضة لتغيرات كبيرة لاسيما دروس التاريخ التي اصبحت اداة بيد الانكليز ومن شايعهم الى الحد الذي وصل الى حذف حقائق تاريخية ثابتة من كتب التاريخ مثلاً حذف عبارة : الفينيقيون وصلوا إلى سواحل انكلترا فوجدوا اهلها يأكلون اللحوم النية ويلبسون الجلود، اي عاقل ينكر هذه الحقيقة، لكن الانكليز ارادوا تشويش افكار التلاميذ ظناً منهم ان سيادة بريطانيا ازلية ومنذ القدم. ثم فرضت مناهج تحتوي على قصص انكليزية للصفوف الثالثة والرابعة والخامسة واستمر الحال ما يقارب شهرين الى ان الغيت وهذا كلف وزارة المعارف اموالاً طائلة، اذ ان طباعة الكتب لم يكن امراً يسيراً في ظل الازمة المالية الموجودة والاعتماد على المطابع الاهلية ذات التكاليف الباهظة والوقت الطويل. اما الاسئلة الامتحانية فكانت عرضة للفضائح كل عام وهذا طبيعي ما دامت تطبع في مطابع خارجية، فضلاً عن ان المناهج لا تصل الى المدارس في اوقاتها المحددة، اذ كانت**

في اغلب الاحيان عرضة للتأخير مما يؤثر بشكل كبير على متابعة الطالب لدروسه اليومية"[٣٨].

اما حالة قائد العملية التربوية وقلبها النابض المعلم واوضاعه المختلفة فقد كانت محل نقاش ودراسة في اروقة مجلس النواب، اذ توقف امامها العديد من النواب وادلوا بكلمات تعبر عن مدى الاحترام الذي يكنوه للمعلم ودوره الكبير في صناعة قادة البلاد ومستقبلها. فالنائب حسين جميل اشاد اشادة كبيرة بالمعلم وما يقوم به من تعليم النشئ في ظل خدمة متردية وظروف اقتصادية سيئة وقوانين مجحفة، حتى اغلقت بوجوههم امل الترقية، لذلك دعا النائب المذكور وزارة المعارف إلى إعداد تشريع يحسّن من شروط عملهم ويرفه عنهم ويفسح امامهم مجالات الترقية[٣٩].

ذكر النائب اسماعيل الغانم الجميع بان احوال المعلمين قد ساءت نتيجة ارتفاع الاسعار، بحيث اصبح الكثير منهم عاجزين ومدينين وبعضهم لا يأنف من الاستجداء، مع ان اهميته لا تقل عن اهمية الجندي ان لم تزد عليه. وعلى الرغم من ذلك كله عاني المعلم الان من حالة بائسة نتيجة الضنك والحاجة فمن واجب الحكومة تحسين حالته اسوه بغيره من الموظفين[٤٠].

انتقد النائب عبد الرحمن الجليلي الخطاب الذي زعم بأن الحكومة ماضية بالاعتناء بحالة المعلم، وذلك عندما قال: "**لو كان هنالك مظهراً واحداً من مظاهر العناية بالمعلم يدلل على تحسين حالته، لسلمنا بعد ذلك وقلنا ان المنهج الوزاري منهج علمي. ولم يكتف النائب بذلك وانما طالب بأنشاء صندوق للضمان، لاسيما للذين تقاعدوا بعد ان اعياهم المرض، او للمتوفين منهم، بحيث تعطى الاموال لذويهم. ان سوء حالة المعلمين وارتفاع الاسعار وصعوبة المعيشة تستدعي سرعة الاغاثة لرفع الحيف والظلم لاسيما لعائلة المعلم المتوفي**"[٤١].

ثم يذكر النائب حوادث كان شاهد عليان عليها، حيث يتوفى المعلم تاركاً عائلته تتقاضى راتباً قدره (٦) دنانير فقط، مما يسبب ألماً في القلب وحزناً شديد، فلا

تستطيع العائلة بعده تدارك خبز اليوم، لذلك دعا وزارة المعارف بان تأخذ هذا الموضوع بالحسبان وتقوم بتأسيس صندوق ضمان المعلمين[٤٢].

ودعا في الوقت نفسه النائب فائق السامرائي[٤٣] الى إصلاح حال المعلم وبذل العناية الخاصة به ، حتى يشعر بأهمية مركزه، وشرف مهنته التي يقوم بها، من خلال الترفيه له ولعائلته من حيث الراتب والمخصصات وتأمين السكن والحاجات الضرورية[٤٤].

واثنى النائب علي رفيف على المعلمين[٤٥] بهذه الكلمات الرائعات اذ قال:

"**ان رجال التعليم ورسل الثقافة يستحقون كل تقدير وتشجيع لان جلهم ان لم نقل كلهم لا يملكون من حطام هذه االدنيا غير رواتبهم الضئيلة التي يتقضانونها من الحكومة، كما ان معظمهم لا يمتلك أجر يساعده في مجابهة بلاء هذا الغلاء الاسود**".**واضاف مطالباً وزارة المعارف بضرورة الاهتمام بتقوية اللغة العربية في شمال العراق، " كوني اعلم ان بعضهم لا يجيد هذه اللغة حتى بعد اجتيازهم الامتحانات المقررة في المدارس التي تدرج فيها الى ان نال الشهادة التي خولته ممارسة مهنة التعليم". لذلك فأن النائب المذكور اقترح فتح دورات صيفية لهولاء المعلمين على حساب الحكومة، لتقوية اللغة العربية التي هي لغة البلاد ولغة القرآن الكريم، فضلاً عن المشاكل التي تواجه الطلاب عندما يأتون الى مدارس بغداد وهم غير قادرين على التحدث باللغة العربية، مما يصعب عليهم دراستهم بصورة كبيرة**[٤٦].

وكانت مطالب نائب اربيل عز الدين الملا محددة حيث طالب بأن تتم رعاية المعلمين من خلال تشريع قانون خاص بخدمتهم، لانهم يستحقون الرعاية والاهتمام[٤٧].

كما ربط النائب عبد الكريم كنة بين الاصلاح والنجاح المنشود في البلاد وبين الاهتمام والرعاية بالمعلم عندما قال على رؤوس الاشهاد وبكل وضوح:

"ان عنصر الاصلاح والنجاح هو المعلم، واذا ما انصفناه وفتحنا له الابواب نكون قد اعطيناه المجال للخدمة الحقة، لان تاريخ وزارة المعارف ملئ بالاجحاف بحق هولاء الشموع المحترقة، فهل نحن جادون في اصلاح حالهم، لقد سمعنا كثيراً بقانون الخدمة التعليمية، وانا ارجو من وزير المعارف بذل اقصى الجهود في هذا المجال، والمجلس لا يقصر بفتح يديه لهولاء الجنود المجهولين. ثم ان سياسة المعارف مع المعلمين غير مستقرة سواء من يتعلق بنقلهم او ترفيعهم، حيث يتم نقل المعلمين او ترقيتهم اثناء الدوام، مما ينعكس سلباً على التلاميذ الذين يحتاجون الى وقت للانسجام مع المعلم الجديد[٤٨]. داعياً في ختام خطابه وزارة المعارف الى تهيئة الدور الصحية والجو الملائم للمعلم بحيث تجعله في وسط مريح يمكنه من خلاله تقديم افضل الخدمات للتلاميذ"[٤٩].

لامس النائب حسن عبد الرحمن حقيقة اوضاع المعلمين ملامسة رائعة واصاب كبد الحقيقة عندما تطرق في خطابه الذي القاه في ١٤ ايار ١٩٤٩ الى وضع المعلمين بهذه الكلمات المعبرة. اولاً اعتبر المعلمين اكثر المتأثرين بالاوضاع الاقتصادية الخانقة، لانهم من محدودي الدخل وليس لهم الا راتبهم، واليوم برأيه لا يريدون شيئاً الا ان يعيشوا، ولا يبيعوا اكثر مما باعوا مما هو عزيز لديهم، كما انهم يريدون ان لا يجوعوا ولا يعروا وهذا حقهم على الدولة. واسترسل قائلاً: "**ان الانصاف يدعو الى تقديم قانون الخدمة التعليمية الذي هو امل المعلمين، حيث ان تشريعه يساعد بصورة كبيرة على تشجيع الكوادر التدريسية على الخدمة الوطنية التي هم قائمون بها منذ سنين، لذلك آمل ان تقدم هذه اللائحة بالسرعة الممكنة**"[٥٠].

تطلع النواب إلى النهوض بواقع التعليم العالي:

بعد ان لاحظ النائب اسماعيل الغانم بقاء خريجي المدارس الثانوية، الذين امضوا عشر سنوات من الدراسة، خارج المدارس والمعاهد العالية، وبالتالي بقاءهم عاطلين عن العمل تزدحم بهم المقاهي ومن بعدها الى دور المفاسد، ليصبحوا فيما بعد عالة

على المجتمع والامة، بعد ذلك ناشد وبحماسة واضحة الحكومة بالعمل على انشاء الجامعة العراقية وادخالها ضمن منهاج الاعمال العمرانية الرئيسة. موضحاً "**اننا احوج إلى إنشاء الجامعة وابنيتها من تخصيصات انشاء ميناء جوي عالمي، واقامة مشروع تحسين المجازر، لان هذه المشاريع وان كانت نافعة، الا انها ليست من الضرورة اذا ما قورنت بأهمية الجامعة**"[٥١]. ثم وجه النائب المذكور انتقاده الواضح لتخفيض مخصصات دائرة البعثات العلمية، فبعد ان كانت ٢٤٠ الف اصبحت ١٣٠ الف دينار، متسائلاً هل استغنينا عن الاختصاصين ؟ ، ومضى يقول: اننا نرى الجارة ايران ترسل (٥٠٠- ٦٠٠) من طلابها الى اوربا لغرض الدراسة، ونحن نقوم بانزال مخصصات البعثات الى النصف، ان من الواجب جعل تخصيصات البعثات ضمن مخصصات الاعمال العمرانية الرئيسية، لان التعمير المعنوي اهم بكثير من التعليم المادي، وفي الوقت نفسه دعا النائب الى فتح مدرسة اللغات الاجنبية، وهذه التفاتة تحسب له، لان معرفة هذه اللغات من ضروريات الحياة والمدنية، لاسيما وان اكثر خريجي المدارس الثانوية عندما يوفدون الى المعاهد الاجنبية يلاقون مصاعب شتى بسبب ضعفهم باللغة الانكليزية. وختم اسماعيل الغانم حديثه بالقول: "**سادتي ان من الغريب العجيب ان بلادنا التي وصفت بانها زراعية قبل كل شئ، تعني بتدريس الحقوق والصناعة والهندسة والطب، ولا تكون في بلادنا مدرسة زراعية عالية، انني ممن يؤمنون بلزوم تركيز المعاهد الثقافية كلها في وزارة المعارف، لذلك ادعوا الى الاسراع بتأسيس كلية زراعية**[٥٢] **بأقرب وقت ممكن**"[٥٣].

لم يبتعد نائب كربلاء صالح بحر العلوم كثيراً عن زميله السابق عندما ناشد وزارة المعارف بجمع شتات الخريجين من المدارس المتوسطة، وهم لم يبتعدوا عن المدارس الثانوية الا لتجاوز اعمارهم السن القانونية او لكونهم يعملون في اوقات النهار او لعدم وجود طاقة استيعابية في المدارس النهارية، لذلك نرجوا من وزارة المعارف لاسيما مديرية معارف كربلاء فتح صف مسائي يساعد الطلاب على اكمال دراستهم[٥٤].

اما النائب عارف قفطان[٥٥] فقد طالب بشيء شرعي ومعقول الا وهو فتح ابواب وزارة المعارف امام الخريجين من المدارس الثانوية، حيث اشار إلى ان لواء الدليم خرّج هذا العام (٢٩) طالباً، لم يقبل الا عدداً قليلاً منهم، وهذا الحال ينطبق على بقية الوية العراق، فما مصيرهم، لذلك طلب من وزارة المعارف فسح المجال لمن هو حائز على الشروط القانونية للدخول الى المدارس العالية لاسيما الحقوق منها[٥٦].

رأى النائب عبد الرحمن الجليلي، ان مشروع الجامعة العراقية[٥٧] اهم موضوع يجب دراسته واخراجه الى حيز الوجود لانه يحقق اهداف عدة، ففيه اولاً : منفعة علمية واخلاقية وتربوية ونستطيع بواسطتها ان نحول دون تدخل الطلاب في السياسة، ونوجههم نحو التعليم، وتحول دون اتخاذ الطلبة وسيلة دعائية للوزراء وهذا اسهم بشكل كبير في انحطاط مستوى التعليم، ثانياً: جعل العديد من حاملي الشهادات العالية لا يحسنون الاملاء، ليس هذا فحسب وانما، برز هنالك ضعف بالروح الوطنية لدى طلاب المدارس، مما يجعل وزارة المعارف امام مهمة كبيرة، وهي العناية بالتنشئة الاجتماعية لاسيما الاخلاقية والعلمية، كون تخرج حملة الشهادات بدون توجيه فأن ذلك فيه خطراً على الامة، لا يقل عن خطر الامية. لذلك فأنه يعتقد ان تأسيس الجامعة العراقية سيسهم كثيراً في معالجة هذه المشاكل، معتبرا اياه من مقومات التكوين والرقي للبلاد من الجوانب التربوية والعلمية. واسترسل يقول لقد كثرت الاقتراحات والتقارير والتصريحات، ولم نرى الى الان خطوة جدية لتحقيق هذا المشروع، على الرغم من كونه مؤسسة للتكوين والتوجيه والتعليم، وهذه النواح الثلاث تحتاجها من اجل الاستغناء عن ما يقارب (٣٠٠) من الموظفين الاجانب (البريطانين). وختم كلامه بهذه النصيحة الذهبية عندما قال:"**اود ان انصح وزير المعارف الى ان الجامعة اذا لم تنشأ على اساس متين، ولا تبتعد عن التيارات السياسية فاننا لا نجني منها ثمرة، فارجو من وزير المعارف ترك سياسة الارتجال القائمة في انشاء الجامعة والمشاريع العمرانية الاخرى**"[٥٨].

اكد النائب حسين جميل ان سياسة وزارة المعارف لا تستند على خطة مدروسة او مرسومة، ولا تراعي الاحتياجات الوطنية، موضحاً ان هنالك تخبط وارتجال، فأن عدم قبول خريجي الثانوية من العام السابق والعام الحالي يراكم المشكلة ويضاعف الاعداد. الامر الذي يجعل برأيه طلاب المدارس الثانوية يجدون صعوبة في تحقيق رغبتهم في التعليم والقبول في المدارس العالية. وبتعبير ادق ان كثير من المتخرجين سيبقون بدون عمل يترددون على المدارس في بلد يقر وكيل المعارف جلال بابان ان داءه الجهل. ويمضي النائب في حديثه لاسيما بعد ان سمع رداً من قبل وكيل وزير المعارف بانه لا يمكن قبول جميع الخريجين من الثانويات قائلاً: "**ان هذه المشكلة خطيرة تتعلق بمستقبل البلاد ومستقبل الطلاب بالذات، فمن واجب وزارة المعارف العناية بهم وفتح ابواب الدراسة العالية لهم، فهولاء لم يهيأوا للعمل في المهن الحرة، لاسيما انه لا توجد مهن حرة تكفل لهم ارزاقهم في ظل هذه الضائقة المالية. مذكراً المسؤولين في وزارة المعارف ان بأمكانها الاستغناء عن الاساتذة الذين تأتي بهم من الخارج كل سنة، وتعمل على زيادة اعداد المقبولين في دار المعلمين العالية، لتصنع منهم اساتذة اكفاء وتسد بهم الشواغر في المدارس الثانوية والمتوسطة. ولم ينسَ حسين جميل ان يعلن عن استغرابه مما يحصل في وزارة المعارف من فوضى في ظل وجود خمسة مدراء عامون، فلا ادري ما هو اختصاصهم وما هي اعمالهم**[٥٩]".

من جانبه انتقد النائب فائق السامرائي بقوة وزارة المعارف واصفاً اياها بأنها اسوأ وزارة طيلة الحكم الوطني، فهي ما بين مد وجزر تتقاذفها الاهواء، اذ لم توضع لحد الان سياسة ثابتة مما أدى إلى تدهور التعليم بشكلٍ عام. موضحاً ان الغرض الاساسي من التربية والتعليم هو اعداد جيل ناشئ للحياة اعداداً كاملاً باتباع الطرق الصحيحة. ثم يدعم كلامه بدليل اعتبره قاطعاً وهو بطالة المثقفين، الامر الذي جعل الحكومات العراقية المتعاقبة برأيه تفكر في تعليق التعليم الجامعي، وذلك ما ظهرت بوادره في

السنوات الاخيرة، بحيث ان عدداً كبيراً من خريجي الثانويات حرموا من الدخول الى الكليات والحصول على مقاعد دراسية، واصبحوا يتسكعون في الطرق والازقة[٦٠].

وفي السياق نفسه لفت النائب جعفر البدر (نائب البصرة) انظار الجميع الى طبيعة المشاكل الاجتماعية التي عصفت في البلاد بعد الحرب العالمية الثانية، والتي كانت على رأسها مشكلة البطالة التي تركت وراءها جيشاً جراراً من العاطلين عن العمل، لاسيما المتعلمين الذين سدت بوجوههم ابواب المدارس واردف قائلاً: "**هولاء في حيرة من امرهم، فمنهم من هاجر خارج العراق للعمل في شركات النفط في الدول المجاورة، ومنهم من بقى متسكعاً في المقاهي ويرتكب الجرائم**". وعلى الرغم من ذلك كله لم يفقد النائب المذكور الامل في ان تغير الحكومة الحاضرة كل اهتمامها لما ذكرناه، اذا ما ارادت السير بالبلاد الى مصاف الامم الراقية[٦١].

ودعا النائب عبد الله قصير[٦٢] إلى الاهتمام بالمدارس العالية وضرورة فتحها في بقية الوية العراق، لاسيما في الموصل، كون محيطها يساعد كثيراً على الدراسة، اذ لا يوجد صخب الملاهي والسينمات كما هو الحال في بغداد، مؤكداً اهمية اللغة الانكليزية في المدارس، لكنه يشيد بالمستوى العالي لدار المعلمين العالية في اللغة الانكليزية التي يضاهي مستواها مستوى الجامعة الامريكية في بيروت. اما بقية المدارس فانها برأيه ضعيفة وان نسبة الرسوب الكبيرة تأتي من ضعف باللغة الانكليزية، وليس قلة في الذكاء، لاسيما وان جميع العلوم تدرس بهذه اللغة وهم لا يفهمونها، على الرغم من قيام اولياء الامور بانفاق ما يقارب ٥٠٠ دينار على ابنائهم من دون فائدة تذكر، ناهيك عن خيبة الامل الكبيرة التي تشعر بها العائلة التي يرسب ابنها في المدرسة. واضاف النائب عبد الله القصير قائلاً: "**انه لامر محزن ان اصادف الكثير من الشبان المتخرجين من المدارس المتوسطة والثانوية واجدهم لا يرغبون الا بالحصول على الوظيفة وبأي راتب كان، ولا يحبذون الاعمال الحرة كالعمل في مطعم او مقهى، لذلك ارجو من وزير المعارف الاهتمام بهذه النقطة**

كونها تساعد الطلبة على الانخراط في الاعمال الحرة هذا من جانب، ومن جانب اخر دعا النائب الى الاهتمام بالمدارس المهنية لانها معدومة في انحاء العراق كافة، اذ لا يوجد من يتقن صنعة اتقاناً تاماً، حتى النجار او الحداد، واذا ما يوجد من يتمكن من هذه الصنعة فانه غير عراقياً، فأعتقد ان من واجب المعارف الاكثار من هذه المهن والصناعات، لاسيما ونحن محتاجون الى من يتقن التجارة والخياطة وغيرها من الاعمال الاخرى"[٦٣].

كان هنالك تطابقاً واضحاً بين افكار النائب عز الدين ملا مع افكار زميله عبد الله قصير، عندما قال: ان الطالب عندما يذهب الى المدرسة او الوالد عندما يرسل ابنه إلى المدرسة، يستهدف مع الاسف شيئاً واحداً، وهو الحصول على الوظيفة، لانهم يعتبرون المدرسة هي الطريق المؤدي إلى الوظيفة وهذا ليس ذنب الطالب او والده، بل لانه ليس هناك مدارس مهنية. فالطالب عندما يتخرج من المدرسة تكون نتيجة التسكع على ابواب الحكومة طالباً الوظيفة،لانها تكون وسيلته الوحدية لاكتساب العيش. واذا ما اراد مزاولة اي مهنة فعليه البقاء امياً. وخلص النائب الى القول: "**امام الطالب احد الطريقين اما المهنة مع الامية او التشرد مع ثقافة محدودة، لذلك بات من الضروري ان تهتم وزارة المعارف بهذا الجانب، وتقوم بفتح مدرسة الصنائع ومدارس مهنية اخرى، فضلاً عن اهمية العناية بالريف وارسال بعثات زراعية جوالة ترغب السكان على الاهتمام بالزراعة واستخدام الالات الحديثة**"[٦٤].

جاءت مطالبة النائب عبد الرزاق الحمود مطالبه غير مسبوقة ومن نوع خاص، فقد طالب ادارات المدارس بان تحكم وتقرر سلوك طلابها لا غيرها، معتبراً تقارير الشرطة عن الطلاب غير صحيحة، وان الادارة التي لا تعرف سلوك طلابها الا عن طريق الشرطة فهي غير صالحة للمدارس[٦٥].

لم يترك النائب عبد الكريم كنة الحديث عن التعليم العالي دون ان يبدي رأيه فيه، حيث تطرق الى موضوع البعثات الدراسية، لاسيما للاختصاصات الصناعية، حيث

قدم شكواه الى وزارة المعارف لادراج التعليم الصناعي ضمن بعثاتها الى الخارج، وزيادة عدد المبتعثين لاسيما ان في بعض المعامل عمال يستطيعون لو اتيحت لهم الفرصة ان يستفيدوا فائدة كبيرة من هذا الامر الذي يوفر للوزارة سنين متعددة من الخدمة، ويوفر لهم المال، ثم ان هنالك امكانية لارسال هولاء العمال الى المعامل في الخارج للدراسة العملية، لا لحمل الشهادات، وبذلك تقوم بتهيئة صناع حقيقين للبلاد نسد بهم الحاجة الصناعية. ومضى النائب يقول: "**لذلك ادعوا الى فتح باب البعثات على مصراعيه، وان لا يقتصر على عدد معين وبأشخاص محدودين. ثم قال وبجرأة واضحة ان عملية تحديد البعثات من قبل الوزير بعشر اشخاص مثلاً، ويكون اولاده من بينهم والبقية لذوي الشفاعات، امر غير مقبول اطلاقاً، كوننا بحاجة ماسة الى ارسال جيوش من العراقيين، لا للدراسة فقط بل وللمشاهدة ايضاً، لان في الغرب اشياء كثيرة جديرة بالمشاهدة والاطلاع عليها**"[٦٦].

وختم النائب المذكور حديثه بمطالبة موضوعية ومشروعة من وزارة المعارف بفتح كلية للزراعة، لاسيما ان العراق بلد زراعي بالدرجة الاولى، مشيراً الى ان وزارة المعارف يجب ان تكون حريصة على هذا الامر، وان كان الامر يتعلق بوزارة اخرى، فانه لا يعفيها من المسؤولية الملقاة على عاتقها في فتح المدارس الزراعية، وإعداد مناهج خاصة. لذلك وجب عليها الاتصال مع الوزارات الاخرى للنهوض بالواقع الزراعي، من خلال اعداد خطط منهجية، تعمل على تحسين الزراعة على نطاق واسع[٦٧].

كان خطاب النائب سلمان الشيخ داود[٦٨] وهو يناقش ميزانية وزارة المعارف مطولاً تضمن آراء وافكار عدة , في البداية يذكر ان نسبة الامية لا تزال مرتفعة، وانصاف المتعلمين اكثر بكثير من المتعلمين، "**واني اسف ان اقول ان انصاف المتعلمين اكثر خطراً من الجهلاء وهولاء علة العلل، فعلينا عندما نعمل على توسيع الثقافة ان نجعل جيلاً متعلماً لا متعلم نصف تعليم**".ثم خاطب الحاضرين بهذه الكلمات: "**ان مراحل التعليم تنقسم الى مرحلتين: الاولى: تعلم العلوم العامة وفهم مبادئها،**

والثانية: التخصص في ناحية من نواحي العلم والمعرفة، فالذين درسوا في المدارس الاولية والابتدائية والثانوية فهموا شيئاً من العلوم، عندما يذهبون للدراسة العالية للتخصص يظنون انهم اثقف الناس، فيتدخلون فيما يفهمون وفيما لا يفهمون، حتى اصبح العراق بلد سياسة الثرثرة، وليس للدراسة المركزة والتخصص". بعدها نبهه الى ما كان سائداً في العالم آنذاك، "**اذ نجد الطالب المتخرج من الثانوية يذهب الى المدارس العالية ليتخصص في احد العلوم، اما عندنا فالتلميذ يريد ان يكون طبيباً مثلاً ويكون سياسياً وبعد دقيقتين يريد ان يكون وزيراً وبعدها يريد ان يكون راتبه ضخماً. ادى كل ذلك الى ان تكون هذه الذهنية دافعاً كبيراً لتواجد طبقة متذمرة، فنحن كبلد لا نحتاج الى هذه الطبقة من الثقافة، وانما نحن نشكو قلة الايدي العاملة المتخصصة**"، وخلص الى القول: "**فالثقافة الناقصة ثقافة مضرة، لذا على المدارس ان تعنى في تركيز العلوم، لا ان تكثر لنا من المتخرجين الذين لا ينتجون شيئاً في مثل هذا العصر**". بعدها يبدي استغرابه من بلد مثل العراق لا يوجد بين المتعلمين فيه من يجيد اي صناعة حتى الصباغة، وليس فيه من يستطيع ان يصنع ابرة او مسماراً، والغريب ان البلد قد تردت فيه طبقة المتعلمين الى هذا الحد، فالثقافة في العصر الحاضر ليس كتاباً يدّرس، انما المدرسة واسطة لأن يتبع الرجل تقدم المعارف والعلوم ومختلف الثقافات(٦٩).

استمر النائب سلمان الشيخ داود في خطابه وقد وضع يده على الجرح عندما قال: "**ان الثقافة والتثقيف الصحيح انما هو نتيجة المشاهدة والدراسة، لا ان تلقى المحاضرات فتملأ بها الادمغة وتزيدها فساداً، لهذا ارى من الضروري ان تكون في الثانويات ساحات واسعة للرياضات المختلفة، وقاعة للسينما يتم من خلالها عرض الافلام الاخلاقية والمهنية، بدلا من ان يبقى الطلاب يتسكعون في المقاهي، او يذهبون الى اماكن اخرى لا فائدة منها**"(٧٠).مذكراً المسؤولين في وزارة المعارف بأن التخصص الذي اعتبره عماد الدراسة في المدارس العالية وان عدم وجود الاخصائيين

انما يؤدي الى ان تكون الدراسة ناقصة، والخطأ الكبير برأيه يكمن في ان طلبة البعثات عندما يعودون من الخارج تعطى لهم فرصة التدريس بصورة مباشرة، قبل ان يتمرنوا على التدريس تحت تدريب اساتذة اخصائيين، ونحن بذلك نقوم بعمل كما قام به الحلاق عندما "**يتعلم الحجامة برؤس اليتامى**" ثم اعرب النائب عن امله بقيام وزارة المعارف باستقدام اساتذة اختصاص من بلدان العالم ليخلقوا جيلاً صالحاً مثقفاً ثقافة عالية، لان المدارس العالية بدون اساتذة اخصائيين كجيش بلا جنود، اذ ليس الفائدة بأن نأتي بمدرس يدرس كتاباً نقله عن مدرس سابق، انما المفروض كما هو الحال في البلاد الراقية ان يكون المدرس ملماً بمادته التي كونها بعد دراسته على الاقل من خمسين كتاباً. هذا هو الصحيح، وما تقوم به وزارة المعارف ناقص ولا يخلق لنا جيلاً نافعاً.(٧١)

علق الشيخ النائب محمد رضا الشبيبي(٧٢) على ما ذكره وزير المعارف نجيب الراوي بشأن الزيادة الحاصلة في اعداد الطلبة سنة ١٩٤٨ مقارنة بسنة ١٩٢١ بهذه الكلمات: "**هنالك فرقاً عظيماً جداً بين عدد المدرسين والمدارس والطلاب، ولكن ماذا يعني هذا الفرق، يعني ان المصلحة حصرت عنايتها بالكمية واهملت النوعية اي بتكثير العدد، اما الخطط المفيدة، والاهداف العليا فقد بقيت على حالها ان لم نقل انها كانت تسير من سيئ إلى اسوأ حتى هذه اللحظة**". بعدها ذكَّر الشبيبي بتقويم الناس لسياسة التعليم فقال: "**ان الناس على مختلف طبقاتهم يقولون ان مستوى التعليم ينحط في جميع المعاهد. بينما وزير المعارف يكيل لنا بالوعود الكثيرة التي يشكر على كيلها، فقد وعد بأنهاض التعليم العالي والصناعي وانشاء الجامعة وتكثير المدرسين واشياء كثيرة اخرى، في الوقت الذي تخفض ميزانية المعارف مبالغ طائلة، فكيف للوزير الايفاء بما وعد به**".

بالمقابل ذكَّر نائب اخر[٧٣] الجميع بحقيقة مهمة ربما كانت غائبة عن اذهان البعض، وهي ان شعور الطالب القومي هو الذي دفعه الى اظهار الغيرة والدفاع عن قضية فلسطين والمعاهدة وما شابه[٧٤].

آراء بعض اعضاء مجلس النواب في تطوير مدارس الاوقاف:

اهتم كثيرٌ من النواب بمشروع مدارس الاوقاف، داعين الى رعايتها رعاية خاصة لما لها من دور ومساهمة في تنشئة الاجيال وتهذيبها، لخدمة الوطن والشعب. فالنائب حسن عبد الرحمن، طالب بضرورة الاعتناء برجال الدين والعمل على ترفيعهم، لما لذلك من اثر في رفع المستوى العلمي للطلبة من جهة. ومن جهة اخرى نصح النائب القائمين على الاوقاف الى استقدام اساتذة اختصاص في مختلف العلوم الدينية من الازهر للتدريس في مدارس الاوقاف، موضحاً ان فتح كلية للعلوم الدينية يتطلب منا توفير اساتذة اختصاص[٧٥].

بالمقابل اثنى النائب عبد الرحمن الجليلي على قيام الاوقاف بتأسيس كلية الشريعة، وطالب القائمين على المشروع بتوسيعه وتطويره عبر الاتيان باساتذة اكفّاء يرفعون المستوى الاخلاقي ويرسخون التربية الاسلامية والدينية التي اخذت بالتراجع نتيجة الوضع الاقتصادي الحالي، واضاف النائب المذكور الى ان العناية اللازمة بالمدارس والمعاهد الدينية والعلمية يكفل برأيه [وهو صائب بذلك] تهيئة فئة من رجال الدين الذين يمكنهم المساعدة في تقويم الاعوجاج الحاصل في المجتمع[٧٦].

ووصف نائب بغداد عبد الرزاق الظاهر دائرة الاوقاف بانها صورة من صور الإهمال الشامل في كثير من مرافق الدولة العراقية. ومضى منتقداً دائرة الأوقاف بقوله:" **بالرغم من المبالغ الطائلة التي ترصد لهذه الدائرة، الا اننا نراها تنفق بصورة شكلية على مدارس لا وجود لها وعلى طلبة لا وجود لهم في السجلات، فكم من المؤسف والمعيب ان نرى هكذا حالات في دوائر رسمية، كان الاجدر بها تنفيذ منطوق الوقفيات، وان تفتح المدارس المغلقة، اذ لا يوجد في العراق كله مدرسة رسمية**

تخرج طلاباً لائقين للقرن العشرين، وتحفظ لنا الثقافة الاسلامية المندثرة، ورجال دين يمثلون كل الطوائف، او على الاقل تحفظ لنا ثقافتنا العربية عن طريق هذه المؤسسة التي تكلف رواتب موظفيها وقضايا اخرى ما انزل الله بها من سلطان نصف مليون دينار"[٧٧].

في خطاب آخر للنائب عبد الرزاق اللظاهر في الجلسة السابقة اطل ثانية على موضوع مدارس الاوقاف، منتقداً مديرية الاوقاف، موضحاً ان ما يدفعه لذلك هو الغيرة والمصلحة على هذه الدائرة، والتي يرغب ان تقوم بواجبها على اكمل وجه. مشيراً الى انه لم يكن جاهلاً في ان للاوقاف مؤسستين وحيدتين تنفق عليهما وهو جزء من الواجب، ولكننا نتساءل كم هي نفقات هاتين المؤسستين اذا ما قورنت بالايراد الضخم الذي يبلغ حوالي النصف مليون." اننا **نرى ان هذه النسبة ضئيلة وتافهة تلك التي تصرف على الوجوه الصحيحة والمعقولة**"، واصفاً المدارس التي ذكرتها الاوقاف، "انما **هي مدارس شكلية مع الاسف وغير حقيقية**"[٧٨].

بينما رأى كامل الخضيري[٧٩] ان دائرة الاوقاف لو قامت بواجبها، لشجعت الاقبال على الدراسات الدينية وتنظيم كل ما هو مطلوب منها، وعليه فقد طالب نائب العمارة الاوقاف بأرسال بعثات علمية الى جامعة الازهر على ان يكون راتب من يبتعث اليها مساوي لراتب البعثات الى اوربا[٨٠].

اهتم النائب فائق السامرائي بتأسيس معهد ديني اسلامي في بغداد، يشمل المدارس الابتدائية والثانوية والعالية، ليكون اوسع نطاقاً من كلية الشريعة. على ان ينص على عدم اعتبار شهادة هذا المعهد مؤهلة للعمل في مصالح الحكومة المدنية. ثم دعا الى العناية بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس اللغة العربية والعلوم الدينية في كافة المعابد التي فيها المدرسون والوعاظ. وتمنى النائب المذكور ان تكون المدارس الدينية وسيلة لمكافحة الامية باعتبار ان نشر العلم من اسس الدين الاسلامي، من خلال خطة مشتركة توضع مع وزارة المعارف لهذا الغرض، حيث تكون المساجد والجوامع اماكن

لهذه المكافحة على ان يستخدم فيها المعلمون الذين ظلوا يتقاضون رواتب من دون عمل جدي، واكمل النائب خطابه بقوله: لو اتبعت هذه الطريقة لكان في الامكان تعليم ما لايقل عن (٦٠) الف شخص خلال العشرين سنة الماضية. وختم النائب السامرائي حديثه بالدعوة الى العناية بايفاد البعثات الدينية الى الجامع الازهر والى غيره من المدارس الدينية في مصر، من اجل ايجاد فئة تحرص على فهم الفقه الاسلامي ونشره وتدريسه[٨١].

لما كانت كلية الحقوق هي اقدم كلية في العراق[٨٢]، ولما كانت لهذه الكلية هي الكلية الوحيدة المسؤولة عن رفد الدولة بالموظفين الاكفاء، فانه من الطبيعي جداً ان يخصص البعض من النواب جانباً من خطاباتهم للحديث عنها. فالنائب فائق السامرائي علق على حالة الرسوب العالية مطالباً عمادة الكلية بايجاد حل يحفظ للطلاب حقوقهم ويضمن مساعدتهم في هذه المحنة. وفي الوقت نفسه استبعد النائب المذكور ما يقوله البعض من ان هذه النتائج جاءت عقاباً للطلاب على وطنيتهم ومشاركتهم في الوثبة الكبرى[٨٣].

وعندما اتخذت الحكومة قراراً حرمت بموجبة طلاب كلية الحقوق من اداء امتحانات امتحانات الدور الثاني الا ان يدفعوا الاجور المتبقية عليهم. الامر الذي دفع النائب عبد الكريم كنة إلى مطالبة دوزارة المعارف بعدم اتخاذ الضائقة المالية التي يعانون منها ذريعة لحرمان الطلبة من مواصلة دوامهم، مذكراً جميع النواب بان الدول المتقدمة تعمل على تسهيل سبل التهذيب والتثقيف لشبابها[٨٤].

رد محمد حسن كبة وزير المعارف وكالة على ما قاله النائب عبد الكريم كنة قائلاً: "**ان الطالب الذي يروم الدخول الى كلية الحقوق لابد ان يكون متمكناً من دفع الاجور المقررة وقدرها (١٥) دينار. اما الطلبة المعوزين الذين لا يستطيعون دفع هذه الاجور فقد قدموا العرائض يطالبون فيها بالاعفاء مشفوعة بشهادات الفقر، وخلال فترة تسلمي المنصب قمت باعفاء (٢٥٠) طالباً بعد ان ثبت عندي فقرهم.**

وبعد ان قدم النائب عبد الكريم كنة شكره الى وزارة المعارف على هذا الاعفاء، طالبها وكان محقاً في ذلك بأن تفسح المجال لكافة افراد الشعب والتثقيف دون النظر الى قابلياتهم المادية كيلا تكون سبباً في دخول قسماً الى الدراسة وحرمان القسم الاخر"[٨٥].

وكان اعتراض النائب عز الدين ملا في في غير محله على كثرة المقبولين في كلية الحقوق، متسائلاً: ماذا يعمل هؤلاء، وكيف يعيشون، انهم سيصبحون برأيه عالة على المجتمع[٨٦].

وساند النائب حسين جميل وهو القانوني الكبير طلبة كلية الحقوق الذين فصلوا بسبب نقص في ساعات دوامهم من قبل عميد الكلية[٨٧]، موضحاً ان الواجب يقتضي ان ينبهه الطالب قبل توجيه العقوبة اليه، لاسيما وان النظام الذي فصل الطلاب بسببه لم يطبق في الكلية سابقاً. وعليه فأن النائب المذكور يدعو وزير المعارف الذي يملك السلطة في ان يقبل اعتذار هؤلاء الطلبة، الذين توقف مستقبلهم بسبب هذا القرار، ويمارس مهامه بالايعاز الى العمادة من اجل اعادهم الى صفوفهم[٨٨].

آراء النواب في فكرة الانضمام إلى منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو):

شهدت جلسة مجلس النواب الثامنة المنعقدة في ١٣ تموز ١٩٤٨، طلب حكومة مزاحم الباجه جي من مجلس النواب المصادقة على اتقافية انضمام العراق الى منظمة (اليونسكو). لقد قدم وزير المعارف نجيب الراوي الاتفاقية موضوع البحث، مؤكداً اهمية الانضمام لها وهي التي اتخذت من مدينة باريس مقراً لها والبعيد كل البعد عن التيارات السياسية وتجاذباتها في مدينة نيويورك[٨٩].

اعترض النائب عبد الرزاق الشيخلي[٩٠] بشدة على هذه اللائحة موضحاً ان منظمة الامم المتحدة لم تؤسس الا لغرض القضاء على الأمم الصغيرة، وهي حسب وجهة نظره "**مؤسسة مجرمة**". ومضى متسائلاً وبألم واضح، غريب امر هذا العالم والاغرب

هو من يعتقد ان هنالك اموراً قوية تعطف على الامم الضعيفة. مفضلاً ان تقص اجنحته عن طريق السياسة لا عن طريق التربية والتعليم، فهذه من اخطر خطط واهداف منظمة الامم المتحدة من اجل دس سمومها بين الدول الضعيفة، واخيراً التمس من المجلس العالي ان يؤجل الموافقة على هذه اللائحة(٩١).

ايَّد النائب عبد الكريم كنة ما قاله زميله عبد الرزاق الشيخلي، ولانه اعتبر امر الاتصال الثقافي بين العالم اجمع امر طيب ومرغوب فيه، لكنه بين وجهة نظره بقوله: "**نحن الان في صراع سياسي وفي عالم جائر وانا من هذا المنطلق اقترح تأجيل النظر في هذا الموضوع، وفرق عظيم بين الرفض والتأجيل، لاسيما ونحن ننتظر قرار مجلس الامن الخاص بقضية فلسطين والذي سيبت به قريباً**"(٩٢).

اما النائب عبد الرزاق الحمود فلم يدعو إلى ضرورة الانضمام إلى هذه المنظمة لاسيما وان العراق من الدول المؤسسة لها فقط وانما، شرح الغرض من الانضمام اليها، فهي برأيه تعمل على توثيق التعاون الثقافي بين الدول الاعضاء من جهة، ومن جهة اخرى فأن هذه المنظمة منفصلة تماماً عن هيئة الامم المتحدة، ويتم من خلالها عرض القضايا العامة والخاصة، لذلك فهو يرى من الواجب الموافقة على هذه اللائحة(٩٣).

حظيت هذه اللائحة باهتمام نواب اخرين، حيث شجع النائب حسن عبد الرحمن على الانضمام لهذه المنظمة، مشيراً إلى ان فيها منافع ثقافية ومنافع للدعاية الا ان المهم هو اختيار الاشخاص المناسبين للتمثيل في هذه المؤتمرات، كي يتم من خلالها بث الدعاية لقضايانا الكبيرة والصغيرة(٩٤)، ورأى نائب اخر(٩٥) ان الواجب يدعو الى الانضمام الى كل منظمة دولية نستغل وجودنا فيها للتثبيت والدعوة لقضايانا المهمة، لاسيما عندما تعقد هذه المنظمات مؤتمراتها في البلدان العربية(٩٦).

اما النائب محمد رضا الشبيبي فقد دعا الى اهمية الانضمام الى منظمة (اليونسكو) التابعة للامم المتحدة، معتبراً الانضمام اليها اذا لم يكن فيه خيراً عاجلاً فليس فيه ضرراً حالياً(٩٧).

اما النائب عبد الجبار الجومرد[٩٨] فأنه اعلن موافقته على اللائحة موضوع البحث واستثمر تلك المناسبة بأن يطلب من الحكومة الابتعاد عن التقاليد التي كانت تسير عليها الحكومات السابقة، حيث كانت ترسل اقارب الوزراء السابقين واصهارهم للاصطياف في اوربا ويرجعون كما ذهبوا، وعليه فأن وزير المعارف مطالب بالتعهد بارسال شباب مثقف ومتعلم وممتلئ حماسة فسوف تكون الفائدة مضمونة من هذا المؤتمر في الدفاع عن قوميتنا وارضنا[٩٩].

وعلى الرغم من معارضة بعض النواب لهذه اللائحة،الا ان المجلس النيابي في نهاية الامر وافق عليها بالأغلبية[١٠٠].

الخاتمة

مما سبق يبدو واضحاً، ان كثيراً من اعضاء مجلس النواب، اظهروا الماماً معيناً بقطاع التربية والتعليم في العراق، الامر الذي سمح لهم بطرح افكاراً واراء عديدة، اعتقدوا انها تسهم في تطوير مسيرة هذا القطاع المهم بالنسبة لمستقبل العراق وتقدمه. لقد دارت تلك الاراء والافكار حول موضوع الاهتمام ببناء المدارس واهمية توزيعها على العراق، ومدى الحاجة الى مكافحة الامية، ولفتوا انتباه الحكومات العراقية للاهتمام بعمود العملية التربوية واساسها المعلم، ومن الجوانب المالية، لكي يتفرغ المعلم للقيام بواجباته العلمية والتربوية الخطيرة.

وفي الوقت نفسه ركز بعض النواب على فكرة البعثات العلمية والمطالبة بارسال المزيد من الطلبة للدراسة في الدول المتقدمة. ولم ينسَ البعض منهم الحديث عن المناهج وضرورة تلبيتها لمتطلبات العصر. وكان اقرار

مجلس النواب لاتفاقية انضمام العراق لمنظمة اليونسكو خطوة عبر فيها المجلس عن مدى حاجة العراق الى مظلة تلك المنظمة الدولية.

المصادر

الوثائق المنشورة:

- "محاضر جلسات مجلس النواب" , الاجتماع غير الاعتيادي والاعتيادي لعام ١٩٤٨, مطبعة الحكومة , بغداد , ١٩٤٩ .

الرسائل والاطاريح الجامعية:

- طالب ستار عبد الله حسون، تصميم نظام التكاليف الانتاح الحيواني، بحث تطبيقي في الحقل الحيواني كلية الزراعة جامعة بغداد ، بحث تطبيقي غير منشور، كلية الإدارة والاقتصاد – جامعة بغداد، ٢٠١٤.
- علي عبد شناوة ، محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي حتى العام ١٩٣٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب– جامعة بغداد، ١٩٩٢.
- علي عبد شناوة ، محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي حتى العام ١٩٥٨،أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب– جامعة بغداد، ١٩٩٧.
- فاطمة صادق عباس السعدي , صالح جبر ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٧, رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية التربية–الجامعة المستنصرية , ٢٠٠٥.

- فهد مسلم زغير فجر , مزاحم الباجه جي ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٣, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية–الجامعة المستنصرية ,١٩٩٩.
- فهد امسلم زغير فجر , مزاحم الباجه جي ودوره في السياسة العراقية ١٩٣٤–١٩٦٨,اطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية التربية – الجامعة المستنصرية , ٢٠١٢ .
- عمار مزهر ريسان داخل، نجيب الراوي ودوره السياسي في العراق حتى العام ١٩٥١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية (ابن رشد للعلوم الانسانية)– جامعة بغداد، ٢٠١٢.
- محمد رشيد عباس , مجلس الاعيان العراقي ١٩٥٢– ١٩٥٨ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية (ابن رشد)– جامعة بغداد, ١٩٩٥.

الكتب العربية:

- جعفر عباس حميدي,التطورات السياسية في العراق ١٩٤١– ١٩٥٣, مطبعة النعمان , النجف الاشرف, ١٩٧٦.
- ستيفن هميسلي لونكريك,العراق الحديث من ١٩٠٠–١٩٥٠,ترجمة سليم طه التكريتي ,ج٢, بغداد, ١٩٨٨.
- طارق الناصري , عبد الاله الوصي على عرش العراق ١٩٣٩–١٩٥٨ حياته ودوره السياسي , ج١, دار الشؤون الثقافية , بغداد,١٩٩٠ .

- عادل تقي عبد محمد البلداوي , الحزب الوطني الديمقراطي في العراق ١٤تموز١٩٥٨-٨شباط١٩٦٣, مراجعة, كمال مظهر احمد, مطبعة الميناء , بغداد , ٢٠٠٠.
- عبد الله الجبوري، منير القاضي حياته وآثاره، بلا ، بلا.
- عبد الله شاتي عبهول , دراسة تحليلية في تاريخ العراق المعاصر,تقديم كمال مظهر احمد ,ط١, بغداد, ٢٠٠٩.
- عبد الرزاق الحسني , تاريخ الوزارات العراقية ,ج٧-٨ , بيروت , ١٩٨٢ .
- عبد الحسين الرفيعي , دور النخبة القانونية في تأسيس الدولة العراقية ١٩٠٨- ١٩٣٢ , ط١ , دار الرافدين , بيروت , ٢٠٠٥ .
- عبد الرزاق الهلالي , تاريخ التعليم في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧, بغداد, ١٩٥٩ .
- عبد الهادي عبد الخماس , الامير عبد الاله ١٩٣٩-١٩٥٨ دراسة تاريخية سياسية,المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت,٢٠٠١
- فاضل حسين , تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦- ١٩٥٨, مطبعة الشعب ,بغداد,١٩٦٣.
- كمال مظهر احمد , صفحات من تاريخ العراق المعاصر دراسة تحليلية , بغداد , ١٩٨٧.
- محمد حمدي الجعفري , بريطانيا والعراق حقبة من الصراع ١٩١٤-١٩٥٨, دار الشؤون الثقافية , بغداد ,٢٠٠٠.

- محمد مهدي كبة , مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨– ١٩٥٨, دار الطليعة, بيروت , ١٩٩٥.

المقابلات الشخصية :

- مقابلة مع الاستاذ الدكتور هاشم صالح التكريتي بتاريخ ٢/١٥ /٢٠١٦

الهوامش :

(١) يرى استاذنا الكبير د. هاشم صالح التكريتي بأن تسمية الوثبة عراقية بحته. مقابله معه بتاريخ ٢٠١٦/٢/١٥.

(٢) للتفصيل عنها ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٧، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٦٣، كمال مظهر احمد، صفحات من تاريخ العراق المعاصر دراسة تحليلية، بغداد,١٩٨٧، ص ١٣٥– ١٣٧؛ عبد الله شاتي عبهول، دراسة تحليلية في تاريخ العراق المعاصر، تقديم، كمال مظهر احمد، ط١,بغداد، ٢٠٠٩، ص ٩٦– ١٠٢.

(٣) صالح جبر: ولد في الناصرية عام ١٨٩٥، التحق في مدرسة الحقوق في بغداد ونال شهادتها عام ١٩٢٥، استندت الية وزارة المعارف عام ١٩٣٣، ووزارة العدلية ١٩٣٦، ثم وزارة الشؤون الاجتماعية عام ١٩٤٠، ووزارة المالية ١٩٤٢، بعدها شكل وزارته عام ١٩٤٧ بالاضافة الى حقيبة الداخلية. للمزيد ينظر: فاطمة صادق عباس السعدي، صالح جبر ودوره السياسي في العراق وحتى عام ١٩٥٧، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥.

(٤) محمد الصدر: من الشخصيات الدينية والسياسة في العراق , ولد عام ١٨٨٣ في مدينة الكاظمية المقدسة ببغداد, كان والده السيد حسن الصدر مرجعاً دينياً في عصره , يعد من قيادات ثورة العشرين البارزين , غادر العراق إلى سوريا ثم إلى القاهرة بعدها إلى الحجاز، عاد إلى العراق وشغل عضوية مجلس الاعيان ورئاسته لسنوات عديدة , شكل الوزارة مرة واحدة عام ١٩٤٨,

توفي في بغداد عام ١٩٥٧. للمزيد من التفصيل ينظر : محمد رشيد عباس, مجلس الاعيان العراقي١٩٥٢-١٩٥٨, اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية ابن رشد -جامعة بغداد,١٩٩٥,ص ٩٣-٩٤ .

(٥) جعفر عباس حميدي , التطورات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣, مطبعة النعمان , النجف الاشرف , ١٩٧٦, ص ٥٥٥-٥٥٦ ؛ ستيفن هيسلي لونكريك , العراق الحديث من ١٩٠٠-١٩٥٠, ترجمة , سليم طه التكريتي, ج٢, بغداد, ١٩٨٨, ص ٥٦٦-٥٦٧؛ محمد حمدي الجعفري , بريطانيا والعراق حقبة من الصراع ١٩١٤-١٩٥٨, دار الشؤون الثقافية , بغداد , ٢٠٠٠, ص ١٦٣-١٧٠ .

(٦) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٢٨٧ .

(٧) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٣١٤- ٣٢٠؛ محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨- ١٩٥٨، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٢٣٠.

(٨) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٣٢٣، للمزيد من التفصيل عن اسماء النواب ينظر: " محاضر جلسات مجلس النواب" الدورة الانتخابية الثانية عشر , الاجتماعان غير الاعتيادي والاعتيادي لسنة ١٩٤٨ , تقرير المدير العام عن اللجان الدائمة في الاجتماعين غير الاعتيادي والاعتيادي لسنة ١٩٤٨ , مطبعة الحكومة , بغداد , ١٩٤٩ , ص ١٠١ .

(٩) مزاحم الباجه جي: ولد في بغداد عام ١٨٩١ وهو سياسي ودبلوماسي عراقي اصبح عام ١٩٣٤ عضواً في المجلس التأسيسي العراقي عن لواء الحلة , ثم تسنم منصب وزير العدل ووزير الداخلية عام ١٩٣١, ومندوباً للعراق في عصبة الامم ثم سفيراً ممثلاً للعراق في اوربا, توفي عام ١٩٨٢ ودفن في المقبرة الاسلامية في جنيف حسب وصيته .للمزيد من التفصيل ينظر: فهد مسلم زغير فجر، مزاحم الباجه جي ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية-الجامعة المستنصرية ,١٩٩٩؛ فهد امسلم زغير, مزاحم الباجه جي ودوره في السياسة العراقية ١٩٣٤-١٩٦٨, اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية-الجامعة المستنصرية , ٢٠١٢ .

(١٠) ضمت الوزارة الجديدة كل من مزاحم الباجه جي رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية بالوكالة, مصطفى العمري وزيراً للداخلية, صادق البصام وزيراً للدفاع, نجيب الراوي وزيراً للمعارف،عبد الوهاب مرجان وزيراً للاقتصاد , جلال بابان وزيراً للمواصلات= =ووكيلاً لوزارة الشؤون

الاجتماعية, علي ممتاز, وزيراً للمالية ووكيلاً لوزارة التموين , محمد حسن كبة وزيراً للعدلية، للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ,ج٨, المصدر السابق، ص ٨ .

(١١) عبد الاله: ولد في الطائف عام ١٩١٢، وهو النجل الاكبر للملك علي بن الحسين ملك الحجاز، اصبح على اثر مصرع الملك غازي وصياً على عرش العراق لصغر سن فيصل الثاني الذي نؤدي به ملكاً على عرش العراق، للمزيد من التفاصيل ينظر: طارق الناصري، عبد الاله الوصي على عرش العراق ١٩٣٩– ١٩٥٨ حياته ودوره السياسي، ج١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠؛ عبد الهادي الخماسي، الامير عبد الاله ١٩٣٩– ١٩٠٨، دراسة تاريخية سياسية, المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت ,٢٠٠١.

(١٢) للمزيد من التفصيل ينظر: "محاضر جلسات مجلس النواب"، الدورة الانتخابية الثانية عشر، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٤٨, بغداد , ١٩٤٩, ص١, ص٣١٩ ؛ الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٨، بغداد، ١٩٤٩، ص ١ , ٨٧٨ .

(١٣) تسنم نجيب الراوي منصب وزير المعارف في٢٦ حزيران ١٩٤٨ ولغاية ٦ كانون الثاني ١٩٤٩. وعلى مايبدو أن تفاعل الحكومة مع السياسة التعليمية كان دون المستوى المطلوب مما جعل أطروحات النواب تدور في اطار عاطفي نابع من إحساس حقيقي لحاجة ملموسة يقابلها ردود وتبريرات من قبل الوزارة لا تخرج عن الإطار الإعلامي. للمزيد من التفصيل ينظر: عمار مزهر ريسان داخل، نجيب الراوي ودوره السياسي في العراق حتى العام ١٩٥١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية – جامعة بغداد ،٢٠١٢.

(١٤) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الدورة الانتخابية الثانية عشر، الاجتماع غير الاعتيادي, المصدر السابق, الجلسة الثانية عشر , ص١٥٢.

(١٥) "محاضر جلسات مجلس النواب", الدورة الانتخابية الثانية عشر , الاجتماع الاعتيادي, المصدر السابق , الجلسة الخامسة, ص ٦٩ .

(١٦) المصدر نفسه، الجلسة الثانية والاربعين، ص ٧٠٤.

(١٧) نائب بغداد في الدورة الثانية عشر، وهو احد اهم اقطاب الحزب الوطني الديمقراطي. للمزيد من التفصيل ينظر: فاضل حسين , تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦–١٩٥٨, مطبعة

الشعب بغداد , ١٩٦٣؛ عادل تقي عبد محمد البلداوي , الحزب الديمقراطي في العراق ١٤تموز١٩٥٨–٨ شباط١٩٦٣,مراجعة, كمال مظهر احمد, مطبعة الميناء,بغداد , ٢٠٠٠ .

(١٨) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الاجتماع غير الاعتيادي، المصدر السابق, الجلسة الخامسة والعشرين، ص ٣١٤.

(١٩) المصدر نفسه، ص٣١٤, (الجلسة نفسها) .

(٢٠) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الاجتماع الاعتيادي، الجلسة الثانية والاربعون، المصدر السابق، ص ٧٠٦.

(٢١) نائب بغداد في الدورة الثانية عشر.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٧٠٠ , (الجلسة نفسها).

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٧٠١ (الجلسة نفسها).

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٧٠٢ (الجلسة نفسها).

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٧٠٦ (الجلسة نفسها).

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٧٠٦ , (الجلسة نفسها).

(٢٧) نائب الموصل في الدورة الثانية عشر.

(٢٨) المصدر نفسه ، الجلسة الخامسة , ص ٦٩ .

(٢٩) المصدر نفسه , الجلسة التاسعة , ص١٤٠ .

(٣٠) نائب الموصل في الدورة الثانية عشر.

(٣١) المصدر نفسه، ص١٤٠, (الجلسة نفسها).

(٣٢) المصدر نفسه، الجلسة الخامسة، ص ٦٩.

(٣٣) نائب البصرة في الدورة الثانية عشرة.

(٣٤) المصدر نفسه، الجلسة الثانية والاربعين , ص ٧٠١– ٧٠٢ .

(٣٥) المصدر نفسه، ص٧٠٢، (الجلسة نفسها) .

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٧٠٣، (الجلسة نفسها).

(٣٧) المصدر نفسه، ص٧٠٢، (الجلسة نفسها).

(٣٨) المصدر نفسه، ص٧٠٢، (الجلسة نفسها).

[٣٩] "محاضر جلسات مجلس النواب "، الاجتماع غير الاعتيادي لعام ١٩٤٨، الجلسة السادسة عشر، المصدر السابق، ص ٢١٠.

[٤٠] المصدر نفسه، الجلسة الثامنة، ص ٩٧.

[٤١] "محاضر جلسات مجلس النواب "، الاجتماع الاعتيادي لعام ١٩٤٨، الجلسة الثامنة والابعون، المصدر السابق، ص ٧٩٨.

[٤٢] المصدر نفسه،ص ٧٩٨, (الجلسة نفسها).

[٤٣] نائب بغداد في الدورة الثانية عشرة.

[٤٤] المصدر نفسه، الجلسة الخامسة , ص٧٦.

[٤٥] نائب كركوك في الدورة الثانية عشرة.

[٤٦] المصدر نفسه، الجلسة الثانية والابعون، ص ٦٩٦.

[٤٧] المصدر نفسه، ص ٦٩٠ (الجلسة نفسها).

[٤٨] المصدر نفسه، ص ٧٠٣، (الجلسة نفسها).

[٤٩] المصدر نفسه، ص ٧٠٤، (الجلسة نفسها).

[٥٠] المصدر نفسه، ص ٧٠٦، (الجلسة نفسها).

[٥١] المصدر نفسه، ص ٧٠٠، (الجلسة نفسها).

[٥٢] تأسست كلية الزراعية عام١٩٥٢ بموجب الديوان الملكي المرقم ١١٣٠في تشرين الاول عام١٩٥٢. للمزيد من التفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص٧٠٠(الجلسة نفسها)؛ طالب ستار عبد الله حسون، تصميم نظام التكاليف الانتاج الحيواني، بحث تطبيقي في الحقل الحيواني كلية الزراعة جامعة بغداد ، بحث تطبيقي غير منشور، كلية الإدارة والاقتصاد – جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص٦٥.

[٥٣] المصدر نفسه، ص ٧٠٠، (الجلسة نفسها).

[٥٤] "محاضر جلسات مجلس النواب"، الاجتماع غير الاعتيادي لعام ١٩٤٨، الجلسة السادسة عشر، المصدر السابق، ص ٢١٠.

[٥٥] نائب الدليم في الدورة الانتخابية الثانية عشر.

[٥٦] المصدر نفسه، الجلسة العاشرة، ص ١٣٨.

(٥٧) تأسست الجامعة العراقية(جامعة بغداد) عام ١٩٥٧. للمزيد من التفصيل ينظر: طالب ستار عبد الله حسون، المصدر السابق،ص٦٥.

(٥٨) المصدر نفسه، الجلسة الرابعة والعشرون، ص ٢٩٤.

(٥٩) المصدر نفسه، الجلسة الخامسة والعشرون، ص ٣١٥.

(٦٠) "محاضر جلسات مجلس النواب" ، الاجتماع الاعتيادي لعام ١٩٤٨، الجلسة الخامسة ، المصدر السابق،ص ٧٥.

(٦١) المصدر نفسه، الجلسة الثامنة، ص ١١٨- ١١٩.

(٦٢) نائب الموصل في الدورة الثانية عشر.

(٦٣) المصدر نفسه، الجلسة الثانية والاربعون، ص ٦٩٧.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٦٩٧، (الجلسة نفسها).

(٦٢) المصدر نفسه ,ص ٧٠١, (الجلسة نفسها) .

(٦٦) المصدر نفسه، ص٧٠١-٧٠٢، (الجلسة نفسها).

(٦٧) المصدر نفسه، ص٧٠٤، (الجلسة نفسها).

(٦٨) نائب العمارة في الدورة الثانية عشر.

(٦٩) المصدر نفسه، الجلسة الثالثة والاربعون، ص ٧١١- ٧١٢.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٧١٢، (الجلسة نفسها).

(٧١) المصدر نفسه، ص ٧١٢، (الجلسة نفسها).

(٧٢) محمد رضا الشبيبي: هو محمد رضا جواد الشبيبي ولد في النجف الاشرف عام ١٨٨٩ كان من نوابغ الشعراء ومن أهم رجالات العهد الملكي الوطنيين الذين ناهضوا الانكليز. تقلد مناصب رفيعة أهمها رئاسته مجلس النواب والأعيان وتسنمه وزارة المعارف اربع مرات، توفي عام ١٩٦٥. للمزيد من التفصيل ينظر: علي عبد شناوة ، محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي حتى العام ١٩٣٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٩٢؛ علي عبد شناوة ، محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي حتى العام ١٩٥٨،أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٩٧.

(٧٣) نائب بغداد رفائيل بطي.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٧١٤- ٧١٥ (الجلسة نفسها).

(٧٥) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الاجتماع غير الاعتيادي لعام ١٩٤٨، الجلسة الثالثة، المصدر السابق، ص ٢٨- ٢٩.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٢٩، (الجلسة نفسها).

(٧٧) "محاضر جلسات مجلس النواب "، الاجتماع الاعتيادي لعام ١٩٤٨، الجلسة السابعة، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ١٠٦- ١٠٧، (الجلسة نفسها).

(٧٩) نائب العمارة في الدورة الثانية عشر.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ١٠٣، (الجلسة نفسها).

(٨١) المصدر نفسه، الجلسة السابعة والاربعون، ص ٧٨٣. واكمالاً للفائدة نورد رأي دائرة الاوقاف بما طرحه اعضاء المجلس من آراء وملاحظات، حيث اشار مدير الاوقاف العام عبد الرحمن خضر الى ان هنالك تجني كبير على دائرة الاوقاف،لاسيما وانها قامت بعمل كبير في موضوع المدارس في السنوات الاخيرة، وهي لم تقم به طيلة السنوات السابقة، حيث قامت باستقدام الاساتذة من الازهر الى العراق ليمارسوا اعمالهم في كلية الشريعة، لانها وجدت ان مثل هولاء المراهقين لا يستطيعون مسايرة الاداب الاسلامية في هذه الكلية، لا بل تستطيع اجبارهم على اداء فريضة الصلاة وارتداء الملابس الدينية التي هي شعار هذه الكلية لذلك قامت دائرة المعارف بفتح مدارس ابتدائية للطلبة المراهقين، كونها شعرت انه هذه الفترة الخطيرة من حياة الطلبة لا يمكن ان تقضى في محيط غير ديني، واوعزت الى فتح مدارسة مماثلة لهذا الغرض في جميع انحاء العراق. واضاف يقول: "**ان الاوقاف قامت بفتح مدارس لتعليم القرآن وعلم التجويد واعطاء المكافأت تشجيعاً لهذا الغرض، كون شعار الاوقاف اليوم هو الاعتناء بتدريس العلوم الدينية التي نراها من اهم واجباتنا، فضلاً عن رعاية الايتام طيلة سنين الدراسة وتهيأتهم للانخراط في مختلف الصناعات الحرة وعدم طرق باب الحكومة للحصول على الوظائف. لذلك ان الموازنة التي تحدث عنها النواب لا تصرف على الرواتب فقط، بل هنالك مبالغ للاننتاج والمساعدة وتدريس القرآن الكريم وامور اخرى كثيرة**".

للمزيد من التفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص ١٠٤، (الجلسة نفسها).

(٨٢) تم تأسيسها سنة ١٩٠٨ بأسم مدرسة الحقوق. للمزيد من التفصيل ينظر: عبد الرزاق الهلالي, تاريخ التعليم في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧, ط١، بغداد, ١٩٥٩,ص١١١؛ عبد الحسين

الرفيعي ,دور النخبة القانونية في تأسيس الدولة العراقية ١٩٠٨-١٩٣٢, ط١, بيروت, ٢٠٠٥, ص٢٢٢ .

(٨٣) الوثبة الكبرى: هي انتفاضة شعبية قام بها الشعب العراقي في كانون الثاني ١٩٤٨ بهدف اسقاط حكومة رئيس الوزراء صالح جبر ومعاهدة بورتسموث . للمزيد من التفصيل ينظر: "محاضر جلسات مجلس النواب "، الاجتماع غير الاعتيادي سنة ١٩٤٨، الجلسة التاسعة، المصدر السابق، ص ١٠٩؛ كمال مظهر احمد ، المصدر السابق، ص١٣٧؛ عبد الله شاتي عبهول، المصدر السابق، ص٩٦-١٠٢.

(٨٤) المصدر نفسه، الجلسة الثانية عشر، ص ١٥٢.

(٨٥) المصدر نفسه، الجلسة الثامنة عشر، ص ٢٤٧.

(٨٦) "محاضر جلسات مجلس النواب" ، الاجتماع الاعتيادي سنة ١٩٤٨، الجلسة الثانية والاربعون، المصدر السابق، ص ٦٩٠.

(٨٧) كان عميد كلية الحقوق في حينها منير القاضي وهو منير خضر يوسف القاضي من مواليد بغداد ١٨٩٢، تدرج في مناصب رفيعة في العهد الملكي، فقد أصبح مديراً لأوقاف بغداد عام ١٩٢٩، ثم رئيساً لديوان مجلس الوزراء عام ١٩٥٤ بعدها أنتخب رئيساً للمجمع العلمي العراقي في نفس العام ، ثم تسنمه وزارة المعارف في عام ١٩٥٦. توفي في بغداد عام١٩٦٩. للمزيد من التفصيل ينظر: عبد الله الجبوري ، منير القاضي حياته واثاره، بلا، بلا.

(٨٨) المصدر نفسه، الجلسة الثالثة والاربعون، ص ٧١٩- ٧٢٠.

(٨٩) "محاضر جلسات مجلس النواب "، الاجتماع غير الاعتيادي سنة ١٩٤٨، الجلسة الثامنة، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٩٠) نائب بغداد في الدورة الثانية عشر، وهو من اجرأ النواب واكثرهم شجاعة.

(٩١) المصدر نفسه، ص١٠٧، (الجلسة نفسها) .

(٩٢) المصدر نفسه، ص ١٠٨، (الجلسة نفسها).

(٩٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨، (الجلسة نفسها).

(٩٤) المصدر نفسه، (الجلسة والصفحة نفسها).

(٩٥) نائب بغداد عبد الرزاق الظاهر.

(٩٦) المصدر نفسه، ص١٠٨, (الجلسة نفسها).

[٩٧] المصدر نفسه، ص ١٠٨,(الجلسة نفسها).

[٩٨] نائب الموصل في الدورة الثانية عشر.

[٩٩] المصدر نفسه، ص ١٠٩، (الجلسة نفسها).

[١٠٠] للمزيد من التفصيل ينظر: محاضر جلسات مجلس النواب ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٤٨، الجلسة الثامنة والتاسعة، ص ١٠٨- ١١٢.

بواكير الحركة الوطنية التركية (١٩١٨-١٩٢٠)

م.د. أنس إبراهيم خلف العبيدي

جامعة بغداد/ كلية الآداب / قسم التاريخ

بواكيـر الحركـــة الوطنيـــــة التركيـــــة (١٩١٨-١٩٢٠)

م.د. أنس إبراهيم خلف العبيدي

إن تاريخ المقاومة التركية المبكرة التي نضمها الوجهاء المحليين وضباط الجيش النظامي، مع زيادة الاعتماد على العصابات المسلحة المحلية، قد تم حجبه من لدن اثنين من الميول المترابطة من التاريخ الرسمي اللاحق. أحدهما الميل لتمجيد المقاومة حركة سلسة موحدة، قيدت لا محالة بروح وطنية تركية، الرأي الذي يقوض الدور الحاسم الذي أدته في وقت مبكر القوى المحلية المعزولة ومنظمات الدفاع في تعبئة المقاومة. والثاني هو الميل إلى منح مصطفى كمال الدور الأساس، إن لم يكن الحصري، في الإنجازات التي حققتها المقاومة. في حين أن مصطفى كمال أدى دوراً محورياً في تعزيز الحركة ابتداء من صيف عام ١٩١٩، بينما أصبحت بعض المجموعات المحلية نشطة ما أن انتهى القتال في الحرب العالمية الأولى، وشكلت الأساس للعمل الموحد ضد تدافع قوى الوفاق على أراضي الأناضول في السنوات اللاحقة. وهذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه في صفحات هذا البحث.

The early history of the Turkish resistance that had been organized by local dignitaries and regular officers of the army, with greater reliance on local armed gangs, have been blocked later by two interconnected tendencies of the official history. One tendency aims to glorify the resistance movement as smooth and uniformed, tied inexorably with national Turkish spirit, the opinion which undermines the crucial role played in early time by isolated local forces and defense organizations to mobilize

resistance. The second is the tendency to give Mustafa Kemal basis role, if not exclusive, of the achievements of the resistance. While Mustafa Kemal led a pivotal role in strengthening the movement starting from the summer of 1919, while some local groups have become active once the fighting ended in World War I, and formed the basis of the consolidated action against the Entente Powers ambitions on the territory of Anatolia in subsequent years. This is what we try to highlight in the pages of this research.

بعد أن استكملت قوى الوفاق الحرب العالمية الأولى احتلالها لمعظم أرجاء الإمبراطورية العثمانية، ساد البلاد أوضاع متأزمة للغاية، إذ سُحق الجيش في معظم الجبهات، ووقعت الهدنة بشروط قاسية، وتركت الحرب الطويلة الشعب معدماً، أما كبار قادة الاتحاديين الذين ورطوا البلاد بالحرب فقد تركوها لأول وهلة ولاذوا إلى الخارج[١]. بينما كان وحيد الدين محمد السادس[٢] القائم على السلطنة والخلافة منشغلاً بالبحث عن طريقة ما ينقذ بها عرشه الذي خلف عليه شقيقه محمد الخامس المتوفى في تموز ١٩١٨. كان السلطان الجديد، الذي يتمتع بالذكاء والعناد معاً، يهدف إلى الاستفادة من الفرصة للهروب من دور الدمية الذي كان عليه تأديته تحت سلطة الاتحاديين[٣]. أما الحلفاء فلم يأخذوا بعين الاعتبار احترام شروط هدنة مودروس[٤] التي فرضوها على الدولة، فأذنوا لجيوشهم باحتلال المدن والموانئ والقصبات التركية التي تثير القلق من وجهة نظرهم وفقاً للمادة السابعة، وأطلقوا اليد لضباطهم ووكلائهم للعمل في كل مكان[٥].

قبل أن يجف حبر التوقيعات على المعاهدة، احتلت القوات البريطانية المتواجدة في شمال بلاد الرافدين الموصل الغنية بالنفط، في تقدم غير متوقع في

ناحية الشمال. إذ كانت دول الوفاق قد اعترفت منذ أمد بالمصالح الإقليمية المتبادلة في الإمبراطورية العثمانية، وصيغت تلك المصالح رسميا في اتفاقات سرية مثل اتفاقية القسطنطينية (١٩١٥)، واتفاقية سايكس بيكو (١٩١٦)[٦]. وبعد تقديم الضمانات التي تؤمن المناطق الأرمنية، وذلك لما منحت المادة الرابعة والعشرين من مودروس للأرمن ست ولايات، نزلت القوات الفرنسية في ميناء الاسكندرونة شرق المتوسط واحتلت كل من كيليكيا (ولايات مرسين وأضنة وضواحيها) وذلك بحلول نهاية كانون الأول. كما احتلت بريطانيا ماراس Maras ومناطق أخرى من الشرق، بما في ذلك عينتاب Ayntab في ولاية حلب، التي كان خط الهدنة يقسمها. وكانت روسيا قد راهنت على اسطنبول وشرق الأناضول، ولكن أعقب انسحابها من الحرب بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧، عقد معاهدة بريست ليتوفسك Brest-Litovsk في آذار ١٩١٨، تخلى بموجبها النظام البلشفي عن مثل هذه المطالبات، بما في ذلك عن مناطق كارس، وأردهان، وباتومي[٧]، التي كانت روسيا قد حصلت عليها من الإمبراطورية العثمانية في مؤتمر برلين في عام ١٨٧٨[٨]. لذا جرى الصراع في ذلك الحين على كارس وأردهان بين العثمانيين والدولة الأرمنية الجديدة التي أعلنت استقلالها عن روسيا في أيار ١٩١٨، في حين احتلت القوات البريطانية باتومي الغنية بالنفط في جورجيا من أجل صد كل من العثمانيين والبلاشفة. كما أجازت بنود مودروس قوى الوفاق السيطرة على المواقع الستراتيجية والسكك الحديدية والموانئ ومراكز الاتصالات الداخلية، كما أرسى الحلفاء أساطيلهم قبالة شواطئ اسطنبول[٩].

أنهى الحلفاء عملية تمزيق الإمبراطورية العثمانية فأصبحت هذه العملية حقيقة لا غبار عليها، بحيث لم يتبق منها غير بقعة وسط الأناضول عدت موطن الأتراك الأصلي فقط. فليس كل الأناضول ملكاً خاصاً للأتراك إذ يشاركهم فيه بعض القوميات الأخرى مثل الأرمن، الذين لم تحل عمليات تهجيرهم ومذابحهم خلال سنوات الحرب مسألتهم لصالح الأتراك، بل أدت إلى التزام الحلفاء المنتصرين بإقامة دولة

أرمنية في الأناضول. وقرر البريطانيون أيضا إنشاء دولة كردية لتكون بمثابة منطقة عازلة بين تركيا الجديدة ومنطقة نفوذها في العراق. ولم يعد الأتراك يحظون بالثقة بالحكم حتى على أنفسهم، وبالتالي كان الحلفاء مصممون على حل ''المسألة الشرقية'' مرة واحدة وإلى الأبد، من خلال تقسيم كل أملاك الدولة حتى الأناضول، مع تكليف إحدى القوى العظمى بالانتداب على ما يتبقى من تركيا، ويفضل أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية أو بريطانيا(١٠).

وهكذا أخذت الأقليات المسيحية اليونانية تؤلف العصابات المسلحة في تراقيا والروميلي وسواحل البحر الأسود وولايات أزمير وبورصه حيث يكثر عددهم، بتوجيه وتنظيم من هيئة مركزية لهم في اسطنبول متصلة بالبطريركية اليونانية. وسار الأرمن في هذا الطريق أيضا في المناطق الجنوبية والشرقية حيث يتجمعون وذلك بتوجيه وتنظيم منظماتهم القومية المتضامنة كذلك مع البطريركية الارمنية من جهة، والمستندة إلى تعضيد بعض رجال وضباط الاحتلال البريطاني من جهة أخرى. وأخذت هذه العصابات تعيث فسادا في المناطق التي جعلتها ميدان نشاطها وحركاتها وتحاول الانتقام من الأتراك المسلمين لما ارتكب في حقهم من انتهاكات في الماضي، وتمهد السبيل لاضطرابات وقلاقل ترمي إلى سلخ هذه المناطق وضمها إلى الدولة الأرمنية في الشرق والحكم اليوناني في الغرب، أو إلى قيام حكومات مستقلة استقلالا ذاتيا في قلب الدولة(١١).

أما الوضع السياسي الداخلي فقد أعطى انحلال حزب الاتحاد والترقي فرص حياة جديدة لمعارضتها، فحزب الحرية والائتلاف (Hurrieyt ve Itilaf Firkasi)(١٢)، الذي أغلق منذ عام ١٩١٣، والذي أصبح الحزب المتنفذ الجديد، تم إحياؤه في عام ١٩١٨، وأخذ يعيد تشكيلاته ويقويها ويكثف من مساعيه في التنصل من تبعة الحرب وإلقائها على رجال الاتحاد والترقي ويبث الدعاية ضدهم ويحذر من حركات قومية جديدة يقوم بها فلول الاتحاديين بالاتصال مع رجالهم المشتتين(١٣).

فضـلا عن ظهور العديد من الأحزاب السياسية الأخرى مع اختلافات في وجهات النظر. ودخلت مجموعة متنوعة من الجمعيات المهنية والمدنية والوفود التعليمية والأحزاب السياسية معا تحت مظلة (المؤتمر الوطني) (Milli Kongres) الذي دعا إلى الاتحاد للدفاع عن الوحدة والاستقلال بطريقة تتفق مع إعلان الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون(١٤).

لكن لمدة من الوقت واصل الاتحاديون العمل، فعلى الرغم من أن القادة الاتحاديين الأقوياء قد اختفوا، غير أن البنية التحتية التنظيمية للحزب بقيت سليمة، ولا تزال نقاباتهم تهيمن على مجلس النواب، الذي تم تمديد ولايته ذات الأربع سنوات التي كان من المقرر أن تنتهي في خريف عام ١٩١٨، على أساس حالة الطوارئ التي أوجدتها الحرب، وعلى الرغم من استسلام الدولة العثمانية عسكريا، واصل البرلمان ممارسة وظيفته، ثم أغلق في كانون الأول ١٩١٨(١٥). ولغرض تفادي الأنظار حلت لجنة الاتحاد والترقي نفسها في مؤتمرها الأخير في بداية شهر تشرين الثاني ١٩١٨، وأسست تنظيماً سياسياً جديداً عرف باسم (حزب التجديد) Teceddüt Fırkası. وأسست مجموعة من الاتحاديين المنشقين بقيادة علي فتحي اوكيار (Okyar)(١٦) (حزب الشعب الليبرالي العثماني) Osmanlı Hürriyetperver Avam Fırkası. غير أن حزب الحرية والإتلاف المعاد إحياؤه، مثّل القوة المهيمنة في السياسة الرسمية لمعظم هذه الحقبة(١٧).

إن نقطة ويلسون الثانية عشرة أعطت حياة لكيانات سياسية أخرى، هذه النقطة قرنت مسألة تقرير المصير السياسي مع القومية في النص على ''الجزء التركي'' مما تبقى من الإمبراطورية كمستودع للسيادة. وأضفت هذه الصيغة الشرعية للتحديد العرقي بين الجماعات الإسلامية أساساً لتقرير المصير السياسي، لأسباب ليس أقلها أن النقطة الثانية عشرة دعت أيضا إلى تنمية الاستقلال الذاتي ''للقوميات الأخرى''، لذلك ظهرت بعد عام ١٩١٨ العديد من الجمعيات الكردية إلى حيز

الوجود، وأهمها جمعية تعالي كردستان (Kurdistan Teali Cemiyeti)، كما فعلت جمعية التكامل الوطني للاز (Laz Tekamul-u Milli Cemiyeti)، وجمعية حماية حقوق شركس الشرق الأدنى (Sark-ı Karib Cerkesleri Temin-i Hukuk Cemiyeti)[١٨].

مع وجود هذا الكم من الأحزاب السياسية غير أن اللاعبين الأساسيين في العاصمة اقتصرا على القصر وقوى الوفاق فبعد التوقيع على الهدنة ومغادرة كبار قادة الاتحاديين، كان هناك فراغ سياسي هرع السلطان والطبقة الحاكمة القديمة لملئه. يبدو أنهم كانوا على استعداد لقبول أي شروط يضعها الحلفاء طالما أنهم تركوا في السلطة[١٩]، وهذا أحد الأسباب الذي دفع حكومة السلطان إلى ممالأتهم، فوفقاً لشروط الهدنة مع وجود أكثر من ٥٠ ألف جندي لقوى الوفاق (٣٠ ألف منهم بريطانيون)، يعني أن ممثلي قوى الوفاق سيكون لهم التأثير السياسي المهيمن في العاصمة. لكن سيطرة الوفاق كانت تعقدها عوامل عدة، فالهيكل الإداري الذي استخدمه قوى الوفاق معقد للغاية. جيش البحر الأسود البريطاني (الذي كان في البداية تحت إمرة المشير ميلن George Francis Milne[٢٠]، وفي وقت لاحق بإمرة الجنرال هارينغتون Charles Harington[٢١]) كان مسؤولا عن احتلال منطقة المضايق، في حين أنه قد تم الاتفاق على أن تركيا الأوروبية، باعتبارها جزءا من منطقة البلقان، ستكون تحت سيطرة الفرنسيين ومن مسؤولية ''جيش المشرق'' تحت إمرة الجنرال فرانشان ديسبيري Franchet d'Esperey[٢٢]، وهي القوات التي كانت منذ البداية تتخذ من سالونيكا قاعدة لها. أما في اسطنبول، سواء على مضيق البوسفور أو في أوروبا، فكان الوضع سبباً للاحتكاك المستمر، ومع ذلك لم تكن السلطات العسكرية ترضخ لسيطرة كاملة. وكان لدول الوفاق أيضا ممثليها الدبلوماسيين، الذين عملوا بعنوان مفوضين سامين وليس سفراء، طالما استمرت حالة الحرب رسمياً بين قوى الوفاق والإمبراطورية. وكان القادة العسكريون خاضعين لسلطة المفوضين رسمياً، لكن القادة

في الواقع غالبا ما تصرفوا بشكل مستقل. لم يمثل المفوضون السامون حكوماتهم دبلوماسياً وحسب، بل تحملوا أيضاً جزءا كبيرا ومتزايداً من الإدارة الفعلية للعاصمة من خلال ''اللجان المتحالفة للمراقبة والتنظيم''، التي تعاملت مع أشياء كثيرة مثل توفير المواد الغذائية والمرافق الطبية ومشاكل اللاجئين والشؤون المالية. إذ كانت الحكومة العثمانية تفتقر إلى الوسائل لدفع مستحقات موظفيها أو لتوفير المواد الغذائية للسكان، لذلك اضطرت قوى الوفاق إلى التدخل بصيغة أو بأخرى، وفعلت ذلك بكفاءة نوعا ما[٢٣].

وحتى مع ذلك، كانت الحياة صعبة في اسطنبول في سنوات ما بعد الحرب، فتكاليف المعيشة قد ارتفعت بنسبة مذهلة بلغت ١٨٠٠ في المائة في شباط ١٩١٩، وخلال السنتين الأخيرتين من الحرب كانت قد ارتفعت إلى ١٤٠٠ في المائة. وشهدت العاصمة نقصاً حاداً في الوقود والقمح، وكان الحل في نهاية المطاف عن طريق الاستيراد من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على التوالي، وجرى ذلك في المقام الأول بوساطة منظمات الإغاثة[٢٤]. ليس ذلك وحسب فقد فاقم الوضع عدد اللاجئين الكبير في المدينة، فبصرف النظر عن كتلة المهجرين التي يتوقع أن يجدها المرء بعد الحرب في عاصمة بلد مهزوم وفاقد لكثير من أراضيه، كان هناك الهاربين الروس، الذين أتى البعض منهم في وقت مبكر من عام ١٩٢٠، إذ أنه في تشرين الثاني وحده من ذلك العام أخلت البحرية الفرنسية حوالي ١٥٠ ألف من المضادين للبلشفية من روسيا البيضاء تحت قيادة الجنرال رنجل Pyotr Wrangel[٢٥] من شبه جزيرة القرم، واستقرت بهم في منطقة المضايق. وكان ما يقرب من نصف اللاجئين يعيشون في منطقة اسطنبول، فزادوا من مشكلة السكن التي كان قد فاقمها أصلاً استيلاء قوات الوفاق على المباني العامة واستخدامها. لقد كان بإمكان الهيكل الإداري المعقد العمل، لو أن العلاقات بين قوى الوفاق شهدت ثقة وحسن نوايا، ولكن هذا بالتأكيد ليس هو ما كان عليه الحال. فبينما ظلت السياسة البريطانية تجاه العثمانيين عدائية وسلوك

قواتها في المناطق المخصصة لها قاسياً، وحتى تشوبه الرغبة في الانتقام، بدأ الإيطاليون والفرنسيين بمحاباة المقاومة الوطنية – الأمر الذي تسبب بخلافات متكررة بين المفوضين السامين(٢٦).

طوال هذه المدة كلها انتهج السلطان محمد السادس وحيد الدين، سياسات تهدف إلى استرضاء الوفاق، ولاسيما بريطانيا، وذلك بهدف الحصول على معاهدة سلام أكثر مواتاة، ومن أجل أن لا تقدم قوى الوفاق إلى استخدام المادة السابعة من هدنة مودروس، كما هو الحال مع دعاة آخرين وفقاً لهذا الخط، وفوق ذلك كله كان السلطان يفكر على وفق ما تقتضيه مصلحة الأسرة الحاكمة ومكانته الدينية. فالأمر المهم له هو الحفاظ على السلالة، وعلى اسطنبول بوصفها مقراً للخلافة، وعلى سلطته على المسلمين في منطقة الشرق الأوسط الذين كان يشعر تجاههم بنوع من المسؤولية(٢٧).

وهكذا اعتمد وحيد الدين على التعاون مع قوى الوفاق للحفاظ على منصبه والاحتفاظ بحكمه السلطاني وعلى جزء من الميراث العثماني، على الرغم من أن عواقب مودروس قدمت أملاً ضئيلاً إلى الأشخاص الذين اعتمدوا على حسن نوايا الوفاق، ولما كان الاستقلال غير الموثوق به لبقايا الإمبراطورية ينتظر قرارا في مؤتمر السلام، أصبح عنوان وحيد الدين كسلطان لا يتجاوز كثيراً الوظيفة الشرفية، فأراد التعويض عن حصر سلطته الزمنية من خلال التأكيد على امتياز الخلافة. وكان وحيد الدين يلقى أيضا بعض الدعم من شرائح النخبة في العاصمة، التي تقدر الصالح البريطاني من أجل إبقاء الدولة على قيد الحياة، لقد كان لوجود خليفة يعتمد على حسن نوايا الحلفاء يعد سياسة استعمارية جيدة بالنسبة لبريطانيا(٢٨).

وبطبيعة الحال لم يكن السلطان قومياً، بل أنه في الواقع كان يرى في القومية والاتحاديين الذين خضعوا لتلك الإيديولوجي، المسؤول الأول عن الكارثة التي حلت بالإمبراطورية، ولم يهتم كثيراً بالاستقلال الكامل في الأناضول أو في أي منطقة

أخرى. وعلى النقيض من سلفه المباشر، الذي كان دمية في أيدي الاتحاديين، تدخل السلطان وحيد الدين في الحياة السياسية لتعزيز الخط المناوئ للاتحاديين والقوميين، وفي الوقت نفسه الموالي لبريطانيا، أول الأمور التي قام بها، بعد ضغط من الحلفاء، هو حله البرلمان الممتلئ بالقوميين، في الحادي والعشرين من كانون الأول، مستغلاً الصلاحيات التي أعادها الاتحاديون إلى سلفه سهل الانقياد، ولكن سلاحه الأمضى بالطبع في تعزيز تلك السياسة تعيين صدر أعظم (وبالتالي وزراء) من اختياره. عندما سلم قادة الحرب السلطة في تشرين الأول، كان السلطان يريد تشكيل حكومة غير حزبية تحت رئاسة الدبلوماسي القديم أحمد توفيق باشا أوكتاي (Okday)[٢٩]، إلا أن اتحاديي الخط الثاني أصروا على حكومة اتحادية معتدلة بقيادة رئيس أركان الجيش السابق أحمد عزت باشا فورغاش (Furgaç)[٣٠]، على الرغم من أنه ليس من الاتحاديين ولكنه كان موثوق به من قبلهم. ومع خروج قادة الحرب من المشهد السياسي وعقد الهدنة، قام السلطان باستبدال عزت باشا فورغاش بأحمد توفيق باشا أوكتاي، الذي ترأس حكومتين، ذات طابع مضاد بصورة متزايدة للاتحاديين، من الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩١٨ إلى الحادي والعشرين من كانون الأول، ومن الثاني عشر من كانون الثاني ١٩١٩ إلى الثالث من آذار من العام نفسه. وفي الرابع من آذار تم استبدال حكومته مع أول رئاسة للداماد محمد عادل فريد باشا[٣١] المعروف اختصارا بفريد باشا، وهو شخصية رئيسة في السياسة العثمانية بعد الحرب، وكان مقرباً من القصر، كونه صهر العائلة المالكة وواحداً من بين الأشخاص القليلين الذين يحظون بثقة العاهل بالفعل. لكنه كان أيضاً عضواً بارزاً في حزب الحرية والإتلاف المعروف بميله التقليدي لبريطانيا وقربه من القصر، والذي تزايد تحت ظروف الاحتلال الأجنبي وإذعان القصر. الحكومات الثلاث التي شكلها فريد باشا من آذار إلى أيلول ١٩١٩ واجهت زيادة نشاط المقاومة الوطنية، سواء في العاصمة

أو في آسيا الصغرى، وعززت من جهودها على نحو متزايد لقمع المقاومة ومعاقبة الاتحاديين[٣٢].

التهيئة للنضال العسكري

بدايات النضال السياسي السلمي

أخفقت حملات فرض النظام والرقابة على الصحف في قمع الجو العام من الحيوية والاتساع غير المسبوق الذي تبلور في اسطنبول بعد الهدنة نتيجة لالتقاء عوامل مختلفة: إزالة الرقابة مع انهيار سلطة الاتحاد والترقي. وضرورة معالجة تداعيات مودروس في فترة التوقف عن القتال. والقضاء على المنتدى الرئيس للمداولات السياسية بإغلاق البرلمان. ازدهار الصحافة والجمعيات الثقافية والأحزاب السياسية. وشكلت شروط اتفاق مودروس، والمبادئ التي أعلنها الرئيس وودرو ويلسون، خلفية المناقشات العاصفة بشأن ما كان مرغوباً فيه، وما يمكن أن يكون مجدياً. وفي حين كانت العاصمة تشكل محور هذا الجو العام، ولاسيما من حيث الجمعيات المدنية، تكاثرت الصحف في الولايات أيضا[٣٣].

وبدأت تتشكل في الولايات المختلفة جمعيات هدفها الإبقاء على الصفة الإسلامية للمنطقة على سبيل المثال تشكلت في ادرنة وحولها ''جمعية تراقيا'' التي كان منظموها اليائسين من بقاء كيان الدولة، يفكرون في العمل على توحيد تراقيا الشرقية مع الغربية وجعلها منطقة إسلامية واحدة يقوم فيها كيان تركي باسم جمهورية تراقيا، ولكن كانوا يرون أن الوسيلة الوحيدة إلى هذا هو اللجوء على مساعدة بريطانيا وفرنسا[٣٤]. مع تقدم محادثات السلام في باريس في ربيع عام ١٩١٩ من دون تمثيل عثماني، نشطت في الخطاب العام مقترحات لقيام انتداب غربي في الأناضول. فقد شكل ترتيب الانتداب الأمل في الحفاظ على درجة من الوحدة الإقليمية والاستقلال، فكلاهما قد تتعرض للخطر بعد خسائر الحرب واحتلال ما بعد الحرب[٣٥]. ولأن السلطان فضل التعاون البريطاني لحماية واستمرار دوره في الخلافة، كان القصر لا

يتورع عن تأييد الانتداب البريطاني. ودعت جمعية شكلت حديثاً عرفت باسم أصدقاء إنجلترا (Ingiliz Muhibleri Cemiyeti) إلى هذا الحل علنا. وهناك آخرين، بما في ذلك أولئك المثقفين الناشطين مثل أحمد أمين يالمان[٣٦]، وخالدة أديب اديوار (Adıvar)[٣٧]، بدؤوا يقتنعون بالحاجة إلى مساعدة خارجية، ولكن فضلوا الولايات المتحدة بوصفها قوة الانتداب المحتملة لما تبقى من الإمبراطورية[٣٨].

احتشدت الهياكل القائمة للجنة الاتحاد والترقي، وملاكاتها الثانوية، والتي كان بعضها لا يزال نشطاً داخل حكومة اسطنبول والمحافظات، احتشدت ضد الاحتلال وفي الوقت نفسه ضد الانتداب. كان الخوف من أنه قد يتعين التخلي عن أجزاء من الإمبراطورية التي تقطنها، أو كانت تقطنها، جماعات مسيحية، وكان هذا واحداً من بين أهم الدوافع وراء بدايات المقاومة في الأناضول. ويمكن أن ترجح العودة المحتملة الواسعة النطاق للناجين من المبعدين الأرمن، التوازن لصالح الأقليات الأرمنية، وبالتالي توفير مبررات الاستقلال أو الضم لدولة أرمنية تتمركز في منطقة القوقاز. وكان اتفاق مودروس يعطي الحق لقوى الوفاق التدخل في الولايات الأرمنية (المقدمة باسم ''ست ولايات'' في النص العثماني، في إشارة إلى أرضروم، وسيواس، وديار بكر، ومعمورة العزيز، وفان، وبيتليس). وإن إدراج وحدات عسكرية أرمنية في ضمن قوات الاحتلال الفرنسية في كيليكيا زاد الشكوك حول التزام الوفاق في إنشاء كيان أرمني في الأناضول[٣٩].

من جهة أخرى نشأت بوادر لنضال مسلح من أجل التحرر غير أنها كانت عفوية، حيث كانت فصائل من مسلحين أتراك تهاجم حاميات الحلفاء التي كانت تحرس الطرق ومحطات السكك الحديد والمشاريع الصناعية والبنوك، وتقوم بسرقة مستودعات السلاح والعتاد أو تدميره إن عز عليهم ذلك. وكانت هذه الفصائل تعمل بالدرجة الأولى في ضواحي اسطنبول وفي تراقيا[٤٠].

على الرغم من أن قادة الاتحاديين كانوا قد غادروا البلاد، لا زال الخط الثاني من اللجنة يسيطر على البرلمان، الذي ظل يمارس أعماله مدة من الزمن كما ذكرنا، وعلى الجيش والشرطة، وخدمات البريد والبرق، والعديد من المؤسسات الأخرى. مع كون النظام الجديد بدأ بتطهير دوائر الدولة منذ بداية عام ١٩١٩، ولكن لم يكن بوسعه ولا بوسع قوى الوفاق، تأمين القوة البشرية الكافية لاستبدال غالبية المسؤولين الاتحاديين. وكان الصراع السياسي الحقيقي قد بدأ على نحو متزايد من أواخر عام ١٩١٨ فصاعداً يخاض في الأناضول. وكانت القيادة العليا للاتحاديين زمن الحرب قد مهدت الطريق للمقاومة قبل مغادرتها البلاد، ووضعت خططها لتأسيس حركة مقاومة وطنية في آسيا الصغرى، وكانت الخطط قد صيغت عندما توقع الجميع، بما في ذلك قادة الاتحاديين، أن القوات البحرية البريطانية والفرنسية على وشك اختراق الدردنيل في آذار ١٩١٥، وفي حال حدوث ذلك، فمن شأن الحكومة العثمانية ترك اسطنبول والتوجه إلى قونية Konya جاعلة منها مركزا لها. على الرغم من أن العديد من القادة أدوا دوراً ما في عام ١٩١٨، فيبدو أن أنور باشا[٤١] كان يشكل القوة الدافعة من بينهم، لقد كان مقتنعاً بأن المرحلة الأولى فقط من الحرب هي التي انتهت، وأنه كما هو الحال في حرب البلقان عام ١٩١٣، ستأتي الفرصة لجولة ثانية يعاود فيها العثمانيون الهجوم. وبحلول نهاية الحرب، استحوذت على أنور باشا أفكار الجامعة الإسلامية، وأنه توقع أن المناطق الإسلامية في آسيا الصغرى ستؤدي دوراً حيوياً في استئناف النضال. وهذا هو السبب وراء توجيه أوامره للوحدات العثمانية التي كان قد عادت من أوروبا في عام ١٩١٨ بالتوجه إلى القوقاز. وكان هو نفسه ينوي في تشرين الثاني عام ١٩١٨ الذهاب إلى باكو من منفاه في أوديسا، ولكن المرض منعه من القيام بذلك. في الوقت نفسه، وجه أوامره جنباً إلى جنب مع طلعت باشا[٤٢] إلى (التشكيلات الخاصة Teşkilât-i Mahsusa) لتخزين الأسلحة والذخيرة في مستودعات سرية في عدد من الأماكن في الأناضول. وأعيد تشكيل تلك التنظيمات

فـي بدايـة تشـرين الأول ١٩١٨ تحـت مسـمى (المنظمـة الثوريـة العامـة فـي العـالم الإسلامي)Umum Alem-i İslam İhtilâl Teşkilâti ، وقد أرسلت مبعوثين مزودين بتعليمات للبدء بحرب العصابات في المناطق الداخلية. والحقيقة لم يكن هذا الأمر صعباً عملياً، لكون أن العديد من العصابات كانت قائمة بالفعل، وأدت دوراً رهيباً في سوء معاملة الأرمن واليونانيين، فكان أفرادها يعيشون في خوف من العقاب الذي قد يحل بهم في حال قاموا بالتخلي عن أسلحتهم(٤٣).

بـدأت تتـشكل فـي منطقتـي الأناضـول وتراقيـا، بصـورة تلقائيـة فـي بعـض الأحيان، وبتوجيه من لجنة الاتحاد والترقي أحيان كثيرة، مجموعات محلية عرفت بشكل عام باسم (جمعيات الدفاع عن الحقوق Müdafaa-i hukuk Cemiyeti)، عملت جميعها على تحقيق الاستقلال الوطني، ومعارضة الانفصال الإقليمي، وحماية الحقوق الفردية للمواطنين في المناطق التي تتواجد فيها(٤٤)، وتركزت بصورة أكبر في المناطق التي كان يعتقد أنها معرضة أكثر من غيرها لخطر الاحتلال من لدن الأرمن واليونانيين وفرنسا وإيطاليا أو بريطانيا، غالبية أعضاء هذه الجمعيات كانوا من أعيان المـدن، وعلمـاء الـدين، والتجـار، ومـلاك الأرض، وصـغار المسـؤولين الحكـوميين، وغالبيتهم كانوا ينتمون بشكل أو بآخر إلى جمعية الاتحاد والترقي(٤٥). الأمر الذي حفز بعضهم لاسيما من ملاك الأرض والتجار المحليين أنهم أدركوا أن الدولة كان من المقرر لها أن تقسم بين الشعوب التي كانت خاضعة للأتراك في السابق. وهذه الجماعات كانت قد حققت مكاسب كبيرة في السنوات الماضية، وكانوا على استعداد للقتال من أجل الحفاظ على تلك المكاسب(٤٦).

كان مسلمو الأناضول الشرقية يخشون عودة المنفيين لاستعادة ممتلكاتهم، بقدر ما يخشون إعادة رسم الحدود الدولية التي من شأنها أن تضع السكان المسلمين داخل دولة أرمنية ذات سيادة. وحتى في غياب سيادة أرمنية، يمكن لوجود أرمني كبير في هذه الولايات استجلاب التدخل الأجنبي بالنيابة عن الأرمن. لذا، ليس من

قبيل المصادفة، أن بعض الجماعات السياسية المنظمة الأولى للمقاومة، ونقصد منظمات الدفاع عن الحقوق، تشكلت في المناطق ذات الكثافة السكانية التاريخية الأرمنية واليونانية، وتحديداً في اثنين من أكبر المدن الشرقية: أرضروم، وطرابزون، فضلاً عن تراقيا الشرقية وأزمير. كما شكل سكان كارس منظمة (مجلس الإسلام في كارس) (Kars İslam Şurası) في وقت مبكر منذ الخامس من تشرين الثاني ١٩١٨. وأصبحت هذه المنظمة نواة لمنظمة إقليمية عقدت بوصفها مجلساً في تجسيد مختلف، وشكلت (الحكومة الانتقالية في جنوب غرب القوقاز) (Cenub-u Garbi Kafkas Hukumet-i Muvakkate-i Milliyesi) وذلك في كانون الثاني ١٩١٩. وكانت المنظمة الأنموذج للمؤتمرات المقبلة في الأناضول، لكن تم تفكيكها في نيسان ١٩١٩ من جانب القوات البريطانية عند احتلال باتومي والعاصمة الأذرية باكو[٤٧].

تولت منظمات الدفاع عن الحقوق المحلية مهمة تنسيق المقاومة في ظل قيادة الوجهاء المحليين، وفي غياب وجود جيش نظامي، قادت هذه المنظمات الجماعات والميليشيات ضد القوات اليونانية، ولكن كان ينبغي أيضا أن يتم التعامل مع الدوافع الانتهازية لبعضها. المقاومة المسلحة التي تبلورت عن هذه الحركة عرفت باسم (kuva-yı milliye)، وهو المصطلح الذي ترجمته ''القوى الوطنية'' وفقاً للدلالات اللاحقة الحديثة لكلمة ملي، إلا أنها في حال ترجمت بصورة أكثر دقة فتصبح القوات 'الشعبية' أو 'الأصلية'. وسواء تم تصويرها بأنها القوى الوطنية أو القوى الشعبية الأصلية فإنه ليس مجرد مشكلة دلالية، بل له آثار فكرية حول معنى وأصول القومية التركية. وتتفاقم المشكلة فقط من خلال حقيقة أن كلمة ملي كان لها أيضا دلالة واضحة للمجتمع الديني. وهكذا، فإن المواطن التركي الحديث يفهم معنى مختلف في الكلمة مما كان يبينها في ذلك الوقت. لقد أصبحت القوى الشعبية التي خرجت إلى حيز الوجود من خلال المبادرة المحلية أكثر تنسيقاً مع مرور الوقت،

لتشكل مقاومة على مساحة أوسع، لتسلم زمامها في نهاية المطاف إلى قيادة موحدة، وتتولى هدف مشترك أوسع، يمكن وصفه بدقة أكبر بصفة ''وطنية''[٤٨].

من الجدير بالذكر أنه في بداية تأسيس هذه المنظمات نهاية عام ١٩١٨ وبدايات عام ١٩١٩ كانت تسيطر على غالبيتها أوهام الدعوات السلمية، وكانت تراهن على عقد معاهدة صلح ''عادلة'' ترتكز على أساس بنود ولسن الأربعة عشر، ولهذا فإن نشاطها أول الأمر لم يكن موجها لتنظيم كفاح مسلح ضد المحتلين، وإنما لعقد الاجتماعات وإصدار كراسات نقدية سياسية، لكن انهيار الأمل بعقد صلح عادل، وخطر تقسيم البلاد، دفعت هذه المنظمات إلى المشاركة النشطة في حركة شعبية معادية للاحتلال[٤٩].

كان هناك العديد من المنظمات الأصغر حجماً، ولكنها جميعا تصرفت بالطريقة نفسها: وعادة ما حاول الاتحاديون من وراء التنظيم جعل الأعيان المحليين والشخصيات الدينية (في كثير من الأحيان المفتين)، يعملون بصفة رؤساء فخريين لتلك الجمعيات، من أجل التأكيد على طابعها الإسلامي واستقطاب الدعم الواسع لها، ثم أقاموا المؤتمرات للتنظيمات لإثبات طابعها التمثيلي. في الواقع كانت هذه المؤتمرات معبأة بشكل عام بالمسئولين الاتحاديين في الولايات، والذين كانت تتم دعوتهم في الأغلب من غير انتخاب. وقد أكدت المؤتمرات على الطابع الإسلامي والتركي للمناطق المهددة، وعزمها على إبقائها متحدة مع الوطن الأم. وكان ملاك الأراضي والتجار المسلمون في مدن الأناضول يؤيدون عموماً منظمات ''الدفاع عن الحقوق''، ليس بدافع الوطنية وحسب، بل لأن العديد منهم قد أثرَوا من خلال العقود الحكومية، والاستيلاء على أراضي وممتلكات ومصالح المرحلين والمهاجرين اليونانيين والأرمن، في مقابل لا شيء تقريباً، وبالتالي كان لديهم حافز إضافي لمقاومة الادعاءات اليونانية والأرمنية[٥٠].

ومن المفيد أن نذكر في هذا الموقع أنه قامت حركة تجلب الانتباه في بلد مثل الدولة العثمانية المحافظة، ألا وهي جمعيات دفاع عن الحقوق خاصة بالنساء، فلقد تم تأسيس جمعيات خاصة بالنساء في ولاية سيواس في الثامن من تشرين الثاني ١٩١٩، على اثر انعقاد مؤتمر سيواس الذي سيأتي ذكره، سميت بـ ''الجمعية النسوية للدفاع عن بلاد الأناضول'' وكان لها دورها المهم في الكفاح ضد المحتلين، لقد نشر خبر تأسيس هذه الجمعية في صحيفة ''الإرادة الوطنية'' وكان لها أصداء واسعة في عموم تركيا، وتضمن الخبر النظام الداخلي للجمعية، الذي احتوى على إحدى عشرة مادة أكدت بعضها على ما يأتي: أولا: ضرورة فتح فروع للجمعية في ولايات الأناضول الأخرى كافة. ثانيا: إخبار تلك الفروع بعضها بعضاً عن أماكنها وعدد المنتسبات المسجلات فيها، ونوعية النشاطات التي تقوم بها. ثالثا: عدم تجزئة وحدة الوطن، وتقوية روابط التضامن المشترك بين المسلمين والمسلمات، ومقاومة الدعوات الانفصالية التي تثيرها الأقليات التي أرادت الاستفادة من ظروف الاحتلال[٥١]. وتم افتتاح فروع نسوية مشابهة في كل من ولايات (أماسيا، بولو، بوردور، ارزنجان، ارضروم، كنغال، قيصري، نيغدة، فنار حصار) في وسط وغرب الأناضول. عقدت جمعية كستمونو النسوية في العاشر من كانون الأول ١٩١٩ تجمعات جماهيرية حضرنها ناشطات في ساحات المدارس في المدن والقرى، وقد بلغ عدد المتظاهرات نحو ثلاثة آلاف امرأة وهو رقم كبير، أما اللاتي تحدثن في تلك التجمعات، أكدن على أن الاحتلال الأجنبي للولايات العثمانية بعد هدنة مودروس يعد انتهاكاً وإهانة للأتراك[٥٢].

وهناك عنصر آخر من بين العناصر التي أسهمت في حركة المقاومة التركية ألا وهي العصابات المسلحة أو الميليشات التي كانت قد شاركت في القتال الداخلي في الدولة العثمانية الذي استشرى في أثناء الحرب العالمية الأولى، والتي اكتسبت قوة إضافية في الطاقة البشرية والأسلحة والمعدات من جراء تسريح وحدات الجيش

النظامي في حقبة ما بعد مودروس. وكانت هذه العصابات تُحرض وتُشكل وتُدار خلال الحرب العالمية من لدن الاتحاديين واستخباراتهم ولاسيما من جانب منظمة (التشكيلات الخاصة)، أو (المنظمة الثورية العامة للعالم الإسلامي)، وذلك في محاولة لحشد المقاومة الشعبية باسم الإسلام، في مواجهة الاستسلام الوشيك الذي كان متوقعاً لمعسكر لدول الوسط. كانت تلك العصابات على دراية كبيرة بتضاريس المنطقة، وتمكنت من الحصول على الأسلحة واستفادت من دعم الرعاة والعملاء. ونظم بعض منها على وفق شبكات عرقية من تلك الجماعات المهجرة مثل الألبان والشركس(٥٣). أوجدت المقاومة الشعبية التي تبلورت تدريجياً في الأناضول وتراقيا، الأتباع والمعارضين من كل من هذه الجماعات الإثنية والجماعات الأخرى، وكانت تستخدم مصطلح التركية، الذي دمجته باستمرار مع الإسلامية، على أساس الهوية ما فوق الإثنية للتعبئة ضد المحتلين الأجانب(٥٤).

وكان الحزب الشيوعي التركي أحد الداعمين البارزين لحركة المقاومة في أيامها الأولى، الحزب الذي نظم لأول مرة بين الأسرى العثمانيين في أيدي الروس، وبعضهم حضر مؤتمر جميع أسرى الحرب الروسي الدولي، الذي عقده البلاشفة في موسكو في أبريل ١٩١٩، وشكل في وقت لاحق مؤتمراً خاصا بالراديكاليين الاشتراكيين الأتراك في المدينة نفسها في الخامس والعشرين من تموز. وكان زعيم الشيوعيين الأتراك مصطفى صوفي Mustafa Suphi، المفكر التركي الذي كان قد فر إلى روسيا القيصرية من شرطة تركيا الفتاة قبل الحرب بمدة قصيرة(٥٥). كان نشاط الشيوعيون في تركيا بعد الحرب مستنداً أساساً على رد فعل على استخدام الحلفاء لاسطنبول والمضايق لإرسال السفن والرجال والسلاح إلى جنوب روسيا لدعم معارضي البلاشفة، على الرغم من هذا، تمثلت الرغبة، بطبيعة الحال، في استغلال الفوضى في تركيا لإقامة النظام الشيوعي هناك. في وقت متأخر من عام ١٩١٩ أنشأ البلاشفة المكتب المركزي للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق تحت سلطة

الأممية الشيوعية، مع قيام مصطفى صوفي بنشر مواد دعائية باللغة التركية في صحيفة يومية تدعى العالم الجديد، طبعت لفترة في شبه جزيرة القرم بعد انسحاب القوات الفرنسية منها، ومن ثم في باكو بعد أيار ١٩٢٠. وادعى الروس في وقت لاحق أن الآلاف من الشيوعيين العثمانيين انضموا للنضال الوطني، ولكن هذا لا يبدو أنه يتفق مع الأدلة التي تشير إلى أنه في أحسن الأحوال، كانت هناك في الأناضول ''مجموعة صغيرة من عمال المناجم والأسرى السابقين في روسيا، والتي لم تكن كبيرة، ولكنها عملت بشكل مكثف للغاية''. وبحلول نهاية عام ١٩٢٠، كان حزب صوفي الشيوعي يتكون من ٢٠٠ عضو فقط في تركيا، معظمهم في اسطنبول، وميناء زونجلداك Zonguldak (على البحر الأسود)، وطرابزون، والقوقاز. ومع ذلك قدم البلاشفة دعماً دعائياً عاماً لحركة المقاومة التركية أملاً في أن يؤمنهم من بعض الضغط من الحلفاء في جنوب روسيا(٥٦).

أما في العاصمة مركز صنع القرار حتى ذلك الوقت، فإن حقيقة أن الإمبراطورية كانت لا تزال مستقلة رسمياً، أعطى المسؤولين العثمانيين المتعاطفين مع القوميين جميع أنواع الفرص لمساعدة حركة الأناضول عن طريق إرسال المعلومات والإمدادات والأسلحة والكفاءات. لم يكن لقوى الوفاق أي وسيلة لكبح ما يحدث في الدوائر الحكومية، وكانت معلوماتهم عما يحدث في الجزء المسلم من المجتمع العثماني محدودة بسبب الاعتماد (لاسيما فيما يتعلق بالحالة البريطانية)، بشكل حصري تقريبا على عناصر من الأقليات اليونانية والأرمنية، التي أدت بهم إلى التقليل من شأن كل من القوة العددية للمقاومة وقدراتها(٥٧).

والحقيقة أن واحدة من أهم الخطوات التي اتخذت من جانب قيادة الاتحاديين قبل نهاية الحرب هي إنشاء (منظمة كاراكول Cemiyeti Karakol) (الحرس أو الخفير). ومرة أخرى، اتخذت المبادرة من لدن أنور باشا وطلعت باشا في الأسابيع الأخيرة قبل مغادرتهما البلاد. وكان العقيد كارا (أسود) واصف Kara Vasif (وهو

عضو مهم في الدائرة الداخلية للضباط الاتحاديين وعضو في التشكيلات الخاصة) أحد المؤسسين الفعليين للمنظمة ، إلى جانب كارا كمال Kara Kemal، أحد قياديي حزب الاتحاديين في اسطنبول، ويظن أن اسم المنظمة تورية لفظية من لقبيهما، وكان الغرض من المنظمة هو حماية الاتحاديين في أوضاع ما بعد الحرب وحمايتهم من انتقام الوفاق، والليبراليين، والجماعات المسيحية، لاسيما أولئك المطلوبين بتهمة إبادة الأرمن. كما أنها هدفت أيضا إلى تعزيز المقاومة في الأناضول والقوقاز من خلال إرسال أناس ذو قابليات عالية، فضلا عن المال، والأسلحة والإمدادات إلى هناك من العاصمة[٥٨]. وقد أرسلت المنظمة زعماء من الحزب الاتحادي السابق مثل فيليبيلي حلمي Filibeli Hilimi، ويانيباشيلي نائل Yenibahçeli Nail إلى عواصم الولايات كمبعوثين[٥٩]. لقد تم تحميل القوارب الصغيرة في العاصمة في جنح الظلام وإرسالها عبر بحر إيجه والبحر الأسود لتوصيل حمولتها الثمينة وهي تحمل على متنها الرجال ومعهم الأسلحة والذخائر المخبأة تحت طبقات الغلال أو شباك الصيد[٦٠]. وكان المنظمين داخل هذا التنظيم من المسؤولين الذين يعملون من داخل حكومة اسطنبول نفسها مستخدمين مواقعهم لإحباط مطالب الحلفاء، ويذكر ستانفورد شو أن هناك أدلة كثيرة على أن المقاومة نظمت في اسطنبول في وزارة الشؤون الخارجية[٦١]. كما أنه ابتداءاً من شهر آذار ١٩١٩ فصاعداً، تولى القيادة في الأناضول ضباط كبار وبدؤوا بتخريب عملية نزع السلاح والتسريح المقرة في اتفاقية مودروس، وقد تم دعمهم بنشاط من لدن ضباط في وزارة الحرب وفي هيئة الأركان العامة، مثل فوزي جقماق، وجواد جوبانلي [Çobanlı] وعصمت إينونو. والحقيقة أنه في الأشهر الستة الأولى بعد الهدنة، وضعت الكاراكول الأساس لحركة المقاومة الوطنية تدريجياً، بناء على أوامر من القيادة العليا القديمة للاتحاديين، ولم يتبق سوى إيجاد زعيم مناسب للحركة يحظى بالاحترام في الجيش، مع امتلاكه لفطنة سياسية،

وموثوق بـه كاتحـادي ووطنـي، ولكـن فـي الوقـت نفسـه لـيس علـى صـلة وثيقـة سـواءً بمذابح الأرمن أو مع الزمرة العليا الحاكمة السابقة[٦٢].

تـولى ضـباط الجـيش العثمـاني المسـرحين دوراً هامـاً فـي تنسـيق المقاومـة، معظمهم كانوا من خلفيات غير ارستقراطية وقضوا الجزء الأكبر من حياتهم المهنية فـي الولايـات. كـان الضـباط ملتزمين تجـاه الدولـة العثمانيـة، ولا يميلـون للخضـوع إلـى أوامـر الحلفـاء بعـد اسـتدعائهم إلـى اسـطنبول. وكـانوا قـد تحملـوا العبـء الأكبـر مـن الهزيمة العسكرية وأجبروا على نزع سلاح قواتهم. في حين كان السلطان حريص على تهدئـة اضـطرابات المجموعـات المتنـافرة فـي الأناضـول، فأوفـد اللجـان الاستشـارية إلـى الولايات يقودها الأمراء العثمانيين الذين برغم ذلك لا يمكن القول أنهم تخلوا تماماً عن الدفاع عن الأرض[٦٣].

عندما غادر المزيد من الضباط إلى الأناضول في عام ١٩١٩ وبدأت حركة المقاومة المسلحة في الظهور، كان يشعر بالحاجة لشخص لديه سلطة وسمعة غير ملوثـة مـن أجـل قيـادة الحركـة. فـي البدايـة، يبـدو أن الحركـة السـرية بقيـادة الاتحـاديين فاتحت بذلك أحمد عزت باشا فورغاش، الرئيس السابق لهيئة الأركان العامة والصدر الأعظم – والذي لـم يكن واحداً مـن الاتحـاديين ولكـن موثـوق بـه مـن جانبهم ووطنيـاً متحمساً. لكـن لـم يتمكن قيـاديو الكراكـول مـن الحصـول علـى موافقتـه، لاسـيما عنـدما طالب بضمانات بشأن توفر الأسلحة والمال[٦٤].

والحقيقـة أن حركـة المقاومـة بـدأت بـالتطور إلـى حـرب مـن أجـل الاسـتقلال، عنـدما أرسـل علـي فـؤاد تشـيبيسـوي Cebesoy[٦٥]، بتنسـيق مـن الكـاراكول، إلـى قيـادة الفيلـق العشـرين فـي أنقـرة فـي آذار ١٩١٩، فـي مهمـة رسـمية للإشـراف علـى عمليـة التسريح، ومهمة حقيقية في تخريب تلك العملية، وبدأ علي فؤاد بإرسال وكلاء للتنسيق مـع (جمعيـات الدفـاع عـن الحقـوق) فـي المنـاطق المجـاورة. والأمـر نفسـه ينطبـق علـى كـاظم قرابكـر (Karabekir)[٦٦]، بطـل الانتصـارات السـابقة فـي القوقـاز، الـذي غـادر

اسطنبول في الثالث عشر من نيسان ١٩١٩ ليتولي قيادة الفيلق الخامس عشر في أرضروم، وفي الوقت نفسه أصبح مسؤولاً عن ولايات فان وطرابزون، مع النية الكاملة على تخريب عمليات التسريح ونزع السلاح والتحفيز على المقاومة بين الجنود والسكان من المنطقة الواقعة تحت إمرته. فعندما سمع قرابكر أن البريطانيين قد حولوا ملكية كارس إلى الجمهورية الأرمنية الجديدة، أعلن بعد مدة وجيزة من وصوله أنه سيعمل على تحرير الأناضول من العدو، واستعادة كارس، وأردهان، وباتومي، والأجزاء التركية في القوقاز على الحدود الشرقية النائية. وكانت أول مهمة له تأمين العتاد الحربي، الذي كان البريطانيون يستعدون لإرساله إلى اسطنبول(٦٧). وهكذا بدأ القائد كاظم قرابكر والفرق الستة التي تقع تحت إمرته، يعصون أوامر الحلفاء بشأن تسريح الجيش ويقيمون العراقيل والعقبات في وجه مراقبي الحلفاء(٦٨).

جاءت الخطوة التالية في الخامس من أيار ١٩١٩ عندما عين مصطفى كمال، أحد أبرز أبطال الحرب العالمية الأولى، مفتشاً عاماً للجيش الثالث المرابط في منطقة الأناضول، وهذا كان إيذانا بظهور شخصية مصطفى كمال على مسرح الأحداث قائداً متميزاً يتحلى بصفات فذة وبمقدرة على قيادة الجماهير في نضالها ضد قوى الاحتلال(٦٩). ويصف هربرت فشر مصطفى كمال بقوله ''كان شرس الطباع، قاسي القلب، ميالاً إلى الخصام والشجار، ذو بنية من حديد، وإرادة قدت من الصلب، وقد انحدر من سلالة فلاحين من أهل الأناضول رغم أنه ولد في سالونيك. وكانت عربدته فظة وفجوره قاسي ودعاراته عنيفة، لكنها متسقة مع تقاليد أمته، وإن طول صبره، وجلاء فكره، واستقلال رأيه، وموهبته في الزعامة الحربية والسياسية، كانت كلها مناقب انفرد هو بها دون سائر بني جلدته''(٧٠). ووصفه القائد الألماني ليمان فون ساندرس Otto Liman von Sanders ذات يوم ''بأنه يملك الصفة الرئيسة من صفات القادة العظام، ألا وهي صفة الحظ! كما إنه يملك القدرة على اغتنام فرصة الحظ تلك واستخدامها في الوقت المناسب''(٧١).

عندما لم يتمكن الأعضاء القياديون في الكاراكول من الحصول على موافقة أحمد عزت باشا فورغاش بقيادة المقاومة، فاتحوا مصطفى كمال باشا بذلك. ومن بين الأسباب التي دعت قادة الاتحاديين إلى اختيار مصطفى كمال باشا، هو أنه كان من أوائل أعضاء لجنة الاتحاد والترقي، وكان واحداً من الدائرة المقربة من الضباط الناشطين الذين شاركوا في ثورة عام ١٩٠٨ والجماعة التي أحبطت الانقلاب المضاد. خلال الحرب العالمية الأولى، كان مصطفى كمال قد صنع لنفسه اسماً لامعاً كونه قائد جبهة انافارتا Anafarta خلال حملة الدردنيل، وبعد ذلك كان قد أبلى بلاء حسنا على جبهة الأناضول الشرقية، والجبهة الفلسطينية، وأنهى الحرب بصفته الجنرال المسؤول عن جميع القوات على الجبهة السورية، وفي داخل صفوف الجيش كان لديه سمعة ضابط ذو قدرات عالية للغاية، ولكنه في الوقت ذاته كان يعد شخصاً فخوراً بنفسه وفي الوقت نفسه مشاكس(٧٢).

بعد الهدنة، انتقل مصطفى كمال إلى اسطنبول وحاول لمدة الحصول على منصب في السياسة، وربط نفسه مع الحزب الليبرالي الشعبي العثماني(٧٣). كان مصطفى كمال طموحاً جداً وفي بحثه عن دور بارز في الأحداث كان على استعداد لشغل منصب وزير الحربية في حكومة السلطان خلال الهدنة، لهذا تقرب من الصدر الأعظم أحمد عزت باشا فورغاش والسلطان محمد السادس، لكنه قوبل بالرفض من لدن الباشوات بسبب تواضع طبقته الاجتماعية. وليس من الواضح ما كان باستطاعته تحقيقه لو أنه أصبح عضواً في الحكومة التي كانت انهزامية بطبيعتها، وعلى استعداد للاستسلام لكل ما يمليه الحلفاء(٧٤). فبدأ مصطفى يتقرب من الأشخاص المستائين من سياسة المهادنة التي تنتهجها حكومة السلطان تجاه الحلفاء، ولكنه كان آنذاك يعتقد بإمكانية إيجاد مخرج من الوضع الحرج الذي كانت تقبع فيه الدولة إذا ما تألفت حكومة جديدة مؤهلة للقيام بأعمال حاسمة ضد المحتلين، لكن الأوساط السلطانية

ظلت بطيئة التحرك في سيرها في الاتجاه نفسه الذي تنتهجه طموحات مصطفى كمال الوطنية(٧٥).

جمع مصطفى كمال بين كونه من ذوي المكانة العالية في الجيش، وفي الوقت نفسه من الناحية السياسية، كونه من ذوي الأيادي النظيفة، الأمر الذي جعل منه المرشح المثالي لقيادة المقاومة. وما أن وافق على مقترح الكاراكول، فإن الفرصة لإطلاقه سرعان ما وجدت في وقت قريب. لقد كان مصطفى كمال على اتصال مع قادة الكاراكول والمتعاطفين معهم في حكومة اسطنبول منذ مدة، وتشير مصادر انه ناقش الوضع مع قادة الكاراكول والضباط الذين كانوا يخططون للمقاومة في الأناضول من كانون الأول فصاعداً، وأن الكاراكول فاتحت مصطفى كمال بقيادة حركة المقاومة. وهذا ما كتبه عضو الكاراكول شريف شاوش اوغلو Seref Cavusoglu في مذكراته، أن المنظمة بحثت عن قائد عسكري يحظى بالاحترام، وأنها في البداية اقتربت من أحمد عزت باشا فورغاش ثم انتقلت إلى مصطفى كمال من خلال علي رضا Sevkiyatçı [الناقل]، المتخصص في قسم الإمدادات في الجيش، الذي كان يقوم بتهريب الأسلحة والاتحاديين المطلوبين بتهم إبادة الأرمن إلى الأناضول. ويشير يني باهتشيلي شكري [أوغوز] Yenibahçeli Sukru [Oguz] فدائي اتحادي معروف، في مذكراته، أن قادة الكاراكول قد فاتحوا في البداية عم أنور باشا خليل باشا [كوت]، وحلمي، وينـي باهتشيلي نائل، ولكن عندما لم يتمكن هؤلاء من الحصول على منصب رسمي في الأناضول، قاموا بمفاتحة مصطفى كمال(٧٦). فمن ناحية أخرى، في حين كان لا يزال أنور مؤثراً في أعضاء الكاراكول، وبينما كان خليل، وحلمي ونائل من المقربين جداً له، فإن أيا منهم لم يكن لديه إمكانيات الزعيم الوطني المحتمل، فضلاً عن أنهم كانوا جميعاً متورطين بصورة مباشرة في عمليات الإبادة للأرمن. وهكذا، يبدو من غير المحتمل أن يكون أي من الأشخاص الثلاثة الذين ذكرهم يني باهتشيلي شكري أوغوز يمكنهم أن يؤدوا دور مصطفى كمال. لقد

كـان مصـطفى كمـال يطـابق الشـروط المطلوبـة فـي زعـيم المقاومـة التـي وضـعتها الكاراكول، وربما كان قد تمت مفاتحته في وقت مبكر منذ كانون الأول، ولكن يبدو أن مصطفى كمال ولمدة ستة أشهر كان يعلق آماله على منصب متميز في سياسة العاصمة بدلاً من ذلك. ولكن يبدو أنه بحلول آذار قد فقد الأمل، عندما تولى في الرابع من آذار رئاسة مجلس الوزراء الشخص المعادي بشدة للاتحاديين الداماد فريد باشا، وألقي القبض على أكثر الاتحاديين أو أعيد اعتقالهم. حتى أنه في الرابع والعشرين من آذار، بدأت إحدى صحف العاصمة حملة ضد جنرالات الحرب العالمية الأولى، ومن بينهم مصطفى كمال، مطالبة بإلقاء القبض عليهم. كل هذا يبدو أنه قد جعله أكثر تقبلا لدعوات الاتحاديين وأصدقائه في الجيش، الذي كانوا يشجعونه للقدوم إلى الأناضول وإن لبعض الوقت(٧٧).

بحلول نهاية نيسان، تم تأمين المنصب المرجو لمصطفى كمال مفتشاً على الجيش الثالث، إذ كانت حكومة الداماد فريد باشا قد ازداد انزعاجها من حجم العنف المدني في شرق الأناضول ومنطقة البحر الأسود (والتي قد تثير تدخل قوى الوفاق بموجب المادة السابعة من هدنة مودروس)، وأرادت تعيين مفتش عسكري لتهدئة المنطقة ونزع سلاحها. ارتبط وزير الداخلية محمد علي بك، بعلي فؤاد باشا تشيبيسوي، واحد من أقرب أصدقاء مصطفى كمال من الضباط، الذي كان قد غادر بالفعل للأناضول. فتم ترتيب اجتماع مع وزير الداخلية، وبعد ذلك مع الوزير الأعظم، وعين مصطفى كمال مفتشاً عاماً في الشرق، وقد سهل أصدقاء له في وزارة الحرب مهمته، وإعطائه صلاحيات واسعة جداً، بما في ذلك الحق في الاتصال المباشر مع جميع السلطات العسكرية والمدنية في منطقة تفتيشه والتي تشمل كامل شرق الأناضول. غادر مصطفى كمال باشا اسطنبول، مسلحاً مع هذه الصلاحيات الواسعة النطاق، ويرافقه طاقم مكون من ثمانية عشر ضابطاً، ليصل إلى ميناء سامسون على البحر الأسود في التاسع عشر من أيار ١٩١٩(٧٨).

الظروف تصب في تطور الحركـــة :

تبدلت الأحوال إيجابياً في صالح من يؤمن بالمقاومة من الأتراك، وذلك في الأشهر الأولى من عام ١٩١٩، فقد بدأت قبضة الحلفاء على البلاد تتراخى، إذ نشبت في كل من إيطاليا وفرنسا وبريطانيا متاعب داخلية، وفي جميع الدول المنتصرة بدت نذر رد الفعل المحتوم بعد الضغط المتوالي على الأعصاب طيلة سنوات الحرب. وفي باريس استغرق ساسة الحلفاء في وضع سياسة للتفاهم مع ألمانيا، ولم يكن لديهم وقت للتفكير في شأن تركيا، ولم تكن الخطوط الرئيسة لشروط الصلح قد حددت بعد، وهمس الناصحون للويد جورج ''دعوا تركيا وشأنها، فسوف تنهار من تلقاء نفسها وسنتولى اقتسام أجزاءها فيما بعد''. وفي اسطنبول كان ممثلو الحلفاء في خلاف دائم صريح، كل منهم يدبر خطة للحصول على نصيب الأسد من المراكز الستراتيجية والامتيازات الاقتصادية في البلاد، وينافس حلفاءه، أو غرماءه، في ابتكار الحيل التي تمكنه من خديعة الأتراك(٧٩).

لحسن الحظ الأتراك، لم يتمكن الحلفاء المنتصرين من التوافق على كيفية تقسيم غنائم الحرب. فكانوا أكثر تصميماً على منع بعضهم البعض من الحصول على الأراضي التي من شأنها أن تعطي إحداها ميزة ستراتيجية على البقية، أكثر من تصميمهم على سحق الأتراك. فبريطانيا تريد منع فرنسا وإيطاليا من الحصول على الأرض التي من شأنها تعزيز موقفهم في البحر المتوسط وتهديد الاتصالات البريطانية مع الهند. وفعل الايطاليون والفرنسيون كل ما في وسعهم لتخريب المخططات البريطانية، لاسيما في محاولة استخدام اليونان قوة بديلة. وأخفقت الولايات المتحدة الأمريكية في تأدية الدور المتوقع منها في تولي الانتداب على أرمينيا، وحتى تركيا، الأمر الذي جعل مهمة الحلفاء في فرض إرادتهم على الأتراك أكثر صعوبة(٨٠).

الحادثة التي حفزت المقاومة الوطنية التركية أكثر من أي شيء آخر، هو الغزو اليوناني للأناضول. مع معارضة الولايات المتحدة وإيطاليا الجهود البريطانية والفرنسية في مؤتمر السلام لتأمين الأراضي لليونان حول أزمير[٨١]. لقد قادت مطالبات المنتصرين المتنافسة، والأولوية المعطاة للقضايا الأوروبية في مؤتمر السلام، إلى تأخير وتعقيد تحديد وضع الأناضول، واستندت مطالبات اليونان في غرب الأناضول على أساس العوامل التاريخية والديموغرافية التي قابلتها بريطانيا بتأييد. وكان غزو غربي الأناضول وتراقيا خطوة في تنفيذ جدول أعمال المملكة اليونانية التوسعية، من أجل تحقيق فكرة ميغالي 'الفكرة عظيمة' الاستردادية التي ترجع إلى الحقبة البيزنطية، والتي كانت من أهم دوافع القوميين اليونانيين منذ مطلع القرن التاسع عشر. كانت 'القسطنطينية'، محور المشاريع التوسعية، و'القسطنطينية' الآن خاضعة لرقابة دولية. ولكن غرب الأناضول، والذي كان يحتوي على العديد من المدن ذات الأغلبية اليونانية النسبية، ويصدق القول على الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الأسود أو بونتوس القديم، لذا يبدو الأمر في متناول اليد لتشكيل يونان جديدة كبرى[٨٢].

أرسل رئيس الوزراء اليوناني الفثيريوس فينيزيلوس Eleftherios Venizelos[٨٣] قوة استثنائية للاستحواذ على ما أراد، بعد الحصول على موافقة مسبقة من ديفد لويد جورج David Lloyd George رئيس الوزراء البريطاني وجورج بنيامين كليمنصو Georges Benjamin Clemenceau رئيس الوزراء الفرنسي، وفي اللحظة الأخيرة أيضا من وودرو ويلسون، الذي كان يأمل في أن طموحات إيطاليا الإمبراطورية سوف يتم إحباطها بتلك الطريقة، وفي الوقت نفسه تحقيق مبدأ ''تقرير المصير''. وتم العثور على المبرر القانوني للإنزال في المادة السابعة من هدنة مودروس، التي سمحت للحلفاء ''باحتلال أي نقاط ستراتيجية في

حال وجود أي حالة ناشئة تهدد أمن الحلفاء''، وبهذا قدمت المقاومة الوطنية الذريعة المناسبة، ولم يعيَّ فينيزيلوس كثيرا في إقناع الحلفاء لاستغلالها(٨٤).

سمحت البحرية البريطانية للقوات اليونانية بغزو أزمير، ولم يكن ذلك متأت من كثير من التعاطف مع الحقوق التاريخية أو الحجج الديموغرافية، أو ببساطة كمكافأة لليونان ورئيس وزرائها المؤيد بقوة للوفاق، عن دخولها لأحدى عشرة ساعة في الحرب العظمى إلى الجانب قوى الوفاق، بقدر ما هو متأت من دافع الضرورة، ففي عام ١٩١٩ كانت قوات الاحتلال البريطانية منتشرة من غير كثافة في مناطق شاسعة من الشرق الأوسط، من بغداد وسوريا في الجنوب، إلى القوقاز والبحر الأسود في الشمال. ولاستنفاد قابلياتها بسبب الحرب الطويلة، أصبحت بريطانيا تفتقر إلى القدرة والإرادة للزج بالمزيد من القوات لكبح جماح المقاومة في الأناضول. وكان من المحتمل للطموحات الإيطالية في جنوب غرب الأناضول، والمشاريع الفرنسية في سوريا وجنوب شرق الأناضول، أن تقوض النفوذ البريطاني في آسيا الصغرى، وبالتالي فضلت بريطانيا السيطرة على المنطقة الغربية من خلال الوكيل اليوناني. وكان لكردستان المستقلة ذاتيا، وأرمينيا المستقلة نهائيا، في الظهور على النحو نفسه وكلاء آخرين في مفاوضات السلام(٨٥).

نقل في الرابع عشر من أيار ١٩١٩، أسطول من سفن حربية بريطانية وأمريكية وفرنسية كتيبة يونانية بأكملها إلى ميناء أزمير. وتم إنزالها في اليوم التالي في خضم استقبال عاصف من السكان اليونانيين المحليين، ووسط رنين أجراس الكنائس وتقبيل القساوسة للجنود، بينما كان الرجال والنساء جاثين على ركبهم أمام ''المحررين''. لكن ذلك الإنزال أعقبه ارتكاب اليونانيين لمذبحة عامة للسكان الأتراك، وجابت الغوغاء اليونانية الشوارع وهي تعمل القتل والنهب، بينما كانت سلطات الحلفاء تلقي القبض على أولئك الأتراك الذين تمكنوا من الفرار(٨٦).

في باريس ناقشت الدول الكبرى مسألة منح اليونان الانتداب على أزمير والمناطق المجاورة لها، ودفعت منطقة النفوذ الإيطالي إلى الجنوب. واحتجت حكومة اسطنبول، لكن من دون جدوى. بدأ الجيش اليوناني التحرك إلى داخل الأناضول، مدمراً ومغتصباً ما يواجهه، واشترك السكان اليونانيون المحليون بأخذ نصيبهم من المجزرة. وبحلول نهاية تموز تغلب اليونانيون على قوى الدفاع التركية المحلية، وتمكنت من السيطرة على وديان مندريس Menderes، هذا التقدم كان أوسع بكثير مما كان ينوي الحلفاء السماح لهم به. عند هذه النقطة توقف الهجوم، والتوقف هذا كان نتيجة جزئية لإصرار الحلفاء، ولكن أيضا بسبب الحاجة إلى تدعيم الفتوحات غير المتوقعة قبل شن هجوم جديد(٨٧).

بينما كان المنظمون للحركة الوطنية في البداية يواجهون المشاكل في تحفيز السكان المنهكين من الحروب، فإنهم تلقوا دفعة محفزة هائلة مع الاحتلال اليوناني لأزمير في أيار ١٩١٩. فاليونان لم تنضم إلى معسكر قوى الوفاق إلا قبيل نهاية الحرب العظمى، ولم تقم بهزيمة أي من القوات العثمانية، لذا كان ينظر إلى حقيقة مكافأة قوى الوفاق لها بهذه الطريقة بأنه ظلم عظيم. وعلاوة على ذلك، فإن اليونان لم تتوقف بعد احتلال ازمير وأيفاليك Ayvalik (كما تم الاتفاق عليه مسبقا)، ولكنها توغلت عميقاً في الداخل التركي، واعترفت قوى الوفاق بالاحتلال اليوناني للمساحة الأكبر من المتفق عليه في تشرين الأول على وفق ''خط ميلن''، خط ترسيم الحدود بين العثمانيين والقطعات اليونانية(٨٨).

تسبب الإنزال اليوناني برد فعل عميق في اسطنبول والأناضول – في البداية بمظاهرات شعبية، وبعد ذلك، لما توسع الاحتلال، بمقاومة شعبية مسلحة. ونتيجة للوهن الجسدي والنفسي لسنوات طويلة من الحرب، كان بعض سكان الإمبراطورية على استعداد لإعطاء الفرصة إلى أطر الانتداب والوصاية السياسية المقترحة في محادثات السلام، ولكن نظر معظم المسلمين إلى الاحتلال اليوناني باعتباره تهديداً

مميتاً. فخسارة أراضي البلقان لحساب اليونانيين، بما في ذلك تراقيا الغربية وأجزاء من مقدونيا، وذاكرة النفي والطرد من هذه الأراضي، كانت ما تزال ماثلة في أذهان المسلمين. لقد بدأت المظاهرات في يوم الغزو نفسه، ليس فقط في المدن الواقعة تحت التهديد اليوناني الوشيك (آيدن Aydin، ودنيزلي Denizli، وكوتاهيا Kütahya)، ولكن أيضا في المدن الواقعة إلى الداخل (قونية، وحفصة Havza، وأرضروم)[٨٩]. بلغت الاحتجاجات في اسطنبول، التي بدأت مع طلاب الجامعات ثم الطبقات الأخرى، ذروتها في اجتماعين في ساحة مسجد السلطان أحمد في الثالث والعشرين، والثلاثين من أيار ١٩١٩. وتحت لافتات كتب عليها نقطة ويلسون الثانية عشرة الخاصة بتقرير المصير، استمع ما يقدر بنحو ٢٠٠ ألف شخص كان بينهم الكثير من النساء إلى الخطابات التي ألقاها المثقفون، فضلاً عن إلقاء النساء لخطب سياسية شاركت فيها معلمات وكاتبات مشهورات مثل خالدة أديب، التي فاقت وتميزت على نظيراتها، من خلال جسارتها وبطولاتها وقصائدها المؤثرة، وكذلك السيدة نقية الغون، وصباحات هانم، وعائشة هانم[٩٠]، وعقدت اجتماعات مشابهة في ساحة السلطان الفاتح في اسكودار وكاديكيو، وعلى الرغم من أن هذه التجمعات لم تخرج عن إطار الاحتجاج على الاحتلال، إلا أنها أظهرت رغبة الشعب في النضال من أجل الاستقلال[٩١]. وكان مفوضو الحلفاء في اسطنبول قد تأثروا بذلك بما فيه الكفاية لأن يوجهوا دعوة إلى الحكومة العثمانية لتقديم ممثليها في مؤتمر باريس للسلام. ولم يوقف حظر الاجتماعات العامة في اسطنبول، المظاهرات في المحافظات أو غيرها من أشكال الاحتجاج، إذ أرسلت حملة من الرسائل، وفقا لأحد التقديرات، ١٣٠ ألف بطاقة بريدية لممثلي الحلفاء وإلى الرئيس وودرو ويلسون لحثه على الوقوف إلى جانب مبادئه[٩٢].

تطور الحركـــــــة

كان لتعيين مصطفى كمال باشا من لدن حكومة السلطان في الخامس عشر من حزيران ١٩١٩ في منصب المفتش العام للجيش الثالث المرابط في منطقة الأناضول، في مهمة للإشراف على تسريح الجنود وتسليم الأسلحة على وفق بنود مودروس، قد وضعه في موقع مثالي لتنظيم المقاومة ضد الاحتلال. كان البريطانيون والسلطان قد رأوا أنه يتوجب قمع الخطوات الأولى للمقاومة في الأناضول، وأن ينتدب السلطان شخصاً يمثله كي يتدبر الموقف ويجبر المتمردين على تسليم أسلحتهم وتسريح جنودهم ووقف اجتماعات اللجان المحلية لجمعية الاتحاد والترقي، فرغب السلطان ورئيس الوزارة الداماد فريد باشا في انتداب مصطفى كمال باشا ليقوم بهذه المهمة، على الرغم من عدم ارتياح السلطات العسكرية البريطانية له بحجة أنه رجل خطير، غير أنه بعد أخذ ورد ولما لم تكن الصورة متضحة بعد عند سلطات اسطنبول عن رغبات وأهداف مصطفى كمال الحقيقية، رأت السلطات أنه خير من يمثلها لشهرته الذائعة في البلاد، وأن جميع الاضطرابات الناشئة في الأناضول ترجع إلى تصرفات جمعية الاتحاد والترقي، وإن مصطفى كمال وإن كان عضواً اسمياً في الجمعية إلا أنه في الواقع من معارضي سياستها[٩٣].

وصل مصطفى كمال باشا إلى مدينة سامسون Samsun في التاسع عشر من أيار ١٩١٩ على ساحل البحر الأسود الجنوبي، في مهمة رسمية تتمثل في الإشراف على نزع سلاح القوات العثمانية هناك، وإعادة الأمن والنظام إلى المنطقة إذ تشمل صلاحياته الناحيتين العسكرية والمدينة[٩٤]. الأمر الذي اختصر له كثيرا من الزمن، وكانت خطوة أولى لانقسام البلاد إلى معسكرين: النظام القديم، ممثلاً بالسلطان وحكومته تحت الاحتلال يسعى إلى الخروج من المأزق بالتفاهم مع الحلفاء. وحركة وطنية مشتتة القيادة تسعى لطرد الاحتلال وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أملاك الدولة عن طريق المقاومة المسلحة[٩٥].

يعد وصول مصطفى كمال إلى سامسون خطوة مهمة في تطور الحركة الوطنية التركية وبداية للمرحلة الأولى من حرب الاستقلال التركية التي استمرت لمدة عام تقريبا. خلال هذه المدة، كان الشغل الشاغل لمصطفى كمال استغلال منصبه مفتشاً عاماً، فضلا عن مكانته الخاصة، لتأمين القبول العام بين الغالبية لقيادته. إذ أنه كان لا يزال مجرد مفتش، والمجموعات الوطنية في المنطقة كان لها قادتها المحليين والعسكريين، وأنها لم تعترف بسلطته، وإن كان لابد لهم من الاعتراف بقيادة عليا لأي شخص، فكان ذلك سيكون لكاظم قرابكر في أرضروم، أو لعلي فؤاد تشيبيسوي في أنقرة. ولكن نتيجة لصفة الثقة المفرطة بالنفس لمصطفى كمال، التي جعلت منه ذلك القائد المتميز في الدردنيل وفي سوريا، وذلك المرؤوس الصعب على كل من الاتحاديين والألمان، فسرعان ما بدأ يتصرف كما لو كان في الواقع، الزعيم الذي سيخرج الأتراك من أحلك أوقاتهم. بحلول بداية حزيران ١٩١٩ كان مصطفى كمال قد كتب لقوات المقاومة المحلية والمحافظين يشير عليهم بالطرق التي قد تكسر الإغريق، كما كان ينتقد الوزير الأعظم لعدم بذل المزيد من الجهود لتحقيق هذا الهدف. وحذر الضباط البريطانيين في سامسون من أن الأتراك لن يتسامحوا مع الاحتلال الأجنبي، وبعث برسائل سرية إلى قادة الفرق العسكرية تحت سلطته بتأكيده على الحاجة إلى زيادة القوة المسلحة الشعبية، حتى يحين الوقت ويكون بالإمكان تنظيم جيش نظامي(٩٦). في الوقت نفسه وبما أنه ما زال يعمل تحت إمرة الحكومة العثمانية كتب إلى السلطان يقول ''تعرفت من خلال هذا الشهر [أيار] على رغبات وآمال جميع ولايات ومناطق وأقضية الأناضول تقريبا، وعلى ميول الشخصيات القيادية في الجيش والموظفين المدنيين، وقد اتضح لي نتيجة لذلك بأوضح صورة أن الأمة بأجمعها متيقظة ومليئة ثقة وتصميماً على حماية الاستقلال الوطني والحكومي وحقوق السلطنة والخلافة العليا''(٩٧).

أثارت تحركات مصطفى كمال هذه مخاوف الحلفاء لاسيما البريطانيين، إذ كانت مدينة سامسون تحت نفوذهم، فأخذوا يراقبون تحركاته ومراسلاته[٩٨]. فأنتقل إلى مدينة حفصة جنوبي سامسون، فوفرت له هذه المدينة والقرى المحيطة بها، مجالاً مناسباً لبدء حركة المقاومة، لأنها كانت واقعة في قلب نشاط العصابات اليونانية. فبدأ يحث السكان على مقاومة الاحتلال فقاموا بتشكيل فرع من جمعية الدفاع عن الحقوق، بذلك تمكن من تكوين أول خلية فعالة للمقاومة في حفصة بعد أن مكث فيها حتى الثالث عشر من حزيران ١٩١٩[٩٩]. الاستجابة التي شجعت مصطفى كمال على السفر خلال الشرق لنشر خططه بين القادة والمحافظين ورؤساء البلديات، وقوى المقاومة المحلية، ومع التقدم اليوناني إلى مندريس الذي عزز من عزمه في المضي قدماً في خطة المقاومة، وفي الوقت نفسه من الاستجابة التي كان يتلقاها من القادة المحليين السكان التابعين لهم[١٠٠].

في سياق النصف الثاني من عام ١٩١٩، أصبح أكثر وضوحا للأتراك من أي وقت مضى، أنه يتوجب عليهم الكفاح من أجل المحافظة على حيازة الولايات المتنازع عليها في الشرق (ارمينيا)، والغرب (اليونان)، وإن وقدرتهم على القيام بذلك يعتمد بالدرجة الأساس على الجيش. الذي كل ما بقي للدولة منه تمثل بأربعة جيوش (فيالق) في الأناضول، وآخر في أوروبا في الجهة الأخرى من العاصمة، وكانت أربعة من هذه الجيوش الخمسة مجرد هياكل اسمية بقيت لها قيادتها العليا فقط، أما جنودها فقد سرحوا وجمعت أسلحتهم في المخازن والمستودعات ثم سلمت للحلفاء[١٠١]. لقد استنزفت الهزائم والأوبئة الجيش العثماني فضلاً عما عاناه من هروب الجنود، لكن الجيش كان لا يزال يعمل ككيان واحد، ولا يزال يتمتع بهيكل قيادة سليمة من ضباطه الكبار – من ضباط تركيا الفتاة الذين قضوا حياتهم المهنية بداخله في السنوات العشر الماضية– وفي غالبيتهم قدموا دعمهم الموحد للمقاومة، لكن من غير قيادة موحدة، فخربوا عملية نزع سلاح وتسريح القوات، وزودوا سراً منظمات

المقاومة الإقليمية بالأسلحة والذخائر. مع ذلك، كانت قوة الجيش متواضعة في معظم أصقاع الأناضول. وكانت تراقيا ومنطقة المضايق وجميع غرب الأناضول تتوفر على نحو ٢٥ ألف جندي، تنتشر على ساحل بطول ٥٠٠ ميل، وكان الكثير من تلك القوات تقع في ضمن مناطق تسيطر عليها قوى الوفاق. وكانت وحدات الجيش النظامية ضعيفة بحيث حتى عام ١٩٢٠ كان على القوميين الاعتماد على عصابات غير نظامية تركية وشركسية لمقاومة الغزاة اليونانيين. وفي حين أنه كان بإمكان تلك العصابات، وفعلت، مضايقة الجيش اليوناني كثيراً، لكن لا يمكنها أن تكون عاملاً حاسماً في المعركة. في الجنوب لم يكن الوضع العسكري أفضل، بوجود حوالي ١٨ ألف جندي (بقايا الجيش العثماني السوري) في كيليكيا وشمال الصحراء السورية، وتواجد حوالي ثمانية آلاف جندي شرقاً في كردستان. كان الجو في كيليكيا، مع عاصمتها اضنة، وفي المدن اورفا، ومارعش، وعينتاب متوترة جداً منذ البداية، لم يكن السبب متأتياً من وراء أن هذه المناطق ذات الأغلبية المسلمة قد احتلت من جانب الفرنسيين، ولكن أيضا كانت هناك شكوك قوية بأن المزاعم الأرمنية على المنطقة سيتم تحقيقها، لمـّا جندت القوات الفرنسية الأرمن المحليين وسلحتهم[١٠٢]. فكان عديد قوات الاحتلال الفرنسي التي احتلت مدينة مارعش القريبة من لواء الاسكندرونة، تبلغ ٣٠٠٠ فرنسي و ٢٠٠٠ متطوع ارمني من أرمن تركيا[١٠٣].

كان المكان الوحيد الذي تركزت فيه قوات عثمانية كبيرة يقع في الشرق[١٠٤]، وفي المكان نفسه تمركزت ثكنات القوات التي أمرت بالعودة من أذربيجان بعد الهدنة، فكان مجموع قوتها (عندما تحشدت) حوالي ٣٠ ألف جندي، وهذه القوات أصبحت تعرف في ذلك الوقت بالجيش (الفيلق) الخامس عشر، كانت أيضا أفضل تجهيزا من تلك الموجودة في الغرب، فضلا عن أنها تعمل في منطقة وعرة يصعب الوصول إليها. من وجهة نظر عسكرية، كان قائد القوات العثمانية الشرقية هو كاظم قرابكر باشا، أحد شخصيات الأناضول الرئيسة، يليه في الأهمية علي فؤاد باشا تشيبيسوي،

قائد الفيلق العشرين في أنقرة، الذي عاد من كيليكيا إلى وسط الأناضول في نهاية ١٩١٨[١٠٥].

حركة المؤتمرات الوطنيـــــة

خلال أسابيع مصطفى كمال الأولى في منصبه الجديد، كثفت الحركة الوطنية من نشاطها السياسي في الغرب وكان القادة المحليين على استعداد لعقد مؤتمر في نهاية حزيران، فعقد المندوبون في باليكسير Balıkesir مؤتمراً لاتخاذ قرار بشأن تنظيم قوات الميليشيا، والتنسيق مع جماعات الدفاع عن الحقوق، ومناقشة المسائل العملية المتعلقة بالتسليح واللوجستيات. واجتمعوا للمرة الثانية في المكان نفسه في مؤتمر عرف باسم باليكسير الثاني في نهاية تموز، وذلك بعد أيام من عودة الداماد فريد باشا من باريس خالي الوفاض، وقام بالدعوة إلى التعبئة الشعبية العامة للاحتجاج والمطالبة بتطبيق النقطة الثانية عشرة من نقاط ويلسون[١٠٦].

غادر مصطفى كمال مدينة حفصة متوجها إلى أماسيا Amasya إلى الجنوب منها[١٠٧]، وبدأ من هذه المدينة الاتصال ببعض قادة الجيش الذين وعدوا بمساعدته للقيام بعمل جاد، ومنهم كاظم قرابكر، وعلي فؤاد تشيبوسوي باشا، وحسين رؤوف اورباي بك Rauf Orbay[١٠٨]، الذي كان قد استقال في ذلك الوقت من التزاماته العسكرية، ورأفت بيلي باشا Refet Bele[١٠٩][١١٠]. التقى هؤلاء القادة في أماسيا في الثاني والعشرين من حزيران ١٩١٩، فيما عدا كاظم قرابكر الذي بعث بتأييده، ويعد لقائهم الولادة الحقيقية للحركة الوطنية التركية[١١١]. أصدرت مجموعة الضباط هذه إعماما من مدينة أماسيا، وأرسل على نطاق واسع إلى الولايات الأخرى بمساعدة موظفي البرق من الاتحاديين، تمثلت القضية المثارة في ''إعمام أماسيا'' بعدم مقدرة الحكومة العثمانية على الوفاء بالتزاماتها، والحث على إنشاء هيئة سياسية بديلة، ودعا الإعمام إلى عقد مؤتمر آخر في مدينة سيواس، وطلب من جميع

المقاطعات الفرعية في الولايات إرسال ممثلين عنها، والحث على القيام بمظاهرات شعبية ضد محاولات اسطنبول عرقلة حركة المقاومة من خلال حظر الاتصالات البرقية لمنظمات الدفاع عن الحقوق، وسعى الإعمام إلى توسيع وتنسيق المقاومة في الأناضول[١١٢]. واتفق القادة على أن المقاومة هي الأمل الوحيد المتبقي، ومن ثم رسموا خطة لتنفيذها تتلخص في أن يضاعفوا وينظموا العصابات غير النظامية على جميع التراب التركي ولاسيما في أزمير، كي تعرقل وتعوق تقدم القوات اليونانية، ووراء ستار هذه المناوشات يعيدون تكوين جيش وطني نظامي على أنقاض الجيوش الاسمية المتفرقة. كما اتفق القادة على أن ينشئوا في أنحاء البلاد مراكز محلية لالتحاق الجنود وجمع الأسلحة، على أن يتصرفوا بحذر بالغ، وهم يدركون بأنهم لن يتلقوا عوناً من السلطان أو الحكومة المركزية، وأن الشعب في كل مكان منهك القوى ولن يثور بسهولة. وكان لابد من توحيد مراكز المقاومة العديدة تحت إدارة واحدة، فاستقر الرأي على أن يتولى علي فؤاد تشيبيسوي قيادة جميع القوات في الغرب، وكاظم قرابكر قيادة قوات الشرق، ومصطفى كمال قوات القطاع الأوسط[١١٣]. وتجدر الإشارة في هذا المجال، إن من بين الأمور التي اقترحت في لقاء أماسيا عدم المساس بالسلطنة والخلافة[١١٤]. وتقرر أن يتم التوسع في مناقشة هذه النقاط العامة في مؤتمر وطني أوسع لغرض الدفاع عن الوطن يفترض عقده في سيواس كونها من بين أكثر الأماكن أمناً في الأناضول[١١٥].

في الوقت نفسه عمل مصطفى كمال باشا أيضا على الحصول على ما يمكنه من مساعدة من الخارج، فقبل اجتماع أماسيا، بينما كان في حفصة، التقى بوفد بلشفي برئاسة العقيد سيميون بوديني Semyon Budenny، الذي قدم الأسلحة والذخيرة للحركة على أمل وقف التوسع الأرمني في القوقاز، وكذلك لإغلاق الطريق على الحلفاء إلى جنوب روسيا عبر البحر الأسود. كما حث بوديني مصطفى كمال على قبول الأيديولوجية الشيوعية لتركيا الجديدة، لكن رأي الأخير تمثل بأن مثل هذه

المسألة كان لا بد من تأجيلها إلى أن يتحقق الاستقلال التركي. وهكذا وضعت الأسس للمساعدة التي كان من المقرر أن يكون لها أهمية كبيرة ما أن يتم تنظيم الحركة الوطنية[١١٦].

لقيت نشاطات مصطفى كمال تلك صدى في اسطنبول، حيث طالب القائد العام لقوات الحلفاء المارشال جورج فرانسس ميلن من وزير الحربية العثماني استدعاءه إلى العاصمة على الفور[١١٧]. كما أن تلك النشاطات أقلقت السلطان وحكومته، فأبرق رئيس الوزارة الداماد فريد باشا يستدعيه إلى اسطنبول. غير أنه رفض ذلك أيضاً، فأصدرت الحكومة في الثامن من تموز أمراً بإلغاء تفويضه الرسمي[١١٨]. رداً على هذا الإجراء قدم مصطفى كمال استقالته في الثامن من تموز ١٩١٩[١١٩]، وأعلن ذلك عن طريق منشور أصدره إلى مختلف الولايات قائلاً: ''إن صفتي العسكرية الرسمية أصبحت عائقاً أمام عملي بحرية من أجل الدفاع المقدس لإنقاذ الوطن من أخطار التمزق. وإنني سأجابه كل الصعوبات من أجل النصر الحاسم''[١٢٠]. كان لذلك القرار وقعاً لدى بعض القادة الكبار[١٢١]، وكان من بين أبرز القادة الذي أعلنوا اصطفافهم إلى جانبه كاظم قرابكر قائد جيش القوقاز. فضلا عن تأييد الكولونيل جعفر الطيار Colonel Jafer Tayar الألباني الأصل قائد جيش أدرنه Edirne[١٢٢]، وقائد القوات المتواجدة في قونيه Konya، غير أن هؤلاء القادة اشترطوا على مصطفى كمال مقابل الطاعة، ألا يفعل شيئا من شأنه أن يسبب أذى للسلطان في شخصه، فقبل الشرط قائلا ''إن السلطان خاضع لقبضة العدو ولتوجيه ناصحيه الحمقى، فينبغي أن نقاوم حاشيته كما نقاوم الأجنبي الغاصب''. في الحقيقة كما يرى ارمسترونج، دائماً ما كانت الوعود، في نظر مصطفى كمال، وسيلة إلى غاية، وسلّماً إلى هدف! وها هو الآن قد ألقى القفاز في وجه العدو الأجنبي.. وفي وجه السلطان![١٢٣] .

مؤتمر أرضــروم:

حتى قبل أن يدعا مؤتمر سيواس، رتبت (جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول الشرقية) اللقاء الإقليمي الذي عقد في تموز في أرضروم ردا على التهديد بمزيد من العدوان الأرمني في الشرق. لقيت الدعوة ترحيباً جيدا إذ التقى حوالي ستون مندوباً، يمثلون المنظمات المحلية للدفاع عن الحقوق من المناطق الشرقية وطرابزون، في أرضروم في الثالث والعشرين من تموز واستمر إلى السابع من آب[١٢٤]. شارك مصطفى كمال وحسين رؤوف ارورباي بصفتهما مندوبين عن أرضروم، بعد الاستقالة الطوعية لاثنين من مندوبي المحافظة الاتحاديين المنتخبين في صالحهم. مثل اجتماع باليكسير، كان اجتماع رابطة الأناضول الشرقية للدفاع عن الحقوق في أرضروم عبارة عن اتفاقية إقليمية. تمثل قرارها الأول، بأن مناطق الأناضول الشرقية والبحر الأسود جزءا لا يتجزأ من المجتمع العثماني أو الأمة، مشيرا على وجه التحديد إلى ''الولايات الست'' التي تنوي قوى الوفاق منحها إلى الأرمن. وأكدت القرارات أيضا على أن الأقليات المسيحية لا يمكن أن تمنح امتيازات من شأنها تقويض ''السيادة السياسية والتوازن الاجتماعي''. هذه العبارات تشير بما لا يدع مجالا للشك إلى مزاعم الأرمن في الشرق، وطموحات اليونان على ساحل البحر الأسود. أصر المؤتمر على الحفاظ على سلامة واستقلال الوطن vatan والمجتمع أو الأمة millet، في حين عبر عن استعداده لقبول المساعدة العلمية والصناعية والاقتصادية من دولة غير مغرضة. ودعا المؤتمر إلى انعقاد البرلمان والإشراف على قرارات الحكومة بعد انتخاب (هيئة تمثيلية) برئاسة مصطفى كمال، وهنا أصبح تأثير وتوجيه الكاراكول واضحاً. لقد كان مؤتمر أرضروم مقدمة لحركة بدأت في خريف عام ١٩١٩ لتحرير، كما جاء في قراراته، ''الأراضي غير القابلة للانفصال'' ضمن ''حدود'' مودروس التي يقطنها سكان متحدين في ''الدين والعرق''، مصطلحين كان لهما الدلالة نفسها في أذهان الكثيرين من أولئك السكان[١٢٥]. وعد المؤتمر نقطة مهمة في تاريخ تركيا الحديث،

وخطوة أولى لتحرير البلاد وإنشاء الدولة التركية الحديثة[١٢٦]، وقد حدد المبدأين الرئيسين اللذين أصبحا أساساً للمنهاج الدستوري وهما: حقوق الأمة، وإرادة الشعب. وبتعبير آخر أكد على تأسيس دولة تركية حديثة، بديلاً لما تبقى من الإمبراطورية العثمانية، تتمتع بالاستقلال من دون قيد أو شرط[١٢٧]، ورفض المؤتمر فكرة الانتداب أصلاً، بخلاف غالبية قوميي اسطنبول الذين كانوا يدعون لوضع تركيا تحت الانتداب الأمريكي[١٢٨].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمور لم تجر باليسر الظاهر وتتحول أعنة البلاد بين غمضة عين وانتباهتها بيد مصطفى كمال، إذ أن مسألة إقناع القواد العسكريين ومندوبي الأقاليم بوجهات نظر الأخير كانت مهمة عسيرة، فإن الكثيرين من الذين حضروا هذا المؤتمر كانوا يعارضون آراءه، بل يعارضون سعيه إلى السلطة الذي أضحى واضحا، وكانت تعتمل في نفوسهم عوامل كثيرة من بينها الغيرة، لكن مصطفى كمال أخذ يستميلهم إلى صفه، وشيئاً فشيئاً بدأ يدعم زعامته الشخصية عليهم[١٢٩]. وكان من بين أصعب المواقف التي واجهت مصطفى كمال في أثناء مؤتمر أرضروم، الأوامر التي جاءت من حكومة اسطنبول المركزية إلى أهم قائد عسكري في ذلك الوقت كاظم قرابكر، بإلقاء القبض على مصطفى كمال وفض المؤتمر وإعادة مندوبي الأقاليم كل إلى منطقته، غير أنه بعد مناقشة مع مصطفى كمال رفض أوامر اسطنبول[١٣٠].

في الواقع أصبح البيان الذي صيغ في مؤتمر أرضروم، على الرغم من أن حماية المقاطعات الشرقية كان همه الأصلي، أساساً للميثاق الوطني الذي أعقب ذلك. وشكلت النقاط الواردة فيه المبادئ التي كانت حرب الاستقلال سيتم خوضها وفقاً له[١٣١]. وتمخض عن وضع القرارات الآتية[١٣٢]:

١- تعد الأناضول جميعاً بما في ذلك حدودها القومية كلاً لا يتجزأ.

٢- فـي حالـة تفكـك الدولـة العثمانيـة سـوف تقـاوم الأمـة التركيـة محـاولات التـدخل الأجنبي.

٣- عندما تعجز حكومة السلطان عن الحفاظ على استقلال الأمة ووحدة أراضيها، ستشكل حكومة مؤقتة من أجل ضمان سلامة هذه الأهداف، يختارها مؤتمر وطني.

٤- تعزيز القوى الوطنية وتوحيدها من أجل ترسيخ إرادة الأمة ورغبتها في أن تكون لها دولة ذات سيادة.

٥- لا تمنح أية امتيازات للفئات المسيحية، التي من شأنها أن تسبب خللاً في الاستقلال السياسي والتوازن الاجتماعي.

٦- عدم قبول أي انتداب أو وصاية من أية جهة كانت.

٧- القيام بكل ما هو ممكن من أجل تأمين الاجتماع العاجل لمجلس النواب، لترسيخ سيطرته على قضايا الحكومة.

وجرى على الأثر انتخاب (هيئة تمثيلية) للمؤتمر مؤلفة من تسعة أعضاء برئاسة مصطفى كمال، مهمتها نشر قرارات المؤتمر في أنحاء البلاد وتعبئة الجماهير دعماً للحركة الوطنية(١٣٣).

في الوقت الذي أخذ فيه نجم مصطفى كمال في الصعود، كانت حكومة اسطنبول تفقد باستمرار تأثيرها في الداخل، لاسيما بعد إخفاق محادثات السلام التي أجرتها الحكومة العثمانية مع كليمنصو رئيس وزراء فرنسا(١٣٤). والأمر الذي دل على ذلك، هو رفض القائد كاظم قرابكر تنفيذ أمر وزير الحربية بالقبض على مصطفى كمال وحسين رؤوف بك وإرسالهما إلى العاصمة بتهمة التمرد، معلناً أنهما يعملان لمصلحة البلد، وفي الوقت نفسه صرح بأنه لن ينفذ الأمر بتسريح قواته، إذ كانت القوات الوحيدة التي لم تسرح بعد استجابة لشروط الهدنة، مما عرضه للعزل من مهامه الرسمية(١٣٥).

كان مصطفى كمال ورفاقه في هذه المرحلة لا يزالون يعلنون أنهم يعملون على الحفاظ على الأمة العثمانية، وأن جميع الرعايا، من مسلمين وغير مسلمين، لهم حقوق متساوية. وطالما ظلت الحكومة في اسطنبول مسيطر عليها من قبل المحتلين، فإن الحركة الوطنية في الأناضول تحمل عبء حماية حقوق الأمة. إلا أن كل هذا لا يزال يجري مع دعم السلطان الخليفة، لإنقاذه وحماية المحافظات الشرقية بصورة خاصة(١٣٦).

بعد ذلك بمدة قصيرة تم عقد مؤتمر محلي آخر في آلاشهير في Alaşehir الذي استمرت جلساته من السادس عشر من آب إلى الخامس والعشرين منه ١٩١٩، حتى يتسنى لمنظمات الدفاع المحلية الأخرى أن تعلن أيضا عن دعمها للحركة الوطنية: ''إن الهدف من المؤتمر هو اتحاد الإخوة ضد الخطر المحدق بالأمة، ولتوحيد الحركة الوطنية ودفع العدو بعيدا تماما''. أصبح هذا النمط للمؤتمرات المحلية الأخرى التي تلت للتعبير عن الدعم العام للحركة، التي أصبح يقودها في هذا الوقت بشكل واضح مصطفى كمال(١٣٧).

وكان على الحلفاء التعامل مع هذا التطور بحذر، لذلك صدرت الأوامر من لندن إلى القائد البريطاني في الأناضول، الكولونيل راولنسون Alfred Rawlinson(١٣٨) بسحب القوات المنتشرة في أنحاء متفرقة من المنطقة، وتركيزها في في مقاطعة (صاري قامش) Sarikamish في ولاية قارص Kars أقصى شرق الأناضول. كما تلقى الكولونيل راولنسون توجيهاً من وزير خارجية بلاده اللورد جورج كيرزن The Lord Curzon of Kedleston بالاجتماع مع مصطفى كمال، ليعرف آراءه عن كثب فيما يتعلق بشروط السلام، وأن يشعره على نحو مباشر أن قرارات مؤتمر أرضروم مرفوضة من الحلفاء(١٣٩).

لم يقدر لذلك الاجتماع المزمع عقده الالتئام، فقبل وصول القائد البريطاني إلى أرضروم، غادرها مصطفى كمال في التاسع والعشرين من آب متوجهاً إلى سيواس، حيث تقرر انعقاد مؤتمر شامل لأرجاء ما تبقى من الدولة العثمانية بأسرها.

مؤتمـر سيـواس:

أقبل المندوبون من شتى بقاع تركيا لحضور المؤتمر العام في سيواس، جاءوا متنكرين خلال ممرات الجبال تحت جنح الظلام، إذ كانت الحكومة المركزية قد أصدرت إلى الشرطة أمرا باعتراض سبيلهم لخشيتها من نجاحه وهي محقة في ذلك[١٤٠]. لقد شكل مؤتمر سيواس خطوة متطورة في سبيل التحرر ووضع الأساس لتحقيق تلك الغاية، بعد أن كان مؤتمر أرضروم قد رسم الخطوة الأولى لقيام الدولة التركية الحديثة، فعلى مستوى التمثيل لم يقتصر الاشتراك في سيواس على مندوبين من الولايات الشرقية فقط، بل شمل أرجاء البلاد كافة بما فيها تراقيا (الجزء الأوربي من تركيا). وتم خلاله تحويل مقررات مؤتمر أرضروم إلى مبادئ قومية ''للشعب التركي''[١٤١].

افتتح المؤتمر في سيواس في الرابع من أيلول عام ١٩١٩، بحضور ثمانية وثلاثين مندوباً يمثلون مختلف الولايات، ومن ضمنها العاصمة اسطنبول. وكان أول عمل قام به الأعضاء هو انتخاب مصطفى كمال رئيسا للمؤتمر بأغلبية، إذ عارض ذلك بعض النواب. استمرت جلسات المؤتمر حتى الحادي عشر من الشهر، وحصل الإجماع على تبني مقررات مؤتمر أرضروم مع إجراء بعض التعديلات[١٤٢].

حدد المؤتمر المبادئ الأساس للنضال من أجل الاستقلال وأقر منهاجا موسعا وأشير في قراراته إلى أن الأراضي الواقعة ضمن الحدود التي أقرتها اتفاقية الهدنة في مودروس، تؤلف كلا واحدا لا يتجزأ ولا يمكن انتزاعها من الدولة التركية بأي شكل من الأشكال وتحت أية ذريعة. وقرر مؤتمر سيواس عدم الاعتراف بأوامر حكومة السلطان والمطالبة بعقد جمعية وطنية فورا لتقرير مصير البلد. كذلك قرر المؤتمر

توحيد جمعيات الدفاع وإنشاء جمعية موحدة للدفاع عن حقوق الأناضول وتراقيا، وصادق على نظامها الداخلي، وانتخب (هيئة تمثيلية) برئاسة مصطفى كمال، وأصبحت هذه الهيئة المركز القيادي لحركة النضال السياسي والعسكري في تركيا في ذلك الوقت(١٤٣).

ومن أهم القضايا التي أثارت جدلاً واسعاً بين الأعضاء مسألة قبول الانتداب الأمريكي لضمان حماية تركيا من الاحتلال الأوربي، وقدرة الولايات المتحدة على كبح الحركات الانفصالية للأقليات، فضلا عن أن الانتداب سوف يعمل على تقدم تركيا وتطورها(١٤٤). قام الداعون للانتداب الأمريكي بدعاية واسعة في اسطنبول وفي بعض ولايات الأناضول وتراقيا، وكانوا يؤكدون خلالها بأن الولايات المتحدة هي البلد الوحيد في العالم الذي لا يسعى لتحقيق أهداف استيلائية في تركيا، وقد استطاع دعاة الانتداب أن يجذبوا إلى صفهم شخصيات عسكرية وسياسية بارزة من بينهم أنصار مقربون من مصطفى كمال(١٤٥) من أمثال حسين رؤوف بيك اورباي، وعلى فؤاد باشا تشيسبوي، ورفعت بيك بيليي، وغيرهم من الذين كانوا يعدون الانتداب الأمريكي ''أقل ضررا على تركيا''. وذكر أحد النواب أثناء احتدام النقاش داخل المؤتمر بهذا الشأن أن ''الانتداب الأمريكي لا يقضي على الاستقلال، إننا بهذا نتجنب حماية انكلترا، التي ستجعل تركيا مستعمرة ذليلة، وتحط من شأنها إلى درجة العبودية''(١٤٦). عارض مصطفى كمال ذلك المقترح، يسانده غالبية أعضاء المؤتمر، وحسم الموقف برفضه فكرة الانتداب، واعتماد مقررات مؤتمر أرضروم.

تميزت قرارات مؤتمر سيواس بالاعتدال فهي لم تهدف إلى أن تنشئ على الفور حكومة ثورية قادرة على قيادة نضال الشعب ضد المحتلين وركائزهم، بل أن المؤتمر أظهر ولاءه للعرش السلطاني، وتوجه إلى ممثلي الدول الكبرى في اسطنبول برسالة سعى فيها إلى التدليل على الطابع السلمي للحركة الوطنية التركية. لقد اقتصر المؤتمر على طلب استقالة حكومة الداماد فريد باشا التي أفلست واستبدالها بأخرى

جديدة، ومن الواضح أن ذلك وحده لا يغير من جوهر القضية في حالة بقاء سيطرة المحتلين على البلاد(١٤٧).

في أثناء انعقاد المؤتمر الوطني في سيواس، وصلت لجنة التحقيق الأمريكية برئاسة الجنرال هاربورد Harbord الأمريكية إلى اسطنبول، وفي الثاني والعشرين من أيلول بلغت اللجنة سيواس، والتقى هاربورد بمصطفى كمال، وتلقى تأكيدات قاطعة أن الأناضول تركية في الواقع، وأنه لن يسمح بدخول أي انتداب أو بقبوله. وأنشئت لجان دفاع عن حقوق الأتراك لتصبح مركز لأنشطة الحركة الوطنية، خاصة في قونية وبورصة، وأماكن أخرى في الغرب(١٤٨).

الحركة الوطنية تخرج إلى العلـــــن

أدركت بريطانيا خطورة الموقف، لهذا جرت محاولات لإثارة المشكلات في وجه الحركة الوطنية ومواجهتها بعنف، فأصدرت، بتوجيه من بريطانيا، حكومة الداماد فريد باشا أوامرها إلى والي ملاطيا بإعداد حملة تشترك فيها العشائر الكردية، لمهاجمة سيواس واعتقال المندوبين وإرسالهم إلى اسطنبول(١٤٩). وهو أمر تشجعه وترغب به بريطانيا لاسيما أنها بدأت تخشى تلك الحركة التي أصبحت تشكل مصدر تهديد لجانب كبير من خططها المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط(١٥٠). تمكن مصطفى كمال من معالجة الموقف بنجاح، لاسيما بعد أن كان أنصار الحركة الوطنية قد علموا بالصدفة بذلك الأمر، إذ أصدر أوامره إلى قادة قوات مناطق العزيز Elazig وسيواس بالهجوم على ملاطيا حيث يتجمع المتآمرون، وتمكنت تلك القوات من تشتيت شملهم(١٥١).

رداً على ذلك بادر مصطفى كمال إلى التحرك بسرعة، فأذاع برقية وجهها إلى حكومة الداماد فريد باشا واتهمها بالخيانة وإنه لا يعترف بها، وإنه سيتصل مباشرة بالسلطان، وطالب باستقالتها وإجراء انتخابات جديدة. كما عمم أمره على القادة العسكريين المؤيدين له بالعمل على عزل العاصمة عن الأناضول، وقطع جميع

الاتصـالات السـلكية واللاسـلكية معهـا، وتحويـل الضـرائب والإيـرادات والمراسـلات والحكومية إليه مباشرة، وإقصاء الموظفين الموالين لحكومة اسطنبول، وتعيين أشخاص موثوق بهم محلهم(١٥٢).

من جهته انبرى السلطان محمد السادس للدفاع عن حكومة فريد باشا ودعا الشعب إلى عدم الخضوع إلا لأوامر ''السلطة الشرعية''، وقد استجابت لهذه الدعوة بعض ولايات الأناضول وأعلنوا ولاءهم لحكومة السلطان، ودعت (جمعية الدفاع عن الحقوق في طرابزون) إلى الاتفاق مع فريد باشا وتسريح القوى الوطنية، وساند هذا المطلب بعض الجنرالات، وظهرت في الأناضول مناطق معادية للحركة الوطنية. اتخذت (الهيئة التمثيلية) تدابير عاجلة للقضاء على هذا التحرك، فاعتقل أو أقصي من منصبه ولاة طرابزون، وانقره، وقسطمون، وقونيه، ومتصرفو درسيم، ونيكدي، وبولو، وافيون قره حصار، وقيصرية، والكثير من الموظفين والضباط الموالين لحكومة السلطان، وعقدت في المدن اجتماعات جماهيرية طالب المشاركون فيها بتأليف حكومة جديدة. اضطر السلطان في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٩ إلى استبدال وزارة الداماد فريد باشا بحكومة رأسها عضو مجلس الشيوخ علي رضا باشا(١٥٣) المتعاطف إلى حد ما مع الحركة الوطنية(١٥٤)، وكانت خطة السلطان والأوساط الحاكمة تقضي بأن يتظاهر علي رضا باشا بالتعاطف مع الحركة الوطنية ليستدرج قادتها ليتمكن من القضاء عليها، ويجري انتخابات جديدة لمجلس النواب، ويوقع معاهدة الصلح مع الحلفاء(١٥٥).

اقترح علي رضا باشا فتح المفاوضات مع مصطفى كمال وأرسل لهذا الغرض وفداً برئاسة وزير البحرية صالح باشا، وتوصل الطرفان في أثناء المحادثات، التي أجريت من العشرين إلى الثاني والعشرين من تشرين الأول في أماسيا، نتج عنه توقيع بروتوكول أماسيا الثاني، شمل الاتفاق على مسائل معينة، منها المحافظة على وحدة الأراضي الإقليمية لتركيا، وعدم إعطاء امتيازات خاصة للأقليات. أراد مصطفى كمال

إدراج مسألة من يمثل الشعب التركي في أجندة الاتفاق كي يصبح هو الممثل الرسمي للشعب كونه رئيس (الهيئة التمثيلية لمؤتمر سيواس)، وكان يريد بروتوكولا موقعا مع علي رضا باشا، غير أن الصدر الأعظم وبنصيحة من بريطانيا تجنب إعطاء أي شكل من أشكال الاعتراف بشرعية الهيئة التمثيلية السياسية غير الدستورية القائمة في الأناضول. وفي محاولة من حكومة اسطنبول لإقامة هيكل تمثيلي جيد، أطلقت الدعوة لانعقاد برلمان عثماني عام قيض له أن يكون الأخير في عمر الدولة العثمانية[١٥٦].

بالفعل جرت انتخابات ذلك البرلمان، ومع مضي الانتخابات قدما، تشجع القوميون كثيرا من تقرير لجنة هاربورد، والذي بلغهم في أواخر تشرين الثاني ١٩١٩. وبينما أوصى التقرير بإقامة انتداب أمريكي، فأنه ذهب إلى اقتراح أن يسيطر الأتراك على كل إيرادات الدولة، وأن يتم إيقاف السيطرة الأجنبية على آليات المالية في تركيا، بما في ذلك لجنة الدين العام. وأنه ينبغي على جميع البلدان التي تشكلت من الممتلكات العثمانية السابقة أن تتولى حصة معقولة من الالتزامات الخارجية، والتزامات التعويض الواقعة على الإمبراطورية. وهذا سيترتب عليه إلغاء كامل لجميع الاتفاقات التجارية القائمة، وخصوصا الامتيازات الأجنبية ''المقيتة''. وينبغي لجميع الحكومات والقوات الأجنبية إخلاء البلاد. لقد كان التقرير، في الواقع، انتصارا جزئيا للقوميين، فقط مع توصية بشأن إنشاء الانتداب التي يجب التغلب عليها. ولما كانت أكثر مناطق الأناضول وتراقيا تحت سيطرة القوميين عمليا، كان لا بد من أن أعضائها سوف يتم انتخابهم وانتخبوا بالفعل، مع انتخاب مصطفى كمال نفسه نائبا عن أرضروم. وهكذا استوعبت حكومة اسطنبول، بمعنى أو بآخر، الحركة الوطنية في البرلمان تحت سمع وبصر قوات الحلفاء. لم يكن مصطفى كمال يتوقع أن الحلفاء سيقبلون بتقرير هاربورد أو باحترام حصانته البرلمانية في حال ذهب إلى اسطنبول، من ثم مكث في الأناضول، ونقل عاصمة (الهيئة التمثيلية) من أرضروم إلى أنقرة ليتمكن من اللقاء بأكبر عدد ممكن من النواب وهم في طريق سفرهم إلى اسطنبول

لحضور البرلمان، وللبقاء على اتصال معهم وقت لقاءاتهم[١٥٧]. إن الانتقال إلى أنقرة جاء لأسباب أخرى، منها سهولة الاتصالات التلغرافية بينها وبين اسطنبول، ووضعها الملائم على تفرع خط سكة حديد الأناضول، وأيضاً الاستفادة من موقعها المتوسط في منطقة ذات تحصينات طبيعية قوية، مما يوفر فرصاً أفضل للدفاع عنها، فضلا عن عزم قادة الحركة الوطنية التركية سحب البساط من اسطنبول، وقطع صلة الأتراك بما كانت تمثله هذه الأخيرة آنذاك من تراث قديم ومفاهيم عدوها بالية[١٥٨].

البرلمان العثماني الأخير (مجلس عمومي Meclis-i Umumi)

نـُظـــر للبرلمـان العثمـاني إلـى أنـه الطريقـة المثلـى لإعـادة تأكيـد الشـرعية للحكومة المركزية في مواجهة الحركة الوطنية الناشئة في الأناضول. مع ذلك تشكل برلمان الدولة العثمانية تحت حراب المحتلين، والحقيقة أن الصدر الأعظم علي رضا باشا تعجل جدا باعتقاده أن باستطاعة ذلك البرلمان جلب الشرعية لحكومته، إذ أن هذا البرلمان ولد وهو مسلوب الإرادة، حتى أن مبنى البرلمان نفسه كان في ظل الحامية البريطانية المستقرة في اسطنبول، وكان على القرارات لكي تمرر أن تحظى بموافقة القائد البريطاني، إن حرية السلطة التشريعية من الحكومة الجديدة كانت محدودة، وهذا ما لم يتأخر النواب الجدد كثيراً في إدراكه، حيث أصبح علي رضا باشا وحكومته مجرد صدى لصوت دول الوفاق، والقرارات التي بالإمكان تمريرها هي فقط تلك التي تنال مباركة البريطانيين أو بالأحرى ما يأمرون به[١٥٩].

مع كل ذلك تمكن ذلك البرلمان أن يترك بصمته الخاصة في تاريخ تركيا الحديث، فقد حققت الحركة الوطنية فوزاً كبيراً في تلك الانتخابات، وعندما التقى المجلس في كانون الثاني كان يحمل طابعا قوميا واتحاديا صريحا، وكان بمثابة لسان حال المقاومة الوطنية. نظمت الأغلبية القومية في المجلس نفسها في جماعة عرفت باسم (كتلة خلاص / استرداد الوطن Felah-i Vatan)[١٦٠]. افتتح المجلس الوطني جلساته في اسطنبول في الثاني عشر من كانون الثاني ١٩٢٠، في البداية قرأت كلمة

السلطان الذي لم يحضر الافتتاح بداعي المرض، ثم قرأت برقية مصطفى كمال الذي انتخب نائبا عن أرضروم، والذي لم يحضر هو الآخر، موضحاً خلالها أن الحكومة الشرعية الوحيدة في البلاد هي الموجودة في أنقرة واسمها (الهيئة التمثيلية)[١٦١].

دافعت (كتلة خلاص الوطن) في المجلس علناً عن حركة المقاومة الوطنية[١٦٢]، وتمكنت من إقناع النواب المجتمعين في الثامن والعشرين من كانون الثاني بإقرار الميثاق الوطني (Misak-i Milli) (National Oath)، الذي أكد على مقررات كل من مؤتمر أرضروم، ومؤتمر سيواس، وحدد المبادئ التي ينبغي أن تجرى على أساسها جميع المفاوضات في المستقبل ما بين الوطنيين والحلفاء، كما جاء انحرافاً مقصوداً عن التقليد العثماني وتحولاً من الإمبراطورية المضطلعة بالزعامة الإسلامية إلى دولة تركية تعتمد مقومات الدولة الأمة الحديثة[١٦٣]. وتضمن الميثاق ستة مبادئ أساس يمكن إيجازها على النحو الآتي[١٦٤]:

(أ) يجب تقرير مصير الأجزاء التي تقطنها غالبية من العرب، والتي هي الآن محتلة من قوات الحلفاء، بموجب هدنة مودروس، وفقاً لاستفتاء يجرى لسكانها بحرية تامة. أما الأجزاء التي تضم غالبية ''عثمانية'' مسلمة متحدة في الدين والأصل، سواء الداخلة منها في خطوط الهدنة أم في خارجها، فلا يسمح بتجزئتها لأي سبب كان على ارض الواقع أو في القانون.

(ب) فيما يتعلق بالولايات الثلاث كارس، واردهان، وباتومي التي أعادت ضم نفسها إلى الوطن الأم، فبالإمكان العودة إلى الاستفتاء العام إذا كان ذلك ضروريا[١٦٥].

(ج) إقرار الوضع القانوني لتراقيا الغربية وفقاً لاستفتاء عام يجري للسكان.

(د) ضمان أمن مدينة اسطنبول وبحر مرمرة من كل خطر، ويعد فتح البوسفور للمرور والتجارة الدولية مسألة قانونية.

(هـ) تؤكد الحركة الوطنية من جانبها ضمان حقوق الأقليات غير المسلمة كما هو محدد في المعاهدات الدولية، بشرط أن ينطبق ذلك وبالمستوى نفسه على الأقليات المسلمة في الدول المجاورة.

(و) عدم الموافقة على أية شروط من شأنها تقييد التطور السياسي والقانوني والمالي للبلاد.

وكان هذا البيان الأساس للبرنامج القومي، ومن الملاحظ أنه لم يدافع عن السيادة الوطنية التركية ولكن عن كل العثمانيين المسلمين. هذا يعني من الناحية العملية عن الأتراك والأكراد، وكذلك المجموعات الصغيرة مثل اللاز Lazes والتشركز[١٦٦].

لقد فهم القوميون قيمة الخطاب الإسلامي كوسيلة لتوفير أقصى قدر من الوحدة بين شعب مكون من خليط سكاني من الشركس، واللاز، والعرب، والأكراد، والأتراك، من المجتمعات التي أرادوا تعبئتها لقضيتهم. والمصطلحات التي استخدموها لوصف 'الأمة'، 'الوطني'، و 'القومية' مشتقة من كلمة (ملت) (ملة)، وهي كلمة من أصل عربي تعني طائفة دينية في الاستخدام التركي. وفي حال أن الحركة الوطنية نشدت إعطاء صورة علمانية، لكان عليها أن تعتمد وبسهولة المصطلح المستمد من كلمة (فاتان) التي تعني الوطن أو البلد الأم. ولكن الخطاب الإسلامي خدم القوميين جيدا، ليس فقط في تحييد الدعاية في اسطنبول، ولكن أيضا الفوز بدعم حتى العناصر المحافظة، في الأقل لبعض الوقت[١٦٧].

كانت دول الوفاق في البداية تعتقد بأنها ستتمكن من القضاء على النضال التحرري في الأناضول بمساعدة حكومة السلطان، لكنها قررت بعد أن أقر مجلس النواب ''الميثاق الوطني''، إخماد هذا النضال بالقوة، وعلى هذا الأساس جرى في ليلة السادس عشر من آذار ١٩٢٠ إنزال مشاة البحرية البريطانية في اسطنبول، فاحتلوا المؤسسات الحكومية والثكنات العسكرية والبريد والتلغراف والأهداف المهمة

الأخرى، وجاء في البيان الرسمي الذي أصدره الحلفاء قولهم ''أن دول الوفاق مضطرة، من أجل أن تضع حدا للقلاقل التي تندلع باستمرار ضد قوات الوفاق وحلفائه ومن أجل ضمان تنفيذ شروط الصلح أيضاً، في احتلالها القسطنطينية مؤقتاً. إن هدف الحلفاء... تعزيز هيبة السلطان في الأماكن التي تخضع للإدارة التركية''[١٦٨].

أعلن الحلفاء الأحكام العرفية في اسطنبول وضواحيها واعتقلت سلطات الوفاق الكثير من النواب والسياسيين البارزين المساندين للحركة الوطنية وتم نفيهم إلى جزيرة مالطا[١٦٩]. واعتقل ضباط الأمن البريطانيين كل من حسين رؤوف، وكارا واصف، وأبرز قادة الكاراكول وكتلة خلاص الوطن في مبنى البرلمان[١٧٠]. لقد كان الانتماء إلى المنظمات الثورية جريرته عقوبة الموت، فأعدم المحتلون في نيكوز (الجزء الآسيوي من اسطنبول) سبعة وعشرون عاملا من عمال المحاجر رميا بالرصاص لمجرد الاشتباه بأنهم من الأنصار. لقد تم تشكيل محكمة خاصة وأخضعت المؤسسات الحكومية والمطابع والصحف والمجلات لسيطرة صارمة من سلطات الاحتلال، وأنيطت المحافظة على ''النظام والهدوء'' بجندرمة الحلفاء وشرطتهم[١٧١]. فضلا عن إجراءات تعسفية مثل إعدام كل شخص يحمل مسدسا بدون استجواب قضائي، كما صدر قرار ينص على إعدام شخصين من السكان في المناطق المحتلة يتم اختيارهما عشوائيا في حال تعرض أحد جنودهم للموت أو الأذى[١٧٢].

كان رد فعل المجلس الوطني أن أصدر بالإجماع، في آخر جلسة له عقدت بعد يومين من الاحتلال، قراراً شجب فيه اعتقال بعض من قادته وقام بتعطيل نفسه، ما حدا بصالح خلوصي باشا، الذي خلف علي رضا باشا، تقديم استقالته من الوزارة في الثاني من نيسان ١٩٢٠[١٧٣]. فأتاح ذلك الفرصة مرة أخرى لعودة الداماد فريد

باشا رئيساً للوزارة، المعروف بمناوئته للحركة الوطنية وموالاته للحلفاء وسياستهم في تركيا(١٧٤).

أعقب ذلك إصدار إرادة سلطانية بحل البرلمان في الحادي عشر من نيسان ١٩٢٠، وجاء هذا الحل بمثابة إطلاق يد وزارة الداماد فريد باشا في سياستها المناهضة للحركة الوطنية، فبدأ بالاستناد إلى منظمات معادية للقوميين (جمعية أصدقاء بريطانيا، ولجنة إنقاذ الخلافة، وجمعية حراس النظام)، مرحلة جديدة من الكفاح الضاري ضد الحركة الوطنية في البلاد(١٧٥). وأصدر شيخ الإسلام عبد الله دري زاده Durrizade، فتوى عدَّ فيها القوميين ''كفارا خارجين على الدين، وإن كل من يقتلهم يؤدي واجباً دينياً مقدساً يثاب عليه خيراً''(١٧٦). وبعد ذلك سرعان ما أدينوا أيضا بالإعدام غيابياً من لدن مجلس أحكام عرفية خاص عرف باسم (ديوان حرب عرفي) (Divan-i Harb-i Orfi) أنشأ في اسطنبول(١٧٧). وقامت طائرات الحلفاء بتوزيع المنشورات في أنحاء البلاد، لإلقاء القبض على كبار القادة من بينهم مصطفى كمال، وخصصت مكافأة لكل من يقبض عليهم(١٧٨).

على الرغم من أن أوامر السلطان الخليفة كانت بالكاد تسري إلى ما وراء حدود اسطنبول، إلا انه لا يزال يتمتع بتبعية عظيمة بصفته الزعيم الروحي للمجتمع الإسلامي، والتي ما توانى عن استخدامها ضد القوميين، خالعا عليهم صفة ''الملحدين'' الذين يشنون حربا ضد شخصه(١٧٩). نشر السلطان بياناً دعا فيه إلى الكفاح ضدهم، وأعلن عن الدعوة إلى التجنيد في ''جيش الخلافة''، وأخذت الأوساط المؤيدة لحكومة السلطان تنشر إشاعات تزعم فيها أن السلطان سيلغي الضرائب إلى الأبد، ودعت هذه الأوساط سكان الأناضول إلى ''عدم الاعتراف بأي سلطة غير سلطة السلطان–الخليفة المقدسة''. وأصدرت محكمة عسكرية حكماً غيابياً بالإعدام على قادة الحركة الوطنية، وجرت اعتقالات واسعة بين سكان اسطنبول بتهمة التعاطف مع الحركة، ووضعت بإشراف الجنرال البريطاني ولسن خطة للقضاء على

فصائل الأنصار التي كانت تؤلف في ذلك الوقت القوة العسكرية الرئيسة للمجلس الوطني الكبير، لقد كان على ''جيش الخلافة'' إعادة سلطة السلطان إلى الأناضول بمساعدة المحتلين(١٨٠).

في المقابل ردت الحركة الوطنية بأن أصدر مفتي أنقرة فتوى أيدها عدد من علماء الدين من الأناضول، أعلن فيها أن الفتوى التي أصدرها شيخ الإسلام في اسطنبول فتوى باطلة، لأنها صدرت نتيجة الضغط الأجنبي. ودعت الفتوى الجديدة المسلمين إلى إنقاذ السلطان من أسره لدى القوى الصليبية(١٨١). وكان قادة الحركة الوطنية يظنون أنهم سيجدون من يؤدهم في ذلك بين أفراد الشعب، إذ أدى احتلال اسطنبول والإرهاب الذي مارسته قوات الحلفاء إلى انفجار الغضب الشعبي، فجرت في البلاد اجتماعات ومظاهرات جماهيرية تحت شعار ''الموت للمحتلين''، وأخذت تتألف في القرى والمدن لجان دفاع جديدة، وبوشر بجمع التبرعات من الأموال والسلاح، وأرسلت من جميع أنحاء البلاد إلى اسطنبول برقيات تطالب بسحب القوات الأجنبية واستقالة حكومة الداماد فريد باشا(١٨٢).

انتهى النشاط السياسي العلني مع احتلال اسطنبول الذي استهدف نقطتين على حد سواء: وقف التعاون مع القوميين من داخل مؤسسات الحكومة العثمانية من جهة، والضغط على القوميين في الجبهات من جهة أخرى. لقد كان القادة القوميين في البرلمان على علم بأن هناك عمل وشيك ينوي البريطانيون القيام به، لكنه يبدو أنهم قرروا إبقاء البرلمان في حالة انعقاد بدلاً من الاختباء والفرار إلى الأناضول، إذ ربما أرادوا أن تظهر بوضوح السياسة البريطانية الهادفة إلى قمع حقوق البلد الوطنية(١٨٣).

وهكذا جرى مع إقامة نظام الاحتلال في العاصمة فرز في القوى، حيث أتجه إلى الأناضول كل من يؤيد استقلال تركيا على طريقة القوميين، بينما تجمعت القوى القديمة في اسطنبول. توجهت (الهيئة التمثيلية) للحركة الوطنية التي اضطلعت بدور

الحكومـة المؤقتـة، بنـداءات إلـى الشـعب التركـي والمسـلمين فـي جميـع أنحـاء العـالم، طلبت فيه إبداء المساعدة لتركيا في نضالها التحرري. وجاء في النداء الموجه إلى الشعب، أن دول الوفاق كانت بعد اتفاقية مودروس تأمل باستعباد الأتراك وذلك بإخضاعهم لإدارة أجنبية، وعندما لم تتحقق حساباتها اتجهت إلى (الهيئة التمثيلية) تطلب منها انتهاج سياسة النفوذ السائد في الشرق, ثم يواصل النداء ''إن الهيئة التمثيلية رفضت إجراء مفاوضات مهما كانت، ما لم يتحقق استقلال الأمة وتصان أراضيها، وما لم يجر إخلاء المناطق المحتلة، على وجه الخصوص''. اتخذت (الهيئة التمثيلية) في التاسع من آذار ١٩٢٠ قراراً بدعوة مجلس وطني جديد في أنقرة يتمتع بصلاحيات استثنائية، وجاء في القرار ''لقد حل مجلس النواب في اسطنبول بالقوة فلم تعد توجد في البلاد سلطة تشريعية، في حين أن السلطة التنفيذية واقعة في أسر سياسي، إذ أن جميع مؤسسات الدولة وكل وسائل النقل والاتصال تخضع لسيطرة الحلفاء''[١٨٤]. لأول مرة يعلن القوميين الحق في حكم الشعب التركي لوحدهم. إذ أعلن مصطفى كمال في السابع عشر من آذار أن (الهيئة التمثيلية) في أنقرة هي الحكومة الشرعية الوحيدة لتركيا، وأمر جميع المسؤولين المدنيين والعسكريين إطاعتها بدلا من حكومة اسطنبول، نظرا لأن الأخيرة ترزح الآن تحت سيطرة الحلفاء بالكامل. ووضعت الخطط لتنظيم حكومة وبرلمان جديد في أنقرة، وطلب من السلطان قبول سلطتها[١٨٥].

وهكذا ومع إصرار حكومة اسطنبول على العمل والادعاء بالسلطة على البلاد بصفتها الحكومة الشرعية، دفعت الأمور إلى درجة اللاعودة، وأصبح الميدان معداً لحرب أهلية شاملة. ويشبه المؤرخ ستانفورد شو الوضع بالحال الذي كانت عليه الأناضول في أوائل القرن الخامس عشر والذي نشأ بعد اندحار بايزيد الأول أمام تيمورلنك في معركة أنقرة، ففي كلتا الحالتين كان حكم الأتراك موزعاً على حكومتين إحداهما في الأناضول والثانية في أوربا، في الوقت الذي كانت فيه البلاد مهددة بغزو

أجنبي، وتجتاحها حركات عصيان محلية وعصابات قطاع طرق، وفي كلتا الحالتين صنع الأناضول – قلب الحياة والتقاليد التركية – المنتصر، الذي قاد حرب الاستقلال التي منحت تركيا استقلالها.

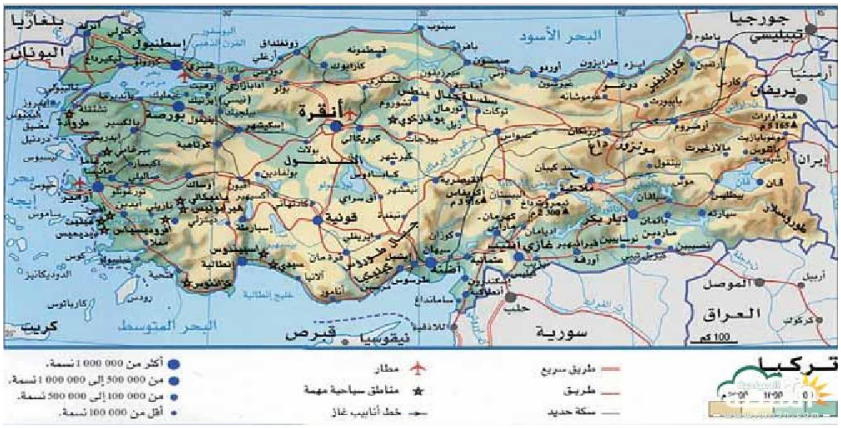

الهوامش :

(١) لاذ زعماء حكومة الاتحاديين أنور، وجمال، وطلعت بالفرار خارج البلاد حيث لقوا حتفهم هناك في فترات متفاوتة. ينظر:

Shaw, S. J., and E. K. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: volume II: Reform, Revolution and Republic: The Rise of Modern Turkey 1808-1975, London (Cambridge University Press), 1978, P. 332.

(٢) محمد السادس وحيد الدين (Vahdettin) (١٤ كانون الثاني ١٨٦١ – ١٦ أيار ١٩٢٦): السلطان السادس والثلاثين والأخير في الإمبراطورية العثمانية، حامل اللقب من ١٩١٨ إلى ١٩٢٢. اعتلى العرش كونه أكبر الذكور من أسرة آل عثمان بعد انتحار نجل عبد العزيز يوسف عز الدين أفندي وريث للعرش عام ١٩١٦. في ١٠ آب ١٩٢٠، وقع ممثلو محمد السادس على معاهدة سيفر، التي حلت الإمبراطورية واعترفت بالانتداب وبالحجاز دولة مستقلة. رفض القوميين الأتراك المعاهدة. وتم تشكيل حكومة جديدة تحت قيادة مصطفى كمال أتاتورك في ٢٣

نيسان عام ١٩٢٠، في أنقرة. نددت الحكومة الجديدة بالحكم الإمبراطوري للسلطان محمد السادس وتمت صياغة دستور مؤقت. ألغت الجمعية الوطنية التركية الكبرى السلطنة في ١ تشرين الثاني عام ١٩٢٢، وطرد محمد السادس من اسطنبول، التي غادرها على متن السفينة الحربية البريطانية مالايا في ١٧ تشرين الثاني، وذهب إلى المنفى في مالطا. عاش محمد السادس في وقت لاحق في الريفيرا الإيطالية. وفي ١٩ تشرين الثاني عام ١٩٢٢، انتخب ابن عم محمد السادس عبد المجيد أفندي خليفة، ليصبح الرئيس الجديد لأسرة عثمان الإمبراطورية باسم عبد المجيد الثاني، قبل إلغاء الخلافة من قبل الجمعية الوطنية التركية الكبرى في عام ١٩٢٤. توفي محمد السادس في ١٦ أيار ١٩٢٦ في سان ريمو، إيطاليا، ودفن في مسجد التكية السليمانية للسلطان سليمان القانوني في دمشق.

Encyclopedia Britannica, www.britannica.com

(3) Erick J. Zürcher, Turkey: A Modern History, Third Edition, London and New York: I.B. Tauris & Co Ltd, 2005, P. 134.

(٤) تألفت معاهدة الهدنة من خمس وعشرين مادة، نصت المادة الأولى من بنود الهدنة على فتح مضايق البوسفور والدردنيل، وضمان دخول سفن الحلفاء إلى البحر الأسود، وإن يتم للحلفاء احتلال تحصينات المضايق. أكدت المادة الخامسة على التسريح الفوري للجيش العثماني باستثناء القطعات المطلوبة للإشراف على الحدود وحفظ الأمن الداخلي. في حين منحت المادة السابعة للحلفاء الحق في احتلال أية مواقع ستراتيجية في حال قيام أي وضع من شأنه تعريض أمن الحلفاء للخطر. ويحق للحلفاء بموجب المادة الثانية عشرة السيطرة على محطات البرق كافة، ويستثنى من ذلك ما يتعلق برسائل الحكومة العثمانية. أما المادة السادسة عشرة فتقضي بتسليم جميع الحاميات العثمانية في الحجاز وسوريا والعراق واليمن إلى أقرب قائد عسكري من قوات الحلفاء، ونصت المادة السابعة عشرة على تسليم كل المواقع التي تم استرجاعها في طرابلس الغرب وبرقة ومصراته إلى اقرب حامية للحلفاء، فيما منحت المادة الرابعة والعشرين للأرمن ست ولايات في شرق الأناضول.

ينظر النص الكامل للمعاهدة في:

Sir Frederick Maurice, The Armistices of 1918. London, New York, Toronto: Oxford University Press, 1943, pp. 85-87, Volume 6. Weimar Germany, 1918/19–1933, Mudros Agreement: Armistice with Turkey (October 30, 1918), www. http://germanhistorydocs.ghi-dc.org/pdf/eng/armistice_turk_eng.pdf.

(٥) قاسـم خلـف الجميلـي، تطـورات واتجاهـات السياسـة الداخليـة التركيـة ١٩٢٣-١٩٢٨، رسـالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٢.

(6) For more information See: Charles James Booth, The Dissolution of the Ottoman Empire: The Study of the Political Clauses of the Treaty of Sèvres, August 10, 1920, Unpublished MA Thesis, Faculty of Arts, University of Ottawa, 1968, PP. 5-11.

(7) M. S. Anderson, The Eastern Question 1774-1923, a study in international relations, New York: ST Martin's Press, 1966, P. 345.

(٨) ينظر نص معاهدة برلين في:

Geoffrey Drage, Austria-Hungary, London, 1909, ., Appendix III.

(9) Hasan Kayali, The Struggle for Independence, within Resat Kasab (ed.), The Cambridge History of Turkey Vol. 4, Turkey in the Modern World, Cambridge University Press, Online Publication Date November, 2009, P. 116.

(10) Feroz Ahmad, The Making of Modern Turkey, London: Routledge, 1993, P. 46.

(١١) محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، بيروت: مكتبة الكشاف، ١٩٤٦، ص١٢.

(١٢) حزب الحرية والائتلاف: حزب معارض لحزب الاتحاد والترقي، تأسس في ٨ تشرين الثاني عام ١٩١١، وسرعان ما زادت فروعه في الأقاليم العثمانية، لا سميا في البلاد العربية. أما منهاج الحزب فقد نص على "توسيع المأذونية وتفريق الوظائف"، باستثناء مسائل الدفاع عن الوطن، ومسائل المنافع المشتركة بين الولايات مع بقاء مبدأ الرابطة العثمانية. وشجب الحزب الاعتماد على الفكرة القومية التي من شأنها تفكيك تلك الرابطة وتمنع اتحاد العناصر. ينظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٢، ص ٢٧٦.

(١٣) محمد عزة دروزة، المصدر السابق، ص ١٢.

(14)Hasan Kayali, Op.cit., P. 117.

(15) Ibid., P. 115.

(١٦) علي فتحي أوكيار: (٢٩ نيسان ١٨٨٠- ٧ أيار ١٩٤٣): دبلوماسي وسياسي تركي، ولد في مدينة بيرليب التي تقع في مقدونيا الحالية، خدم ضابطا في الجيش خلال العقد الأخير من عصر الإمبراطورية العثمانية .وهو ثاني رئيس وزراء لتركيا (١٩٢٤-١٩٢٥) وثاني متحدث باسم البرلمان التركي بعد مصطفى كمال، وهو أحد أقرب أصدقائه. شارك عام ١٩١١، في مقاومة العثمانية للغزو الإيطالي لليبيا ، وشارك في الحروب البلقانية، وفي أكتوبر عام ١٩١٣، اختير

سفيراً لتركيا في بلغاريا. في عام ١٩١٣، انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي وانتخب أميناً عاماً لها. في عام ١٩٣٠، أثناء خدمته سفيرا لتركيا في باريس، طلب منه أتاتورك، خلال اجتماع عقد في بالوفا، تأسيس الحزب الليبرالي الجمهوري، وهو حزب معارض قديم في تركيا، لتأسيس نظام ديمقراطي متعدد الأحزاب في تركيا. وعلى الرغم من ذلك، عندما لاحظت الحكومة دعم العامة لهذا الحزب المعارض، أُعلن أنه غير قانوني وأغلق تماما مثل الحزب الجمهوري التقدمي الذي استمر لبضعة أشهر في عام ١٩٢٤. شكل أوكيار حكومته عام ١٩٢٤ ولكنها لم تستمر طويلاً حيث استقالت عام ١٩٢٥. وفي عام ١٩٣٤، عين سفيراً في لندن. توفي أوكيار في ٧ أيار ١٩٤٣، ودفن في اسطنبول.

Wikipedia the Free Encyclopedia, https://en.wikipedia.org

(17) Zürcher, Op. cit., P. 138.

(18) Kayali, Op. cit., P. 118.

(19) Feroz Ahmad, Op. cit., P. 48.

(٢٠) المشير Field Marshal جورج فرانسيس ميلن، (٥ تشرين الثاني ١٨٦٦ – ٢٣ آذار ١٩٤٨): قائد في الجيش البريطاني شغل منصب رئيس هيئة الأركان الملكية العامة من ١٩٢٦ إلى ١٩٣٣. خدم في حرب البوير الثانية (١٨٩٩–١٩٠٢)، وخلال الحرب العالمية الأولى خدم لفترة وجيزة على الجبهة الغربية لكنه قضى معظم فترة الحرب قائد القوات البريطانية على الجبهة المقدونية. كونه رئيسا لهيئة الأركان العامة الامبراطوري عزز عموما ميكنة القوات البرية البريطانية على الرغم من أن التقدم العملي كان محدودا خلال فترة ولايته.

First World War Who's Who, www.firstworldwar.com

(٢١) الجنرال السير تشارلز هارينغتون هارينغتون (٣١ أيار ١٨٧٢ – ٢٢ تشرين أول ١٩٤٠): ضابط في الجيش البريطاني عرف لخدمته أثناء الحرب العالمية الأولى وأزمة تشاناك Chanak أيلول ١٩٢٢. وخلال مدة ٤٦ عاما قضاها في الجيش، خدم هارينغتون في حرب البوير الثانية، وشغل مناصب مختلفة خلال الحرب العالمية الأولى، شغل منصب نائب رئيس هيئة الأركان الملكية العامة بين ١٩١٨ و ١٩٢٠، وقاد قوات الاحتلال في البحر الأسود وتركيا، وأصبح في نهاية المطاف حاكم جبل طارق في عام ١٩٣٣. حظي باحترام من قبل نظرائه الذين يذكرونه بأنه "الجندي البارز"، خدم هارينغتون في مجمل سني الحرب العالمية الأولى في هيئة الأركان، وأبرزها رئيسا لأركان الجنرال هربرت بلومر Herbert Plumer، قائد الجيش الثاني، وكان بينهما تفاهم قوي متبادل. وبصفته قائدا أعلى للقوات المسلحة لقوات جيش الاحتلال المتحالفة،

ومقرها في اسطنبول، كان لهارينغتون دور فاعل في تجنب حرب بين المملكة المتحدة وجمهورية تركيا (أزمة تشاناك). تقاعد هارينغتون في عام ١٩٣٨، بعد أن كان حاكما لجبل طارق منذ أيار ١٩٣٣. استمر بالتعاون مع الجيش البريطاني في سني التقاعد بوساطة مناصب فخرية. First World War Who's Who, www.firstworldwar.com

(٢٢) لويس فيليكس ماري فرانسوا فرانشان ديسبيري Louis Félix Marie François Franchet d'Espèrey: (٢٥ أيار ١٨٥٦ – ٨ تموز ١٩٤٢): أحد الجنرالات الفرنسيين خلال الحرب العالمية الأولى، وبصفته قائدا لقطعات كبيرة من قوات الحلفاء مقرها في سالونيك، قام بشن الحملة المقدونية الناجحة التي تسببت في انهيار الجبهة الجنوبية وساهم في عقد الهدنة. https://en.wikipedia.org Wikipedia the Free Encyclopedia,

(23) Zürcher, Op. cit., PP. 140.

(24) See: W. Ochsenwald and S. N. Fisher, The Middle East: A History, New York: McCraw Hill, 2003, P. 380.

(٢٥) البارون بيوتر نيكولايفيتش رنجل Baron Pyotr Nikolayevich Wrangel (٢٧ آب ١٨٧٨ – ٢٥ نيسان ١٩٢٨). أحد ضباط جيش روسيا القيصرية، وجنرال قيادي في وقت لاحق للجيش الأبيض المضاد للبلشفية في جنوب روسيا في مراحل متأخرة من الحرب الأهلية الروسية. بعد أن خسر فريقه الحرب الأهلية في عام ١٩٢٠، غادر روسيا وأصبح واحداً من أبرز المهاجرين البيض في المنفى. https://en.wikipedia.org Wikipedia the Free Encyclopedia,

(26) Zürcher, Op. cit., PP. 140-141

(27) Ibid., P. 136

(28) Hasan Kayali, Op.cit., P. 116.

(٢٩) أحمد توفيق باشا: ولد في اسطنبول في ١١ شباط ١٨٤٥، تولى رئاسة عدد من الوزارات كانت الأولى خلال المدة الواقعة ما بين ٣١ آذار و٥ أيار ١٩٠٩، والثانية للمدة ما بين ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ و٣ آذار ١٩١٩، والثالثة للمدة ما بين ٢١ تشرين الأول ١٩٢٠ و ٤ تشرين الثاني ١٩٢٢. توفي في اسطنبول في ٨ تشرين الأول ١٩٣٦ عن عمر ناهز ٩١ سنة. مقتبس من قاسم خلف الجميلي، المصدر السابق، ص ١٨.

(٣٠) احمد عزت فوركاتش (١٨٦٤–١٩٣٧): قائد عسكري عثماني من أصول البانية واسمه الأخير هذا اكتسبه بعد إلغاء الألقاب في تركيا الحديثة عام ١٩٣٤، كان من أواخر من حمل الصدارة العظمى للدولة، ولد في مدينة منيستير في مقدونيا، قاد الجيش الثالث في بداية الحرب العالمية

الأولى، وقاد الجيش الثاني في معارك القوفاز عام ١٩١٦، وأصبح صدرا أعظما للمدة من ١٤ تشرين الأول ١٩١٨ إلى ٨ تشرين الثاني من العام نفسه. Wikipedia the Free Encyclopedia. org

(٣١) الداماد محمد عادل فريد باشا (١٨٥٣– ٦ تشرين الاول ١٩٢٣)، المعروف اختصارا باسم الداماد فريد باشا، كان رجل دولة عثماني من أصل ألباني شغل منصب الصدر الأعظم خلال فترتين في عهد السلطان العثماني محمد السادس وحيد الدين، المرة الأولى بين ٤ آذار ١٩١٩ و٢ تشرين الأول ١٩١٩، والمرة الثانية بين ٥ نيسان ١٩٢٠ و ٢١ تشرين الأول ١٩٢٠. ووصل رسميا إلى هذا المنصب في ما مجموعه خمس مرات، نظرا لأن حكومته تعرضت لرفض متكرر تحت مختلف الضغوط واضطر لتقديم تشكيلات وزارية جديدة. شغل العديد من المناصب في الإدارة العثمانية قبل دخوله وزارة الخارجية العثمانية، وأسندت إليه وظائف مختلفة في سفارات الدول الأوربية. تزوج من ابنة عبد المجيد الأول، مديحة سلطان، مما أكسبه لقب الداماد "damat" ("عريس" السلالة العثمانية). كان واحدا من الأعضاء المؤسسين لحزب الحرية والوفاق في عام ١٩١١، المنادي بالليبرالية والمزيد من الاستقلالية الإقليمية داخل الإمبراطورية، في الجهة المعارضة للجنة الاتحاد والترقي. جنبا إلى جنب مع أربعة شخصيات أخرى، وافق على التوقيع على معاهدة سيفر، التي تعد كارثية بالنسبة لتركيا، الأمر الذي أثار ردة فعل كبيرة ضده. ورد عليها بأن أصبح عدائيا على نحو متزايد على الحركة القومية التي تركزت في أنقرة، ودخل فريد باشا في تعاون متزايد مع قوات الاحتلال الحلفاء. مع انتصار القوميين في الحرب اليونانية التركية (١٩١٩–١٩٢٢)، هرب إلى أوروبا. توفي في مدينة نيس، فرنسا، في ٦ تشرين الأول ١٩٢٣، ودفن في مدينة صيدا، لبنان.

https://en.wikipedia.org Wikipedia the Free Encyclopedia,

(32) Zürcher, PP. 136-137.

(33) Kayali, Op.cit., P. 117.

(٣٤) محمد عزة دروزة، المصدر السابق، ص ١٢.

(35) Kayali, Op.cit., P. 118.

(٣٦) أحمد أمين يالمان Ahmet Emin Yalman (؟؟ ١٨٨٨ – ١٩ كانون الأول ١٩٧٢): أستاذ جماعي تركي، وصحفي وكاتب. ولد في عام ١٨٨٨ في مدينة سالونيك، التي كانت في ذلك الوقت جزءا من الإمبراطورية العثمانية. تلقى تعليمه في جامعة كولومبيا، وعاد إلى تركيا في عام ١٩١٤ وأصبح أول أستاذ مشارك في علم الاجتماع، ثم أستاذ الإحصاء في جامعة

اسطنبول، وعمل صحفيا أيضا. في عام ١٩١٩ تم نفيه إلى كوتاهيا بأمر من السلطان محمد السادس، وفي عام ١٩٢٠ نفي إلى مالطا من قبل قوات الاحتلال البريطانية. بعد الإفراج عنه عرضت عليه الحكومة الوطنية في أنقرة منصب المدير العام للصحافة والإعلام، ووظيفة سفير في واشنطن العاصمة، لكنه طلب إعفاءه لأنه أراد التركيز على عمله الصحفي. كان يالمان مؤسس، ومنذ سنوات عديدة محرر في الصحيفة القومية التركية المؤثرة ''الوطن''. كما كان واحدا من مؤسسي المعهد الدولي للصحافة في عام ١٩٥٠. نشر ثلاثة كتب في اللغة الإنجليزية، وواحدا باللغة الألمانية، وأكثر من عشرة في التركية، بما في ذلك سيرته الذاتية التي تقع في أربعة مجلدات. حصل يالمان على عدة جوائز شملت القلم الذهبي للحرية للاتحاد الدولي لناشري الصحف في عام ١٩٦١، والميدالية الذهبية من المعهد البريطاني للصحفيين.https://en.wikipedia.org

(٣٧) خالدة أديب أديوار: بالتركية Halide-edip-adivar : ولدت في عام ١٨٨٤ وتوفيت في ٩ كانون الثاني عام ١٩٦٤) روائية ، وسياسية ،وأكاديمية و معلمة تركية. تعرف بـ (العريف خالدة)، واعظة ماهرة حيث أنها رسخت في عقول شعب إسطنبول ما قامت به من جهود كثيرة ضد غزو البلاد وذلك من خلال الخطب التي ألقتها في عام ١٩١٩. كما أنها قدمت العديد من الخدمات بجانب مصطفى كمال في الجبهة بحرب الاستقلال. على الرغم من أنها مواطنة مدنية إلا أنها عدت بطلة حرب وحازت على رتبة عسكرية. وخلال الحرب شاركت أيضا في تأسيس وكالة الأناضول وأسست أيضا مهنة الصحافة. بدأت خالدة أديب الكتابة بإعلان الملكية الدستورية الثانية. فهي تعد واحدة من الأدباء اللاتي أنتجوا أعمال متنوعة بالأدب التركي خلال فترات الملكية الدستورية والجمهورية حيث أنها كتبت ٢١ رواية وأربع قصص ولها عملين مسرحيين والعديد من الأعمال النقدية. أكثر عمل أمن الشهرة لها هو رواية "المهرج وابنته". أفردت مكاناً في أعمالها لتثقيف المرأة لوضع المرأة في المجتمع بصفة خاصة. اقتبست الأفلام والمسلسلات التلفزيونية العديد من كتبها. وعلى مدار الأربعة عشرة عاماً التي عاشتها خارج تركيا منذ عام ١٩٢٦ كانت الكاتبة التركية الأكثر شهرة في البلدان الأجنبية، ذلك بفضل ما عقدته من مؤتمرات وما قدمته من أعمال باللغة الانكليزية. كانت خالدة أديب أستاذة أدب في جامعة اسطنبول ورئيسة قسم فقه اللغة الانكليزية وكانت سياسية في البرلمان.

ينظر: إسماعيل نوري، دور المرأة في حرب الاستقلال التركية (١٩١٩-١٩٢٢)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد ٣، العدد ٢، ٢٠٠٨، ص١٠٤-١٠٦.

(٣٨) ينظر: محمد عزة دروزة، المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

(39) Kayali, Op.cit., P. 119.

(٤٠) مجموعة من الباحثين السوفيت، تاريخ تركيا المعاصر، ترجمة هاشم صالح التكريتي، السليمانية: مؤسسة حمدي للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ص٣٥. أما في المناطق الأخرى من الأناضول، كان الوضع السياسي أكثر اضطراباً وفوضىً، إذ تكونت عصابات مسلحة أخذت تنهب وتفرض الإتاوات على الناس، كما أن الأقليات القومية بدأت تسعى لتحقيق الاستقلال الذاتي لها. سليم الصويص، أتاتورك: منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة، عمان، ١٩٧٠، ص ٩٢.

(٤١) إسماعيل أنور باشا (١٨٨١-١٩٢٢): ولد في اسطنبول عام ١٨٨١، وتخرج في كليتها الحربية عام ١٩٠٣، والتحق بجمعية الاتحاد والترقي، أدى دورا بارزا في أحداث تموز ١٩٠٨، اشترك في حرب طرابلس(١٩١١-١٢)، والحروب البلقانية كان له دور فاعل في استرجاع مدينة أديرنة ١٩١٣، عين وزيرا للحربية في العام نفسه. وكان ابرز المسؤولين عن قرار انضمام الدولة العثمانية إلى جانب دول الوسط في الحرب العالمية الأولى، وعلى اثر خسارة الحرب، فر خارج البلاد، ولكنه قتل في أثناء قيادته فرقة معادية للسوفييت بالقرب من دوشامبي في طاجيكستان الحالية في آب ١٩٢٢. الموسوعة العربية الميسرة، بيروت: دار نهضة لبنان للطبع والنشر، ١٩٨٧، المجلد الأول، ص ٢٥٠.

(٤٢) طلعت باشا: ولد عام ١٨٧٤، دخل مدرسة الاتحاد أصبح رئيسا للكتاب في ولاية سالونيك، ثم مأمورا للبريد هناك، انتخب نائبا عن أديرنة في ١٩٠٨، ثم أصبح وزيرا للداخلية في عهد الاتحاديين ١٩٠٩، ووزيرا للبرق والبريد، وسكرتير عام لجمعية الاتحاد والترقي في ١٩١٢، عين مرة أخرى وزيرا للداخلية أثناء الحرب العالمية الأولى فكان مسؤولا عن نقل الأرمن من الولايات الشرقية إلى سوريا والعراق، ثم تسنم منصب رئاسة الوزراء في ١٩١٧، هرب بعد خسارة الحرب العالمية إلى برلين، قتل في ١٥ آذار ١٩٢١على يد رجل ارمني. Encyclopaedia Britannica, Micropaedia, Vol. IX, P. 783

(43) Zürcher, Op. cit., PP. 134-135.

(44) Feroz Ahmad, Op.cit., P. 49.

(45) Kemal H. Karpat, Turkey's Politics, New Jersey, 1966, Karpat, Op.cit., PP. 33-34.
(46) Feroz Ahmad, Op.cit., P. 49.
(47) Kayali, Op.cit., P. 119.
(48) Ibid., P. 122.

(٤٩)هاشم صالح التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص٣٧.

(50) Zürcher, Op. cit., P. 148.

(٥١) قاسم خلف الجميلي، دور المرأة التركية في الحركة الوطنية وحرب الاستقلال (١٩١٩-١٩٢٢)، مجلة المؤرخ العربي، ع٣، سنة ١٢، ١٩٨٦، ص ٤٧.

(٥٢) اسماعيل نوري، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٥٣) اختبرت ظروف الاحتلال هذه العصابات وأعادت ترتيب ولاءاتها، لما كان الجيش اليوناني القائم بالاحتلال، أيضا، يأمل في تسخير قواها ودرايتها المحلية..Kayali, Op. cit., P. 122

(54) Kayali, Op. cit., P. 118.

(٥٥) مصطفى صوفي (١٨٨٣ – ٢٨ كانون الثاني ١٩٢١) زعيم شيوعي تركي درس العلوم السياسية في باريس، حيث كان أيضا مراسلا لصحيفة تانين Tanin التركية. عاد إلى تركيا في عام ١٩١٠، حيث قام بتحرير صحيفة Ifham ، كما ألقى محاضرات في القانون والاقتصاد. في عام ١٩١٣ اتهم بالضلوع في اغتيال محمود شوكت باشا وحكم عليه بالسجن لخمسة عشر عاما في المنفى في سينوب Sinop. ومن هذا المكان ساهم بمقالات حول الفلسفة الغربية إلى الدوريات Ictiha و Hak. مع ذلك، هرب في عام ١٩١٤ من سينوب إلى روسيا، حيث، في أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى، عدته السلطات الروسية أسير حرب وأرسلته إلى المنفى في منطقة الاورال. في عام ١٩١٥، بينما كان في منطقة الاورال انضم إلى الحزب البلشفي. في تموز ١٩١٨، ساعد في تنظيم مؤتمر الاشتراكيين اليساريين الأتراك، الذي عقد في موسكو، وفي نوفمبر انخرط في منظمة Muskom ، وانتخب أيضا في اللجنة المركزية لعموم عمال روسيا المسلمين لقسم Narkomnats . كما شغل منصب سكرتير لميرسيد سلطان خليفة Mirsaid Sultan-Galiev . وكان رئيس القسم التركي من مكتب الدعاية الشرقية، وحضر المؤتمر الأول للأممية الثالثة في عام ١٩١٩ باعتباره مندوب لتركيا، وفي ذلك العام كان قد أسس جريدة يني دنيا (العالم الجديد)، التي نشرت أسس الاشتراكية العلمية بين أسرى الحرب الأتراك. انتخب صوفي رئيسا للمؤتمر الأول للحزب الشيوعي في تركيا، الذي عقد في باكو في ١٠ أيلول

١٩٢٠، وذهب إلى الأناضول. وكان واحدا من الشيوعيين الخمسة عشرة الذين توجهوا إلى تركيا للانضمام إلى حرب الاستقلال. بعد أن واجهوا عداء في أرضروم، حاول الشيوعيون العودة إلى باكو. ومع ذلك، تم قتلهم في طرابزون في ليلة ٢٨ كانون الثاني عام ١٩٢١. Wikipedia the Free Encyclopedia https://en.wikipedia.org

(56) Shaw, Op.cit,. P. 341.
(57) Zürcher, Op., cit., P. 140.
(58) Ibid., P. 135.
(59) Erik-Jan Zurcher, Ataturk as a Young Turk, Lse Lectures (this lecture by Professor Zurcher was delivered at School of Oriental and African Studies (SOAS) at London on Friday 27 February 2009, Contemporary Turkish Studies, http://www.lse.ac.uk, P. 10.

(٦٠) قاسم الجميلي، تطورات، ص ٣٤.

(61) Shaw, Op.cit., P. 340.
(62) Zurcher, Ataturk, PP. 10-11.
(63) Ibid., P. 12.
(64) Zürcher, Turkey, P. 142.

(٦٥) علي فؤاد باشا تشيبيسوي: (١٨٨٢-١٩٦٩) تخرج في مدرسة اللغة في ارزنجان ثم التحق بالكلية الحربية عام ١٨٩٨، أكمل دراسته في كلية الأركان عام ١٩٠٥، تقلد عدة مناصب عسكرية أثناء حرب طرابلس وحروب البلقان وحرب الاستقلال. انتدب سفيرا لحكومة أنقرة في موسكو ١٩٢٠، وشغل عام ١٩٣٩ منصب وزير الأشغال العامة. انتخب عام ١٩٤٧ رئيسا للمجلس الوطني. ينظر: سيرة حياة عدد من شخصيات البارزة في التاريخ التركي المعاصر، ترجمة قاسم الجميلي، نشرة الشؤون التركية، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية/ الجامعة المستنصرية، ١٩٨٧، ص ٧٧-٧٩.

(٦٦) كاظم قرابكر: ولد عام ١٨٨٢ في اسطنبول، تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٠٥، اشترك في حروب البلقان والحرب العالمية الأولى وحرب الاستقلال. أصبح في عام ١٩٢٤ قائدا للحزب التقدمي الجمهوري المعارض. ثم اعتزل العمل السياسي عام ١٩٢٦ اثر اتهامه مؤامرة لاغتيال مصطفى كمال. عاد ثانية لمزاولة العمل بعد وفاة مصطفى كمال ١٩٣٨. انتخب عام ١٩٤٤ رئيسا للمجلس الوطني التركي، توفي في كانون الثاني ١٩٤٨. ينظر: المصدر نفسه، ص ٧٣-٧٤.

(67) Shaw, Op.cit., P. 341.

(٦٨) ارمسترونغ هـ.س.، الذئب الأغبر مصطفى كمال، القاهرة: منشورات دار الهلال، ١٩٥٢، ص ١٠٧-١٠٨.

(٦٩) اسمه قبل شهرته كان مصطفى علي رضا الذي ولد عام ١٨٨١ في مدينة سالونيك ودخل المدرسة العسكرية هناك وتابع دراسته فيها. التحق بالمدرسة الرشدية العسكرية فتخرج فيها عام ١٨٩٩، ثم انتقل إلى كلية الحرب في اسطنبول وتخرج عام ١٩٠٢، ثم دخل كلية الأركان وبعد ثلاث سنوات من الدراسة تخرج برتبة ملازم أول والتحق بالجيش. وخلال تلك الحقبة ازداد انغماسه في العمل السياسي، حيث أسس مع رفاقه الضباط الذين شاركوه الأفكار والأمنيات، جمعية سياسية سرية أطلقوا عليها اسم (الوطن). ولما نقل إلى دمشق عام ١٩٠٦ للالتحاق بإحدى الفرق العسكرية هناك، أسس وسط الضباط جمعية (الوطن والحرية). وعندما نقل إلى سالونيك التحق بصفوف (جمعية الاتحاد والترقي)، وشارك في إخماد الانقلاب المضاد في الثالث عشر من نيسان ١٩٠٩ في اسطنبول، الذي أدى إلى عزل السلطان عبد الحميد الثاني وجاء بالسلطان محمد رشاد الخامس. بعدها تدرج مصطفى كمال بالرتب والمناصب العسكرية القيادية، وشارك في كل الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية فيما تبقى من عمرها حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وأبلى فيها بلاء حسناً. ينظر: محمد علي قدري، مصطفى كمال أتاتورك محرر تركيا ومؤسس دولتها الحديثة، بلا، ١٩٨٣، ص ٧-١٠؛ ارمسترونغ، المصدر السابق، ص ٢٥-٢٦؛ Ilber Ortayli, A Young Ottoman General and the Emergence of a National Leader, The Turkish Yearbook of International Relations, Vol. 20, 1980, PP. 229-234.

(٧٠) مقتبس من: ارمسترونغ، المصدر السابق، ص ٣٠.

(71) H. C. Armstrong, Grey Wolf: Mustafa Kemal an Intimate Study of a Dictator, Penguin, 1937, P. 125.

(72) Zürcher, Turkey, P. 142.

(73) Ibid., P. 142.

(74) Feroz Ahmad, Op.cit., P. 49.

(٧٥) هاشم صالح التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٣٨.

(76) See: Zurcher, Ataturk, PP. 10-11.

(77) Ibid., P. 11.

(78) Zürcher, Turkey, PP. 142-143.

(٧٩) ارمسترونج، المصدر السابق، ص ١٠٦-١٠٧.

(80) Feroz Ahmad, Op.cit., P. 47.
(81) Anderson, Op.cit., P. 364.
(82) Kayali, Op. cit., P. 120.

(٨٣) اليفثيروس فينيزيلوس (١٨٦٤-١٩٣٦): ابرز سياسيي ورجال الدولة اليونانيين في بداية القرن العشرين، تمكن من توسيع رقعة اليونان الجغرافية عن طريق دبلوماسيته الرصينة. حصل على شعبية كبيرة في الداخل لدوره في الانتفاضة اليونانية ضد العثمانيين في ١٨٩٧. أصبح وزيرا للعدل ١٨٩٩-١٩٠١، ثم نائبا في البرلمان اليوناني، ليعتلي منصب رئيس الوزراء في تشرين الأول ١٩١٠ في ظل الملك جورج الأول. تمكنت اليونان من خلال سياسته مضاعفة مساحتها وسكانها في أعقاب حروب البلقان (١٩١٢-١٣)، بعد نجاحه في تخطيطه لخلع الملك قسطنطين الموالي للألمان ونفيه إلى الخارج خلال الحرب العالمية الأولى، قاد فينيزيلوس بلاده للدخول في الحرب إلى جانب الحلفاء. حضي بسمعة دولية أثناء مؤتمر فرساي للسلام ١٩١٩ تفاوض بصورة منفصلة مع الايطاليين والبلغار والأتراك ليحصل على مكاسب كبيرة لليونان. داخليا لما هزم على يد الملكيين في انتخابات عام ١٩٢٠، عاد لقيادة حزب الأحرار خلال الجمهورية الهلنستية الثانية (١٩٢٤-٣٥)، قضى آخر سنة من حياته منفيا في فرنسا.
Britannica, Micropaedia Vol. X, P. 389

(84) Shaw, Op.cit., P. 342.
(85) Kayali, Op. cit., PP. 120-121.
(86) Necati Ulunay Ucuzsatar, The Dissolution of the Ottoman Empire and the Foundation of Modern Turkey under the Leadership of Mustafa Kemal Ataturk, Journal of Istanbul Kültür University, 2002\2, P. 55; Shaw, Op.cit., P. 342.
(87) Shaw, Op.cit., P. 342.
(88) Zürcher, Turkey, P. 148.
(89) Kayali, Op. cit., P. 121.

(٩٠) اسماعيل نوري، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٩١) هاشم صالح التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص٣٥.

(92) Kayali, Op.cit., P. 121.

(٩٣) ارمسترونج، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٩٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(95) Karpat, Op.cit., PP. 32-33.
(96) Shaw, Op.cit., P. 343.

(٩٧) مقتبس من: هاشم صالح التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٣٨.

(٩٨) مصطفى الزين، ذئب الأناضول، لندن وقبرص: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١، ص ١٠٥.

(99) Lord Kinross, Ataturk – The Rebirth of a Nation, London, 1964, PP. 167-168.

(100) Shaw, Op.cit., P. 343.

(١٠١) ارمسترونج، المصدر السابق، ص١١٣.

(102) Zürcher, Turkey, PP. 148-149.

(١٠٣) إسماعيل نوري، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١٠٤) ارمسترونج، المصدر السابق، ص١١٣.

(105) Zürcher, Turkey, P. 149.

(106) Kayali, Op. cit., P. 124.

(107) Shaw, Op.cit., P. 343.

(١٠٨) حسين رؤوف: (١٨٨١-١٩٦٤) التحق بالمدرسة البحرية العليا في اسطنبول، اشتهر أثناء حروب البلقان من خلال قيادته للطراد حميدية. أصبح وزيرا للبحرية عام ١٩١٨، التحق بصفوف الحركة الكمالية في أماسيا ١٩١٩، القي القبض عليه عام ١٩٢٠ من قبل قوات الحلفاء ونفي إلى مالطة، تقلد عدة مناصب في حكومة أنقرة. انتخب عام ١٩٣٩ نائبا برلمانيا، وأصبح سفيرا في لندن عام ١٩٤٢. ينظر: سيرة حياة، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٧.

(١٠٩) رفعت بيلي باشا (سالونيكا ١٨٧٧ – ٣ تشرين الاول ١٩٦٣) كان ضابطا في الجيش العثماني والجيش التركي وتقاعد برتبة جنرال. ولد لعائلة مسلمة في مدينة سالونيك في ١٨٧٧. وتولى اللقب بيلي لجده الذي كان في الأصل من بيالا في بلغاريا. بسبب الاضطرابات في البلقان انتقلت عائلته لأول مرة إلى اسطنبول، واستقرت في وقت لاحق في سالونيك عندما كان طفلا. درس في الأكاديمية العسكرية، أصبح عضوا في لجنة الاتحاد والترقي. شارك في الحرب الإيطالية العثمانية (١٩١١)، ثم في حروب البلقان (١٩١٢-١٩١٣) التي خسرت فيها الدولة مسقط رأسه إلى الإغريق. شارك في الحرب العالمية الأولى وخدم بامتياز في الجبهة فلسطين. عاد إلى اسطنبول بعد هدنة مودروس في عام ١٩١٨. والتحق بالحركة الوطنية في الاناضول وكان جزءا من كل تطوراتها، بعد إخماده عدة ثورات محلية ضد حكومة انقرة، كان لديه العديد من الخلافات السياسية مع أتاتورك وأصبح لا يحظى بتأييده، وقد تمت محاكمته بتهمة التآمر،

ولكن بـرئ مـن اغتيـال أتـاتورك فـي عـام ١٩٢٦، فتقاعـد فـي العـام نفسـه مـن الجيش ومجلـس النواب. تـوفي فـي اسطنبول فـي عـام ١٩٦٣. ادعـي أن رفعت بيلـي كانـت نشـطا فـي عمليات الإبـادة الجماعيـة اليونانيـة. Wikipedia the Free Encyclopedia, https://en.wikipedia.org

(110) Shaw, Op.cit., P. 343.

(١١١) ارمسترونج، المصدر السابق، ص ١١٣.

(112) Kayali, Op. cit., P. 124.

(١١٣) ارمسترونج، المصدر السابق، ص١١٣-١١٤.

(١١٤) أحمد نوري النعيمي، المصدر السابق، ص ٢٠.

(١١٥) مصطفى الزين، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(116) Shaw, Op.cit., P. 344.

(١١٧) ارمسترونغ، المصدر السابق، ص ١١٧.

(١١٨)سليم الصويص، المصدر السابق، ص ٩٧.

(١١٩) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٣٨.

(١٢٠) نقلا عن: محمد علي قدري، المصدر السابق، ص ٢١.

(١٢١) سليم الصويص، المصدر السابق، ص ٩٧.

(122) Gaston Gaillard, The Turk and Europe, London: Thomas Murby & Co., 1921, P. 205.

(١٢٣) ارمسترونج، المصدر السابق، ص ١١٨.

(124) Shaw, Op.cit., P. 344

(125) Kayali, Op. cit., PP. 124-125.

(١٢٦) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٣٩.

(١٢٧) إبـراهيم الـداقوقي، الأحـزاب السياسـية واتجاهـات السياسـة فـي تركيـا الحديثـة، معهـد الدراسـات الآسيوية والأفريقية، بغداد: مكتب الرواد للطباعة، بلا، ص٣.

(١٢٨) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٣٩.

(١٢٩) ارمسترونج، المصدر السابق، ص ١١٩.

(١٣٠) أحمد نوري النعيمي، المصدر السابق، ص ٢٣.

(131) Shaw, Op.cit., P. 344.

(١٣٢) سليم الصويص، المصدر السابق، ص ٩٩.

(133) Shaw, Op.cit., P. 345.

(١٣٤) سليم الصويص، المصدر السابق، ص ١٠١.

(١٣٥) مصطفى الزين، المصدر السابق، ص ١١٢.

(136) Shaw, Op.cit., P. 345.

(137) Ibid., P. 346.

(١٣٨) الكولونيل السير توبي الفريد راولنسون Colonel Sir Toby Alfred Rawlinson (١٧ كانون الثاني ١٨٦٧ – ١ حزيران ١٩٣٤) سائق سيارات سباق إنجليزي ورياضي وجندي وطيار وضابط في المخابرات. كان ألفريد الابن الثاني للواء السير البارون أول هنري كريسويك راولينسون. شقيقه الأكبر الجنرال البارون اول هنري رولينسون الذي كان العقل المدبر للمعركة أميان وهجوم المائة يوم الذي أوصل الحرب العالمية الأولى إلى نهايتها. تلقى الفريد تعليمه في كلية إيتون وأكاديمية ساندهيرست العسكرية الملكية، وبعد ذلك تخرج برتبة ملازم أول، في عام ١٩١٤ التحق بالخدمة الفعالة، في ٩ أيار ١٩١٥، أصيب بشظايا قذيفة ألمانية في معركة Aubers Ridgeوعاد إلى إنجلترا. وعرضت عليه قيادة الوحدة المنشأة حديثا في دفاعات لندن الجوية لخبرته في هذا المجال، فأصبح برتبة كولونيل على رأس قوات مكونة من ١٩ مدفع مضاد للطائرات و ٣٦ كشاف. قدم في كانون الثاني ١٩١٨، استقالته من الدفاع الجوي "للرغبة العارمة للاقتراب مرة أخرى من العدو". في شباط نقل إلى سلاح الاستخبارات برتبة عقيد عمل في مهام رحلات في القوقاز وشرق الأناضول خلال ١٩١٨–١٩٢٢. كانت مهمته حراسة خط السكك الحديدية تفليس–باكو، والإشراف على تسريح القوات التركية. وفي المهمة الأخيرة لتحديد ما إذا كانت تركيا تطبق شروط الهدنة، وقع هو وفريقه في أسر الأتراك في أرضروم، الأمر الذي وضع الحكومة البريطانية في موقف حرج بسبب علو رتبة وأهمية شقيقه الأكبر. وفي النهاية أطلق سراحه في عملية تبادل للأسرى في عام ١٩٢١. توفي ألفريد رولينسون في ١ حزيران ١٩٣٤. Wikipedia the Free Encyclopedia, https://en.wikipedia.org

(139) Kinross, Op.cit., P. 181.

(١٤٠) ارمسترونج، المصدر السابق، ص ١٢١.

(١٤١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ٣٠٥.

(١٤٢) ينظر: سليم الصويص، المصدر السابق، ص ١٠٢–١٠٣.

(١٤٣) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٣٩.

(144) Kinross, Op.cit., P. 188.

(١٤٥) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٤٠.

(١٤٦) أحمد نوري النعيمي، المصدر السابق، ص ١٩.

(١٤٧) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٤١.

(148) Shaw, Op.cit., P. 346.

(١٤٩) سليم الصويص، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١٥٠) كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة محمد الملا عبد الكريم، ط٢، بغداد، ١٩٨٤، ص ٣٣٨.

(١٥١) ينظر: محمد عزة دروزة، المصدر السابق، ص٢٣.

(١٥٢) مصطفى الزين، المصدر السابق، ص ١١٦.

(١٥٣) علي رضا باشا (١٨٦٠-١٩٣٢): ولد في اسطنبول ١٨٦٠، تخرج في الكلية الحربية العثمانية عام ١٨٨٦، شغل مناصب عسكرية وإدارية مثل حاكم مناستير Manastir عام ١٩٠٣، نفي بعدها إلى طرابلس بعد ضغط من روسيا نظرا لاغتيال القنصل الروسي هناك أثناء فترة توليه المنصب. أرسل في ١٩٠٥ حاكما على اليمن حيث اخمد انتفاضة نشبت هناك. أصبح وزيرا للحربية لمدة قصيرة عام ١٩٠٨ بعد ا تلقى معارضة من جانب حكومة الاتحاديين. أعيد وعين لمدة قصيرة في المنصب نفسه عام ١٩٠٩. عين لفترة قصيرة مفتشاً عاماً على قطعات الجيش العثماني في الولايات العثمانية في أوربا قبل اندلاع الحرب البلقانية. لم يكن له نشاط بارز خلال الحرب العالمية الأولى نتيجة لعدم دعم حكومة الاتحاديين له. عين صدرا أعظما منذ الثاني من تشرين الأول ١٩١٩ المنصب الذي شغله لخمسة أشهر فقط.
Wikipedia the Free Encyclopedia, en. Wikipedia. org

(154) Zürcher, Turkey, P.137.

(١٥٥) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٤١.

(156) Shaw, Op.cit., P. 346.

(157) Ibid.. P. 347.

(١٥٨) ينظر: سليم الصويص، المصدر السابق، ص ١١٧.

(159) Turkish War of Independence, Wikipedia the Free Encyclopedia, en. Wikipedia. org.

(160) Zürcher, Op. cit., P. 138

(161) Turkish War, Wikipedia.

(١٦٢) إبراهيم الداقوقي، المصدر السابق، ص ٤.

(١٦٣) قاسم الجميلي، تطورات، ص ٣٣.

(164) J. C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. II, New York, 1972, PP. 74-75.

(١٦٥) تلك الولايات هي التي تخلت عنها روسيا بموجب المادة الرابعة من معاهدة برست ليتوفيسك التي عقدت في الثالث من آذار ١٩١٨ بين كل من الحكومة البلشفية الجديدة لروسيا ودول الوسط: ألمانيا والنمسا-المجر وبلغاريا والدولة العثمانية، حيث تعهد الروس فيها بعدم التدخل مستقبلا في إعادة تنظيم العلاقات الوطنية والدولية لتلك الولايات، وأن تترك لشعبها ذلك بموجب اتفاقية مع الدول المجاورة لاسيما الدولة العثمانية.

(166) Zürcher, Turkey, P. 139.

(167) Feroz Ahmad, Op.cit., P. 48.

(١٦٨) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٤٢.

(169) Feroz Ahmad, Op.cit., P. 49.

(170) Zürcher, Turkey, P. 139.

(١٧١) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٤٢.

(١٧٢) اسماعيل نوري، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١٧٣) حنا عزو بهنان، التطورات السياسية في تركيا (١٩١٩-١٩٢٣)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب-جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص٦١. كان الحلفاء قد ضغطوا على علي رضا باشا للقبض على كبار القوميين والمتعاطفين معهم في اسطنبول لكنه رفض ذلك، فأجبروا حكومة علي رضا تمهيدا للاحتلال تقديم استقالتها في الثاني من آذار عام ١٩٢٠، وشكلوا وزارة جديدة برئاسة صالح خلوصي باشا (وهو نفسه وزير البحرية في حكومة علي رضا باشا) الذي ارتقى المنصب في الثامن من آذار من العام (Shaw, Op.cit., P. 348.).

(١٧٤) قاسم الجميلي، تطورات، ص ٣٤.

(١٧٥) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص٤٣.

(١٧٦) نقلا عن: مصطفى الزين، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(177) Shaw, Op.cit., P. 349.

(١٧٨) حنا عزو، المصدر السابق، ص ٦٦.

(179) Feroz Ahmad, Op.cit., P. 48.

(١٨٠) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦.

(١٨١) احمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ٣٠٦؛ Feroz Ahmad, Op.cit., P. 48.

(١٨٢) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص٤٣.

(183) Zürcher, Turkey, P. 139.

(١٨٤) هاشم التكريتي (المترجم)، المصدر السابق، ص ٤٣.

(185) Shaw, Op.cit., P. 349.

الشيخ العربي التبسي ودوره التربوي والاصلاحي في الجزائر (١٨٩١-١٩٥٧)

د. صبري كامل هادي التميمي

المديرية العامة لتربية ديالى

الشيخ العربي التبسي ودوره التربوي والاصلاحي في الجزائر (١٨٩١-١٩٥٧)

د. صبري كامل هادي التميمي

المقدمة

من الحقائق التي يقف عندها اغلب المؤرخين , هي إن دراسة التراجم والسير الذاتية لقيادات وشخصيات أي بلد من البلدان يعد عملاً ضرورياً , ويرى فيه البعض عملاً وطنياً خالصاً لاستجلاء مسيرة الزعماء والافتخار والاعتزاز بهم وجعلهم قدوة تقتدي بهم باقي فئات المجتمع.

ويعد العربي التبسي من الشخصيات البارزة , التي ادت دورا كبيراً على الساحة الجزائرية في مقاومة الجهل والأمية اللذين فرضا على المجتمع الجزائري من الاحتلال الفرنسي الذي اتبع سياسة التجهيل والإقصاء وتشريد الشعب الجزائري , فضلاً عن دخول العربي التبسي في صراع ضد البدع والخرافات التي سيطرت على عقلية الشعب الجزائري منذ إلحاقه قسراً بالاستعمار الفرنسي الذي كان يستهدف الهوية الوطنية باعتماده على المتعاونين معه من الجزائريين , وبعض شيوخ الطرق الصوفية .

تكمن أهمية البحث في كونه يدرس شخصية لها إسهاماتها الكبيرة في الحركة الإصلاحية الجزائرية في النصف الأول من القرن العشرين , وكان له الأثر الواضح في التمهيد للأفكار الثورية عن طريق التربية والتعليم وذلك بإزالة الاستعمار الفرنسي من العقول ومن ثم مواجهته على ارض الواقع ثانياً .

قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة , تصدى المبحث الأول إلى حياته وملامح تكوين شخصيته الاجتماعية , موضحين فيه ولادته وتربيته وتعليمه ورحلاته العلمية إلى تونس والقاهرة بحثا للمزيد من العلم والمعرفة , فضلاً عن دور أساتذته في صقل موهبته العلمية , مما جعله متفوقا على أقرانه وبينا اختطافه من الاحتلال الفرنسي عام ١٩٥٧ م ويرجح قتله لشدة معاداته لهم.

وتناول المبحث الثاني دوره التربوي الذي بذل فيه جهوداً مضنية , واستمر فيه عقودا من الزمن , لأعادة بناء العقول من جديد , بعد ان اشاع الاستعمار الفرنسي الجهل والتخلف في الجزائر, لإدامة احتلاله لها .

وبين المبحث الثالث دوره الإصلاحي وجهوده في الوقوف بوجه المحتلين للدفاع عن الدين الإسلامي واللغة العربية ومحاربة الطرق الصوفية المنحرفة من خلال تبوءه عدة مناصب في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين , والتي استغلها لتبصير أبناء جلدته وإرشادهم إلى الطريق الصحيح وحثهم على التمسك بالدين الإسلامي وبالهوية الوطنية الجزائرية .

المبحث الأول : حياته وملامح تكوين شخصيته الاجتماعية

أولاً : ولادته ونشأته

ولد العربي بن القاسم بن مبارك بن فرحات الجدري [١] التبسي [٢] في منطقة دوار السطح في ولاية تبسة [٣] عام ١٨٩١ [٤] , وكان العربي وحيد والديه فلم ينجباه إلا بعد حوالي عقد من زواجهما [٥] , نشأ وترعرع تحت رعاية والده الذي بدأ بتعليمه القرآن الكريم لاسيما وانه كان من دارسي مبادئ العلوم العربية والدينية وشاءت الأقدار أن يفقد التبسي حنان والده في عامه

السادس وتربى تحت رعاية عمه فرحات الذي تزوج أمه آمنة بنت عبيد على عادة وأعراف قبيلة النماشة الجزائرية[٦].

وعلى الرغم من انه تربى يتيماً فانه تلقى رعاية وتقديراً كبيراً من عمه وجده , مما جعله يتخطى الصعاب للوصول إلى هدفه المنشود , وقد غرست العقيدة الإسلامية في نفسه منذ السنوات الأولى من حياته , وتكونت لديه الشخصية الاجتماعية التي تجعل من صاحبها يعمل لشعبة وأمته لا لنفسه وذلك بحكم تربيته وتنشئته المتدينة[٧].

ثانياُ : تعليمه

بدأ تعلمه القرآن الكريم , حاله حال سائر الجزائريين وهو طفل لا يتجاوز عمره عشرة أعوام تحت رعاية الشيخ الطيب بن الحفناوي [٨] الذي كان يمتلك زاوية لتعليم العلوم الدينية والقرآن الكريم [٩] وفي عام ١٩٠٤ انتقل إلى زاوية سيدي ناجي الرحمانية التي كانت مشهورة بالإصلاح وتحفيظ القرآن الكريم , فمكث فيها ستة أعوام , أتقن فيها حفظ القرآن الكريم بالقراءة المغربية , وتعلم مبادئ العلوم العربية و الدينية [١٠]

رأى العربي التبسي ضرورة مواصلة تعليمه , فرحل إلى نفطة [١١] عام ١٩١٠ مع اثنين من أبناء منطقته , وكانت نفطة آنذاك ملجأ للراغبين بتلقي العلوم والمعارف الإسلامية , فضلاً عن وجود العديد من الزوايا التي تستقبل الطلبة الجزائريين إيواء وإطعاماً, بدون مقابل وتحت رعاية شيوخ أجلاء متفقهين في العلوم الشرعية واللغوية [١٢] .

تتلمذ في نفطة على يد العديد من العماء المشهورين امثال الشيخ التابعي بن وادي والشيخ ابراهيم بن الحداد والشيخ محمد بن احمد النفزاوي , الذين درسوه علم الكلام والنحو والصرف والفقه والشعر و الادب , ودامت مدة

دراسته في نفطة ثلاثة أعوام كانت حافلة بالجد والاجتهاد , اذ كان متفوقا على اقرانه مما جعله محط اهتمام اساتذته . [١٣]

بعد عودته إلى تبسة عام ١٩١٣ , تطلع إلى الاستزادة في تحصيل العلم فرحل إلى تونس في العام نفسه , للدراسة في جامع الزيتونة[١٤] وهنا توسعت مداركه وزادت معلوماته وتلقى دروساً في العلوم الشرعية والبلاغية وعلم المنطق [١٥], وبعد عامين من الدراسة , نال الشهادة الاهلية عام ١٩١٥ , ثم شهادة التحصيل عام ١٩١٧ واستمر في دراسته لنيل شهادة التطويع التي تركها عام ١٩١٩ , بسبب هجرته إلى مصر لينالها عام ١٩٢٧ بعد عودته منها [١٦]

انتقل العربي التبسي من تونس إلى مصر اواخر عام ١٩١٩ وهو على ابواب اجتياز امتحان شهادة التطويع العالية بجامع الزيتونة على متن باخرة تجارية فرنسية متجه إلى مصر , متخفياً في احدى مقصوراتها خشية اعتقاله من الفرنسيين , الذين منعوا الجزائريين من السفر الى الخارج لطلب العلم , لتكريس الجهل والتخلف فيها , وقد دفعته للسفر إلى مصر اسباب عدة منها :

١- الاوضاع السياسية و الامنية المتردية التي عاشتها تونس والجزائر خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها , لاسيما اجراءات الادارة الاستعمارية الاندماجية تجاه الشعوب المغاربية.

٢- وفاة والدته عام ١٩١٩ التي كانت تربطه بدوار السطح بالجزائر وبعد وفاتها لم يعد يربطه بالجزائر الا الدين والاصلاح .

٣- رغبته في طلب المزيد من العلم في الازهر الشريف .

٤- توفر فرصة مواتية للسفر إلى مصر, وسماعه تفوق وتقدم مصر وعلمائها وتطور حركتها النهضوية الرائدة . [١٧]

التحق بجامع الازهر [١٨] ولاقى خلال دراسته هناك الترحاب الكبير من سائر اخوانه الجزائريين والمغاربة [١٩] مما ساعده على الاقبال بانتظام في الدراسة التي تفوق فيها على اقرانه من المغاربة , درس في الازهر العلوم الشرعية واللغة العربية ومتونها والبلاغة وشروحها والفقه وعلم التفسير ومدارسه والحديث ورجاله وسنده ومتونه والمنطق وعلم الكلام والتاريخ [٢٠] على يد كبار الشيوخ [٢١] .

كان يتابع خلال إقامته في مصر أخبار بلاده , وواقع الاصلاح والمصلحين وما يتعرضون له من مضايقات من الاحتلال الفرنسي , وفي الوقت نفسه كان يتصل بالكتاب والادباء والشعراء المصريين [٢٢], ويحضر جلسات ومناقشات العديد منهم [٢٣] .

حصل عام ١٩٢٥ على الشهادة العالمية الخاصة بالغرباء , ولم يكتفي بها , بل اجتهد وحصل على الشهادة العالمية في العلوم العربية والدينية عام ١٩٢٧ , مزوداً بتجارب دعاة الأزهر والمعلمين بمصر , وليلتحق بأخوانه المصلحين بعدها في الجزائر التي دخلها من تونس أواخر شهر أيلول ١٩٢٧ . [٢٤]

المبحث الثاني : دوره التربوي

تصدى الشيخ العربي التبسي بعد عودته من مصر عام ١٩٢٧ لمهام تربوية مختلفة , وقد أوضح مالك بن نبي [٢٥] مسيرته التربوية والاصلاحية بعد عودته الى تبسة قائلاً : ((سار الشيخ العربي التبسي على خطى سابقيه من الشيوخ الذين بدؤ عملية الاصلاح بتبسة بعد عودتهم من زاوية نفطة بالجريد التي كانت توفر قدرا من العلم الشرعي والعربي لابأس به

للطالب المريد , الذي يريد ان يعود لبلدته للامامة والخطابة والاصلاح)).[٢٦]

١- نشاطه التربوي في تبسة :

بدأ عمله في تبسة بالتربية و التعليم للصغار والوعظ والارشاد للكبار في مسجد ومدرسة تبسة , ثم في مسجد سيدي ابي سعيد الذي كان يرتاده في فترة العطلة بعد عودته من الدراسة في الزوايا وجامع الزيتونة , لينظم فيه دروساً دينية يومية بعد صلاة العشاء في الحديث والتفسير والفقه والسيرة التاريخ الاسلامي تناسب مستوى العامة من الناس من سكان تبسة.[٢٧]

وظل الشيخ العربي التبسي بتبسة مدرسا وواعظا ومرشدا بمسجد سيدي ابي سعيد لمدة عامين متحديا مضايقات السلطات الفرنسية التي كانت تمنع تعليم وتبصير الشعب الجزائري فضلا عن العراقيل التي تسبب بها اتباع الادارة الاستعمارية الفرنسية من الائمة والمشايخ وعلى راسهم محمد الصالح جلالي [٢٨] الذين تدخلوا لدى الادارة الفرنسية لمنعه من الاستمرار في التدريس بتبسة [٢٩]

وخلال مرحلته التعليمية الاولى (١٩٢٧-١٩٢٩) كان يراقب اوضاع بلاده , وقد تميزت هذه المرحلة بمميزات يمكن حصرها بما يلي :

١. مراقبته لظروف واوضاع الامة الجزائرية , وما هي عليه من جهل وتخلف وذل وتبعية .
٢. انشغاله بالتدريس لعامة الناس .
٣. عدم خضوعه لمضايقات السلطات الفرنسية .
٤. معاداة بعض شيوخ تبسة لدعوته الاصلاحية , وعدم تقبلهم لدعوته الرائدة .

٥. انتظاره الفرصة المناسبة لتبديل المكان والجماهير .

٦. عدم يأسه من واقع الجزائريين المزري على كافة الاصعدة .

٧. رفضه كل العروض الاغرائية التي عرضت عليه للكف عن دعوته الاصلاحية بتبسة . [٣٠]

ثانيا: نشاطه التربوي في مدينة سيق

ادرك الشيخ عبد الحميد بن باديس [٣١] ما كان يعانيه العربي التبسي من مضايقات فدعاه لإدارة مدرسة سيق الابتدائية بغرب الجزائر اواخر عام ١٩٢٩, فترك بلدته وأهله مكرها بعد ان كانت أمانيه الاصلاحية والتربوية كلها معلقة في مدينة تبسة, التي كان يعدها منطلقا استراتيجياً وقاعدة للنهضة والدعوة والاصلاح [٣٢]

استقبل العربي التبسي في مدينة سيق استقبالاً عظيما, لانهم وجدوا فيه ضالتهم لمدرستهم ومدينتهم ومجتمعهم وقد بهرهم بشخصيته القوية وورعه الشديد وشدة تمسكه بالدين الإسلامي وغزارة علمه وميله إلى التسلية و المزاح[٣٣] .

سار في مدرسته الجديدة بمنهجه التربوي والتعليمي العربي الإسلامي الذي كان قد تلقاه في زوايا الجزائر والزيتونة والازهر فكان نشاطه التربوي يستند على تقوية الطلبة على الامور التالية :

١- نشر العلوم الدينية وخلق حالة التوازن بين الاعتقاد و السلوك.

٢- تقوية الشعور الديني اعتقادا وعملاً .

٣- ترويضهم على الممارسات التربوية والتعليمية .

٤- إعطاء اللغة العربية اهمية قصوى وتحبيبها إلى التلاميذ واطلاعهم على ما فيها من مواطن الجمال والبلاغة .

٥- تعويدهم على التكلم والتخاطب والكتابة والتأليف .

٦- التمسك بالأخلاق الإسلامية الفاضلة . [٣٤]

شكل خلال تواجده في مدينة سيق جمعية اصلاحية تعمل لصالح الدين الإسلامي والجزائر, وظل معلما ومديراً وواعظاً واماماً وقاضيا بين الناس إلى ان وصل وفد من اهل تبسة [٣٥] , إلى مدينة سيق عام ١٩٣٣ دعوه إلى ضرورة العودة إلى مدينته تبسة حيث اهله وعشيرته, وستجد مجهوداته التربوية والاصلاحية صداها هناك فاشترط لعودته ثلاثة شروط قبلوها مباشرة وهي :

١- تأسيس جمعية خيرية .

٢- بناء مدرسة عربية اسلامية .

٣- بناء مسجد حر من السيطرة الاستعمارية الفرنسية , والمتعاونين معها من الائمة و الشيوخ . [٣٦]

ثالثا: عودته إلى تبسة

عاد العربي التبسي إلى مدينة تبسة عام ١٩٣٣ وقد اوفى الوفد بالتزاماته واسسو الجمعية والمدرسة و المسجد وبنوا سكن للشيخ بالقرب من المسجد, ومن يومها تولى ادارة المدرسة وامامة الجامع لمواصلة رسالته التربوية والاصلاحية لمدينة تبسة . [٣٧]

ويذكر مالك بن نبي في مذكراته عن عودة العربي التبسي من مدينة سيق قائلا : ((كانت عودة الشيخ العربي التبسي من مدينة سيق منتظرة ليوم التدشين القريب , وانظم تحت لواء الاصلاح حتى عرابدة تبسة ومدمنوها العاكفون على الخمر كما انظم كثير من الذين يعيشون في كنف الاستعمار .. وكانت الملامح الاجتماعية كلها تتغير في المدينة بينما بقيت في سيرها الاصلاحي منذ غادرتها قبل سنين)) [٣٨]

عمل على تأسيس جمعية خيرية لاهل مدينة تبسة للعمل على تقديم بعض السلع والمواد الغذائية للعوائل الفقيرة في خطوة تدل على التعاون والتعاضد بين الاغنياء والفقراء, فضلا عن ذلك اسس مدرسة لتهذيب البنين والبنات عام ١٩٣٤ والتي ضمت في صفوفها الابتدائية كل عام ما يقارب ٥٠٠ تلميذ, ومنها تخرج رجال الاصلاح و السياسة والثورة في تبسة وفي عام ١٩٣٦ تم بناء المسجد الذي اصبح قبلة لكل اهل الاصلاح من سكان مدينة تبسة والقادمين من الارياف . (٣٩)

وظل العربي التبسي مديرا ومعلما في النهار بالمدرسة واماما وخطيبا وواعظا في الليل بالمسجد اذ يلقي دروسه للعامة بعد صلاة العشاء من كل يوم في التفسير او في الحديث النبوي الشريف بحيث يناسب الواقع والحوادث او ما عليه واقع الناس بلغة سهلة ومفهومة للجميع, واستمر في عمله هذا إلى ان ترك التدريس وادارة المدرسة عام ١٩٤٧ . (٤٠)

رابعا : نشاطه التربوي في معهد عبد الحميد بن باديس

تعود فكرة تاسيس المعهد إلى عام ١٩٤٧ وذلك لضمان التحاق خريجي مدارس جمعية العلماء الابتدائية من الجزائريين الفقراء إلى هذا المعهد لتكملة تعليمهم الثانوي, لاسيما وان اغلبهم لم يستطيعوا تكملة دراستهم خارج الجزائر لكلفتها المادية والقيود المشددة التي فرضتها الادارة الفرنسية على هجرة الجزائريين خارج بلدهم .(٤١)

وقد ذكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (٤٢) في معرض استرجاعه فكرة تأسيس المعهد في عامه الثاني ان فكرة تأسيسه كانت محصورة بينه وبين الشيخ العربي التبسي قائلا : ((ان كان تكوين المعهد من اساسه اعجوبة من العجائب وكان امرا دائرا بين اثنين كاتب هذه السطور

بحكم منصبه في جمعية العلماء ومنزلته في الامة والاستاذ التبسي بحكم مقامه العلمي ومكانته في الشعب وقيمته العلمية عند اخوانه العلماء)).[٤٣]

قام العربي التبسي بدوره التربوي والتعليمي في ادارة وتوجيه معلمي المعهد للارتقاء بالمستوى التعليمي للطلبة ولما ضاق المعهد بطلابه قرر العربي التبسي في ١٢ تشرين الأول ١٩٥١ بضرورة الخروج في مظاهرة للسيطرة على الجامع الكبير والجامع الاخضر بعد رفض الادارة الفرنسية تسليمهما لإدارة المعهد, وقد روى محمد مبارك الميلي [٤٤] ذلك الموقف الشجاع من قبل العربي التبسي بقوله : ((لما تخاذل البعض من اعضاء المجلس الاداري للجمعية وبعض المعلمين والمناصرين قرر الشيخ العربي تنفيذ الخطة باحكام وتحت قيادته سارت مظاهرة الطلاب ..)) [٤٥]

وقد بذل العربي التبسي جهودا كبيرة من اجل الارتقاء بمستوى التعليم في المعهد وتشجيع الامة الجزائرية للانتساب اليه لما يقدمه من خدمات تعليمية جليلة ونورد هنا احدى النداءات التي وجهها للامة الجزائرية قائلاً : ((ندعوا الشعب الجزائري بجميع طبقاته التي تعمل لان تبقى هذه الأمة امة لها خواص الامم ومميزاتها ومنشأتها إلى التعاون في تسيير المعهد وتدرج له إلى اللحاق بالمعاهد الاسلامية شرقا وغربا والى تخليصه وانقاذه من وضعيته الشاذة الموجودة عليها اليوم, فهب إليها الشعب لإعانة معهدك ونشر ثقافتك والسير مع اهل زمانك , ولن يضيع شعب حافظ على لغته وقوميته))[٤٦]

ولكي يتمكن العربي التبسي من تحقيق الأهداف التربوية التي سعى لتحقيقها, فقد اقترح جملة تغيرات في مناهج التعليم وطرقه وكذلك بعملية إعداد المعلمين ووضع الثوابت لمنهجه ولخصه , بالاتي : [٤٧]

١- اللغة العربية : واشترط في تدريسها تطبيق قواعدها على الكلام الفصيح.

٢- العقائد يجب ان تؤخذ مع ادلتها من ايات القرآن الكريم .

٣- الأدب العربي : يعلم حسن الأداء في القراءة و إلقاء الكلام.

٤- التربية الخلقية : اعتمد في تدريسها على ايات القرآن الكريم واحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) واثار السلف الصالح.

٥- التاريخ

٦- الجغرافية : تدرس بجميع اقسامها .

و تكون معهد عبد الحميد بن باديس من مجلس اداري برئاسة العربي التبسي ومن الهيئات التالية :

١- الهيئة العلمية : وهي مسؤولة عن الشؤون العلمية والمواد التدريسية والكتب والهيئات التعليمية وكل ماله صلة بالتكوين العلمي والفكري للطلبة والاساتذة .

٢- الهيئة المالية : وهي المسؤولة عن متابعة مالية المعهد ودار سكن الطلبة والاساتذة .

٣- هيئة المراقبة والضبط: مهمتها متابعة ومراقبة سلوك وممارسات واخلاق الطلبة والهيئات التعليمية [٤٨]

ظل العربي التبسي قائما بتسيير وتوجيه وادارة المعهد إلى يوم انتقاله إلى الجزائر العاصمة لمتابعة وقائع الثورة الجزائرية التي انطلقت في الأول من تشرين الثاني ١٩٥٤, ولحضور اخر مؤتمر لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في السابع من كانون الثاني ١٩٥٦ الذي حلت فيه نفسها وانضمت إلى جبهة التحرير الوطنية الجزائرية , واغلق المعهد بناءً على اوامر السلطات الفرنسية في ٣ ايلول ١٩٥٧.[٤٩]

المبحث الثالث : دوره الاصلاحي

اولاً : عضويته في جماعة الرواد (١٩٢٨-١٩٣١)

قام العربي التبسي بأدوار كبيرة في مجال الاصلاح الاجتماعي والديني, اذ كان من اوائل المؤسسين لجماعة الرواد (١٩٢٨-١٩٣١) ويذكر محمد خير الدين [٥٠] في مذكراته وقائع هذا الاجتماع لعام ١٩٢٨ قائلاً : ((تحقق عزم الشيخ ابن باديس ووجه دعوته إلى الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي الذين رأى فيهم المقدرة و الاستعداد للعمل في سبيل الدين والوطن ولبى دعوته العديد من الشيوخ ومنهم محمد البشير الابراهيمي , ومحمد مبارك الميلي , والطيب العقبي [٥١] والعربي التبسي وغيرهم))[٥٢]

وكان هذا الاجتماع بداية الاصلاح الاجتماعي في الجزائر بعد مجهودات فردية قام بها رجال الدعوة والاصلاح سابقا, وانتدب للعمل على اصلاح احوال الجزائريين في مدينته تبسة من خلال القاء الدروس الخطب الدينية, ولاسيما في شهر رمضان المبارك, فضلا عن دوره في بيان البدع والخرافات التي الصقت بالدين الإسلامي وشوهت فرائضه واحكامه خلال العصور المتأخرة, ودعوته للرجوع إلى منابعه الصافية ونبذ كل ما ادخل اليه من تحريفات مثلاً من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان , وانتشار كتاب الاحجبة والادعية , لخدمة اعداء الشعب الجزائري من الفرنسيين والمتعاونيين معه من الجزائريين واستمر في عمله لغاية عام ١٩٣١[٥٣].

ويمكن اجمال اهم الاعمال الاصلاحية التي قام بها بتبسة ما يلي:[٥٤]

١- انتشار المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الاسلامية.

٢- الالتزام بالقاء دروس الوعظ والارشاد على عامة الناس في المساجد لتبليغ دعوته الاصلاحية .

٣- الكتابة في الصحف والمجلات لتوعية الشعب الجزائري .

٤- انتشار النوادي العربية للاجتماعات والقاء الخطب والمحاضرات .

٥- تكوين فرق الكشافة الاسلامية للشباب .

٦- العمل على اذكاء روح النضال في اوساط الشعب الجزائري لتحريره من العبودية والحكم الاستعماري الفرنسي .

ثانياً: دعوته لحضور الاجتماع التمهيدي لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام ١٩٣١ .

دعي العربي التبسي لحضور الاجتماع التمهيدي لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [٥٥] المنعقد في نادي الترقي [٥٦] بالجزائر العاصمة في ٥ ايار ١٩٣١, وعلى الرغم من حضوره الاجتماع الا انه لم يرشح لعضوية المجلس الاداري في جلسته الاولى, وذلك لرغبة منه في اعطاء فرصة للعلماء الاخرين لتقديم خدماتهم للشعب الجزائري, فضلا عن عدم رغبته في الحصول على المناصب . [٥٧]

ثالثاً : عضويته في المجلس الاداري لجمعية العلماء (١٩٣٢-١٩٥٦)

ترشح العربي التبسي لعضوية المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بطلب من العلماء الحاضرين في جلستها المنعقدة يومي ٢٧ , ٢٨ ايلول ١٩٣٢ وانتخب عضوا اداريا للجمعية في عامها الثاني ونائبا للكاتب العام محمد الامين العمودي [٥٨] وظل عضواً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حتى عام ١٩٥٦ .

رابعا : مرحلة الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣٦-١٩٤٥)

اصبح العربي التبسي كاتبا عاماً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد انتخابه لهذا المنصب خلال جلسة جمعية العلماء في يومي ٢٧ , ٢٨ ايلول ١٩٣٦ بعد حصوله على ١٧٨ صوتاً [٥٩] وتصدى خلال

هذه المرحلة الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية ومقاومة السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر من خلال الوعظ والارشاد في المساجد وفي المؤتمرات التي كانت تقيمها جمعية العلماء في المدن الجزائرية للتنديد بسياسة المستعمر وبيان اهدافه ومساعيه الحثيثة لبقاء الجزائر مستعمرة فرنسية, لذلك فقد قدم العربي التبسي خلال اجتماع جمعية العلماء في قسنطينة عام ١٩٤٤ مجموعة من المطالب إلى الادارة الفرنسية [٦٠] داعيا فيها إلى ايجاد الحلول التي تعترض رجال جمعية العلماء ومن بين اهمها[٦١]

١- اعادة فتح المساجد الاسلامية وعدم التعرض لرجال الدين .

٢- الاهتمام بالتعليم العربي وبالمدارس العربية والمعلمين .

٣- حرية الصحافة .

٤- الاهتمام بالقضاء الإسلامي .

خامساً : مرحلة نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٤٦-١٩٥٢)

اجتمع اعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بدورتهم العادية في ٢٧ ايلول ١٩٤٦, وانتخبوا مجلسا اداريا جديدا للجمعية نال العربي التبسي منصب نائب الرئيس وظل في منصبه حتى رحيل الشيخ محمد البشير الابراهيمي إلى المشرق العربي يوم ٧ اذار ١٩٥٢ [٦٢]

سادسا: مرحلة رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٥٢-١٩٥٦)

بعد رحيل الشيخ محمد البشير الابراهيمي إلى المشرق العربي عام ١٩٥٢ لطلب المعونة المادية و المعنوية من اقطارها, انتخب العربي التبسي رئيسا لجمعية العلماء وتحمل خلالها مصاعب جمة من ابرزها موقفه المؤيد للثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي لانه رأى انها الطريق الوحيد الذي يمكن للجزائريين الحصول على الاستقلال لذلك تعرض للمضايقات عديدة من

الادارة الفرنسية لثنيه عن تلك المواقف [٦٣] وقد اعترف اعضاء جمعية العلماء بما فيهم الشيخ محمد البشير الابراهيمي ما عاناه العربي التبسي من مصاعب عديدة [٦٤] وظل على مواقفه تلك لغاية حل جمعية العلماء نفسها في ٧ كانون الثاني ١٩٥٦ [٦٥] وانضمت إلى جبهة التحرير الوطنية الجزائرية لكي لا تتورط مع الادارة الفرنسية في الدخول بمفاوضات وطروحات استسلامية . [٦٦]

سابعاً : نتاجه الفكري

ترك العربي التبسي نتاجاً فكرياً ثرياً كانت حصيلة نضاله وجهاده الذي دام عدة عقود , متنقلاً بين الجزائر وتونس ومصر , فكان نتاجه على شكل كتابات ومقالات سياسية وفكرية وادبية تعبر بصدق عن افكاره وأرائه ونضاله الطويل , وهذه المقالات نشرت في الجرائد والمجلات الجزائرية ولاسيما في جريدة البصائر , والسنة النبوية المحمدية , والشريعة النبوية المحمدية , وفي مجلة الشهاب , ويبدو ان انشغاله بالعمل التربوي والاصلاحي لم يترك له مجال للتأليف على الرغم من ثراء تجربته[١] .

وتولى احمد شرفي الرفاعي جمع بعض اثاره ونشرها في كتاب بجزئين اطلق عليه مقالات في الدعوة الى النهضة الاسلامية في الجزائر عام ١٩٨١[٢] .

ثامنا : وفاته

عاد الى الجزائر عام ١٩٢٧ , وقدم خدمات جليلة للجزائر وشعبها تربويا ودعوياً وإصلاحيا , وظل يروج للثورة ضد الفرنسيين , حاثاً ابناء شعبه لبذل الغالي والنفيس من اجل طرد الفرنسيين والحصول على الاستقلال , الى ان تم اختطافه على يد الاحتلال الفرنسي في ٤ نيسان ١٩٥٧ ومن ذلك

التاريخ بقي أمره مجهولاً [٣] , ويرجح قتله لشدة عداوته للفرنسيين وجهاده الطويل لإحياء الأمة الجزائرية . [٤]

---

(١) محمد علي دبوز , المصدر السابق , ص ٥٥ .

(٢) محمد كريز , المصدر السابق , ص١٢ .

(٣) حسن عريبي , استشهاد العربي التبسي , ذكرى وعبرة , ط١ , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , ٢٠٠٣ , ص٧٠ .

(٤) المصدر نفسه , ص٧٠-٧١ .

الخاتمة

من خلال دراستنا لشخصية العربي التبسي توصلنا لعدة نتائج من بين اهمها:

١- كانت ولادته في ظل السيطرة الاستعمارية الفرنسية التي اتخذت من القتل والاستيلاء على ممتلكات الجزائريين سلاحا فعالا للحد من قيام الثورات ضدها, فأحس بمعاناة شعبه من الظلم والاضطهاد منذ صباه, واطلع على اساليب الاستعمار وسياسته التي كانت تهدف إلى فرنسة الجزائر والسيطرة على مقدراتها الاقتصادية.

٢- سلك العربي التبسي الطريق نفسه الذي سلكه غيره من المصلحين وهو طريق التعلم والدراسة في اعظم المراكز العلمية في ذلك الوقت هو جامع الزيتونة والازهر الشريف الذي يستقطب العديد من الطلبة مما اتاح له فرصة الاحتكاك وتبادل الاراء .

٣- اضطلع بمهمة التربية والتعليم والوعظ والارشاد في عدة مناطق من الجزائر مما اكسبه شعبية واسعة فيها .

٤- شن حملة واسعة ضد البدع والخرافات التي الصقت بالدين الإسلامي من قبل بعض الطرق الصوفية المتعاونين مع الادارة الفرنسية مستغلين ضعف الوعي الديني لدى البسطاء من الشعب الجزائري .

٥- عرض طيلة حياته الدعوية والاصلاحية عن المناصب الدنيوية التي كان يتسابق إليها المتسابقون ويتنافس عليها المتنافسون حسبما شهد به من عمل معه وخالطه .

٦- كان من اقطاب العلماء الذين حققو للجزائر وجودها واستمرارها بفضل بيئته التبسية وتاثيرها في اعداده وتنشئته وتهيئته كعالم ومصلح من مصلحي العصر الحديث عربيا واسلاميا.

قائمة المصادر

اولاً : المصادر العربية

١- ابو علي حسن , شخصيات ومواقف فوق الاحداث , ط١ , دار البشير للثقافة والعلوم, القاهرة , ١٩٩٦ .

٢- احمد حماني , الصراع بين السنة والبدعة , ج٢ , ط١ , دار البعث , قسنطينة , ١٩٨٤ .

٣- احمد الخطيب , جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واثرها الاصلاحي في الجزائر , ط١, المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر, ١٩٨٥ .

٤- احمد طالب الابراهيمي , اثار الامام محمد البشير الابراهيمي (١٩٢٩-١٩٤٠) ج ١ , ط١, دار الغرب الإسلامي , بيروت , ١٩٩٧.

٥- احمد عيساوي , مدينة تبسة واعلامها بوابة الشرق ورثة العروبة واريج الحضارات , ط١ , دار البلاغة , الجزائر . ٢٠٠٥ .

٦- بسام العسلي , عبد الحميد بن باديس وبناء القاعدة الثورة الجزائرية , ط١ , دار النفائس , الجزائر ١٩٨٣ .

٧- بشير كاشة الفرحي , امام المجاهدين الشهيد الشيخ العربي التبسي , ط١ , دار الافاق , الجزائر ٢٠٠٤ .

٨- جواد رياض , الازهر ودوره الثقافي والعقدي والجهادي في قضايا الامة , ط١ , مركز حجازنا للنشر , المغرب , د.ت .

٩- حسن عريبي , استشهاد العربي التبسي ذكرى وعبرة , ط١ , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر, ٢٠٠٣ .

١٠- خيرية عبد الصاحب وادي , الفكر القومي العربي في المغرب العربي نشوءه وتطوره من (١٨٣٠-١٩٦٢), ط١,دار الحرية للطباعة, بغداد, ١٩٨٣ .

١١- عبد الكريم بو صفصاف , جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الاخرى (١٩٣١-١٩٤٥) , ط١ , المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر , الجزائر, ١٩٩٦ .

١٢- _____ معهد عبد الحميد بن باديس نشاته وتطوره , ط١ , دار هومة , ١٩٩٤ .

١٣- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن , ط١ , دار الفكر , دمشق , ١٩٨٥ .

١٤- محمد الحسن فضلاء , من اعلام الاصلاح في الجزائر , ح١ , ط١ , مطبعة دار هومة , الجزائر, ٢٠٠٠ .

١٥- محمد خير الدين , مذكرات , ١٢ , ط ١, مطبعه دحلب , الجزائر, ١٩٨٥.

١٦- محمد علي دبوز , اعلام الاصلاح في الجزائر , ج٢ , ط١ , مطبعة البعث , قسنطينة , ١٩٧٥ .

١٧- محمد محفوظ , تراجم المؤلفين التونسيين , ج٣ , ط١ , تونس , د.ت .

١٨- محمد الميلي , الشيخ العربي التبسي , ط١ , دار الافاق , الجزائر , ١٩٨٣ .

١٩- محمد كامل الفقي , الازهر واثره في النهضه الادبية الحديثه , ط٢, مكتبه نهضة مصر , القاهرة , ١٩٦٥ .

٢٠- كمال عجالي , الفكر الاصلاحي في الجزائر , الشيخ الطيب العقبي بين الاصاله والتجديد , ط١ , سحب للطباعة الشعبية للجيش , الجزائر , ٢٠٠٧ .

ثانيا : الرسائل والاطاريح الجامعية :

١. ثعبان حسب الله علوان الشمري, عبد الحميد بن باديس ودوره الفكري والسياسي (١٨٨٩-١٩٤٠) اطروحة دكتوراه غير منشوره , كليه التربية , الجامعة المستنصريه , ٢٠١٢ .

٢. ثناء عبد العزيز سعيد , نهضة الامة العربية والاسلامية في فكر مالك بن نبي , رسالة ماجستير غير منشوره , كليه العلوم السياسية , جامعه بغداد , ٢٠٠٤ .

ثالثا : البحوث والدراسات

١- حفناوي زاغز , الامام الشيخ العربي التبسي, ((الثقافه)) (مجلة) , الجزائر , السنة ١٦, العدد٩٤ , ١٩٨٦ .

٢- عبد الحفيظ امقران الحسني , المرحوم الفضيل الورتلاني عبر المقاومة الجزائرية إلى ثورة التحرير الوطني (١٩٠٠-١٩٥٩), ((الثقافة)) (مجلة), الجزائر السنه ١٨, العدد ١٠٠ ,١٩٨٨ .

٣- عبد الحميد بن باديس , الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين , ((الشهاب)) (مجلة) , الجزائر , م٧ , ج٥ , ايار ١٩٣١ .

٤- علي مرحوم , بلاغ من جمعية العلماء في قضية اعتقال الاستاذ العربي التبسي, ((الاصالة)) (مجلة) , الجزائر , عدد ٧٣ , ١٩٧٤.

٥- عمار هلال , الطلبة الجزائريون في الازهر , ((الثقافة)) (مجلة), الجزائر, السنة ١٤, العدد ٧٩, ١٩٨٤ .

٦- محمد العاصي , نادي الترقي تاريخه ونشاطه واهدافه ((الشهاب)) (مجلة) , الجزائر, م١٣, ح٧, تموز ١٩٣٦ .

٧- محمد كريز , مقابلات , ((الهداية)) (مجلة) , الجزائر, السنة ١ , العدد ١ , ١٩٨٦ .

رابعا : الصحف

١- ((الشهاب)) (جريدة) , الجزائر , السنة ٢ , العدد ٨٢ , ١٩٢٧ .

٢- ((الشهاب)) (جريدة) , الجزائر , السنة ٤, العدد ١٧٠ , ١٩٢٨ .

٣- ((البصائر)) (جريدة) , الجزائر , السلسلة الاولى , السنة ١ , العدد ٣٧ , ١٩٣٦ .

٤- ((البصائر)) (جريدة) , الجزائر , السلسة الثانية , السنة ٣ , العدد ٩٠ , ١٩٤٩ .

٥- ((البصائر)) (جريدة) , الجزائر , السلسة الثانية , السنة ٣ , العدد ٩٢ , ١٩٤٩ .

٦- ((البصائر)) (جريدة) , الجزائر , السلسلة الثانية , السنة ٥ , العدد ١٩٧ , ١٩٥٢ .

Sheikh Altbsa Arabi and the role of education and reform in Algeria (1891-1957)

Dr. Sabri Kamel Hadi al-Tamimi
Directorate-General for Education Diyala

Conclusion

Through our study of the personality of the Arab Altbsa we came to several conclusions, among the most important:

1. The birth under the French colonial domination that had been taken from the murder and the seizure of the Algerian property effective weapon to curb the revolutions against Vohs the suffering of his people from oppression and persecution since his youth and briefed on methods of colonial policy that was designed to Vrsenh Algeria and control over economic capabilities.
2. Arab wire Altbsa the same route taken by other reformers a way to learn and study in the greatest scientific centers at that time is Zitouna Mosque and Al-Azhar Al-Sharif, which attracts many students, which allowed him the opportunity to contact and exchange views.
3. undertaken the task of education, preaching and guidance in several areas of Algeria, which won him great popularity and wide there.
4. launched a massive campaign against the fads and myths that plastered the Islamic religion by some Sufi collaborators with the French administration, taking advantage of the weakness of the religious awareness among ordinary Algerian people.
5. Display lifelong advocacy and reform from worldly positions that were racing to contestants and contested

by competitors, as witnessed by the work with him and Khalth.

6. The scientists moguls who Hakqo Algeria's existence and continuity thanks to its environment and its impact on Altbsah prepared and upbringing and configured as a scholar and reformer of repairers modern Arab and Islamic era.

الهوامش :

(١) الجدري : وهي فرع من فروع عشيرة النماشة , اسمها الحقيقي الجدور , وهي معروفة بتاريخها البطولي ومقاومتها للاستعمار الفرنسي . ينظر : محمد علي دبوز , اعلام الاصلاح في الجزائر , ح٢ , ط١ , مطبعة البعث , قسنطينة , ١٩٧٥ , ص٤٢ .

(٢) التبسي : وهي الكنية التي اشتهر بها نسبة إلى مدينة تبسة التي ينتمي اليها , ينظر : احمد عيساوي . مدينة تبسة وأعلامها بوابة الشرق ورثة العروبة وأريج الحضارات , ط١ , دار البلاغ , الجزائر , ٢٠٠٥ , ص١٦٩.

(٣) المصدر نفسه , ص١٦٩ –١٧٠ .

(٤) اختلف المؤرخون في سنة مولده , فالبعض يرى انه ولد عام ١٨٨٨ , في حين يرى البعض انه ولد عام ١٨٩٥ , ويتفق اغلب المؤرخين انه ولد عام ١٨٩١ , ويبدو ان سبب ذلك الاختلاف ان والده لم يقم بتسجيله في دائرة المواليد الرسمية بالبلدية الفرنسية بدوار السطح كعادة اغلب الجزائريين , خشية تجنيده في الجيش الفرنسي , ينظر : محمد علي دبوز , المصدر السابق ص ٤٢ .

(٥) محمد كريز , مقابلات , ((الهداية)) (مجلة) , الجزائر , السنة ١ , العدد ١ , ١٩٨٦ , ص١٠

(٦) احمد الخطيب , جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واثرها الاصلاحي في الجزائر , ط١ , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , ١٩٨٥ , ص١٦٧ .

(٧) محمد كريز , المصدر السابق , ص٩ .

(٨) الطيب بن الحفناوي : ولد في قرية الزوي الواقعة بين بلدتي الشريعة وخنشلة عام ١٨٥٠ وهو شيخ الطريقة الرحمانية فيها , كان مشهوداً له بالمعرفة و التربية والتعليم , تخرج على يده

العديد من العلماء المصلحين توفي عام ١٩٤١ , ينظر : احمد عيساوي , المصدر السابق , ص٨٢ .

(٩) احمد الخطيب , المصدر السابق ص١٦٧

(١٠) احمد عيساوي , المصدر السابق , ص١٦٢

(١١) نفطة : مدينة تقع جنوب غرب تونس, ينظر : محمد محفوظ, تراجم المؤلفين التونسيين, ج٣, ط١, تونس, د.ت, ص٣٧٩-٣٨١ .

(١٢) محمد كريز , المصدر السابق , ص٩ .

(١٣) محمد محفوظ , المصدر السابق , ص٣٨١ .

(١٤) جامع الزيتونة : اسسه الوالي عبدالله بن الحباب عام ٧٣٢م , واتم بنائه العباس بن الاغلب , واصبح منذ اكتمال بناءه مركز للعلم والتدريس , ثم اعطي لقب جامعة , فاصبحت تشمل كلية العلوم الشرعية وكلية العلوم والاداب , وكان هذا الجامع مركزا لاستقطاب الطلاب والعلماء الذين يفدون اليه من مختلف المناطق لدراسة العلوم الادبية واللغوية , ولذلك عمل الاستعمار الفرنسي عندما احتل تونس عام ١٨٨١م على غلقه لمنع ابناء المغرب العربي من تعليم اللغة العربية , والقضاء على ثقافته الاسلامية , ينظر : خيرية عبدالصاحب وادي , الفكر القومي العربي في المغرب العربي , نشوؤه وتطوره من (١٨٣٠-١٩٦٢) , ط١ , دار الحرية للطباعة , بغداد , ١٩٨٣ , ص١٠٨-١١٢ .

(١٥) عبدالكريم بوصفصاف , جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الاخرى (١٩٣١-١٩٤٥) , ط١ , المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع , الجزائر , ١٩٩٦ , ص٨٦.

(١٦) احمد حماني , الصراع بين السنة والبدعة , ج٢ , ط١ , دار البعث , قسنطينة , ١٩٨٤ , ص٩٣.

(١٧) حفناوي زاغز , الامام الشيخ العربي التبسي , ((الثقافة)) (مجلة) , الجزائر , السنة ١٦ , العدد ٩٤ , ١٩٨٦ , ص١٢٣-١٢٦ .

(١٨) جامع الازهر : بناه جوهر الصقلي بامر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله عام ٩٧٣م في القاهرة , وعرف في البداية بجامع القاهرة , واختلفت الاراء حول تسميه بالازهر , وابرزها ان الفاطميين اطلقوا عليه الازهر تيمنا بفاطمة الزهراء (عليها السلام) , كما اطلقوا على قصورهم

اسم الزاهرة , ويرى البعض ان تسميته جاءت تفاءلا بما سيكون عليه من شأن وازدهار العلوم فيه , وكان محل عناية الملوك والسلاطين , وله مواقف مشهودة في التصدي لظلم الحكام والملوك , ينظر : جواد رياض , الازهر ودوره الثقافي والعقدي والجهادي في قضايا الامة , ط١ , مركز حجاز للنشر , المغرب , د.ت , ص٧-١١ .

(١٩) حفناوي زاغز , المصدر السابق , ص١٢٥ .

(٢٠) عمار هلال , الطلبة الجزائريون في الازهر , ((الثقافة)) (مجلة) , الجزائر , السنة ١٤ , العدد ٧٩ , ١٩٨٤ , ص١١٩ .

(٢١) وهم كل من الشيخ يوسف الدجوي , والشيخ عبدالوهاب النجار , ومصطفى المراغي , ومحمد شاكر , وعبدالرحمن قراعة , وحسنين مخلوف , وحسين والي , وسيد المرصفي , وغيرهم , ينظر : محمد كامل الفقي , الازهر واثره في النهضة الادبية الحديثة , ط٢ , مكتبة نهضة مصر , القاهرة , ١٩٦٥ , ص٢٢١.

(٢٢) ومنهم طه حسين , وصلاح العقاد , واحمد حسن الزيات , وحافظ ابراهيم واحمد شوقي , وعلي الجازم , ينظر : ((الشهاب)) (جريدة) , الجزائر , السنة ٢ , العدد ٨٢ , ١٩٢٧ .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) عمار هلال , المصدر السابق , ص١٢٠-١٢١ .

(٢٥) مالك بن نبي : ولد في قسنطينة عام ١٩٠٥م , لابوين فقيرين , اذ كان والده موظفا في الادارة الحكومية بتبسة , وكانت والدته تعمل خياطة لتوفر لعائلتها ما يلزم لسد شظف العيش , انتقلت عائلته وهو طفل الى تبسة , وهناك بدأ يتردد على الكتاتيب , حفظ القران الكريم , خلال اربعة اعوام , واصل دراسته في قسنطينة التي انهاها عام ١٩٢٥م , سافر الى باريس للبحث عن عمل , وبعد فشله في الحصول على عمل هناك , عاد الى العاصمة الجزائر , توفي في مدينة الاغواط في ٣١ تشرين الاول ١٩٧٣ , ينظر : ثناء عبدالعزيز سعيد , نهضة الامة العربية والاسلامية في فكر مالك بن نبي , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم السياسية , جامعة بغداد , ٢٠٠٤ , ص١٣-١٦ .

(٢٦) مالك بني نبي , مذكرات شاهد للقرن , دار الفكر , دمشق , ١٩٨٤ , ص٨٠ .

(٢٧) بشير كاشه الفرحي , امام المجاهدين الشهيد الشيخ العربي التبسي , ط١ , دار الافاق , الجزائر , ٢٠٠٤ , ص١١ .

(٢٨) محمد الصالح جلالي : ولد في مدينة تبسة عام ١٨٨٨م , من اسرة تعاونت مع الاستعمار الفرنسي , واثرت خلال السيطرة الاستعمارية على الجزائر لتعاونها معهم , كان اماما لجامع العتيق , وظل في منصبه لغاية وفاته عام ١٩٦١م , ينظر : محمد علي دبوز , المصدر السابق , ص١١٧-١٢٠ .

(٢٩) مالك بن نبي , المصدر السابق , ص١٠٠ .

(٣٠) المصدر نفسه , ص١٨٥-١٨٩ .

(٣١) عبدالحميد بن باديس : ولد بمدينة قسنطينة عام ١٨٨٩م , تلقى تعليمه الاولي على يد والده , حفظ القران الكريم منذ صغره على يد الشيخ حمدان الونيسي , سافر الى تونس لتلقي تعليمه الثانوي , عاد الى قسنطينة عام ١٩١٣م , وغادر في العام نفسه الى الحجاز لاداء فريضة الحج , والتقى هناك باستاذه , حمدان الونيسي وتعرف على الشيخ محمد البشير الابراهيمي , عاد الى الجزائر ليباشر التعليم في الجامع الاخضر , اسس عدة جرائد من اشهرها المنتقد والشهاب والصراط السوي والبصائر , اسس عام ١٩٣١م , جمعية العلماء المسلمين الجزائريين , توفي عام ١٩٤٠ , ينظر : ثعبان حسب الله علوان الشمري , عبدالحميد بن باديس ودوره الفكري والسياسي (١٨٨٩-١٩٤٠) , اطروحه دكتوراه غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ٢٠١٢.

(٣٢) بشير كاشه الفرحي , المصدر السابق , ص١٤-١٦ .

(٣٣) محمد علي دبوز , المصدر السابق , ج٢ , ص٢٥-٢٧ .

(٣٤) علي مرحوم , بلاغ من جمعية العلماء في قضية اعتقال الاستاذ العربي التبسي , ((الاصالة)) (مجلة) , الجزائر , عدد ٧٣ , ١٩٧٤ , ص٩٦ .

(٣٥) ضم الوفد كل من الصادق بو ذراع , وحواس بن اسماعيل , ومحمد رسول , وعبدالحفيظ مسقلجي , ومصطفى ميدة , ينظر : محمد علي دبوز , المصدر السابق , ص٢٣-٢٥ .

(٣٦) احمد عيساوي , المصدر السابق , ص١٠٧ .

(٣٧) بشير كاشه الفرحي , المصدر السابق , ص١٦-١٩ .

(٣٨) مالك بن نبي , المصدر السابق , ص٢٦٢ .

(٣٩) محمد علي دبوز , المصدر السابق , ص٣١-٣٣ .

(٤٠) احمد عيساوي , المصدر السابق , ص١٢٢ .

(٤١) ((البصائر)) (جريدة) , الجزائر , السلسلة الثانية , السنة ٣ , العدد ٩٢ , ١٧ تشرين الاول ١٩٤٩.

(٤٢) محمد البشير الابراهيمي : ولد بمدينة بجاية عام ١٨٨٩ , نشأ وترعرع فيها , سافر الى الحجاز , وتابع دراسته في المدينة المنورة , تأثر باراء جمال الدين الافغاني , ومحمد عبده , انتقل الى دمشق عام ١٩١٣م , وعين مدرسا في المدرسة السلطانية , عاد الى الجزائر عام ١٩٢٢ , وكان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام ١٩٣١م , اصبح رئيسا للجمعية عام ١٩٤٠م , توفي عام ١٩٦٥م , ينظر : احمد طالب الابراهيمي اثار الامام محمد البشير الابراهيمي (١٩٢٩-١٩٤٠) , ج١ , ط١ , دار العرب الاسلامي , بيروت, ١٩٩٧ , ص٩-١٣ , ابو علي حسن , شخصيات ومواقف فوق الاحداث , ط١ , دار البشير للثقافة والعلوم , القاهرة , ١٩٩٦ , ص٦١-٩٥ .

(٤٣) ((البصائر)) (جريدة) , الجزائر , السلسلة الثانية , السنة ٣ , العدد ٩٢ , ١٧ تشرين الاول ١٩٤٩.

(٤٤) محمد مبارك الميلي : ولد بمدينة ميله عام ١٨٩٧ , اتم دراسته الابتدائية على يد شيخه العالم محمد الميلي , اكمل دراسته في جامع الزيتونة , عمل في التدريس , هاجم البدع والخرافات التي الصقت بالدين الاسلامي , عمل امينا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام ١٩٣١م , وتوفي في ٨ شباط ١٩٤٥ , ينظر : بسام العسلي , عبدالحميد بن باديس وبناء القاعدة الثورية الجزائرية , ط١ , دار النفائس , الجزائر , ١٩٨٣ , ص١٥٩ .

(٤٥) محمد الميلي , الشيخ العربي التبسي , ط١ , دار الافاق , الجزائر , ١٩٨٣ , ص١٥ .

(٤٦) (البصائر) (جريدة) , الجزائر , السلسلة الثانية , السنة ٣ , العدد ٩٠ , ١٩٤٩ .

(٤٧) محمد الميلي , المصدر السابق , ص١٧-١٨ .

(٤٨) ((البصائر)) (جريدة) , السلسلة الثانية , السنة ٢ , عدد ٩٠ , الجزائر , ١٩٤٩ .

(٤٩) عبدالكريم بوصفصاف , معهد عبدالحميد بن باديس نشأته وتطوره , ط١ , دار هومة , الجزائر , ١٩٩٤ , ص١٧ .

(٥٠) محمد خير الدين : ولد في بسكرة عام ١٩٠٢ , تتلمذ على يد عبدالحميد بن باديس بقسنطينة , التحق بجامع الزيتونة وتخرج منه عام ١٩٢٧ , وبعد عودته الى بسكرة اسس جميعة الاخاء وجريدة الاصلاح , انتخب في المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بدورتها

الثانية عام ١٩٣٢م , شارك في اثناء الحرب العالمية الثانية بتأسيس حزب احباب البيان والحرية , تعرض للسجن عدة مرات , وعندما اندلعت الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ , دخل في مفاوضات مع الوالي الفرنسي (سوستيل) عام ١٩٥٥ , عين ممثلا لجهة التحرير الجزائرية بالمغرب عام ١٩٥٦م , توفي عام ١٩٩٤م , ينظر : محمد علي دبوز , المصدر السابق , ص١٣١-١٣٣ .

(٥١) الطيب العقبي :- ولد بمدينة سيدي عقبة التابعة لبسكرة عام ١٨٨٨م , هاجر مع عائلته الى الحجاز عام ١٨٩٥ , واستقر في مكة المكرمة ودرس فيها العلوم الدينية , واصبح خطيبا وفقيها وسياسيا , نفاه العثمانيون الى الاناضول بتهمة مشاركته في الثورة العربية عام ١٩١٦م , عاد الى الجزائر عام ١٩٢٠م , كان عضوا مؤسسا بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام ١٩٣١م , توفي ١٩٦٠م , ينظر : كمال عجالي , الفكر الاصلاحي في الجزائر , الشيخ الطيب العقبي بين الاصالة والتجديد , ط١ , سحب للطباعة الشعبية للجيش , الجزائر , ٢٠٠٧ .

(٥٢) محمد خيرالدين , مذكرات , ح١ , ط١ , مطبعة دحلب , الجزائر , ١٩٨٥ , ص٨٣ .

(٥٣) محمد كريز , المصدر السابق , ص١٨ ؛ احمد عيساوي , المصدر السابق , ص١٢٧ .

(٥٤) ((الشهاب)) (جريدة) , الجزائر , السنة ٤ , العدد ١٧٠ , ١٩٢٨ .

(٥٥) تأسست في نادي الترقي بالجزائر العاصمة في ٥ ايار ١٩٣١ , اثر دعوة وجهها الشيخ عبدالحميد بن باديس الى العلماء في الجزائر لحضور هذا الاجتماع لغرض تأسيس جمعية اسلامية , وحضر الاجتماع اثنان وسبعون عالما , وهدفت الجمعية الى اصلاح عقيدة الجزائريين وتنقيتها من البدع والخرافات , ومحاربة الجهل بتثقيف العقول , والرجوع الى القران الكريم والسنة النبوية الشريفة , والمحافظة على الشخصية الاسلامية للشعب الجزائري , ومقاومة سياسة التنصير الفرنسية , فضلا عن فتح المدارس للتعليم , ينظر : عبدالحميد بن باديس , الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين , ((الشهاب)) (مجلة) , الجزائر , م٧ , ح٥ , ايار ١٩٣١ , ص٣٤١ .

(٥٦) نادي الترقي : تأسس عام ١٩٢٧ في الجزائر العاصمة من قبل مجموعة من اعيان واغنياء الجزائر , وكان الغرض من تأسيسه هو طرح وبحث ومناقشة الاوضاع التي ال اليها المجتمع الجزائري بين علماء الجزائر ومثقفيها , واصبح يمثل مركزا للدعوة الوطنية والاسلامية , ينظر :

محمد العاصي , نادي الترقي تاريخه ونشاطه واهدافه , ينظر : ((الشهاب)) (مجلة) , الجزائر , م ١٣ , ح٧ , تموز ١٩٣٦ , ص٨-١١ .

(٥٧) محمد خير الدين , المصدر السابق , ص١٢٠ .

(٥٨) محمد الامين العمودي : ولد في كوبنين بوادي سوف عام ١٨٩٠م , دخل المدرسة القرانية والفرنسية , امتهن مهنة المحاماة , ترأس جمعية الوكلاء الشرعيين في الجزائر العاصمة , انتخب في الاجتماع العام لجمعية العلماء عضوا اداريا , اصدر بمساعدة سعيد الزاهري جريدة الجحيم , تولى رئاسة المؤتمر الاسلامي الجزائري عام ١٩٣٦ , اختطفته جمعية اليد الحمراء وقتلته في ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٧ , ينظر : محمد الحسن فضلاء , من اعلام الاصلاح في الجزائر , ح١ , ط١ , مطبعة دار هومة , الجزائر , ٢٠٠٠ , ص١٢٠-١٢٥ .

(٥٩) ((البصائر)) (جريدة) , الجزائر , السلسلة الاولى , السنة ١ , العدد ٣٧ , ١٩٣٦

(٦٠) احمد حماني , المصدر السابق , ص٢٦٤ .

(٦١) احمد عيساوي , المصدر السابق , ص٢١٤ .

(٦٢) احمد عيساوي , المصدر السابق , ص١١٤ .

(٦٣) حفناوي زاغز , المصدر السابق , ص١٣٥ .

(٦٤) ((البصائر)) (جريدة) , الجزائر , السلسلة الثانية , السنة ٥ , العدد ١٩٧ , ١٩٥٢ .

(٦٥) عبدالحفيظ امقران الحسيني , المرحوم الفضيل الورتلاني عبر المقاومة الجزائرية الى ثورة التحرير الوطني (١٩٠٠-١٩٥٩) , ((الثقافة)) (مجلة) , الجزائر , السنة ١٨ , العدد ١٠٠ , ١٩٨٨ , ص٧٠ .

(٦٦) حفناوي زاغز, المصدر السابق , ص١٣٦-١٣٧ .

ابو فرج عبد الرحمن بن قدامة المقدسي(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ودوره العلمي في الاسلام

محمد عباس جاسم

ابو فرج عبد الرحمن بن قدامة المقدسي(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ودوره العلمي في الاسلام

محمد عباس جاسم

ملخص البحث :

رأيت في هذا البحث المتواضع أن أعرض سيرة العالم الجليل (أبو فرج عبد الرحمن بن قدامة المقدسي " ت٦٨٢هـ " ودوره في الإسلام) ، والذي تضمن هذا البحث أربع مباحث ومقدمة ، وخاتمة ,قائمة بأسماء المصادر والمراجع ، إذ شمل المبحث الأول (أسمه ، وكنيته ، ولقبه ، وزهده ، وصفاته) وتضمن المبحث الثاني (ولادته ، وطلبه للعلم ، ورحلته في طلب العلم ، واجازة العلماء له) أما المبحث الثالث فقد تضمن : (أسرته ، وحياته الاجتماعية) أما المبحث الرابع فقد تضمن على : (توليه القضاء ، وأراء العلماء فيه ، ومؤلفاته ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ووفاته) ، وأسمه الكامل شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن فتح بن محمد بن حدثة برهان الدين بن سيف الدين ، ويعرف في الوسط العلمي بابن قدامة المقدسي ، و يعود نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطابَ وهو أحد أحفاده (ﷺ) ، ولد عبد الرحمن في قرية جماعيل أحدى قرى بيت المقدس ونتيجة لتعرض بيت المقدس لغزو الصليبي لمناطق الساحلية لبلاد الشام ، وذلك هربت تلك العائلة بدينها إلى دمشق وسكنت قرب الجامع أبي صالح ، ولذلك طلق عليه لقب أخر هو الصالحي ، لسعة علمه واطلاعه أصبح رئيس مذهب الحنابلة في عصره ، وفي سنة ٦٦٤هـ أصبح لكل مذهب قاضي ، ولذلك ختير عبد الرحمن قاضي ليمثل المذهب الحنبلي في دمشق ، قام بأخذ العلم من أبرز الشيوخ في

عصره وكان من أبرزهم (بن الجوزي ، أما أبرز التلاميذ الذين أخذو العلم فهم (أبي العباس بن تيميه) ، توفى سنة "ت٦٨٢هـ" في دمشق ، ودفن في جبل قاسيون ، وقد رثاه نحو ثلاثين شاعراً ، لما له من أثر بالغ في المجتمع الإسلامي .

Research summary

In this simple research I want to talk_about the interesting biografhy of the most celebrity (well – known) scientist Abu Faraj Abdul Rahmman bin Qudama Almaqdisi, this intelligent scientist was died in 682 and iwant to talk about his role in lslam. This research contained foyr sections.*Contained four sections* Peoduction and find A list with the Names of soavces and references. The first section contained His name family name and how religious person was he. And also about his Adjectives The second section . contained his birth his desire for education included . his long journey for the sake of edncation and how the other scientists thanked him. The third section contained his famile, social life (sociable life) The fourth section contained his job as a judge the other scientists ideas of him, his books, his teachers, his students and his death . His perfect Name is shams EL Din Abdul Rahman bin Mohammed Bin Ahmed Bin Mohammed Bin qudama Bin Nasr Bin Ftih Bin mohammed Min Hadatha Burhan. El Din Bin saif Elo Di. However, he was know. IBN QVDAMA AL-MAQDISI His origin returns to OMAR BIN AL-KHATAB Abdul Rahman was born in jamael village in Beit AL-MAQDIS but his family went to Damascus because of the crusaders a ttack for AL-QUDS and they lived near ABI-SALTH- Mosque for this they call him .Abdul Rhman was so intelligent prvson so he was chosen to be achif of AL-Hanabila in his age. In 664 they made judye for each reliqious community os He was chosen to represent AL-ltanabila religious in D amascus Hanbali of peple .He took his education drom the famous people

like BIN ALJUSI BIN ALJUZI his famous student was abu AL ABAS NIN timia, he died in 682.
He died in 682 in Damas cus and buried in AL-Qassiun Mount ainAbiut thity poets buried him he was one of the most influenced person in the Islamic soclety.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فان للعلماء فى هذا الدين مكانه كبرى ومنزلة عظمى فهم ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل والأمناء على ميراث النبوة ، وهم كواكب الأرض المتلألئة وشموسها الساطعة وإطنابها القوية واوتادها المتينة هم للامة مصابيح دجاها وانوار هداها وهم الاعلام الهداة والائمة التقاه اضواء تنجلي بهم غياهب الظلم واقطاب تدور عليهم معارف الامم تتبدد بنور عملهم سحب الجهل ، ورأيت في هذا البحث المتواضع أن أعرض سيرة العالم الجليل (أبو فرج عبد الرحمن بن قدامة المقدسي " ت٦٨٢هـ " ودوره في الإسلام) ، والذي تضمن هذا البحث أربع مباحث ومقدمة ، وخاتمة ,قائمة بأسماء المصادر والمراجع ، إذ شمل المبحث الأول (أسمه ، وكنيته ، ولقبه ، وزهده ، وصفاته) وتضمن المبحث الثاني (ولادته ، وطلبه للعلم ، ورحلته في طلب العلم ، واجازة العلماء له) أما المبحث الثالث فقد تضمن : (أسرته ، وحياته الاجتماعية) أما المبحث الرابع فقد تضمن على : (توليه القضاء ، وأراء العلماء فيه ، ومؤلفاته ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ووفاته) .

المبحث الأول :

(أسمه ، وكنيته ، ولقبه ، وزهده ، وصفاته)

أسمه :

شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن فتح بن محمد بن حدثة برهان الدين بن سيف الدين ، ويعرف في الوسط العلمي بابن قدامة المقدسي[١]

كنيته :

يكنى عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، بكنى: بشمس الدين[٢] ، أبي محمد[٣] ، أبي فرج[٤] ، أبي قدوة[٥] .

لقبه :

يلقب شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بالمقدسي[٦] ، لأنه أجداده كانوا يسكنون قرب بيت المقدس ، ويلقب بالقرشي العدوي[٧]، لأنه أحد بطون لقبيلة قريش ، ويلقب بالعمري لأنه أحد أحفاد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) ، ويلقب الجماعيلي[٨] لأنه كان يسكن أجداده في هذه القرية ، ويلقب بالصالحي[٩] ، لأنه سكن قرب الجامع أبي صالح ، ويلقب أيضا شيخ الإسلام[١٠]لأنه كثير العلم ومن مشاهير عصره[١١] .

زهده :

وتذكر المصادر بأن الشيخ أبو فرج قد قصد الأرض المقدسة لغرض أداء فريضة الحج ، وقد حج بيت الله الحرام ثلاث مرات، وكانت المرة الأولى سنة تسع عشرة وستمائة ، وكانت المرة الثانية لحج بيت الله الحرام سنة إحدى وخمسين وستمائة ، وحج معه الشيخ الجليل " تقي الدين سليمان " ، وكانت وقفة في جبل عرفات تصادف يوم الجمعة، أما الحج لمرة الثالثة فكانت سنة ثمان وسبعين وستمائة[١٢] ، وكان يكثر من ذكر الله في السراء والضراء ، كثير التلاوة للقرآن الكريم ، وسريع

الحفظ لكلام الله العظيم ، وكان يحافظ عل أداء فريضة الصيام لفرض وصيام السنن المؤكدة ، أذ كان يصوم الأيام البيض وعشر ذي الحجة والعاشر من شهر محرم المحرم[١٣]، إضافة إلى ذلك وكان يمتلك قلب رقيق لا يملك نفسه عند قراءة القرآن الكريم فتفيض دموعه الغزيرة عند ذلك ، صافي القلب، عزيز النفس، يكثر من القيام بالليل والاشتغال بذكر الله ، محافظًا عَلَى صلاة الجماعة ، ويحافظ على صلاة السنن ، وكان يصلي صلاة الضحى، ويصلّي بين العشاءين ما تيسر من القرآن الكريم ، وكان يتحمل الأذى ويصابر نفسه لكي يحافظ على الجماعة فما أعرف أنه ينتقم لنفسه ، وكان تأتيه الهدايا وصِلات من الملوك والأمراء، فيفرقها علَى أصحابه وعلى المحتاجين من اليتامى والفقراء ، وكان متواضعاً عند العامة، عزيز الجانب عند الملوك [١٤].

وصفاته :

تذكر المصادر بأنه كان رجل مربوع ليس بالطويل ولا القصير ، واسع الجبهة ، واسع الوجه ، وبشرته بها حمرة تميل إلى البياض ، أشهل العينين ، كثيف اللحية ، متقارب الخطى [١٥] ، حسن الظن بالناس ، وكل من عاصره يشهد له بفضله ، وكان كريم ، ذات وجه بشوش محبوب الصورة ، ذات حلم ووقار ، لطيف المجالسة ، كثير العلم ، كان مجلسه يحضره كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين ، أصبح رئيس مذهب الحنابلة في عصره [١٦].

المبحث الثاني :

(ولادته ، وطلبه للعلم ، ورحلته في طلب العلم ، واجازة العلماء له)

ولادته :

ولد هذا الشيخ الجليل في شهر محرم الحرام من سنة سبع وتسعين وخمسمائة في مدينة دمشق السورية بسفح جبل قاسيون[١٧] .

طلبه للعلم :

تروي المصادر من أنه قد بدء في سن مبكر من طلب العلم على يد المشايخ والعلماء في ذلك العصر ، أذ أخذ العلم من بنت الطراح[١٨] وكان يحضر مجلسها في سن مبكر في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، كما أخذ العلم من أبيه وعمه الشيخ الموفق وتفقه على يده ، حيث درس كتابه " المقنع " وشرحه في عشر مجلدات[١٩] .

رحلته في طلب العلم :

أما الحديث عن رحلته في طلب العلم ، وكان يتنقل في البلدان لغرض طلب العلم فأول بلد رحل له هو بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، حيث لتقى بشيوخها لطلب العلم فأخذ من الشيخ أَبِي المجد القزويني[٢٠]، والتقي علي بن باسويه ٠الواسطي[٢١]، وأخذ يتنقل بين المدن والأمصار فرحل إلى المدينة المنورة وأخذ من كبار شيوخها ، أذ لتقى الشيخ أَبي طالب عبد المحسن بن أَبي العميد الخفيفي[٢٢] ، ومن ثم رحل إلى مصر ولتقى بالشيخ مرتضى بن أبي الجود[٢٣] وأخذ منه ، وبركات بن ظافر بن عساكر[٢٤]، وعلماء أخرين [٢٥] .

إجازة العلماء له :

وبعد جده ومثابرته في طلب العلم كان لا بد له من أجاز العلماء له : وكان في مقدمة العلماء الإمام شيخ الإسلام أبو الفرج بن الجوزي[٢٦]، وعلماء أخرين [٢٧].

المبحث الثالث :

(أسرته ، وحياته الاجتماعية)

أسرته :

نشاء عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة في أسرة ذات عراقة في العلم وتسخر بكثير من العلماء الذين يشار لهم بالبنان ، أذ كأن جده أحمد بن

محمد بن قدامة الرجل الصالح الزاهد صاحب الكرامات المشهور في ذلك الحين[٢٨] ، وعمه شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة العالم الكبير في عطائه صاحب التصانيف المشهور ومنها " كتاب البرهان في القرآن "[٢٩] ، وأبيه أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الإمام القدوة الزاهد الخطيب المفوه [٣٠] ، وعمته رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامه الراوية الحافظة لكتاب الله والصائمة الدهر[٣١] ، وعمته رقية بنت أحمد بن محمد بن قدامة الراوية وكانت امرأة صالحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر[٣٢] ، وأخوه عبد الله بن أبي عمر بن محمد بن أحمد الإمام الخطيب الزاهد العابد الفقيه العالم[٣٣] ، وأخته آمنة بنت محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الراوية الحافظة لقرآن الكريم كثيرة الصدقة[٣٤] ، وأبن عمه عيسى بن الشيخ عبد الله ، كان إمام وفقيهاً وخطيباً[٣٥] ، بعد استعراض هذه الكوكبة من العلماء التي تنتمي إلى هذه الأسرة العريقة كثيرة العلم والعطاء مما دفعه ليكون أحد العلماء البارزين والنجم الساطع الذي لا يغيب ضوئه.

حياته الاجتماعية :

تروي المصادر بأن شيخ الإسلام أبو فرج تزوج أربع مرات ، فكان زوج الشيخ أول بجارية ولم تمكث عنده مدة طويلة ، ثم تزوج لمرة الثانية من أخرى وكان اسمها " خطلو "، فولدت له ولدان ، الأول هو أحمد ولد في سنة خمس وعشرين خمسمائة ، وعاش ستة عشرة سنة، والثاني وهو محَمد ، توفى سنة ثلاث وأربعين، وكان عمره أربع عشرة سنة، وثلاث بنات، منهن فاطمة التي توفت سنة خمس وثمانين[٣٦]، ثم تزوج الزواج الثالث سنة ثمان وثلاثون من " خاتون " بِنت السديد عبد الرحمن بن بركات الإربلي ، فولدت لَه ثلاث أولاد وهم: الشرف عبد اللَّه والتي كانت ولادته سنة تسعٍ وثلاثين، والولد الثاني هو العز محمد ولد سنة ست وأربعين، والأبن الثالث هو القاضي نجم الدين أحمد والذي ولد في سنة إحدى وخمسين[٣٧] ، ثم جاء الزواج الرابع

الشيخ أبو فرج من حبيبة بنت التقي أحمد ابن العز، فولدت ثلاث ولاد وأبنتان ، فكان ولد الأول أسمه علي والذي عاش ست سنين وبعدها توفى، ثم بعد ذلك ولدت له الأبن علي الثاني والذي سقط شهيد سنة سبعمائة [٣٨] بأرض ماردين[٣٩] ، والأبن الثالث هو عمر الفقيه توفى سنة خمس وثمانين ، أما البنات فهما زينب وخديجة [٤٠].

المبحث الرابع :

(شيوخه،مؤلفاته ،اراء العلماء فيه، توليه القضاء ، وتلاميذه ، ووفاته)

شيوخه :

وتتلمذ على يد بن طبرزد[٤١] ، وحنبل[٤٢] ، وأبي اليمن الكندي[٤٣]، وبن الحرستاني[٤٤] ، وأبي المحاسن[٤٥] ، والشيخ العماد[٤٦]، والشهاب بن راجح[٤٧]، وخلق كثير[٤٨] .

مؤلفاته :

(شرح المقنع لعمه موفق الدين في عشر مجلدات) وهو مطبوع ، (وتسهيل المطلب في تحصيل المذهب) وهو مخطوط ، وكلاهما في فروع الفقه الحنبلي[٤٩].

(لا توجد سنة وانما تم تاليفه خلال حياته)

كما حدث " به مسند أحمد بن حنبل " عن حنبل ، وبسنن أبي داود وبسنن الترمذي ، و بسنن ابن ماجه ، وصحيح البخاري[٥٠] .

أراء العلماء فيه :

ذكر الذهبي (ت٧٤٨هـ) في وصف عبد الرحمن بن قدامة المقدسي " بالإمَام العلامة، ذو الفنون من أنواع العلوم والمعارف، وصاحب الأخلاق الرضية، والمحاسن واللطائف ، أسمع الكثير لشيوخه ، وسمع الكثير من تلاميذه ، وهو الإمام المتفق

علَى إمامته وبراعته وورعه وزهادته وسيادته، ذو العلوم الباهرة، والمحاسن الظاهرة"[٥١] .

وذكر ايضاً " وقد سمع الحديث الكثير وكان من علماء الناس وأكثرهم ديانة في عصره وأمانة مع هدوء وسمة حسن وخشوع ووقار " [٥٢] .

وذكر في حقه ايضاً : " كَانَ شيخنا شيخ الإسلام، قدوة الأنام، حسنة الأيام، الرباني، ممن تفتخر به دمشق على سائر البلدان، بل يزهو به عصره على متقدم العصور والأزمان، لما جمع الله له من المناقب والفضائل والمكارم التي أوجبت للأواخر الافتخار عَلَى الأوائل، منها: التواضع مع عظمته في الصدور، وترك التنازع فيما يفضي إلى التشاجر والنفور ، مع ما أمده الله به من سعة العلم، وفطره عليه من الرأفة والحلم "[٥٣]

توليه القضاء :

في جمادى الأولى سنة أربع وستين وستمائة في عهد السلطان ركن الدين الظاهر بيبرس ، حيث استجد بدمشق أربعة قضاة كما فعل بديار مصر وفيها وردت تولية قاضي القضاة من المذاهب الأربعة فصار كل مذهب فيه قاضي القضاة فكان في منصب الشافعية بن خلكان[٥٤] ، وصار على قضاء الحنفية بن عطاء[٥٥] ، وللحنابلة شمس الدين عبد الرحمن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، وللمالكية بن الزواوي[٥٦] ، تولى شمس الدين عبد الرحمن القضاء في دمشق أكثر من اثنتي عشرة سنة قاضياً ، ولم يأخذ أجر على ذلك العمل ، ونتيجة لظلم من قبل الحكام أدى به إلى أن يأخذ قرار بأن يترك القضاء ، ويكرس وقته للعلم والإفتاء والتدريس والتصنيف لفرض يقدم خدمة إلى الناس وطلاب العلم على حد سواء والأخذ من علمه الغزير[٥٧] .

تلاميذه :

وتتلمذ على يده النواوي[٥٨] ، وأبي الفضل [٥٩] ، بن تيميه [٦٠] ، وخلق كثير[٦١] .

وفاته :

قبل أن يتوفى الشيخ حل به مرض أصاب الأحشاء الداخلية ، وظل يشتكي من هذا المرض عدت أيام ، وبالتالي أدت إلى وفاته ليلة الثلاثاء من شهر ربيع الآخر سنة ستمائة وأثنين وثمانين وكانت جنازته مشهودة، لم يسمع بمثلها من دهرٍ طويل، حضرها خلق كثير ، ودفن في جبل قاسيون عند قبر والده[٦٢] ، رثاه نحو ثلاثين شاعراً ، وقد رثاه القاضي شهاب الدّين محمود[٦٣]، بقصيدةٍ طويلة ومنها:

ما للوجود وقد علاه ظلامُ ... أعَراهُ خَطْبٌ أم عَدَاه مرامُ

أم قد أصيب بشمسه فغدا وقد ... لبست عليه حدادها الأيام

لكم الكرامات الجليلات التي ... لا تستطيع جحودها الأقوام وهي نيف وستون بيت[٦٤] .

الهوامش :

(١) المقدسي : وتعني بيت المقدس : وهي من المدائن العظيمة القديمة ، وبها قبور الأنبياء (صلوات الله عليهم) واثارهم ، وقد فتحت صلحاً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)سنة ست عشرة هجرية ، وكل شخص يسكن بيت المقدس أو الأعمال القريبة منها أو التابعة لها يطلق عليهم لفظة المقدسي . اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ) ، البلدان ، دون – تحقيق ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ٢٠٠١م) ، ١٦٧/١ ؛ المنجم ، إسحاق بن الحسين (ت . ق ٤هـ) ، اكمام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، دون – تحقيق ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – عالم الكتب (بيروت – ١٩٨٨م) ، ٣١/١ ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمار (ت ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق – مجموعة من المحققين ، الطبعة – الثالثة ، مطبعة – مؤسسة الرسالة (بيروت – ١٩٨٥م) ، ٣٨١/٢١.

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣٨١/٢١ .

(٣) الذهبي ، المعين في طبقات المحدثين ، تحقيق – د . همام عبد الرحيم سعيد ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الفرقان (الأردن – ١٩٨٤م) ، ٢١٨/١ .

(٤) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وأخرون ، دون – طبعة ، مطبعة – دار إحياء التراث (بيروت – ٢٠٠٧م) ، ١٤٣/١٨ ؛ السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت ٩٠٢هـ) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دون – تحقيق ، دون – طبعة ، مطبعة – دار مكتبة الحياة (بيروت – دون – تاريخ) ، ١٦٨/١ .

(٥) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٤٣/١٨ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ١٦٨/١ .

(٦) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٤٣/١٨ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ١٦٨/١ . .

(٧) العدوي : وهو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جبار بن داود (ت ٢٧٩هـ) ، جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكار واخرون ، الطبعة – الأولى، مطبعة – دار الفكر (بيروت – ١٩٩٦م) ، ٧٣/١ ؛ ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : مجموعة من العلماء ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٨٣م) ، ١٢/١ .

(٨) الجماعيلي : جماعيل : وهي في جبل نابلس من أرض فلسطين ، ويطلق عليهم الجماعيلي لنتسابهم إلى هذه القرية . ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دون – تحقيق ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – دار صادر (بيروت – ١٩٩٥م) ، ٢/ ١٥٩ ؛ ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن ابن الشمائل القطيعي (ت٧٣٩هـ) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دون – تحقيق ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الجيل (بيروت – ١٩٩٢م) ، ٣٤٥/١ .

(٩) بعد أن هاجم الصليبين الأراضي المقدسة (بيت المقدس) ، وسيطروا على تلك المناطق ، هرب الزاهد أبي عمر بدينه تجاه دمشق ونزل مع أهله وأقاربه قرب الباب الشرقي في دمشق عند الجامع أبي صالح ومن هنا أخذوا تلك التسمية . الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، دون – طبعة ، مطبعة – حكومة الكويت (الكويت – ١٩٨٤م) ١٦٤/٤ ؛ السخاوي ، الضوء الامع لأهل القرن التاسع ، ١٦٨/١ ؛ بدران ، العلامة عبد القادر ، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، تحقيق : زهير الشاويش ، دون – طبعة ، مطبعة – مكتب الإسلامي (بيروت – ١٩٨٥م) ، ٢٤٧/١ .

(١٠) شيخ الإسلام : وهو لقب يطلق على متبحر في الكتاب والسنة من رجال العلم وبحورها وفقهاء الإسلام ، وهذا لقب أطلق على العلماء المتأخرين . عبد الحي الكتابي ، محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي (ت ١٣٨٢هـ) ، التراتيب الإدارية والعملات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – دار الأرقم (بيروت – دون سنة طبع) ، ٣١٤/١ ؛ عمر ، أحمد مختار عبد الحميد ، معجم اللغة العربية ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – عالم الكتب (بيروت – ٢٠٠٨م) ، ١٢٥٤/٢ .

(١١) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٤٣/١٨ ؛ السخاوي ، الضوء الامع ، ١٦٨/١ . .

(١٢) الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير والأعلام ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الغرب الإسلامي (بيروت – ٢٠٠٣م) ، ١٥/ ٤٦٩ .

(١٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٥/ ٤٦٩ .

(١٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٥/ ٤٦٩ ؛ ابن لطف الله ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني (ت ١٣٠٧هـ) ، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (قطر – ٢٠٠٧م) ، ٢٤٢/١.

(١٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٥/ ٤٦٩ ؛ معجم الشيوخ ، تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – مكتبة الصديق (الطائف – ١٩٨٨م) ، ٣٧٥/١ .

(١٦) الذهبي ، المعين ، ٢١٨/١ ؛ الصفدي ، الوافي ، ١٨ / ١٤٣ .

(١٧) جبل قاسيون : وهو جبل مشرف على مدينة دمشق ، وفيه مغاور كثيرة يحتوي مقابر الصالحين ، وأصبح محلة كبيرة تضم المدارس والربط ومارستان وجمعان ، وأول من سكن الجبل من أهل المقدس الذين هربوا من غزو الصليبي للسواحل بلاد الشام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٩٥/٤ ؛ عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والأثبات والمسلسلات ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – دار الغرب الإسلامي (بيروت – ١٩٨٢م) ، ٢/ ١٤٩ ؛ الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) ، الأعلام ، الطبعة – الخامس عشرة ، مطبعة – دار علم الملايين (بيروت – ٢٠٠٢م) ،

(١٨) بنت الطراح : ولقبها ست الكتبة ، وهي نعمة بنت أبي الحسن علي بن يحيى بن علي بن محمد توفت في سنة أربع وست مائة . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٠٧/١٣ ؛ ابن ناصر الدين ، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي (ت ٨٤٢هـ) ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – مؤسسة الرسالة (بيروت – ١٩٩٣م) ، ١٠٣/٩ .

(١٩) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٤٣/١٨ ؛ ابن لطف الله ، التاج المكلل ، ٢٤٢/١ .

(٢٠) أبي المجد القزويني : مجد الدين محمد بن الحسين بن أبي المكارم أحمد بن الحسين بن بهرام ، ولد في قزوين سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، القاضي ، الصالح ، الصوفي ، الذي رحل في كثير من البلدان في العالم الإسلامي لغرض طلب العلم ، وتوفى في الموصل سنة أثنين وعشرون وستمائة . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٣/ ٧٢٢ ؛ ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار ابن كثير (بيروت – ١٩٨٦م) ، ١٠٠/٥ .

(٢١) علي بن باسويه الواسطي : لم أعثر على ترجمة على حد علم الباحث . صلاح الدين ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر (ت ٧٦٤هـ) ، فوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار صادر (بيروت – ١٩٧٤م) ، ٢٩٢/٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٨/ ١٤٣ .

(٢٢) عبد المحسن بن أبي العميد الخفيفي : الشيخ حجة الدين أبو طالب عبد المحسن بن خالد بن عبد الغفار بن إسماعيل ، الأبهري ، الصوفي ، ولد في سنة ست وخمسين وخمسمائة في همذان ، وكان كثير الأسفار والحج ، توفى في سنة أربع وعشرون وستمائة . صلاح الدين ، فوات الوفيات ، ٢٩٢/٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٤٣/١٨ ؛ السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي واخرون ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – هجر (القاهرة – ١٩٩٢ م) ، ٣١٤/٨ .

(٢٣) مرتضى بن أبي الجود : وهو أبو الحسن مرتضى بن العفيف ابن أبي الجود حاتم بن المسلم بن أبي العرب الحارثي ، المصري ، ولد في سنة خمسمائة وتسع وأربعين في الجوف ، وقد رحل في طلب العلم لكثير من البلدان ، ونبغ في القراءات ، وتوفى سنة ستمائة وأربع وثلاثون لهجرة . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٦٠/١٤ ؛ سير أعلام النبلاء ، ١١/٢٣ .

(٢٤) بركات بن ظافر بن عساكر : وجيه الدين أبو اليمن بركات بن ظافر بن عساكر بن عبد الله بن أحمد الأنصاري ، ولد في سنة خمسمائة وستون ، ونبغ في أكثر من علم فهو (محدث ، وراوي ، وشاعر ، وله معرفة بالطب والهندسة) ، توفى في سنة ستمائة وآربع وثلاثون . أبي داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو الأزدي (ت ٢٧٥هـ) ، سؤالات أبي عبيد الآجري وأبا داود السجستاني في الجرح والتعديل ، تحقيق : محمد علي قاسم العمري ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة – ١٩٨٣م) ، ٨١/١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٣٢/١٤ .

(٢٥) صلاح الدين ، فوات الوفيات ، ٢٩٢/٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٤٣/١٨ .

(٢٦) بن الجوزي : شيخ الإسلام أبو فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن محمد بن أحمد بن جعفر الجوزي، أما سبب تسميته بالجوزي فكانت لجده جعفر شجرة جوز في وسط داره في مدينة واسط ولا يوجد غيرها ، لذلك أطلق عليه لقب الجوزي ، القرشي ، البكري ، البغدادي ، ولد في سنة خمسمائة وثمان ، وهو صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم : التفسير ، الحديث ، والفقه ، والوعظ ، والزهد ، والتاريخ ، والطب وغير ذلك ، توفى سنة خمسمائة وسبع وتسعون لهجرة موله ووفاته في مدينة بغداد . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١١٠٠/١٢ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٣١٦/٣ .

(٢٧) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٥/ ٤٦٩ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٤٣/١٨ .

(٢٨) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٣٦/١٢ ؛ سير أعلام النبلاء ، ٢٠٥/٢ .

(٢٩) أبي داود ، سؤالات ، ٤٠٧/١ ؛ ابن نقطة ، معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع البغدادي (ت ٦٢٩هـ) ، التقيد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٨٨م) ، ٣٣٠/١ .

(٣٠) ابن المستوفي ، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي (ت ٦٣٧هـ) ، تاريخ إربل ، تحقيق : سامي بن سيد الصقار ، دون – طبعة ، مطبعة – دار الرشيد (العراق – ١٩٨٠م) ، ٤٨٧/٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢٢/ ٥ .

(٣١) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٣/ ٥٩٨ ؛ السلامي ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي (ت ٧٩٥هـ) ، ذيل طبقات الحنابلة ، تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – مكتبة العبيكان (الرياض – ٢٠٠٥م) ، ٤١/٣ .

(٣٢) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٦٦٦/١٣ ؛ ابن ناصر الدين ، توضيح المشتبه ، ٤/ ٢١٩ .

(٣٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٤٦/١٤ .

(٣٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٤/ ٣٨ ؛ ابن ناصر الدين ، توضيح المشتبه ، ٢٦٧/١ .

(٣٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٣/ ٤٤٤ .

(٣٦) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٦٩/١٥ ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله الظاهري (ت ٨٧٤هـ) ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : د . محمد محمد أمين ، دون – طبعة ، مطبعة – الهيئة المصرية العامة لكتاب (مصر – دون – تاريخ) ، ١/ ٣٣٠ .

(٣٧) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٥/ ٤٦٩ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٧/ ٧١٣ .

(٣٨) دخلت سنة سبعمائة للهجرة المباركة ، حيث تعرضت بلاد الشام لغزو جديد من قبل التتر بقيادة غازان محمود ، فهرب الناس في بلاد الشام إلى البلاد القريبة والأكثر تحصناً ومنها : الشوبك ،

والكرك ، ومصر ، فخرج السلطان المصري الناصر محمد بن قلاوون بعساكره إلى الشام لغرض صد هجوم التتر ، ولكن يفعل الله ما يريد ، فأرسل الله جنود له هو البرد القارص ، والثلج ، والمطر ، والأوحال ، لأن التتر لم يحتاطوا لذلك المؤن الكافية ، فهزمهم الله وكفى الله المؤمنين شر القتال . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي القرشي (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار إحياء التراث العربي (بيروت – ١٩٨٨م) ، ١٧/١٤ ؛ ابن خلدون ، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذة ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – دار الفكر (بيروت – ١٩٨٨م) ، ٥/ ٤٧٥ .

(٣٩) ماردين : وهي من المدن التي تقع في منطقة الجزيرة ، وتقع على الجبل ومن القلاع العظيمة كثيرة التحصين ، ويتبعها كثير من القرى ، ويشرب أهلها ماء من الصهاريج المعدة في البيوت ، وهي تشرف على ثلاث مد ن (دنيسر ، ودارا ، ونصبين) ، وفتحت صلحاً على يد القائد العربي عياض بن غنم سنة تسع عشرة ، وقيل سنة عشرون من الهجرة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣٩/٥ ؛ الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت – ١٩٨٠م) ، ٢٣٠/١ .

(٤٠) الذهبي ، معجم الشيوخ ، ٢٥٢/١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٥/ ٤٣ .

(٤١)٤١ ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ، البرمكي ، الشافعي ، قاضي القضاة ، ولد في أربل سنة ستمائة وثمان ، كان إماماً فاضلاً باعاً عارف بالمذهب وله فتاوي في هذا المجال ، بصير باللغة العربية ، ضليع في الأدب والشعر ، راوي لأخبار الناس ، كثير الاطلاع ، تفقه في شبابه في دمشق ، ثم انتقل إلى الموصل لطلب العلم ، ثم سكن مدة في الديار المصرية ، وله مصنفات : كثيرة ، توفى سنة ستمائة وإحدى وثمانون للهجرة . ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ت ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار صادر (بيروت – ١٩٠٠م) ، ١/١ ؛ ابن كثير ، طبقات الشافعيين ، تحقيق

: د. أحمد عمر هاشم ، الطبعة – الأولى ، مطبعة– مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة – ١٩٩٣م) ، ٩١٧/١ .

(٤٢)بن عطاء : شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء بن حسن بن عطاء، قاضي القضاة الأذرعي الحنفي ، ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وحفظ بعض مختصرات في مذهبه، وتفقه على مشايخ عصره حتى برع في المذهب وأفتى ودرس، وصار مشاراً إليه في عصره، وكان ديناً خيراً، حسن العشرة، توفى سنة ستمائة وثلاث وسبعون . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٦٢/١٥ ؛ ابن السودوني ، زين الدين أبو الفداء قاسم بن قطلوبة الجمالي ، الحنفي (ت ٨٧٩هـ) ، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ، تحقيق : شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – مركز النعمان (صنعاء – ٢٠١١م) ، ١١٨/٦ .

(٤٣)الزواوي : زين الدين عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس، العلامة المالكي المقرئ، شيخ القراء والمالكية بالشام ، ولد بظاهر بجاية بالغرب سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وقدم القاهرة سنة أربع عشرة وستمائة، وقرأ على المشايخ حتى برع في المذهب، وأفتى ودرس، وكان ممن جمع بين العلم والعمل، وولي قضاء المالكية بدمشق في سنة أربع وستين وستمائة على كره منه، وكان يخدم نفسه، ويحمل الحطب على يده مع جلالة قدره، ثم عزل نفسه عن القضاء ، توفى سنة ستمائة وإحدى وثمانون . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١/١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٥١/١٥ ؛ معرفة القراء الكبار على طبقات الاعصار ، دون – تحقيق ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٧م) ، ٣٦٣/١ .

(٤٤)المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني (ت ٨٤٥هـ) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٧م) ، ٣١/٢ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٤٠٦/٥ .

(٤٥)تاريخ الإسلام ، ٤٦٩/١٥

(٤٦)ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣/ ٣٥٤ ؛ النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧هـ) ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٠م) ، ٣٨/١ .

(٤٧)الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٦٩/١٥ ؛ السلامي ، ذيل طبقات الحنابلة ، ١٧٨/٤ .

[٤٨]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٦٩/١٥ ؛ كحالة ، عمر بن رضا بن محمد بن راغب بن عبد الغني ، معجم المؤلفين ، دون – طبعة ، مطبعة – مكتبة المتنبي (بيروت – دون – تاريخ) ، ١٧٠/٥.

[٤٩]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٦٩/١٥ .

[٥٠]بن طبرزد : عمر بن محمد بن معمر بن يحيى ابن أحمد بن حسان، أبو حفص، بن طبرزد، الدارقزي ، البغدادي: مؤدب ، ولد في سنة خمسمائة وست عشرة ، وكان شيخ الحديث في عصره. أدب الصبيان في محلة " دار القز " ببغداد فنسب إليها ، ورحل لكثير من البلدان لطلب العلم ، وتوفى سنة ستمائة وسبع . الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد بن ثابت بن مهدي (ت ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٧م) ، ٢٨٦/١٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ) ، لسان الميزان ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار البشائر الإسلامية (دمشق – ٢٠٠٢م) ، ١٤٢/٦ .

[٥١]حنبل : وهو أبو علي و أبو عبد الله حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة ، الواسطي الأصل البغدادي الرصافي ، ولد في سنة خمسمائة وإحدى عشرة ، ورحل في طلب العلم , وكان يروي مسند أحمد بن حنبل ، توفى سنة ستمائة وأربع . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٩٢/١٣ ؛ سير أعلام النبلاء ، ٤٣١/٢١ .

[٥٢]أبي اليمن الكندي ، تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد ين عصمة بن حمير بن الحارث الأصغر ، ولد في بغداد سنة خمسمائة وعشرين ، النحوي ، اللغوي ، الحافظ ، المحدث ، حفظ القرآن ابن سبع ، وأكمل حفظ القراءات العشر وهو ابن عشر سنين ، أعلم أهل الأرض في زمانه في علم القراءات ، توفى سنة ستمائة وثلاث عشرة . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٨٥/١٥ ؛ الصفدي ، الوافي ، ٣٢/١٥ .

[٥٣]ابن الحرستاني : جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد ابن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري ، ولد سنة خمسمائة وعشرين ، سمع الكثير، وحدث بصحيح مسلم ، ودلائل النبوة للبيهقي ، توفي سنة ستمائة وأربع عشرة ، رابع ذي الحجة، وله خمس وتسعون سنة . ابن

العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ابن أبي جرادة العقيلي (ت ٦٦٠هـ) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : سهيل زكار ، دون – طبعة ، مطبعة – دار الفكر (بيروت – دون – تاريخ) ، ٣٨٣/١ ؛ الصفدي ، الوافي ، ٢٥٧/١١ ،

(٥٤)أبي المحاسن : محمد بن كامل بن أحمد بن أسد التنوخي ، الدمشقي ، ولد سنة خمسمائة وخمس وعشرون ، وتوفى سنة ستمائة وثلاث . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٨٥/١٣ ؛ ابن مأكولا ، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ) ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى وأنساب ، دون – تحقيق ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٠م) ، ٤٩/٤ .

(٥٥)الشيخ العماد : إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ، ولد في جماعيل سنة خمسمائة وثلاث وأربعين ، ورحل يجوب البلدان لطلب العلم ، وصارت له معرفة بالحديث ، ويد الباسطة على الفرائض ، والنحو ، الخط الحسن ، وتوفى سنة ستمائة وأربع عشرة . الصفدي ، الوافي ، ١٠/٢ ؛ ابن مفلح ، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٨٨٤هـ) ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الرشد (الرياض – ١٩٩٠م) ، ٣٣٤/٢ .

(٥٦)بن راجح : شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن خلف بن راجح بن بلال بن هلال بن عيسى المقدسي ، ولد سنة خمسمائة وخمسين ، ورحل في طلب العلم ، وأشتهر في علم المناظرة ، وتوفى سنة ستمائة وثمان عشرة . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٢٦/١٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٤٤/١٦ .

(٥٧)الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٦٩/١٥ ؛ الصفدي ، الوافي ، ١٤٣/١٨ ؛ أبو الطيب المكي ، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني (ت ٨٣٢هـ) ، ذيل التقيد في رواة السن والأسانيد ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٩م) ، ٩٥/٢ .

(٥٨) النواوي : محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مزى بن حسن بن حسين ، الحافظ الفقيه الشافعي الزاهد ، ولد سنة ستمائة وإحدى وثلاثين ، وتوفى سنة ستمائة وست وسبعين . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٢٤/١٥ ؛ صلاح الدين ، فوات الوفيات ، ٢٦٥/٤ .

(٥٩) ابي الفضل : شرف الدين أبو الفضل الحسن بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، ولد سنة ستمائة وثمان وثلاثين ، تولى قضاء دمشق ، وتوفى سنة ستمائة وخمس وتسعون . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٨١٠/١٥ .

(٦٠) بن تيميه : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي : الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق ، واعتقل بها سنة سبعمائة وعشرون وأطلق سراحه ، ثم أعيد إلى الاعتقال مرة أخرة ، ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة سبعمائة وثمان وعشرون ، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير . ابن تيميه ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل ، الطبعة – السبعة ، مطبعة – دار عالم الكتب (بيروت – ١٩٩٩م) ، ١١/١ ؛ الذهبي ، المعجم المختص بالمحدثين ، تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – مكتبة الصديق (الطائف – ١٩٨٨م) ، ٢٥/١ .

(٦١)الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٦٩/١٥ ؛ الصفدي ، الوافي ، ١٤٣/١٨ ؛ أبو الطيب المكي ، ذيل التقيد ، ٩٥/٢ .

(٦٢) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٥/ ٤٦٩ ؛ الصفدي ، الوافي ، ١٨ / ١٤٣ .

(٦٣)شهاب الدين محمود : أبو الثناء محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي الحلبي ثم الدمشقي ، ولد بحلب سنة ستمائة وأربع وأربعين ، وهو أديب كبير ، وولي الإنشاء في دمشق. وانتقل إلى مصر، فكتب بها في الديوان. وعاد إلى دمشق، فولي كتابة السر نحو ثمان سنوات ، وظل يعمل في دواوين الإنشاء بالشام ومصر نحو خمسين عاما. ، إلى أن توفي في دمشق سنة سبعمائة وخمس وعشرين ، وكان شيخ صناعة الإنشاء في عصره، ويقال: لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله. وهو إلى ذلك شاعر مكثر. له تصانيف، منها (ذيل على الكامل لابن الأثير) و

(أهنى المنائح في أسنى المدائح) و (الذيل على ذيل القطب اليونيني) و (مقامة العشاق) و (منازل الأحباب ومناره اللباب) و (حسن التوسل إلى صناعة الترسل) . صلاح الدين ، فوات ، ٨٢/٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – مجلس دائرة المعارف العثمانية (الهند – ١٩٧٢م) ، ٨٢/٦ .

(٦٤) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم ، القرشي ، التيمي ، البكري (ت٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : مفيد قميحة وأخرون ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ٢٠٠٤م) ، ٣١/ ٧٧ .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، وتكمل الغايات، وتشكر النعمات، وأشهد أن لا إله إلا الله، خالق المخلوقات، رافع السماوات، مبدع الكائنات، وأشهد أن محمدا رسول الله، المبعوث بالرحمات من رب الأرض والسماوات.

أما بعد:

فإن لكل شيء بداية ولكل بداية نهاية ونهاية الأشياء أمر حتمي، لذلك كانت هذه الخاتمة نهاية لهذا البحث المتواضع والذي توصلت فيه إلى عدة نتائج، منها:

١- ظهر من خلال البحث بأنه قرشي يعود نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطابَ وهو أحد أحفاده (ﷺ) .

٢- ولد عبد الرحمن في قرية جماعيل أحدى قرى بيت المقدس ونتيجة لتعرض بيت المقدس لغزو الصليبي لمناطق الساحلية لبلاد الشام ، وذلك هربت تلك العائلة بدينها إلى دمشق وسكنت قرب الجامع أبي صالح ، ولذلك طلق عليها لقب الصالحي .

٣- ظهر من خلال البحث بأنه من أسرة عريقة ذات مكانة علمية رفيعة ومشهورة في العالم الإسلامي تعرف هذه الأسرة بالمقدسي .

٤- لسعة علمه واطلاعه أصبح رئيس مذهب الحنابلة في عصره ، وفي سنة ٦٦٤هـ أصبح لكل مذهب قاضي ، ولذلك ختير عبد الرحمن قاضي ليمثل المذهب الحنبلي في دمشق .

٥- قام بأخذ العلم من أبرز الشيوخ في عصره وكان من أبرزهم (بن الجوزي ، بن طبرزد ، وحنبل ، أبي اليمن الكندي) ، أما أبرز التلاميذ الذين أخذو العلم فهم (النواوي ، أبي الفضل المقدسي ، أبي العباس بن تيميه) .

٦- توفى سنة ستمائة وأثنين وثمانين في دمشق ، ودفن في جبل قاسيون ، وقد رثاه نحو ثلاثين شاعراً ، لما له من أثر بالغ في المجتمع الإسلامي .

قائمة المصادر :

- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جبار بن داود (ت ٢٧٩هـ) :

١-جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكار واخرون ، الطبعة - الأولى، مطبعة - دار الفكر (بيروت - ١٩٩٦م) .

- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله الظاهري (ت ٨٧٤هـ):

٢-المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق:د. محمد محمد أمين ، دون- طبعة ، مطبعة - الهيئة المصرية العامة لكتاب (مصر- دون- تاريخ) .

- ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) :

٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل ، الطبعة - السابعة ، مطبعة - دار عالم الكتب (بيروت - ١٩٩٩م) .

- ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ) :

٤- الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان ، الطبعة - الثانية ، مطبعة - مجلس دائرة المعارف العثمانية (الهند- ١٩٧٢م) .

٥- لسان الميزان ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة - الأولى ، مطبعة - دار البشائر الإسلامية (دمشق - ٢٠٠٢م) .

- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) :

٦- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : مجموعة من العلماء ، الطبعة - الأولى ، مطبعة - دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٨٣م) .

- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ) :

٧- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت – ١٩٨٠م) .

- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد بن ثابت بن مهدي (ت ٤٦٣هـ):

٨- تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٧م) .

- ابن خلدون ، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ) :

٩- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذة ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – دار الفكر (بيروت – ١٩٨٨م) .

- ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ت ٦٨١هـ) :

١٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار صادر (بيروت – ١٩٠٠م) .

- أبي داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو الأزدي (ت ٢٧٥هـ) :

١١- سؤالات أبي عبيد الآجري وأبا داود السجستاني في الجرح والتعديل ، تحقيق : محمد علي قاسم العمري ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة – ١٩٨٣م) .

- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمار (ت ٧٤٨هـ) :

١٢- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير والأعلام ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الغرب الإسلامي (بيروت – ٢٠٠٣م) .

١٣- سير أعلام النبلاء ، تحقيق – مجموعة من المحققين ، الطبعة – الثالثة ، مطبعة – مؤسسة الرسالة (بيروت – ١٩٨٥م) .

١٤- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، دون – طبعة ، مطبعة – حكومة الكويت (الكويت – ١٩٨٤م) .

١٥- معرفة القراء الكبار على طبقات الاعصار ، دون – تحقيق ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٧م) .

١٦- المعجم المختص بالمحدثين ، تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – مكتبة الصديق (الطائف – ١٩٨٨م) .
١٧- معجم الشيوخ ، تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – مكتبة الصديق (الطائف – ١٩٨٨م) .
١٨- المعين في طبقات المحدثين ، تحقيق : د . همام عبد الرحيم سعيد ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الفرقان (الأردن – ١٩٨٤م) .

- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ) :

١٩- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي واخرون ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – هجر (القاهرة – ١٩٩٢ م) .

- السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت ٩٠٢هـ) :

٢٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دون – تحقيق ، دون – طبعة ، مطبعة – دار مكتبة الحياة (بيروت – دون – تاريخ) .

- السلامي ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي(ت٧٩٥هـ):

٢١- ذيل طبقات الحنابلة ، تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – مكتبة العبيكان (الرياض – ٢٠٠٥م) .

- ابن السودوني ، زين الدين أبو الفداء قاسم بن قطلوبة الجمالي ، الحنفي(ت٨٧٩هـ):

٢٢- الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ، تحقيق : شادي بن محمد بن سالم ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – مركز النعمان (صنعاء – ٢٠١١م) .

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ) :

٢٣- الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وأخرون ، دون – طبعة ، مطبعة – دار إحياء التراث (بيروت – ٢٠٠٧م) .

- صلاح الدين ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر (ت ٧٦٤هـ) :

٢٤- فوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار صادر (بيروت – ١٩٧٤م) .

- أبو الطيب المكي ، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني(ت٨٣٢هـ):

٢٥- ذيل التقيد في رواة السن والأسانيد ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٩م) .

- ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن ابن الشمائل القطيعي(ت٧٣٩هـ):

٢٦- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دون – تحقيق ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الجيل (بيروت – ١٩٩٢م) .

- ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ابن أبي جرادة العقيلي(ت٦٦٠هـ) :

٢٧- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : سهيل زكار ، دون – طبعة ، مطبعة – دار الفكر (بيروت – دون – تاريخ) .

- ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد الدمشقي(ت ١٠٨٩هـ) :

٢٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار ابن كثير (بيروت – ١٩٨٦م) .

- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي القرشي (ت ٧٧٤هـ) :

٢٩- البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار إحياء التراث العربي (بيروت – ١٩٨٨م) .

٣٠- طبقات الشافعيين ، تحقيق : د. أحمد عمر هاشم ، الطبعة – الأولى ، مطبعة- مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة – ١٩٩٣م) .

- ابن مأكولا ، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر(ت ٤٧٥هـ) :

٣١- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى وأنساب ، دون – تحقيق ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٠م) .

- ابن المستوفي ، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي (ت ٦٣٧هـ) :

٣٢- تاريخ إربل ، تحقيق : سامي بن سيد الصقار ، دون – طبعة ، مطبعة – دار الرشيد (العراق – ١٩٨٠م) .

- ابن مفلح ، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٨٨٤هـ) :

٣٣- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الرشد (الرياض – ١٩٩٠م) .

- المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني (ت ٨٤٥هـ):

٣٤- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٧م) .

- المنجم ، إسحاق بن الحسين (ت . ق ٤هـ) :

٣٥- اكمام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، دون – تحقيق ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – عالم الكتب (بيروت – ١٩٨٨م) .

- ابن ناصر الدين ، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي (ت ٨٤٢هـ) :

٣٦- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – مؤسسة الرسالة (بيروت – ١٩٩٣م) .

- النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧هـ) :

٣٧- الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٠م) .

- ابن نقطة ، معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع البغدادي (ت ٦٢٩هـ) :

٣٨- التقيد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٨٨م) .

- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم ، القرشي ، التيمي ، البكري (ت٧٣٣هـ) :

٣٩- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : مفيد قميحة وأخرون ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ٢٠٠٤م)

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي(ت٦٢٦هـ) :

٤٠- معجم البلدان ، دون – تحقيق ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – دار صادر (بيروت – ١٩٩٥م).

- اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت بعد٢٩٢هـ) :

٤١- البلدان ، دون – تحقيق ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – دار الكتب العلمية (بيروت – ٢٠٠١م) .

المراجع :

- بدران ، العلامة عبد القادر :

٤٢- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، تحقيق : زهير الشاويش ، دون – طبعة ، مطبعة – مكتب الإسلامي (بيروت – ١٩٨٥م) .

- الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ):

٤٣- الأعلام ، الطبعة – الخامس عشرة ، مطبعة – دار علم الملايين (بيروت – ٢٠٠٢م) .

- عبد الحي الكتاني ، محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي (ت ١٣٨٢هـ):

٤٤- التراتيب الإدارية والعملات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – دار الأرقم (بيروت – دون – تاريخ) .

٤٥- فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والأثبات والمسلسلات ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة – الثانية ، مطبعة – دار الغرب الإسلامي (بيروت – ١٩٨٢م) .

- عمر ، أحمد مختار عبد الحميد :

٤٦- معجم اللغة العربية ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – عالم الكتب (بيروت – ٢٠٠٨م) .

- كحالة ، عمر بن رضا بن محمد بن راغب بن عبد الغني :

٤٧- معجم المؤلفين ، دون – طبعة ، مطبعة – مكتبة المتنبي (بيروت – دون – تاريخ) .

- ابن لطف الله ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني (ت ١٣٠٧هـ) :

٤٨- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، الطبعة – الأولى ، مطبعة – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (قطر – ٢٠٠٧م) .

تاريخ واهداف المستشرقين اليهود في ترجمة القرآن الكريم الى اللغة العبرية

م.م.براء خلف حمادي

تاريخ واهداف المستشرقين اليهود في ترجمة القرآن الكريم الى اللغة العبرية

م.م.براء خلف حمادي

مقدمة

لقد كانت الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم على ارتباط وثيق بالمجهودات الاستشراقية اليهودية والإسرائيلية؛ التي عدت هدفا أساسيا ومحوريا من أهداف الاستشراق اليهودية والإسرائيلية لتشويه المصادر الأساسية للإسلام والتشكيك فيها، حيث حاولت تشويه المصادر الأساسية للإسلام (القرآن الكريم، الحديث الشريف) للتشكيك في مدى مصداقيتها وصحتها؛ واعتبر الكثير من المستشرقين اليهود النجاح في تلك المجهودات في النهاية هوالنجاح في القضاء على الدين الإسلامي، اما الاستشراق الإسرائيلي فقد لجأ إلى محاولات عدة لتشويه القرآن الكريم والتشكيك في مصادره، ولاحظنا ان من ابرز الوسائل التي تتعمد الاساءة والتشويه في ذلك إعداد ترجمات عبرية "غير أمينة" و"مشوهه" لمعاني القرآن الكريم، وصياغتها وتزويدها بحواشي وهوامش تبين ان المادة القرآنية تعود في اصولها لمصادر يهودية ومسيحية ووثنية.

وعلى الرغم من عدم الشك في أن إعداد ترجمة عبرية حديثة لمعاني القرآن الكريم يعتبر عمل صعب وينطوي على الكثير من الأهمية العلمية والثقافية؛ وذلك باعتباران ترجمة القرآن الكريم بحاجة لإتقان العديد من العلوم وتوافر الكثير من الأدوات للخروج في النهاية بترجمة صحيحة وموضوعية تكون خالية من الأخطاء والشبهات. وأن هذا العمل يحتوي على خطورة شديدة و"حساسية" بالغة؛ ويعود ذلك لسببين، أولهما: القدسية والمكانة العظيمة التي يتمتع القرآن بها في نفوس كل

المسلمين في جميع أنحاء العالم بمختلف مذاهبهم وطوائفهم، وثانيهما: وجود تراث الاختلاف والكراهية المتبادلة بين المسلمين والعرب من جانب واليهود ودولة إسرائيل ككيان سياسي من جانب آخر.

ونحاول في بحثنا هذا تقديم رؤية "وصفية ونقدية" لتراث الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم، والذي يعود بجذوره التاريخية إلى فترة التواجد الإسلامي في الأندلس، ثم بعد ذلك بدأ يتطور من خلال مراحل تاريخية مختلفة، حيث وصل ذلك في العصر الحديث عن وجود أربع ترجمات عبرية كاملة لمعاني القرآن الكريم، حيث تم ملاحظة الكثير من الأخطاء فيها وتسببت في إشكاليات لغوية وفكرية أكثر.

المبحث الاول

اهتمام اليهود التاريخي في الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم:

ان الاهتمام اليهودي في التعرف على الدين الاسلامي ودراسة جميع محاوره بدأ منذ ظهوره ؛ والسبب في ذلك يعود الى تقويض الدين الاسلامي سواء من الداخل وذلك عن طريق اعتناق عدد من اليهود الذين وصفهم البعض بالمنافقين للاسلام، ووضعوا كل جهدهم وحياتهم من اجل العمل على تشويه وتحريف الصورة الحقيقية والوصف الاصلي لقيمة وعقيدة الدين الاسلامي ،هذا من جانب ، ومن جانب اخر هو من الخارج عن طريق وضع الشكوك في المصادر الرئيسية للاسلام وفي مقدمة تلك المصادر " القرآن الكريم " ، وكما اسلفنا سابقاً ان اليهود يعتبرون هذا النجاح في نهاية الامر هو القضاء على الاسلام الذي يعتبرونه حسب ادعائاتهم انه خطر على اليهودية(١)

حيث وجد علماء اليهود ومفكروهم ان أفضل طريقة للوصول إلى هذا الهدف في ترجمة القرآن الكريم إلى العبرية هو ايجاد ووضع ترجمة غير أمينة، أو محرفة، وبعد ذلك لم يكن غريبا أن يكون اصل الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم يعود

إلى الازمنة البعيدة منذ بداية التفكير اليهودي الممنهج كتشويه المصادر الأساسية للقرآن الكريم.

وعلى الرغم من ذلك فأن اليهود– في البداية– لم يتمكنوا من اتمام ترجمات كاملة لمعاني القرآن الكريم، بل بادروا في بداية الامر بالاستعانة بترجمات جزئية لبعض الآيات ومن ثم استعانوا بعدد من السور القصيرة ، ومنذ بداية قيام دولة إسرائيل (الكيان الصهيوني) عام ١٩٤٨ كان اليهود على قناعة لتلك المكانة التي لا ترق إليها مكانة أخرى تنافسها للقرآن الكريم في نفوس جميع المسلمين باختلاف أطيافهم وعقائدهم وتوجهاتهم، لذلك نلاحظ ان القرآن الكريم قد نال اهتمام بالغ من قبل اليهود في العالم وخاصة في إسرائيل (الكيان الصهيوني) . واصبح لديهم اعتقاد بأن المواجهة مع المجتمعات العربية تستوجب ترجمة معانى القرآن إلى اللغة العبرية، ودراستها لكى يتمكنوا من خلال ذلك اختراق ودراسة السلوك الإسلامى والعربي . (٢)

أما بالنسبة الى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، فأكدت فى تقديرات الموقف التى تصدرها كل سنة أن الخطر الحقيقى الذى يحدق بـ"إسرائيل" هو الخطر المتمثل في الاسلام من خلال الجماعات الإسلامية التى تسعى للسيطرة على الحكم، ونلاحظ ان هذه الاجهزة ترصد ميزانيات ضخمة لتمويل الاجهزة الفرعية التابعة لها والمعاهد الخاصة بالابحاث التي تتخصص في الشؤون الاسلامية والعربية في اسرائيل والتي تميزت في العمل على ايجاد ترجمات لمعاني القرآن الكريم وتحليلها وترجمة ودراسة كتب التفاسير الاسلامية .

وانطلاقا مما سبق ان اليهود قد تمكنوا من انجاز ترجمات كاملة سواء المخطوط منها أو المطبوع للقرآن الكريم، ومنها ما صدر في داخل إسرائيل ومنها ما صدر خارجها.

وتقسم هذه الترجمات من خلال التسلسل التاريخي لظهورها وعلى النحو التالي:

- **ترجمات جزئية:**

ان اولى المحاولات لوضع الترجمات الجزئية لمعاني القرآن الكريم والتي سجلت على شكل ترجمة جزئية لبعض آيات القرآن الكريم والتي بدأت منذ أيام حكم المسلمين في الأندلس حيث كانت من خلال الفيلسوف اليهودي "سعديا الفيومي". والشاعر اليهودي "سليمان بن جبيرول". حيث استخدمت هذه الترجمات داخل كتابات الجدل الديني لليهودية من اجل الرد على الإسلام والطعن فيه(٣)، وقد كانت أول ترجمة لمعاني سورة كاملة للعبرية هي تلك التي قام بها الحبر "أفراهام حسداي" . وذلك من خلال ترجمته لكتاب الغزالي "ميزان العمل"(٤).

كما ان يهود العصور الوسطى، الذين عاشوا في كنف الامبراطورية العثمانية الإسلامية قد شرعوا في ترجمة بعض الآيات من القرآن الكريم لاستخدامها في الجدل الديني، وقد اتضحت معرفة اليهود بالقرآن الكريم من خلال مؤلفاتهم الفلسفية والدينية، أو من خلال ترجماتهم لكتب الجدل الديني والفلسفي من العربية، خاصة أعمال الإمام أبي حامد الغزالي والفيلسوف الإسلامي ابن رشد، التي كانت تتضمن العديد من الآيات القرآنية(٥).

ويعرف الإعلام بانه مصطلح يطلق على أي وسيلة أو تقنية أو منظمة أو مؤسسة تجارية أو أخرى غير ربحية، عامة أو خاصة، رسمية أو غير رسمية، مهمتها نشر الأخبار ونقل المعلومات، إلا أن الإعلام يتناول مهاما متنوعة أخرى، تعدت موضوع نشر الأخبار إلى موضوع الترفيه والتسلية خصوصا بعد الثورة التلفزيونية وانتشارها الواسع.

- **ترجمات كاملة:**

ان اليهود لم يكتفوا من خلال وضع ترجمات جزئية للقرأن الكريم، بل اتجهوا منذ وقت مبكر إلى العمل على وضع ترجمات كاملة لمعاني القرآن الكريم، والتي قسمت الى :

١- مخطوطة:

نلاحظ ان تاريخ اول نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم كاملة الى اللغة العبرية يعود الى العصور الوسطى ولكن من دون تحديد تاريخ معين لها ، وقد كانت هذه النسخة مخطوطة باللغة العربية وحروفها كتبت باللغة العبرية مع استخدام علامات التشكيل الموجودة في اللغة العربية ، وهذا ما عرف باسلوب الكتابة العربية – اليهودية(٦)، والنسخة الخطية موجودة حاليا في مكتبة جامعة أكسفورد في لندن(٧) . ولم تحظ هذه الترجمة حتى الآن بالطبع والتداول،إذ مازالت مخطوطا يوجد نسخ منه في العديد من المكتبات العالمية مثل مكتبة الكونجرس الأمريكي ومكتبة المتحف البريطاني . ويتكون هذا المخطوط من ثلاثة أجزاء. يتناول المترجم في الجزء الأول منها بإيجاز شديد حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتاريخ الإسلامي حتى العصرالأموي، أماالجزء الثاني فيتضمن ترجمة معاني سبع وعشرين سورة من القرآن، أماالجزء الثالث فاحتوى على ترجمة معاني إحدى وتسعين سورة. ويدل ماجاء في مقدمة المترجم أن هذه الترجمة لم تكن في الأصل عن العربية وإنماعن ترجمة إيطالية لمعاني القرآن الكريم.(٨)

هناك كذلك ترجمة تعود الى القرن السادس عشر الميلادي، وهي تلك التي قام بها الحبر "يعقوب بن يسرائيل هاليفي"(٩)، وهي محفوظة بقاعة الآثار الشرقية بالمتحف البريطاني، وهذه الترجمة ليست نقلا عن العربية بل عن الايطالية، وهذه الترجمة الايطالية منقوله ذاتها عن ترجمة لاتينية(١٠).

وتوجد ايضا ترجمة تعود للقرن الثامن عشر الميلادي وصاحبها غير معروف وهي محفوظة بالمكتبة البريطانية في لندن، كما أن هناك ترجمة محفوظة بمكتبة الكونجرس الأمريكي بواشنطن وتمت بتصرف عن ترجة بالهولندية ولا تتوافر أية تفاصيل أخرى عنها(١١).

٢- مطبوعة:

ان كل ما يتعلق بالترجمات العبرية " المطبوعة" لمعاني القرآن الكريم، فهي عبارة عن أربع ترجمات، اثنتان منهما تم صدورهما خارج إسرائيل، وقبل قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨، واثنتان صدرتا في إسرائيل بعد قيام الدولة وتلك الترجمات هي :

- **ترجمة "ريكندورف":**

صدرت هذه الترجمة عام ١٨٧٥ في مدينة ليبزج الألمانية وقام بها الحبر "حاييم هرمان ريكندروف"، وهو حاخام يهودي عمل استاذا للغات السامية في جامعة هيدلبرج بألمانيا(١٢). وقد حملت عنوان ، אלקוראן או המקרא נעתק מלשון ערבית ללשון עברית ומבואר(القرآن أو المقرا نقل من اللغة العربية إلى اللغة العبرية مفسراً)، وهي الترجمة العبرية الأولى التي نقلت مباشرة عن العربية وهي نادرة الوجود إذ لم يتبق منها سوى ثلاث نسخ(١٣).

حيث استخدم المترجم فيها الأسلوب التوراتي الخالص، ومن يتصفح هذه الترجمة يجد أن المترجم أسقط ترجمة العديد من المفردات والآيات القرآنية بالإضافة إلى عدم إدراكه معنى العديد من معاني القرآن الكريم مما أخل بالسياق العام للنص(١٤).

ونلاحظ ان في هذه الترجمة أيضا قد اعتمدت على مجهودات الكثير من المستشرقين الغربيين حول القرآن الكريم، ما كان له أثر سلبي خطير على على تعامل ريكندورف مع ألفاظ القرآن الكريم، كما قسم ريكندورف القرآن وفقا للتقسيمات الاستشراقية وليس وفقا للنص القرآني، وتضمنت ترجمته هوامش عديدة أورد فيها فقرات من مصادر دينية ويهودية يزعم وجود اتفاق بينها وبين بعض الآيات القرآنية(١٥).

واعترف العديد من النقاد الغربيين واليهود المعنيين بالدراسات العربية والإسلامية بعدم موضوعية ريكندورف في ترجمة معاني القرآن الكريم، وبوجود العديد من الأخطاء فيها سواء في الفهم أو في الترجمة نفسها(١٦).

ولم تحظ هذه الترجمة بالقبول الواسع من جانب المتلقي اليهودي في حينه، ليس لرفضه الأحكام المسبقة والمغالطات الموجودة بها بل لأن المترجم استخدم لغة العهد القديم، بكل ما فيها من غموض وصعوبة الأمر الذي جعلها غير مفهومة من جانب الكثير من يهود عصره(١٧).

- ترجمة "ريفلين":

صدرت هذه الترجمة في فلسطين عام ١٩٣٦ وقام بها "يوسف ريفلين" (١٨) وجاءت تحت عنوانאלקוראן - תרגום מערבית (القرآن- ترجمة عن اللغة العربية)"، وصدرت عن دار النشر דביר بتل أبيب. ثم صدرت طبعتها الثانية عام ١٩٦٣م(١٩)، ثم الثالثة عام ١٩٧٢م، والرابعة عام ١٩٨٧م(٢٠) ، وهي الأخرى لا تخلو - بطبيعة الحال- من الأخطاء، حيث أن صاحبها حاول من خلالها إثبات التأثيرات اليهودية في القرآن الكريم من خلال الهوامش العديدة التي عرضها في كل صفحة من صفحات الترجمة.

وتعد هذه الترجمة هي النسخة العبرية المعتمدة لدى قطاع كبير من الباحثين والأكاديميين اليهود والإسرائيليين المعنيين بدراسة الإسلام، وتمثل مرحلة أكثر نضجا واتزانا في تاريخ الاستشراق اليهودي.(٢١)

وتوصف هذه الترجمة بأنها ترجمة حرفية بسبب محاولة صاحبها مقابلة التركيب القرآني بنظيره العربي والالتزام باساليب القرآن الكريم قدر الامكان(٢٢) . كما أن ريفلين حاول الاقتراب من فصاحة النص القرآني وبلاغته مما أدى إلى أن تصف دائرة المعارف اليهودية هذه الترجمة بأنها الأقرب إلى الترجمة الحرفية(٢٣).

- ترجمة "بن شيمش":

لقد قام بهذه الترجمة الدكتور أهارون بن شيمش، وصدرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٧١، تحت عنوان הקוראן הקדוש תרגום חופשי(القرآن المقدس.... ترجمة حرة)، أما الطبعة الثانية فصدرت عام ١٩٧٨ تحت عنوان הקוראן ספר הספרים של האשלאם תרגום מערבית(القرآن.... كتاب الإسلام الأول، ترجمة من العربية)(٢٤).

وتختلف عن الترجمات السابقة لها في عدم تقيد المترجم بالتقسيم المعروف لآيات القرآن الكريم بل قام بترجمة كل خمس آيات مجتمعة ويأتي الترقيم في نهاية كل خمس آيات وليس في نهاية كل آية، كما أغفل في بعض الأحيان ذكر بعض فواتح السور المكونة من حروف منفصلة، معتقدا أن هذه الحروف اختصار لأسماء من أسماهم بـ"حفظة المخطوطات الأصلية للقرآن"، كما أن الترجمة بشكل عام تغلب عليها الانطباعات الشخصية(٢٥).

وتعد هذه الترجمة من أكثر الترجمات رواجا بين الجمهور الإسرائيلي من غير المتخصصين في الدراسات الإسلامية أو ممن لا يعرف اللغة العربية الفصحى(٢٦).

هنا نلاحظ ان بن شيميش قد انتهج أسلوب ترجمة خاص به وهو يختلف عن أسلوب الترجمات السابقة واللاحقة حيث انه انتهج على اجراء المقارنات العديدة بين النصوص اليهودية والعربية والآرامية، كما تضمنت ترجمته حواشي عديدة يوجد فيها فقرات توراتية وعبارات من المشنا والتملود، حيث رأى انها تشابه ما ورد في القرآن الكريم، وقد امتازت هذه الترجمة بطابع اللغة العبرية الحديثة التي امتازت بها لغة النص المترجم بأساليب وتركيبات بعيدة عما ورد في النص القرآني بدرجة كبيرة.

وقد قوبل نهج بن شيمش في الترجمة بالنقد من جانب العديد من المتخصصين اليهود لاستخدامه أيضا لغة عبرية مبسطة بهدف خدمة المسؤولين الإسرائيليين الراغبين في الحصول على معلومات عن الإسلام(٢٧).

- ترجمة "روبين":

تعد هذه هي الترجمة العبرية الأحدث والأهم التي صدرت عن القرآن الكريم، والتي أصدرتها جامعة تل أبيب في شهر مارس عام ٢٠٠٥ كسلسلة أعمال مترجمة لروائع الأدب العربي إلى العبرية التي تعتزم الجامعة إصدارها، وقام بهذه الترجمة البروفيسور "أوري روبين"(٢٨) أستاذ الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب – جامعة تل أبيب(٢٩)، وقد نالت هذه الترجمة أهميتها لسببين، الأول: أنها – كما يقول عنها صاحبها– جاءت تلبية للحاجة الماسة لترجمة عبرية جديدة للقرآن لتصحيح وتنقيح الترجمات السابقة لها والإضافة عليها، والثاني: أنها صدرت في ظل متغيرات سياسية ودولية متعلقة بأوضاع المسلمين في العالم خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، وبروز نظريات سياسية وفكرية تتحدث عن الصراع بين الحضارات والأديان وتصادمها(٣٠).

إلا أننا نرى أن الأهمية الأكبر لهذه الترجمة قد تمثلت في احتوائها على عدد كبير من التعليقات والهوامش بالإضافة إلى ملحقين، تحتوي جميعها على نقد وتعليقات على الآيات القرآنية، شملت جميع سور القرآن عدا سورتي "الضحى والعصر" وبلغ عدد صفحاتها ٥٤٣ صفحة(٣١)، لذلك فنحن أمام مجلدين عن القرآن أحدهما ترجمة لمعانيه إلى العبرية، والآخر نقد لآياته من وجهة نظر استشراقية إسرائيلية.

وقد ذكر روبين في مقدمة ترجمته أن الهدف من ترجمته هو وضع نسخة مقروءة لا تستوجب معرفة مسبقة باللغة العربية الفصحى، لذا حرص على الترجمة بلغة عبرية مبسطة وقريبة من القارئ العادي(٣٢).

وان البروفيسور " روبين" قد اشار في المقدمة كذلك، إلى أنه قد استعان بعدد من التفاسير الإسلامية للقرآن الكريم، والتي كُتبت خلال القرون الإسلامية الأولى، وذلك بهدف إعانته على إعداد ترجمة عبرية للقرآن الكريم تعكس التفسير الأكثر قبولا

لدى عامة المسلمين، إضافة إلى اعتماده على هذه التفاسير بشكل كبير في إضافة ملاحظات وتعليقات نقدية حول الآيات القرآنية في هوامش الترجمة وحواشيها، مضيفًا إنه اعتمد على أربعة تفاسير، وهي:

١- تفسير "بحر العلوم" لـ"أبي الليث السمرقندي"، المُتوفَى عام ٣٧٥هـ/٩٨٥م.

٢- تفسير "زاد المسير" لـ"عبد الرحمن بن الجوزي"، المُتوفَى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.

٣- تفسير "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" لـ"القاضي البيضاوي"، المُتوفَى عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م.

٤- تفسير "الجلالين" لجلال الدين السيوطي، المُتوفَى عام ٩١١هـ/١٥٠٥م، وجلال الدين المحلي، المُتوفَى عام ٨٤٦ هـ/١٤٥٩م(٣٣).

المبحث الثاني

الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم اهدافها ودوافعها

توجد اهداف ودوافع للترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم من خلال ترجمة المستشرقين اليهود تتمثل في :

- **أهداف ودوافع دينية وأيديولوجية:**

ان الاهداف والدوافع الدينية والايديولوجية التي وجدت من خلال ترجمة القرآن الكريم الى اللغة العبرية جاءت في مقدمة ما وضعته تلك الترجمات وماصاحبها من مجهودات استشراقية يهودية واسرائيلية مختلفة ؛ حيث ان هناك اتفاق تام مابين الباحثين في مجال الاستشراق اليهودي والإسرائيلي على أن الدافع الديني هو الدافع الأكثر قدماً وتاريخاً، وانه الهدف الأبرز من بين أهداف الاستشراق اليهودي والإسرائيلي المختلفة.

حيث برزت تلك الأهداف والدوافع الدينية والأيديولوجية في محاولة لتشكيك المسلمين في دينهم وعقائدهم الأساسية، إضافة إلى وقف المد الإسلامي على أتباع

الديانات الأخرى، ومحاولة الرد على النقد الإسلامي الموجه للانحرافات التي شهدتها الديانات الأخرى على أيدي أصحابها(٣٤)؛ فقد كان الدفاع عن العقائد اليهودية التي كانت موضعا للنقد القرآني والهجوم على الاسلام في حد ذاته، ومحاولة اثبات صلته العقائدية باليهودية من أهم هذه الدوافع(٣٥). والادعاء أن الدين الإسلامي ما هو إلا مجموعة من معتقدات وتشريعات يهودية.

وكان إعداد ترجمات عبرية "غير أمينة" و"مشوه" لمعاني القرآن الكريم، وتزويدها بحواشي وهوامش تعود بالمادة القرآنية لمصادر يهودية ومسيحية ووثنية، أفضل الوسائل التي وجدها المستشرقين اليهود لتنفيذ أهدافهم، وكان أبرز مثال عليها ما تميزت به ترجمة أوري روبين من حواشي وهوامش نقدية على الآيات القرآنية تمحورت جميعها إلى رد محتوى الآية القرآنية إلى مصادر يهودية(٣٦).

كما نجد في مقدمة ريكندورف لترجمتة للقرآن إلى العبرية يقول في معرض استعراضه للأهداف والدوافع التي وقفت وراء اعداده لهذه الترجمة: "إنه حينما يقرأ المرء شرائع توراتنا المقدسة، وشرائع القرآن، والقصص الجميلة والبلاغة السامية الواردة في قصص العهد القدم، ويقارنها بالأباطيل الواردة في القرآن، فسوف يدرك ويميز بين ما هو مقدس وغير مقدس، وبين ما هو طاهر وبين ما هو دنس، وسترتفع في عينيه مكانة ايماننا الطاهر(٣٧)".

في حين نجد أن بن شيمش يقول في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن، " ليس في الإسلام بوجه عام مبادئ متعارضة مع العقائد اليهودية، لذلك يعتبر العديد من المستشرقين الإسلام كيهودية مهيأة لتتلائم مع مفاهيم القبائل العربية ووجهات نظرهم(٣٨)".

وارتبط بهذا الدافع أيضا، دافع آخر يتعلق بمحاولة تشويه الدين الإسلامي سواء كدين أو كحضارة، من خلال الغزو الفكري اليهودي للدين الإسلامي، وقد اتخذ ذلك عدة وسائل منها ادخال عناصر أجنبية غير أصيلة على التراث الإسلامي تمثلت

في الإسرائيليات قديما، التي هي عبارة عن عناصر فكرية ودينية مأخوذة من كتب دينية وتراثية يهودية دخلت إلى بعض الكتب التفسيرية والتراثية الإسلامية القديمة(٣٩)، ونجد هذا واضحا أيضا في محاولة كل الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم اسقاط رؤية يهودية معينة على النص القرآني المترجم حينها، وفي أحيان أخرى تضمينها حواشي وهوامش الترجمة.

كما تبين واضحا ايضا هدفا دينيا آخر يتمثل في اثبات بشرية النص القرآني ورجوعه إلى شخص واحد قام بتأليفه وهو النبي محمد (ص)، فعلى سبيل المثال نجد أن معظم مقدمات الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم تنسب إلى النبي محمد (ص) بشكل مباشر تأليف كتاب القرآن، فعلى سبيل المثال نجد أن روبين استخدم في مقدمة ترجمته ما يدل على أن القرآن من عمل النبي محمد (ص) ، فقد ذكر روبين صراحة في مقدمة ترجمته: "إنه على خلاف التوراة والانجيل فإن القرآن الكريم من انتاج شخص واحد وهو النبي محمد (٤٠)".

كما يسرد بن شيمش في مقدمة ترجمته: "يعود النبي محمد ويعلن في القرآن أنه أرسل كي يمنح قومه- عبدة الأوثان- توراة موسى في كتاب يقرأ- قرآن، بلغتهم العربية(٤١)".

وقد ارتبط بهذا الهدف الديني هدف أيديولوجي آخر، تمثل في محاولة تحقيق الأطماع اليهودية والصهيونية في أرض فلسطين، من خلال اثبات حق تاريخي وديني في فلسطين وفي القدس تحديدا؛ فقد بدا واضحا أن الترجمات المشوهه وغير الأمينة للقرآن الكريم إلى العبرية حاولت بشكل مباشر العمل على استعادة المكانة التي كانت لليهود في بلاد العرب وفي فلسطين بالذات قبل الإسلام، فقد اعتبر اليهود ان ظهرو الإسلام سببا رئيسيا لفقدانهم المكانة السياسية والاقتصادية والدينية التي تمتعوا بها،في بعض مناطق الشرق الأدنى القديم، خاصة الفلسطينيين في شبه الجزيرة العربية.(٤٢) حيث نرى ان ذلك يرتبط بشكل مباشر في محاولة لاثبات الادعاءات الصهوينية

المؤسسة على ديباجات دينية يهودية في أن لليهود حق في أرض فلسطين، وان هذا الحق في الارض يعود من خلال الاثباتات التي تشير اليه المصادر الأساسية للإسلام وفي مقدمتها القرآن الكريم، الذي تم ترجمته بشكل مشوه وغير آمين إلى العبرية.

فاننا نجد على سبيل المثال أن روبين في ترجمته يعلق على الآيات الأولى من سورة الإسراء بالإشارة إلى أن وصف القرآن إلى المعبد بأنه مسجد في منطقة جبل الهيكل دليل على اعتراف القرآن بقدسية هذا المكان الذي أقيم عليه المسجد الأقصى بعد الاحتلال الإسلامي لمدينة القدس، وبعد خراب الهيكل(٤٣).

وقد استفاد اليهود فائدة عظيمة من الصلة التي ظهرت بين الاستشراق عامة وحركة الاستعمار العالمي فاتجه المستشرقون اليهود واصحاب الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم إلى توظيف انتاجهم الفكري وانتاجهم في مجال ترجمة المصادر الاساسية للإسلام وفي مقدمتها القرآن لخدمة الهدف الصهويني الأكبر، وهو انشاء ما يسمى بوطن قومي لليهود، وبالتالي فإن العمل الاستشراقي اليهودي تركز على اثارة دعاوى بأحقية اليهود بأرض فلسطين(٤٤).

- **أهداف ودوافع علمية وسياسية:**

يرى بعض أصحاب الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم أن هناك دوافع علمية تقف وراء اعدادهم لهذه الترجمات، فعلى سبيل المثال نجد أن روبين يضع الهدف اللغوي كأحد الأهداف المهمة لاعداد ترجمته، فقد ذكر في مقدمة ترجمته أنه سعى إلى بلورة صياغة عبرية يمكنها استيعاب التفاسير المتعارف عليها بين المفسرين المسلمين لمعاني القرآن الكريم، وإلى تعريف المتلقي الإسرائيلي للترجمة بالصورة الخاصة للقرأن كما يراها أتباعه(٤٥).

وهو ايضا في محاولة منه للتغلب على معضلة عجز اللغة العبرية عن استيعاب النص القرآني وعن توفير الألفاظ العبرية القادرة على التعبير عن العديد من

معانيه، فقد عمل روبين _كما ذكر دكتور يوسف سدان . على بلورة رداء لغوي عبري يوازن عن طريقه بين الحاجة إلى استخدام لغة عبرية تناسب القارئ المعاصر وبين الحاجة إلى الحفاظ على قدر من روح النص القرآني المقدس، ثم وجد نفسه في نهاية المطاف يستخدم أسلوباً يبتعد عن رونق البلاغة القرآنية, ويلتزم بصورة أكبربصيغ تتماشى مع اللغة العبرية العصرية السائدة لدى المتلقي ، أي إن حاجة المتلقي إلى من يخاطبه بمستوى أسلوبي معين, هو الذي أملى على المترجم اختيار النهج الذي سلكه في ترجمته مما أدى إلى الابتعاد عن بلاغة النص القرآني وسحر بيانه(٤٦).

كما نلاحظ ان الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم هدفت إلى تقديم خدمات "علمية" للاستشراق اليهودي والإسرائيلي، الذي يهدف إلى اثارة دعاوى تخدم أهداف سياسية إسرائيلية وصهيونية تصب جميعها في خانة محاولة اثبات الحق التاريخي والسياسي لليهود في فلسطين.

ومن المعروف لدى الباحثين المتخصصين في هذا المجال أن ترجمة بن شيميش على سبيل المثال قوبلت بالنقد نظرا لاستخدامه أيضا لغة عبرية مبسطة بهدف خدمة المسؤولين الإسرائيليين الراغبين في الحصول عن معلومات عن الإسلام(٤٧)، ومن هنا يتضح أن بن شيميش لم يراع الجوانب العلمية بقدر ماكان يراعي جوانب أخرى هدفت إلى تقديم خدمات سياسية وعلمية للباحثين والمسؤولين الاسرائيليين المهتمين بدراسة الإسلام بشكل يخدمهم في إدارة الصراع مع العرب.

وبهذا الصدد لم يكن غريباً أن الترجمة العبرية الأحدث والأهم لمعاني القرآن الكريم،وهي ترجمة روبين قد صدرت للتخصص في ألاعمال التي تخص الإسلام وتراثه تصدرها جامعة تل أبيب المعروفة بأنها تتضمن عدد من المراكز والمعاهد البحثية التي تعمل على تقديم خدمات علمية على المستوى السياسي والمخابراتي في إسرائيل فيما يتعلق بجمع وتحليل الكثير من المعلومات حول الإسلام والمسلمين للمساعدة في اتخاذ القرارت السياسية المتعلقة بالصراع مع العرب(٤٨).

ومن المعروف أن الاستشراق اليهودي والإسرائيلي هو الجناح العلمي لحركات الاستعمار، وإسرائيل ما هي إلا شكل استعماري جديد من أشكال الاستعمار الأوروبي القديم ؛ لذلك فإن الاستشراق يمثل بالنسبة لإسرائيل صمام أمان استراتيجي وسياسي لا غنى لها عنه نظراً لقيامه بتقديم المجهودات العلمية والأكاديمية لصناع القرار الإسرائيليين حول القضايا المختلفة المرتبطة بالصراع العربي الإسرائيلي، وما يرتبط بذلك من ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة العبرية.، علاوة على تقديمه كم هائل من المعلومات حول جميع الشؤون العربية والإسلامية، الأمر الذي يمثل الفائدة الكبيرة بالنسبة لإسرائيل للتعرف عن قرب على البلدان العربية والإسلامية. لذلك فلا عجب أن ينظر للمجهودات الاستشراقية داخل إسرائيل على أنها مجهودات ذات بعد قومي أمني استراتيجي(٤٩).

المبحث الثالث

اخطاء المترجمين في الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم :

من خلال قراءتنا لتراجم القرآن الكريم الى اللغة العبرية لاحظنا الكثير من الاخطاء والاشكاليات التي امتلأت به الترجمات العبرية منها كانت مقصودة ومنها الغير مقصود ، حيث ارتبطت تلك الاخطاء بعدد من الاشكاليات التي تعلقت بالترجمة أو من خلال فهم النص القرآني ومنها ماتعلق بفهم الظروف التاريخية والدينية المتعلقة بالنص ، بالاضافة الى الاخطاء في ترقيم الآيات القرآنية .

وسوف نقسم هذه الأخطاء في مجملها، مع ذكر أمثلة ونماذج لها، على النحو التالي:

- **أخطاء الترقيم:**

ان من أبرز الأمثلة المتعلقة بالخطأ في الترقيم، هو ما ورد في ترجمة روبين، حيث يلاحظ أنه وضع رقم الآية في مقدمتها وليس في نهايتها(٥٠)، وهو ما

لم يفعله المترجمون السابقون له لمعاني القرآن الكريم، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن ترقيم روبين لم يشهد خلطاً أوتقديماً أو تأخيراً أو أسقاطاً لأي رقم من أرقام الآيات القرآنية.

أما بن شيميش فقد وقع في خطأ فادح يتعلق بترقيم آيات القرآن، وذلك حينما وضع للآية (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) رقم ٦٠ (٥١)، أي سورة آل عمران، إلا أن الآية المقصودة هي الـ٦٦ من سورة آل عمران.

وفيما يتعلق بخطأ الترقيم ايضا فقد رأى بن شيميش أن تقسيم القرآن إلى أجزاء فإنما يتمثل في تساوي عدد الآيات بكل جزء(٥٢)، وهذا ما لم يتوافق مع عدد الأجزاء وعدد الآيات القرآنية.

في حين نجد أن المستشرق اليهودي – الفرنسي، شالوم زاوي، صاحب كتاب مصادر يهودية بالقرآن الصادر بالقدس عام ١٩٨٣، قام بتقسيم الآية السابعة والأخيرة من الفاتحة إلى آيتين ووضع لكل منها رقم منفصل، وذلك في مؤلفه حول القرآن(٥٣). كما وضع للآية رقم ٦٥ من سورة البقرة رقم ٦١(٥٤)، وفي سورة التوبة وضع للآية رقم ٨٤، رقما آخر وهو ٨٥(٥٥).

كما وضع زاوي للآية رقم ٦٠ من سورة البقرة رقم آخر وهو ٥٧، ووضع للآية ٦٥ من نفس السورة رقم ٦١(٥٦).

- **أخطاء لفظية:**

نرى ان من أبرز الأخطاء اللفظية في ترجمة أسماء سور القرآن الكريم في الترجمات العبرية، على سبيل المثال نجد أن روبين اختار لفظ ההצהרה أي "البيان" لسورة "التوبة"(٥٧).

أما سورة المائدة فقد اختار روبين مقابلاً لكلمة المائدة مصطلحاً دينياً معروفاً في الكتابات الدينية اليهودية وهو שולחן ערוך هو (المائدة المعدة أو الجاهزة). ولكن

حدث أن تمخض عن هذا المصطلح بعدا دينياً خاصا باليهود فقط حين أطلقه الحاخام اليهودي (يوسف كارو) في عام ١٥٦٥م اسماً على كتاب له وضعه في حينه وجمع فيه جميع الفرائض والفتاوى الدينية اليهودية. وعند ذكر هذا المصطلح بين اليهود يكون المقصود به هو كتاب يوسف كارو. (٥٨)

ايضا وجدنا ان روبين قد استخدم مصطلح בני ביזנטיון أي أبناء بيزنطة أو البيزنطيون، لسورة الروم، ورغم وجود المقابل العبري المباشر لكلمة فاطر وهو בורא أي الخالق أو المبدع للكون, وهي كلمة وردت في الإصحاح الأول من سفر التكوين عن خلق الله للكون, فإن روبين ترجم الكلمة إلى الكلمة العبرية היוצר بمعنى المنتج للشيء المادي أو الفني ولا تصلح لخلق الكون والبشر, وترجمها ريفلين إلى كلمة המלאכים بالعبرية أي ملائكة, واستخدم بن شيمش الكلمة نفسها מלאכים عنوانا رئيساً للسورة مع إضافة عنوان بديل لها وهو הבורא أي الخالق من الفعل العبري ברא أي خلق(٥٩).

اما بالنسبة للفظ (الرحمن) فلم يلتزم ركندورف بالمقابل المباشر هنا بل أتى بالمقابل הן רחום אלהיכם (إنه رحيم إلهكم) وهو يدل على الرحيم وليس الرحمن. كما لم يلتزم المترجم بنسق الأصل في تقديم لفظ الرب على لفظ الرحمن بل عكس هذا الترتيب הן רחום אלהיכם وكأنه يصف الله تعالى بأنه رحيم، رغم أن لفظ ربكم هو إشارة للمستحق بالعبادة يتلوه وصفه تعالى بأنه الرحمن إشارة لرحمته وعفوه، بما يضيع جزءاً آخر من معنى الآية وبلاغتها، ومن ثم جاءت ترجمته قاصرة عن أداء المعنى الذي افقدها الكثير من بلاغة الآية(٦٠).

حيث نجد ان ركندورف ترجم كلمة سورة إلى חזון العبرية التي تعني رؤية، عن الفعلחזה رأى، وهو فعل مستخدم بكثرة في سفر حزقيال بالعهد القديم(٦١). كما ترجم اسم أم النبي إلى " أمينة"(٦٢) والمعروف أن اسمها "آمنه".

اما بالنسبة لزاوي فقد برزت أيضا أخطاؤه في ترجمة عدة ألفاظ من أسماء سور القرآن الكريم، فقد ترجم سورة الواقعة إلى החלה(٦٣)، وذلك باستخدام صيغة اسم الفاعل المفردة المؤنثة من الفعل حال، بمعنى حل أو وقع بينما لامقصود بالوقاعة هنا يوم القيامة، وكذلك ترجم سورة الكوثر بسورة الكثرة(٦٤)، وفي الالآية رقم ٢٤٩ من سورة البقرة (فلما فصل طالوت بالجنود) نراه يترجم طالوت بشاؤول(٦٥) وهو شخصية مقرائية واردة في نصوص العهد القديم، ولم يرد لهذا الاسم أي ذكر في القرآن الكريم.

- **أخطاء نصية:**

ان مشكلة الاخطاء النصية قد اتضحت بشكل قوي وذلك من خلال ادخال زيادات على النص وعدم التقيد بما جاء فيه، أو الحذف من النص القرآني بما يخدم أهداف المترجم وأيديولوجياته، فاننا نرى ان في ترجمة الحاخام "أفراهام برحسداى" لسورة الفاتحة، يقول فيها: (الإله الواحد، الأب الرحمن، ملك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين عطفت عليهم، لا الذين غضبت عليهم إنهم المحتارون"،

ونلاحظ عند النظر لهذه الترجمة أن المترجم بدأ بالآية الثانية من سورة الفاتحة مباشرة، ولم يلتزم بالنص القرآنى بل تعمد الإضافة إليه والحذف منه، فعلى سبيل المثال نجده فى الآية الأولى لديه وهى مقابل قوله تعالى"الرحمن الرحيم" يضيف كلمات "الإله– الواحد– الأب"، وهى لم ترد فى الأصل(٦٦).

من هنا نلاحظ ان المترجم قد اراد جذب انتباه القارئ اليهودى نحو العقيدة المسيحية، والادعاء أن الإسلام والمسيحية يصفان الله تعالى بأنه (الأب)، وذلك لإثارة الشعور بمزيد من العداء تجاه الإسلام والقرآن، استنادا للعداء اليهودي القديم للمسيحية بوصفها خروجا على اليهودية الأم.

كما استخدم المترجم ألفاظا عبرية لا تفى بالمعنى العربى، فيستخدم لفظة «الإله» محل اسم الجلالة «الله» فى الوقت الذى استقرت فيه «أدبيات علم الترجمة» على أن اسم الذات لا يترجم.(٦٧)

وهناك ايضا نرى وجود نموذج ثاني مهم في كتابات المستشرقين المتضمنة لترجمة بعض آيات القرآن، حيث نجدها في مقال "مدخل لدراسة القرآن"، تأليف زهافا كيستر؛ حيث تترجم معانى سورة الضحى كاملة، ولكن الآية (٧) عند قوله تعالى: "ووجدك ضالا فهدى" تمت ترجمتها على النحو التالى: (وجدك ضالا «كنت تعبد الأصنام» فهداك إلى الصراط المستقيم) .وان أخطر ما فى هذه الترجمة هو الإشارة التفسيرية بين الهلالين، والتى تعبرعن فهم المترجمة الخاطئ لمعنى (ضالا). فان المؤلفة تعتقد أنه يعنى «عابدا للأصنام». ذلك على الرغم من أن المفسرين المسلمين أشاروا إلى العديد من المعانى حول كلمة «ضالا» هنا، منها: أنها تعنى غافلا عن أمر النبوة، أوأنها تعنى لا تدرى القرآن والشرائع، أو أنها تعنى، وجدك فى قوم ضلال فهداهم بك(٦٨).

الاستنتاجات

من خلال ما تطرقنا له في بحثنا ان هناك دوافع يهودية قوية تعود في جذورها التاريخية الى العهود القديمة للحفاظ على تراثهم وعقائدهم الدينية التي تتعارض في كثير من الاحيان مع العقائد التي تعود للديانات الاخرى بشكل عام والديانة الاسلامية بشكل خاص والتي تتمثل بدعم المستشرقين الذين ترجموا ووضعوا ترجمات عبرية للقرآن الكريم من اجل تحريف الاسلام ودس الافكار المناقضة للدين الاسلامي وزرع الافكار التي تؤثر على حياة المسلمين وذلك للحفاظ على تراثهم حيث لاحظنا انهم حاولوا من خلال الكثير من تراجمهم ان يقنعوا العالم الاسلامي بأن الدين الاسلامي والمتمثل بالقرآن الكريم ماهو الا كتاب او دين يعود بجذوره الى اليهودية القديمة وقد لاحظنا من خلال مصادرنا انه تم توضيح كثير من الاخطاء التي وقع

بها المترجمون من خلال نماذج مختارة من الترجمات العبرية وذلك بسبب العقيدة التي ينسب اليها المستشرق من خلال لغته الثابتة التي تغاير اللغة العربية التي كتب بها القرآن الكريم ولاننسى ان نذكر ان الدين الاسلامي والمتمثل بالقرآن الكريم هو كتاب منزل من الله سبحانه وتعالى وهو نص اعجازي لايمكن التلاعب به او تغيير تفاسيره من قبل اي شخص وذلك بسبب وجود تفاسير اصلية ومعتمدة من قبل المسلمين كافة .

المصادر

- القرآن الكريم
- العهد القديم

المصادر

(١) (د)أحمد الشحات هيكل، الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم... أهداف سياسية ودينية، مجلة القدس، العدد ٩٤، أكتوبر ٢٠٠٦، ص ٨٧.

(٢) (د)أحمد الشحات هيكل، المصدر السابق ص ٨٧.

(٣) Hava Lazaras yafeh: intertwind worlds, Princeton University New Jersey, 1992 P. 149. Myron. M. Weinstein, Washington D.C Hebrew Quran Manuscript, in studies in Bibliography and booklore, Jewish institute of Religion N.G. vol x. Winter, 1971.. vol x, P 40

(٤) محمد محمود أبو غدير، ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم في ضوء الترجمات العبرية السابقة، مجلة لوجوس، مركز اللغات والترجمة المتخصصة،جامعة القاهرة، العدد الأول، يوليو ٢٠٠٥، ص ١٠٥.

(٥)(د)أحمد الشحات هيكل، المصدر السابق ص ٨٧.

(٦) (العربية – اليهودية) هي إحدى الكتابات أو اللهجات الخليطية التي استخدمها اليهود ابان العصور الوسطى، وهذه "الازدواجية اللغوية" في كتابات اليهود، تعد بمثابة "ظاهرة" في التاريخ اليهودي تميز بها اليهود منذ أقدم العصور فإلى جانب اللغة العبرية تحدثوا وكتبوا بلغات الشعوب الأخرى التي كانوا يعيشون بين اناسها ففي العصر الروماني تحدثوا وكتبوا باللاتينية، وفي العصور الوسطى وفي ظل الإسلام والثقافة العربية تحدثوا اللغة العربية وكتبوا بها أروع إنتاجهم الأدبي والثقافي، وحينما تفرقوا كأقليات في شتى أنحاء أوروبا عقب السبي الروماني عام ٧٠ م، تحدثت كل طائفة يهودية بلغة البلد التي تعيش بها، إضافة إلى ذلك فقد طور اليهود لغات "خليطية" خاصة بهم مثل اللغة (العربية – اليهودية) التي كتبوا بها بعض مؤلفاتهم في العصور الوسطى وهي عبارة عن لغة عربية مكتوبة بحروف عبرية حتى لا يستطيع قراءتها وفهمها سوى اليهودي فقط، كما طوروا واستخدموا أيضا لغة (اليديش) الشهيرة، التي هي عبارة عن خليط من اللغة العبرية مع مجموعة من اللغات السلافية الأوروبية، والتي كُتب بها جزء ضخم من الأدب الخاص بالجامعات اليهودية في أوروبا إبان القرنين الـ١٨، ١٩م.(أنظر: أحمد صلاح البهنسي، الاستشراق الإسرائيلي، الإشكالية والسمات والأهداف، مجلة الدراسات الشرقية، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، يناير ٢٠٠٧، ص ٤٧٠-٤٧١).

(٧)(د) أحمد الشحات هيكل، المرجع السابق، ص ٨٧.

(٨)جمال أحمد الرفاعي، دراسة في مشكلات ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية، القاهرة، كلية الآلسن، ١٩٩٤، ص ١٥.

(٩)يعقوب بربي يسرائيل هليفي יעקב ברבי ישראלהלוי: (ولد في منتصف القرن السادس عشر بسلونيكا– وتوفي عام ١٦٣٦م) فقيه وعالم، وهو من نسل عائلة (بيت هليفي) الشهيرة. نال تعليمه في اليشيفوت المحلية حيث درس الهلاخاه والفلسفة. وانتقل من سلونيكا إلى زانتي Xanthe حيث صار حاخاماً للبلدة، ثم انتقل إلى فينسيا، وأهم أعماله: ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية للمرة الأولى ترجمة كاملة. انظر: Ency. Judaica Encyclopedia Judaica, 2–nd printing, Jerusalem, 1973 .vol 11, P .83 ,

(١٠) Hava Lazaras yafeh: P. 149. Myron. M. Weinstein, Washington D.C. vol x, P 40

(١١)אורי רובין، הקוראן תרגם מערבית، מוסיף לו הערות، אוניברסיטת תל אביב، מרץ 2005.

(١٢) تسيفي حاييم هيرمان ركندورف צבי חיים הרמן רקנדורף: (ولد عام ١٨٢٥م في مورافيا– وتوفي عام ١٨٧٥م في هايدلبرج)، وهو مستشرق وأديب يهودي. نال تعليمه في يشيفوت مورافيا ثم انتقل إلى جامعة ليبزج حيث أتم تعليمه هناك. وقد قام بإلقاء بعض المحاضرات في جامعة هايدلبرج حول الفنون العبرية، وكذلك حول اللغات السامية. وقد ألف فيما بين عامي ١٨٥٦– ١٨٥٧م مجموعة قصص يهودية تاريخية بعنوان: Die Geheimnisse der Juden. وذلك في خمسة أجزاء. وأما أهم أعماله على الإطلاق فهو ترجمته لمعاني القرآن الكريم عام ١٨٥٧م، وقد أشار في نهاية مقدمته إلى أنه أتمها

عن عمر يناهز اثنتين وثلاثين عاماً وأربعة أشهر. انظر:. Ency. Judaica, 2–nd printing, Jerusalem, 1973. vol 13, P .1614 ,

(١٣) (د) سمير فرحات شحاته، ترجمة بن شيمش العبرية لمعاني سورة آل عمران، دراسة نقدية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣. ص ١٥.

(١٤) קולברג איתן: קוראן, האנציקלופדיההעבריתכלליתיהודיתוארץישראלית, חברהלהוצאתאנציקלופדיות, ירושלים 1974, כרך 4.עמ׳ 52.

(١٥) (د) أحمد الشحات هيكل، المرجع السابق، ص، ص ٨٩.

(١٦) (د) أحمد الشحات هيكل، المرجع السابق، ص ٨٩.

(١٧) (د) محمد محمود أبو غدير، ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية (عرض وتقويم)، بحث ألقي في ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، المدينة المنورة، ٢٠٠٦، ص ٧.

(١٨) يوسيف يوئيل ريفيلن(١٨٩٠–١٩٧١)، وهو مستشرق غسرائيل ولد في القدس، وينتمي لعائلة يهودية متدينة وتلقى تعليما يهوديا تقليديا حتى تخرج في معهد المعلمين، واعتقل في دمشق عام ١٩١٧ بعد تجنده في الجيش التركي، وبعد اطلاق سراحه ظل بدمشق حيث عمل ميدرا لمدرسة البنات وفي عام ١٩٢٢ عاد للقدس، ثم سافر إلى ألمانيا لدراسة اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم في جامعة فرانكفورت، وتتلمذ خلال تلك الفترة على يد المسترق اليهود يوسيف هوروفيتش، حيث استقى منه منهجه ورؤيته للعرب والمسلمين، وفي عام ١٩٢٧ عين استاذا بمركز الدراسات الشرقية التابع للجامعة العبرية بالقدس(انظر: أحمد الشحات هيكل، مرجع سابق، ص ٩١.).

(١٩) יוסף יואל ריבלין: אלקוראן, הוצאת דביר, תל– אביב, 1963.

(٢٠) האנציק' העברית: חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ, ירושלים, תשכ"ט, תל אביב. כ' 30, עמ' 52.

(٢١) (د) أحمد الشحات هيكل، المرجع السابق، ص ٨٩

(٢٢) نفس المرجع، نفس الصفحة

(٢٣) ע"ע ،האנציק' העברית. עמ' 52.

(٢٤) ד"ר. אהרוןבושמש: הקוראן, ספרהספריםשלהאשלאם, תרגוממערבית, הוצאתספריםקרני, תל – אביב 1978 .

(٢٥) (د) أحمد الشحات هيكل،مرجع سابق، ص ٩٠

(٢٦) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٢٧) محمد محمود أبو غدير، ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم في ضوء الترجمات العبرية السابقة، مرجع سابق، ص ٩-١٠.

(٢٨) يعمل البروفيسور "أوري روبين"Uri Rubin أستاذًا للدراسات القرآنية والتراث الإسلامي المبكر في قسم الدراسات العربية والإسلامية بكلية الآداب – جامعة تل أبيب، وقد ولد بفلسطين في ١٩٤٤/٦/٢٤، وفي بداية عقد الستينيات التحق بمركز המגמההמזרחנית لتعليم اللغة العربية، والذي كان يلتحق به الطلبة الإسرائيليين المجيدين للعربية، وبه تعلم اللغة والأدب العربي، وكيفية التعايش مع السكان العرب، حيث كانت تدرس بها بعض المواد القيمة مثل العربية الكلاسيكية (الفصحى)، والقرآن، والتي من خلالها عرف الكثير عن العالم الإسلامي وعن حياة النبي محمد، وذلك على الرغم من أن العالم العربي الذي كان محيطا بإسرائيل حينها – من وجهة نظره- كان علمانيا تمامًا، ومع ذلك فقد تعلم في هذا المركز تراثا دينيا خالصا، ولاسيما ما يتعلق منه بالعربية والإسلام، فقد وجد نفسه محبا لكل ما يتعلق بالعربية وبالإسلام، مدفوعا بإحساسه بالأهمية البالغة لمعرفة الكثير عنهما نظرا – حسب رأيه- إذ حرص عند وصوله للمرحلة الجامعية والتحاقه بجامعة تل أبيب، وتخصص في الدراسات التوراتية وتاريخ الشرق الأوسط، وثانيهما في عام ١٩٧٢ في

تخصص اللغة العربية. كما حصل عام ١٩٧٠ على شهادة دراسية تكميلية من جامعة تل أبيب في تدريس الكتاب المقدس، وفي عام ١٩٧٦ حصل من نفس الجامعة على شهادة الدكتوراة من قسم اللغة العربية كما يسمى بـ"أبو الاتجاهات الاستشراقية" في التعليم العبري المتوسط .

(٢٩) מירב יודילוביץ'، הקוראן: פעם רביעית ،ידיעות אחרונות، ٢٠٠٥/٣/٣١.

(٣٠) ע"ע ،אורי רובין، עמ' יד

(٣١) שם. .

(٣٢) שם.

(٣٣) ע"ע ،אוריורובין، עמ'יד.

(٣٤) (د) محمد جلاء ادريس، الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٢، ٢٣.

(٣٥) (د) محمد خليفة حسن ، المدرسة اليهودية في الاستشراق، مجلة رسالة المشرق، الأعداد ١-٤، المجلد ١٢، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٤١.

(٣٦) أحمد صلاح البهنسي، مرجع سابق، ص ٤٧١.

(٣٧) צבי חיים הרמן רקנדורף،אלקוראן או המקרא נעתק מלשון ערבית ללשון עברית ומבואר، עמ' 7.

(٣٨) ע"ע، ד"ר. אהרון בן שמש، עמ' 10.

(٣٩) (د) محمد خليفة حسن،مرجع سابق، ص ٤٣.

(٤٠) ע"ע ،אורי רובין،עמ' טז.

(٤١) ע"ע ، ד"ר. אהרון בן שמש: עמ'9.

(٤٢) (د) محمد خليفة حسن،مرجع سابق، ص ٤٤، ٤٥.

(٤٣) ע"ע ،אוריורובין،עמ' 226.

(٤٤) (د) محمد خليفة حسن،مرجع سابق، ص، ٤٥.

(٤٥) ע"ע ،אורי רובין، עמ' גט.

(٤٦) نقلا عن محمد محمود أبوغدير، ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية (عرض وتقويم)، مرجع سابق، ص ١١،١٢.

(٤٧) نفس المرجع.

(٤٨) للمزيد حول علاقة المتخصصين بالدراسات العربية والإسلامية والمؤسسات السياسية والمخابراتية في إسرائيل،، أنظر: إبراهيم عبد الكريم، الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٢.

(٤٩) أحمد صلاح البهنسي، مرجع سابق، ص ٤٧٢.

(٥٠) ע"ע ،אורי רובין.

(٥١) ע"ע ، ד"ר. אהרון בן שמש. חלק3: עמ' 35.

(٥٢) שם ، עמ' 13.

(٥٣) שלום זאוי، מקורות יהודים בקוראן، ירושלים، ١٩٨٣، עמ' 54.

(٥٤) שם ، עמ' 57.

(٥٥) שם ، עמ' 44.

(٥٦) שם ، עמ' 56.

(٥٧) ע"ע ،אורי רובין، עמ' 152

(٥٨) نقلا عن محمد محمود أبوغدير، ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية (عرض وتقويم)، مرجع سابق، ، ص ١٩.

(٥٩) نفس المرجع، ص ٢٠.

(٦٠) نقلا عن موضوع(عبث اليهود بترجمة القرآن الكريم) منشور على موقع الجمعية الدولية للمترجيمن واللغوين العرب على الانترنت،
http://www.wata.cc/forums/showthread.php?t=82534

(٦١) نقلا عن محمد جلاء ادريس، مرجع سابق،، ص ١٧٥.

(٦٢) ע"ע ، ד"ר. אהרוןבוֹשמש: עמ' 11.

(٦٣) ע"ע ، שלוֹמזאוי، ،עמ' 219.

(٦٤) שם ،עמ' 252.

(٦٥) שם ،עמ' 192.

(٦٦) نقلا عن موضوع(عبث اليهود بترجمة القرآن الكريم) منشور على موقع الجمعية الدولية للمترجيمن واللغوين العرب على الانترنت،
http://www.wata.cc/forums/showthread.php?t=82534

(٦٧) نفس المرجع

(٦٨) (د) حسن عزوزي، آليات المنهج الاستشراقي في دراسة مصنفات علوم القرآن، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٩٦، الكويت، ديسمبر ١٩٩٨، ص ٣٩.

الآثار العمارية والفنية للملك شمشي أدد الاول (١٨١٣-١٧٨١) ق . م دراسة في ضوء النصوص المسمارية

م .علي هاشم معضد
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية / قسم التاريخ

الآثار العمارية والفنية للملك شمشي أدد الاول (١٨١٣-١٧٨١) ق . م دراسة في ضوء النصوص المسمارية

م .علي هاشم معضد

الملخص:

يحتل الملك الآشوري شمشي – أدد الأول المكانة الاولى بين الملوك الاشوريين عبر مسيرة التاريخ الاشوري العام، فهو مؤسس اول دولة أو كيان سياسي مستقل للآشوريين في العراق القديم.

لقد شهد عصر هذا الملك انجاز الكثير من المآثر العمارية والفنية الى جانب اعماله الادارية والعسكرية اذ وردنا العديد من النصوص البنائية تتحدث عن نشاط عماري واسع اضطلع به هذا الملك وشهدت له بإنشاء العديد من المعابد المزدوجة مثل معبد الاله انو وادد (أي – آنو – أدد) وغير المزدوجة مثل معبد الثور الوحشي او البري للبلاد (E-am kur-kur-ra) والزقورات مثل زقورة معبد الاله انليل في مدينة آشور. ولم يدخر هذا الملك جهدا في اعمار وترميم المدن وأسوارها ويشهد بذلك نشاطه في مدن آشور وماري وكارانا ، كما اقام النصب التذكارية ومسلات النصرالتي تخلد انتصارات بلاد اشور على اعدائها .

المقدمة :

يعد الملك الاشوري شمشي ادد الاول من اعاظم الملوك الاشوريين واول ملك مهم في بلاد اشور اذ تمكن من تاسيس الدولة الاشورية القديمة(١) ، ويرجح ان الملك شمشي ادد الاول كان ضابطا في الجيش الاشوري (٢)، لجأ مع قواته الى بلاد بابل

ابان الغزو الذي قام به ملك اشنونا (نرام –سين)على بلاد اشور معلنا ضمها الى نفوذه السياسي وسيطرته العسكرية .

اخذ شمشي ادد الاول يعد نفسه وقواته للعودة الى بلاد اشور حالما توافقه الظروف ، وبالفعل فقد اعلن في مملكة اشنونا عن وفاة ملكها (نرام –سين)، رافقه ارباك في القيادة العامة للبلاد والاقاليم الخاضعة لها ، وهنا بادر شمشي– ادد الاول الى استغلال هذه الفرصة التاريخية فبدأ مشروعه العسكري لتحرير بلاد اشور وتاسيس الدولة الاشورية القديمة .

شرع شمشي– أدد الأول سنة ١٨١٠ ق.م بالتقدم العسكري من بابل على طول نهر دجلة صعودا الى بلاد اشور فاستولى على مدينة ايكالاتوم (مدينة القصور) (٣) ، وبعد ثلاث سنوات اي في عام ١٨١٣ ق.م تقدم الى مدينة اشور بحملة عسكرية كان من نتائجها الانتصار الساحق على الاعداء وطرد الجيش الاشنوني بقيادة الملك (اريشم الثاني)ابن الملك (نرام – سين) من بلاد اشور ، وبهذا الانجاز اعلن شمشي – أدد ولادة الدولة الاشورية القديمة متوجا نفسه ملكا على بلاد اشور لثلاث وثلاثون سنة(٤) لتبدأ حقبة سيايسية جديدة في تاريخ العراق والشرق الادنى القديم.

الهدف والاشكالية من البحث: اذا الهدف هو نقل الصورة المشرقة لاهتمامات الملوك الاجتماعية الدينية والمدنية او العمرانية والفنية والثقافية ...وغيرها الى الاضواء ليتسنى للباحثين الاطلاع عليها ودراستها والافادة منها .

اما اشكالية البحث : فتتلخص باتاحة الفرصة لسلوك منهج جديد في البحث العلمي مفاده قراءة التاريخ القديم قراءة جديدة من خلال دراسة معطيات الانجازات الحضارية والنتاج الاجتماعي لملوك العراق القدماء.

وقبل الدخول في مضمون هذا البحث يود الباحث بتواضع ان يشير الى ان البحث قسم على ثلاث فقرات هي:الفقرة الاولى :النصوص المسمارية البنائية .فقد قمت

بجمعها من مصادرها وترجمتها الى اللغة العربية وعرضها في البحث .اما الفقرة الثانية فقد تناولت فيها بالشرح العام العمائر الدينية والمدنية التي شيدها ورممها الملك شمشي ادد الاول . فيما خصصت الفقرة الثالثة الى الانجازات الفنية التي وصلتنا من عصر هذا الملك كالنصب والمسلات.

اولا:- النصوص البنائية :

وردتنا نصوص مسمارية بنائية تكشف عن انجازات عمرانية شيدها الملك شمشي – ادد الاول وشهدت له ببناء وترميم العديد من العمائر، ومن هذه النصوص:

١. **المعبد أي – أم – كور- كور- را**

e-im-kur-kur-ra = bitum rim matatim

وهو معبد (الثور الوحشي او البري للبلاد)، مكرس الى الاله انليل ومبني في مدينة اشور وقد اعيد بناؤه من قبل الملك شمشي – أدد الاول. ويذكر الملك تفاصيل مهمة عن عملية بناءه، فيصف أحوال المعبد ثم يذكر المواد المستخدمة في عملية البناء اذ يقول " شمشي- أدد ملك العالم، باني معبد آشور ، الذي كرس نشاطه الى البلاد التي بين نهري دجلة والفرات ، بامر من الاله آيور الذي احبه وسماه آنو وانليل(لمآثره) العظيمة ، (من بين) الملوك السابقين الذين كانوا قبله ، معبد انليل الذي اريشوم ابن أيلو شوما قد بناه ،وان بناءه قد سقط متهدما ، معيد انليل ، سيدي . المزار الرائع ، المسكن الواسع ، مسكن انليل ، سيدي ، الذي خططته وفقا لخطة المعماريين الحكماء ، في مدينتي اشور ، وسقفت المعبد بأ خشاب الارز و وضعت مصراعي الباب من خشب الارز وغطيتها بالفضة والذهب ، جدران المعبد (رصعتها) بالفضة والذهب واللازورد واحجار الكارنيلين ، وبزيت الأرز الزيت الممتاز والعسل والزبد (الدهن) نثرت جدران الطين (اللبن) ، معبد انليل سيدي ، وأحطته

بسور وان ال(أي –أم–كور– كور را = e- am-kur-kur-ra) معبد الثور الوحشي أوالبري للبلاد ، الاله انليل سيدي، ضمن مدينة آشورأطلقت عليه اسمه"(٥).

٢. المعبد أي – خور ساك –كور – كور – را

e- hur- sag – kur-kur- ra = (bitum sad matim)

وهو (معبد جبال البلاد او المعبد العالي كالجبل) ، وهو أسم الغرفة المقدسة للاله آشور في معبد آ شور وقد رممه من قبل (اوشبيا -Ushpia) ثم من قبل (أريشوم – Erishum) ثم من قبل الملك شمشي – ادد الاول (٦) .

٣– معبد أي– كي – سي – كا

e- ki- si- ga = (bit qultisu) (bit kispim)

وهو (معبد المكان الهادئ أو معبد تقديم الطعام والشراب الى الاموات) وهو معبد مكرس للاله داكان (Dagan) في مدينة تيرقا (Tirqa) وقد بناه الملك شمشي – أدد الأول .(٧)

٤– معبد (أي – كي – توش – كو – كا)

e – ki –tus- ku – ga (Bitum hurusni sirtisa)

وهو (معبد المسكن الطاهر) ، وهي زقورة مكرسة للالهة عشتار في مدينة نينوى أعاد بناءها الملك شمشي – ادد الأول (٨).

٥- **معبد أي – ماش- ماش**

e-mas-mas = (bit mas masi)

وهو المعبد الخاص بقراءة التعاويذ والرقى وطقوس التطهير المكرس للالهتين (عشتار وننليل) في نينوى ، وقد رمم من قيل الملك الاكدي (مانشنوسو- Manishtusu) ومن ثم أعيد بناءه في زمن الملك شمشي – ادد الأول (٩).

٦- **معبد أي – مي – لام – أن – نا. e – mi – lam – an – na**

وهي (زقورة الاله انو في مدينة آشور) ، ومن المحتمل أنها زقورة المعبد المزدوج للاله (انو و أدد) في مدينة أشور التي بناها الملك شمشي أدد الأول (١٠)

٧- **معبد أي – مي – نو – أي e – mi – nu – e**

وهو معبد (النواميس الثابتة – المستقرة) ، وهو المصلى المكرس للالهة عشتار في نينوى ويقع في ضواحي معبد (أي – ماش- ماش = e - mas – mas) الذي اعاد بناءه الملك شمشي- أدد الأول (١١).

٨- **معبد أي – شار – را (esarra) = e –sar –ra**

وهو أسم لمعبد مزدوج خاص للاله آشور في مدينة آ شور ، وقد ذكره الملك (أسرحدون) في كتاباته بان هذا .ا لمعبد هوالذي بناه الملك (اوشبيا – ushpia) وأعاد بناءه الملك (أريشوم الأول – Erishum 1) ثم أعاد بناءه الملك (شمشي – أدد الأول) (١٢) .

٩- معبد أي – آنو – أدد E –Anu – Adad

وهو من المعابد المزدوجة ربما بناه الملك (شمشي- أدد الأول) في مدينة آشور ثم من قبل الملك (آشور – ريش – ايشي – Ashur – Res – Isi) (١٣)٠

١٠- معبد أي- ريش -كي- كال

E-ris – ki – gal = (Eriskigal)

وهو معبد – من المحتمل – أنه بني في مدينة أشور من قيل الملك (أيكونوم – Ikunum) ثم أعاد بناءه الملك شمشي أدد- الأول (١٤) .

١١-معبد أي – مي –أور – أور

E-mi – ur4 –ur4 = (bit muhammim parsi)

وهو معبد الالهة عشتار ربما في مدينة ماري أو آشور ، وقد رممه الملك وقد رممه الملك شمشي أدد الأول (١٥).

ثانيا:- الآثار العمارية :-

أ- **معيد الاله آشور**(شكل رقم ١) يعد هذا المعبد من النماذج الاساسية لمعرفة المعابد الاشورية في الحقبة القديمة من تاريخ بلاد اشور ودليلا لطرز المعابد الاشورية القديمة (١٦) وقد خصص هذا المعبد لعبادة الاله اشور وهو من ابرز ما في مدينة اشور من مباني واضخمها (١٧) بوصفه من الاعمال العمرانية التي نفذها الملك شمشي- ادد الاول في مدينته.

وصف المعبد

بني هذا المعبد على انقاض المعبد القديم ، لكنه يخالفه في المخطط ثم اعيد بناؤه لاحقا عدة مرات (١٨). وتبلغ ابعاده (١٠٨ ×٥٥ م) او اكثر بقليل ، ويتكون المعبد من ساحتين تقعان على محور طولي واحد ويصل الداخل الى الساحة الصغيرة عبر مدخل مجهز بابراج بعرض ١٠ م تقريبا ثم غرفة مجاز . وتحيط بالساحة الصغيرة غرف من كل جوانبه بعضها طويلة تكون بطول الضلع المحاذي لها ، ثم ننتقل الى الفناء الكبير عبر غرفة مجاز ثانية تقع على المحور الوسطي نفسه الذي يمر عبر المدخل الجنوبي للمعبد ، وللساحة الوسطية مدخلان آخران يقعان في منتصف كل من الضلعين الشرقي والغربي للمعبد وعلى محور واحد ويتقاطعان مع المحور الوسطي الطولي في نقطة تقع وسط البناء تماما ،اما الدخل المؤدي الى الصومعة الرئيسة للاله الواقعة في اقصى شمال الساحة فانه يقع مع المداخل المقابلة له باتجاه الجنوب وعلى المحور نفسه ، انها ظاهرة معمارية تستحق الاهتمام وهي تنظيم الدخول الى المعبد من ثلاثة مداخل خارجية ومدخل وسطي على محورين متقاطعتين بزاوية قائمة ، ولقد حصر البناء المسافة الواقعة شرق المعبد والى مسافة تتراوح بين ٢٠٠م شرقا ١٠٠م جنوب غرب ، بناء يتكون من صفين من الغرف المتوازية أو من صف واحد وذلك لاقامة الطقوس الدينية في الهواء الطلق . لقد جمع هذا المعبد بين الطرز المعروفة في جنوب بلاد الرافدين التي توضحت باشكال البيوت ذات الفناء الوسطي ومنها معبد "شو–سين su-sin "في تل أسمر وبين الطرز التي عرفت في فجر السلالات ذات الغرف المقدسة الطويلة (١٩).

لم يقتصر اهتمام الملك شمشي ادد الاول في مرحلة بناء المعبد حسب بل امتد الى مابعد البناء فقد جاء في احد النصوص انه يوصي الملوك الذين سيخلفوه في حكم بلاد اشور ان يجددوا هذا المعبد ويدهنوا الواحه المكتوبة ومسلاته وان يعيدوها

الى أماكنها : "**عندما سيصبح هذا المعبد خرابا ، فأي من بين الملوك أبنائي يجدد المعبد فعليه أن يدهن الواحي الطينية المكتوبة ومسلاتي بالدهان ويقدم الاضاحي ويعيدها الى اماكنها** " (٢٠) ثم يطلب من الالهة ان تغضب على كل من يخالف وصيته ويزور كتاباته اويغير مسلاته او يدمرها قائلا : (**وأيا كان لم يدهن الواحي المكتوبة ومسلاتي بالدهن ، ولم يقدم الاضاحي ، ولم يعيدها الى مكانها ، ولكن (بدلا من ذلك) غير مسلاتي وأزال أسمي وكتب اسمه، أو غطى المسلات بالوحل،أو يرميها في الماء ، عسى الالهة شمش وانليل وأدد أن يقتلعوا نسل ذلك الملك ولعل جيشه لايفوز في مواجهة الملك الذي كان ضده ولعل الأله نركال يزيل بالقوة كنوزه وكنوز بلاده ، وعسى الأله عشتار سيدة المعارك تكسر اسلحته وأسلحة جيشه، وعسى الاله سين (اله راسي) أن يكون شيطانه للأبد** "(٢١) .

ب ـ زقورة معبد آشور :

وتعرف بالزقورة الكبيرة تمييزا لها عن زقورات مدينة آشور وسميت يزقورة (أي – أراتا – كي شارا– را = e-aratta- ki- sar- ra) وتعني (بيت الجبل الافخم ما في الكون) وهو مكرس لعبادة الاله انليل ومن ثم لعبادة الاله آشور. (٢٢) ، ويدعى معبدها السفلي بيت الجبل (أي – كور = e –kur) .(٢٣) ،وقد شيدها الملك(شمشي –أددالاول) ضمن معبد الاله آشور وكرسها للاله انليل .، ثم كرست للالهين آشور وانليل من قبل الملك (توكلتي –نورتا الاول = Tukulti Ninurta 1 ١٢٤٤– ١٢٠٨ ق.م) (٢٤) وفي ما بعد كرسها الملك (شلمانصر الثالث= Sulmanusar 111 ٨٥٨– ٨٢٤ ق.م الى الاله آشور(٢٥) . ويذكر الملك (شمشي – أدد الثالث) في كتاباته انه رممها بعد ام اصبحت متهدمة .(٢٦) .

الوصف العام للزقورة :

تقوم الزقورة على قاعدة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها (٦٢م) تقريباً،وتنحرف زواياها عن الجهات الأربع الرئيسة، والباقي من ارتفاعها (٢٠م) وهي مشيدة باللبن على أرض صخرية غير مستوية، الجزء الأسفل من الزقورة مشيد ولارتفاع (٢ – ٣ م) بلبن مربع الشكل أبعاده (٣٤ × ٣٤ × ١٠ سم) وتنسب الى الملك شمشي أدد الأول، ويبدو أن الزقورة تهدمت فقام الملك شلمانصر الثالث (٨٥٨ – ٨٢٤ ق.م) بإزالة انقاضها وقام بتشييدها على قاعدتها القديمة نفسها التي يبلغ ارتفاعها (٢ –٣ م) ، وقد استخدمت حصران القصب بين صفوف اللبن إذ وضعت حصيرة بين كل عشرين صفاً من صفوف اللبن أي بحدود (٢م) تقريباً ، وكلما ارتفعت جدران الزقورة تميل بمقدار (١ سم) لكل (١ متر) ويبدأ هذا الميلان عند ارتفاع (٨٥ سم) من قاعدة الزقورة.

أقيم الضلع الشمالي من الزقورة على مصطبة من اللبن تمتد شمالاً مسافة (٤م) مقابل بوابة المشلال وشيد جدار ساند على سطح هذه المصطبة مزود ببرجين في واجهته المطلة على بوابة المشلال يبرزان قرابة (١ – ٨، ١م) وعرض كل منها يقرب (٥ ، ٦م) والمسافة بينهما (١٩م) تقريباً.

وتعد هذه المصطبة والجدار الساند جزء من استحكامات مدينة آشور القديمة، وقد شيدت واجهة الزقورة الشمالي على الجهة الداخلية مباشرة. وكان الجدار الساند يرتفع مع مواجهة الزقورة وسطحه المقابل للواجهة بمستوى شاقولي بدون ميلان مما ترك فراغ بينهما مليء بالتراب وغطي بأربعة صفوف من اللبن ليلتحم مع الواجهة.

ولم يكشف عن سلالم تؤدي الى الطبقات العليا من الزقورة فمن المحتمل أن الصعود يتم عبر منحدر في الضلع الشرقي منها، إذ كشف عن منحدر يربط المعبد بالزقورة عند هذا الضلع، وقد زين الضلع الشمالي من الزقورة بطلعات ودخلات اختلفت في أبعادها من ضلع لآخر، فكان عرض الدخلات في الضلع الغربي (٤٠ سم) وعمقها (٤٥ سم)، أما في الضلع الشمالي فيبلغ عرض هذه الدخلات (١٥، ١م) وعمقها (٧٦ سم).

ج ـ معبد تل الرماح والزقورة في كرانا : (شكل رقم ٣)

شيد الملك شمشي- أدد الأول المعبد والزقورة في مدينة كرانا القديمة (تل الرماح حالياً) ، فقد عثر المنقبون على جدران هذا المعبد وهي بارتفاع (١١ قدم) فوق مستوى، الأرض، والمعبد مستقيم الشكل أبعاده (٤٥ × ٤٧ م) تقريباً مشيد باللبن على مصطبة يرقي إليها بسلم يقع في منتصف الضلع الشرقي منها، إذ يوصل الى البواية الشرقية الرئيسة للمعبد التي تم التأكيد عليها ، ويتميز معبد تل الرماح بمخطط متناظر بني حسب نوع المحور الطولي، إذ يتم الدخول إليه من خلال البوابة التي تقع في الضلع الشرقي التي تؤدي الى غرفة مدخل ثم الى ساحة وسطية يوجد في ضلعها الغربي (مقدمة خلوة) ثم تعقبها خلوة مقسمة على ثلاثة أقسام وتتوزع الغرف الطولية بشكل متناظر حول الساحة وهناك مدخلان أضافيان للمعبد من جهته الشمالية والجنوبية، وفي الزاوية الشمالية والشرقية للمعبد يوجد سلم يؤدي الى السطح،

وقد زينت واجهات المعبد (بطلعات ودخلات) تكونت باستخدام الأعمدة المدمجة والمزخرفة بشكل حلزونات أو مزينة على شكل جذوع النخل.

الزقورة :

شيدت هذه الزقورة على المصطبة نفسها التي شيد فوقها المعبد وهي تجاور ضلعه الغربي ، وأن قاعدة الزقورة مستطيلة الشكل وأبعادها تبلغ (٣١ × ٢٥ م) تقريباً وتنحرف زواياها عن الجهات الأربع الرئيسة، وقد شيدت باللبن وتتوسطها فجوة صغيرة تبلغ أبعادها (٤.٥ × ٣ م) وعمقها (١٤ م) ورصفت أرضيتها بصف من اللبن وسقفت عند أرتفاع (١٠ م) بقبو تم تسوية سطحه بالتراب ثم أكمل البناء الى قمة الزقورة ، وغلفت أضلاع الزقورة ما عدا ضلعها الشرقي بغلاف من اللبن يبلغ سمكه(٥ ,٢- ٣م) وفصل هذا الغلاف عن لب الزقورة بممر عرضه (٩٠ سم) ويرتبط مع الزقورة بعدة جدران في الضلع الغربي من الزقورة مكوناً صف من الحجرات بدون أي مداخل كل منها بطول (٣.٢٠ م) وبعرض (٩٠ سم) فقط ، ويتضح من صغر حجم هذه الحجرات وعدم العثور على وسيلة للوصول إليها أو مداخل فيها يشير الى أن غرض تشييدها لم يكن للسكن أو الخزن بل كان ضرورة تقنية ، وخلت الزقورة من السلالم الخارجية ويمكن الصعود إليها عبر سطح المعبد .

زينت جدران الزقورة بالزنية نفسها التي زينت بها جدران المعبد وقوامها أعمدة مدمجة بلغ عددها (٢٧٠) عموداً خمسون منها كبير الحجم، ويبلغ عرض كل عمود مدمج (٦٠ سم) مزخرف على شكل حلزونات أو جذوع النخيل ، وزين منتصف الضلع الغربي من الزقورة بدخلة فيها سبعة أعمدة نصف دائرية مدمجة وعلى جانبيها تتناوب أعمدة نصف دائرية مدمجة مع أعمدة مربعة وبعض من هذه الأعمدة الدائرية كانت مزينة بزخرفة جذوع النخيل وأحيط كلا الجانبين بأعمدة حلزونية، أما الواجهة الشمالية والجنوبية من الزقورة فزينت بطلعات ودخلات في كل منها سبعة أعمدة نصف دائرية .

ثانيا – آثاره الفنية :

مسلة النصر للملك شمشي أدد الأول : (شكل رقم ٣)

عثر المنقبون على كسر من مسلة تعود للملك شمشي أدد الأول ، وذلك أثناء تنقيباتهم في منطقة (ماردين) في تركيا، وهي تخلد إحدى الانتصارات التي حققها الملك شمشي أدد في مناطق الفرات العليا .

وقد عملت هذه المسلة من حجر البازلت الصلب ويبلغ أرتفاع هذه القطعة حوالي (٤٠ سم) ونفذت مشاهدها بأسلوب النحت البارز، وقد صور على الوجه الأمامي منها هيئة الملك وهو يطأ بقدمه اليسرى جسد أحد الأعداء الساقطين على

الأرض وهو متكأ بيده اليمنى على الأرض ورافعاً الأخرى نحو رأسه وكأنه يحاول تفادي ضربة أخيرة بفأس كبيرة تظهر واضحة بيد الملك اليمنى .

وقد صور الملك وهو يرتدي ثياب العمل والحروب المفتوحة من الأمام لكي تساعده على الحركة ، ويحيط بخصره حزام ينتهي بزخرفة على هيئة زهرة اللوتس في نهايته .

أما الوجه الثاني من هذه القطعة فقد صور عليه مشهد أحد الأشخاص المقيدين من يديه الاثنتين بالحبال ويظهر مرتدياً ثوباً طويلاً حتى أسفل الركبة يقابله شخص آخر لم يتبق من شكله سوى الأطراف السفلى فقط ويرتدي الثياب نفسها التي يرتديها الأول .

أن الأسلوب الفني الذي صورت به الملابس وتفاصيلها على هذا الجزء من المسلة تشير الى التشابه الكبير مع مجموعة الرسوم الجدارية التي نفذت على جدران قصر زمري ليم (Zimri-lim) في مدينة ماري من العصر البابلي القديم .

الاستنتاجات

في ختام هذا البحث لا يسعني إلا ان اضع بعض النتائج التي انكشفت خلال الكتابة:

١- لاشك أن الملك شمشي – أدد الأول هو أول ملك آشوري مهم في التاريخ الآشوري اذ أسس الدولة الأشورية القديمة

٢- تمخضت جهود الملك شمشي- أدد الأول في مجال البناء و الاعمار من انشاء العديد من المباني الدينية والمدنية .

٣- وثق الملك شمشي- أدد الأول أ عماله العمرانية والفنية على النصب والمسلات والمباني الدينية والمدنية .

٤- لم تقتصرعملية التوثيق لما أنجزه الملك نفسه بل اشتملت على كتابة ما أنجزه الملوك السابقين لعصره من عمليات اعمار وترميم جرت على المباني .

٥- ان الانجازات البنائية واعمال الترميم مؤشرعلى القوة الاقتصادية للدولة الاشورية القديمة

٦- ان لجوء الملوك الى الاعمار والبناء دليل على الاستقرار السياسي للدولة .

٧- ان اهتمام الملك بالعمائر الدينية يعطي انطباعا عن ان ملوك العراق القديم لم يخرجوا عن خط الالتزام الديني امام الآلهة.

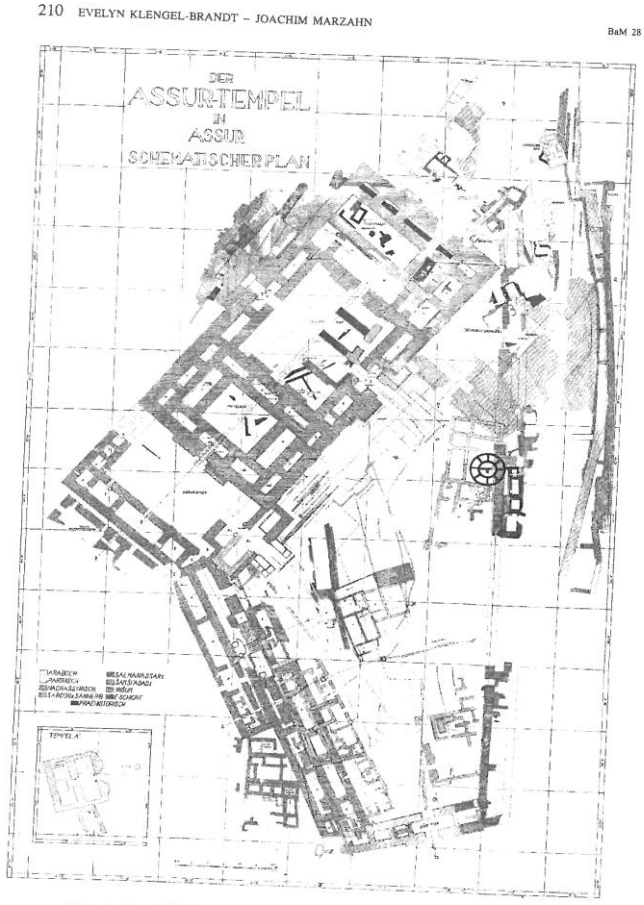

Abb. 1 Grundriß des Assur-Tempels mit eingetragenem Fundort des Hortes Ass 16358, nach Haller - Andrae, Heiligtümer, Taf. 5

شكل رقم (1) معبد الإله أشور في مدينة أشور

Bag.M, Vol.28 (1997) P.210

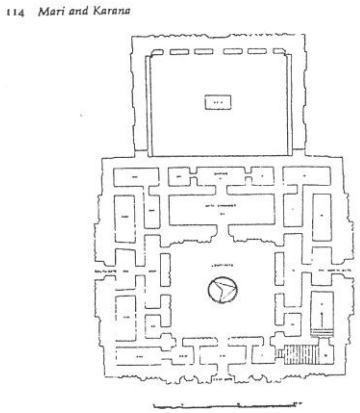

Figure 37 A reconstructed plan of the original temple and ziggurat

شكل رقم (2) مخطط معبد كرانا

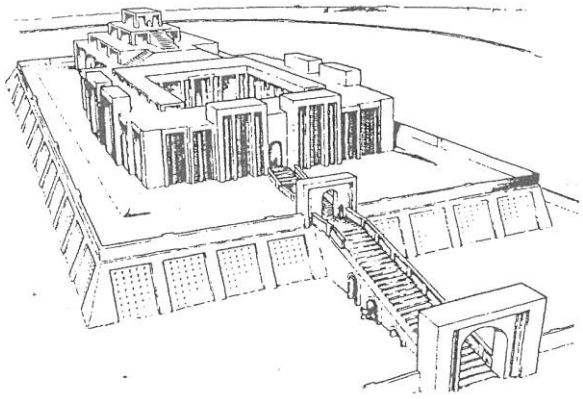

Figure 36 A reconstruction drawing of Karana temple

مجسم توضيحي لمعبد كرانا

Dalley ,S. Op.Cit. P.13

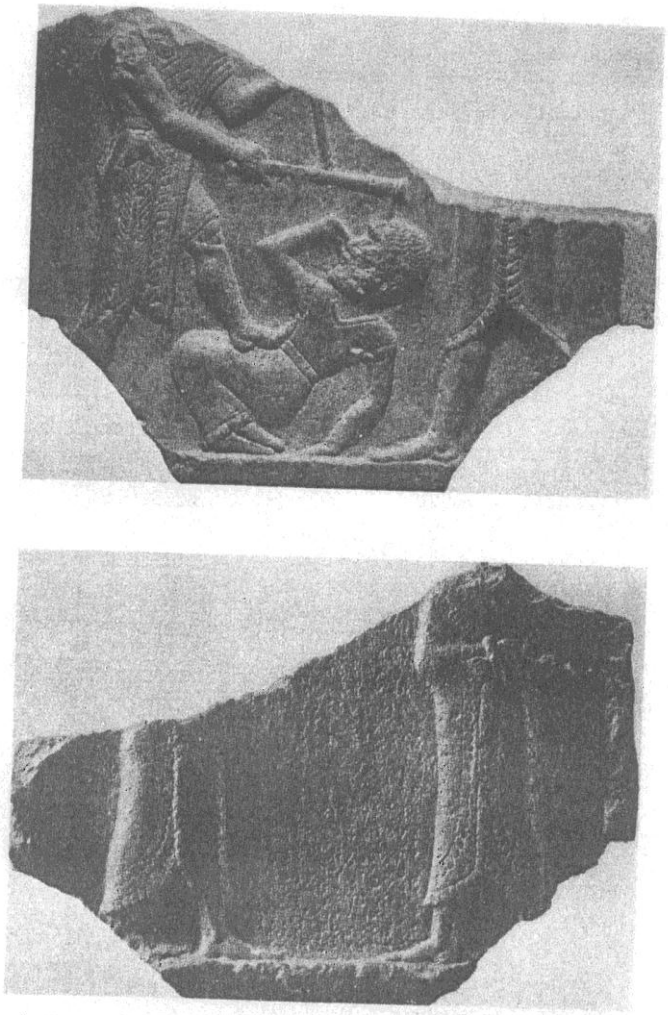

اللوح ٢٠٤ ـ ٢٠٥ جزء من مسلة من حجر البازلت لشمشي ادد الاول ؟ ملك اشور ، من ماردين . الارتفاع ٤٠ سم متحف اللوفر بباريس

شكل ( )
مورتكات ، أنطوان ، المصدر السابق ، ص 240

الهوامش :

١. هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة: عامر ليمان، بغداد، ١٩٩٩، ص٤٥.

2. Lewy, M. Assyria, C. 2600-1816, B.C., CAH, Vol.1, part, (1971), p.310.

٣. أيكا لاتوم: وهي من المدن الآشورية المهمة، وتعرف بقاياها اليوم بـ(تل الهيكل)، وتعرف بمدينة القصور، تقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة على بعد ٢٥كم تقريباً عن قلعة الشرقاط (مدينة آشور). ينظر:

- Hallo, w.w.,Road to Emar, JCS, Vol. 18, (1964), p.76.
- Villard., Shamshi- Abad and Sons, The Rise and fall of an upper Mesopotamia Empire, In Sasson, J.M., Civilization of the Ancient Near East, Vol. 1-2, NewYork, (1995), p.873.

٤. ينظر المصادر الآتية:

- Meissner, B., Babylonien und Assyrien, Heidelberg, (1920), p. 307.
- Lucken bill, D, D., Ancient Records of Assyrian and Baby-Lonian, ARAB, Newyork, (1926), part:1, p.41, No.111.
- Walker, Cuneiform Brick inscriptions, CBI, London, (1981), p.97.
- George, A, R., House Most High The Temples of Ancient MesoPotamia, Indiana, (1993), p.66, No: 56.

٥. ينظر المصادر:

- Luckenbill, D, D., Op.Cit, P. 16, No:43.
- Borger, R. Assyrisch- baby lonische Zeichenliste, Abz, (1981), p.135.
- George, A. R., Op.Cit, 101, No: 486.
- Grayson, A.K., Assyrian Royal Inscription, Vol, 1, Wiesbaden ARI, 1972, p.6, No:33.
- Balack, J., and others, A concise Dictionary of Akkadian CDA, k. p.23.

- George, A.R., Op.Cit, p.112, No: 630.
- Borger, R., Op.Cit. P.177.

٦. ينظر المصادر:

- Luckenbill, D.D. Op.Cit., p.47, No: 135.
- Grayson, A.k., Op.Cit., p. 23, No: 139.
- George, A.R., Op..Cit., p. 121, No: 742.

٧. ينظر:

- George, A.R., Op..Cit., p. 123, No: 765.

٨. ينظر المصدران:

- George, A.R., Op..Cit., p. 124, No: 774.
- Grayson, A.k., Op.Cit., p. 22, No: 137.

٩. ينظر المصدران:

- Borger, R., Op.Cit. P.135.
- George, A.R., Op..Cit., p. 145, No: 1035.

10. - Luckenbill, Op.Cit., p.51, No: 42.
11. - George, A.R., Op..Cit., p. 162, No: 1282.
12. - Luckenbill, D.D. Op.Cit., p.50, No: 40.
13. - George, A.R., Op..Cit., p. 164, No: 1311.
14. - Borger, R., Op.Cit. P.204.
15. - George, A.R., Op..Cit., p. 126, No: 195.

١٦. مؤيد سعيد، العمارة في عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث، موسوعة حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥، ج٣، ص١٤٩-١٥٠.

١٧. فؤاد سفر، آشور، ط١، بغداد، ١٩٦٠، ص٤.

18. - Grayson, Op.Cit., p. 20, No: 126.

١٩. أيفيلين كلينكل، بعض الملاحظات حول أقدم تاريخ لمعبد آشور في مدينة آشور، مجلة سومر، مجلد ٣٥، بغداد، ١٩٧٩، ص٤٠٢.

٢٠. مؤيد سعيد، المصدر السابق، ص١٤٩-١٥٠.

21. - Grayson, A.k., Op.Cit., p. 21, No: 129.

22. - Ibid, P.21, No: 130.
23. - George, A.R., Op..Cit., p. 69, No: 90.
24. - Ibid, P.116, No: 678.

٢٥. ينظر المصدران:

- Andrae, W., Pas Wiederestandene Assur, Leipzig, (1938), p. 88-89.
- Parrot, A., Les Fouilles de Mari, Paris, (1949), p. 102..

٢٦. وجدت هذه النصوص التكريسية على قرص ذهبي وآخر فضي يذكر فيها أنه أهدى هذه الزقورة للإله آشور. ينظر:

27. - Andrae, W., Op.Cit, p. 91.
28. - Grayson, A.k., Op.Cit., p. 32, No: 188.

٢٩. محمد صبحي عبد الله، موجز لأعمال الصيانة والتنقيب في القاطع الشمالي من مدينة آشور، مجلة سومر، ١٩٨٦، ص٥٨.

30. - Andrae, W., Op.Cit, p. 89.

٣١. محمد صبحي عبد الله، المصدر السابق، ص٨٥.

٣٢. ٣١ محمد زكي عبد الكريم، زقورة آشور، تقرير الهيئة العامة للآثار والتراث، محفوظ في قسم التوثيق في المتحف العراقي سنة ١٩٨٧.

٣٣. فالتر آندريه، استحكامات آشور، ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن، بغداد، ١٩٨٧، ص١٢٠.

٣٤. عبد الكريم محمد زكي، المصدر السابق، والصفحة.

٣٥. المصدر نفسه والصفحة.

36. - Andrae, W., Op.Cit, p. 91.

٣٧. تقع مدينة كرانا القديمة (تل الرماح) في سهل سنجار شمال غربي العراق على بعد ١٣ كم إلى الجنوب من بلدة تلعفر، ينظر:

38. - Oates, D., The Excavation at Tell Al-Rimah, Iraq, Vol. 27, part2, (1964), p.67.

39. - Ibid, p. 115-125.

٤٠. واثق إسماعيل الصالحي، شواهد عمارية من العصر البابلي القديم، مجلة المورد، ملف خاص عن حضارة بابل، مجلد ٢٦، عدد٣، بغداد، ١٩٨٧، ص٨٠ وما بعدها.

٤١. المصدر نفسه والصفحات.

٤٢. المصدر نفسه والصفحات.

43. - Oates, D., Op. Cit. Vol. 28, 1966, p. 85.

44. - Ibid, p. 85FF.

٤٥. أوسام بحر جرك، الزقورة ظاهرة حضارية مميزة في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٨، ص١٣٩.

٤٦. واثق إسماعيل الصالحي، المصدر السابق، ص٨٥ وما بعدها.

٤٧. المصدر نفسه والصفحات.

48. - Oates, D., Op. Cit., p. 132.

٤٩. عثر على رقيم طيني في قرية (شمشارة) في شمال العراق يبين أن هذه المسلة تعود للملك شمشي – آدد الأول، ينظر: أنطوان مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٥، ص٢٤١.

٥٠. طارق مظلوم، النحت في عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث، موسوعة حضارة العراق، ج٤، بغداد، ١٩٨٥، ص٦٨-٦٩.

٥١. المصدر نفسه، ص٢٤٠.

52. Parrot, A., Scenes De Guerre Alarsa, Iraq, Vol. 30, (1986), p. 65.

٥٣. طارق مظلوم، المصدر السابق، ص٦٨.

٥٤. انطوان مورتكات، المصدر السابق، ص٢٤١.

55. - Parrot. A. Op. Cit., p. 66.

٥٦. انطوان مورتكات، المصدر السابق، ص٢٣٨.

Abstract

The Assyrian king Shamshi - Adad I occupies the first position among the Assyrian kings over all the Assyrian history in general, he is the founder of the first state or an independent political entity of the Assyrians in the ancient Iraq.

The period of this King has seen the completion of many of the architectural and artistic achievements , as well as his works in administrative and military, and they found many structural texts talking about the activity of architectural which achieved by this king , and create many of the double temples such as the temple of the god Anu and Adad (E -Anu-Adad) and non-double temple, such as wild ox temple of the country (E-am kur-kur-ra)) and ziggurats like a ziggurat temple deity Enlil in the city of Assur. This king has spared no effort in the reconstruction and renovation of cities and walls and evidenced by activity in the cities of Assyria and Mari and Karana, and set up memorials and obelisks commemorating victories of Assyria on its enemies.

الرمزية في الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين وحضارة ايران قديما

م.د. خمائل شاكر ابو خضير

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية

الرمزية في الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين وحضارة ايران قديما

م.د. خمائل شاكر ابو خضير

المقدمة :

إنّ ما يميز الإنسان ويعطيه خصوصية وجودية هو القدرة التي يملكها على استيعاب الأشياء وإنشاء الرموز وشبكة المعاني، فالعيش بالرموز وتوظيفها فعالية إنسانية بكلّ امتياز، بها يعيش الإنسان ويؤثث وجوده ويبني عالمه المادي والمعنوي ويرسي نظام الأشياء والعلاقات بينه وبين الآخرين من الناس. ودلالة الأشياء والعلاقات لا تدرك إلاّ من خلال استعمالاتها وممّا تتضمّنه من معنى في حياتهم وممّا تتخذه من دلالة في متخيّلهم الجمعي.

وقد استطاع الانسان القديم ان يحيط نفسه منذ الازل بهالة من الرموز التي تحمل دلالات ومعاني معينة ، وهذه الرموز كانت مستنبطة من ثقافته وبيئته التي يعيش فيها وكون من خلالها عالمه الخاص .

وان الرموز التي اتخذها قديما اصبحت لغة تعكس صورة مرئية لتفكير الانسان تجاه الطبيعة والقوة المسيطرة عليها،سواء كانت دينية او دنيوية ، ولكن كان للرموز الدينية اهمية خاصة تميزها عن باقي العلامات والإشارات الرمزية لانها تعطي انفعالات عاطفية وتوقظ الحواس والنفس ومداركها بالنسبة للإنسان القديم ، من هنا نجد ان الدين والرمز كانا ذو علاقة تفاعلية بسبب وجود اشياء لا تعد ولا تحص خارج نطاق الوعي البشري الذي لا يمكن التعبير عنه إلا من خلال الرمز الديني الذي اثر في حياته في زمان ومكان معين وقد صيغ هذا الرمز وتطور جراء التجربة الدينية البدائية لديه وبذلك ادخل الانسان القديم الرمز الديني ضمن اطار قدسية

الاشياء ولاسيما الظواهر الكونية التي يبين العلاقة مع الاله الغير مدرك ماديا ويكون حلقة تواصل تربط اعضاءه او بني جنسه مع بعضهم لما يولده الرمز من هيبة وخوف ورجاء ومحبه كتعبير عن خلجات النفس البشرية او كما يطلع عليه بمعنى اخر تعبير نفسي سيكولوجي.

اهمية البحث:

تأتي اهمية بحثنا من خلال التعرف على اهمية وماهية تلك الرموز الدينية التي اخذت حيزا كبيرا في تفكير الانسان القديم سواء في بلاد الرافدين او ايران قديما سواء ما يخص رموز وإشارات التي عبر عنها لروح الاله التي عدت كرموز لتعبير عن حوادث تعايش معها من اجل ادراك وكشف معاني ودلالات تلك الرموز المقدسة للإنسان القديم والغرض الذي صيغة من اجله ، مع بيان اوجه التشابه والاختلاف في رموز الحضارتين الرافدينية والإيرانية قديما.

اولا : الرمز والجدوى منه:

يقصد بالرمز الشكل الذي يدل على شيء ما ، له وجود قائم بذاته يمثله ويحل محله[١]، فالرمز لغة ايحاء وقد اصطلح به لوجود رابطة او قرينة معنوية بين الدلالة والمدلول وقد تميز الانسان بقدرته على انتاج الرموز واستخدامه لها وسعيه دائما منذ نشأة الحياة الى تنمية هذه العملية التي شكلت له لغة باختلاف اشكالها[٢]، وهذه المصطلح (الرمز) يعطى لشيء مرئي يمثل للعقل تشابه غير واضح ولكنه يتحقق بالمشاركة معه [٣]، ربما يتشابه معه بالمعنى والمدلول.

كما يعرف الرمز على انه مذهب في الفن والأدب يعتمد الايحاء والتلميح برموزه المنبثقة من الصورة الحسية والأساطير ويترك للقارئ مجالا للتصور والخيال لإكمال الدلالات الرمزية كما توحي بها [٤].

ويُعد الرمز هو علامة مرئية فاعلة ويظهر كأمر حامل لقوى نفسية واجتماعية[٥]، ويمكن ان يعرف ايضا على انه علامة تقارب يمكن من خلاله التعارف بين الحلفاء والاتحاد بين المتعبدين[٦].

ويشير (الياد)[٧]، الى ان كلمة رمز مشتقة من الكلمة اليونانية sumbolon المشتقة بدورها من الكلمة sumbally و التي تفيد "التوثيق أو الربط " و كان المرموز علامة للتعارف، و أي شيء مقسم إلى قسمين متساويين يسمح بالتقارب لحامليهما و التعارف كأخوين و أن يستقبل كل منهما الآخر بحفاوة بالغة دون أن يكونا قد تقابلا من قبل.

وجاءت كلمة الرمز (Symbol) عبارة عن صورة أو تمثال أو إشارة أو علامة تدل على معنى الرمز، والرمز فن قائم بذاته يُدل به على الأشياء المعنوية بدافع التشابه والتماثل فيما بينها وقد تداوله الأقدمين في الأمور العقائدية والأدبية[٨]، والرمز تعبير اصطلاحي يحل محل غيره ويصبح بديلاً عنه كعلاقة اصطلاحية رمزية تستخدم استخداماً متصاعداً لتمثل مجموعة من الأشياء أو نوعاً من أنواع العلامات[٩].

ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا ان للرمز وظيفة مهمة وهي ارساء رابطة العلاقة بين الناس اي انه يحدد فعلا اجتماعيا بمعنى اخر انها واقع داخل المجتمع [١٠]، هذا من جهة ومن جهة اخرى يمكن ان نعطي وظيفة اخرى للرمز الديني وهي اعادة بناء التصورات لتتجاوز المعنى الظاهري للموضوع الى المعنى الباطني ودلالات المعني الرمزي [١١]، اي ان الرمز يمثل انظمة قابعة خلف اللغة اي انه لا يمكن ان يشكل اي قيمة فعلية إلا اذا كان مفهوما ومدركا من جانب جماعة بشرية بمجملها تعيش نفس الوضع البيئي والاجتماعي والاقتصادي[١٢].

يشير احد القديسين (اغسطين) في كتابه العقيدة المسيحية[١٣]، الى ان الرمز هو معبر دائم عن حقيقة مبهمة وهي بشكل واقعية في ما تعنيه فالإبداع الرمزي يظهر

بمثابة التقاء شي مادي محسوس مع العقل الانساني ، وبمعنى اخر ان الرمزية هي المقدرة التي يمتلكها الانسان ليتجاوز بها عن الظاهرة المادية للأشياء .

وهنا نلاحظ ان الانسان يرى في الرمز قوة حيوية تربطه بالشيء المقدس فتحوله من شيء غير مرئي الى شيء مرئي محسوس وهذا يعني ان الرمز يحول الظاهرة الى فكرة والتي تتحول بدورها الى صورة وبشكل تبقى معه الفكرة ناشطة دائما داخل الصورة ومنيعة وحية الى ما لا نهاية [١٤].

ولكن نلاحظ ان كل عملية رمزية تكون مشروطة بفعل او تجربة اجتماعية وثقافية ودينية من اجل اعطاء تفسير ومعنى مناسب للرمز ذاته مثال ذلك اتخاذ رمز الانوثة والجسد الانثوي(انظر شكل (١) للتعبير عن الهة الطبيعة والخصب(الالهة الام)[١٥]، والتي تشير الى العطاء ووفرة الارض وغنى الطبيعة فنلاحظ ان الإنسان القديم تعامل مع الأرض بوصفها رحماً ، يمنح الحياة ديمومتها ويطرح للخارج كل ما له صلة ببقاء الحياة بتطورها[١٦]، وملثما تعطي الام وتضحي من اجل اولادها فقد شبهة الارض بها لذا نلاحظ اغلب المنحوتات تصور الطبيعة على انها امرأة ترضع طفلاً، مع أطفال آخرين ملتفين بثوبها[١٧].

من هنا نستطيع ان نربط بدقة تحليل الرموز الدينية بمجمل التراث العقائدي الداخلي الذي يمنح الرمز معنى خاص يخص للتجربة الانسانية والبيئة التي نشأ فيها ذلك الرمز، الذي من الممكن ان يتضمن معانى ودلالات عديدة مرتبطة بالواقع البشري والثقافي الذي ظهر فيه الرمز لأنه يعد انعكاسا الوعي والواقع الذي عاشه الانسان قديما .

ثانيا : علاقة الرمز بالدين:

يعد الدين نوع من الاحساس الذي يجعلنا نسبح في بحر من الاسرار ، اذ عرف على انه عنصر اساسي في التكوين الفطري للإنسان وانه وجد منذ الازل[١٨]، ويتكون

الدين في نفس الوقت من مجموعة من الانساق والدلالات المعاني الرمزية لان النظام الديني ما هو إلا مجموعة من الرموز المقدسة المتكاملة والمحبوكة التي تكونت من خلال تراكم هائل للتجربة الدينية والثقافية للإنسان[١٩]، وهذا التجربة بدورها خلقت انواع عديدة من الرموز الدينية التي اكتسبت طابعها الخاص، كما ساهمت المؤثرات البيئية والثقافية وعوامل اخرى في بروز وتعدد الاديان والتي نمت معها الاساطير والخرافات والشعوذة والسحر والطقوس الدينية وبرز بذلك ما هو ايجابي وسلبي او بعبارة اخرى ما هو مقدس وما هو مدنس[٢٠]،أي ان الدين اخذ يتطور كما هو حال الانسان في مراحل حياته .

ونجد ان الانسان القديم حاول ان يجسد منذ البدء ما يراه مقدسا او ان يجسد الدلالات والمعاني التي تراث له من خلال تجربته مع البيئة والطبيعة في صورة مادية ملموسة فكانت الوسيلة الوحيدة له هو الرموز الدينية والتي تختلف عن غيرها من العلامات والإشارات الاخرى في كونها تعبر عن انفعالات عاطفية وتعكس تصور الانسان وحواسه اتجاه الشيء المقدس له وهي بذلك تعتبر انعكاس وظل للواقع العلوي الذي لا يستطيع الانسان ادراكه [٢١].

ويصف (كليفورد) الدين في كتابه تأويل الثقافات [٢٢]، ((انه نظام رمزي ذو اغراض اجتماعية وانه في ذات الوقت نظام من الرموز يعمل على اقامة حالات نفسية وحوافز قوية وشاملة ودائمة بين الناس عن طريق صياغة مفهومات عن نظام الوجود مع اضفاء هالة الى الواقعية على هذه المفهومات بحيث تبدو هذه الحالات النفسية والحوافز واقية بشكل فردي)).

لذلك فان الرموز تعطينا فكرة اكثر وضوحا عن التجربة الدينية والأشياء المقدسة للمجتمعات لأنها تحدد شخصيتها وتبرز الهوية الدينية والثقافية لتلك المجتمعات وعليه لا يمكن دراسة الرمز يتجاوز منظومة الفكر الذي نشأ فيه [٢٣].

وكما ان الدين يمثل مجالا واسع من الانشطة والأشكال والرموز في غاية الاهمية بالنسبة للأفراد والمجتمعات فمثلا نجد ان الالوان والزمان والمكان ما هي إلا اشياء متجانسة وحيادية في طبيعتها ولكن عند اضاء او اسباغها ببعض الدلالات الرمزية الدينية تكسبها معاني مختلفة تختلف حسب الهوية الدينية والثقافية للمجتمعات وتختلف من حضارة الى اخرى حسب البيئة التي ظهرت فيها[٢٤] ، على سبيل المثال نجد ان اللون الاحمر في بلاد الرافدين يشير الى الحياة لذلك نرى ان اغلب الدمى التي وجدت داخل المدفن قد طليت باللون الاحمر كما ان الجثث كانت تطلى بالون الاحمر من اجل اسباغ او الاحياء بعودة الحياة لها[٢٥]، من هنا نلاحظ ان دراسة الالوان تساعدنا في معرفة المعنى الخفي الكامن وراء استخدامها .

ونلاحظ ان ايجاد علاقة ذات معنى بين القيم الدينية التي يعتنقها أي شعب والنظام العام (الطبيعي) الذي يجد الشعب فيه ذاته هو عنصر اساسي في كل الاديان بصرف النظر عن كيفية تصور هذه القيم او ذاك النظام ومهما كان الامر فان جزء من ذلك الدين هو محاولة للحفاظ المعاني العامة التي يفسر من خلالها الشعب او الفرد تجربته وينظم سلوكه وتكون هذه محاولة باطنية ضمنية وتمس بالأساس الداخلي لتركيبة الفرد ولا تكون صريحة في بؤرة الوعي وهذه المحاولات والمعاني التي نتكلم عنها لا يمكن تخزينها إلا في بشكل رموز وصور تحمل تلك المعاني [٢٦]، ومن هنا جاء الدين مرتبط بشكل كبير بالرموز التي تدل على كل ما هو مقدس بالنسبة لشعوب العالم القديم ، كما ان اغلب تلك الرموز ما هي إلا محكاه الواقع الدينيي وتركزه بشكل اساس على الشكل او المضمون ونلاحظ هنا تأثير كبير للواقع الجغرافي البيئي وعامل رئيس في تشكيل الرموز الدينية او الاشكال والفن الديني ويعبر (الياد)[٢٧]،عن ذلك ((بان كل الرموز والطقوس التي تتعلق بالمعابد والمدن والمنازل تشق في اخر المطاف من التجربة البيئية للحيز المقدس)) لذا نرى ان الانسان القديم في بلاد

الرافدين وبلاد ايران قديما اوجد علاقة لا انفصام فيها بين ما هو مقدس او الالهة وبين الطبيعة البيئية التي نشا فيها اذ استخدم ما وجد في بيئته من اشكال الحياة (من حيوانات او نباتات او ظواهر كونية) رموز وعلامة للإشارة الى ذلك الشيء المقدس .

وعليه نجد ان للرمز الديني دورا بارزا في الحياة الدينية البشرية وبفضل هذه الرموز كما يشير (الياد)[٢٨]، يصبح العالم شفافا وقابلا كما ويجعل العالم الروحي للديانة حاضرا معاشا يتم تدوله ويضفي باستمرار الهيبة والخوف والرجاء في نفس الانسان .

ثالثا : الاشكال الرمزية للديانة في حضارتي بلاد الرافدين وإيران

شكلت البيئة دور كبير في تكوين ونشأة الالهة فعبدت المكونات والعناصر التي تمثل وتكون العالم الديني الطبيعي ، فحاول الانسان في بلاد الرافدين وإيران حاول معالجة الامور التي لا يستطيع تفسيرها، إلا عن طريق ايجاد طريقة تعبر عن ذلك التفكير الذي يحاول تفسيره وتجسيده بشيء مادي ملموس اذ ان الانسان كان عاجز امام تقلبات الطبيعة وما يدور حوله من ظواهر كل هذا دفعه الى تقديس ما يحيط به من حركة الشمس والقمر وتغير الليل والنهار وتقلبات المناخ واختلاف الحيوانات وتفاوت قوتها وضرها ونفعها لذلك تعددت اوجه الالهة لديه بسبب تنوع وتعدد الظواهر الكونية والطبيعية التي يعيش فيها ، يضاف الى ذلك ان انسان العصور القديمة اعتقد ان هناك علاقة قوية بين السماء والأرض وهذا يعني ان كل جسم مخلوق لا بد ان ينتمي الى احد الالهة [٢٩].

من هنا اوجد الانسان وخاصة في بلاد الرافدين اشكال عديدة من الرموز التي يشير بها الى الالهة وهذه الرموز ما هي إلا محاكاة للظواهر الطبيعية ، ولم تكن هذه الرموز واحدة او محددة بل تنوعت اشكالها فظهرت الاشكال الحيوانية لما تجسد فيها من صفات تبعث الخوف والرهبة او ماهي تدل على الخصب والثراء ، ومنها اتخذ من

النباتات رموز وإشكال تشير الى الالهة وما تميزت به وهناك من الرموز ما هو مزدوج بين حيوانين او اكثر ، ولم تكن الظواهر الكونية بعيدة عن فكر الانسان القديم بل اتخذها ايضا رموز مقدسة تشير الى معاني ودلالات تخص الالهة والمعتقدات الدينية التي يعتنقها الانسان ونتيجة لتعدد وتنوع هذه الاشكال سوف يقتصر بحثنا على بعض الرموز التي اثرت بشكل كبير في الانسان القديم في بلاد الرافدين وإيران وكان تأثيرها ومعناها على الالهة بل اتخذها الانسان وخاصة الملوك رموز مقدسة وخاصة بهم فضلا عن ذلك ان لها ديمومة واستمرارية في الفكر القديم وربما بعضها مايزال يتخذ رموز مقدسة الى الان .

ويجب ان نشير هنا الى ان اغلب المظاهر الدينية والمعتقدات والطقوس انتقلت الى بلاد ايران منذ القدم وذلك بسبب عوامل عديدة منها جغرافية باعتبار سهل الاحواز في الاجزاء الجنوبية الغربية من ايران هو امتداد للسهل الرسوبي لبلاد الرافدين[٣٠]، مما سهل عملية الانتقال بين الطرفين ، فضلا عن ذلك فان الصراعات المستمرة بين بلاد الرافدين بدأ من عصر فجر السلالات الى نهاية الحكم الاشوري ساهمت بشكل كبير على نقل اغلب المظاهر الحضارية [٣١]،وساهمت بشكل فعال في عملية التأثير بين الطريفين وخاصة من ناحية المعتقدات الدينية [٣٢]،ونلاحظ ان مسالة التأثير بدت واضحة من خلال الاثار التي وجدت في مدينة سوسة عاصمة العيلاميين[٣٣]، اذ وجد نوع من الفخار وعليه رسوم تشابه تلك التي ظهرت في بلاد الرافدين في عصر جمدة نصر تصور نوع من الطقوس الدينية [٣٤]، اما بالنسبة للديانة القديمة وخاصة العيلامية فلا يعرف عنها إلا القليل والذي جاء مشابه للديانة السومرية ذات الالهة المتعددة ، كما ان صفات الالهة جاءت مشابهة لصفات الالهة في بلاد الرافدين[٣٥]، وهذا ان دل على شيء يدل على مدى التأثر بين الحضارتين اذ ما علمنا ان بلاد عيلام

كانت في اوقات عديد خاضعة للحكم الدول والإمبراطوريات التي نشأت في بلاد الرافدين وهذا بحد ذاته ساهم بشكل فعال في عملية التشابه الثقافي بين الطرفين .

رمزية الالهة الكونية

لقد تعددت مظاهر وأشكال الكونية التي لفتت انتباه الانسان قديما وقد ثارت السماء اعجابه بما حوته من كواكب ونجوم وشمس وقمر وما يحدث من اختلاف الليل والنهار وجعله يفكر فيها ويتأمل في تغير اشكالها وحركاتها وما يرافقها من تغيرات مما دفعه ال تقديسها ومهابتها ، فكانت او تلك الاشكال والظواهر التي لفتت انتباهه هي الشمس الذي يسمى في السومرية" أوتو "وفي الأكدية شمش، فانبهر بها وقدسها وعندما شاهد توهجها الذي يجلب له الضوء والدفء والحرارة اصبحت مصدر مهم في حياته[٣٦]، مما ادى الى الاعتقاد ان الشمس هي مبعث كل الخير والشر فاتخذها الهة له وكان يرمز لها بقرص ذي اربع خطوط تنبعث منها حزمة الاشعة[٣٧]، استخدمت الأشكال القرص المشع في بلاد الرافدين مند عصور قديمة ، ووجدت نماذج منها في زينة اواني فخارية لثقافة عصري حَلَف حوالي (٦٠٠٠- ٤٥٠٠ ق . م) والعُبيد حوالي (٥٥٠٠ -٤٠٠٠ ق . م) وقد رمز له على شكل صليب باتجاهاته الاربعة (انظر شكل ٢)، وقد استخدم الصليب في العلامات الكتابية للشمس ثم تطور الرمز على شكل صليب بداخل دائرة منذ عصر جمدة نصر ولكن هذا الشكل اخذ بالتطور ففي عصر فجر السلالات اصبح عل شكل قرص اشعة ارباعية وهي تشير الى الاتجاهات الاربعة للعالم [٣٨]، واستمرت فكرة رمز الدائري للتعبير عن اله الشمس في العهد الاكدي اذ يظهر اله الشمس في احد الاختام التي تعود الى العصر الاكدي بهيئة قرص وبداخله نجمة مدببة الاطراف ([٣٩])(اظر شكل ، اما في العهد البابلي كان يرمز اليه قرص بنجمة ذات اربع اضلاع مدببة وتتخللها الاشعة [٤٠]،(انظر شكل رقم٣) .

اما في العصر الاشوري فقد رمز لإله الشمس بقرص يظهر في وسطه رجل يحمل قوسا يرمي به سهما وهو يتوسط قرص شمسي المجنح تخرج منه الاشعة فهو يمثل الاله اشور [٤١] ، (انظر شكل رقم ٤-٥)،حمل قرص الشمس عدة معان ، كرمز للخصب والحياة والطاقة والعدل ، وهو يمنح الإنسان اهم ملامح الحيوية والنشاط [٤٢].

هذه الفكرة انتقلت الى بلاد ايران قديما منذ الالف الثالث قبل الميلاد فقد اتخذت الشمس الها مقدسا ويرمز لها بقرص دائري[٤٣]، ونجد ان عبادة هذا الاله استمرت وازدهرت ايام الديانة الزرادشتية ايام الدولة الاخمينية [٤٤]، اذ اصبح اله الشمس رمز زرادشتي يعبر عنه بالاله الاعلى (اهورامزدا) الذي يملك الحرارة والقوة والنار وأصبحت الشمس ترمز الى صورة زرادشية يمد جناحيه في الافق كالشمس عندما تنشر اشعتها على جميع البشر(انظر شكل ٦)، ليظهر بذلك قوة وسطوة الاله الزرادشتي[٤٥]، ويبدو ان الشكل الدائري الذي اتخذه الانسان رمزا للآلهة ما هو إلا دليل على الاستمرارية ودورة الحياة والبعث ، وفي نفس الوقت يشير محيط الدائرة إلى الغير متناهي الذي لا تحدُّه بداية أو نهاية فعند وضع تمثال الاله في داخل ذلك القرص او الدائرة فهو يشير الى ان هذا الاله هو المتحكم في فضاء تلك الدائرة او الكون الذي لا نهاية له .

ونلاحظ رمزية الدائرة لها خصوصية في العقائد الدينية في حضارة بلاد الرافدين وما اثررت به على حضارة بلاد ايران اذ نرى اغلب النقوش التي تعود الى العصور القديم تشير الى الاشكال الدائرية مثلا النقش الذي يصور نساء يقفن وينثرن شعورهن ويقمن بتحريكه في الهواء وهذا ربما يكون جزء من الطقسة السحرية التي تشير الى جلب الامطار والخصب[٤٦]، كانت تقام في عصر سامراء(انظر شكل ٧-٨) ، كما وجدت اواني فخارية في مدينة سوسة رسمت عليها مناظر تصويرية مشابهة لتلك الطقوس السحرية(انظر شكل٩)، التي وجدت في بلاد الرافدين وهي تمثل الشكل

الدائري[٤٧]، وهذه الوقفة الدائرية وبهذا الشكل ربما تشير الى استمرارية الحياة ودورانها وهن بهذه الحركة الدائرية ربما يشرن الى دائرية الكون والحياة التي ترمز للتجدد والاستمرارية.

من الظواهر والإجرام الكونية التي لفتت انتباه الانسان العراقي القديم هو القمر والذي اكتسب اهمية كبيرة ليس على مستوى حضارة بلاد الرافدين فحسب وإنما في كل بلدان الشرق الادنى القديم اذ انه يرى اكبر الاجرام السماوية وأقربها بالنسبة للأرض اذ انه مكن البشر من تحديد الوحدات الزمنية لان القمر يحتوي على ظواهر واوجه مختلفة جعلته الجرم السماوي الوحيد في السماء الذي ساعد الانسان على اتخاذه تقويما يحدد من خلاله دورته الشهرية وحدات زمنية [٤٨]، لذا دون اسم هذا الاله بالعلامتين المسماريتين SES.Ki حيث ان العلامة المسمارية SES(=ahi) تعني الاخ ، والعلامة Ki(=ersetu) تعني الارض وبذلك تكون ترجمة العلامة المسمارية (اخو الارض)[٤٩]، اما التسمية السومرية فهي (نانا Nannr) والتي جاءت دالة على طبيعة القمر التي تمنح الليالي المظلمة النور اذ ان هذه التسمية تعني(المصباح او المنير) [٥٠]،اما التسمية الاكدية لاله القمر فهي سين (=Suen) Sin وقد كتبت هذه التسمية بالعلامتين المسماريتين ^{d}En-Zu ومعناها باللغة السومرية السيد العارف او سيد الاعماق [٥١]، وهذه التسمية انتشرت خلال العصر الاكدي حتى نهاية عصر سلالة اور الثالثة ثم اقتصرت فيما بعد على اسماء الاعلام وهذا يتضح بشكل جلي في اسماء اخر ثلاث ملوك ذلك العصر(عصر سلالة اور الثالثة)[٥٢].

اما اهم رموز هذا الاله هو الهلال وهذا الرمز رغم انه يمثل حالة من حالات التي يتجسد فيها القمر في السماء إلا ان الرمز الهلالي يكون شبيه في شكله الى شكل زورق مرفوع الطرفين وفي بعض الاحيان يرمز له بالهلال والنجمة التي تعد رمز يشار به للآلهة العليا(انظر شكل ١٠-١١) يسير فيه الاله فوق الماء ويقطع بواسطته

الاله المسافات السماوية [٥٣]، وهذا الرمز كثيرا ما ظهر ضمن الاختام الاسطوانية التي ظهرت في العصر الاكدي اذ عثر عام ١٩٨٥م في مدينة تلو على قطعة طينية تحتوي جوانبها على ختم اسطواني يصور فيه الاله سين جالسا على عرشه وقرنا التاج الذي فوق رأسه تحملان الهلال رمز اله القمر والى الامام تجلس زوجته الالهة ننكال وعلى راسها تاجها المقرن ويمسك كل منهما بيده كاس والى الخلف من كليهما يقف اله يلبس كل منهما براسه تاجا مقرنا يشبه تاج الاله الاخر وهذا الختم يعد اقدم مشهد معروف يرمز للاله القمر [٥٤](انظر شكل رقم ١٢) وهذا الرمز تكرر في الاختام التي ظهرت خلال سلالة اور الثالثة والعصر البابلي والاشوري والبابلي الحديث [٥٥].

وكان للرمز الاجرام السماوية انتشار واسع في المعتقدات العراقية القديمة فلم يقتصر الامر على استخدام الشمس والهلال كرموز دينية بل كان للنجوم اهمية كبيرة في الرمزية الدينية للإشارة ، اذ اتخذت النجمة المسائية او الصباحية رمز للآلهة (اينانا) (عشتار)الهة الحب والحرب في بلاد الرافدين ورغم ان هذا الرمز لا ينتمي ال الاصول السومرية بل هو من الرموز التي نسبت الى الاله اينانا منذ العهد الاكدي[٥٦]، اذ كان يرمز لها في عصر الوركاء وجمدة نصر أي في حدود الالف الرابع ق.م كان رمزها عبارة عن قصبة مدببة ومحززة بثلاث حزوز وعل كل جانب منها ثلاث حلقات وفي نفس العصر اصبح رمزها عبارة عن قصبتين معقوفتين كل منهما بستة حزوز ولهما في رأسهما ذيلين من الحرير وهذا الرمز مأخوذ من قصبه الراعي الذي كان ملازما للآلهة اينانا [٥٧]، (انظر شكل رقم١٣) ، وهذه الرموز السومرية ربما دلت عل الخصب والإنماء ،وفي العصور السومرية اللاحقة اتخذت رمز زهرة الاقحوان ذات الثمان اوراق[٥٨]، والتي تمثل شجرة الحياة رمز لها(انظر شكل رقم١٤)، ولربما منها اوجد الجزريين شكل النجمة لاحقا والذي اخذ يشير الى الالهة

عشتار، ومع دخول الجزريين ال بلاد الرافدين اتخذت النجمة الثمانية او ذات الستة عشر ضلع ضمن دائرة رمز للآلهة عشتار

١- الرمزية النباتية

مثلما اثرت السماء في الانسان فقد اثرت الارض وما ينبت فيها من شجر وحشائش ونباتات مختلفة ذات صفات معينة في نفسه واخذ يقدسها ويحترمها ويتخذها رموز مهمة في حياته ، ومن هذه الاشكال النباتية التي اعجب بها وقدسها واحتلت مكانة مميزة وقدسية في نفسه هي:

النخلة

احتلت النخلة مكانة مميزة ليس في العراق القديم فحسب بل انها كانت رمزا مهما عند الحضارات الاخرى مثل بلاد وادي النيل والحضارات التي تلتها في العالم و حتى يومنا هذا [٥٩]، وقد عرفت شجرة النخلة بالمصطلح السومري ((GISIMMAR))[٦٠]، وتكتب بالمقطع SA_6 ويقابلها باللغة الاكدية **gisimmaru** وتعني ايضا النخلة [٦١]، من اهم الاشجار التي ترمز الى الحياة [٦٢] ، والتي اطلق عليها السومريون اسم (**gish-shir-gal**) أي الشجرة العظيمة[٦٣]، وهذه الشجرة رمز الإله تموز إله الخصب الذكوري بحسب أسطورة عشتار وتموز [٦٤]، وقد عدت النخلة في بلاد الرافدين رمز القطبية ومركز العالم والكون وثمارها نجوم الكون وجذورها العالم السفلي ، والسماء اوراقها وأفرعها لذا عدت من اهم رموز الدلالة عل الحياة والاستمرارية [٦٥]، وقد وردت شجرة الحياة (النخلة) في العديد من الاساطير في بلاد الرافدين والتي تشير الى الخصوبة والحياة مثل اسطورة إينانا وشوكالتودا[٦٦] .

وكثيرا ما ظهرت النخلة في المنحوتات والاختام الاسطوانية لما لها من اهمية كبير في مجالات الحياة منها الطب والسحر ونصوص الفال[٦٧]، اذ ظهرت في احد

المنحوتات التي تعود الى عصر فجر السلالات على هيئة الهة تلبس التاج المقرن الذي تظهر منه السنابل وشعرها بشكل ضفائر والإلهة جالسة وتمسك بيدها اليمنى عنق نخلة [٦٨]، (انظر شكل رقم ١٥) ولاهميتها الدينية والاقتصادية نجد انها صورت في احد الاختام التي تعود الى عصر فجر السلالات ايضا انها(النخلة) تتوسط الختم وتحمل عذوق التمر يحف بها بناء يمثل واجهة معبد [٦٩]،اما في العصر الاكدي فأخذت المنحوتات والاختام تصور النخلة بشكل كبير يرمز الى الانماء والخصب والخير[٧٠].

ومن المشاهد المهمة التي صورت فيها النخلة من خلال مشهد صور على احد الاختام التي تعود الى سلالة اور الثالثة اذ صور رجلا على رأسه قلنسوة ذات قرني ربما هو اله وامرأة جالسين بشكل متقابل وقد نبتت شجرة تشبه النخل يتدلى منها عذقان من التمر ويشاهد الرجل مادا يده اليمنى نحو العذق الذي امامه ليقتطف من ثمره كما وتظهر المرأة هي الاخرى مادة يدها اليسرى نحو العذق الذي امامها ويقف خلفها ثعبان منتصب [٧١].(انظر شكل ١٦) وهذا المشهد يشير الى احد الطقوس او الاساطير الى تتناول موضوع الخصب والانماء والتجدد بدلالة وجود الثعبان رمز الخصب وكذلك النخلة.

وهنا لابد من الاشارة الى ما ورد عن شجرة الحياة (ادم وحواء) وجنة عدن اذ لو أخذنا بعين الاعتبار الرواية التوراتية حول جنة عدن، وهي رواية مأخوذة بالتأكيد من مصادر رافدينية، وسلمنا جدلا بالإشارة الجغرافية التي وردت في التوراة لتعيين موقع جنة عدن، من أنها تقع في الجزء الأسفل من وادي الرافدين (دجلة والفرات)، وأن عدة أنهر تتخللها أو تمرّ بها، فان التوراة تخطيء أو لم توفق في تعيين نوع الشجرة المقدسة او شجرة الحياة تذكر التوراة ان التفاح هي الشجرة المقدس المحرمة التي لم يصمد(آدم وحواء)التوراتيين أمام منظر ثمارها الناضجة .نعلم جيداً من خلال

المدونات الرافدينية أن التفاح لم يرد ذكره إطلاقا في النصوص الأقتصادية أو معاجم النباتات والأشجار مثلما ذكرت أشجار مثمرة ومحاصيل حقلية شكلت جزءاً أساسياً من مدخولات المعابد ، كما أن التفاح لا يمكن أن ينمو أو أن يطرح ثماراُ ناضجة مغرية في بيئة قاسية حارة جافة مثل بيئة جنوبي العراق .على أن النخلة هي الشجرة الوحيدة التي تستطيع أن تنمو وتثمر في ظل ظروف كهذه وهي لاغيرها التي يمكن أن ينطبق عليها بحق وصف شجرة الحياة المقدسة، وليس التفاح[٧٢].

كما وردت هذه الشجرة في العديد من النقوش الرافدينية على مر العصور فقد صورت في العصور الاشورية النخلة وصور فوقها الاله اشور وهي ترمز للسلطة والقوة والمسيطر على الحياة (انظر شكل ١٧)، وكذلك الحال في بلاد ايران اذ انها تعتبر الرابط بين الحياة والموت ورمزية النمو والتجدد والخلود بالنسبة لهم ، يضاف ال ذلك انها رمز الخصوبة والتكاثر[٧٣].

وفي الحضارة الفارسية يرد ذكر (شجرة العالم)، وهي شجرة ضخمة تحمل كل أنواع البذور، وحسب ألأساطير فقد تنازع عليها أهريمان، إله الشر الذي خلق ضفدعاً مهمته القضاء على الشجرة لمنع نمو بقية الأشجار على الأرض، وأهورامزدا، إله الخير، الذي وضع سمكتين تحرسان الشجرة. وبهذا، تقترب فكرة شجرة العالم الفارسية من فكرة شجرة الحياة([٧٤])، التي ورد ذكرها في الاساطير الرافدينية.

زهرة اللوتس

ومن النباتات الاخرى التي عدت رمزا قدسيا مهما في بلاد الرافدين وانتقل تأثيرها الى بلاد ايران فيما بعد هي زهرة اللوتس التي اتخذت رمزا للطهارة والولادة والوجود المتصاعد [٧٥]، اذ كانت هذه الزهرة تتضمَّن جميع قوى العالم الكِبْري (الكون) في العالم الصِّغري (الإنسان)، لأن بذور اللوتس، حتى قبل أن تتبرعم تحتوي أوراقًا مكتملة التشكيل شكل مصغَّر لما ستكون عليه النبتات ولكونها تمثل جميع قوى

ألطبيعة تعيش زهرة اللوتس في العناصر الأربعة : جذورها في ألأرض وساقها في الماء، زهراتها في الهواء ونور الشمس أي في التراب والماء والهواء والنار(٧٦)، وكثيرا ما استخدمت زهرة الوتس ضمن الطقوس الجنائزية في بلاد الرافدين لأنها رمز الولادة والانبعاث الجديد.

٢- <u>الرموز الحيوانية :</u>

لقد ادى الشعور الانسان بالخوف من المجهول ال احترامه كل القوى التي تؤثر عليه وتحيط به دون ان يعرف كنهها (٧٧)، فكانت الحيوانات احد تلك القوة المؤثرة عليه وتعود علاقة الانسان في بلاد الرافدين بالحيوان ال العصور القديمة وهذا ما اثبتته الرسوم والنقوش التي زينت سقوف الكهوف والتي تشير الى خوفه منها او لغرض سحري بغية في صيدها والانتصار عليها ، ثم اخذ الانسان يصور هذه الحيوانات في العديد من المشاهد والمنحوتات وتتخذ منها تعاويذ ودواليات لما ترمز اليه من معاني دينية وسحرية وتمثل اوجه الخير والشر(٧٨)، ان السبب وراء استعمال صورة الحيوان وشكله هو نظرة السومريين لها على انها رموزاً لمفاهيم علوية فأوجد العلاقة بينها فمنها حيوانات داجنة وأخرى مفترسة وهي نوع من العلاقة بين الخير والشر(٧٩)، بل هو في الواقع الصراع الأزلي بينهما.ان الصراع لم يقتصر على الحيوانات الاليفة أو المتوحشة بل تعداها الى المخلوقات المرآة الجامعة لقوة حيوانين ومن الامثلة على ذلك تميمه من خفاجي محفوظة بالمتحف العراقي جمعت بين قوة النسر والأسد من خلال مخلوق مركب من نسر له رأس الأسد ربما يكون هو رمز الآله ننكرسو آله مدينة لكش (تلول الهباء القريبة من الشطرة)بهيئة النسر ذي الجناحين الكبيرين ورأسه رأس الأسد أو اللبوة وأحيانا بهيئة إنسان له وجه الأسد أشعار لردائه أو مقعد عرشه أو موطئ قدمي(٨٠)

لذا تعدد اشكال الحيوانات التي اتخذها الانسان في بلاتد الرافدين وبلاد ايران رمزا للالهة التي يعبدها ومن هذه الرموز :

الثور:

يعد الثور من الحيوانات التي دجنت في بلاد الرافدين منذ عصر جرمو في الالف الثامن ق.م وقد ثبت ذلك من خلال المخلفات العظمية المكتشفة في هذه القرية ، وقد حي الثور بمكانة كبيرة في حضارة بلاد الرافدين على الصعيد البشري لاستخدامه في امور تتعلق بالزراعة والنقل والغذاء ، وعلى الصعيد الرمزي لكونه يمثل حالات دينية وطقسية مختلفة.

اذ اتخذ رمز الخصب والقوة وقد ظهر بمشاهد عديد تحمل معاني مختلفة اذ كان يدخل ضمن القاباالالهة مثثل الاله انليل الذي لقب بـ(الثور البري العظيم)(بعل السماء)[٨١] ، ولقب اله القمر بـ(ثور السماء الصغير القوي)[٨٢]، و صوره السومريون بهيئة ثور تخرج منه الاشعة رمز لاله الشمس وقوته[٨٣]، كما انه يمثل احد رموز الاله تموز اله الخصب والزراعة فكان الثور من افضل الرموز التي يشار بها لهذا الاله وخاصة في العصور الالحقة اذ يظهر الثور المستلقي ومعه ظهرت السنبلة إشارة اله الخصب والنبات دموزي وأحيانا الثور يظهر وحده وهو رمز الالهة اينانا (عشتار)[٨٤] ومن المعاني الاخرى التي يشار بها الى الثور هو انه جالب للخصوبة والنفع كرمز للقربان الالهي وهذا المعنى ربما يكون اقرب للثور اذا ما علمنا ان من اسماء الثور هو (كراب) او المقرب وهو احد معاني التقدمات والنذور والقرابين للآلهة [٨٥].

ويعتبر الثور مشابه للأسد ومهما يمثلان رموز شمسية كونية يمثلان القوة كما اعتبرا رمزا الالهة العليا الحارسة اذ كثيرا ما يصور المشاهد اجسام ثيران براس اسود اذ تمثل حيوانا اسطوريا في ابواب المعابد او المشاهد المقدسة التي توحي بالقوة

والحماية للآلهة وكثيرا ما ظهرت مشاهد صراع الثور والأسد اذ يمثل هذا الصراع الابراج الكونية التي ترمز لها الحيوانات ، او ربما الصراع ضد الامراض وصراع الخير والشر مثال ذلك الاله ميثرا الفارسي الذي يصور وهو يذبح الثور في الكهف والتي يعتبر انتصار النور على الظلمات والخير على الشر ولكن بشكل عام يمثل الصراع ، صراع تضاد القوة بين الطرفين كما وجدا معارك مصورة بين الثور والأسد وكان غالبا ما ينتصر الاسد حيث تكرر في العديد من النقوش البديعة لقصر (الاخمينين) في بيرسيبوليس[٨٦]

كما مثل الثور في تيجان الالهة والملوك اذ كان التاج المقرن من اهم رموز الالهة والذي هر في المشاهد التصويرية للآلهة إلا ان الملك الاكد نرام سين قام باستخدامه الى جانب استخدام لقب ملك الجهات الاربعة الخاص بالإله انو (رب السماء) واتخاذ اشارة النجمة المسمارية والتي هي رمز الالهة عشتار وهذه الاشارة عادة كانت تسبق اسماء الالهة اذ كانت بداية لتاليه الملوك [٨٧].

وقد ذكرنا سابقا ان الثور يعتبر من الرموز الحامية التي تشابه رمز الاسد وكذلك العنقاء والنسر فقد ظهر في العصر الاشوري الثيران المجنحة وبرؤوس ادمية والتي اطلق عليها باللغة الاكدية اسم (لاماسوLamassu)او (Lamassatu) وهي مشتقة من الاسم السومري (لاما Lama(r))[٨٨]والتي تعني الروح الحامية[٨٩]،(انظر شكل رقم١٨)، وقد ظهرت هذه المخلوقات الحارسة منذ العصور السومرية عل هيئات صغيرة ومن ثم انتشرت عبادة وقدسية الثيران المجنحة بشكل واسع في العصر بالبابلي القديم[٩٠]،

وسرعان ما جد تاثير الرمز الدينية المتمثلة بالثور قد انتقلت البلاد عيلام اذ يظهر في عدد ن اللوحات مشاهد تصور الانسان الثور والتي ترمز الى القوة والخصوبة ([٩١])، وهذا ان دل على شيء يدل على مدى تاثر بلاد ايران بالفن والفكر العراقي القديم

خاصة ايام العهد السومري والبابلي ، ومع سيادة الاشوريين انتشرت بشكل واسع وعلى هيئات كبيرة ضخمة التي كانت تزين بوابة العاصمة اشور ونينوى وغدا هذا رمزا مشهورا ومعروفا للحضارة الاشورية التي كانت تعتمد القوة كمبدأ في سياستها وانتشارها فكانت تلك الثيران رموزا شخصية للجبال وقواعد العالم وكانت سلفا تعد الاله الحارس للأبواب والقصور وكان الغرض منها ارهاب الاعداء كدعامة للبناء [٩٢]،(شكل رقم١٩) وقد انتقلت فكرة الثيران المجنحة وبرؤوس ادمية الى بلاد عيلام وأصبحت حيوانات حارسة للمعابد والقصور العيلامية (انظر شكل رقم٢٠)، اذ ورد في احد المصادر الاشورية ان الملك الاشوري اشور بانيبال في حربه مع العيلامين عمل على نقل الثيران المقامة في بواب العاصمة سوسة [٩٣]، كما عبد الايرانيون القدماء(الاشكانيين) الثور(هوما) الذي مات ثم عاد الى الحياة مرة اخرى ليمنح الجنس البشري دمه شرابا ليسبغ عليه نعمة الخلود[٩٤].

وهذا ان دل عل شيء فان يدل على مدى تأثر الحضارة العيلامية بحضارة بلاد الرافدين ومدى انتشار قدسية هذا الحيوان في كلا الحضارتين .

الاسد:

تعد الأسود من الحيوانات المفترسة المعروفة بقوتها البدنية وأسنانها القوية ، إذ يمثل الأسد أقوى حيوان على وجه الأرض، وتشير المصادر التاريخية إلى انتشار الأسود في معظم أنحاء العالم ولاسيما المناطق الشرقية من آسيا وأفريقيا وأماكن أخرى من العالم، بيد أنها بدأت بالانقراض نتيجة للصيد وقتل الأسود للاستفادة من فراءها وجلودها وغيرها، وانحسر وجودها في القارة الإفريقية حصراً.

ويمثل الأسد أهمية كبيرة في الفكر العراقي القديم، لما يحمله من معاني ودلالات تشير الى قوة فاعلة ولاسيما في كونه رمزا من رموز السطوة والقوة والموت، بيد انه

يتحول إلى وظيفة الحماية للآلهة والمعابد التابعة لها من قوى الشر ليتغير دور الأسد إلى دور الحفاظ على الآلهة من الأرواح الشريرة

تشير المصادر التاريخية إلى أن أول توثيق لظهور الأسد في الحياة اليومية العراقية القديمة كان في دور جمدة نصر، وهو الطور الثاني من أطوار العصر الشبيه بالكتابي[٩٥]، وذلك في مسلة صيد الأسود وهو عمل نحتي مصنوع من حجر البازلت الأسود ،إذ تصور رجلين ملتحيين يهاجمان مجموعة من الأسود الشرسة، باستعمال السهام والرماح، وقد عرفت المسلة بهذا الاسم[٩٦]، أن المشهد يوضح في بنيته العميقة، قوتين هما قوة الوجود المتمثلة بالحاكم (وقوة) الفناء المتمثلة بالأسد و إنها تعبير عن مخاوف وميول نحو تحطيم القوة التي يمثلها الأسد وتكمن أهمية هذه المسلة في نقطتين، الأولى هي أنها أقدم مسلة تذكارية في تاريخ العراق القديم، إذ مثلت قوى الوجود بوحدتين رمزيتين، أولهما الأسد الذي تكاثرت إعداده في السهول السومرية، فأصبح خطراً على حياة الإنسان وممتلكاته[٩٧].

نجد أن مفهوم رمز الأسد ظل محتفظاً بدلالاته المعروفة في القوة والشدة والوحشية .إذ نجد الاستمرار في اتخاذه رمزاً مهماً لبيان القوة وسلطتها في معظم المنحوتات والجداريات في عصر فجر السلالات عثر في معبد العبيد البيضوي أو ما يسمى بمعبد ننخورساك على لوحة نحاسية تحمل نقشاً بارزاً يمثل الطائر الأسطوري المعروف باسم (أمدكو - سكورو)النسر الأسد وهو رمز الإله ننكرسو ، ينشر جناحيه ليضم زوجاً من الوعول بقوته وحمايته العظيمة انه شكل رمزي يمثل القوة والسرعة والهيمنة لتعطي دلالة واضحة على حماية النسر الأسد للحيوانات الأليفة من شر القوى الشريرة التي تحاول أن تقضي على الخير والقيم الإنسانية ،وقد جسد البابليون نفس الفكرة للآلهة عشتار إلهة الحب والجمال في العراق القديم، وهي تقف عارية مجنحة بمخالبها فوق أسدين، ويعرف باسم لوح بيرني(انظر شكل رقم٢١) إذ يصل

ارتفاع هذا المشهد إلى ٥٠ سم، ويبدو الأسدين في حالة من الركوع والإذعان للآلهة، مع تأطير جانبي المشهد بشكل متقابل لزوجين من طائر البوم، الذي يعد رمزاً للحكمة فالأسدين المتدابرين في هذا المشهد يشيران إلى القوة وحماية الآلهة وهيبتها[٩٨].

ولكن في مشاهد تعود الى سلالة اور الثالثة(٢١٣٢-٢٠٠٤ق.م) يتبن لنا ان الاسود اتخذت رمزية اخرى ودلالات تشير الى الهلاك والموت فقد جسدت الأختام الاسطوانية في هذه الحقبة التاريخية البطل الأسطوري يصارع قوى الشر والهلاك وهو الأسد مع بعض الكائنات الأسطورية المركبة، إنها مشاهد تركز في دلالاتها الفكرية والعقائدية الدور الكبير للبطل والبطولة في بناء الفكر والثقافة في المجتمع السومري الحديث [٩٩].

ولكن مع مجي العصر اليابلي ظل رمز الأسد يمثل القوة والسطوة بيد انه تغير من وصفه العدو إلى وصفه الحارس كما اكتشف الأستاذ طه باقر زوجاً آخراً من تماثيل لاسود فخارية جالسة على جانبي المعبد الكبير في تل حرمل(انظرشكل ٢٢)، حيث تقع إحدى مدن العصر البابلي القديم المهمة، إن معادلة الحياة في بلاد الرافدين تقوم على أن ينبري احد الأبطال لقتل الأسد، بوصفه القوة الفتاكة التي تعبث في ثروات الإنسان وممتلكاته ، بيد أن المدهش في هذا الموضوع كما اشرنا إلى الاختلاف الكبير في الدلالة التي يمتلكها الأسد في العصر البابلي القديم الذي تحول فيه إلى حارس لمدخل المعبد من الأشرار والعابثين[١٠٠].(انظرشكل٢٣)

وفي العهد الاشوري رمز الاسد الى فكرة القوة والسطوة والفتك وهر في منحوتات الملوك الاشوريين ، فقد جسد الآشوريون من خلال مشهد صنع من العاج، يمثل مشهد للبوة وهي تفترس رجلاً أثيوبياً أو نوبياً استدلالاً على ذلك بشعره المفلفل المجعد وبسماته وسط حديقة من زهور اللوتس[١٠١].(انظرشكل ٢٤)

أكد البابليون فيالعصر البابلي الحديث (الدولة الكلدانية) على أهمية الأسد كرمز لحماية الآلهة عشتار ، ولان عشتار من الآلهة الرئيسية في بابل لذلك استخدم رمزها الأسد بصفته قوة بابل وعظمتها ،إذ زينت الجدران الجانبية لشارع الموكب وهو الشارع الرئيس والمؤدي لباب عشتار وعلى كلا الجانبين ٦٠ أسداً رمز الآلهة عشتار، وهي ذات لبد حمراء أو صفراء على أرضية من الآجر المزجج الأزرق أراد البابليون التأكيد على رمز الأسد كفكر عقائدي يرتبط وبالآلهة إذ وضعت هيئة الأسود وهي تسير بخطى واسعة ومستقيمة ولقد حققت هذه الأسود وجودها في الشارع المقدس بسير المواكب الحربية لتؤكد بوجودها الرمزي حماية الإلهة عشتار بصفتها الحربية لهذا الشارع(انظر شكل ٢٥)، فالأسد يعد رمز القوة هنا[١٠٢]

وقد تأثر الفكر العقائدي الفارسي القديم بالحضارة الآشورية التي امتدت إلى معظم مناطق شمال بلاد فارس بالمفردات أو العناصر الفكرية العراقية القديمة ولاسيما الأسود ، إذ نلاحظ أن للأسد دور كبير في معظم الجداريات القديمة كرمز للقوة والسطوة[١٠٣]، ولاسيما المشاهد التي تبين قوة الأسد في مهاجمة الحيوانات والفتك بها، وهو مشهد من مشاهد العراق القديم .ففي مشهد يسجل ذلك الصراع في الجدار الخارجي لقصر برسيلوس، إذ يقوم الأسد المجنح بالهجوم على احد أعوان الإله (Mithra) الثور، وربما يرمز الأسد المجنح إلى الإله مترا اله الخير والنور، يقتل أعوان الشر، إذ يمثل صراعاً للخير ضد الشر يظهر التأثير الآشوري جلياً في الحضارة الفارسية لا سيما في تعامل الملك مع الأسد بوصفه القوة الأسطورية،إذ يمثل المشهد الملك داريوس وهو يطعن الأسد المجنح من رأسه ، فالأسد المجنح في هذا المشهد يمثل اله الظلام، وهو يشبه مشهد للملك الآشوري آشور بانبيال وهو يطعن أسداً في رأسه أيضا ويعود إلى القرن السادس قبل الميلاد [١٠٤].(انظر شكل ٢٦-٢٧)

الاغنام(الكبش)

تعد الاغنام احد اهم الاشكال الحيوانية لغنى الانسان القديم ، كما شكلت اهم الرموز الدينية باعتباره يشير الى معنى القرابين الالهية [١٠٥]، اذ ورد في احد المصادر التي تعود الى الملك السومري اورنمو انه قدم القرابين والهدايا وذبح الثيران وقدم الاغنام قربانا الى الهة العالم الاسفل [١٠٦]، فضلا عن انه رمز الخصوبة [١٠٧]، وفي نفس الوقت اصبح الكبش من اهم رموز الاله انكي (ايا) الذي اعد احد الحيوانات الاليفة التي اشارت او رمزت ال هذا الاله كما هو حال السمكة والسلحفاة والتي تشير الى الخير والوفرة والعطاء والخصب [١٠٨].

ولم يرمز الكبش في الفكر العراقي القديم الى الاله انكي فقط بل ايضا يعد من اهم رموز الالهة اينانا (عشتار) رمز الخصب والحب والحرب بالنسبة للأقوام الجزرية وخاصة البابليين والأشوريين اذ صورت الالهة عشتار بهيئة امرأة مجنحة واقفة على الحمل [١٠٩]، وقد ذكرنا سابقا انها صورت ايضا بهيئة امرأة تقف عل اسدين وقد اختلف العلماء حول هذه الهيئة ان كانت تشير الى عشتار الهة الحب والحرب ام الالهة ايرشيكيكال الهة العالم الاسفل لكن اغلب الن ان اللوحتين يعودان الى الالهة عشتار التي اعد الاسد رمز من رموز قوتها وسطوتها في الحروب وأيضا الحمل الذي يدل على الخصب والإنماء وهو ايضا احد رموزها[١١٠].(انظر شكل ٢٨)

تعتبر الافعى من الحيوانات من الحيوانات التي تتضمن عدة معاني وتشير الى دلالات ورمزيات متنوعة اذ انها تشير الى رمز الحكمة والمعرفة والشفاء والاغواء ورمز انثوي جنسي ورمز الخداع والسحر والتنبؤات والشر وصاحبت اللعنات

والملكية والقوة والحماية ، فضلا عن كونها رمز الخلود والخصب والإلهة – الالم باعتبارها رمزا ارضيا بالمقام الاول [١١١].

وصفت الافعى في الميثولوجيا السومرية انها رمز يدل على الخلود وتجدد الحياة وذلك بدلالة ملحمة

كلكامش اذ كان الافعى رمز الخلود فيها بعد ان اكلت خلسة نبات الخلود فما ان تشعر بالشيخوخة حتى تغير جلدها [١١٢]، وهذه هي النتيجةالتي مفادها تجدد شباب الأفعى من خلال حصولها على نبات الشباب والخلود وهو حلم الإنسانية فضلاً عن اعتبار المشاهد عموماً توحي برمزية دينية واضحة وهي بدون أدنى شك رمز لآله.(انظر شكل٢٩)

وتعتبر الافعى رمز الالهة ننكشزيدا[١١٣] الالهة الشفاء والحكمة لذا اشتهرت برموز العصا التي تتلوي عليها اثنان من الافاعي(انظر شكل ٣٠) والتي ترمز للطب والحياة حتى في وقتنا الحاضر [١١٤]، وهذه الفكرة نجدها انتقلت ال بلاد فارس اذ اصبح الثعبان رمز الحياة التجدد[١١٥].

على ان هناك ما هو أكثر دلالة من ذلك ما إذ وصل إلينا كأس نذري لسكب الماء المقدس، مصنوع من

حجر الستيتايت الأخضر يعود للملك جوديا حاكم لجش الكأس مزين بنقش بارز يتكون من افعتين(انظر شكل ٣١)، ذكر وأنثى هذه الخاصيته الثنائية جاءت للتعبير عن الإخصاب حيث يأمل جوديا خصوبة أراضي مملكته عن طريق الأفعى الملتوية التي تصحبه تلتفّان حول عمود أو عصا أو قضيب يرتفع الى فوهة الكأس وكأنهما تحاولان ان تشربا من السائل الذي يتدفق منه في حين يقف تنينان(موشخوشو) ذوي أجنحة خلفهما ، يمسكان بمخالبهما الأمامية بعصا ،وهذان التنينان المركبان لهما سمة الهية بدلالة التاج المقرن ،توجد كتابة مسمارية على بدن الكأس ، نصها ((الى الإله

ننجشزيدا،اله جوديا ،امير لجش،عسى حياته ان تطول))،كرّس هذاالكأس هذا الحيوان المركب ذي السمة الثنائية(ذكر وأنثى)،هو شعار الإله ننكشزيدا، بوصفه راعيا للطب واله الشفاء السحري والمسؤول عن الدواء وعن الطبيعة. لذلك يمكن القول بأن صورة الثعبان مع الكأس الذي يضعه الصيادلة اليوم كرمز للطب والشفاء هو رمزعراقي قديم(سومري)يعود للقرن الثاني والعشرين قبل الميلاد[١١٦].

كما ان هناك إله آخر إتخذ من الأفعى رمزا له حتى منتصف الالف الثالث ق.م ثم استبدل رمزه

بصورة بشر نصفه الأسفل بهيئة أفعى ذلك هو نيراه ،الإله الثانوي لمدينة الدير(تل العقير)مثابة وزير للإله ستران اله المدينة الرئيس.ولنيراه مهمة مقدّسة تتمثل بحماية معبد(إيكور)في نيبور/ نفّر،المكرّس لعبادة انليل،إله الهواء[١١٧].

اما الرمزية الاخرى التي تجسدت في الافعى هي رمز الشر اذ ورد في الاب الديني السومري في قصة الخليقة ان الافعى هي رمز الام نمو (تيامت) التي عدت مدلول الشر وان قتل الافعى تيامت يعني انتصار على الشر[١١٨]، ومن الشواهد عل اعتبار الافعى رمز الشر ما ورد في احد النصوص السومرية التي تصف الكوتيون، الذين ساهموا في اسقاط الدولة الاكدية (٢٣٧١-٢٢٣٠ق.م) بأنهم عقارب وأفاعي الجبل[١١٩]

يرد في ملحمة الخليقة البابلية أن صراعا قد نشب على السلطة والحكم بين الإله مردوخ و الإلهة تيامة ، وأن الصراع قد حسم لصالحه. في الملحمة تبدو الالهة تيامة غاضبة، تقرر تحطيم باقي الآلهة ، تخلق جيشا كبيرا من الشياطين ، تقرر الآلهةَ بأن تيامة يجب أَنْ تقتل ، لكنهم جميعا خائفون، يوافق الإله مردوخ على قتلها شريطة أن يجعل إلها أعلى لبلاد بابل ثم يقتلها ليتفرغ لخلق السماء والأرض يقطع جسمها إلى نصفين .من عيونها تتغمر دجلةَ والفرات بالمياه وتيامة صورت بهيئة

أفعى عظيمة جبّارة توصف على أنها المياه المالحة أو البحر وتمثل قوى الفوضى أو العدم ، قد شاركت في عملية خلق الكون والموجودات سوية مع أبسو المياه العذبة[١٢٠]

وكما نلاحظ ان فكرة الافعى رمز الشر تجسدت في الادب الديني الفارسي حيث يصور راع اهريمان رمز الشر والظلمات [١٢١]،مع اهوارامزدا كبير الالهة والذي يرمز للخير والنور والحكمة والعدل[١٢٢].

السلحفاة

حيوان برمائي نراه متأرجحا بين الماء واليابسة وله درع يحميه ويضرب بالسلحفاة المثل بطول الحياة والبطء وأصبحت السلحفاة من الحيوانات الجالبة للسعادة ورمز الحظ السعيد وقد كانت رمز للإله انكي ايا اذ تهر في العديد من الطقوس والشعائر الجنائزية لاعتقادهم انها تجلب السعادة لروح الميت وتحميه من اهوال العالم الاخر [١٢٣] (انظر شكل ٣٢)

الطيور

تعتبر الطيور وخاصة الجارحة من الرموز الشمسية في الحضارات القديمة لاسيما في بلاد الرافدين وبلاد ايران وهي تشير الى العلو الروحي والسمو وهي رموز عليا للآلهة[١٢٤]،وغاليا ما ظهر في المنحوتات وفي اشكال حيوانية مركبة كما اسلفنا سابقا كما هرت في قرص الشمس المجنح وكذلك الثور والأسد وهي تدل على السمو والرفعة والقوة .

وفي بلاد فارس يصور الاله زورفان وهو الاله السماوي مقدس وسيد القدر يصور بهيئة اله مجنح مزدوج الجنس[١٢٥].

اما في الديانة الزرادشية فتعتبر الطيور وخاصة الجارحة ناقلة لأرواح الموتى للعالم الاخر ففي كهف جارستين (أي كهف ذو اربعة اعمد) في مدينة ادهوك كان

الموت الزرادشيين يتركون موتاهم عل مصاطب ويضعونها في مكان عال حيث تاتي الطيور الجارحة وتأكل لحومها بينما تبقى الرفات التي تدفن فيما بعد[١٢٦].

ومن الاشياء والمواد الاخرى التي اتخذت استخدمت للدلالة القدسية الالهة الماء الذي عد مصدر الحياة والتجدد والانبعاث وقد قدس سكان بلاد الرافدين الماء بشكل كبير وهو رمز الاله انك(ايا) اله الماء والأرض وكثيرا ما يصور هذا الاله بهيئة انسان تخرج المياه من كتفيه وهما يرمزان الى نهرا دجلة والفرات ونرى الكائنات وخاصة الاسماك تسبح في المياه [١٢٧](انظر شكل٣٣)، كما رمز للإلهة بهيئة جرة يفيض منها الماء رمز الحياة (انظر شكل رقم ٣٤)، ويعد تمثال (الهة الماء الفوار)(انظر شكل ٣٥-٣٦) واحد من انجازات النحت الهامة التي وجدت ففي قصر الملك زمري- لم في مدينة ماري ما هي إلا رموز لتقديس المواء رمز الحياة [١٢٨]، وقدسية الماء هذه ايضا انتقلت ال الفكر الديني لبلاد ايران اذ كان الماء مقدسا سواء بالنسبة للأقوام التي ظهرت في بلاد ايران قديما اذ يعتبر العنصر المهم في العبادة والتطهير وانبعاث الحياة واستمرار الاحياء وزادت اهمية الماء قدسية مع ظهور الديانة الزرادشية اذ كان يعد اهم عناصر الطبيعة المقدسة التي لا يمكن تدنيسها وهي الماء والتراب والنار[١٢٩].

الخلاصة

من خلل ما تقدم نجد ان الانسان حاول من بداية وطليعة افكاره العقائدية اعطاء الالهة شكل وصفات تجعلها اقرب ما يكون الى المدلول الحسي والمادي الذي يحيط به ، لذلك وجد في الاشكال والظواهر والأشكال الحيوانية والنباتية التي وجدت في بيئته مميزات وصفات معينة جعلته يتخذها رموزا تحمل معاني ومدلولات مقاربه الى الاله المقدس له ،وهذه الاشكال التي اصبحت فيما بعد رموز مقدسة متعارف عليها بين بني جنسه على مر العصور التاريخية التي بمرور الوقت اخذت معاني ومدلولات مختلفة اخرى حسب العقيدة الدينية والظروف السائدة .

كما لاحظنا ان الرمز اصبح يمثل للإنسان القديم تجربة مترسخة ضمن التاريخ الانساني لأنها تمثل الجانب العقائدي للإنسان التي ادركها من خلال تأملاته بشان التصورات الالهية التي تتجلى له .

ان هذه الرموز ليست مجرد اشكال تشير الى الشيء المقدس له وإنما عبرت عن فكرة او عقيدة معينة كما هو حال تجسيده للطبيعة والخصب بمظهر انثوي يوحي له بالولادة والتجدد، وكما هو حال اتخافه الشكل الدائري لتجسيد الفكرة الكون الغير متناهي والذي لا يملك بداية او نهاية وإنما هو مستمر بشكل كامل وهذه الفكرة لم تقبع في العصور السابق فقد بل استمرت الى العصور اللاحقة كما رأينا في بلاد الرافدين وبلاد ايران .

لذاجاء عدد من الرموز متشابهة في الحضارتين نتيجة لعوامل التأثير والتأثر هذا من جانب ، ومن جانب اخر ان الانسان القديم سواء في بلاد الرافدين او بلاد ايران قديما(قبل ظهور الديانة الزرادشية) كان اغلب تفكيره وتأملاته تنحصر في الظواهر الكونية ، وما يحيط به من ظواهر طبيعية اوجدتها بيئته التي عاش فيها وربما كان هذا احد الاسباب التي ادت الى تشابه بعض المظاهر الدينية ورموزها .

لا يقتصر اتخاذ الانسان الرموز للدلالة على معاني الحياة المستمر بل جسد معاني القوة والبأس في اشكال الحيوانات التي رأى فيها القوة وتجلب الخوف في النفوس فاخذ خياله يبدع في ايجاد اشكال متنوعة ومركبة اختلفت فكرتها حسب العقيدة فمرة نجدها تشير الى القوة والبأس ، ومرة اخرى نجدها تثير الرعب لذا اتخذت كرموز او حيوانات حارسة للآلهة والمعابد ، او انها تحمل معاني العداء والصراع بين الخير والشر كما هو حال الثور والأسد الذي اختلفت معانيها ضمن المعتقدات التي سادت في بلاد الرافدين وبلاد ايران.

ولاحظنا مما تقدم اوجه التشابه والاختلاف من ناحية الرموز الدينية التي جسدت افكار معينة تلاقت بين الحضارتين لاسيما اتخاذ الشكل الدائري كتعبير عن اله الشمس وكذلك للتعبير عن النور والعدل المنتشر على كل البشر .

وما يعزز هذا التأثير بين الحضارتين اتخاذ الحيوانات المركبة رموز الهية او كائنات حارسة للمعابد والتي تجسدت فكرتها في اتخاذ الثور المجنح(الالماسو) رمز الكائنات الحارسة في كلا البلدين ، واذ نلاحظ ان

جميع الاشكال التي اتخذت كرموز دينية مقدسة في بلاد الرافدين وبلاد ايران قد جمعتها معاني واحدة تجسدت في الخصب والقوة والاستمرارية، وهناك من الرموز ما حمل معنى الخوف وأثارت الرعب في نفوس الاعداء كما هو حال الاسد الذي اتخذ رمز القوة الالهية والبشرية وتأخذ كان حارس للمعابد في البلدين ، وهذا ان دل على شيء يدل على مدى التأثير في العقائد الدينية بلين البلدين والتي ساهمت فيه العوامل البيئية وكذلك العوامل الاتصال السياسية والاقتصادية بين الحضارتين .

ثبت باشكال الصور

رقم الشكل	المصدر
شكل (١)	عكاشة، تاريخ الفن، ص١٠٥
شكل (٢)	الماجدي، متون سومر، ص١١٩
شكل (٣)	الماجدي ، متون سومر ص١١٩
شكل (٤)	الماجدي، متون سومر ، ص١٢٢
شكل (٥)	الماجدي، متون سومر، ص١٢٢
شكل (٦)	موقع ليلى حسن الالكتروني ، زرادشت على ظهر حصان طائر الى السماء
شكل (٧)	الماجدي، كتاب انكي،ج١، ص١١٤
شكل (٨)	الماجدي، كتاب انكي، ج١، ص١١٤
شكل (٩)	الماجدي، اديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص١٠٨
شكل (١٠)	الماجدي، كتاب انكي، ج١، ص١٤٥
شكل(١١)	الماجدي، متون سومر، ص٨٧
شكل (١٢)	D. Collon, "Mond," *RA* 8 (Berlin, 1993-1997), p. 357
شكل (١٣)	الماجدي، متون سومر، ص١١٠
شكل(١٤)	الماجدي ، اديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ، ص١٤٧
شكل (١٥)	الماجدي، متون سومر، ص١٢١
شكل(١٦)	الجبوري، النخلة في حضارة العراق، ص١٥٧
شكل (١٧)	الماجدي، لغز عشتار، ص١١٥
شكل(١٨)	عكاشة ، تاريخ الفن، ص٣٤٩
شكل (١٩)	البياتي، عبد الحميد فاضل ، تاريخ الفن في العراق القديم،(بابل: د.م،د.ت)، ص١٣٨
شكل(٢٠)	الموقع الكتروني العلمي www.wikiwand.com
شكل(٢١)	النواب، الاسد في الفكر العراقي القديم، ص٢٧٠
شكل(٢٢)	عكاشة، تاريخ الفن، ص٣٤٠
شكل(٢٣)	عكاشة، تاريخ الفن، ص٣٤١
شكل (٢٤)	لويد، فن الشرق الادنى القديم، ص٢٢٧
شكل(٢٥)	البياتي، تاريخ الفن العراقي القديم، ص١٧٩
شكل(٢٦)	النواب، الاسد في الفكر العراقي القديم ، ص٢٨٥
شكل(٢٧)	النواب، الاسد في الفكر العراقي القديم، ص٢٨٥
شكل(٢٨)	الماجدي، متون سومر، ص١٢٢

شكل(٢٩)	الماجدي، متون سومر، ص١٣٨
شكل(٣٠)	الماجدي،متون سومر، ص١٣٨
شكل (٣١)	عكاشة، تاريخ الفن، ص٣٠٨
شكل(٣٢)	الماجدي، متون سومر، ص١٠١
شكل(٣٣)	الماجدي، كتاب انكي، ص١
شكل(٣٤)	الماجدي، متون سومر، ص٧٣
شكل (٣٥)	عكاشة، تاريخ الفن، ص٣١١
شكل (٣٦)	عكاشة، تاريخ الفن، ص٣١٣

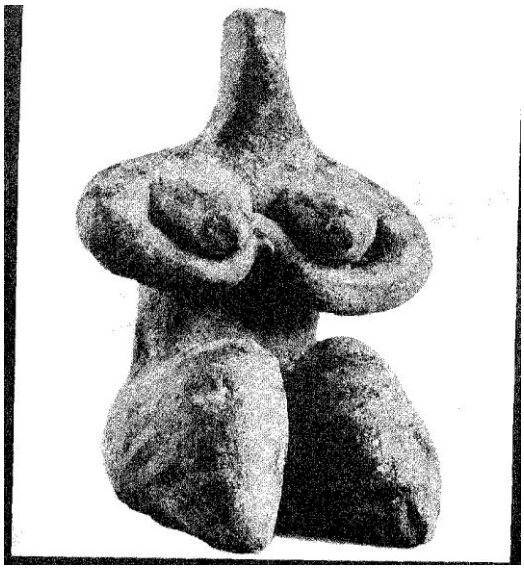

شكل (١)

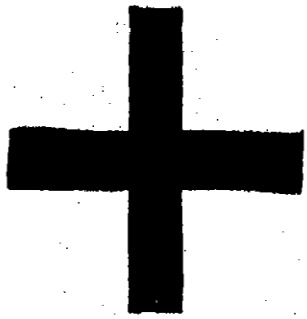

شكل (٢)

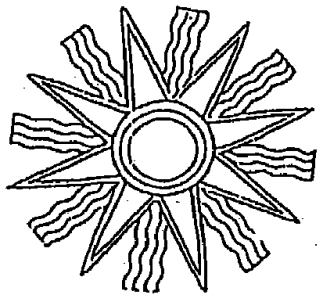

شكل (٣)

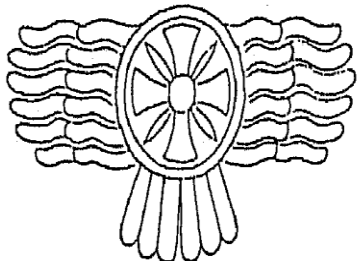

شكل (٤)

شكل (٥)

شكل (٦)

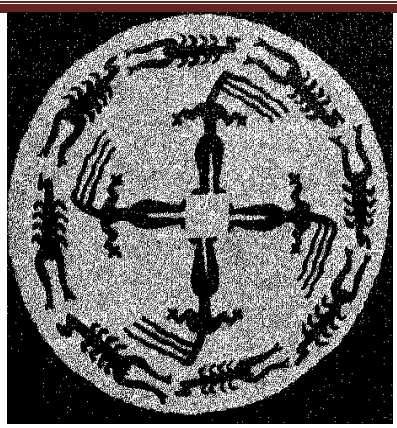

شكل (٧)

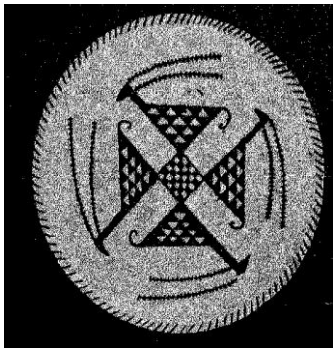

شكل (٨)

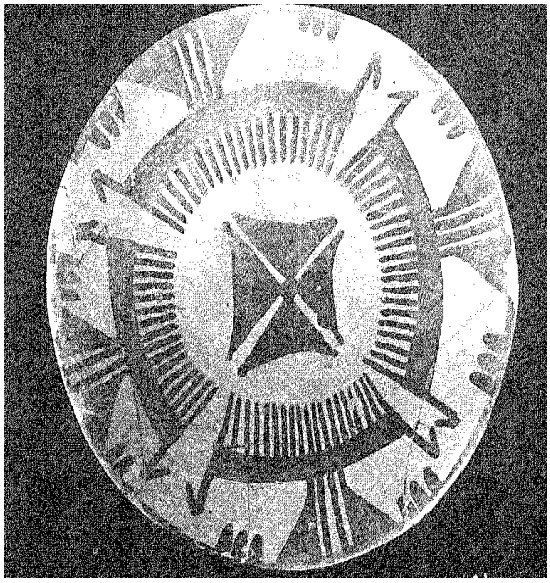

شكل (٩)

شكل (١٠)

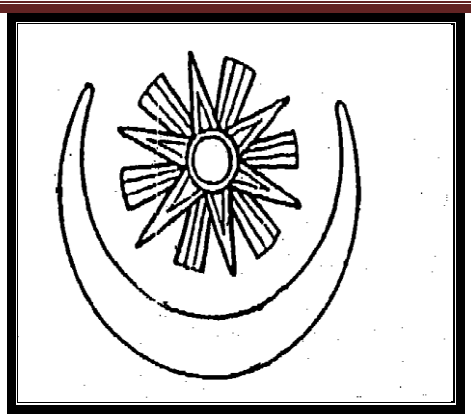

شكل (١١)

شكل (١٢)

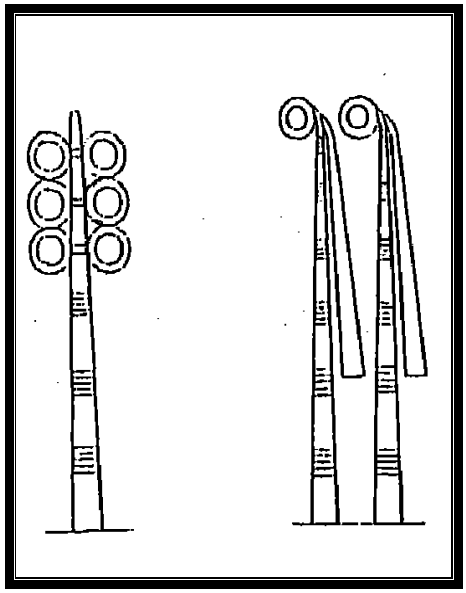

شكل (١٣)

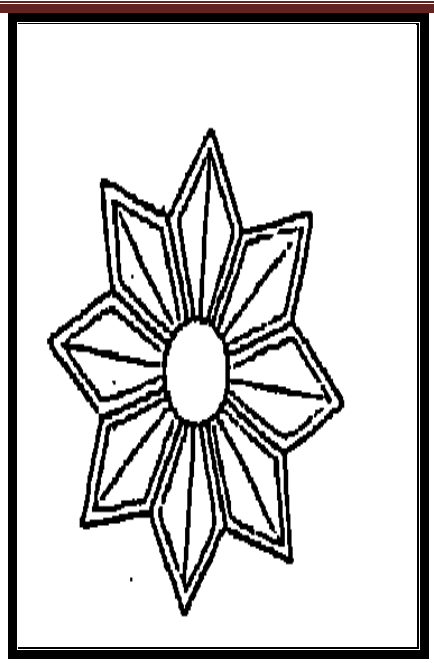

شكل (١٤)

شكل(١٥)

شكل (١٦)

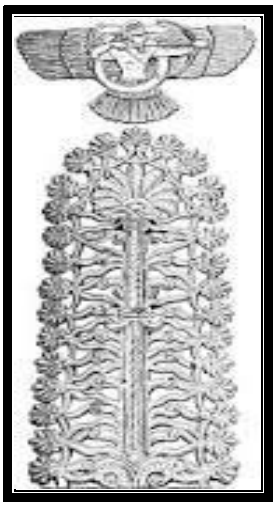

شكل (١٧)

شكل (١٨)

شكل (١٩)

شكل (٢٠)

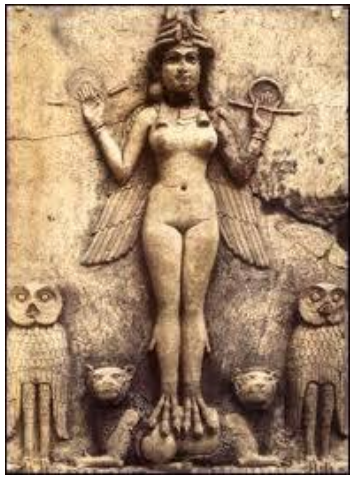

شكل (٢١)

شكل (٢٢)

رمز الاسد

شكل(٢٣)

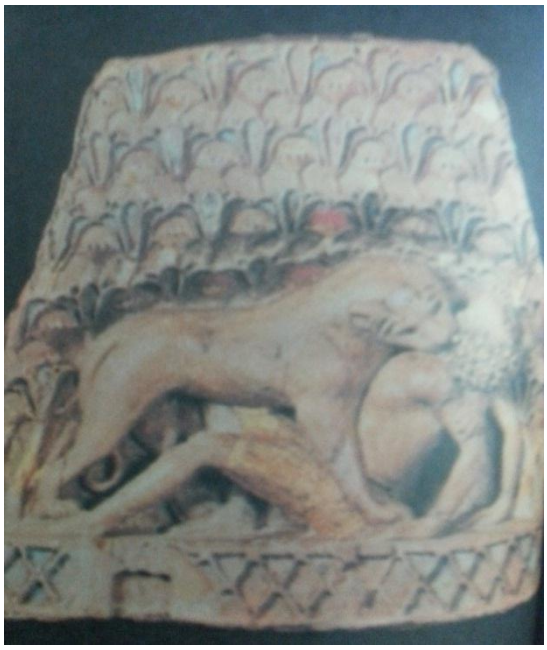

شكل (٢٤)

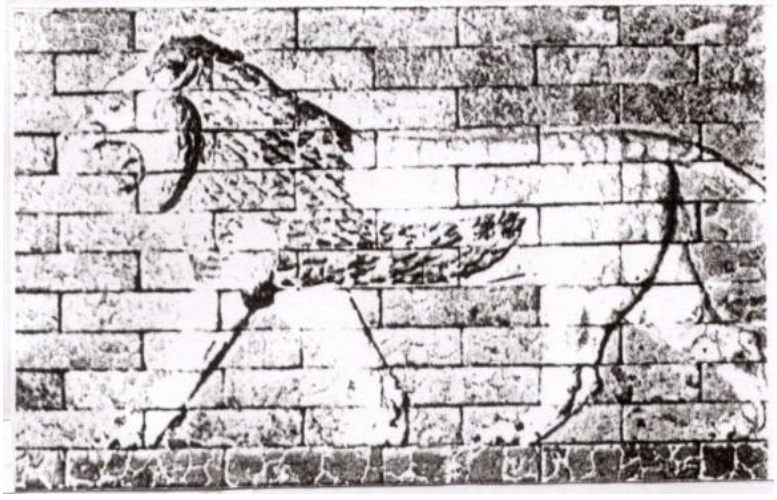

شكل (٢٥)

شكل (٢٦)

شكل(٢٧)

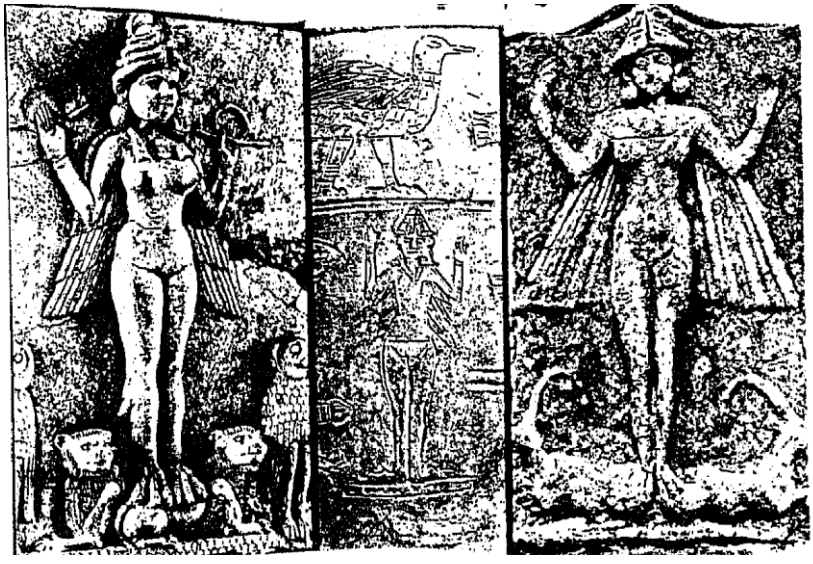

شكل(٢٨)

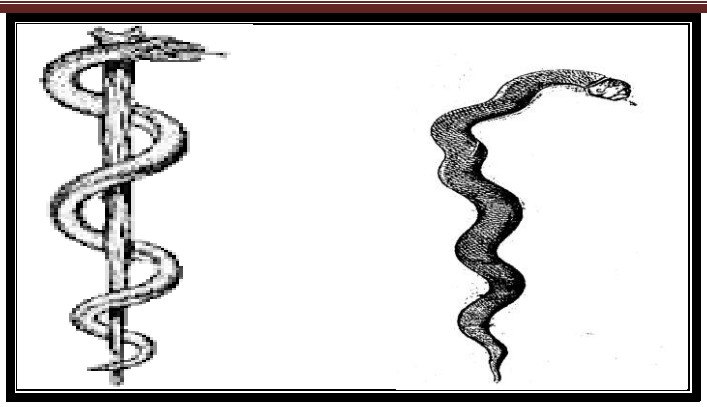

شكل(٢٩)

شكل (٣٠)

شكل (٣١)

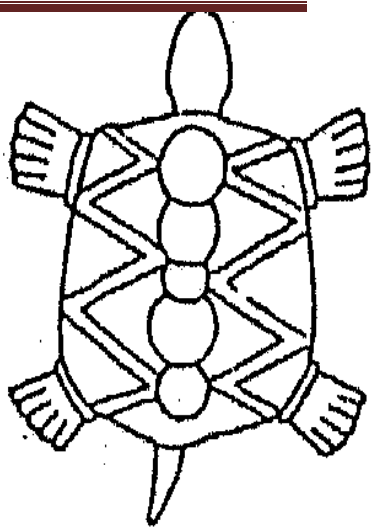

شكل (٣٢)

شكل (٣٣)

شكل (٣٤)

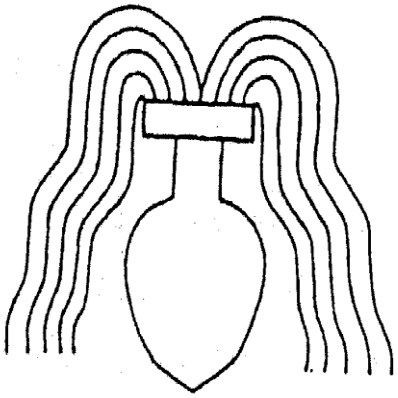

شكل(٣٥)

شكل (٣٦)

الهوامش :

[١] – عطية، محسن محمد ، الفن وعالم الرمز (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦م)، ص١٨٩.

[٢] – المصدر نفسه، ص٨٥.

[3] – Benton,W,Encyclopedia Britannica, London,1973,p.4890.

[٤] – عمر ، احمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصر(القاهرة : عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، مج٢، ص٢٢٥.

[٥] – مسلان، ميشال ، علم الاديان مساهمة في التأسيس ، ترجمة: عز الدين عناية (بيروت: المركز الثقافي ، ٢٠٠٩م)، ص٢٤٥.

[٦] – المصدر نفسه ، ص٢٤٦.

[٧] – (الياد)، مرسليا ، المقدس والدنيوي ، ترجمة: نهاد الخياط(دمشق: العربي للطباعة، ١٩٧٩م) ، ص١٣٦.

[٨] – البستاني . فؤاد افرام ، منجد الطلاب ، ط٣،(بيروت : دار المشرق ، ت)، ص٦٦٨.

[٩] – خياط ، يوسف ، معجم المصطلحات العلمية والفنية (دار لسان العرب .المطبعة العربية ١٩٧٤م)،ص٢٨٩.

[١٠] – مسلان، المصدر السابق، ص٢٤٦.

[١١] – العلي، بلال موسى بلال ، الرمز الديني (ابو ظبي: د.م، ٢٠١١م)، ص٢٦

[١٢] – مسلان، المصدر السابق ، ص٢٤٦

[١٣] – نقلا عن المصدر نفسه ، ص٢٤٧.

[١٤] – العلي، المصدر السابق، ص٢٧.

[١٥] – الدباغ، تقي، الثورة الزراعية (كتاب حضارة العراق) (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م)، ج١، ص١٢١.

[١٦] – (الياد) ، المقدس والدنيوي ، ص ١٣٦؛ السواح، فراس ، لغز عشتار(دمشق، دار علاء الدين،٢٠٠٢م) ص ١٧٤.

[١٧] – فرانكفورت، هـ واخرون ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ م) ص ١٥٦.

[١٨] – العلي، المصدر السابق ، ص٣٣.

[١٩] – المصدر نفسه، ص٣٤

[٢٠] – بارند، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب (عالم المعرفة)، ترجمة: امام عبد الفتاح امام(الكويت: د.م،١٩٩٣م) ، ص٨.

[21] – Martin, Lings , Symbol & Archetype, A study Of The Meaning Of Existence,1991, p.1.

العلي ، المصدر السابق ، ص٣٥.

[٢٢] – غيرتز، كليفورد، تأويل الثقافات ، ترجمة: محمد بدوي(بيروت: المنظمة العربية، ٢٠٠٩م)، ص٢٩١.

[٢٣] – العلي، المصدر السابق، ص٤٤

[٢٤] – الهرماسي، عبد الباقي، علم الاجتماع الديني(بيروت: مركز الدراسات العربية، ٢٠٠٠م)، ص٤٥.

[٢٥] – خليف، بشار محمد ، شعائر الموت ومعتقداته في المشرق العربي القديم ،دورية كان التاريخية ، العدد ٤، ٢٠٠٩م، ص١٠٥.

[٢٦] – العلي، المصدر السابق، ٦٣.

[٢٧] – (الياد)،مرسيا ، المقدس والمدنس ، ترجمة: عبد الهادي عباس(دمشق: دار دمشق للطباعة،١٩٨٨م)، ص٥٠

[٢٨] – المصدر نفسه ، ص٩٨.

[٢٩] – كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بابل واشور، ترجمة: سليم طه التكريتي و برهان عبد التكريتي(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩م)، ص٢٩٧.

[٣٠] – انظر : باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة(بغداد: دارالشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦)، ج٢، ص٣٧٥.

[٣١] – لقد تاثرت بلاد عيلام تاثيرا بالغا لالاحضارة السومرية واشتقت منها عناصر اساسية من الحضارة وتعود هذه التاثيرات الى العصور الاقديمة ابتدا من العصر الشبيه بالكتابي واول ما يلاحظ من هذه التاثيرا اقتباس العيلاميين للخط المسماري اذ وجدت الواح عديدة في العاصمة العيلامية سوسة وهي مدونة بالخط المسماري فضلا عن وجود اشارات ودلائل لاستخدام

الفخار ذو اللون الاحمر الذي يرجع اصله الى بلاد الرافدين (الاحمد واحمد، المصدر السابق، ص٣٦١) .

[٣٢] – عن الصراعات والحروب بين بلاد عيلام وبلاد الرافدين انظر، باقر، مقدمة...، ج١، صص٣٨٤-٣٩٣ ؛ الاحمد، سامي سعيد واحمد، جمال رشيد، تاريخ الشرق القديم(بغداد: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨م)، ص٣٦٢-٣٧٠.

[٣٣] – الاحمد، احمد، المصدر السابق، ص٣٦١

[٣٤] – المصدر نفسه، ص٣٦١.

[٣٥] – الدباغ، تقي، الفكر الديني القديم(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢م)، ص١٨٢.

[36] – A. Oppenheim, "Man and Nature in Mesopotamian Civilization, *Vol. 15* (New York, 1981), p. 634.

[٣٧] – سعفان،كامل، موسوعة الأديان القديمة-معتقدات آسيوية (القاهرة: دار الندى، ١٩٨٩م)، ص٢٩٩.

[٣٨] – الماجدي، خزعل، متون سومر(بيروت: شركة الطبع والنشر اللبنانية، ٢٩٩٨م)، ص١١٩

[39] – E. van Buren, *Symbols of the Gods in Mesopotamian Art* (Rome, 1945), pp. 90-91.

[40] – ibd, p.91.

ساكز ، هاري، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان(الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٩م)، ص٣٧١.

[٤١] – بارنرد ، المعتقدات الدينية، ص١٥.

[٤٢] – عكاشة ، ثروت ، تاريخ الفن (الفن العراقي سومر وبابل واشور)(بيروت: مطبعة فينيقيا،، د.ت)،ص ٩٦.

[٤٣] – العلي، المصدر السابق، ص٨٨

[٤٤] – محمد ، جميلة عبد الكريم ، قورينائية والفرس الاخمينيون منذ انشاء قوريني حتى سقوط اسرة باتوس (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٦م)، ص٢٣١.

[٤٥] – ساكز ، المصدر السابق، ص٣٧٠..

[٤٦] – عكاشة، المصدر السابق، ص٩٦؛ الماجدي، خزعل، كتاب انكي(الادب في وادي الرافدين)،(الدار البيضاء: المركز القفافي العربي، ٢٠١٣م)، ج١، ص١١٥.

[٤٧] – عكاشة، المصدر السابق، ص١١٠.

[48] – M. Cohen, *The Cultic Calendars of the Ancient Near East* (Bethesda, 1993), p. 4.

انظر ايضا : الهيتي، قصي منصور عبد الكريم ، عبادة الاله سين في حضارة بلاد وادي الرافدين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٩٥م، ص١.

[٤٩] – المصدر نفسه ، ص١.

[٥٠] – لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة: الاب ابونا ووليد الجادر(بغداد: اتحاد الناشرين العرب، ٢٠١٢م)، ص٣٤٨؛ للمزيد ينظر الهيتي، المصدر السابق، ص٣٧.

[٥١] – الهيتي، المصدر السابق، ص٣٨.

[٥٢] – للمزيد من المعلومات عن تسميات اله القمر ينظر: الهيتي ، المصدر السابق، ص٣٧–٤٠.

[٥٣] – المصدر نفسه، ص٣٤٨.

[٥٤] – الهيتي، المصدر السابق، ص١٢٣.

[٥٥] – للمزيد من المعلومات حول الاختام التي صورت الاله سين انظر الهيتي ، المصدر السابق، ص١٢٣–١٢٧.

[٥٦] الماجدي، متون سومر، ص١٢١.

[٥٧] – المصدر نفسه، ص١٢١.

[٥٨]– المصدر نفسه،ص ١٢١.

[٥٩] – الجبوري،اسماء عبد الكريم عباس، النخلة في حضارة العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد/ كلية الاداب ، ٢٠٠٠م، ص٣٢.

[٦٠] – لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: الاب البيرا ابونا واخرون(بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠٤م)، ص١٦٥؛ الجبوري، المصدر السابق، ص٣٩.

[٦١] – للمزيد من المعلومات عن اهم التسميات التي اطلقت على النخيلة واجزائها ينظر الجبوري، المصدر السابق، ص٣٩–٤٢.

[٦٢] – الحمداني ، عبد الامير،صورة النخلة في المعتقدات الرافدينية ، مجلة الاداب السومرية ، العدد٢، ٢٠٠٩م،ص ٢

[٦٣] – المصدر نفسه ، ص١٦.

[٦٤] – علي، فاضل عبد الواحد، عشتار وماساة تموز(دمشق: الاهلية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م)، ص٣٩.

[٦٥] – العلي، المصدر السابق، ص١٥٢.

[٦٦] – اسطورة إينانا وشوكالتودا: قرر اينانا النزول من السماء الى الأرض ، ويكون نزولها في جنة أو حديقة أريدو

الألهية (حديقة أنكي حيث مسكنه المحبوب أ آبزو)،ولأن الرحلة كانت شاقة وطويلة فقد أعياها التعب ولم تتمالك نفسها، لذلك تستلقي الى جوار نخلة وتأخذها سنة مّن النوم، عندها يقوم الفلاح شوكالتودا بممارسة الفعل الجنسي معها .إن نومها الى جانب شجرة النخيل فيه رمزية ،ذلك إن النخلة هي شجرتها المقدسة والمفضلة التي تركن اليها وتطمئنّ بها وتغفو الى جوارها، وفيه ايضا دلالة في ان بستان النخيل بوصف النخلة من رموز الخصب كان البيئة المثالية التي يفترض ان يجري فيها فعل الإخصاب الجنسي بعد ذلك، يتغيّر المشهد،تنزل أينانا الى الدنيا ، تقوم بتفحص الأرض، ثم يقوم الإله إنكي بخلق أول شجرة مثمرة: النخلة، ومن خلالها أول حديقة .ومن الطريف أن الغراب هو مَن باشر خلق وزرع النخلة بأمر من إنكي، حبث يصف للغراب ان عليه أن يمزج بذرة النخلة مع الكُحل وفي هذا مقاربة بين هدب عين المرأة الشابة(أينانا مثالا) وبين سعفة النخلة ، ليس فقط من حيث الشكل، بل من حيث وصفهما :رمش العين وسعفة النخيل، من مصاديق الخصب والجنس والنماء .فلطالما إهتمت المرأة بتزيين أهداب عينيها بالكحل من أجل إغراء الرجل قبيل الممارسة الجنسية، وكذا الأمر مع النخلة، فحين يحل موسم تلقيح النخيل فإن السعف يبدو في أبهى وأجمل صوره مخضرأ غضا فارداً أورقه وقد إكتست بمادة طحينية بيضاء مائلة الى السمرة، بإنتظار لقاح الذكر(الفحل)(انظر: ادوارد، د واخرون، قاموس الالهة والاساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية)، ترجمة: محمد وحيد خياط(حلب: الاهالي للطباعة والنشر، د.ت)، ج١، ص٦٢)

[٦٧] – الجبوري، المصدر السابق، ص٨٨–٨٩.

[٦٨] – المصدر نفسه، ص١١٢.

[٦٩] – المصدر نفسه ، ص١١٢.

[٧٠]– للمزيد من المعلومات حول موضوع الاعمال والموضوعات الفنية التي ظهرت فيها النخلة خلال العصر الاكدي انظر الجبوري، المصدر السابق، ص١١٤–١١٦.

[٧١] – المصدر نفسه، ص١١٧.

[٧٢] – الحمداني، المصدر السابق، ص٢٢.

[٧٣]– العلي، المصدر السابق، ص١٥٣.

[٧٤] – كلود أبو شقرا، شجرة الحياة ، حقائق عن يسوع (د.م،٢٠١٤)

[٧٥] – سيرنج، فيليب ، الرموز في الفن الاديان الحياة ، ترجمة: عبد الهادي عباس(دمشق: دار دمشق للطباعة، ١٩٩٢م)، ص٣٠٥.

[٧٦] – العلي، المصدر السابق ، ص١٥٢.

[٧٧] – سليم،احمد امين، دراسات في حضارات الشرق الادنى القديم (العراق–ايران)،(الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية،١٩٩٢م) ص١٠١.

[٧٨] – الهاشمي ، رضا ، تاريخ الخيل والفروسية في العراق القديم، مجلة سومر ، مجلد ٤٦، ١٩٩٠ ، ص ٢٤ ؛ الباشا ، حسن" الفنون في عصور ما قبل التاريخ "، طبعة ثانية (القاهرة : ٢٠٠٦) ، ص ٢

[٧٩] – توفيق، عمار طارق ، التوظيف الحيواني في حضارتي بلاد الرافدين ومصر القديمة، مجلة كلية الاداب، العدد٩٧، د.ت ، ص١٥٠.

[٨٠] – مورتكات ، انطون" الفن في العراق القديم "ترجمة د .عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ،(بغداد : ١٩٧٥م)، ص٨٢؛

[٨١] – الماجدي، متون سومر، ص٩٢.

[٨٢] – الاسود، حكمت بشير، الثور المجنح (لاماسو)(دهوك : المركز الثقافي الاشوري، ٢٠١١م، ص١٤.

[٨٣] – عمران ، مريم موسى ، الفكر الديني في بلاد الرافدين ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاثار، ١٩٩٦م، ص٢٢٦.

[٨٤] – العلي، المصدر السابق ، ص١٥٣.

[٨٥] – اوتس ، جون : الديانة والطقوس في الالف السادس ق.م في وادي الرافدين ، ترجمة: عزيز عمانويل كوركيس ، مجلة بين النهرين ، العدد ٣٩– ٤٠ ،١٩٨٢م، ص ١٩٥.

[٨٦] – امهز ، محمود ، في تاريخ الشرق الادنى القديم (بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م)، ص١٨٣

[٨٧] – باقر، مقدمة... ، ج١، ص٣٦٩.

[٨٨] – لابات ، قاموس العلامات المسمارية، ص١٤٧؛الاسود ، المصدر السابق، ص٢٥.

ورد اسم (لاما dLama) لاول مرة في احد النصوص التي تعود الى عصر فارة التي ترجع الى عصر فجر السلالات اذ استخدمت لفظة (لاما) في كتابة اسم علم من ذلك العصر وبالشكل التالي (Ur–dLama)(انظر : البياتي، امنة فاضل، الروح الحامية (اللاماسو) في ضوء النصوص المسمارية والشواهد الاثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الاداب، قسم الاثار، ٢٠٠١م، ص١٧.

[٩٠] – المصدر نفسه ، ٢٦.

[٩١]– عكاشت ، الفن العراقي القديم ، ص٣٨٨.

[92] – Van Buren, E.D, Symbols of the Gods in Mesopotamia Art, London , 1945, p74.

محسن، زهير صاحب والخطاط، سلمان، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين(بغداد: دار المعارف، ١٩٨٧م)، ص١٩٧.

[٩٣] – المصدر نفسه ، ١٩٨.

[٩٤] – العلان، ارواد عدنان، الدولة الاشكانية (دمشق: دار رسلان للطباعة، ٢٠١١م)، صص١١٤.

[٩٥] – باقر، مقدمة...، ج١، ص٢٤٣.

[٩٦] – النواب ، رويدة، فيصل موسى، الاسد في الفكر العراقي القديم(التاثير والتاثر)، مجلة كلية الاداب، العدد٩٨، ٢٠١٢م، ص٢٤٥.

[٩٧] –محسن ، زهير صاحب ، فنون فجر الحضارة في بلاد وادي الرافدين(عمان، مجدلاوي، ٢٠٠٩م)، ص٢٧٠.

[٩٨] – مورتكارت،المصدر السابق ، ص٣٨٥؛ الماجدي، متون سومر، ص

[99] –الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم (بغداد: جامعة بغداد،١٩٨٣م)، ج ٢،ص١٠٧؛ ف.آ.بيلافسكي :أسرار بابل، ترجمة د.رؤوف الكاظمي (بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر،٢٠٠٨ م) ،ص ١٤.

[100] – باقر، مقدمة ...،ج١،ص٥ ٣٨

[101] – بارو، اندريه، بلاد اشور، ترجمة :عيسى سلمان وسليم طه التكريتي،(بغداد: دار الرشيد للطباعة،١٩٨٠م)، ص ١٦٨.

[102] – باقر، مقدمة..، ج١، ص٦٢٥؛ النواب، المصدر السابق، ص٢٥٥.

[103] – Godard, Andre, The Art Of Iran, London:1962,p.127.

[104] – علام، فنون الشرق الأوسط، المصدر السابق،ص ٢٥١–٢٥٠ ؛ نعمت اسماعيل، فنون الشرق الاوسط والعالم القديم(القاهرة: دار المعارف ، ١٩٩٦م)، ص٢٥٠–٢٥١؛ النواب، المصدر السابق، ص٢٥٧.

[105] – ، العلي، المصدر السابق ص١٢٨.

[106] – كريمر،صموئيل نوح السومريون (احوالهم ، عاداتهم ، تقاليدهم) ،ترجمة: فيصل الوائلي(الكويت:دار غريب للطباعة،١٩٧٣م)، ص١٧٤؛ حنون، عقائد ما بعد الموت...، ص٢٧٦.

[107] – الماجدي،خزعل، ميثولوجيا الخلود دراسة في اسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة(دمشق: الاهلية للنشر والتوزيع،٢٠٠٠م)، ص٥١.

[108] – المصدر نفسه، ص٥١؛ توفيق، المصدر السابق، ص١٦٦.

[109] – العلي،المصدر السابق، ص١٢٩.

[110] – الماجدي، ميثواوجيا، صص٥٢.

[111] – العلي، المصدر السابق ، ص١٣٦.

[112] – باقر، طه ، ملحمة كلكامش اوديسة العراق الخالدة (بغداد : د.م، ١٩٧١م)، ص١٩٤.

[113] – ننكشزيدا: وهو الاله الذي يوصف بانه قوة العالم الاخر او طاقة العالم الاسفل (طاقة تحت الارض) حيث يسمى حامل العرش او التاج ويمتلك شجرة الهية تسمى الشجرة المنتجة العظمى وربما كان هذا الاله اله لفيفة جذور الشجرة لقد كان ففي الاصل يجسد عل شكل افعى ولذلك نجد رمزه يتضمن الافعى والشجرة ويظهر على شكل افعوانين ملتفين عل غصن

شجرة ، وربما كان ننكشزيدا اله الطب بسبب كونه ابن الاله ننازو اله الطب ابضا وقد كان ننكشزيدا سابقا يصور بهيئءة انسان عل كتفيه تظهر ثلاث رؤوس اثنان عل شكل افعى وأخر على شكل انسان وكان يركب التنين (انظر شكل رقم٣٠)(انظر الماجدي، متون سومر، ص١٣١).

[١١٤] – الاحمد، سامي سعيد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م)، ص٩٣.

[١١٥] – العلي، المصدر السابق، ص١٣٩.

[١١٦] – الحمداني ، المصدر السابق، ص١٠.

[١١٧] – الحمداني ، المصدر السابق، ص١٠.

[١١٨] – لابات،المعتقدات الدينية ، ص٣٨–٤٥.

[١١٩] – باقر، مقدمة...، ج١، ص٣٨٠

[١٢٠] – الحمداني،عبد الامير، مكانة الافعى في المعتقدات الرافدينية ، مجلة الاداب السومريةن العدد ٣، ٢٠٠٨م، ص٢.

[١٢١] – شايي، دليل حضارات، ص٦٥.

[١٢٢] – ابو زهرة ، محمد، مقارنة الاديان(الديانات القديمة)(الكويت: دار الفكر العربي، د.ت)، ج١، ص٧٧؛ محمد ، المصدر السابق،ص٢٤٣.

[123] – Kutz , Dina , Sumerian Funerary Rituals , Chicago, 2007,p176.

[١٢٤] – العلي ، المصدر السابق ، ص١٤٤.

[١٢٥] – (الياد)، المقدس والمدنس، ص٩٨.

[١٢٦] – كريستنسن، ارثر، ايران في العهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام(القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والنشر، ١٩٥٧م)، صص٢٤؛ العلي، ص١٤٥.

[١٢٧] – الماجدي، متون سومر، ص١٤٤.

[١٢٨] – عكاشة، المصدر السابق، ٣١٩.

[١٢٩] – العلي ، المصدر السابق، ص١١٥.

قائمة المصادر :

١- الأحمد ، سامي سعيد، **العراق القديم** (بغداد: جامعة بغداد،١٩٨٣م)

٢- ..... ، **المعتقدات الدينية في العراق القديم** (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م)

٣- .....، واحمد، جمال رشيد، **تاريخ الشرق القديم**(بغداد: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨م)

٤- الاسود، حكمت بشير، **الثور المجنح (لاماسو)** (دهوك : المركز الثقافي الاشوري، ٢٠١١م)

٥- ابو زهرة ، محمد، **مقارنة الاديان(الديانات القديمة)** (الكويت: دار الفكر العربي، د.ت)

٦- ادوارد، د واخرون، **قاموس الالهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية)**، ترجمة: محمد وحيد خياط(حلب: الاهالي للطباعة والنشر، د.ت)

٧- امهز ، محمود ، **في تاريخ الشرق الادنى القديم** (بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م)

٨- اوتس ، جون، **الديانة والطقوس في الالف السادس ق.م في وادي الرافدين** ، ترجمة: عزيز عمانويل كوركيس ، مجلة بين النهرين ، العدد ٣٩- ٤٠ ،١٩٨٢م.

٩- (الياد)، مرسليا ، **المقدس والدنيوي** ، ترجمة: نهاد الخياط (دمشق: العربي للطباعة، ١٩٧٩م)

١٠- ..... ، **المقدس والمدنس** ، ترجمة: عبد الهادي عباس(دمشق: دار دمشق للطباعة،١٩٨٨م)

١١- بارند، جفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** (عالم المعرفة)، ترجمة: امام عبد الفتاح امام(الكويت: د.م،١٩٩٣م)

١٢-بارو، اندريه، **بلاد اشور**، ترجمة :عيسى سلمان وسليم طه التكريتي،(بغداد: دار الرشيد للطباعة،١٩٨٠م)

١٣-الباشا ، حس ،**الفنون في عصور ما قبل التاريخ** ، طبعة ثانية (القاهرة : ٢٠٠٦)

١٤-

١٥-باقر، طه ، **ملحمة كلكامش اوديسة العراق الخالدة** (بغداد : د.م، ١٩٧١م)

١٦-البستاني . فؤاد افرام ، **منجد الطلاب** ، ط٣،(بيروت : دار المشرق ، ت)

١٧- البياتي، امنة فاضل، **الروح الحامية (اللاماسو) في ضوء النصوص المسمارية والشواهد الاثرية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الاداب، قسم الاثار، ٢٠٠١م
١٨- البياتي، عبد الحميد فاضل ، **تاريخ الفن في العراق القديم**،(بابل: د.م،د.ت)،
١٩- توفيق ، عمار طارق ، **التوظيف الحيواني في حضارتي بلاد الرافدين ومصر القديمة**، مجلة كلية الاداب، العدد٩٧، د.ت .
٢٠- الجبوري،اسماء عبد الكريم عباس، **النخلة في حضارة العراق القديم**، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد/ كلية الاداب ، ٢٠٠٠م.
٢١- الحمداني ،عبد الامير ، **مكانة الافعى في المعتقدات الرافدينية** ، مجلة الاداب السومرية، العدد ٣، ٢٠٠٨م
٢٢- ..... ،**صورة النخلة في المعتقدات الرافدينية** ، مجلة الاداب السومرية ، العدد٢، ٢٠٠٩م
٢٣- خليف، بشار محمد ، **شعائر الموت ومعتقداته في المشرق العربي القديم** ،دورية كان التاريخية ، العدد ٤، ٢٠٠٩م.
٢٤- خياط ، يوسف ، **معجم المصطلحات العلمية والفنية** (دار لسان العرب .المطبعة العربية ١٩٧٤م)
٢٥- الدباغ، تقي، **الثورة الزراعية (كتاب حضارة العراق)** (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م)
٢٦- .....، **الفكر الديني القديم**(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢م)
٢٧- ساكز ، هاري، **عظمة بابل**، ترجمة: عامر سليمان(الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٩م)
٢٨- سعفان،كامل، **موسوعة الأديان القديمة–معتقدات آسيوية** (القاهرة: دار الندى، ١٩٨٩م)
٢٩- سليم،احمد امين، **دراسات في حضارات الشرق الادنى القديم (العراق–ايران)**،(الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية،١٩٩٢م)
٣٠- السواح، فراس ، **لغز عشتار**(دمشق، دار علاء الدين،٢٠٠٢م)
٣١- سيرنج، فيليب ، **الرموز في الفن الاديان الحياة** ، ترجمة: عبد الهادي عباس(دمشق: دار دمشق للطباعة، ١٩٩٢م)
٣٢- عطية، محسن محمد ، **الفن وعالم الرمز** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦م)

٣٣- عكاشة ، ثروت ، **الفن العراقي سومر وبابل واشور**(بيروت: مطبعة فينيقيا،، د.ت)
٣٤- العلان، ارواد عدنان، **الدولة الاشكانية** (دمشق: دار رسلان للطباعة، ٢٠١١م)
٣٥- علي، فاضل عبد الواحد، **عشتار وماساة تموز**(دمشق: الاهلية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م)
٣٦- العلي، بلال موسى بلال ، **الرمز الديني** (ابو ظبي: د.م، ٢٠١١م)
٣٧- عمر ، احمد مختار ، **معجم اللغة العربية المعاصر**(القاهرة : عالم الكتب، ٢٠٠٨م)
٣٨- عمران ، مريم موسى ، **الفكر الديني في بلاد الرافدين** ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاثار، ١٩٩٦م.
٣٩- غيرتز، كليفورد، **تأويل الثقافات** ، ترجمة: محمد بدوي(بيروت: المنظمة العربية، ٢٠٠٩م)
٤٠- ف.آ.بيلافسكي، **أسرار بابل**، ترجمة د.رؤوف الكاظمي (بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر،٢٠٠٨ م)
٤١- فرانكفورت، هـ واخرون ، **ما قبل الفلسفة** ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ م)
٤٢- كريمر،صموئيل **نوح السومريون (احوالهم ، عاداتهم ، تقاليدهم)** ،ترجمة: فيصل الوائلي(الكويت:دار غريب للطباعة،١٩٧٣م)
٤٣- كريستنسن، ارثر، **ايران في العهد الساسانيين**، ترجمة: يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام(القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والنشر، ١٩٥٧م)
٤٤- كونتينو، جورج، **الحياة اليومية في بابل واشور**، ترجمة: سليم طه التكريتي و برهان عبد التكريتي(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩م)
٤٥- لابات ، رينيه ، **قاموس العلامات المسمارية**، ترجمة: الاب البيرا ابونا واخرون(بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠٤م)
٤٦- ..... ، **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين**، ترجمة: الاب ابونا ووليد الجادر(بغداد: اتحاد الناشرين العرب، ٢٠١٢م)
٤٧- الماجدي، خزعل ، **متون سومر**(بيروت: شركة الطبع والنشر اللبنانية، ١٩٩٨م)
٤٨- ..... ، **ميثولوجيا الخلود دراسة في اسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة** (دمشق: الاهلية للنشر والتوزيع،٢٠٠٠م)

٤٩- ..... ، **كتاب انكي(الادب في وادي الرافدين)**،(الدار البيضاء: المركز القفافي العربي، ٢٠١٣م)

٥٠- محسن، زهير صاحب والخطاط، سلمان، **تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين**(بغداد: دار المعارف، ١٩٨٧م)

٥١- محسن ، زهير صاحب ، **فنون فجر الحضارة في بلاد وادي الرافدين**(عمان، مجدلاوي، ٢٠٠٩م)

٥٢- محمد ، جميلة عبد الكريم ، **قورينائية والفرس الاخمينيون منذ انشاء قوريني حتى سقوط اسرة باتوس** (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٦م)

٥٣- مسلان، ميشال ، **علم الاديان مساهمة في التأسيس** ، ترجمة: عز الدين عناية (بيروت: المركز الثقافي ، ٢٠٠٩م)

٥٤- مورتكارت، انطون ،**الفن في العراق القديم**، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، (بغداد : وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٥م)

٥٥- نعمت اسماعيل، **فنون الشرق الاوسط والعالم القديم** (القاهرة: دار المعارف ، ١٩٩٦م)

٥٦- النواب ، رويدة، فيصل موسى، **الاسد في الفكر العراقي القديم(التاثير والتاثر)**، مجلة كلية الاداب، العدد٩٨، ٢٠١٢م.

٥٧- الهاشمي ، رضا ، **تاريخ الخيل والفروسية في العراق القديم**، مجلة سومر ، مجلد ٤٦، ١٩٩م.

٥٨- الهرماسي، عبد الباقي، **علم الاجتماع الديني** (بيروت: مركز الدراسات العربية، ٢٠٠٠م)

٥٩- الهيتي، قصي منصور عبد الكريم ، عبادة الاله سين في حضارة بلاد وادي الرافدين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٩٥م.

60- Benton,W,**Encyclopedia Britannica**, London,1973.

61- D. Collon, "Mond," *RA* 8 (Berlin, 1993–1997)

62- Godard, Andre, **The Art Of Iran**, London:1962.

63- Kutz , Dina , **Sumerian Funerary Rituals** , Chicago, 2007.

64- Martin, Lings , **Symbol & Archetype**, A study Of The Meaning Of Existence,1991.

65- Van Buren, E.D, **Symbols of the Gods in Mesopotamia Art**, London,1945.

المستشرق اليهودي
" ريفلين" وترجمته للقرآن الكريم
(آيات من سورة طه انموذجاً)

م.م.وسام عبد الستار دواح المفرجي

جامعة بغداد

المستشرق اليهودي " ريفلين" وترجمته للقرآن الكريم (آيات من سورة طه انموذجاً)

م.م.وسام عبد الستار دواح المفرجي

المقدمة:

يُعد القرآن الكريم من أكثر الكتب أهمية لدى المستشرقين الذين عكفوا على دراسته ومحاولة فهمه سواءً بلغته العربية أو عن طريق ترجمته إلى العديد من اللغات العالمية حتى بلغ عدد تلك اللغات حوالي ستًا وثلاثين لغة رسمية في أنحاء العالم. وجاءت هذه الترجمات ما بين ترجمات جزئية لبعض آياته أو سوره، وبين ترجمات كلية من ألفه إلى يائه. حتى بلغت تلك الترجمات الكاملة لمعاني القرآن الكريم في اللغات الأوربية مع طبعاتها المتعددة ٦٧١ ترجمة وطبعة, بينما جاءت الترجمات الجزئية والمختارات منه ٢٤٥ ترجمة، وذلك حتى عام ١٩٨٠م.

لما عُرف عن اليهود على مر تاريخهم من رغبة عارمة في تشويه صورة الإسلام والنيل منه. وقد جرت المحاولات الأولى لترجمة **معاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية بشكل جزئي في العصر الوسيط وجاءت على مسارين.**

الأول: **مسار غير مباشر**، وذلك من خلال ترجمة كتابات المفكرين والفلاسفة المسلمين– في الأندلس– إلى اللغة العبرية, حيث كانت هذه الكتب زاخرة بالعديد من الاستشهادات القرآنية مثل كتب الإمام الغزالي وكتب ابن رشد.

الثاني: **مسار مباشر**, وذلك ضمن كتابات الجدل الديني للرد على الإسلام والطعن فيه، ومما ساعدهم على ذلك علمهم التام باللغة العربية التي نالوا في دولتها أسمى المعاملة.

والهدف الأساسي لهذه الدراسة هو الكشف عن عيوب وأخطاء هذه الترجمة من خلال النظر إليها وفي ضوء عدة معايير هي : من المترجم ؟ بماذا تثقف ؟ ولماذا ترجم ؟ وكيف ترجم؟ وفي ضوء ظاهرة الاستشراق وموقفها من الإسلام بصفة عامة والقرآن الكريم بصفة خاصة؛ للخروج برؤية واضحة في هذا المجال وصولاً لتصحيح أي خطأ يرد في هذه الترجمة، ومن أجل الإسهام في وضع ترجمة عبرية لمعاني القرآن الكريم من قبل هيئة إسلامية.

وتعد ترجمة المستشرق اليهودي **(يوسف يوئيل ريڤلين)** موضوع الدراسة التي صدرت في فلسطين عام ١٩٣٦ بعنوان(אלקוראן - תרגום מערבית) (القرآن- ترجمة عن اللغة العربية) عن دار النشر דביר بتل أبيب. ثم صدرت طبعتها الثانية عام ١٩٦٣م، ثم الثالثة عام ١٩٧٢م، والرابعة عام ١٩٨٧م.

حياته:

يوسف يوئيل ريڤلين יוסף יואל ריבלין: (ولد في القدس عام ١٨٨٩م- ١٨٩٠م، وتوفي بها عام ١٩٧١م) مستشرق ومعلم، نال تعليمه في القدس، ثم عمل معلماً في بعض المدارس التابعة للحركة الصهيونية، سواء في فلسطين أو في دمشق. سافر في عام ١٩٢٢م لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي والعلوم الإسلامية من جامعة فرانكفورت. وبعد عودته عين عام ١٩٢٧م أستاذاً في معهد أبحاث الشرق التابع للجامعة العبرية بالقدس، ثم عين رئيساً لاتحاد المعلمين العبريين في فلسطين فيما بين عامي ١٩٣٠- ١٩٤١م، كما كان عضواً في أكاديمية اللغة العبرية. وهو من عشاق الأدب العربي، حيث قام بترجمة العديد من الأعمال العربية

والإسلامية إلى العبرية مثل سيرة ابن هشام، وترجمة معاني القرآن الكريم، وترجمة ألف ليلة وليلة. كما ترجم المستشرق المجري (جولدتسيهر) إلى العبرية.

دراسة النقدية لترجمة معاني سورة (طه):

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى {٩} إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [طه: ٩-١٠]

וְהַאִם בָּא אֵלֶיךָ דְּבַר קוֹרוֹת מֹשֶׁה? בְּרֹאותוֹ אֵש וַיֹּאמֶר אֶל מִשְׁפַּחְתּוֹ: " חַכּוּ לִי, כִּי הִרְגַּשְׁתִּי בָּאֵש. אוּלַי אוּכַל אָבִיא אֲלֵיכֶם מִמֶּנָּה אוּד בּוֹעֵר, אוֹ אֶמְצָא בָּאֵש אֹרַח מֵישָׁרִים "[i].

التفسير: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ الآية استئناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي إليه ينتهي مساق الحديث، وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كابراً عن كابر. وأما ما قيل من أن ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عليه الصلاة والسلام في تحمل أعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ أحكام الرسالة فيأباه أن مساق النظم الكريم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن اقتحام المشاق[ii]. وقيل: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ ﴾ الآية هذا استفهام تقريري يحث على الإصغاء لما يلقى إليه وعلى التأسي. وقيل: (هل) بمعنى قد؛ أي قد أتاك، والظاهر خلاف هذا؛ لأن السورة مكية، وأنه سبحانه وتعالى لم يكن قد أطلعه على قصة موسى قبل هذا. وقيل: إنه استفهام معناه النفى؛ أي ما أخبرناك قبل هذا بقصة موسى، ونحن الآن قاصون قصته لتتسلى وتتأسى[iii].

نلاحظ هنا أن ريفلين قد التزم بالاستفهام في صدارة الآية مع حفاظه على العطف והאם، ثم استخدم المقابل בא אליך والفعل בא يعني (جاء – أتى– قدم – أقبل – وصل– بلغ– ورد) ويدل مع حرف اللام بعده والأداة אל على بلوغ الغاية كما

في (تك ٢٣/٣٧). وقد يختلف معناه باختلاف الحرف المتصل به، وإن اشتركت معانيه في الدلالة على البلوغ والوصول بالأمر لنهاية ما، أو لجهة معينة[iv].

وقد حافظ المترجم على هذا المقابل في سور (ص والذاريات والنازعات)الآية مع المحافظة على المطابقة بين سورتي طه والنازعات. لكنه استخدم مقابلاً آخر في كل من سورتي البروج والغاشية, فاستخدم المقابل הגיע אלך، ولعل المترجم هنا أفضل حالاً من سابقه خاصة لمحافظته على وحدة المقابل ولوجود تقارب دلالي بين الفعلين בא، הגיע, فالمعنى هنا أقرب لمعنى الأصل وأكثر التزاماً به.

وفي مقابل قوله تعالى ﴿ **إِذْ رَأَى نَاراً** ﴾ في الآية التزم ريفلين بأن إذا للظرفية؛ أى حين رأى ناراً[v]. إلا أنه اختلف مع بقية المترجمين مقابل (ناراً), فأستخدم ريفلين المقابل المباشر للنار وهو אש وهو يدل على المعنى المباشر للنار.

وفي مقابل قوله تعالى ﴿ **آنَسْتُ نَاراً** ﴾ الآية, استخدم ريفلين الفعل المقابل הרגיש وهو قريب من المعنى ، لذلك يعتبر ريفلين أكثرهم دقة هنا لاستخدامه المقابل المباشر لمعنى النار،. لذلك تعد ترجمة ريفلين هى الأفضل هنا.

وأما قوله تعالى: ﴿ **لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ** ﴾الآية, فقد أتى سبحانه بهذا التركيب ليدل على أنه لما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع، وقال (لعلى) ولم يقطع فيقول (آتيكم)؛ لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به. والقبس: النار المقتبسة في رأس عود أو فتيلة أو غيرهما[vi].

وقد نجح ريفلين في الحفاظ على دلالة الطمع والرجاء في الأصل بأستخدام صيغة تفيد الاحتمال والرجاء (אולי...או).

وفي مقابل دلالة (القبس) وهو المتناول من الشعلة[vii]، وقيل (بقبس) أي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهى المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس[viii].

وقد استخدم ريفلين المقابل אוד בוער، ولفظ אוד يعني (جذوة – قبس – جمرة – شعلة) كما في (تك ٢/٣) وفي (إشع ٤/٧)[ix].

﴿ فَلَمَّا أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَٱخلَع نَعلَيكَ إِنَّكَ بِٱلوَادِ ٱلمُقَدَّسِ طُوى ۝ ﴾ [طه: ١١-١٢]

וַיְהִי כְּבוֹאוֹ אֵלֶיהָ וַיִּקָּרֵא אֵלָיו (קוֹל): " מֹשֶׁה * אָנֹכִי אֱלֹהֶיךָ, שַׁל עַתָּה נְעָלֶיךָ, כִּי בָּעֵמֶק הַמְקֻדָּשׁ בְּטֻוָא הִנָּךְ[x].

التفسير: ﴿فَلَمَّا أَتَىٰهَا﴾ أي النار التي آنسها، والضمير في أتاها عائد على النار. ﴿ نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ أي نودي فقيل يا موسى،﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ أو عوامل النداء معاملة القول لكونه ضرباً منه، وهو تكليم الله إياه. وعلمه بأن الذي ناداه هو الله تعالى حصل له بالضرورة خلقاً منه تعالى فيه بالاستدلال بالمعجزة ﴿ إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ ﴾ وتكرار الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة – والجملة جاءت تبييناً وتفسيراً للإبهام في قوله ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾[xi].

استخدم ريفلين المقابل المباشر للإتيان وهو الفعل(בא)والتزم بالضمير المتصل، ولكنه حوَّل البناء للمجهول إلى معلوم ויקרא אליו مع وضع مقدّر وهو لفظ (קול) بين قوسين وهذا إخلال بجزء من المعنى كذلك. إلا أنه أشار لكون اللفظ الدال على الفاعل هنا هو من تقديره ولم يرد في الأصل، فترجمته أفضل من سابقه رغم أنها غير وافية بالمعنى.

وقد استخدم المترجم الفعل (نودي) المقابل קרא אל بالبناء للمعلوم، وهذا من خصائص اللغة وليس قصوراً من المترجم؛ لأن الفعل נקרא لا يحمل المناداة مباشرة، بما يؤكد أن اللغة العبرية وإن كانت من أقرب اللغات إلى اللغة العربية إلا أنها قاصرة عن التعبير عن كل الدلالات التي يحتويها النص القرآني ، وأخل ريفلين بالتوكيد المستفاد من تكرار الضمير في قوله تعالى ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ حيث استخدم אנכי

אלהיך (أنا إلهك),استخدم ريفلين مقابل الربوبية لفظ(אלהים)الذي يعني (الرب– الله– الخالق– المولى– الفيصل– قاضي يحكم حسب شريعة الرب)، وهو يدل على الرب كما في (قضاة ٢/٢٠)، وفي (تك٤/٢)، إلا أنه يدل كذلك على الإلهة المؤنثة عشتروت كما في (مل أول ٥/١١) (עשתרת אלהי צדנים – عشتورث إلاهة الصيدونيين)، كما أنه يدل على آلهة الشعوب الأخرى كما في (خر ٣/٢٠) (לא יהיה לך אלהים אחרים על פני – لا يكن لك آلهة أخرى أمامي)[xii]. وهو مقابل قاصر عن المعنى خاصة في ضوء استخدام ريفلين لهذا اللفظ مقابلاً للرب وللفظ الجلالة دون إظهار للفارق بينهما.

الاستنتاجات:

بدأت الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم من العصور الوسطى في شكل ترجمات جزئية، ثم كانت أول ترجمة كاملة في منتصف القرن السادس عشر وهي مخطوط، ثم جاءت الترجمات الكاملة المطبوعة حتى بلغت أربع ترجمات حتى الآن.

وقد تنوعت مناهج الترجمة التي اتبعها كل مترجم وفقاً لظروف عصره ولتطور النظرة الاستشراقية للإسلام والقرآن ، ما بين منهج التكافؤ الشكلي كما هو الحال عند ريفلين.

وقد خرج المترجم عن المناهج التي زعم الالتزام بها، وجاء هذا في عدم الالتزام بالأصل رغم وضوح معناه وإمكان نقل هذا المعنى إلى اللغة العبرية.

الهوامش :

١- القرآن الكريم ، سورة طه اية (٩-١٠).
٢- יוסף יואל ריבלין: אלקוראן, הוצאת דביר, תל- אביב, הדפסה שניה, 1963،עמ' 319، 320.
٣- أبو السعود:تفسير أبي السعود المسمى ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم))،دار إحياء التراث العربي، بيروت،الطبعة الرابعة، ١٩٩٤م ،ج٦ ، ص٦.
٤- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط في التفسير، مراجعة صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م ، ج٧ ، ص٣١٤.
٥- י. שטיינברג: ע' בא, בוא. א. אבן שושן: ע' בא, בוא. ד. שגיב: ע' בא, בוא .
٦- أبو السعود: ج٦، ص٦ .
٧- ([vi]) الزمخشري: ج٣الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنْزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، صححه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ص ٥٣ .
٨- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، بدون تاريخ ، ص٣٩٠.
٩- أبو السعود: ج٦، ص٦ .
١٠- י. שטיינברג: ע' אוד. א. אבן שושן: ע' אוד. ד. שגיב: ע' אוד .
١١- القرآن الكريم ، سورة طه الآية (١١-١٢).
١٢- יוסף יואל ריבלין: ،עמ' 319، 320.
١٣- أبو السعود: ج٦، ص٩-١٠ .
١٤- י. שטיינברג: ע' אוד. א. אבן שושן: ע' אוד. ד. שגיב: ע' אוד .

نشاط العيون والطلائع في الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة

١٣٨-٤٢٢هـ /٧٥٥-١٠٣١م

أ.م.د.صباح خابط عزيز سعيد

جامعة بغداد / كلية الآداب– قسم التاريخ

أ.م.د.سلام علي مزعل

جامعة ذي قار / كلية التربية - قسم التاريخ

نشاط العيون والطلائع في الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة ١٣٨-٤٢٢هـ /٧٥٥-١٠٣١م

أ.م.د. صباح خابط عزيز سعيد

أ.م.د. سلام علي مزعل

الملخص:

دأب الحكام والسلاطين في كل زمان ومكان على تثبيت أركان دولهم باعتمادهم على أعداد كبيرة من العيون بهدف جمع المعلومات كي تكون وسيلة فاعلة في حسم طبيعة الصراع بين المؤسسة الحاكمة والجهات المعارضة ، وقد تكون واحدة من أهم أساليب الاختراق أحياناً والتخلص من الشخصيات المناوئة أحياناً أخرى ، فضلاً عن بث الإشاعة وتحقيق هدف الانهيار النفسي والمعنوي للقوى المعادية .

Abstract

Rulers and sultans. everywhere and every time. persisted in fixing props of their nations depending on a large number of spies to collect the information that would be an active device to determine the nature of the struggle between the ruling in statute and the opposition .It could sometimes be one of the most important penetration devices. And.at other times, it could be used in discarding opponent characters , in addition to spreading rumaurs and achieving the psychological collapse of the antagonistic powers.

المقدمة:

العيون هم جماعة تؤدي دورا خطيرا في معرفة الخطط والنوايا التي يعمل بموجبها الأعداء فضلا عن استطلاع أخبارهم وجمع المعلومات عن قواتهم وكشف كنه خططهم السوقية والتعبوية،ومن ثم خلق حالة من الفوضى وبعد ذلك إثارة المشاكل

والإسهام في مسار الانقلابات المستمرة وتحقيق تطلعاتهم في الوصول إلى سدة الحكم ومن ثم البقاء أطول مدة ممكنة وتوريثها لأبنائهم، حتى قيل: " أن العناية باستدعاء المعرفة بأحوال من يسوسه السلطان من خاص وعام من الوظائف اللازمة ظهورا واحتجابا"[١] .

أما بشأن المحددات التاريخية الزمانية والمكانية للدراسة في عصري الإمارة (١٣٨-٣١٦ هـ / ٧٥٥ – ٩٢٨ م) والخلافة (٣١٦ – ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ – ١٠٣١ م) في الأندلس فهي بسبب فاعليتهم ونضوج دورهم ، وكان عصر الخلافة اشمل اتساعا وأكثر عمقا ، وهذا ما ستوضحه ثنايا الدراسة .

لفظة العيون والطلائع لغة واصطلاحا :

عيون مفردها عين، وطلائع مفردها طلائعي، ووردت هذه الألفاظ بمعان عديدة لكنها جميعا تصب في بوتقة واحدة وهو أن العيون هم الجواسيس الذين يأتون بالمعلومات المطلوبة عن جيش العدو ويقدمونها للقيادة لتستفيد منها في خططها الحربية وان الطلائع هم مقدمة الجيش الذين يأتون الجيش بالمعلومات عن العدو وعن طبيعة الأرض وما سواها [٢].

أن المعنيين مترادفين لكن الاختلاف في عدد كل منهما وفي بعض صفاتهم ومهامهم . وبالرغم من أن الإمام علي (عليه السلام) كان يعدَ العيون طلائع والطلائع عيون إذ ورد في كتاب نهج البلاغة في وصية للأمام علي (عليه السلام) أوصى بها جيشاً بعثه إلى العدو قائلاً : " واعلموا أنَ مقدمة القوم عيونهم ، وعيون المُقدَمة طلائعهم " [٣] فالطلائع إذا عيون الجيش " مقدم القوم عيونهم ، وهم الذين يتقدمون الجيش ، أصله مقدمة القوم ، أي الفرق المتقدمة والطلائع طائفة من الجيش تبعث ليعلم منها أحوال العدو " [٤] وقال (عليه السلام): " المقدمة عيون الجيش ، والطلائع عيون المقدمة " [٥] . وقد ترد لفظة عين بمعنى ربأ أو ربيئة ، خبر[٦] ، رقيب [٧]، وفي مواضع أُخرى ترد

بمعنى تحسس أو تجسس [٨]، وجاسوس [٩] أو طليعة أو منذر [١٠] أو رصد ومرصد [١١] ومخلف [١٢] .

ولهذا يمكن القول أن للعين أو الجاسوس والطلائعي عدة معان مترادفة مع المصطلح الأصلي له فهو الراقب والراصد والمنذر وصاحب الخبر والمتحسس والمتجسس والربيئة والطليعة مفردا وجمعا فأينما تأتي هذه الكلمات وبهذه المصطلحات فأنها تعني معنى واحدا وهو الجاسوس أو المتجسس الذي يتجسس على العدو لمعرفة نقاط الضعف والقوة لديه بغية وضع الخطط الكفيلة بمواجهة تلك المخططات للعدو [١٣] .

تشير المصادر إلى أن الرسول (ﷺ) قد اتخذ العيون وكانوا من أكثر وأوثق المسلمين صدقا ونصيحة وصلابة وأكثرهم كتما للسر لئلا ينتشر خبرهم وتشير الناس إليهم في المجالس بالأصابع [١٤]، ويشير احد المؤرخين إلى أنه " كان النبي (ﷺ) مع جلالة قدره وتحقيق نظره يبعث العيون والجواسيس لكشف أخبار المشركين، والإطلاع على تفاصيل أفعالهم وأحوالهم " [١٥] .

كذلك اتخذ الخلفاء الراشدون العيون والطلائع في وقت يحتاجون فيه لمعرفة كل صغيرة وكبيرة عن رعاياهم وولاتهم وأُمرائهم وأعداء الإسلام [١٦]، كما اهتمت الدولة الأُموية بالعيون [١٧] وعدتهم أساس تدابيرها وأس مكيدتها وكانوا من أسباب قوتها في بداية تكوينها وكذلك عدتهم من أسباب سقوطها حين سئل بعض شيوخ بني أُمية ومحصليها عقب زوال الملك عنهم إلى بني العباس: " ما كان سبب زوال ملككم؟ قال: إنّا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، فظلمنا رعيتنا؛ فيئسوا من إنصافنا، وتمنوا الراحة منا، وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا، وخربت ضياعنا، فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا، فآثروا مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أمورا دوننا اخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم أعادينا فتظاهروا

معهم على حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من اوكد أسباب زوال ملكنا " [١٨]. وهذا ما أكده ابن الأزرق في عاقبة الغفلة عن مباشرة الأمور في الاستنهاض بالسياسة بعد إستنابة الأمناء وتقليد النصحاء [١٩] .

كما شغف الخلفاء العباسيون بالتجسس ومالوا إليه، فقد انتشرت الجاسوسية في قصورهم ودواوين وزرائهم وكتابهم. وأصبح لكل منهم جواسيس على الآخرين ينقلون إليه أخبارهم، فتسابق أسافل الناس إلى السعاية بأفاضلهم، يرفعون إلى الخليفة أو إلى صاحب النفوذ في دولته كتباً يختلقون بها المطاعن على الأبرياء للانتفاع بأذاهم، وأكثر ما تكون وشايتهم بأهل الدولة على حال اعتزالهم، أو فيمن يخافونهم إذا ألقيت مقاليد الأحكام إليهم، وقد يجتمع عند الخليفة أو الوزير صناديق مملوءة بتلك فإذا تكاثرت أو ذهبت الحاجة إليها احرقوها [٢٠]. وكان لابد لهم من تسقط الأخبار والإلمام بها لئلا ينسبوا إلى الضعف والغفلة أو يتجرأ عليهم الأعداء والخصوم [٢١]، فأن من أخلاق الملك السعيد على قول الجاحظ: " البحث عن سرائر خاصته وعامته وإذكاء العيون عليهم خاصة وعلى الرعية عامة. وإنما سمي الملك راعيا ليفحص عن دقائق أمور الرعية وخفي نياتهم. ومتى غفل الملك عن فحص أسرار رعيته والبحث عن أخبارها، فليس له من اسم الراعي إلا رسمه، ومن الملك إلا ذكره. فأما الملك السعيد، فمن أخلاقه البحث عن كل خفي دفين حتى يعرفه معرفة نفسه عند نفسه، وان لا يكون شيء أهم ولا اكبر من سياسته ونظام ملكه من الفحص عما قدمنا ذكره " [٢٢]. وشدد ابن شاهين الظاهري على أن: " تكون جواسيس الملك لا ينقطع عن من أرسله، ويطالعون الملك بحقيقة الأُمور " [٢٣]، " فعلى الملك أن يميز بين أوليائه وأعدائه بالفحص عن أسرارهم ودقيق أخبارهم حتى إن أمكنه أن يعرف مبيت احدهم ومقيله وما احدث فيهما فعل " [٢٤] وأشار الشيزري في هذا المعنى بقوله في عنوان فيما ينبغي للملك من سياسة الجيش وتدبيره: " أن يتعرف أخبار عدوه بالجواسيس الثقاة

التي تكون له عندهم مكانة، ليكون خبيرا بأحوالهم، ويسلم من مكرهم، ويلتمس العزم في الهجوم عليهم " [٢٥].

ويؤكد الجاحظ على شرط مهم جدا وهو " بماذا تطول مدة الملك " قائلا: " أن الملك تطول مدته إذا كانت فيه أربع خصال: إحداها، انه لا يرضى لرعيته إلا ما يرضاه لنفسه؛ والأُخرى، أن لا يسوَف عملا يخاف عاقبته؛ والأُخرى، أن يجعل وليَ عهده منْ ترضاه وتختاره رعاياه لا منْ تهواه نفسه، والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية، فحص المُرضع عن منام رضيعها " [٢٦] ويستطرد قائلا: " وقد نجد مصداق هذا القول ونشهد به. وذلك إنا لم نر مدةً طالتْ لملك عربي ولا عجمي قط إلا لمن فحص عن الأسرار، وبحث عن خفي الأخبار، حتى يكون في أمر رعيته على مثل وضح النهار " [٢٧] .

وفي إرسال الجواسيس وتسخيرهم لصلاح المملكة والرعية يقول نظام الملك: " يجب بث العيون في كل الأطراف دائما في زي تجار وسياح ومتصوفة وبائعي أدوية ودراويش لنقل كل ما يسمعون من أخبار حتى لا يظل ثمة شيء خافيا وحتى يمكن تلافي أي طارئ جديد في حينه. فما أكثر ما كان الولاة والمستقطعون والعمال والأُمراء يضمرون للملك خلافا وعصيانا ويتربصون به الدوائر سراً، لكن الجواسيس كانوا يكتشفون ذلك ويخبرون الملك به، فيركب من وقته وينقض عليهم بغته، فيحيق بهم، ويحيط مآربهم ومقاصدهم. وكانوا، إذا ما عرفوا بأن ملكا أو جيشا أجنبيا ينوي الهجوم على المملكة يخبرون الملك، فيأخذ للأمر أهبته ويدفعه. وكانوا ينهون أخبار الرعية خيرها وشرها، فيتعهدها الملوك بدورهم" [٢٨] .

ومما تقدم يبدو أن التجسس كان يجري على طريقتين ظاهرة وخفية. أما الجواسيس الذين لا يظهرون أنفسهم ولا يعرفهم احد فكانوا أنواعا منوعة تفنن الأمراء والخلفاء والملوك في استخدامهم [٢٩] .

في الأندلس هناك شواهد وأدلة غير قليلة عن استخدام العيون والطلائع في عصري الفتح (٩٢-٩٥/٧١١-٧١٤م) والولاية (٩٥-١٣٨هـ / ٧١٤-٧٥٥م) [٣٠] وكان الأمر واضحاً إذا ما أراد حكامه أن يستمروا في السلطة دون أن تحدث أُمور تبعدهم عنها والذين كان عليهم أن يعتمدوا على النظام نفسه وهو تجنيد أشخاص ثقة يعملوا لخدمتهم وخدمة مصالحهم منذ أن واجه عبد الرحمن الداخل [٣١] مؤامرات جمة بدءاً من هروبه من المجزرة العباسية بحق أُسرته وحتى تأسيسه الإمارة في قرطبة سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م ، بل أن العامل الأساسي الذي ساعده على اتخاذ قراراته الصحيحة هو اعتماده على شبكة دقيقة من عناصر الاستطلاع الأُمناء الذين كانوا ينقلون إليه المعلومات الصحيحة بصورة فورية. وقد كان من المحال عليه اتخاذ مقرراته بمثل الدقة وبمثل الحزم اللذان تميزت بهما القرارات لو لم تكن هناك معلومات دقيقة تتوافر له بصورة منتظمة. والأمر الواضح هو أن شبكة عناصر الاستطلاع قد حظيت باهتمام صقر قريش من قبل أن يصل شبه جزيرة الأندلس، إذ ظهر عملها، وبرز دورها، منذ اليوم الأول لوصوله إلى الأندلس، مما يؤكد اهتمامه الشخصي بعناصر الاستطلاع وتنظيمها مما ضمن له مجابهة المواقف المختلفة في الوقت المناسب [٣٢]. وهذا ما أكده مؤلف مجهول عندما كانت الأخبار تأتي إليه تباعا عن طريق شبكة من عناصر الاستطلاع فيأخذ حذره ويقوم بمشاورة كل من معه من الأُمويين [٣٣].

فبعد سقوط دولة بني أُمية في دمشق سنة ١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م وهروب عبد الرحمن بن معاوية على حد قول ابن الخطيب: " لما شرده الخوف إلى قاصية المغرب، وتنقل بين قبائل البربر، ودنا من ساحل الأندلس – وكان بها همه – يستخبر من قرب، فعرف أن بلادها مفترقة بفرقتي المضرية واليمانية، فزاد ذلك في أطماعه، فأدخل إليهم بدرا مولاه يحسس عن خبرهم، فأتى القوم ويلي ما عندهم، فداخل اليمانيين منهم، وقد عصفت ريح المضريين بظهور بني العباس بالمشرق " [٣٤]. وهكذا استطاع عبد

الرحمن بن معاوية أن ينجح بهذه الطريقة بعد نجاح مولاه بدر في سبر أغوار الأندلس عن طريق العيون وبث الدعوة من خلالهم وتجميع الأنصار الذين قاتل بهم يوسف الفهري، فقهره واخذ الأندلس منه وأورثها عقبه[٣٥].

ويشير ابن سعيد الأندلسي إلى أن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان من بني أُمية دخل إلى الأندلس في صدر أيام عبد الرحمن الداخل، وكان من فتيان قريش وأُدبائهم وشعرائهم، ومحاسنه كثيرة كان عبد الرحمن " يحبه ويشاوره، وهو الذي أشار عليه باصطناع البربر واتخاذ العبيد، ليستعين بهم على العرب" [٣٦] ويبين مؤلف مجهول السبب في ذلك قائلا : " لأنه استوحش من العرب بسبب نبذهم لطاعته" [٣٧] وقتله لأغلب رؤسائهم. فقد كانت حكومة عبد الرحمن الداخل تقوم في البداية بالأخص على العصبية والموالاة، وكانت عربية في بنائها وروحها، ولكن الخصومة المستعرة التي شهرها زعماء القبائل والبطون المختلفة على عبد الرحمن، والثورات المستمرة التي عملوا على إضرامها من حوله، ونكثهم المتكرر بعهودهم، حمله على الشك بالعرب والحذر منهم، فمال إلى اصطناع الموالي والبربر، ولاسيما بربر العدوة (المغرب)، وحشد حوله من الموالي والبربر والرقيق آلافاً مؤلفة، لتكون له وقت الحاجة عونا يركن إليه ويثق به [٣٨] فعنى عبد الرحمن الداخل بالجيش عناية خاصة، فحشد المتطوعة والمرتزقة من كل صوب كما في عبارة مؤلف مجهول بقوله وهو يتكلم عن أحداث سنة ١٥٦هـ/٧٧٢م : وفي هذا التاريخ أمر" ابن معاوية بإشتراء المماليك من كل ناحية " [٣٩]، وبلغت قواته نحو مائة ألف مقاتل [٤٠]، هذا ماعدا حرسه الخاص الذي أنشأه من الموالي والبربر والرقيق والذي بلغ زهاء أربعين ألفاً [٤١]، صار بهم غالبا على أهل الأندلس من العرب، فاستقامت مملكته وتوطدت[٤٢] وهكذا كما يصرح مؤلف مجهول أصبح عبد الرحمن الداخل مستظهرا "على الأندلس بمماليكه وجنده وضعف أمر العرب بالأندلس وغلظت الأُموية عليهم" [٤٣]، وكان ذلك قاعدة للسياسة

التي سار عليها خلفاء عبد الرحمن الداخل من بعده، باعتماد الجيش الأندلسي على العيون والطلائع، وكان هؤلاء فئة ضرورية جدا للتعرف على خطط ونوايا الأعداء واستطلاع أخبارهم وهو ما وضحه الطرطوشي بقوله :" وكذلك للملك ينبغي أن يتولج قلوب الناس بجواسيسه وعيونه، لا يختفون عنه بشيء حتى يعرف ما يأتمرون به في بيوتهم وأسواقهم " وقوله :" وأعلم أنه قد يكتنف السلطان من شرار الناس والأعوان ، على الحاجة إليهم ، مَنْ يُستبشع ويُستكره " (٤٤) .

وهكذا ومنذ عصر الإمارة استخدم الأُمويون الجاسوسية لتحاشي الأخطار حتى البعيدة منها فمن المعروف أن الأمير هشام بن عبد الرحمن(١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) كان يبعث إلى الكور قوما عدولا يسألون الناس عن سير العمال ، ثم ينصرفون إليه بما عندهم ؛ فيقع نظره بهدم ما تكشفه المحنة له منهم (٤٥)، وفي زمنه قوي نفوذ الفقهاء ورجال الدين، وتربعوا في أهم المناصب، وكثر تدخلهم في شؤون الدولة، خلافا لما كان عليه عبد الرحمن الداخل من إقصائهم والتحرز من تدخلهم ونفوذهم، وكان لذلك اثر غير محمود ترتبت عليه فيما بعد نتائج سياسية واجتماعية خطيرة (٤٦). وفي سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م كانت هناك حملة إلى جليقية عسكرت القوات الأندلسية عند مدينة أستورقة Astorga (٤٧) من مدن أشتوريش في إسبانيا الشمالية ، ومنها أرسلت فرقة استطلاعية من الفرسان بقيادة فرج بن كنانة تمكنت من ضرب مواقع العدو وخطوط دفاعاته الأولية كما قضت على قوة معادية من الفرسان وأسرت قائدها (٤٨).

أما الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦ هـ/٧٩٦-٨٢١م) " استعد بالمماليك حتى بلغوا خمسة آلاف : منهم ثلاثة آلاف فارس ، وألفا رجل" (٤٩) وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس، وكان يباشر الأُمور بنفسه (٥٠) وهو الذي وطأ الملك لعقبه بالأندلس" (٥١)، إذ ذكر ابن عذاري في أحداث سنة ١٩٩هـ/٨١٤م عندما دخل الحكم بن هشام

طليطلة حين خالفت عليه دخلها عن طريق الخدعة: "وذلك انه أظهر الغزو إلى بلاد المشركين، وقصد تدمير، وهو يريد في نفسه طليطلة. فنزل تدمير، وأضطرب فيها، ونازل بعض حصونها. وكتب إلى عمال الثغر بنزوله فيها وحربه لها؛ فأمِنَ أهل طليطلة، وانتشروا في بسائطهم، ونظروا في زروعهم، وله عليهم عيونُ. فلما صحَ عنده انبساطهم، جعل يتغرب من أحواز تدمير. وأخبار طليطلة ترد عليه. فلما أمكنته الفرصة فيها، جد السير إليها، وطوى المراحل؛ فوصل إليها ليلاً، وسبق بقطيع من الحشم. فدخل طليطلة ليلاً، ولم يعلم بدخوله، وأهلها في غفلة، وأبوابها مفتحة. وتتابع العسكر عليه بمقدار قوة كل احد. فملكها، وحال بين أهلها وبينها، وقطع الخروج عمن كان بها إلى من كان بخارجها. فأستوسق له ملكها دون مؤنة ولا قتال. فأستنزل أهلها من الجبال إلى السهل، وحرق ديارها، وسكَنهم الصحراء ثم ردهم إليها" [٥٢]. وهو بجعله العيون عليها الذين زودوه بكل التفاصيل وتعامله مع المعلومات بسرية تامة، استطاع أن يتغلب على هذه المدينة دونما بذل جهود كبيرة، بفضل العيون والطلائع التي أوكلت لها هذه المهمة، وكانت هذه المدينة طالما خرجت على السيطرة المركزية واستعصت على الأُمراء الذين سبقوه .

كما أن أحداث ثورة أو هيجة الربض الشهيرة في سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧م كشفت عن تلك الإمكانات التي عُرف بها بكثرة العيون وتطلعه على أحوال الناس ومباشرته الأُمور بنفسه من خلالها، فبعد أن ظفر بأهل الربض استخدم الحكم بن هشام كل هذه العيون في هذه الظروف الحساسة والحرجة التي وقع فيها وهددت حكمه وكادت تودي بحياته لولا تلك الشبكة التي أنقذت الموقف حتى بعد انتهاء الثورة وسيطرته على الوضع، فقد أثبتت تلك العيون كفاءتها في مطاردة كل المتسببين بهذه الثورة لاسيما العلماء والفقهاء الذين اختفوا مدة طويلة جدا وتواروا عن الأنظار قدرت بسنة كاملة وأكثر إلى أن سكنت الأحوال وذهبت المشكلة [٥٣] وهذا أن دل على شيء

فإنما يدل على قوة ونشاط هذا الجهاز في الظروف والأحوال الصعبة والحرجة لضبط إدارة الدولة ودفة الحكم بعد أن أمر باستباحة المدينة لمدة ثلاثة أيام لقتل مثيري الفتنة والبحث عمن ينجو بسبل شتى حتى يضبط الأمن مهما كلف الأمر، وهو ما صرح به ابن حيان بقوله: " وقعدت لهم خيل الجند وفسقة الناس بالمراصد في وجوههم من البلد، فنهبوا قوماً منهم، وقتلوا من امتنع عليهم "[٥٤] .

في زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) أشار ابن الفرضي إلى استخدام الجاسوسية وبث العيون في زمنه من خلال ترجمته لعبد المجيد بن عبد الصَّمد وهو من اهل رَيَّة، من إقليم بَلَّشُ قائلاً: " كان شيخاً فاضلاً، وكان عيناً على البحر لعبد الرحمن بن الحكم " [٥٥]. وأغلب الظن تم تكليفه بهذا الواجب بعد الهجومين الذين نفذهما النورمان على شواطئ الأندلس الغربية في أواخر عام ٢٢٩هـ/٨٤٤م في مدينة أشبونة (لشبونة)، حاول خلاله حاكم المدينة وهب الله بن حزم مقاومة هذا الهجوم والكتابة إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم ليخبره بالهجوم، فأتخذ الأمير احتياطاته فكتب إلى عمال الثغور والسواحل بالاحتراس [٥٦]، وأوائل عام ٢٣٠هـ/٨٤٤م إذ دخلوا مصب نهر الوادي الكبير بعد أن مروا بقادس وعاثوا فيها، ثم اتجهوا لمدينة أشبيلية وسيطروا عليها لعدة أيام [٥٧].

ولم تشر المصادر التأريخية إلى عمل العيون أو الجواسيس والطلائع أكثر من هذا، وربما يعود إلى شيوعها بشكل طبيعي أو أن سببه هو الهدوء النسبي الذي تمتعت به الأندلس في زمن هذا الأمير والذي فتحت في عهده الأندلس أبوابها للحضارة العراقية [٥٨].

أما الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) كان حريصا على التعرف بأفضل شكل ممكن على نشاط الخلافة العباسية، فاستخدم لهذا الغرض صداقاته مع الأئمة الرستميين أصحاب تاهرت ومع المدراريين أصحاب سجلماسة،

الذين كانوا يزودونه بمعلومات من جواسيسهم عن الوضع السياسي في بغداد والشام ومصر وأفريقيا [٥٩]. كما يشار إلى أن محمد بن موسى الرازي التاجر المشرقي الفارسي الأصل، والد احمد الرازي صاحب التأليف المشهور "صفة الأندلس"، قد اتصل بهذا الأمير وعمل لديه في التجسس على أوضاع المشرق [٦٠].

وفي الوقت نفسه كان هؤلاء الأُمراء يحتاطون من معرفة أعدائهم على أسرار دولتهم، ويذكر ابن خلدون: " كان بنو أُمية بالأندلس يمنعون أهل دولتهم من السفر لفريضة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بأيدي بني العباس فلم يحج سائر أيامهم أحد من أهل دولتهم، وما أُبيح الحج لأهل الدول في الأندلس إلا بعد فراغ شأن الأُموية "[٦١]. إلا أن ما ذهب إليه ابن خلدون في هذا الشأن أثبتت المصادر التاريخية خلافه بالشواهد والأدلة التي زخرت بأسماء الكثيرين ممن رحلوا لأداء مناسك الحج [٦٢].

كما كان للدولة الفاطمية ودعاتها جهوداً في ميدان العيون والجاسوسية استخدمت فيها الحرب النفسية والدعائية فأحد العلماء ويدعى بأبي اليسر الرياضي الشيباني من أهل بغداد ، أقام في القيروان والذي وفد على الأمير محمد بن عبد الرحمن وكان قد دخل للأندلس كعالم [٦٣] إلا أن دخوله للأندلس كان لغرض آخر لحساب أسياده الإسماعيليين بعد أن زوّر رسالة توصية على لسان أنصار للأُمويين من بلاد الشام، فأحس بخطر تواجده في الأندلس بعد أن كُشف أمره فخرج إلى مصر وسجن هناك [٦٤] ويتعجب احد الباحثين بأمره وهو كيف توصل أبو اليسر للخروج من سجنه إذ عمل لدى الأغالبة وتوفي بعد عدة سنوات من قيام الدولة الفاطمية والعمل لديها [٦٥] وزيراً وكاتباً [٦٦]. كما أن هناك رجل آخر دخل الأندلس بهذه الصورة يدعى بأبي جعفر البغدادي أحمد بن محمد بن هارون يذكره ابن الفرضي بأنه كان جاسوساً حسبما أخبره بعض الثقاة بقوله: " إنما دخل الأندلس متجسساً " [٦٧]. استكتبه واستوزره عبيد الله بعد أبي اليسر الرياضيَّ الشيباني، وقربه وأدناه واستعان به على

أمر أبي عبد الله وأخيه أبي العباس – دعاة الإسماعيلية – وجماعة كتامة. فكان منه في ذلك رأي جميل، ونفع عظيم [٦٨]. كما شغل لدى الفاطميين بعد قيام دولتهم منصباً خطيراً إذ شغل ديوان البريد [٦٩]، ويرى أحد الباحثين أن هذا المنصب من ناحية الإشراف يقابل ما يسمى بالاستخبارات في العصر الحالي [٧٠] .

وما مات محمد بن عبد الرحمن " حتى خرقت الهيبة، وزال ستر الحرمة، واستقبل ابنه المنذر ثم عبد الله نيران الفتنة، فاصلتهما مدة حياتهما إلى أن خمدت بالناصر عبد الرحمن" [٧١]. وهذا مؤشر ودليل على ضعف هذا الجهاز الذي يضعف بضعف الدولة وتردي مؤسساتها لكثرة الفتن والثورات والخارجين على السلطة، فلم يكن للعيون والطلائع شيء يذكر في زمن الأمير المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) وزمن أخيه الأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) الذي وصف زمنه على أن الأندلس مرت بمنعطف خطير وصلت فيه الأُمور إلى حالة يرثى إليها: " ثم ولي بعد أخوه عبد الله بن محمد ولاية منحلة، يحل كل عقدة عقدها أبوه وجده في الهدنة تتواتر في ولايته الأحزان ويسبى فيها العيال والأموال وتكسد فيها الأسواق وتغلو فيها الأسعار، يكون الساقط فيها عزيزاً، والأمير ذليلاً " [٧٢] .

في عصر الخلافة تكثر لدينا الشواهد على استخدام الخلفاء للجاسوسية على نطاق قد يكون اشمل اتساعا وأكثر عمقا. فعبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)"كانت له عيون على ما قرب وبعد وصغر وكبر" [٧٣]،" وأعانه على ذلك المعرفة باصطفاء الرجال واستمالة أهوائهم بالمواعيد وبذل الأموال مع طول المدة وهبوب ريح السعادة " [٧٤].حتى أن ابن عمه سعيد بن المنذر كتب له وهو محاصر ابن حفصون يذكر له تلون بني حفصون فأجابه بكتاب كتب فيه : "مهما تحققت من غَدْر بني حفصون ومكرهم فزد فيه بصيرة وأثْبِتْ على تحقيقك ظنك تحقيقاً، فإنهم شجرة نفاق ، أصلها وفروعها تسقى بماء واحد، فاهجر فيهم المنام والدَّعة، فالعيون

إليهم تَنْظُرُ والآذان نحوهم تَسْمَعُ، فمتى استنزلتهم من مَعْقلهم أَغناك ذلك عن مكابدة غيرهم. فلم يزل بهم حتى غلب عليهم " [٧٥]. وهذا ما جعل ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) الذي زار الأندلس سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م أن يقول : "وجميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالغلات والتجارات والكروم والعمارات والأسواق والبيوع والحمامات والخانات والمساجد الحسنة يقام فيها جميع الصلوات وليس بجميع الأندلس مسجد خراب وفيها مدن يزيد بعضها على بعض في المحل والجباية والارتفاع والولاة والقضاة والمخلَفين على رفع الأخبار ويقال لأحدهم مخلف" [٧٦]. وكان الناصر يلين ويعفو في الأُمور التي لا تمس أمن الدولة [٧٧]، وبعكس ذلك تماما في الأُمور التي تمس أمن الدولة وتهديدها يكون قاسيا لا يرحم أحد، ولاسيما بعد أن خسر غزوة الخندق سنة ٣٢٧ هـ/٩٣٩ م مع النصارى في جليقية، و كان قد نكل بهم على حد قول ابن حيان انه زجرهم بقسوة وأمر بإعدامهم وقال لهم: " ذوقوا وبال أمركم، أو كلام مثل هذا تحفظه عنه مَن دنا إليه. وقد صم إذنه على تنصلهم واعتذارهم وتعديدهم لسالف بلائهم، فلم يثن عما عزم عليه"[٧٨].

ذكرت المصادر بأن سبب هزيمة عبد الرحمن الناصر في غزوة الخندق ٣٢٧هـ/٩٣٩ م هو انه فوض أموره لبعض الأوغاد من الذين لم تكن لهم كفاءة أو مهنية تذكر يدعى نجدة الحيري أو نجدة بن حسين فقلده عسكره وهذا ما صرح به صاحب أخبار مجموعة: "وألجأ أكابر الأجناد ، ووجوه القواد والوزراء، من العرب وغيرهم، إلى الخضوع له، والوقوف عند أمره ونهيه" [٧٩] وهذا يدل على استخفافه بالجانب الإستخباري ولم يول له أهمية تذكر، إذ لو كان هناك جاسوسية مضادة لما كان ما حدث ن يحدث، إذ استطاع البعض أن يؤدي دور التجسس ضد الجيش الأندلسي دون أن يعلم قادته في هذا، وهو ما يسميهم ابن حيان بالخونة والمنافقين بقوله: "وبدا من قوم من وجوه الجند في هذا اليوم النفاق، لأضغان احتملوها على

السلطان، ففتقوا الصفوف، وشارعوا في الهرب، وجرَوا على المسلمين الهزيمة، وأوبقوهم" [٨٠]. وكان مما فقده عبد الرحمن الناصر هو " مصحفه الذي كان قد ضاع بجليقية في الهزيمة الخندقية، وكان مجزأ على اثني عشر جُزءا، أنصاف أسداس،..... ومضى على رأيه في البحث عنها والتقصي عليها والبعثرة دونها بكل جهة" [٨١] وكان قد استعاد هذا المصحف في سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م بفضل الجهود المبذولة للعيون التي أرسلها بعد المعركة سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م في تقصي أخباره (أي المصحف المفقود) في جليقية حتى سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م أي أن التقصي عنه دام مدة ٣ سنوات بذل فيها الناصر أموال طائلة [٨٢].

في زمن عبد الرحمن الناصر لدين الله اتهم الرحالة ابن حوقل صاحب كتاب صورة الأرض والذي زار الأندلس في سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م بالتجسس لحساب الفاطميين من قبل احد الباحثين [٨٣]. بأنه دخل على هيئة تاجر ورحالة مستنداً إلى الوصف الذي قدمه في قائمته القصيرة عن الأندلس وفيها تفصيلات دقيقة عن ثرواتها وجبن شعبها وجيشها وعدم إتقانهم للفروسية وقوانينها وقلة الفرسان تحت إمرة سلطانهم ، فضلاً عن كثرة أعداد الخارجين عليه في عدة ألوف من الضياع من النصارى يمتازون بالقوة يصعب ردهم إلا بوقت طويل، كما يتضح من خلال النصوص التي يقدمها ابن حوقل تعجبه من بقاء الأندلس بيد صاحبها بقوله: "مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم، وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الأنجاد والأبطال، وعلم موالينا عليهم السلام بمحلّها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها " [٨٤].

ومن هذه الأُمور التي كان للناصر فيها اثر كبير، عندما أوعز إلى الوزير وصاحب المدينة في قرطبة عبد الله بن بدر سنة٣٤٠هـ/٩٥١م بقراءة كتابه في المسجدين الجامعين قرطبة والزهراء بإنكاره الخارجين عن رأي الجماعة المنتمون إلى صحبة

محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي القرطبي، ويأمره بتتبع هذه الطائفة والتحري لها والقبض عليها وإنهاء الخبر إليه بالشرح والتوضيح بقوله: " وتتبع هذه الطائفة بجميع أعمالك، واثبت فيهم عيونك، وطالب فيهم غورهم جهدك، فمن تجلى بطبقتهم أن انتسب إليهم وقامت عليه البينات بذلك فاكتب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم ومواضعهم وأسماء الشهود عليهم ونصوص شهاداتهم ليعهد باستجلابهم إلى باب سدته، لينكلوا بحضرته فيذهب غيظ نفسه ويشفى حر صدره، وإياك أن تداهن في أهل الريبة وتتخطاهم إلى ذوي السلامة والأحوال الصالحة، فإن فرطت في أحد الأمرين أو كليهما فقد برئ الله منك وأحل دمك ، فأعلمه وإعتلمه إن شاء الله تعالى" (٨٥) .

أما الخليفة الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) فقد استخدم الجاسوسية في أُمور متعددة، ووضعهم في بلد آخر لرصد تحركات عدو بعيد سريع الحركة، فهناك إشارة إلى استخدام الجواسيس في زمن الحكم المستنصر للتعرف على أخبار الأعداء الخارجيين ففي أحداث سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م على ما يذكر ابن حيان بأن الحكم المستنصر كانت له اتصالات مع الحكام الإسبان غرب جليقية عندما دخل احد رسل " القومس غند شلب بن مسرة بكتابه من مدينة لستره من أداني جليقية بتاريخ يوم الأحد لأثنتي عشرة خلت من شهر رمضان بذكر دخول المجوس – اهلكهم الله – يوم السبت قبلة وادي دويره، وذلك شطر النهار وأنهم خرجوا في الغارة إلى شنت برية وبسيطها ، وأنهم انصرفوا خائبين"(٨٦). وكذلك هناك إشارة للتعرف على أخبار النورمان، إذ أرسلهم إلى شنت ياقبSantiagode Composterla في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة ، فعادوا بالأخبار إلى قرطبة (٨٧)، ففي أحداث سنة ٣٦١هـ/٩٧١م يقول ابن حيان: " وفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة منها احتل مدينة الزهراء صاحب الخيل زياد بن افلح وصاحب الشرطة العليا هشام بن محمد قائد الصائفة، قافلين من غزاتهما إلى ساحل الغرب لتتبع أخبار المجوس

الأردمانيين المتوقعين بالناحية، فتوصلا إلى أمير المؤمنين وأنبآه بما قضيا في وجههما وحيث بلغا من قصدهما وأنهما انتهيا إلى مدينة شنترين قاصية ذلك الصقع وتظاهرت لديهما الأنباء الصحيحة بأن الأردمانيين نكصوا عن الأَقدام على المسلمين عند تسمعهم بخبر الدلوف إليهم والاستعداد لهم براً وبحراً، فانقلبوا على وجوههم وجدَوا في نكوصهم وأن الجواسيس الذين أُرسلوا لامتحان أخبارهم عادوا إليها بعد بلوغهم شنت ياقب من قاصية بلد العدو ولم يختلف عليهم في فرارهم بفضل الله تعالى ومنته " (٨٨) .

كما أن الخليفة الحكم المستنصر وضع رجالاً في شنت ياقب الخاضعة لملوك ليون، والواقعة في أقصى شمال غرب شبه الجزيرة الإيبيرية لرصد تحركات المجوس النورمان، وكلف سفراءه بالتجسس على الأُمراء المسيحيين الموالين له، إذ يقول ابن حيان في أحداث سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م أن الخليفة الحكم المستنصر: " رتب المعروف بابن أبي عمروس العريف وسعيدا صاحبه المسلمين الماهرين بالخدمة ، المعروفين بصدق اللهجة للسفارة بينه وبين ملوك جليقية ولقاء قواميسها والتردد إليهم كل وقت لتعرف أخبارهم والتجسس لأنبائهم وحمل الكتب إليهم كل وقت وصرفها عنهم فيصح الصحيح وتحسن الفائدة" (٨٩) .

وفي حربه مع الحسن بن كنون (٩٠) في شمال المغرب الأقصى استخدم الحكم نوعين من الجواسيس: نوع لرصد حركات العدو ، ونوع سمي بدسيس (٩١) إعلام لتفريق أتباعه وتقريبهم ، وذلك نستنتجه مما يورده ابن حيان بقوله من رسالة للحكم المستنصر إلى قواده: " أن أفضل ما احتمل عليه واعمل به استشعار الحزم وادراع التحفظ واستنصاح الاتهام وإذكاء العيون وبث الجواسيس والاستكثار منهم ومن حملة الأخبار" (٩٢) ويقول كذلك: " فليكن منكم إلى خاصتهم وعامتهم (يقصد أتباع الحسن

بن كنون) دسيس إعلام ..... ليكونوا على علم برأي أمير المؤمنين في استصلاح أحوالهم وتقبل إنابة بيعتهم " [٩٣] .

من كل ما مر ، يبدو لنا طبيعياً لحد كبير استخدام الخلفاء الأُمويين في الأندلس لسلاح الجاسوسية ضد الفاطميين ، والعداوة بينهما على ما هي عليه من المرارة والضراوة وقد حفظت لنا روايات المؤرخين أسماء لبعض هؤلاء الجواسيس ومهماتهم وأعمالهم. كان بعضهم عيوناً يزودون البلاط الأُموي بالأنباء من مصادر مختلفة، قد تكون في بعض الأحيان البلاط المعادي. فمحمد بن محمد بن كليب يخبر الخليفة عبد الرحمن الناصر(في العشر الأواخر من ذي الحجة، يعني سنة أربع وثلاثمائة) بعد شهرين فقط بموت الخليفة أبي القاسم وتولي الخليفة إسماعيل المنصور وبصفات هذا الخليفة الفاطمي الجديد وبانتصاراته ، رغم أن البلاط الفاطمي أخفى نبأ موت القاسم مدة سنة أو سنتين [٩٤] ريثما ينتهي من أمر الثائر الذي يهدده. وهناك أمثلة أُخرى على جواسيس يقومون بضربات في البحر للحصول على أسرار الأعداء ، فعند الهجوم على الأسطول الصقلي الفاطمي سنة (٣٤٤ هـ /٩٥٥ م) لم يأسره الأندلسيون وإنما اخذوا منه الرسائل [٩٥]، ويرى دوزي أن تلك الرسائل كانت تحتوي على مشروع لمهاجمة الأندلس [٩٦] .

في حادثة أُخرى في سنة ٣٦١هـ/٩٧١م نجد المراكب الأندلسية تعمل بالتعاون مع جواسيس البر لاختطاف رجال أندلسيين هاربين إلى الفاطميين عاملين في خدمتهم. وكمثل على ذلك التاجر الشهير الذي عمل بالتعاون مع مركب أرسله له أمير البحر، ليقبض على احد العاملين في جيش خليفة الأندلس، وانتقل الآن لخدمة الفاطمي، وكان يتجول في شمال إفريقيا عند أسره ساعياً للفتنة حسب قول الرواية، ويمكن ترجمة التعبير بأنه كان يعمل على بث الانتقاض ضد الخليفة الأُموي ولمصلحة الخليفة الفاطمي [٩٧].

وربما قام بعض هؤلاء باغتيال كبار رجالات الدولة الفاطمية، إذ يروي ابن حجر العسقلاني، أن رجلا أندلسياً حاول اغتيال قاضي قضاة مصر الحسين بن علي الفاطمي أثناء تأديته الصلاة في أحد مساجد القاهرة سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م ، وانه منذ ذلك الوقت اضطر القضاة لاتخاذ حرس خاص أثناء الصلاة [٩٨].

في المقابل كان الخليفة الأُموي يعمل على استخدام الجاسوسية ضد أعدائه الفاطميين، وكان يتعقب ويوقف في الأندلس كل من يشتبه به بعمله لمصلحتهم، أو أنه يمكن أن يعمل في خدمتهم لمشاركته لهم في الاعتقاد أو بصلة القرابة [٩٩].

في زمن الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر(٣٦٧-٣٩٢هـ/٩٧٧-١٠٠١م) أخذت الأُمور منحى أخر فقد اخذ في" تغيير سير الخلفاء المروانية في إستجرار الأمر لنفسه وسبك الدولة على قالبه...فجعل أهل الرأي من مصادر أموره ومواردها يقصون بخروجها عن حدِ الصواب وقانون التدبير لها؛ وربما فاوض جلتهم الرأي، فيشيرون عليه من الوجه الذي عرفوه، والقانون الذي حمدوه؛ فيعدل عن ذلك المذهب الذي شرعه، والطريق الذي نهجه، والخطر الذي لا يجهل اقتحامه؛ فيبهت القوم من حسن ما يقع له" [١٠٠] فانتشر الأمن والأمان في زمنه " وتملك فما خفق بأرضه لواء عدو....وانتشر الأمن في كل طريق، واستشعر اليمن كل فريق. وملك الأندلس بضعا وعشرين حجة، لم تدحض لسعادتها حجة " [١٠١].

ويذكر ابن عذاري ما قد جرى بعد وفاة الحكم المستنصر- من أمور حرب الجواسيس النفسية بين الصقالبة [١٠٢] والحاجب المصحفي [١٠٣] وكيف استغل ابن أبي عامر [١٠٤]، هذا الخلاف بين الجانبين وانحراف الصقالبة عن الحاجب المصحفي عندما كانوا قد كرهوا البيعة للخليفة الجديد الصبي هشام بن الحكم المستنصر وأرادوها إلى أخي الحكم المستنصر المغيرة وذلك لصغر سن هشام بن الحكم المستنصر، فأخذ حذره منهم – قائلاً : " وأذكى العيون؛ وبلغه أن جوذراً وفائقا يدبران على الدولة.

ويدسان في ذلك إلى بعض من في قيادتهما وجوه الغلمان والفحولة؛ وكان الدخول والخروج إليهما على باب الحديد؛ فأمر الحاجب جعفر المصحفي بسده بالحجر، وصير دخول الناس على باب السُدَة. فحسم شر الصقالبة" (١٠٥)، وهو أمر أكده ابن بسام بقوله: " وأذكى العيون مع ذلك عليهم حتى ملك نفوسهم " (١٠٦)، بل زاد المصحفي على ذلك بأن طلب إلى ابن أبي عامر أن يبذل قصارى جهده ويعمل على غاية ما في وسعه حتى يقصي من حول فائق وجوذر من الخدم المسلحين من غير الصقالبة والعبيد (١٠٧).بل حتى أنه حصلت بينه وبين صبح أُم الخليفة هشام وحشة أو خلاف "آل الأمر فيها إلى أَن كانت الغلبة له، وأَخذ الأموال التي كانت في القصر مُختزنة ونقلها إلى داره، ووكَّلَ بالقصر من أراد، وصارت الدولة باطناً وظاهراً على حكمه"(١٠٨) .

وما كان ليحصل كل هذا للمنصور الحاجب لو لا اتخاذه العديد من العيون والاستطلاع حتى في ابسط الأُمور وأهونها على حد قول النباهي : " وكانت لمحمد بن أبي عامر في أيامه " عيون بالليل والنهار، لا يقع أمرٌ من الأُمور حتى يعلم به " (١٠٩)، ولم يكن الأمر محصوراً على أموره الشخصية بل تجاوز ذلك إلى الخليفة هشام المؤيد بالله (٣٦٦-٤٠٣هـ/٩٧٦-١٠١٢م) حينما أشاع ابن أبي عامر أن الخليفة فوض إليه النظر في أمر المُلك وتخلى له عنه لعبادة ربه: " حتى انه لم يكن ينفذ له أمر في داره ولا حرمه إلا عن إذنه وعلمه. وجعل متولي قصره من قِبله من يثق به، وصيّره عيناً على السلطان، ولا يخفى عليه شيء مــن حركاته وأخباره" (١١٠).وهذا الأمر أشار إليه صاحب كتاب تاريخ الأندلس بعد أن انتقل إلى قصره الجديد الزاهرة وبقي هشام المؤيد في قصره بقوله: " وبنى المنصور حول قصر المؤيد سوراً دائراً به وحفيراً، وحصنّه بالبوابين والرقباء وجعل عليه العيون " (١١١).

وكان عدل المنصور في الخاصة والعامة، واطراحه المهاودة، وبسطه الحق على الأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته، أمراً مضروب به المثل[١١٢] وكانت طائفة البربر" خاصته وبطانته، وهم اظهر الجند نعمة،وأعلاهم منزلة " [١١٣]. كل هذا على الصعيد الداخلي للأندلس .

على الصعيد الخارجي وفي ظروف الصراع المستمر مع الأعداء في الغزوات الكثيرة التي خاضها وفي محاولة الطرفين معرفة ما يحدث في جبهة الطرف الأخر عن طريق تنظيم شبكة استطلاع دقيقة، مع اتخاذ التدابير الوقائية لحماية قواته وأقاليمه من شبكة خصمه (الجاسوسية والجاسوسية المضادة)، فقد اهتم الحاجب المنصور اهتماما كبيرا بقضية الأمن والاستطلاع إذ كان لابد من استخدام العنف ضد أعداء الخارج من الجواسيس والمأجورين، وكان يقضاً حتى أقصى حدود اليقظة ضد أعداء الداخل، حتى انه قضى ليلته مسهدا وهو يتابع تحرك جاسوس من الجواسيس، حتى إذا ما تم إلقاء القبض عليه، وعرف منه أعضاء شبكة الجاسوسية، بادر بسرعة إلى إعدامهم [١١٤]، فكان العنف هو الوسيلة الرادعة الوحيدة، والجزاء العادل لتلك العناصر التي ربطت نفسها بعجلة أعداء الإسلام والمسلمين [١١٥]. وكان من نتيجة هذه الطرائق التي طبقها الحاجب المنصور انه حقق نجاحا لا مثيل له في إحباط إرادة القتال لدى أعداء المسلمين وهو ما يشير إليه النص التالي: " كان للمنصور في كل غزوة من غزواته المنيفة على الخمسين مفخراً من المفاخر الإسلامية، فمنها أن بعض أجناده نسي رايته مركوزة على جبل بقرب إحدى مدائن الروم، فأقامت عدة أيام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العساكر، وهذا بلا خفاء مما يفتخر به أهل التوحيد على أهل التثليث، لأنهم لما اشرب قلوبهم خوف شرذمة المنصور وحزبه، وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه، لجأوا إلى الفرار

والتحصن بالمعاقل والقلاع، ولم يحصل منهم غير الإشراف من بعد والإطلاع "[١١٦].

وبقدر ما كان المنصور يهتم بمعرفة أوضاع جند العدو، كان اهتمامه كبيرا أيضا بمعرفة أحوال جنده [١١٧]. ويظهر بوضوح انه بقدر ما كان المنصور صلبا وقاسيا مع جنده بقدر ما كان كريما معهم، يغرقهم بأعطياته، ويغدق عليهم المنح والهبات يشتري بها ولاءهم، فيعادل بذلك بين الثواب والعقاب والشواهد على ذلك كثيرة [١١٨]. ويظهر من خلال ذلك أن المنصور قد دعم جبهته الداخلية وعمل على تقويتها من اجل مجابهة تحديات نصارى الشمال. واستخدم انتصاراته الخارجية في الوقت ذاته من اجل دعم مكانته الداخلية، وزيادة قدرته العسكرية. ومن خلال هذه العلاقة الجدلية والمتبادلة أمكن له تحقيق التوازن الدقيق والمحكم في إعادة التنظيم الشامل للدولة [١١٩].

لم يكن باستطاعة الحاجب المنصور على كل حال تحقيق النجاح في تطبيق مبدئي المباغتة والمبادأة لولا اعتماده على مبدأين آخرين يتوازيان ويتساويان في أهميتهما مع المبدأين السابقين، وهما: أمن العمل، والقدرة الحركية العالية للقوات. وتبرز أهمية مبدأ العمل عند معرفة طبيعة مسرح العمليات الجبلية والصعبة والتي تحتمل إمكانات تحقيق المباغتة في كل مرحلة من مراحل الأَعمال القتالية. كما تبرز أهمية مبدأ القدرة الحركية العالية للقوات عند معرفة المساحات الشاسعة لمسرح العمليات، والحاجة للتحرك بسرعة من اجل تطوير الأعمال القتالية والمحافظة على المبادأة. وقد اظهر الحاجب المنصور باستمرار حرصه على حماية قوات المسلمين من المباغتة بقدر حرصه على مباغتة العدو. فكان يتخذ مجموعة من الإجراءات المعروفة بالمصطلحات الحديثة تحت أسماء تدابير الحيطة عند التحرك، وتدابير أمن العمليات، ومن ذلك، إحاطة عملياته بنطاق محكم من السرية المطلقة واختيار مناطق

مختلفة لحشد القوات، ودفع عناصر الاستطلاع حتى الأفق البعيد سواء أثناء التحرك أو عند اقتحام مسرح الأعمال القتالية، والتوسع الكبير في نشر شبكة الاستخبارات – الجاسوسية – ومحاربة استخبارات العدو وتدميرها، إلى جانب ما يطلق عليه اسم "التمويه للعمليات " واتخاذ مجموعة من التدابير الخداعية لتضليل العدو. وبرهنت هذه التدابير على فاعليتها وقوتها، بحيث لم تتعرض قوات المسلمين لما هو معروف من مباغتات الحرب [١٢٠].

في زمن الحاجب عبد الملك المظفر ابن الحاجب المنصور (٣٩٢-٣٩٩هـ/ ١٠٠١-١٠٠٨م) ذكر ابن حيان: " ضبطه للدولة بعد موت أبيه، ونفيه من خاف فتنته من الغلمان إلى سبته، وأحبه الناس، وانصب التأييد والإقبال عليه انصبابا لم يسمع به، وسكن الناس منه إلى عفاف ونزاهة، فأخذوا في المكاسب والزينة، وبلغت الأندلس في أيامه إلى نهاية الجمال والكمال.... وجرى على سنن أبيه من غزو النصارى ، وضبط الدولة " [١٢١].

في خلافة سليمان المستعين [١٢٢] أولى هذا الجانب عناية خاصة للسيطرة على الأوضاع المتأزمة، وكان اختيار المستعين لبني حمود لتولي العدوتين قد أثار استنكار زعماء البربر الذين ناصروه وعلى رأسهم محمد بن عبد الله البرزالي الذي ثبته المستعين على قرمونة، وأدرك المستعين مدى فساد قراره ولكن بعد فوات الأمر ولذلك لجأ إلى بث عيونه لتطلعه على أخبار بني حمود وأحوال سبته أولاً بأول ففي سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م " قَتَل علي بن حمود [١٢٣] قاضي سبتة محمد بن عيسى والفقيه ابن يربوع كبيرها وكان سبب قتلهما انه لما همَ بالقيام على سليمان المستعين وخلع طاعته وجَه المستعين من يتطلَع على أخباره فأتهم أن القاضي خاطبه بذلك فأمر بقتله ولما عزم علي بن حمود على الخروج من طاعة المستعين خاطب أخاه فهرب عن قرطبة واحتل الخضراء، وفي هذه السنة كفَ البربر عن أهل قرطبة " [١٢٤]. وكانت شكوك

البربر في ولاء بني حمود صادقة لأن علي بن حمود كان طامعا في أن يكون له دور في الحياة السياسية في الأندلس وكانت أحلامه عريضة في إحياء مجد أجداده الأدارسة ولذلك كان يتطلع إلى الخلافة نفسها، وان كان يتظاهر بولائه للخليفة المستعين بالله بدليل انه سك عملة في دار السكة بسبته تحمل اسمه كوال لسبته إلى جانب اسم الخليفة المستعين [١٢٥] . وشدد المستعين في هذا الوقت على الجانب الإستخباري كثيراً حتى وصلت الحالة إلى تجنب الناس ممن تدور حوله الشبهات ، وهذا ما حصل مع القاضي أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن وافد الذي استقضاه وولاه الصلاة هشام المؤيد آخر خلفاء الجماعة إثر سخطه على أحمد بن ذكوان ونفيه له وقت اشتعال الفتنة البربرية ، تولاهما على استكراه ، ولما تغلب المستعين على هشام المؤيد بالبرابرة هرب ابن وافد كونه على عداوة مع البربر ، فظفروا به في صبيحة يوم الخميس لخمس بقين من جمادي الآخرة سنة ٤٠٤هـ وصلبوه بتهمة إشعال الفتنة والتعاون مع النصارى وتنازله عن بعض حصون المسلمين للنصارى مقابل رشاوى ، والناس تتقطع قلوبهم ولا يُغْنُونَ عنه ، وبعد صلبه " لم يصلّ عليه أحد من المشاهير خوفاً من السلطان والعيون " [١٢٦].

وبعد سيطرة الحموديين على الخلافة في قرطبة في محرم سنة ٤٠٧ هـ/ ١٠١٦ م وتولي علي بن حمود الخلافة حرص أن يجلس بنفسه للمظالم وإقامة الحدود لينصف المظلومين وبهذه الأُمور وسواها ما فتن أهل قرطبة به أشد فتنه [١٢٧] فسرعان ما انقلبت الأوضاع وساءت كثيرا بعد أن كانت أفعاله حسنة عند الرعية إلى أن أوقعهم في أعظم بلية [١٢٨] الأمر الذي يؤكده ابن بسام الشنتريني على سوء الأوضاع وما آلت إليه الأمور في قرطبة إلى درجة أصبح الناس فيه يبيعون أنفسهم للخليفة من أجل النجاة قائلا: " قد صار الناس أشراطا على سائرهم، قلما تلقى أحدا منهم إلا بموكل عليه، حتى كأن الكرام الكاتبين بدوا للأبصار، فأخذت على الناس الأقطار،

فأظلمت الدنيا وأبلس أهلها وغشيهم من أمر الله ما غشيهم، فلزموا البيوت، وتطمروا في بطون الأرض، حتى قل بالنهار ظهورهم وخلت أسواقهم، فإذا دنا المساء وكف الطلب عنهم، انتشروا تحت الظلام لبعض حاجتهم " [١٢٩] وقد فسر دوزي ذلك الأمر وهو يعلق على سوء هذه الأوضاع قائلا: " وزخرت المدينة برجال الشرطة والجواسيس والوشاة، وانعدام الأمن، ذلك أن القضاة كانوا أميل إلى جانب الأندلسيين حين كان (علي بن حمود) يعطف عليهم، أما الآن فأن تعلقهم بوظائفهم أدى إلى عدم الإصغاء إلى شكاوى العامة من البربر مهما بلغت هذه الشكاوى من الصحة، وباع آخرون أنفسهم للخليفة " [١٣٠].

ويذكر كل من ابن بسام وابن عذاري[١٣١] في أحداث سنة ٤٠٩ هـ/١٠١٨ م أَن خيران الصقلبي قد وضع عيوناً على الأُموي المرتضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الناصر، الذي قام بشرق الأندلس سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م هو ومن تحالف معه في جيان بهدف الاستيلاء على الحكم وإسترداده لبني أُمية من الحموديين [١٣٢]، لئلا يخفى أثره فلحقوه بقرب وادي آش وقد أمن على نفسه فهجموا عليه فقتلوه وجاءوا برأسه إلى خيران الصقلبي العامري ومنذر بن يحيى التجيبي وهما بمدينة المرية.

ويبدو أن المصادر التاريخية بعد ذلك لم تسجل أو تشر إلى عمل هذه العناصر – رغم اعتقادنا بوجودها لكن بفاعلية ضعيفة جداً – لسوء الأوضاع في هذه المدة، وكثرة الخارجين على القانون في المدن الأندلسية حتى أن القتل كثر على الشبهة، فضلاً عن كثرة ممن تولوا أمور البلاد سواءً في مدة الحموديين أو بعد عودة الخلافة لبني أمية من جديد منذ سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م، وهذه أمور تؤدي إلى عدم الاستقرار بالنسبة للحكومات المتتالية إذ لا تستطيع أن تصنع نظام مستقر وآمن، وأستمر الوضع هكذا حتى سقوط الخلافة في منتصف ذي الحجة من سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م [١٣٣]، إلا أن هذه العناصر عادت وبقوة في عصر دويلات الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣١م-

١٠٩١م) المتناحرة فيما بينها "بإذكاء العيون، وإساءة الظنون"[١٣٤] حتى قيل أنهم كانوا يرصدون في كل فج "عين ويد"[١٣٥] وليس هذا وحسب بل إن التجسس امتد إلى القصور وبكثرة في هذا العصر، حتى أصبح يؤدي تلك المهمة النساء والفتيان على حد سواء، حتى لو كان الأمر يتطلب الخيانة والغدر لملوكهم بعد أن شملتهم ثقة وعطف وإحسان حكام تلك الدويلات وأصحاب القصور[١٣٦]. لدرجة استخدام وسائل التعذيب للبعض من أجل انتزاع اعترافاتهم وبالقوة عن أماكن تواجد المتهمين أو الخارجين على القانون [١٣٧]. وظل هذا الجهاز بعناصره يسجل حضوره في مختلف العصور التي مرت بها الأندلس[١٣٨] .

الخلاصة:

العيون عناصر قتالية ضرورية وفعالة جدا وهي وان لم تكن تدخل ساحة المعركة الفعلية ، لكنها تؤدي عملا مهما من خلال كشف النوايا والخطط المعادية وبالتالي فأن المعلومات التي تقدمها ترسم بموجبها الخطط وتوضع موضع التطبيق لمجابهة خطط الأعداء . وعلى هذا فأن العيون عناصر وفئات عسكرية مهمة تؤدي دورا كبيرا لا يمكن لأي قيادة عسكرية الاستغناء عنها .

الهوامش والمصادر والمراجع:

(١) ابن الأزرق ، أبو عبد الله (٨٩٦هـ/١٤٩٠م) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار (بغداد ، دار الحرية للطباعة ،١٩٧٧م) ، ج٢ ، ص٣٧.

(٢) للمزيد من المعلومات انظر الجنابي ، خلود مسافر نعمة ، العيون والطلائع في صدر الإسلام وخلافة الأُمويين (بيروت ، الدار العربية للموسوعات ،٢٠١٠م) ، ص٢٣ومابعدها.

(٣) ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٥م) ، ج٣ ، ص ص١٩٢-١٩٣ ، ج١٥، ص٨٩.

(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج١٥، ص٩٠.

(٥) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ص٩٠.

(٦) ابن الأثير ، أبو السعادات مبارك بن مبارك الجزري الشيباني الشافعي (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق ظاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي (القاهرة ، دار إحياء الكتب الحديثة ،١٩٦٣م) ،ج٢، ص ص٦-٧.

(٧)ابن فارس ، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة ، دار إحياء الكتب ، د.ت.) ، (باب رقب).

(٨) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري(ت٧١١هـ/١٣١١م) ،لسان العرب ، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ، إعداد تصنيف يوسف الخياط ، (بيروت ، دار لسان العرب ، د.ت.) ، (مادة تحسس وتجسس).

٩ ابن سعيد الاندلسي ، المغرب ، ج٢ ، ص١٧ .

(١٠) ابن منظور ، لسان العرب ، (مادة نذر).

(١١) الزبيدي ، محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ، تاج العروس في جواهر القاموس (باب رصد).

(١٢) ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، صورة الأرض (قم المقدسة ، المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٦هـ) ، ص١١٦. والمخلف أو الخلف هنا هو التابع لمن مضى وليس معنى الخلف الذي هو البَدلُ . ينظر ابن منظور ، أبو الفضل بن مكرم جمال الدين (ت٧١١هـ/١٣١١ م) ، لسان العرب المحيط ، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف يوسف خياط (بيروت ، دار لسان العرب ،د.ت.) ، مج١،ص٨٨٥.

(١٣) الجنابي ، العيون والطلائع ، ص ص٣١-٣٢ ؛ وانظر في هذا الصدد : الأعرجي ، محمد حسين ، جهاز المخابرات في الحضارة الإسلامية (دمشق – بيروت ، دار المدى للثقافة والنشر

، ١٩٩٨م) ، ص ١٣ وما بعدها ؛ فرحات ، كرم حلمي ، تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور (الإسماعيلية ، مكتبة الإمام البخاري ، ٢٠٠٧م) ، ص ١٣ وما بعدها .

(١٤) القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي بن ابي الحسن القاهري (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٣م) ، ج١، ص١٢٥ ؛ الهرثمي ، – صاحب المأمون – ابو سعيد الشعراني (من القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي) ، مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عبد الرؤوف عون ، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، د.ت.) ، ص٢٤ ؛ وانظر الجنابي ، العيون والطلائع ، ص ص ٤١، ٨٥، ٢٥١.

(١٥) العباسي ، الحسن بن عبد الله (ت٧١٠هـ/١٣١٠م) ، آثار الأُول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، (بيروت، دار الجيل ،١٩٨٩م) ،ص١٧٨.

(١٦) للمزيد انظر الجنابي ، العيون والطلائع ، ص١٥٥ وما بعدها .

(١٧) الجنابي ، العيون والطلائع ، ص١٧١.

(١٨) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد هشام النعسان وعبد الحميد طعمة حلبي (بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٥م) ، ج٣ ، ص٢١٧ ؛ وانظر البيهقي ، الشيخ إبراهيم بن محمد (من علماء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) ، المحاسن والمساوئ (بيروت ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م) ، ص١٥٥.

(١٩) ابن الأزرق ، بدائع السلك ، ج ٢، ص ص٣٠-٣١.

(٢٠) انظر الصابئ ، ابو الحسن الهلال بن المحسن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م) ، الوزراء أو تحفة الأُمراء في تاريخ الوزراء ، (بيروت ، بلا ، ١٩٠٤م) ، ص٢٢٤ ؛ ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني (ت٦٣٠هـ/م) ، الكامل في التاريخ ، اعتناء عدنان العلي وهيثم طعيمي ، (صيدا– بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٨م) ، ج١٠ ، ص ص٣١٥،٣٠٥ ؛ زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٧م) ، ج٣ ، ص٤٤٦

(٢١) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٦م) ، التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق احمد زكي باشا (القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩١٤م) ، ص١٦٧ وما بعدها ؛ المنجد ، صلاح الدين ، بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي ، (بيروت ، دار الحياة ، ١٩٥٧م) ، ص٨٦.

(٢٢) التاج في أخلاق الملوك ، ص١٦٥ ؛ وانظر التغلبي ، محمد بن الحارث (من علماء القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) ، أخلاق الملوك (المنسوب للجاحظ سابقا) ، تحقيق جليل العطية ، (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م) ، ص ص١٦٩-١٧٠ ؛ ابن رزين الكاتب ، علي (من علماء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) ، آداب الملوك ، تحقيق جليل العطية ، (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ٢٠٠١) ، ص ١٠١.

(٢٣) ابن شاهين ، غرس الدين خليل (ت٨٩٣هـ/١٤٧٨م) ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك ، تحقيق خليل منصور ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧م) ، ص٥٦.

(٢٤) الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك ، ص١٦٩.

(٢٥) الشيزري ، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م) ، النهج المسلوك في سياسة الملوك ، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل واحمد فريد المزيدي (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م) ، ص١٦٧.

(٢٦) التاج في أخلاق الملوك ، ص١٧٠.

(٢٧) التاج في أخلاق الملوك ، ص١٧٠.

(٢٨) نظام الملك ، الخواجة الحسن بن علي الطوسي (ت٤٨٥هـ/١٠٩٣م) ، سياسة نامة (سير الملوك) ، ترجمه عن الفارسية يوسف حسين بكار ، (بيروت ، دار القدس ، د.ت.) ، ص١٠٠.

(٢٩) المنجد ، بين الخلفاء والخلعاء ، ص ص٨٧-٨٨.

(٣٠) مؤلف مجهول (من علماء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق إبراهيم الابياري ، ط٢، (بيروت – القاهرة ، دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري ،١٩٨٩م) ، ص ص ١٧،١٩،٢١ وما بعدها ؛ ابن الكردبوس ، أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن

السادس الهجري) ، الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق عبد القادر بوباية ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩م) ، ج١، ص ٢٩٣ ؛ بن عسكر ، ابو عبد الله (ت ٦٣٦هـ/١٢٣٨م) و ابن خميس ، أبو بكر (كان حياً ٦٤٢هـ/١٢٤٤م) ، أعلام مالقة ، تحقيق عبد الله المرابط الترغي (بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٩م) ، ص٢٦٢.

(٣١) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، الملقب بصقر قريش ، ويعرف بالداخل ، الأُموي : مؤسس الدولة الأُموية في الأندلس ، ولد في دمشق ، ونشأ يتيماً (مات أبوه وهو صغير) فتربى في بيت الخلافة . ولما أنقرض ملك الأُمويين في الشام ، وتعقب العباسيون رجالهم بالفتك والأسر ، أفلت عبد الرحمن ، وأقام في قرية على الفرات . فتتبعته الخيل ، فآوى إلى بعض الأدغال حتى آمن ، فقصد المغرب ، فبلغ إفريقية .فلج عاملها عبد الرحمن بن حبيب الفهري بطلبه ، فأنصرف إلى مكناسه وقد لحق به مولاه بدر بنفقه وجواهر كان قد طلبها من أُخت له تدعى أُم الأصبغ ثم تحول إلى منازل نفزاوة وهم جيل من البربر ، أُمه منهم . فأقام مدة يكاتب من في الأندلس من الأُمويين . وبعث إليهم بدراً مولاه ، فأجابوه . للمزيد ينظر : الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط١٧(بيروت ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٧م) ، ج٣، ص٣٣٨ والمصادر المشار إليها في الحاشية .

(٣٢) العسلي ، بسام ،عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) ، (بيروت ، دار النفائس،١٩٨٠م) ، ص ص٢٠٢-٢٠٣.

(٣٣) فتح الأندلس ، دراسة وتحقيق لويس مولينا (مدريد ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي ، د.ت.) ، ص ٨٤.

(٣٤) ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن احمد السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف علي طويل (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م) ،ج١، ص٢٤٧.

(٣٥) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج١، ص٢٤٧.

(٣٦) ابن سعيد الأندلسي ، أبو الحسن علي بن موسى وأسرته (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ط ٢ (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤م) ، ج١، ص٦٠.

(٣٧) فتح الأندلس ، ص١٠٤.

(٣٨) عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، ط٢ (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦١م) ، ع ١، ق١ ، ص١٩٥.

(٣٩) فتح الأندلس ، ص١٠٤.

(٤٠) عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ،ع١ ، ق١ ، ص١٩٦ نقلا عن المقري نفح الطيب ج٢ ، ص٧٤ (طبعة القاهرة ، ١٣٠٢هـ .) .

(٤١) مؤلف مجهول ، فتح الأندلس ، ص١٠٤.

(٤٢) المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس (بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨م) ، مج ٣ ، ص ص٣٦-٣٧ (برواية ابن حيان).

(٤٣) فتح الأندلس ، ص١٠٤.

(٤٤) أبو بكر محمد بن الوليد الفهري المالكي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) ، سراج الملوك ، حققه وضبطه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحي أبو بكر ، تقديم شوقي ضيف ، مجلدان (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ،١٩٩٤م) ، مج٢ ، ص ص٧٤٥ ، ٧٤٦.

(٤٥) ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت بعد سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م) ، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس ، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩م) ، ج٢ ، ص٦٦.

(٤٦) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ، ق١ ، ص ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٤٧) أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، (بيروت ، منشورات دار الكتب العلمية ،١٩٩٧م) ، ج ٢ ، ص ٤٤ ؛ عباس ، فائزة حمزة ، التنظيمات العسكرية للأندلس في عصر الإمارة ١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م ، المجلة القطرية للتاريخ والآثار ، العدد٣ ، (بغداد ، ٢٠٠٤م) ، ص٣١٦.

(٤٨) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢، ص ص ٦٤-٦٥.

(٤٩) المقري ، مج١، ص٣٤١ ؛ وانظر ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ج١ ، ص ٣٩.

(٥٠) المقري ، مج١ ، ص٣٤٢ ؛ وانظر ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٧٤ ؛ الشعراوي ، احمد إبراهيم ، الأُمويون أُمراء الأندلس الأُول ، (القاهرة ، المطبعة العالمية ، ١٩٦٩م) ، ص٢١٦.

(٥١) ابن خلدون ، عبد الرحمن الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، تاريخ ابن خلدون ،(القاهرة ، ١٢٤٨م) ج٤ ، ص ١٢٧.

(٥٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢،ص ص٧٤-٧٥.

(٥٣) ابن حيان ، السفر الثاني من كتاب المقتبس ، حققه وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي (القاهرة ، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٠م) ، ص ص ١٦٦-١٦٩ ؛ ابن سعيد الاندلسي ، المغرب ، ج١، ص٤٣ ؛ المراكشي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الآلوسي (ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م) ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس (بيروت ، دار الثقافة ،)، بقية السفر الرابع ، ص ص ١٥٠-١٥١ (ترجمة رقم ٢٧٤) ؛ المقري ، نفح الطيب ، مج٢ ، ص ص ١١،٦٣٩ (ترجمة رقم٢) ، (ترجمة رقم٢٢٦) .

(٥٤) ابو حيان مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان القرطبي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي ، (القاهرة ، مجمع اللغة العربية ، ٢٠٠١م) ، السفر الثاني ص ١٧٢.

(٥٥) أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م) تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٦م) ، ج١ ، ص ٢٦٣ (الترجمة رقم ٨٦٧).

(٥٦) ابن حيان ، السفر الثاني من المقتبس ، تحقيق مكي (طبعة ٢٠٠١م) ، ص ص ٤٥٠-٤٥١ ؛ العذري ، ترصيع الأخبار ، ص٩٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٧.

(٥٧) ابن القوطية ، تاريخ إفتتاح الأندلس ، ص٦٦ ؛ ابن حيان ، السفر الثاني من المقتبس ، تحقيق مكي (طبعة ٢٠٠١م) ، ص ٤٥١ وما بعدها ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ص ٨٧-٨٨.

(٥٨) الراشد ، عبد الجليل ، التأثيرات العراقية في الأندلس وأوربا (بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ٢٠٠١م) ، ص ٥٩ وما بعدها .

[٥٩] بدر ، أحمد ، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة) ، (دمشق ، بلا ، ١٩٧٤م) ، ص١٠٧ نقلاً عن:

Provencal,E. levi , Histoire de lEspagne, (paris,1951),vol.3,p.p.502- 503.

[٦٠] السامرائي ، خليل ابراهيم وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، (طرابلس ، دار المدار الإسلامي ،٢٠٠٤م)،ص٣٢٣.

[٦١] عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، المقدمة ، تحقيق محمد محمد تامر (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٥م) ، ص٢٢٧.

[٦٢] للمزيد من المعلومات انظر الحميداوي ، صباح خابط عزيز سعيد ،الأحوال الاجتماعية والاجتماعية لأعيان الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة ١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م ، منشورات دار ومكتبة عدنان (دمشق ، دار صفحات ، ٢٠١٤م) ، ص ٩٣ وما بعدها .

[٦٣] ابن الأبّار ، التكملة ، ج١ ، ص ١٧٣(الترجمة رقم ٤٥٤) ؛ وأنظر الراشد، التأثيرات العراقية في الأندلس وأوربا ، ص ٧٠.

[٦٤] مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ص ١٢٩-١٣١.

[٦٥] بدر ، تاريخ الأندلس ، ص ١١١.

[٦٦] ابن الأبّار ، التكملة ، ج٢ ، ص٦٧٠ (الترجمة رقم ١٧٠٦) .

[٦٧] تاريخ علماء الأندلس ، ج١ ، ص ٦٩ (الترجمة رقم ٢٠١) ؛ ابن الأبّار ، التكملة ، ج٢ ، ص ٦٧٠(الترجمة رقم ١٧٠٦) .

[٦٨] ابن الأبّار ، التكملة ، ج٢ ، ص ٦٧٠ (الترجمة رقم ١٧٠٦) ؛ وينظر ايضاً : المراكشي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق وتقديم وتعليق محمد بن شريفة (بيروت ، دار الثقافة ، د.ت)، س٨ ، ق١ ، ص ٢٦٨ (رقم ٦٦).

[٦٩] ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج١ ، ص ١٦٩.

[٧٠] بدر ، تاريخ الأندلس ، ص ١١١.

[٧١] ابن سعيد الأندلسي ، المغرب في حلي المغرب ، ج١ ، ص٥٣.

[٧٢] الأندلسي ، عبد الملك بن حبيب السلمي (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) ، كتاب التاريخ (المنسوب إليه) مع إضافات كثيرة ، اعتنى به عبد الغني مستو (صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٨م) ، ص ١٥٤.

[٧٣] ابن سعيد الأندلسي ، المغرب في حلي المغرب ، ج١ ، ص ١٨٥.

[٧٤] ابن سعيد الأندلسي ، المغرب في حلي المغرب ، ج١ ، ص١٨٢.

[٧٥] ابن سعيد الأندلسي ، المغرب ، ج١ ، ص ص ١٨٤-١٨٥.

[٧٦] صورة الأرض ، ص١١٦.

[٧٧] أدهم ، علي ، عبد الرحمن الناصر (بيروت ، دار القدس ، د.ت.) ، ص١٩٤.

[٧٨] ابن حيان ، أبو حيان مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان القرطبي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) ، المقتبس (الجزء الخامس) ، اعتنى بنشره بيدرو شالميتا وآخرون بالتعاون لضبطه وتحقيقه فيديريكو كورينطي و محمود صبح وغيرهم ، (مدريد ، المعهد الاسباني العربي الثقافي ، ١٩٧٩م) ، ص ص ٤٤٦.

[٧٩] مؤلف مجهول ، ص ١٣٧.

[٨٠] ابن حيان ،المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ص ٤٣٦-٤٣٧.

[٨١] ابن حيان ،المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٤٧٥.

[٨٢] ابن حيان ،المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٤٧٥.

[٨٣] بدر ، تاريخ الأندلس ، ص١١١.

[٨٤] صورة الأرض، ص ص ١٠٨-١١٧.

[٨٥] ابن حيان المقتبس تحقيق شالميتا ، ص ٢٩.

[٨٦] ابن حيان ، أبو حيان مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد ابن حيان القرطبي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، (بيروت ، مطبعة سميا ، ١٩٦٥م) ، ص٢٧.

[٨٧] طه ، عبد الواحد ذنون ، دراسات في التاريخ الأندلسي ، (الموصل ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٨٧م) ، ص٦٣.

[٨٨] ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ص٩٢-٩٣.

(٨٩) المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص٧٦.

(٩٠) الحسن بن القاسم كنون الإدريسي ، آخر أُمراء الدولة الأدريسية الثانية في الريف المغربي وبعض أطراف فاس . ولي بعد أخيه احمد سنة ٣٤٨هـ /م ، وكان يدعو للناصر الأُموي الأندلسي فوجه إليه المعز الفاطمي صاحب مصر جيشا ، فجعل الدعوة للفاطميين سنة ٣٤٩هـ /م ثم خاف انتقام المروانيين منه ، فخلع بيعة الفاطميين ، وأعاد الدولة لهم . فزحف عليه بلكين بن زيري من افريقية ، وكان من أشياع الفاطميين ، فخضع له الحسن . ولما عاد بلكين إلى افريقية وجه الحكم المستنصر صاحب الأندلس جيشا لقتال الحسن ، فقاتله الحسن ، وقتل قائده . فغضب المستنصر وجرد جيشاً آخر لإخضاعه ، فأستسلم الحسن بعد وقائع . وسيق إلى المستنصر ، فأكرمه وأسكنه قرطبة سنة ٣٦٤هـ/م ثم أخرجه منها ، ونفاه إلى المشرق سنة ٣٦٥هـ /م فقصد مصر بأهله ، ونزل ضيفا على العزيز بالله الفاطمي ، وكان المعز قد توفي ، فأكرمه العزيز ، ثم جهز له جيشا وسيره إلى المغرب سنة ٣٧٣هـ/م فقاتل المروانيين طويلا ، وفشل وأسر ، وسيق ثانية الى قرطبة ، فقتله المروانيون غيلة في الطريق . وبمقتله انقرضت دولة الأدارسة في المغرب الأقصى . ينظر السلاوي ، أبو العباس احمد بن خالد الناصري (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م) ، الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق ابني المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري (الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٥٤م) ،ج١، ص ص ٨٦–٨٨ ؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط١٧ (بيروت ، دار العلم للملايين ،٢٠٠٧م)، ج٢،ص٢١٠ .

(٩١) الدسيس شبيه بالمتجسس ويقال ندش، يندش ندشاً، ونقرت عن الخبر ، فتشت عن وتنقرته وانتقرته. انظر الفيروزابادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)،القاموس المحيط، ط٢ (القاهرة ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٥٢م) ،ج١ ، (مادة استخبر الخبر).

(٩٢) المقتبس ، تحقيق الحجي ،ص٩٧.

(٩٣) المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص٩٧.

(٩٤) ابن الابار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ/)، الحلة السيراء ، تحقيق علي ابراهيم محمود ،(بيروت،دار الكتب العلمية،٢٠٠٨م) ، ج١، ص١٦٤ (برواية ابن حيان) ؛ المقريزي ، تقي الدين بن احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٤م) ، إتعاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط٢ (القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٩٦م) ، ج١ ، ص٧٢ ؛ وللمزيد انظر بدر ، احمد ، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري عصر الخلافة (دمشق ، بلا ، ١٩٧٤م) ، ص١٠٩.

(٩٥) ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) ، الكامل في التاريخ (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٨م) ، ج٦ ، ص ٣٤٩.

(٩٦) رينهارت بيتر آن ، تاريخ المسلمون في اسبانيا ، ترجمة حسن حبشي (القاهرة ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م) ، ج٢ ، ص ٤٦.

(٩٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ص٨٦-٨٧.

(٩٨) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي(٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، رفع الأُصر عن قضاة مصر ، آخر كتاب الكندي الولاة والقضاة (بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨م) ،ص٥٩٦.

(٩٩) للمزيد انظر بدر ، تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري ،ص١١٠ ومابعدها .

(١٠٠) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ص٢٧٢-٢٧٣ .

(١٠١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢، ص٢٧٣.

(١٠٢) تسمية أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة، لان بعض الجرمان دأبوا على سبي تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها الى عرب الأندلس. للمزيد ينظر العبادي ، أحمد مختار ، الصقالبة في أسبانيا لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية ، (مدريد، المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، ١٩٥٣م) ، ص ص ٨-٩ ؛ للمزيد انظر الريشاوي ، احمد مخلف حسن خلف ، الصقالبة ودورهم السياسي والعسكري من عهد الامارة حتى نهاية دويلات الطوائف (١٣٨-٤٨٣هـ/٧٥٥-١٠٩٠م) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الانبار ، كلية الاداب ، (الانبار ، ٢٠٠٩م) ، ص١٢ وما بعدها .

(١٠٣) جعفر بن عثمان بن نصر بن عبد الله بن كسيلة ، من برابر بلنسية ، ينتمي إلى قيس بالمحالفة. أباه عثمان أدب الحكم المستنصر عندما كان ولياً للعهد، وذلك أزلف جعفراً عنده وأدناه منه، فأستخدمه بالكتابة في أمارته. وولي جزيرة ميورقة في أيام الناصر، ثم تقلد الحكم

الخلافة، فأستوزره وأمضاه مع ذلك على كتابته الخاصة، وضم إليه بعد مدة ولاية الشرطة، وأخدمه أبنه هشاماً. للمزيد أنظر ابن الابار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) ، وضع حواشيه وعلق عليه علي إبراهيم محمود (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٨م) ، ص ص ١٤٧ -١٥٣(الترجمة رقم ١٠٠).

(١٠٤) محمد بن أبي عامر ، أبو عامر الملقب بالمنصور ، أمير الأندلس وحاجبها (٣٦٧-٣٩٢هـ/ ٩٧٧-١٠٠٢م) في دولة هشام المؤيد (٣٦٦-٤٠٣هـ/٩٧٦-١٠١٢م) أصله من الجزيرة الخضراء . للمزيد ينظر الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، (صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٤م) ، ص ص ٨٣-٨٤ ؛ الضَّبِّي ، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، (صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٥م) ، ص ص ١٠٩-١١١.

(١٠٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٦٢.

(١٠٦) الذخيرة ،ق١،م٢،ص٧٣١.

(١٠٧) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٦٣؛ وانظر دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج٢ ، ص ٩٠.

(١٠٨) ابن سعيد الأندلسي ، المغرب ، ج١، ص٢٠١.

(١٠٩) أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي (ت بعد ٧٩٣هـ/١٣٩٠م) ، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا ، تحقيق صلاح الدين الهواري (بيروت ، المطبعة العصرية ، ٢٠٠٦م) ، ص٩٥.

(١١٠) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٧٨.

(١١١) مؤلف مجهول ، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٧م) ، ص ٢٢٢.

(١١٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ،ج٢ ، ص٢٨٩.

(١١٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ،ج٢ ، ص٢٧٩.

(١١٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ،ج٢ ، ص ص٢٩٠-٢٩١ ؛ وانظر المقري ، نفح الطيب ، مج١، ص ص٥٩٥-٥٩٦.

(١١٥) العسلي ، بسام ، الحاجب المنصور (٣٢٦-٣٩٢=٩٣٨-١٠٠٢م) ، (بيروت ، دار النفائس ، د.ت.) ، ص١٤٥.

(١١٦) المقري ، نفح الطيب ، مج١، ص٥٩٥.

(١١٧) المقري ، نفح الطيب ، مج١ ، ص ص ٤١٧-٤١٨.

(١١٨) المقري ، نفح الطيب ، مج١ ، ص٤١٧.

(١١٩) العسلي ، الحاجب المنصور ، ص٧٢.

(١٢٠) العسلي ، الحاجب المنصور، ص ص١٣٨-١٣٩.

(١٢١) ابن سعيد الأندلسي ، ج١ ، ص ص٢١٢-٢١٣.

(١٢٢) سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، الأُموي ، أبو أيوب : من ملوك الدولة الأُموية في الأندلس ، تلقب بالمستعين بالله والظافر بحول الله ، ولي الخلافة مرتين الأولى يوم الثلاثاء السابع عشر لربيع الأول المذكور من سنة ٤٠٠ هـ /١٠٠٩ م، وانخلع في الثاني عشر لشوال من السنة ذاتها فدولته الأولى سبعة أشهر. والثانية يوم خلعه هشام بن الحكم (٤٠٣ - ٤٠٧هـ/ ١٠١٢ -١٠١٦ م) إلى يوم قتله ثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصفا، وكان في جملة جنوده القاسم وعلي ابنا حمود ، فولي القاسم الجزيرة الخضراء وولي عليا طنجة وسبتة ، فلم يلبث علي أن استقل وزحف إلى مالقة فتملكها ثم إلى قرطبة فدخلها وقتل المستعين بيده . وبمقتله انقطع ذكر بني امية على منابر الأندلس مدة سبع سنين . وكان أديبا شاعراً. انظر ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣، ص٩١ وما بعدها ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٣ ، ص ١٢٣.

(١٢٣) علي بن حمود بن ميمون بن احمد الإدريسي الحسني العلوي ، الملقب بالناصر لدين الله : أول ملوك الدولة الحسنية الحمودية بقرطبة . كان في منشأه من جملة أجناد سليمان بن الحكم الأموي . للمزيد انظر الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص ٢٨٣ والحواشي المشار اليها .

(١٢٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ،ج٣ ، ص١١٥.

(١٢٥) الحسيني ، محمد باقر ، نقود المغرب والأندلس دراسة تحليلية للكنى والالقاب ، مجلة المسكوكات مجلة علمية تبحث في المسكوكات ، العددان ١٢-١٣ (بغداد ، ١٩٨١-١٩٨٢م) ، ص ١١٠.

(١٢٦) ابن سعيد الاندلسي ، المغرب ، ج١ ، ص ص ١٥٦ ، ١٥٧.

(١٢٧) ابن بسام الشنتريني ، أبو الحسن علي (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٠م) ، ق١،ج١،ص٨٧.

(١٢٨) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، ق١،ج١، ص٨٧.

(١٢٩) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، ق١،ج١،ص٨٨.

(١٣٠) المسلمون في اسبانيا ، ج٢ ، ص٤٦.

(١٣١) الذخيرة ، ق١،ج١، ص ٣٥٢ ؛ البيان المغرب ،ج٣ ، ص١٢٧.

(١٣٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣، ص١٢١ وما بعدها ؛ بوبايه ، عبد القادر ، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري ٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١١م)، ص٣٥٠.

(١٣٣) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، ق١، ج٢،ص ٤٦٢؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣،ص١٨٧.

(١٣٤) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، ق٢،ج٣،ص٤٢.

(١٣٥) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، ق٣، ج٥، ص٢٤.

(١٣٦) ابن الخطيب الغرناطي ، الإحاطة ، ج١ ، ص٢٤٣؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣، ص ص ٢٦٤-٢٦٥؛ القوصي ، عطية ، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية ، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية ، جامعة القاهرة ، العدد ٢ (القاهرة ، مركز الدراسات الشرقية ، ٢٠٠١م) ، ص١٤٤.

(١٣٧) المراكشي ، ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت ٧٠٣هـ/١٣٢٦م) ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق محمد بن شريفة وإحسان عباس ، (الرباط ، مطبعة المعارف الجديدة ، ١٩٨٤م) ، السفر الثامن ، القسم الثاني ، ص ص ٤٢٣-٤٢٤.

(١٣٨) ابن سعيد الأندلسي ، المغرب ، ج١، ص ص ١١٨، ٣٢٤؛ ابن أبي دينار ، محمد بن أبي القاسم الرعَيني القيرواني (ت بعد ١٠٩٢هـ/١٦٨١م) ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط٣، (بيروت ، دار المسيرة ، ١٩٩٣م) ، ص١٤٩.

الحرب الاهلية الاولى في لبنان ونظام القائمقاميتين

١٨٤١-١٨٤٥

م. عبد السلام محمد السعدي

الحرب الاهلية الاولى في لبنان ونظام القائمقاميتين
١٨٤١-١٨٤٥

م. عبد السلام محمد السعدي

المقدمة

جاءت خصوصية جبل لبنان على اثر اندلاع الحروب الأهلية بين سكان هذه المقاطعات في الأعوام ١٨٤١م، ١٨٤٥م، التي كانت أكثر فتكا باللبنانيين ، وقد كان طرفا النزاع الطائفة الدرزية التي كانت تتمتع بالنفوذ السياسي والاقتصادي منذ بداية السيطرة العثمانية على بلاد الشام عام ١٥١٦ ، والطرف الثاني هم المسيحيون الموارنة الذين أصبحوا قوة سياسية منذ اعتناق الأمير بشير الشهابي الثاني (١٧٨٨م-١٨٤١م) مذهبهم الماروني الكاثوليكي وعلى اثر اشتداد الصراع بين الطائفتين للسيطرة على الحكم، تدخلت الدول الأوربية في شؤون جبل لبنان بوصفها حامية للرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية(١).

لا يمكن تحديد حدود جبل لبنان تحديداً يصدق عليه في جميع اطواره، لأنه يضيق تارة ويتسع تارة اخرى بحسب قوة الامير او الوالي الذي يتولى ادارته وفقاً لنظام اقطاع الارض والالتزام، الذي تبناه السلاطين العثمانيون في الاراضي العربية التي دخلت ضمن اطار الهيمنة العثمانية ، والذي حددت بموجبه السلطة السياسية في جبل لبنان بمنصبي الامير الحاكم والمقاطعجي، ويعد الامير صاحب السلطة السياسية العليا ويسمى (الحاكم) ، وكان الباب العالي العثماني، يصدر أمر "فرمان" تعيينه بأسم السلطان عن طريق والي صيدا، اما المقاطعجي فيأتي في المرتبة الثانية بعد الامير

في سلم الهرم السياسي والاجتماعي لنظام الحكم اللبناني، لتأتي بعدها عامة الشعب في المرتبة الثالثة في ذلك النظام، ليكرس نظام الادارة العثماني في جبل لبنان لأنه ابقى الزعامات الاقطاعية القائمة على حالها واختار من بينها حكاماً يرأسون النظام الاقطاعي وهم في الوقت ذاته زعماء لعدد من الاسر الاقطاعية(٢).

ويمكن القول ان الطبقية غدت عرفاً سائداً في جبل لبنان، وان النظام الاقطاعي صار بشكل واضح، احد المقومات الاساسية للحياة السياسية والاجتماعية في جبل لبنان في العصر الحديث، وقد بدا ذلك بشكل متميز من خلال الدور التاريخي الذي مارسته اكبر الوحدات الاجتماعية عدداً في التأثير في رسم صورة الحياة السياسية في بنيتها التقليدية، وهم الموارنة والمسلمون من الدروز وغيرهم من الطوائف الاخرى (٣) .

يعد الموارنة من ابرز الطوائف التي استوطنت جبل لبنان، وهم من اقدم الطوائف الكاثوليكية فيه واهمها، لا بسبب كثرة عددهم في جبل لبنان، بل بسبب الدور السياسي الذي أدوه في تلك البلاد، ويعد القديس مار مارون والبطريرك يوحنا مارون ، ابرز رموز الطائفة المارونية التي حملت اسميهما، وكانت بلدة البترون الواقعة على الساحل اللبناني الشمالي، اول مقاطعة لبطريركية الطائفة المارونية. وكانت اول اشارة ورد فيها ذكر الطائفة التي تنتسب الى القديس مار مارون، هي الرسالة التي ارسلها بطريرك القسطنطينية من منفاه في ارمينيا الى مارون الكاهن عام ١٤٠٤م طلب فيها ان يذكره في صلواته وكان مارون من اوائل الذين تبنوا في بلاد الشام حياة الرهبنة وبشر بالمسيحية (٤).

اما الطائفة الثانية التي اشتهرت في جبل لبنان فهي طائفة الدروز، وهم يعدون من الفرق الاسلامية التي ترجع بجذورها الى فرق الاسماعيلية الفاطمية، ويرجع نسب اصحابها الى محمد بن اسماعيل الدرزي الملقب بـ(نشتكين)، احد الدعاة الفاطميين في عهد الخليفة الفاطمي السادس الحاكم بأمر الله (١٠٢١م) ، الذي تسمى اتباعه باسمه بعد ان كانوا يسمون بتسميات ثلاث هي (الموحدون، المسلمون، آل معروف) ، التي كانت حتى اواسط القرن الثامن عشر مؤسسة معزولة عن الحياة العامة(٥).

لمحة تاريخية

ان لفظة لبنان لم تكن سائدة خلال الحقبة العثمانية، بل كان هناك تعبير (جبل لبنان) بوصفه تعبيراً جغرافياً لمنطقة معينة، حددت بالمناطق الجبلية الشمالية (بشري، البترون، جبيل) ، والمنطقة الجبلية الوسطى (بلاد كسروان) التي يسكنها الموارنة ، والمنطقة الجبلية الجنوبية (بلاد الشوف) التي يسكنها الدروز، ولم يكن لهذه المنطقة في بادئ الامر اي علاقة بمناطق الموارنة في الشمال، لذلك لم تشملها تسمية (جبل لبنان) قبل القرن السابع عشر للميلاد، ولكن مع اواخر القرن الثامن عشر شملت التسمية منطقة الدروز، ولعل الموارنة الذين نزحوا الى هذه المناطق خلال القرنين السابع والثامن عشر، كفلاحين في الاقطاع الدرزي استعملوا اسم موطنهم الاصلي فشمل الشمال والجنوب(٦) .

للطبيعة في جبل لبنان اهمية كبرى في مجرى احداثه التاريخية ، فهو يتألف من سلسلتي جبال: ساحلية تمتد على طول ١٥٠ كم وترتفع في بعض انحائها الى اكثر من ٣١٠٠ م ، وهي اغزر امطارا واوفر سكانا من السلسلة الشرقية التي توازيها

وتنفصل عنها بسهل البقاع الخصيب، ولكنها مجدبة محرومة من الينابيع في معظم بقاعها ، ولم تلعب الدور التاريخي الهام الذي لعبته السلسة الغربية الساحلية(٧) .

خلقت وعورة جبل لبنان الغربي وارتفاع قممه وانعزالها جعله ملجأ تأوي اليه الطوائف الدينية التي تشذ بمعتقداتها وتقاليدها عن غالبية المحيط الاسلامي ، وتقصده جماعات الاشقياء والمتمردين والمغضوب عليهم ، شأنه في ذلك شأن بقية الجبال في كل مكان من السلطنة العثمانية ، حيث يسهل على هؤلاء اللاجئين الدفاع عن انفسهم ومعتقداتهم ضد مطاردة السلطات لهم(٨).

تركز الموارنة في لبنان الشمالي ، والشيعة في شمالي سهل البقاع وفي كسروان ، والدروز في الجزء الجنوبي من الجبل وفي سطح جبل حرمون (الشيخ) ، تاركين للمسلمين السنة السواحل والسهول الداخلية التي تشتد فيها قبضة العثمانيين ، وقد أدى هذا التوزيع السكاني الى تباين نظام المجتمع الجبلي والمجتمع الحضري ، ان صح هذا التعبير ، فبينما كان يعتمد اهالي الجبل اعتمادا كليا على الفلاحة والعناية بأشجار التوت والزيتون والعنب وشجيرات القطن ، نرى ان سكان السهل يزرعون الحبوب ، وسكان الساحل يمارسون التجارة ويبرعون فيها لأنها موردهم ورزقهم الوحيد وموضع عنايتهم، وكان من الطبيعي ان يلعب الدين دورا مهما في حياة الجبليين اليومية وفي تقاليدهم واتجاهاتهم، وبالتالي ليس غريبا ان يمارس رجال الدين من البطاركة او الكهنة او الحكماء او العلماء نفوذا عظيما على الناس ويكون لهم كلمة مسموعة على طوائفهم، وهو امر غير مألوف في غير جبل لبنان(٩).

عودة حكم الاستانة لبلاد الشام ونفي الامير بشير الثاني عام ١٨٤٠

نجح الحلفاء في تأليب اللبنانيين ضد ابراهيم باشا، ولكنهم لم ينجحوا في استمالة الامير بشير الثاني الى جانبهم، فاعلن الامير بشير الثاني موقفه المؤيد لمحمد علي باشا على الرغم من التهديدات التي تلقاها من قبل الدول الحليفة، ولاسيما البريطانية، حيث دعته الى التوقف عن دعمه للحكومة المصرية وان يعلن ولاءه للسلطان العثماني، فتضمن له الحكومة البريطانية بقاءه حاكماً على جبل لبنان، وجعل الحكم مقتصراً في اسرته من بعده، فما كان رد الامير بشير على ذلك الا التأكيد على استمراره في التحالف مع محمد علي باشا(١٠).

كانت العمليات العسكرية تدور بعيدة عن مسرح بشير الثاني وعن عاصمته السياسية فاقتصرت مجمل اعماله على ان يبقي عصيان الاهالي بعيداً عن عاصمة حكمه، لكن اهالي الشحار تسلموا السلاح من الحلفاء ورفضوا تسليمه للأمير بشير بحجة انهم يعيدون السلاح الى الجهة التي تلقوه منها، ثم عمد الامير بشير الى اغراء الدروز للوقوف بجانبه، لكن محاولاته باءت بالفشل(١١).

ومع تنامي حركات العصيان، وكثرة الهزائم التي الحقت بالجيش المصري، ادرك الامير بشير، ان اي هزيمة تحل بالمصريين ستلحق به عاجلاً ام اجلاً، كما ادرك ان ما يجري هو اكبر من حجمه وسلطته، لذلك حاول الاتصال بالحلفاء والمهادنة معهم، فابلغهم سراً استعداده للانضمام اليهم طالباً منهم ابقاءه حاكماً بضمانة الدول الاربع واعطاء مهلة لاستدعاء اولاده وحفدته من معسكرات المصريين، لكن الحلفاء لم يوافقوه على الضمانة ولكنهم اعطوا الامير مهلة للانضمام الى جانب الحلفاء وحدد موعدها الاقصى يوم ٨ تشرين الاول١٨٤٠م (١٢).

ويبدو ان تردد الامير بشير في الاستجابة لطلب الحلفاء يعود الى قناعته بعدم تخلي فرنسا عنه فاثر التريث حتى تتضح الامور اكثر، وقد ادت سياسة المماطلة التي اتبعها الامير بشير الثاني الى تغيير البريطانيون لسياستهم تجاهه فقد حصلوا على "فرمان عثماني" يقضي بعزل الامير بشير الثاني وتعيين الامير بشير قاسم ملحم بدلاً عنه، وقد اعطى البريطانيين ذلك الفرمان تاريخاً سابقاً هو الثالث من شهر ايلول انتقاماً من الامير بشير على نشرته للأهالي الصادرة بالتاريخ ذاته(١٣).

حسمت هزيمة بحر صاف موقف الامير بشير، وتأكد له رجحان السياسة البريطانية، وتراجع فرنسا وهزيمتها امام التحالف الاوربي، فاضطر الى التسليم الى بريطانيا املاً في ان يبقوه حاكماً على الجبل وارسل يستقدم اولاده وحفدته اليه، ثم بدأ بجمع امواله تمهيداً للنزول الى صيدا، وفي١٠ تشرين الاول ١٨٤٠ ترك الامير بشير بيت الدين مصطحباً عائلته ومدبره وحاشية كبيرة تألفت من سبعين شخصاً فضلاً عن بعض الاعيان(١٤).

ادى انسحاب الامير بشير الثاني من الجبل وتركه القصر ببيت الدين الى فراغ في السلطتين السياسية والامنية، فاستغل بعض اهالي دير القمر وبعقلين ذاك الفراغ واستولوا على الاسلحة والامتعة والمؤن والذخائر، وعبثوا بمحتوياتها على مرأى من الوكلاء الذين اقامهم الامير بشير على القصر قبل مغادرته الى صيدا، كما ان القوات المتحالفة تغلغلت في مناطق جبل لبنان كافة ووصلت الى جبل عامل فانطلقت موجة من العصيان ضد الحكم المصري، واقبل الاهالي على تسلم الاسلحة من الحلفاء، فرأى المصريون ضعف قوتهم، فانسحبوا من طرابلس واللاذقية وادرنه دون قتال، ولم

يعد بحوزتهم سوى قلعة عكا وسواحل فلسطين الا ان الحلفاء تمكنوا من اسقاط عكا في ٣ تشرين الثاني ١٨٤٠، فأصبحت جميع السواحل الشامية تحت سيطرة الحلفاء(١٥). وبانتهاء حكم الامير بشير الثاني بنفيه الى جزيرة مالطة وجلاء القوات المصرية من بلاد الشام، طوى جبل لبنان مرحلة مهمة من تاريخه واكثرها تأثيراً في كيانه، ليبدأ حكم امير جديد هو الامير بشير قاسم ملحم (بشير الثالث) الذي كان اخر اميرا لآخر امارة(١٦).

الحرب اللبنانية الاولى في لبنان ١٨٤١م

كان إسناد الإمارة إلى الأمير بشير الثالث في الثالث من أيلول عام ١٨٤٠م، قد أعاد الأمور تقريباً إلى ما كانت عليه قبل مجيء المصريين إلى الشام، فإن خريطة القوى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية داخل الإمارة الشهابية نفسها، ووجهات النظر المختلفة لدى الدول الأوربية الكبرى المعنية بمستقبل المنطقة كانت توحي بأن ذلك الإجراء كان مؤقتاً ، ويمكن أن نحدد هذه القوى الداخلية والخارجية الموجهة لتاريخ لبنان حينذاك على النحو التالي(١٧):

١- في الإمارة:

- الأمير الحاكم بشير الثالث.
- الجبهة الدرزية بما فيها من انقسامات جنبلاطية ويزبكية.

- الجبهة المارونية بما فيها من انقسامات وقوى موجهة كالأكليروس الماروني والمقاطعجية المارونية.

٢- السلطات العثمانية:

- الباب العالي.
- ولاة الدولة العثمانية في دمشق وبيروت ومن يبعث بهم الباب العالي للمساهمة في توجيه الأمور.
- الحكومة وقناصلها في الشام وسفراءها في الإستانة وخاصة سفراء وقناصل بريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا.
- الهيئات التبشيرية: كالجزويت والمبشرين البروتستانت.

أصبحت الإمارة الشهابية ميداناً لسياسات متضاربة، بعضها محلي وبعضها على مستوى عالمي، ومجالاً لتيارات تقدمية ورجعية، وساد العلاقات حينذاك "عدم الثقة" وسوء النيات وإثارة الأحقاد والقضايا الجانبية والجوهرية في آن واحد، لذا دفعت من سيء إلى أسوأ، في وقت بدا فيه لبنان عاجزاً تمام العجز عن اختيار زعيم قوي قادر على أن يرتفع فوق كل هذه التيارات، وعلى أن يمسك بكافة خيوط المسألة. كل هذه العوامل، دفعت بلبنان نحو الصراعات ، وقادته على صراع مختلف الوجوه:

أ. صراع طائفي بين الموارنة والدروز.

ب. صراع بين الفلاحين والمقاطعجية أو الاقطاعيين(١٨).

مع اشتداد التنافس الأوربي في لبنان، اصبحت بريطانيا صاحبة اليد العليا، في إعادة الشام إلى السلطان العثماني، بعد ان حصلت منه على معاهدة بلطة ليمان، عام ١٨٣٩م، التي فتحت ولايات الدولة العثمانية أمام التجار الانكليز، بعد ان خففت

عن تجارتهم الضرائب الكمركية، فتدفق الانتاج الانكليزي ، إلى داخل الولايات. واستوعبت السوق الشامية كميات متزايدة منه، حتى أن عدد السفن البريطانية، التي تفرغ حمولتها في الموانئ اللبنانية، أصبح أكبر من عدد سفن الدول الأوربية الأخرى مجتمعة. ولا شك أن وجود الأمير بشير الثالث في الحكم، وهو الذي تولاه بتوصية من البريطانيين، ساعد بريطانيا على ذلك، وجود رجل في قنصليتها، في بيروت، على قدر كبير من النشاط والدقة في تتبع مصالحها هو العقيد روز ،النافذ في الدوائر الشهابية ، والدوائر العثمانية، في الشام. ناهيك سفيرها لدى الأستانة، السير سترتفورد كاننج (اللورد ريد كليف، فيما بعد) ذي القوة الدبلوماسية الفاعلة، الذي شد أزرها مكانة بريطانيا العالمية ، والتي بلغت حدّاً، دفع بعض معاصريه، أن يطلقوا عليه: "سلطان تركيا غير المتوج" ، ولعل ما ساعد الدبلوماسية البريطانية على نجاحها، هو سرعتها في اتخاذ القرار على النقيض من نظيرتها الفرنسية، المتشبثة بالبيروقراطية، المقيدة للحركة الدبلوماسية، والتي طالما ضيعت فرصاً، تحتاج إلى قرار حاسم وسريع (١٩).

اثار تفوق بريطانيا في مصر، ولكل منهما أمالها، الدينية والاستعمارية، ازاء فرنسا حفيظة باريس نحو الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، ولاسيما ان كثيرا من اجزاء هذه الامبراطورية، كانت مستعمرات فرنسية وأصبح على فرنسا، أن تبذل جهوداً شاقة، لعلها تعيد بناء إمبراطورية لها فيما وراء البحار، وكان طبيعياً أن يواجه النشاط الفرنسي بمقاومة بريطانيا ومنافستها، وكذلك روسيا والنمسا، إذ كان أمل فيينا، أن تحل محل فرنسا في حماية كاثوليك الدولة العثمانية(٢٠).

لم يخفف موقف فرنسا السلبي إزاء وضع الموارنة، إبان الحكم العثماني المصري، في عاطفتهم الدينية المذهبية تجاه باريس. بل أنهم حينما كانوا في أشد الحاجة إلى السلاح والذخائر، وكان البريطانيين يمدونهم بهما، كانت الكنيسة المارونية رافضة للسلاح البريطانيين. كما رفض أميرهم حيدر أبي اللمع، بشدة، فكرة طلب الحماية

البريطانية ، واستعر الكره بين الانجليز والموارنة، حين استشعر نصارى جبل لبنان سعي الدولة الإنكليكانية إلى التمهيد للمبشرين والبروتستانت في لبنان، حيث تكاثر المبشرون البريطانيين والأمريكيون، في ثلاثينيات القرن التاسع عشر وأربعينياته، مما أثار رجال الدين الموارنة و"الجزويت"، والروم الأرثوذكس. واتخذ البطريرك الماروني إجراءات شديدة، ضد المبشرين الأرثوذكس. واتخذ البطريرك الماروني إجراءات شديدة، ضد المبشرين البروتستانت ومع أن البريطانيين كانوا يسعون إلى أن تكون علاقاتهم بالموارنة والدروز، متوازنة، إلا أن العلاقة الخاصة بين نصارى الجبل وفرنسا، كانت تبعد بريطانيا عنهم، وتشد إليه الدروز، الباحثين عن دولة كبرى ، يوازنون بها علاقة فرنسا بالموارنة ، ويواجهون بها الجبهة المارونية، التي كان زعماؤها يصرحون بأنهم لم يتخلصوا من التفوق الدرزي فقط، بل أنهم باتوا هم أصحاب البلاد. وكانت المؤسسات الجزويتية، في "بكفيا" و "بيروت" وغيرهما، تدعو إلى إقامة وطن قومي للموارنة، وتؤكد لهؤلاء أنهم لو تمسكوا بهذا الهدف، وقاتلوا من أجله، فإن الدول الأوربية الكبرى، لن تتخلى عنهم، حتى يحصلوا على استقلالهم، مثلما حدث مع اليونانيين(٢١).

تعدى خطر هذه التيارات، في نظر السلطات العثمانية، يتعدى الوجود والسيادة العثمانية على الجبل، بيد أنها رأت ألا تتخذ أي إجراءات مباشرة ، لفرض حكمها المباشر على الجبل، حتى لا تثير ثائرة السلطات البريطانية، التي أصبحت متسلطة على عدن والخليج العربي، وحفيظة السلطات الفرنسية، التي استعمرت الجزائر. وأثرت أن تضرب نطاقاً حول الإمارة الشهابية، وتزيد من قوة المراقبة العثمانية عليها، ولهذا عمدت إلى تعديلات إدارية، تحقيقاً لأهدافها، فضمت طرابلس إلى ولاية صيدا، وجعلت بيروت عاصمة لهذه الولاية(٢٢).

بوادر النزاع الطائفي بين الموارنة والدروز

انتقل النزاع التقليدي بين فرنسا وبريطانيا عام ١٨٤٠م الى الجبهة الداخلية على شكل نزاع طائفي بين الموارنة والدروز ، وبذلك اضيف عامل جديد لعوامل المنازعات القديمة ، واصبح جبل لبنان مسرحا للمكائد والدسائس الدولية، ولكن من جهة اخرى كان الباب العالي حريصا على الوقوف في وجه التدخل الاوربي ، والتدخل الاوربي في نظره لا يمكن ان يحدث الا اذا استعمل الباب العالي القوة في بعض اجراءات الادارة ، ولذلك لم يكن بد من اتباع سلوك اخر ، كأن يسعى الى الدس والمكيدة وضرب الطوائف بعضها ببعض دون تمكين دولها الحامية من التدخل في شؤون لبنان وسوريا والفرصة سانحة امامه تماما، فأن طرد ابراهيم باشا الذي صاحبه طرد الامير بشير الثاني ونفيه القى ظلالا من الشك على امتيازات الحكم الوطني الداخلي الذي كان يتمتع بها جبل لبنان وسوف تتخذ الدولة العثمانية من العداوة الخفية التي بدت طلائعها بين الموارنة والدروز، حجة لحكم الجبل حكما مباشرا (٢٣) .

اضطر الباب العالي ان يرضخ لضغط البريطانيين حلفائه الذين يركنون الى الامير بشير الثالث ، فوجه الفرمان اليه على كره منه وكأنه في نفس الوقت اكد على وجوب طاعة السلطان ، وبادر الى نقل مقر والي ايالة صيدا الى بيروت عام ١٨٤٠م ليراقب الجبل وليعد نفسه لإعادة تنظيم جهاز الدولة على اساس تدعيم الادارة المركزية ، ذلك انه ابتداءاً من عام ١٨٤٠م ادخلت الى سوريا كما ادخلت الى الولايات العربية الاخرى انواع الاصلاح العثماني الذي يطلقون عليه اسم التنظيمات وتتلخص في ايجاد حكومة مستتبة السلطة وقوة عسكرية مجندة ، وتنظيمات ادارية

وقضائية في المدن والولايات ، تمشيا مع سياسة " تقوية القبضة" التي بدأت الاستانة تميل الى الاخذ بها بعد ان تلقنت درس الاحتلال المصري لسوريا(٢٤).

بدأ عام ١٨٤٠م يسجل بدء عصراً جديداً في تاريخ الجبل ، فالاتفاق القديم والوفاق الذي تم بين طائفتي الجبل المهمتين قد تلاشى بعدما كان من سياسة الامير بشير الثالث ، وخروج الدروز من الازمة منكوبين ، لأن وطأة حكم الامير والسر عسكر كانت اشد ما تكون عليهم ، في حين ان الموارنة خرجوا منها وقد اكتسبوا قوة ومنعة ، فمشاركتهم في اجلاء العساكر المصرية زادتهم ثقة بأنفسهم وبدأت تتكون لديهم فكرة استقلالية ترمي الى طرح سيادة السلطان عن كواهلهم ، ولعلهم اطمأنوا الى قوتهم بعد ان صدوا الدروز في عدة معارك ايام الحكم المصري ، وتشكل لدى بعضهم امل باستخلاص الجبل كله والتحكم فيه بتأييد من فرنسا ودعمها(٢٥).

تمثل الدولة العثمانية، في نظر الدروز، السلطة العليا، صاحبة الحق الشرعي في البلاد، في إطار الحفاظ على امتيازاتهم التقليدية. ولكن هزائمها على يد الجيش المصري، وعدم قدرتها على إخراج المصريين من الشام، إلا بمساعدة الأسطول البريطاني ، أضعفا مكانتها، لدى الدروز، ولهذا كانوا يتوقعون من السلطات العثمانية الوفاء بما سبق أن وعدتهم به من إعادة الإقطاعيات التي كان الأمير بشير الثاني قد سلبهم إياها وبإعفائهم من الضرائب لمدة ثلاثة سنوات، بل أصبحوا ينتظرون المكافآت السخية، فضلاً عن استعادتهم لتفوقهم على بقية طوائف الجبل وإذا بهم يواجهون بظروف مختلفة تتسم بالخطر، وبعد عودة الزعماء الدروز من منفاهم وجدوا أن الأمير بشير الثالث معرض عنهم، ثم شرع يعاملهم معاملة سيئة وتقاعس عامداً عن إعادة ما

كان لهم من إقطاعيات، وكان الأمير الشهابي يخطط لتوجيه ضربة إلى الإقطاعيين أو المقاطعجية الدروز لا لأنه مارونياً يكره الدروز وعقيدتهم، وإنما لانتهاجه السياسة عينها التي انتهجها سلفه الأمير الشهابي الكبير في القضاء على الإقطاعيين حتى يخلو بالحكم (٢٦).

اصبح زعماء الدروز، هدفاً لبشير الثالث، وكأنهم على شاكلة طبقة المماليك، الحاكمة في مصر التي استعصى أمر إصلاحها وأصبح الخلاص منها يستدعي تحولاً حضارياً، إذ سعى الى تدبير مذبحة لهم على غرار مذبحة المماليك على يد محمد علي، ولكن من حسن حظ الدروز حينذاك أن القنصل الفرنسي كان لا يزال يسعى إلى كسب ودهم نكاية بالأمير بشير الثالث الذي أصبح في رأيه أداة طيعة في يد القنصل البريطاني، فحذر القنصل الفرنسي الزعماء الدروز مما يدبر لهم (٢٧) .

أما الكنيسة المارونية، فقد اتخذت إجراءات تؤدي إلى تفويض نفوذ الزعامات الدرزية الإقطاعية، إذ بعث البطريرك بمنشور إلى الموارنة في كل قرية تحت السيطرة الدرزية أن يختاروا عنهم وكيلاً يتولى أمورهم دون الإقطاعي الدرزي واستقبل الموارنة هذا المنشور بالابتهاج والحبور وبادروا أمام دور الدروز، وأصبحوا يرددون أن الدروز مجرد أقلية تابعة لهم وأنهم لن يتورعوا عن طردهم من البلاد وبدا للدروز أن أيامهم قد ولت وأن عليهم أن يكافحوا لا من أجل ما كان لهم من امتيازات ولكن من أجل الحفاظ على كيانهم المهدد خاصة ان الأمير بشير الثالث يعمل على تصدع الجبهة الدرزية من خلال ضرب الزعامات الدرزية بعضها ببعض (٢٨).

فضل الدروز، على الرغم من تمادي الأمير بشير الثالث في اضطهادهم أن يعرضوا الأمر على السلطات العثمانية حتى تكون على بينة مما يعانونه ويدبر لهم، فبعثوا بشكوى إلى الباب العالي، في حزيران ١٨٤١م، تضمنت:

أ. أن الأمير بشير الكبير، كان قد تحول إلى النصرانية ومع هذا كان يعامل الدروز معاملة كريمة على عكس ما يفعله خليفته بشير الثالث الذي يضطهدهم لإرغامهم على التنصر وهو ما لن يحدث وسيقاومونه بكل إصرار.

ب. اعتراف الدروز بأنهم مسلمون.

سعى الدروز إلى إبعاد الأمير بشير الثالث عن الحكم، بل كانوا يسعون إلى التخلص من حكم البيت الشهابي كله ، ولكن الظروف لم تسمح لهم بالإقدام على هذه الخطوة الكبيرة، إذ هم لا يزالون في خطواتهم الأولى لتثبيت أقدامهم في بلادهم ، ومن ناحية أخرى كان الأمير بشير الثالث مستنداً إلى تأييد القنصل البريطاني الذي كان هو نفسه أمل الدروز في موازنة التقارب المتصاعد بين الموارنة والقنصل الفرنسي، فحاول زعماؤهم إحلال أمير شهابي مسلم محل الأمير الحاكم واختاروا الأمير سلمان شهاب (٢٩).

رأى القنصل البريطاني ، أن يستمر الأمير بشير الثالث، على سوء إدارته، في الحكم، وعلى الرغم من محاولة القنصل الفرنسي دي مليواز، إقناع البطريرك بضرورة إبعاد بشير الثالث عن الحكم، أبدى البطريرك الماروني تمسكه المؤقت بالأمير الشهابي للأسباب الرئيسية التالية(٢٧):

١- إن حاكم الجبل، يجب أن يكون مسيحياً.

٢- أن بشير الثالث، يعد على ضعفه، حائلاً دون تفاهم الدروز مع السلطات العثمانية، حول إسناد المهمة إلى حاكم تركي.

٣- أن مساوئ الأمير بشير الثالث، ستتضاعف، بمرور الأيام، ليصبح مرفوضاً، فيمكن في هذه الحالة أن يعود الأمير بشير الشهابي الكبير إلى الحكم.

اضطرابات عام ١٨٤١م ونهاية حكم بشير الثالث:

ان سوء ادارة بشير الثالث لم تجعله قريبا من قلوب الجبليين ، فقد اكتسب عداوة الجميع ، المشايخ والفلاحين والاكليروس وعامة الموارنة والدروز، ويبدو ان الامير بشير الثالث كان يرى وجوب الحد من سلطة السادة الدروز واكمال عمل سلفه بشير الثاني في تهديم الزعامات الاقطاعية اللبنانية عامة، والدرزية خاصة، ولكن المشكلة كانت عدم امتلاكه مؤهلات ومزايا سلفه، ولم يجد الدروز بدا من الاتحاد سرا ضد الحاكم على الرغم مما يلقاه من تأييد ومشورة بعض العملاء البريطانيين، ولعل الوالي العثماني في بيروت شجع الاقطاعيين الدروز على استرداد ممتلكاتهم بالقوة بعد ان تنبه الى تأثير العملاء والبريطانيين المتزايد على الامير الضعيف، ومما زاد في تفاقم الفوضى ان البشير الثالث لم يحسن فرض سلطته ويحمل القوم على احترامه ومهابته ، والاهم من ذلك انه لم يتحر لهم معرفة طرق جباية الاموال . وشعر الامير ان الدروز بدأوا يكيدون له فمال الى الموازنة، وكان هؤلاء قد تلقوا نشرة من البطريرك نفخت فيهم روحا ثورية بحيث لا يخضعون كعادتهم لحكم المشايخ مما زاد في حقد الدروز(٣٠).

بدأت موجة السخط والاستياء ضد الحاكم تتسع بين جميع الاوساط الدرزية، وحبطت مساعي الزعماء الدروز لاسترجاع سلطتهم واملاكهم المصادرة ، وفي ٣٠ حزيران ١٨٤١م قدم الدروز عريضة الى الباب العالي يظهرون فيها تمسكهم بأهداف

الاسلام ، ويتهمون حاكمهم بأنه ينزل بهم ضروب الاحتقار لأذلالهم واكراههم على اعتناق " ديانته " وانهم لم يعودوا يحتملون اضطهاد هذا الامير والامة المسيحية اللذين يحاولان اخراجهم من دائرة الطاعة والواجبة للباب العالي ، وهم يسترحمون تعيين رئيس منهم عليهم ويتعهدون بالخضوع لجميع احكام خط شريف كولخانة بخصوص الضرائب المترتبة على املاكهم واموالهم(٣١).

وفي ١٣ تشرين الاول ١٨٤١م انتهز الدروز دعوة الامير بشير لزعاماتهم كي يباحثهم في نظام توزيع الضرائب الجديد وتقدموا نحو دير القمر وحاصروا قصر الامير ، وهاجم فريق منهم دور النصارى في المدينة، ونشبت الحرب الاهلية بين الدروز والنصارى المعروفة بالحركة الاولى(٣٢).

بعد ان طال انتظار الزعماء الدروز لتحرك عثماني إيجابي، فقد عزموا على أن يحققوا، بالقوة، ما فشلوا في تحقيقه، بالالتماسات والشكاوي فبادرت قواتهم بزعامة أولاد بشير جنبلاط، في الثالث عشر من تشرين الأول ١٨٤١م، إلى محاصرة "دير القمر" إيذانا ببدء الحرب الأهلية الأولى، وعلى الرغم من استعدادات الموارنة وادعاءاتهم بما سيفعلونه بالدروز، عندما تقع الحرب، تحول القتال إلى كارثة مروعة، نزلت بهم في دير القمر، إذ دبت فيهم الفوضى، فأصبحوا أهدافاً سهلة للقوات الدرزية ، وما إن سمع البطريرك، بما حدث لدير القمر، حتى أغلق الكنائس، وطلب من كل مسيحي، أن يحمل السلاح. وهاجمت القوات المارونية بعض المواقع الدرزية المتفرقة، لينتشر لهيب الحرب الأهلية، بسرعة، في البلاد وتبادل الطرفان إحراق القرى، وسلب الأموال، والتمثيل بالأسرى والقتلى، ولكن كفة الدروز كانت هي الراجحة، فبعد أن سيطروا على

المناطق المارونية في الجنوب، شرعوا يدقون أبواب النصف الشمالي الماروني، عبر نهر الكلب(٣٣).

وخلال هذه الحرب الأهلية، وقف الأرثوذكس إلى جانب الدروز، لاعتقادهم أن تفوق الموارنة، سيعرضهم لاضطهاد ماروني، حملاً لهم على ترك عقيدتهم، وحينما اشتد الضغط الدرزي على الموارنة، وثبت لهؤلاء أن الحرب تسير في مصلحة خصومهم، وأن الجبهة المارونية هشة، مفككة، إذ كان رجال الدين الموارنة في جانب، والإقطاعيون في جانب آخر، ناهيك بتعدد الخلافات بين الزعامات المارونية، سارع الموارنة إلى السلطات العثمانية، والقناصل الأوروبيين، خاصة القنصل الفرنسي(٣٤).

أسفرت الحرب عن موافقة البطريرك الماروني على إبعاد الأمير بشير الصغير عن الحكم، على أن يحل محله الأمير بشير الكبير (تشرين الثاني ١٨٤١م)، الأمر الذي ترك انطباعاً سيئاً لدى القنصل البريطاني عن رجال الموارنة، ولكن لم يخضع العثمانيون إلى رغبة البطريرك وانتهزوا محنته فقبضوا عليه، لدى مغادرته "دير القمر" الى بيروت وأرسلوه إلى الأستانة ، بينما كلف الباب العالي مصطفى باشا بأن يتولى مهمة إعادة الأمن إلى نصابه والعمل على تحقيق هدف العثمانيين في إنهاء حكم بيت شهاب (٣٥).

كانت مهمة مصطفى باشا صعبة، وواجهت ظروفاً معقدة ، بل أن جنوده أنفسهم أضافوا إلى المشكلة تعقيداً آخر، إذ أن أوضاعهم الاقتصادية كانت متردية، فضلاً عن ما أشيع من أن القوات العثمانية ما جاءت إلا لتشد أزر الدروز ولتوجه الضربات إلى الموارنة وكان قد أشيع من قبل أن سليم باشا والى صيداً وزع السلاح على الدروز والموارنة ليؤجج الموقف حتى يثبت للعالم أن الحكم العثماني هو الملائم لهذه

المنطقة التي لا يعرف أهلها كيف يتولون أمورهم بأنفسهم. ولكن الأمور في لبنان تفاقمت حتى استعصى على سلطة واحدة أن تنفرد بمعالجتها(٣٦).

العلاقة بين الموارنة وفرنسا:

أغضبت الحرب الأهلية الدوائر الفرنسية، الحكومية والشعبية، إذ رأتها حرب إبادة يشنها الدروز ضد الموارنة أصدقاء فرنسا وأبناء عمومتها في العقيدة وتوالت على الفرنسيين تقارير قنصلهم تحثهم على عمل إيجابي ينقذ الموارنة من الإبادة، أما صورة الدروز لدى الفرنسيين على اختلاف مستوياتهم فكانت سيئة ومشوهة(٣٧).

وحفاظاً على مكانتها بين الموارنة، وحرصاً على كرامتها، إذ أن هزيمتهم، توحي بأنها هزيمة فرنسا في الشام – عمدت الحكومة الفرنسية إلى إرسال وحدات من بحريتها إلى السواحل اللبنانية. وما أن وصلت حتى اجتاحت الموارنة موجة من الفرح ورفع العلم الفرنسي فوق بعض الأديرة ووزعت القنصلية الفرنسية السلاح عليهم بكثافة، وبذلك أعلن الفرنسيون انحيازهم الكامل إلى الموارنة ففقدوا الدور الذي كان من الممكن أن يؤدوه في التوفيق بين المتنازعين، بينما انزعج الدروز والعثمانيون والبريطانيين من هذه الإجراءات ومن صداها بين الموارنة، حتى وصل الضيق ببعض البريطانيين أن سعوا إلى عزل البطريرك ولكنهم تجنبوا هذه الخطوة، لما كان سيترتب عليها من تعقيدات جديدة وكان طبيعياً في مواجهة هذه التطورات أن يزداد التقارب الدرزي – البريطاني ، الذي انتقل إلى مرحلة جديدة من التخطيط والتنسيق، إذ توصل الطرفان في أيلول ١٨٤١م إلى تفاهم قوامه(٣٨):-

- أن يدافع البريطانيين عن مصالح الدروز.
- أن يتعلم أبناء الدروز في المعاهد البريطانية، في انكلترا.
- أن تطلق حرية المبشرين البروتستانت في العمل، في المناطق الدرزية.

وهكذا عادت الإمارة إلى سياسة المحاور، ولكن بشكل أشد خطراً:

١- محور درزي – بريطاني.

٢- محور ماروني – فرنسي

أما العثمانيون فكانوا يحاولون التمسك بالشريعة، مدعين أنهم فوق المحاور، ولكن قدرتهم على التفوق كانت محدودة ، بل كانوا يقدمون على خطوات كفيلة لا بتعقيد الموقف أمامهم فحسب، بل بإضعافهم عن حل القضية بطريقة أو بأخرى، فبينما كان الجبل يعاني أزماته الطاحنة وسكانه يتوقعون إعفاءهم من الضرائب لمدة ثلاث سنوات كما وعدتهم السلطات العثمانية إذ بها تفرض الضرائب على الجبل وتسعى بأساليبها التقليدية إلى جمعها، مما أثار سخط الجماهير الشعبية، التي راحت بمدح العهد المصري، الذي أوسعته هجوماً ونقداً مريراً، بما أصبحت عليه البلاد من فوضى. ولم يكتف الناس بتذكر العهد المصري، بل أن منهم من طالب بعودته، إنقاذاً لهم ولبلادهم، حتى قيل أن الناس كانوا مستعدين لأن يستقبلوا المصريين بأذرع مفتوحة، بل أن البريطانيين اعترفوا، بعد وقت طويل، بأن الحكم المصري، كان خيراً للمنطقة، وأنه ما كان ليصيبها ما أصابها، لو استمر هذا الحكم(٣٩).

رأت السلطات العثمانية، في تلك التطورات، فرصتها لفرض نظام الحكم المباشر على الجبل، على أساس أنه يحول دون عودة الاقتتال الطائفي، فعقد مصطفى باشا اجتماعاً، حضره زعماء لبنان، استعرض فيه النكبات التي ألمت بالبلاد خلال حكم البيت الشهابي وأعلن إنهاء حكم الشهابيين وتلا فرماناً، يعهد بالحكم إلى عمر باشا النمساوي (٤٠)

قابل الدروز الإجراءات العثمانية بالترحيب والرضا وزادهم تهليلاً لها أن الحاكم الجديد، قد اعتنق الإسلام، بينما امتعض الموارنة، لأن الاكليروس الماروني، كان

متمسكاً بأن يحكم الجبل أمير مسيحي، وأن الأمير بشير الكبير هو الملائم لهذا الحكم، إذ أنه يستطيع أن يفرض كلمته، على ما كان يعتقد الموارنة، على الإمارة كلها(٤١).

تركزت مهمة عمر باشا النمساوي في الأهداف التالية(٤٢):

١- القضاء التام على فكرة عودة البيت الشهابي إلى الحكم.

٢- إقناع الأطراف المتنازعة كافة، بقيمة الحكم العثماني المباشر ووضع البطريرك الماروني أمام الأمر الواقع.

٣- إرضاء الزعامات الدرزية.

٤- إرضاء الإقطاعيين الموارنة.

حرص الحاكم الجديد على أن يكسب الدروز إلى جانبه. فأعاد إليهم أموالهم وأراضيهم، وبعض نفوذهم، كما سعى لأن يثبت لكافة الجهات المعنية بأوضاع لبنان، أن حكمه، أي الحكم العثماني المباشر، هو المقبول من الأهالي، فحثهم على توقيع عريضة بهذا المعنى، وأنهم يرغبون في تثبيت عمر باشا في الحكم (٤٣).

نشط ملاك الأراضي في جمع التوقيعات وإزاء معارضة البطريرك الماروني، واكليروس الكنيسة المارونية، عمد عمر باشا إلى الوعد والوعيد للحصول على توقيعات الموارنة حتى أن بطريركهم شعر بأن حياته قد أصبحت في خطر ونصحه القنصل الفرنسي بالحذر مما يدبره له عمر باشا، ففر عام ١٨٤٢ إلى معقل منيع في الجبل غير أن علاقات عمر باشا الحسنة بالجانب الدرزي لم تدم طويلاً، فإذا به يستعدي الدروز إلى جانب عدائه للموارنة، والواقع أن الظروف والملابسات التي أدت إلى تصادم الدروز وعمر باشا لا تزال غامضة ولعل من أسبابها ما يلي(٤٤) :

- أن العثمانيين كانوا يعملون على التحكم في أمور الطائفتين. ولكن ذلك لا يتأتى لهم، إلا بأضعافهما ثم ضرب كل منهما، الواحدة بعد الأخرى، فسعوا إلى استعار الحرب بينهما ولكن زعماء الدروز، استذكروا تجربة سابقة، عندما دفعهم العثمانيون إلى مهاجمة الموارنة، عام ١٨٤١، وبعد أن انتهت المعارك، تنصلوا من المؤامرة، فإذا أرادوا تكرار هذا العمل، وكان الدروز يودون تكراره، فعلى العثمانيين، أن يضعوا في يد الدروز فرمانا بذلك، حتى لا يتحمل الدروز، وحدهم، وزر هذا العمل. وما كان العثمانيون ليوافقوا على الطلب الدرزي.

- حاول عمر باشا إرغام الدروز على إعادة ما سبق أن نهبوه من الموارنة، خلال الحرب الأهلية الأولى، ولكنهم هددوه بأنهم سيفشون سر التواطؤ، بينهم وبين العثمانيين، عام ١٨٤١، ضد الموارنة، إذا استمر في هذه السياسة.

- أثيرت قضية الهوية الدينية للدروز، إذ كان العثمانيون يرون أنهم مسلمون بينما كان الدروز يرون أنهم أصحاب عقيدة خاصة ودار جدل وضغط لتأكيد إسلام الدروز الأمر الذي جعل هؤلاء يوجسون خيفة من وراء ذلك، فازدادت الهوة عمقاً بينهم وبين عمر باشا، ومما يذكر أن الأهداف العثمانية الرئيسية كانت غير مقبولة لا لدى الموارنة ولا لدى الدروز، ولا سيما منها فرض الحكم المباشر الذي يسلب الطرفين الدرزي والماروني الكثير من امتيازاتهما وسلطاتهما ويحول دون أن يحقق الموارنة تفوقهم الواعد ودون أن يستعيد الدروز تفوقهم السابق، وهكذا كانت الأطراف الثلاثة تتنافس في شيء واحد، اليد العليا في أمور البلاد ومثل هذا التنافس في مثل تلك الظروف لا يحسمه سوى السلاح.

استخدم عمر باشا الخديعة وسيلة للقبض على كبار زعماء الدروز ونجح في ذلك, ولكن أحدهم، وهو يوسف عبد الملك لم يقع في الفخ فتولى قيادة الثورة ضد العثمانيين ونجح في أن يثير النفوس بما كان يردده وينشره على أوسع نطاق من أن العثمانيين

ينوون نزع سلاح الجبل، تمهيداً لسوق الشباب إلى الجندية العثمانية الرهيبة وازدادت ثورة دروز لبنان حدّة على أثر انضمام دروز حوران إليهم بقيادة شبلي العريان في تشرين الأول ١٨٤٢م الذي عرف بشدته وصلابته خلال الثورة الدرزية على الحكم المصري(٤٥).

واشترط الدروز على العثمانيين ، إذا أرادوا تجنب التصادم:

- إطلاق سراح المعتقلين من زعماء الدروز.
- عزل عمر باشا النمساوي.
- إعفاء الدروز من الجندية.
- امتناع السلطات العثمانية عن جمع السلاح منهم.

لم يكن من الممكن تنفيذ معظم تلك المطالب، إذ رأى فيها العثمانيون تعارضاً مع الخط السياسي العثماني العام(٤٦).

أصبح العثمانيون الخصم المشترك لكل من الدروز، والموارنة، بيد أن الخطر المشترك لم يمكن حملها على التضامن في وجه الأستانة على غرار ما فعلوه عام ١٨٤٠م، إذ كانت خلافاتهما قد استحكمت، بل ربما أمسى الخصام الماروني – الدرزي أشد من الخصام الماروني – العثماني ولم يكن قادراً على الحد من هذا الخصام، سوى قبول الدروز بتولي حاكم مسيحي الإمارة اللبنانية وهو ما كانوا يرفضونه تماماً، خاض الدروز المعركة وحدهم وشن العثمانيون عليهم حملة عنيفة ضربت معاقلهم في " المختارة" و"بعقلين" و"جديدة الشوف" وغيرها، وأحرقت ودمرت عدداً من قراهم. وعلى الرغم من ذلك صمد الدروز لقوات عمر باشا النمساوي حتى يئس من الوصول إلى نصر حاسم وشرع البريطانيون ينتقدون بشدة إجراءات العنف تلك في الوقت الذي كان فيه سفراء الدول الكبرى في الأستانة يتباحثون مع الباب

العالم في نظام حكم لبنان يتلاءم مع وضعه، ومع الأهداف الأوربية، وأخيراً عزل العثمانيون عمر باشا النمساوي وسعى الباب العالي وسفراء الدول الأوربية إلى تطبيق نظام القائممقاميتين(٤٧).

نظام القائممقاميتين والحرب الاهلية الثانية (١٨٤٢م-١٨٤٥م)

منذ انسحاب القوات المصرية من الشام، وما اعقب ذلك من حرب أهلية دئبت الدول الأوربية الكبرى في إيجاد نظام حكم للبنان يستعيد الحكم العثماني المباشر ويحقق رغبتي الطرفين المتقاتلين، الدروز والموارنة، ويتماشى مع أهداف الدول الكبرى في المنطقة، وهكذا وجدت الدولة العثمانية نفسها أمام تحالف أوروبي يعمل على فرض حل عليها وإن اختلفت الدول الأوربية في كيفية هذا الحل، مما أدى إلى ظهور العديد من المشروعات والمشروعات المضادة ومن أبرزها ما قدمه العثمانيون والفرنسيون والنمساويون، أما المسؤولون البريطانيون فكانوا قد كونوا فكرة معينة عن نظام الحكم الملائم للبنان وللمصالح البريطانية، ولكنهم سعوا لأن يظهر هذا النظام وكأنه من وضع الجماعة الأوربية، وبذلك تكون القضية اللبنانية قد أخذت شكلاً دولياً رسمياً(٤٨).

كان نظام القائممقاميتان مشروع حل وسط بين عدة مشروعات قدمها سفراء الدول الكبرى الأوربية في الأستانة، لإيجاد أفضل نظام لجبل لبنان وطرحت عدة وجهات نظم، وكانت وجهة نظر فرنسا تؤيد الموارنة وطالبت بإعادة الأمير بشير الثاني للحكم وهذا الاقتراح رفضته بريطانيا، التي تؤيد وجهة نظر الدروز واعترضت بريطانيا على استمرار حكم عمر باشا وعلى إدخال لبنان تحت السلطة العثمانية المباشرة ويصبح والي صيدا المقيم في بيروت هو المسؤول المباشر عن شؤون الجبل(٤٩).

وفي ١٥ ايلول عام ١٨٤٢م قُبل مشروع الأمير ميترينخ، مستشار النمسا ووزير خارجيتها، صاحب مشروع مبني على النظرة الواقعية إلى لبنان، قوامه الاعتراف

بالحقيقة الطائفية في هذا البلد إذا أريد التوصل إلى نظام حكم يكون مقبولاً من الطرفين المتنازعين، الموارنة، والدروز، في إطار من الاعتراف بالسيادة العثمانية، فدعا المستشار النمساوي إلى تقسيم الجبل، بإنشاء وحدتين إداريتين، قائمقاميتين إحداهما درزية، في نصفه الجنوبي ويحكمها حاكم درزي، والثانية مارونية تحت حكم ماروني في النصف الشمالي من الجبل، وقد حصل المشروع على موافقة الدول الكبرى في ١٥ أيلول ١٨٤٢م وعد ذلك نصراً كبيراً للدبلوماسية الأوربية على الباب العالي(٥٠).

كان المشروع النمساوي، في الأساس، مشروعاً بريطانيا، إذ عكس وجهة النظر البريطانية، على النحو التالي:-

١- المشروع يستبعد آل شهاب عن الحكم، فهو يغاير هوى الفرنسيين والأكليروس الماروني، يؤيد وجهة النظر الدرزية، التي يعمل البريطانيون على أخذها في الحسبان.

٢- أعطى المشروع الموارنة كيانا قائماً بذاته، والدروز، كياناً قائماً بذاته، فجنبهم الوقوع تحت حكم أمير مسيحي.

٣- أتهم جيزو، رئيس الوزراء الفرنسية، الحكومة النمساوية، بأنها أخذت بوجهة النظر البريطانية ، لتكسب تأييد بريطانيا لها، على السيادة على روما وإيطاليا.

٤- ان هذا المشروع يستبعد روسيا من المشكلة اللبنانية بعد ان تدخلت فيها منذ احداث محمد علي في الشام عام ١٨٣١م ثم قامت بدور المدافع عن الروم الارثوذكس ، وهكذا ضاع دور روسيا ، وهذا ما كانت تريده بريطانيا اولا، وفرنسان والنمسا. (٥١).

تطبيق نظام القائمقاميتين، والمشاكل الناجمة عنه:

عهد بتطبيق نظام القائمقاميتين إلى أسعد باشا، والي صيدا الجديد، وكان عليه أن يعالج المسائل الرئيسية التالية(٥٢):

أ- حدود القائمقاميتين

ب- اختيار قائمقام درزي وأخر ماروني.

ج- الجهة التي يتبعها الموارنة في القائمقامية الدرزية، والدروز في القائمقامية المارونية.

وكان حل المسألة الأولى يسيراً، إذ كان من المتفق عليه أن يكون طريق بيروت- دمشق حدا فاصلا بين القائمقاميتين.

أما المسألة الثانية، فلم تخلُ في الصعوبات إذ كان اختيار قائمقام درزي أشد حرجا في اختيار القائمقام الماروني، لانقسام الدروز إلى جنبلاطيين ويزبكيين، ورأى أسعد باشا ضرورة الحفاظ على وحدة الجبهة الدرزية على أساس أنها الأقرب إلى العثمانيين وأنهاء قبضتهم في ضرب الموارنة المسؤولين، من وجهة نظر الاستانة، عن تدويل المشكلة اللبنانية وفتح أبواب البلاد أمام التدخل الأجنبي الذي يمكن أن يضر بالعالم الإسلامي(٥٣).

وكان أكثر المرشحين ترجيحا للمنصب هو سعيد بك جنبلاط، إذ إن القنصل البريطاني روز يميل إليه، فضلا عن أن أسعد باشا يحبذه ، إلا أنه كان يخشى أمرين إذا تولى سعيد بك منصب القائمقام:

- أن ينفصل اليزبكيون، ويصبحوا أداة في يد خصوم العثمانيين.

– أن يزداد تأثير القنصل البريطاني على مرشحه، الزعيم الجنبلاطي، وفي توحيد مقدرات القائمقامية الدرزية، وكانت السلطات العثمانية تجهد في التقليل من التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية لولاياتها، ولهذا استبعد أسعد باشا سعيد بك، مفضلا أحمد أرسلان، بعد تزكية زعماء الدروز له ، مقابل حفاظه على امتيازاتهم، بمقتضى اتفاق بينهما كانون الأول ١٨٤٢م (٥٤).

وسرعان ما أدى الاختلاف في صلاحيات القائمقام، إلى تصادم والي صيدا والقائمقام الجديد وما لبث أسعد باشا أن قبض على أحمد أرسلان. ولم يطلقه، إلا بعد تدخل قناصل الدول الأوروبية الكبرى، أما بالنسبة إلى منصب قائمقام الموازنة، فقد اختير له حيدر أبي اللمع، الذي طالما سعى عمر النمساوي إلى تعيينه نائبا له، وواجه القائمقام الجديد معارضة قوية من الإقطاعيين الموارنة، الذين أدّعوا أنه لا يمتلك الصفات الإدارية التي يتطلبها هذا المنصب، بيد أن السبب الرئيسي لمعارضة الإقطاعيين ، دروزا كانوا أم موارنة، أنهم يرون في منصب القائمقام تهديداً لسلطاتهم وامتيازاتهم، ووسط هذا التوتر الشديد، أخذ القنصل الفرنسي، يوجين بوجارد، موقفا إلى جانب المعارضة المارونية، إذ قدم مشروعا، استهدف استبعاد أي سيطرة درزية على الموارنة في القائمقامية الدرزية، كما استهدف عودة الشهابيين إلى حكم "كل لبنان" وكان بوجارد يرى أن الباب العالي الذي وافق على أن تكون مصر وراثية في اسرة محمد علي باشا ، يمكنه أن يوافق على توارث الشهابيين حكم لبنان خاصة أن جرم محمد علي في نظر بوجارد، يفوق كثيرا جرم بشير الشهابي الثاني الكبير في حق السلطان وعلى أي حال استطاعت جهود اسعد باشا والقنصل الفرنسي يوجين بوجارد أن تقنع الإقطاعيين الموارنة بتأييد القائممقام من دون أن تحل المشكلة بينه وبينهم حلا نهائياً(٥٥).

وأخيرا، شرع أسعد باشا يعالج المسألة الشائكة، المتعلقة بتحديد تبعية القرى والمدن المختلطة، ويمكن تقسيم هذه المشكلة إلى قسمين: الأول، يتعلق بـ "دير القمر" و " بلاد جبيل" والثاني، وهو الأشد خطراً، يتعلق بالمناطق المختلطة، المتناثرة في القائمقاميتين(٥٦).

كانت دير القمر، في ذلك الوقت، تضم خمسة آلاف نسمة، منهم أربعة آلاف ماروني والآلف الباقي من الدروز. إلا أنها كانت معقلا تاريخيا للدروز، وعاصمة لهم، وتقع في قلب منطقتهم، ولذلك، رأوا ويؤيدهم العقيد روز، أن اخراج هذه المدينة من دائرة صلاحيات قائمقام الدروز، يعد تحديا صارخا للتقاليد، وللحقوق الشرعية الدرزية(٥٧).

أما وجهة نظر الموارنة في هذه القضية، فتتمثل في رأي البطريرك الماروني، يؤيده القنصل الفرنسي، أنه لابدّ من احترام الأغلبية العددية المارونية في المدينة، إذ أن الأمر الواقع أقوى من أي حقوق تاريخية. غير أنه إذا كان الموارنة قد أضيروا في غير مكان على يد الدروز خلال الحرب الاهلية الاولى عام ١٨٤١م فأن موارنة دير القمر، كانوا الأكثر ضررا وأنه يجب حمايتهم من أي تعديات قد يتعرضون لها، وهم يعيشون في محيط درزي (٥٨).

وتوالت المشروعات، الفرنسية والبريطانية لحل هذه القضية حتى أمكن التوصل في أيلول ١٨٤٤ إلى حل وسط على يد أسعد باشا والي صيدا وخليل باشا قائد الأسطول العثماني الراسي أمام سواحل لبنان والمكلف بتسوية مشكلته ويقضي هذا الحل:

أ- تمنح دير القمر حكما ذاتيا، يتولاه وكيل درزي واخر ماروني.

ب- تختار كل طائفة وكيلها.

ج – يتبع الوكيل الدرزي القائمقام الدرزي، ويتبع نظيره الماروني القائمقام المسيحي.

أما بالنسبة إلى بلاد جبيل ذات الأغلبية المسيحية، ومن أهم توابعها، فضلا عن ميناء جبيل: البترون والفتوح والكورة ، فقد رأى أسعد باشا وهو المعروف بتفهمه لمطالب الموارنة وميله إلى حل مشاكلهم، أنها غير داخلة ضمن القائمقامية المسيحية مستندا في الالتزام من والي صيدا ومن ثم ، يحق للوالي أن يستعيد سيطرته المباشرة عليها، فأثار أسلوب والي صيدا سخط الموارنة، أذ أنه سيفقدهم كتلة بشرية لها وزنها ومنطقة اقتصادية مهمة ومنفذا بحريا ويظهرهم بمظهر المستسلمين للسلطات العثمانية وتدخل القناصل في المشكلة، وتشاوروا فيها حتى توصلوا إلى حل يميل إلى مصلحة الموارنة وهو منح القائمقام المسيحي بلاد جبيل على نحو ما كان عليه الحال في عهد الأميرين الشهابيين، يوسف وبشير الثاني الكبير(٥٩).

كذلك، أدخلت بعض المناطق الساحلية، ذات الأغلبية المارونية ضمن قائمقامية الموارنة بإيعاز من العقيد البريطاني روز، حرصا على أملاك صديقه الأمير بشير الثالث الشاسعة والواقعة تحت حكم الدروز الذين سيدمرونها لا محالة ، ألا أن تنفيذ تلك الاتفاقيات كان يتطلب حلاً شاملاً لقضية المناطق المختلطة ، فضلا عن التوصل إلى تفاهم حول التعويضات الباهظة التي يطالب الموارنة بأن يدفعها إليهم الدروز، لما أقدموا عليه من تعديات عليهم خلال الحرب الأهلية الأولى. وحول هذه المشكلات دار جدل طويل معقد بين السلك الدبلوماسي الأوروبي والباب العالي ونشط الموارنة لدى الحكومات الأوربية، وخاصة البريطانية والفرنسية وقدّمت مشروعات عديدة للتوصل إلى حل يتقبله المعينون(٦٠).

حل مشكلة المناطق المختلطة

في محاولة لوضع أساس مقبول لحل مشكلة المناطق المختلطة ، توصل الباب العالي في ٢ ايلول ١٨٤٤م إلى الصيغة التالية:

أ- تتبع المناطق المختلطة، في القائمقامية الدرزية، القائمقام الدرزي.

ب- أن تتبع المناطق المختلطة، في القائمقامية المسيحية، القائمقام المسيحي.

ج- أن يكون لكل قرية مسيحية، في قائمقامية الدروز، وكيل عنها.

د- أن يكون لكل قرية درزية، في القائمقامية المسيحية، وكيل عنها.

هـ- أن يدفع الدروز تعويضات إلى المسيحيين، عن حوادث ١٨٤١م.

رحب القنصل البريطاني بتلك التسوية وأيدها، إلى حدّما، الدروز، بينما رفضها بشدة متفاوتة، قناصل فرنسا وروسيا والنمسا وعارضها الموارنة، بشدة بلغت حد الدعوة إلى اللجوء إلى القوة، بل أن منهم من رأى ان لا خلاص للموارنة في بلاد الدروز، إلا بالهجرة إلى بيروت وكسروان(٦١).

سعت الدبلوماسية الفرنسية إلى موافقة الحكومة البريطانية على مشروع بوجارد، فضلا عن موافقة أسعد باشا وخليل باشا عليه ولكن تضافرت عدة عوامل على فشل المشروع الفرنسي(٦٢) :

١- كان الباب العالي، وهو في صدد أحكام قبضته على ولايته، يعارض عودة الشهابيين إلى الحكم، على أساس أن ذلك يشبه منح لبنان حكما ذاتيا، لن يلبث أن يؤدي إلى الاستقلال.

٢- كانت الحكومة البريطانية غير موافقة على عودة الشهابين الذين سيصبحون من وجهة نظرها أداة طيعة في يد القنصل الفرنسي، إلا أنها كانت توافق على أعادة

الوحدة إلى الجبل على أن تكون تحت حكم عثماني وحاول الفرنسيون أقناعها بقيمة التمسك بوحدة الجبل وعملوا على أرضائها باستبعاد عودة الأمير بشير الشهابي الثاني الكبير مرشحين للإمارة ابنه الأمير امينا ، ولكن الشهابي المرشح الذي كان قد اعتنق المذهب الكاثوليكي، ما لبث أن ارتد إلى الإسلام وما كان الموارنة ليقبلوا أميرا مسلما على كل لبنان.

٣- كان الأمير حيدر أبي اللمع، قائممقام الموارنة ضد عودة الشهابين إلى الحكم ولم يفلح القنصل الفرنسي في أغرائه بالمناصب ليثنيه عن موقعه.

٤- كانت بعض الأسر المسيحية الإقطاعية القوية تعارض عودة الأمير بشير الشهابي الثاني الكبير إلى الحكم وعلى رأسها آل الخازن وآل حبيش.

٥- كان الحزب الدرزي اليزبكي، يؤيد عودة الأسرة الشهابية إلى الحكم، ولكن موقفه ضعيف امام الحزب الجنبلاطي ، المعارض بشدة لهذه العودة والمتمسك بتنفيذ تسوية أيلول ١٨٤٤م ويؤيده القنصل البريطاني ، الكولونيل روز، كما ان الدروز رفضوا قيمة التعويضات الواجبة عليهم للمسيحين.

٦- تشبث كل من الدروز والموارنة بموقفه، ورفض الموارنة أن يخضعوا للقائمقام الدرزي وتدفقت الأسلحة والأموال إلى الموارنة، وصدرت إليهم التعليمات المشددة بوقف التعامل مع الدروز، وإلا تعرضوا للعقاب.

وهكذا، وصلت الأمور إلى طريق مسدود وانبرى الطرفان، الدرزي والماروني يستعدان لحل الخلافات بالقوة ، ولم يكن أي من الجبهتين كتلة واحدة، متماسكة، فقد كان ثمة خلافات داخل كل منهما، ويمكن أن نحدد ذلك التفكك، على النحو التالي(٦٣):

- صراح دموي بين أسرتي " الدحداح"، و" حبيش"، المارونيتين.

- توزع أسرة آل الخازن بين أكثر من تكتل داخلي.
- نزاع عميق، بين حيدر أبي اللمع والإقطاعيين الدروز.
- اقتتال الزعامات الدرزية، بين الحين والآخر.

وعلى الرغم من ذلك، كان اندلاع الصراع المسلح بين الموارنة والدروز يخفف حدة الخلافات الداخلية لتعلوا صيحات التضامن والتكاتف ضد الخطر الأكبر، ولا سيما لدى الدروز.

تصادم الموارنة والدروز ودخول بقية الطوائف في الصراع:

عقد زعماء الدروز، في ٢ شباط ١٨٤٥م، مؤتمر موسعا، في " المختارة "، خططوا فيه للحرب حضره وكلاء عن اليزبكيين ، بينما استعدت المدن والقرى المارونية لجولة جديدة واتخذ الموارنة " عبية" قاعدة عسكرية لهم(٦٤).

وفي هذا الوقت الحرج استدعت السلطات العثمانية أسعد باشا من ولاية صيدا، ربما بإيعاز من بريطانيا، الذين كانوا يتهمونه بالميل إلى جانب الموارنة ، بينما ذهب خليل باشا في رحلة تفتيشية إلى طرابلس، وبذلك ابتعد هذان الرجلان العارفان ببواطن الأمور عن المنطقة، مما أحدث فراغا في هذا الظرف الدقيق الذي كان يتطلب تدخلا عسكريا لمنع التصادم المنتظر، فلقد كانا يعتقدان، أنه من الضروري استخدام القوة لفرض الحل الملائم ولكن السلطات العثمانية والحكومات الأوروبية رفضت استخدام القوة لفرض حل ما ، مما أعطى الفرص الواسعة لأن يلجأ الطرفان المتنازعان، الموارنة والدروز، إلى السلاح في غياب قوة ردع ملائمة ، بينما المصادر البريطانية والعثمانية تتجه إلى تحميل الموارنة مسؤولية البدء بالحرب وأنهم أعلنوها حربا صليبية تهدف في ما تهدف إليه إلى أعادة بشير الشهابي الثاني الكبير إلى الحكم كانت الأمور قد وصلت إلى حدّ لا يمكن السيطرة فيه على أي من الطرفين،

فالحرب واقعة لا محالة إذ هاجمت القوات المارونية، في نيسان ١٨٤٥م، وكان جزء منها بقيادة الأكليروس الماروني بعض القرى الدرزية وأحرقتها، فردت القوات الدرزية هي الأخرى بمهاجمة القرى والمدن المارونية(٦٥).

وما كاد القتال يبدأ ، حتى دخل الروم الأرثوذكس المعركة إلى جانب الدروز وشجعهم على ذلك القنصل الروسي بازيل، فقد كانوا يعتقدون أن الموارنة لو كسبوا الحرب وتسلطوا عليهم فسيعملون على أرغامهم بكافة الوسائل على الدخول في مذهبهم أو في الكاثوليكية، وكذلك انضم إلى الدروز جماعات من السنة والشيعة ، ولما اشتد القتال بدا واضحا أن كفة الدروز هي الراجحة. وتوالت هزائم الموارنة، في " عيبه" و " دير القمر" و " جزين" و " زحلة" و " حاصبيا" فبادروا إلى استنجاد القناصل ولكن وجيه باشا، والي صيدا رفض التدخل في الصراع متهما الموارنة بأنهم هم المسؤولون عن نشوب القتال وانتشاره ، في تموز ١٨٤٥م، وإذا كانت السلطات العثمانية راضية عما أصاب هذه المنطقة من فوضى ليثبت للدول الأوربية الكبرى أن هؤلاء الناس لا يمكنهم أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وأن الحكم العثماني المباشر هو الملائم لهم، إلا أنه كان لابد لها أن تتدخل لتوقف المذابح الطائفية، أولاً ولتفرض سيطرتها الفعلية المباشرة ثانيا،

واستمرت الحرب بين الطائفتين حتى تموز ١٨٤٥م (٦٦).

بعث الباب العالي شكيب أفندي، وزير الخارجية ، لتنفيذ سياسة تؤدي إلى الاستقرار وأن يكون حاسما فيما يتخذه من إجراءات، مع مراعاة ما توصل إليه الأطراف المعينون من حلول خاصة، فيما يتعلق بالقائمقاميتين، وبذلك يتنكر شكيب أفندي لتسوية ٢ أيلول ١٨٤٤م، وقد أعلن المبعوث العثماني، في تموز ١٨٤٥م، خطته على النحو التالي(٦٧):

١- امتناع القناصل عن التدخل في شؤون البلاد على أساس أنهم يتحملون جانبا رئيسيا في مسؤولية الاضطرابات الدموية والعقبات العديدة التي وضعت في طريق الوصول إلى تسوية ما.

٢- الانصراف عن تسوية ٢ أيلول ١٨٤٤م.

٣- سيطرة القوات العثمانية على الجبل، وتجريدها سكانه من الأسلحة.

٤- دفع جزء من التعويضات إلى الموازنة.

٥- إعادة تنظيم الإدارة والأمور القضائية في الجبل وتطويرها.

ومع أن الدروز والموارنة والقنصل الفرنسي، قابلوا مجيء شكيب أفندي الذي تدعمه قطع بحرية حربية عثمانية بحذر شديد، إلا أنه مضى في مهمته فألقى القبض على القائمقامين، الدرزي والماروني، ووزع التعويضات على بعض المؤسسات الكاثوليكية ثم قدم مشروعه لإدارة الجبل ذلك المشروع الذي نسب إليه

واعلن شكيب افندي في ٣٠ تشرين الاول ١٨٤٥م خطة بتنظيم القائمقاميتين ويتضمن القواعد الرئيسية التالية:

أ- أن يستمر نظام القائمقاميتين.

ب- أن يكون لكل قائممقامية مجلس، على شاكلة المجالس الموجودة في سائر أنحاء الدولة العثمانية لمعاونة القائمقام.

ج- أن يضم مجلس القائممقامية:

١- وكيل القائممقام.

٢- قاضيا مسلما سنيا

٣- قاضيا مارونيا

٤- قاضيا درزيا.
٥- قاضيا أرثوذكسيا
٦- قاضيا كاثوليكيا
٧- مستشارا مسلما سنيا
٨- مستشار درزيا
٩- مستشارا مارونيا
١٠- مستشار كاثوليكيا.
١١- مستشار كاثوليكيا
١٢- مستشارا شيعيا

وحددت مسؤولية كل مجلس، بتوزيع الضرائب المفروضة على البلاد، والنظر في شكاوى الأهالي ودعاواهم. وقد وضعت ترتيبات محددة للنظر في هذه القضايا(٦٨).

مميزات وعيوب نظام شكيب افندي

عكس نظام شكيب افندي الوقائع التالية (٦٩):

١- خلق ادارة ذاتية للجبل ، ذات شكل مركزي لا تستند على الحقوق الاقطاعية.
٢- توجيه ضربه جديدة للامتيازات الاقطاعية باعتماده على موظفين ذي رواتب مقننة.
٣- اشعر المقاطعجية بأن ايامهم معدودة ، فسعوا الى التشبث اكثر بامتيازاتهم الاقطاعية .
٤- لم يعالج هذا النظام مشكلة تصاعد التدخلات الاجنبية المباشرة في توجيه امور لبنان.
٥- أنه نظام يرسخ الطائفية على الرغم من محاولته التخفيف من حدة الأزمة الطائفية.

٦- أنه لم يحل مشكلة المناطق المختلطة حلا جذرياً.

أن هذا النوع من الإدارة كان ضربة قاسية للنظام الإقطاعي ونفوذ الإقطاعيين، ومهما كانت عيوب نظام شكيب أفندي، فإنه استطاع أن يعطي للجبل فرصة واسعة من الهدوء ونوعا من الاستقرار المؤقت، إذ أن كافة الأطراف كانت تنظر إلى هذا النظام بعين الريبة والشك ، وما تقبّلها له إلا لإرهاقها ونفاذ طاقاتها، كذلك ساعدت الظروف الدولية على استقرار نظام شكيب أفندي، فترة طويلة، فبعد مرور عامين على تطبيقه شهدت أوروبا سلسلة ثورات عام ١٨٤٤ م في فرنسا وألمانيا وايطاليا والنمسا والمجر وبولندا ، ولم تلبث حرب القرم ان وقعت (٢٨ آذار ١٨٤٥م- شباط ١٨٥٦م)، تلك الحرب التي دخلتها فرنسا وانجلترا إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا، فكان طبيعيا أن تخف حدة التدخل الأوروبي في شؤون الدولة العثمانية على الأقل ريثما تنتهي تلك الحرب، إذ كان من مصلحة بريطانيا وفرنسا أن تتهيأ للدولة العثمانية خلال تلك الحرب أوسع الفرص لتجميع قواها ضد روسيا العدد المشترك، فهدأ نشاط القناصل البريطانيين والفرنسيين وسكنت إلى حد ما التحريضات الصليبية، التي كان يتبناها العديد من الأجانب ومن ناحية أخرى كان الدروز والمسلمون بصفة عامة، قد رأوا أن الحرب الروسية- العثمانية، تتطلب منهم التكاتف مع الدولة العثمانية، ولكن بينما كانت قائمقامية الدروز أكثر هدوءا من خلال حرب القرم وفي أعقابها، كانت الأمور تتطور داخل القائمقامية المارونية تطورا جديدا، أدى ما عرف بثورة الفلاحين ضد الإقطاعيين (١٨٥٨م) تلك الثورة التي ستؤدي إلى " حوادث الستين" ومذابح الستين، بين المسلمين والمسيحيين(٧٠).

الخاتمة

ان سياسة الباب العالي التي قررها السلطان محمود الثاني (١٨٠٨م- ١٨٣٩م) ، هي سياسة الحكم المباشر ، وما يقتضيه من الدس والتفرقة بين عناصر السكان حتى

يتسنى اخضاعها جميعا ، فالأتراك الذين كانوا قد تنبهوا الى تأثير السياسة البريطانية المتزايد على الامير سلمان شهاب ، راحوا يعلون الكفة بتحريض الدروز على العصيان ، ولم يقبلوا تعيين الامير سلمان شهاب اميرا على الجبل بدلا من الامير بشير ، لانهم كانوا يريدون ان تزداد الحالة سوءا، وحينئذ يكون عزله متفقا مع نقمة الاهالي عليه، وبذلك ينهون حكم الشهابين وينصبون حاكما تركيا مباشرا. وانتصرت السياسة العثمانية بتعيين باشا عثماني حاكما على جبل لبنان لأول مرة في تاريخ لبنان ، وكان ذلك مناقضا للعرف الذي اخذت به الحكومة العثمانية منذ دخول سليم الاول سوريا عام ١٥١٦م (٧١).

وكانت الاستانة مهتمة باتخاذ هذه الخطوة في سبيل استقرار الجبل ، فالوالي العثماني هو افضل حاكم عندما تكون الروح الطائفية قوية ، وعندما تستند كل طائفة الى دولة كبرى ، كما كان شأن الموارنة والدروز، لأن الحاكم الاجنبي ليس ضمانة لعدم تحكم احدى الطائفتين بالأخرى فحسب، بل ضمانة ايضا لإحباط مكائد ومساعي الدول الكبرى المتنازعة في جبل لبنان، ومراقبة نشاط وكلائها المتجولين وارساليتها الدينية والتعليمية التي كانت تبث سموم الدعاية المغرضة لبلبلة النفوس ونشر الفوضى وتشتيت الولاء ، وتمزيق الاتفاق(٧٢).

تسلم عمر باشا حكومة الجبل ، ولجأ الى استمالة اصحاب المناصب الدرزية المهمة والرؤوساء الاقطاعيين المسيحيين، وحرص على اسقاط الشهابين ماديا ومعنويا حتى لا تقوم لهم قائمة بعد اليوم ، وعمل على توطيد حكمه فأوعز الى رجاله بأن يستكتبوا الاهالي عرائض يوجهونها للباب العالي ولقناصل الدول في بيروت يطلبون فيها تثبيته على رأس حكومة الجبل.

سببت هذه المناورات استياء القناصل في بيروت فاحتجوا على تدابير عمر باشا وذلك للأسباب التالية:

١- معارضة البريطانيين للحكم العثماني المباشر لأنه قضى على احد المخلصين لسياستهم

(بشير الثالث) واستبدل بموظف عثماني.

٢- معارضة الروس للحكم العثماني المباشر لأنه يقوي نفوذ الباب العالي في الجبل.

٣- معارضة الفرنسيين لهذا الحكم لأنه يحد من نشاطهم في البلاد .

اقام نظام شكيب افندي ادارة مركزية لا تستند الى الحقوق الاقطاعية ، بل على العكس وجه ضربة قاصمة الى التقاليد والامتيازات الاقطاعية باعتمادها موظفين ذوي رواتب مقننة ، وقضى على سلطة السادة في المناطق المختلطة خاصة، واصبحت الادارة في القرية ادارة مدنية ذات نظام معين ، اما في المناطق الدرزية والمسيحية المتجانسة فلم يكن نظام شكيب افندي فعالا مجديا اذ ترك للسادة تصريف جميع شؤون الادارة المحلية(٧٣).

الهوامش

١- عبد العزيز سليمان نوار، تطور لبنان السياسي والاجتماعي منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى أواخر الحكم المصري سنة ١٨٤٠م، في جمال زكريا قاسم: الأزمة اللبنانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص٩-١١.

٢- عبد العزيز سليمان نوار، المصدر نفسه، ص ٤٩.

٣- بطرس ضو، تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري، دار النهار، بيروت، ١٩٧٠، ص٥٧.

٤- المصدر نفسه، ص٥٩.

٥- حسين كامل، طائفة الدروز تاريخها وعقائدها ، دار المعارف للطباعة،القاهرة،١٩٦٠، ص١٧٥.

٦- عبد الرؤوف فضل الله ، لبنان دراسة جغرافية ، دار النهضة العربية ، ط٢، بيروت، ١٩٨٩، ص٢٥.

٧- المصدر نفسه، ص٢٧.

٨- بازيلي، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية، ترجمة يسر ومنذر جابر، دار الحداثة للطباعة،بيروت،١٩٨٨، ص١٢١.

٩- عبد الرؤوف فضل الله، المصدر السابق ، ص٣٣.

١٠- بشير الشهابي في الساعات الاخيرة من حكمه"، مجلة اوراق لبنانية، بيروت،ج٢٢،السنة الثالثة/كانون الاول،١٩٥٧،ص٥٣٣.

١١- فيليب حتى، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة أنيس فريحة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٩، ص ص١٢٧، ١٢٨.

١٢- المصدر نفسه، ص٥٣٤.

١٣- بيير كربتس، ابراهيم باشا، ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،١٩٣٧، ص١٤٣.

١٤- فيليب حتي ، المصدر السابق، ص١٢٩.

١٥- بيير كربتس، المصدر السابق، ص ١٤٤.

١٦- المصدر نفسه، ص١٤٤.

١٧- فريد وفليب الخازن، المحررات السياسية والمفاوضات الدولية، جونيه، ١٩١٠، جـ١، ص ٨٤-٨٨.

١٨- أحمد طربين، المصدر سابق، ص ص ٦٥-٦٦.

١٩- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ لبنان الحديث، بيروت، ١٩٧٦، ص١٠٢.

٢٠- أ. سميليا نسكايا، الحركات الفلاحية، في لبنان في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ترجمة عدنان جاموس، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٣، ص٦٩.

٢١- المصدر نفسه، ص ٩٨-١٠١.

٢٢- حيدر الشهابي ، لبنان في عهد الامراء الشهابين ، مطبعة الحكومة اللبنانية ، بيروت ، ص٦٢.

٢٣- سوسن سليم، الجذور التاريخية للازمة اللبنانية،ج١،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة،١٩٨٥،ص٦٣.

٢٤- فيليب حتى، المصدر السابق، ص٥٢٩.

٢٥- فريد وفليب الخازن، المصدر سابق، ص٢١٤.

٢٦- طنوس الشدياق، اخبار الاعيان في جبل لبنان، مكتبة العرفان، بيروت، ١٩٥٩،ص١٥٦.

٢٧- المصدر نفسه، ص١٥٦.

٢٨- يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،١٩٦٤، ص٤٧.

٢٩- المصدر نفسه، ص٥١.

٣٠- صالح زهر الدين، التبشير واثره في جبل لبنان،طرابلس،١٩٨٦،ص٨٨.

٣١- يوسف الحكيم، المصدر سابق، ص٦٣.

٣٢- فواز طرابلس، تاريخ لبنان الحديث من الامارة الى اتفاق الطائف، بيروت، ٢٠٠٨، ص٧٥

٣٣- طنوس الشدياق، المصدر السابق، ص ١٥٧.

٣٤- أ. سميليا نسكايا، المصدر سابق، ص ١١٣.

٣٥- نقولا زيادة، أبعاد التاريخ اللبناني، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة، ١٩٧٢، ص ص١١٧، ١١٩.

٣٦- المصدر نفسه، ص ١١٩.

٣٧- لحد خاطر، عهد المتصرفين في لبنان (١٨٦١- ١٩١٨) منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت، ١٩٦٧، ص١٦.

٣٨- نقولا زيادة، المصدر سابق، ص ١١٩ .

٣٩- أحمد طربين، المصدر سابق، ص١٠٤-١٠٥.

٤٠- عبد العزيز سليمان نوار، وثائق أساسية في تاريخ لبنان الحديث، ١٥١٧-١٩٢٠، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٧٤، ص٢٣٦-١٣٧.

٤١- المصدر نفسه، ص٢٣٧.

٤٢- فيليب حتى، المصدر سابق، ص٤٦١.

٤٣- ستيفن هامسلي، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، دار الحقيقة بيروت، ١٩٧٨، ص٢٧٥-٢٧٨.

٤٤- بطرس ضو ، المصدر السابق، ص٦٧.

٤٥- محمد عبد الرؤوف سليم، متصرفية لبنان، في: جمال زكريا قاسم، الأزمة اللبنانية البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص١٣٠.

٤٦- المصدر نفسه، ص ١٣٣.

٤٧- عمر عبد العزيز عمر ، المصدر السابق،ص١٣٤.

٤٨- المصدر نفسه ، ص١٣٤.

٤٩- بطرس ضو، المصدر السابق، ص٦٨.

٥٠- محمد عبد الرؤوف ، المصدر السابق، ص١٣٥.

٥١- المصدر نفسه ، ص١٣٧.

٥٢- عبد العزيز نوار ، المصدر السابق، ص٢٣٧.

٥٣- هنري غيز، بيروت ولبنان منذ قرن ونصف قرن، ترجمة مارون عبود، دار المكشوف، بيروت، ١٩٤٩، ص٦٩.

٥٤- المصدر نفسه، ص٦٩.

٥٥- احمد طربين، لبنان في عهد المتصرفية الى بداية الانتداب (١٨٦١-١٩٢٠) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص ١٧-١٨.

٥٦- المصدر نفسه، ص ١٩.

٥٧- أنيس الصايغ، لبنان الطائفي، دار الصراع الفكري،بيروت،١٩٥٥، ص٦٥.

٥٨- لحد خاطر ، المصدر السابق، ص٣٣.

٥٩- انيس الصائغ، المصدر السابق، ص٦٤.

٦٠- المصدر نفسه، ص١٢٣.

٦١- المصدر نفسه، ص١٧٨.

٦٢- رياض غنام، المقاطعات اللبنانية في ظل الحكم المصري (١٨٣٢-١٨٤٠)، الدار التقدمية، لبنان،١٩٨٨، ص٧٨.

٦٣- حسين كامل ، المصدر السابق،ص١٧٦.

٦٤- عاطف خليل بو عماد، الاسرة النكدية ابان القرن التاسع عشر حتى نهاية عهد المتصرفية، دار التقدمية للنشر ،بيروت،١٩٨٩، ص١٤٣.

٦٥- المصدر نفسه، ص١٤٤.

٦٦- رياض غنام ،المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الامير بشير الثاني ونظام القائمقاميتين ١٧٨٨-١٨٦١،مكتبة بيسان،بيروت،١٩٨٨، ص١٧٧.

٦٧- المصدر نفسه ، ص١٧٨.

٦٨- عباس ابو صالح، التاريخ السياسي للأمارة الشهابية في جبل لبنان ١٦٩٧-١٨٤٢،بيروت،١٩٨٤، ص٨٨.

٦٩- عبد الله ابي عبد الله، تاريخ الموارنة ومسيحي الشرق عبر العصور (موارنة لبنان في عهد امراء بني عثمان من ١٥١٥-١٨٤٢)،ج٣، لبنان،١٩٩٧،ص٩٦.

٧٠- عباس ابو صالح، المصدر السابق، ص١٠١.

٧١- قاسم محمد احمد النواصرة، الموقف البريطاني والفرنسي من الحكم المصري لبلاد الشام (١٨٣١-١٨٤١) المعهد الفرنسي ،دمشق،٢٠٠٨، ص٧٩.

٧٢- نسيب نكد ، الامارة الشهابية والاقطاعيون الدروز، دار النهار للنشر ، بيروت، ٢٠٠٤،ص١٦٢.

٧٣- محمد عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص١٣٨.

دور الحبيب بورقيبة في تجديد عمل الحركة الوطنية في تونس (١٩٢٩ – ١٩٤٥)

أ.م.د.حسن زغير حزيم
كلية التربية / الجامعة المستنصرية

دور الحبيب بورقيبة في تجديد عمل الحركة الوطنية في تونس (١٩٢٩ – ١٩٤٥)

أ.م.د. حسن زغير حزيم

المقدمة :

تناول البحث دراسة دور الحبيب بورقيبة في تجديد الحركة الوطنية في تونس منذ عام ١٩٣٣ حتى نهايته عام ١٩٤٥ ويعد هذا الموضوع من الموضوعات المهمة في حقل الدراسات التاريخية لانه يسلط الضوء على دوره في قيادة الحركة الوطنية التونسية واعتماده سياسة المراحل والواقعية في النضال ، وهو يعد رائداً على المستوى العربي ، التي مكنته من تحقيق الاستقلال التام لتونس ، كل هذه الاراء والمواقف التي اتبعها بورقيبة جعلتني اختار دراسة دوره في تجديد وتطوير الية عمل ناجح للحركة الوطنية واتخاذ سياسة واقعية في العمل الوطني بعيداً عن الافكار التقليدية السابقة عنواناً لبحثي هذا وكذلك لافتقار المكتبة العراقية لمثل هذا الموضوع حسب معلوماتي المتواضعة .

أولاً : نشاط الحبيب بورقيبة في الصحافة الحرة :

بدأ الحبيب بورقيبة نشاطه السياسي ، بعد عودته الى تونس ، من خلال كتاباته في الصحف ، فقد كتب اول مقال له عنوانه "الحجاب" ونشره في جريدة اللواء التونسي بتاريخ ١١ كانون الثاني عام ١٩٢٩ ، والمقال نص الكلمة التي القاها في جمعية "ليسور" وهي جمعية ادبية تابعة للحزب الاشتراكي الفرنسي في تونس ، وكان قد اناب عن اخيه محمد (بالفتح) الذي كان عضواً فيها [1]، وقد دافع في كلمته عن الحجاب وقال : "ان الحجاب قد يخلو من اللطافة لكنه يعد جزءاً من الشخصية

التونسية وان فرنسا تسعى الى محق هذه الشخصية وتروم فرنستها ... لذلك يجب ان نتمسك بجميع مظاهر شخصيتنا"[٢].

ثم نشر مقالاً جديداً عنوانه (نظرية دوريل او الاشتراكية العرجاء) نشرته جريدة اللواء التونسي في الاول من شباط عام ١٩٢٩ ، وفي هذا المقال هاجم الاشتراكيين لقبولهم التمييز الذي اتبعته سلطات الحماية[٣] بين التونسيين والفرنسيين ، من اجل حماية مصالح الفرنسيين ، كما اعلن عن رفضه مبدأ الاممية[٤] ، لانها تعني استمرار استغلال تونس واصر على الهوية الوطنية لتونس لضمان العدالة الاجتماعية[٥] .

وواصل كتابة المقالات في الصحف ، منتقداً كل انتهاك تقوم به سلطات الحماية، فقد ندد بالمؤتمر الافخرستي[٦] عام ١٩٣٠ وقد وصفه : "بانه نكبة على البلاد التونسية"[٧] . وفي مقال نشره في ١٣ شباط عام ١٩٣١ في جريدة الصوت التونسي[٨] ، هاجم سلطات الحماية ، ومما جاء فيه : "اذ كان شعباً قوياً استعمرته دولة قوية بسبب ازمة مؤقتة ، فالاتصال بحضارة متقدمة تبعث فيه ثورة هي وسيلة النجاة ... لا بد ان يصل شيئاً فشيئاً الى استقلاله" [٩] .

ثم كتب بورقيبة مقالاً اخر هاجم فيه سلطات الحماية ، قال فيه : "ان هذه الاحوال لا يمكن ان تدوم وان امن فرنسا لا يستقر الا اذ اوجدت دولة تونسية حرة تتفهم وتتعاون معها وانه افضل لفرنسا ان تساعد على بث هذا الوضع الجديد، من ان تمضي في تعكير الاحوال ودفعها من سيء الى اسوأ"[١٠] .

وفي ١٦ شباط عام ١٩٣١ انضم الى هيئة تحرير جريدة الصوت التونسي ، التي اصبحت تصدر بصورة يومية بعد ان كانت تصدر اسبوعياً[١١] . ويذكر ان الصحف التونسية الناطقة باللغة الفرنسية كانت اشد وطأة على سلطات الحماية مقارنة بالصحف التي تصدر باللغة العربية ، وبدأت سلطات الحماية تشعر بخطر هذا الاتجاه ، فأمرت

في ١٢ ايار عام ١٩٣١ بتقديم هيئة تحرير جريدة الصوت التونسي للمحاكمة ، بتهمة تحريض المواطنين ضد سلطات الحماية[١٢] .

وبدأت المحاكمة في ٩ حزيران عام ١٩٣١ ، فتجمعت الجماهير خارج المحكمة ، مما دفع المقيم العام الفرنسي في تونس فرانكوز مونسيرون Francois Manceron (١٨٧٢-١٩٣٧/١٩٢٩-١٩٣١) الى تهدئة الموقف ، فأطلق سراح اعضاء هيئة تحرير الجريدة واغلقت القضية بسبب عدم كفاية الادلة[١٣] .

وبعد هذه الحادثة ، عبر بورقيبة عن عدم انتمائه الى الحزب الحر الدستوري من خلال كلامه مع الشاذلي خير الله ، الذي قابل المقيم العام بصورة منفردة قبل اطلاق سراح هيئة تحرير الجريدة ، عندما سأله عن السبب الذي دفعه لذلك ، فاجابه الشاذلي ، انه تلقى اوامر من الحزب الحر الدستوري ، فقال: "اننا اجتمعنا في الصحيفة لان الشعب اوكل الينا العمل باسمه لا في نطاق الحزب" [١٤] .

وبعد هذه الحادثة ، كتب مقالين في جريدة الصوت التونسي ، فقد كتب في ٢ تموز مقاله الاول ، وفيه دافع عن الجريدة ، وفي ١٠ تشرين الاول عام ١٩٣١ نشر مقاله الثاني الذي حمل عنوان (الازمة الفلاحية) في الجريدة نفسها[١٥] .

لكن الانشقاق بدأ جلياً في هيئة تحرير الجريدة بعدما كتب مقالاً في ٢٢ تشرين الاول عام ١٩٣١ ونشرته جريدة الصوت التونسي ، وفيه انتقد الشاذلي بسخرية لاذعة[١٦] .

ثم اتفق في تشرين الاول عام ١٩٣٢ مع اعضاء هيئة تحرير جريدة الصوت التونسي على خلع الشاذلي خير الله واصدار جريدة جديدة هي العمل التونسي ، باللغة الفرنسية ، وصدر اول عدد لها في الأول من تشرين الثاني عام ١٩٣٢ ، وقد كتب فيها مقالاً عنوانه (الميزانية التونسية) [١٧] .

ومن غير الواضح الجهة التي وقفت وراء تمويل هذه الجريدة ، على الرغم من ادعاء بورقيبة انه حصل على دعم مالي من الحزب الحر الدستوري، الا ان ذلك مستبعداً ، لانه لم يكن عضواً في الحزب[١٨] .

غير ان الجريدة تعرضت الى أزمة داخلية ، بعد استقالة علي بوحاجب (مسؤول مالية الجريدة) والبحري قيقة (سكرتير تحريرها) ، وكان سبب هذه الازمة هو اللقاء الذي اجراه محمد (بالفتح) مع محمد شنيق[١٩] رئيس المجلس الكبير[٢٠] .

وقد كتب مقالاً في الجريدة انتقد فيه علي بوحاجب والبحري قيقة، وعلى الرغم من ذلك، استمرت الصحيفة على الصدور وقد خصص بورقيبة لها كل وقته[٢١] .

ثم استغل قضية التجنس[٢٢] ، للتقرب من الجماهير ، فقد كتب عدة مقالات بشأن ذلك ، فقال في إحدى هذه المقالات : "ارادت السلطات فرض دفن المتجنس في مقابر المسلمين بالقوة فوثبنا وعقدنا العزم على ان نمنع ذلك ، وكانت تتجدد المظاهرات كلما توفي احد المتجنسين وتضرب الحراسة على قبره خوفاً من ان تخطف جثته ، وكان موت احد المتجنسين يسبب فضيحة بالنسبة الى عائلته حتى دفع المتجنسون الى المطالبة باسترجاع الجنسية التونسية"[٢٣] .

وبعد ان قررت سلطات الحماية في ١١ أيار عام ١٩٣٣ فرض الرقابة على الصحف ، قرر الحزب الحر الدستوري في ١٢ أيار عام ١٩٣٣ ضم هيئة تحرير جريدة العمل التونسي الى عضوية اللجنة التنفيذية للحزب ، الا ان سلطات الحماية قررت في ٣١ ايار عام ١٩٣٣ منع جريدة العمل التونسي من الصدور وحظر نشاط الحزب الحر الدستوري[٢٤] .

وفي غضون ذلك جاء وفد من مدينة المنستير الى العاصمة مؤلف من سبعين شخصاً واجتمع مع الحبيب بورقيبة ، وقام الاخير بالترتيب للقاء الوفد مع الباي احمد الثاني (١٩٢٩-١٩٤٢) ليقدموا شكوى له ، ضد فرض دفن موتى

المتجنسين ، الا ان اللجنة التنفيذية للحزب انتقدته على ذلك[٢٥] .لكن بورقيبة اكد صحة موقفه كونه محامياً، الا بصفته عضواً في الحزب . ثم قدم استقالته من الحزب الحر الدستوري في ٧ ايلول عام ١٩٣٣[٢٦].

وبعد طرد للحزب البحري قيقة من عضويته ، بسبب كشفه اسرار الحزب الى الحبيب بورقيبة ، قدم الطاهر صفر ومحمود الماطري ومحمد (بالفتح) بورقيبة استقالتهم من الحزب احتجاجاً على ذلك[٢٧] .

وبعد استقالة بورقيبة من الحزب استمر بالكتابة في الصحف ، وقد امتاز اسلوبه بالجدية والسلاسة وبتحليل البناء وبلمسات لاذعة من السخرية هنا وهناك[٢٨]، وان قوة شخصيته اتاحت له، بفضل الصفات التي يمتلكها فهو خطيب مفوه وواسع الاطلاع وبعيد الادراك وبفضل اتباعه سياسة معتدلة ، ان يكون زعيماً[٢٩].

ثانياً : جهود بورقيبة لتجديد عمل المعارضة الوطنية (١٩٣٤-١٩٤٤) :

أراد الحبيب بورقيبة توضيح سبب استقالته من الحزب الحر الدستوري الى شعبة قصر هلال[٣٠] للحزب ، عندما كان في طريقه الى مدينة المنستير في ٣ كانون الثاني عام ١٩٣٤ ، لكن اعضاء شعبة قصر هلال رفضوا مقابلته ، فتدخل احد اعضاء الحزب وطلب من الحضور الى اجتماع الشعبة في داره في مساء اليوم نفسه[٣١] ، وفي هذا الاجتماع استطاع كسب اعضاء الشعبة الى جانبه ، فطالبوا بعقد مؤتمر استثنائي للحزب الحر الدستوري[٣٢] .

الا ان اللجنة التنفيذية للحزب رفضت هذا الطلب وحذرت من الاتصال بالحبيب بورقيبة وقد استشهدت بالاية الكريمة "ياأيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" ، اما هو فقد استشهد بالاية الكريمة[٣٣] : "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

رغم ذلك عقد الحزب مؤتمره ، لايجاد حل لهذه المشكلة الداخلية التي تعرض لها ، في ٣ اذار عام ١٩٣٤ وقد حضره ممثلو ستين شعبة حزبية[٣٤] .

والقى كلمة في المؤتمر انتقد فيها اللجنة التنفيذية للحزب وعدها متزلفة لسلطات الحماية مما تسبب في ضعف الحزب ، واضاف : "اننا نريد ان نتبع سياسة جديدة"[٣٥]. وقرر المؤتمر حل اللجنة التنفيذية للحزب[٣٦] وانتخاب أعضاء الديوان السياسي[٣٧] ، وقد ضم المجموعة المتأثرة بالفكر الليبرالي ، وهم : محمود الماطري (رئيساً) والحبيب بورقيبة (اميناً عاماً) وطاهر صفر (مساعد الامين العام) ومحمد (بالفتح) بورقيبة (امين صندوق) والبحري قيقة (مساعد امين الصندوق) ، وتم انتخاب اعضاء المجلس الملي[٣٨]، واتفق المجتمعون على عقد مؤتمر عام [٣٩] للحزب في السنة القادمة واطلق على هذا التنظيم الجديد اسم (الحزب الحر الدستوري الجديد)[٤٠].

وقد تميز هذا الحزب بتنظيم محكم وانضباط تام ومركزية شديدة[٤١] ، وبفضل هذا التنظيم استطاع الاستمرار في عمله السياسي بنجاح من خلال القيادة المزدوجة المتمثلة بالديوان السياسي الذي هو الهيئة العليا (التنفيذية) والمجلس الملي الذي يقف مستعداً ليحل محل الديوان السياسي ، في حالة اصبح الاخير عاجزاً عن اداء واجبه ، وبهذه الطريقة تمكن الحزب من الصمود على الرغم من إجراءات سلطات الحماية القمعية[٤٢] . واستطاع ان يكسب دعم العديد من ملاك الأراضي ، الذين انضموا اليه ومنهم محمد شنيق (وهو من كبار ملاك الأراضي)، الذين وفروا الدعم المادي للحزب[٤٣] .

وتنفيذاً لطريقة بورقيبة ، الداعية الى الاتصال المباشر بالشعب ، قام بالعديد من الجولات في المدن التونسية لتهيئة الجماهير لخوض معركة التحرير بقيادة الحزب[٤٤] ، وكان يخاطب الجماهير في جولاته هذه باللهجة التونسية (العامية) [٤٥] .

اراد الافادة من قوة الجماهير، عندما تتحد ، في عملية التحرير ، اذ قال : "اني منذ عام ١٩٣٤ ادركت دور الجماهير في معركة الاستقلال"[٤٦] ، فقد كان يريد ان تضغط الجماهير ، بالمظاهرات والاضرابات ، على سلطات الحماية لتضطر الاخيرة الى اجراء مفاوضات مع قادة الحركة الوطنية ، وهي من نظرته الواقعية للعلاقة بين تونس وفرنسا واقتناعه برجحان كفة الميزان في (الصراع) لصالح فرنسا[٤٧] .

وفي الجولات التي قام بها بورقيبة كان يلهب مشاعر الجماهير للمطالبة باستقلال البلاد وتحقيق امانيه بالحرية والعدالة ، ويذكر انه قال في احدى جولاته : "مادام المرء يرى بتونس اناساً يجدون ما لا يأكلون واخرين لا يجدون ما يأكلون فالحرب تصبح ضرورة ، سرية كانت او علنية ، والالتجاء الى العنف واجب والسلم من قبيل الاوهام" [٤٨] .

وبسبب النشاط الذي بذله اعضاء الديوان السياسي ، خلال الجولات التي قاموا بها في المدن التونسية ، القت سلطات الحماية ، بناءً على اوامر من المقيم العام ، القبض على بورقيبة وبعض اعضاء الديوان السياسي في ٣ ايلول عام ١٩٣٤ واعتقلوا في برج البوف[٤٩] ومن هناك واصل بورقيبة يقود حركة المقاومة الوطنية ، اذ بعث برسالة الى اعضاء الحزب الحر الدستوري الجديد ، طبعت ووزعت على المناضلين ، وفيها دعاهم الى مواصلة المقاومة[٥٠] .

وقد تسبب اعتقال بورقيبة ورفاقه في قيام العديد من المظاهرات في ٤ ايلول عام ١٩٣٤ عمت جميع المدن التونسية ، واشتبكت مع رجال الشرطة الفرنسية مما تسبب في وقوع العديد من الضحايا في صفوف المتظاهرين وجرح اخرين ، فيما قتل احد افراد الشرطة الفرنسية[٥١] .

وبعد اعتقال بورقيبة وبعض رفاقه ، شكل الحزب ديواناً سياسياً ثانياً تألف من الطاهر صفر والبحري قيقة وصالح بن يوسف[٥٢] الذين قدموا مذكرة احتجاج الى

المقيم العام طالبوا فيها اطلاق سراح المعتقلين السياسيين، الا انه رفض ذلك وقرر في ٣ كانون الثاني عام ١٩٣٥ اعتقال اعضاء الديوان السياسي الثاني[٥٣] .

فشكل الحزب ديواناً سياسياً ثالثاً برئاسة الشاذلي خير الله ، عضو الحزب ، الذي تمكن من مقابلة المقيم العام في ٦ كانون الثاني وطلب منه اطلاق سراح المعتقلين السياسيين، الا ان الاخير رفض ذلك ، مما دفع الشاذلي خير الله الى تنظيم مظاهرة كبيرة في العاصمة تونس في ٢٩ اذار عام ١٩٣٥ ، شارك فيها نحو ٣٠ الف متظاهر ، احتجاجاً على سياسة المقيم العام ، لكن قادة الحزب المعتقلين اعترضوا على ذلك ، مما دفع الديوان السياسي الثالث الى الاستقالة في اليوم التالي للمظاهرة[٥٤].

ولجأ الحزب الى العمل السري بعد ان اصدر المقيم العام اجراءات تعسفية في ٣ ايلول عام ١٩٣٥ ، فقد أمر باغلاق جريدة العمل التونسي (لسان حال الحزب) وحظر اجتماعات الحزب[٥٥] .

وقد رفض الشعب التونسي هذه الاجراءات ، ونظم عدة مظاهرات عمت البلاد، وفي ٢٤ شباط عام ١٩٣٦ نظمت الجماهير مظاهرات في معظم المدن التونسية ، وهددت بمواصلة المظاهرات حتى اطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، فاضطرت الحكومة الفرنسية في ٢١ اذار عام ١٩٣٦ الى نقل المقيم العام من مدينة تونس الى مدينة الرباط وتعيين مقيم عام جديد هو ارماندغيلون Armand Guillon (اذار عام ١٩٣٦ – تشرين الثاني عام ١٩٣٨) [٥٦] .

وفور وصول ارماند غيلون الى تونس اتخذ اجراءات من شأنها تهدئة الوضع في البلاد ، فقد اطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين في برج البوف ، الا ان ذلك لم يشمل بورقيبة ، الذي كان معتقلاً في جزيرة جربة منذ ان نقل اليها في ٢٣ نيسان عام ١٩٣٦ ، ولم يطلق سراحه الا في ٢٣ ايار عام ١٩٣٦[٥٧] . كما قرر المقيم العام

الغاء الاجراءات التي فرضها المقيم العام السابق ، فقد اصدر في ١١ اب قراراً نص على حرية الصحافة والاجتماعات في تونس[٥٨] .

وبعد خروج قادة الحزب من الاعتقال ظهر خلاف بينهم بشأن الطريقة التي يتم اتباعها لقيادة الحركة الوطنية ، فبينما يدعو بورقيبة الى الاستمرار في دعوة الجماهير لمواصلة النضال ، الا ان بقية زملائه لم يشاطرونه الرأي وفضلوا اتباع سياسة الاعتدال والعمل السياسي السلمي بعيداً عن العنف[٥٩] .

وجرت تسوية الخلاف في اجتماع الديوان السياسي في ١٠ تموز عام ١٩٣٦، فقد القى بورقيبة كلمة حدد فيها الحد الادنى من مطاليب الشعب التونسي، اذ طالب بحق الشعب في وضع ميزانية الدولة وسن قوانين جديدة بواسطة مجلس منتخب ضمن اطار نظام الحماية، وقد قرر الاجتماع تكليف الحبيب بورقيبة بالسفر الى باريس للاتصال بحكومة الجبهة الشعبية[٦٠] (٤ حزيران عام ١٩٣٦–٢١حزيران عام ١٩٣٧).

لذلك سافر بورقيبة الى باريس وتمكن من عقد اجتماع مع بييارفيينو[٦١] (وكيل وزير الخارجية) في ١٦ تموز عام ١٩٣٦ وقدم له تقريراً طالب فيه بقيام نظام دستوري ديمقراطي في تونس يمكن الشعب من المشاركة في سن القوانين ووضع ميزانية للبلاد[٦٢] .

واستطاع بورقيبة مقابلة المقيم العام في مقر وزارة الخارجية الفرنسية ، حيث كان يزور باريس ، في ٢٨ اب عام ١٩٣٦ وتعد هذه الاجتماعات تاريخية ، لان بورقيبة كان اول مناضل تونسي يستقبل في مقر وزارة الخارجية الفرنسية[٦٣].

وبسبب نشاط الحزب اصدر المقيم العام ، بعد عودته الى تونس ، قراراً في ١١ تشرين الاول عام ١٩٣٦ نص على حظر نشاط الحزب ومنع جريدته من الصدور. الا ان الحزب قرر تحدي ذلك ، فقد عقد الديوان السياسي اجتماعاً في ١٣

تشرين الاول قرر ايفاد بورقيبة ، الذي عاد الى تونس ، مرة اخرى الى باريس لاثارة الرأي العام الفرنسي ودعوة فيينو الى زيارة تونس[٦٤] .

فسافر بورقيبة الى باريس في نهاية تشرين الاول عام ١٩٣٦ واجتمع مع فيينو ووصل معه الى تفاهم حول مستقبل العلاقات بين تونس وفرنسا ضمن إطار نظام الحماية[٦٥] . وخلال وجوده في باريس استطاع كسب الطلاب التونسيين ، الدارسين في فرنسا ، الى صفوف الحزب فأسس شعبة للحزب الحر الدستوري الجديد هناك واصبح هؤلاء يكنون الولاء الشخصي لبورقيبة وابرزهم الهادي نويرة[٦٦] .

وبعد عودة بورقيبة الى تونس ، عقد المجلس الملي اجتماعه في ٣ تشرين الثاني عام ١٩٣٦ في مدينة تونس وخول المجلس الديوان السياسي لمهمة الضغط على فرنسا لارسال لجنة التحقيق[٦٧] ، ثم اجتمع الديوان السياسي وقرر ايفاد بورقيبة مرة اخرى الى باريس[٦٨] .

فسافر بورقيبة الى باريس ، وحضر مأدبة اقامتها شعبة الحزب هناك في ١٤ شباط عام ١٩٣٧ وحضرها رولان ميشال (مدير تحرير جريدة لافلاش الباريسية) الذي اشار الى ما بين الحزب الحر الدستوري الجديد وحكومة الجبهة الشعبية من تقارب[٦٩].

واسفرت الاتصالات التي اجراها بورقيبة مع المسؤولين في حكومة الجبهة الشعبية عن زيارة بييار فيينو الى تونس في ١٨ شباط عام ١٩٣٧ ، الذي قام بدراسة الاوضاع العامة في تونس ثم عقد اجتماع مع الباي احمد الثاني (١١ شباط عام ١٩٢٩ – ١٩ تموز عام ١٩٤٢) بحضور محمود الماطري (رئيس الحزب) الذي طرح في الاجتماع مطاليب الشعب التونسي . وفي نهاية الاجتماع اجرى فيينو لقاء مع اذاعة تونس اكد فيه ضرورة اجراء اصلاحات واسعة في تونس وتطبيق نصوص المعاهدات التونسية – الفرنسية واحترام سيادة تونس[٧٠] .

وعبر بورقيبة في باريس عن ارتياحه لهذا التصريح ، ثم التقى مع عدد من المسؤولين في الحكومة الفرنسية في الأول من اذار عام ١٩٣٧ وشرح خلال اللقاء القضية التونسية[٧١] . الا ان سقوط حكومة الجبهة الشعبية ٢١ حزيران عام ١٩٣٧ اجهضت كل جهوده[٧٢] . مما دفع بورقيبة الى تهيئة حزبه ، الذي ازداد عدده بشكل كبير فقد بلغ عام ١٩٣٧ نحو ٤٠ الف عضواً واتسم تنظيم الحزب بالدقة والمركزية مما اظهره بمظهر الحزب الجماهيري العتيد [٧٣] . بذلك اصبح قادراً على دفع رواتب لملاكاته المتفرغة للعمل الحزبي ، من خلال الاشتراكات التي تجمع من اعضائه ، فقد كان يدفع الى بورقيبة راتباً شهرياً قدره ٣٥٠٠ فرنك فرنسي[٧٤] .

وبفضل هذا التنظيم ، استطاع الحزب تبديد جهود عبد العزيز الثعالبي ، بعد عودته الى تونس في ٨ تموز عام ١٩٣٧ ، لتوحيد الحزب ، اذ دعا الثعالبي الى اجتماع مشترك لاعضاء الحزب الحر الدستوري الجديد والحزب الحر الدستوري القديم في ١٥ اب عام ١٩٣٧[٧٥] . وفي الاجتماع تم الاتفاق على تأسيس لجنة مشتركة[٧٦] تضم ممثلين من كلا الحزبين ، ثم قام الثعالبي بجولة في عدد من المدن التونسية[٧٧] . مما دفع بورقيبة الى العودة الى تونس في الأول من ايلول عام ١٩٣٧ ، وفور وصوله ، قام بجولة في عدد من المدن التونسية[٧٨] ، واقترح اقامة استفتاء شعبي يمكن التونسيين من الاختيار بينه وبين الثعالبي وبين الديوان السياسي واللجنة التنفيذية ، مما احدث رد فعل كبيرة مؤيد له . مما دفع الثعالبي الى ترك العمل السياسي . ثم كتب بورقيبة مقالاً في جريدة العمل التونسي انتقد فيه الثعالبي واتهمه بفرض نفسه على حزب الحر الدستوري الجديد وانتقد ايضا اعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الحر الدستوري القديم ووصفهم بالتخاذل امام سلطات الحماية[٧٩] .

دعا بورقيبة بعد ذلك الى عقد مؤتمراً عاماً للحزب ، وهو الثاني من نوعه ، وقد انعقد في ٣٠ تشرين الاول عام ١٩٣٧ في مدينة تونس وفيه القى بورقيبة كلمة انتقد فيها سياسة الحكومة الفرنسية . وقرر المؤتمر رفض سياسة الحكومة الفرنسية واعلن عن عزم الحزب على سلوك السبل المؤدية الى تحقيق اماني الشعب التونسي[٨٠]. وانتخب المؤتمر اعضاء الديوان السياسي(الرابع) [٨١] .

ثم دعا بورقيبة الى الاضراب العام في ٢٠ تشرين الثاني عام ١٩٣٧ ، الا ان قيادة جامعة عموم العملة[٨٢] . التونسية رفضت الاشتراك في الاضراب مما تسبب في فشله[٨٣] ، مما دفع بورقيبة الى بعث رسالة في ٢٣ كانون الاول عام ١٩٣٧ الى الهادي نويرة يخبره بقرار الحزب تعيينه امين عام الجامعة بدلاً من بلقاسم قناوي ، واستطاع نويرة ربط الصلة بين الجامعة والحزب في الحركة الوطنية .

ثم قام بورقيبة بجولة في العديد من المدن التونسية في ٢ شباط عام ١٩٣٨ القى خلالها خطباً حماسية لحث الجماهير على الالتفاف حول قيادة الحزب حتى تحقيق الاستقلال ، ودعا الى عقد مؤتمر للحزب[٨٤] .

فعقد الحزب مؤتمراً استثنائياً في مدينة تونس في ١٣ اذار عام ١٩٣٨ الذي قرر الاستمرار في تعبئة الجماهير لمواصلة المقاومة ، ثم قام بورقيبة بجولة جديدة في مدينة تونس في ١٨ اذار والقى كلمات حماسية الهبت صدور الجماهير وحثهم على مواصلة المقاومة[٨٥] .

ثالثاً : موقف فرنسا من نشاط الحركة الوطنية :

وبعد القاء سلطات الحماية القبض على عدد من اعضاء حزب الحر الدستوري الجديد في ٤ نيسان عام ١٩٣٨ ، في اثناء قيامهم باتصالات مع الجماهير لحثهم على مواصلة المقاومة ، قامت عدة مظاهرات في معظم المدن التونسية ، طالبت باطلاق سراح المعتقلين السياسيين[٨٦] . وفي ٨ نيسان عام ١٩٣٨ نظم

الحزب مظاهرة في مدينة تونس بقيادة علي البلهوان[٨٧] احتجاجاً على سياسة سلطات الحماية القمعية[٨٨] ، التي ردت على تلك المظاهرات بشدة ، فقد اصدرت قرار حظرت بموجبه اجتماعات الحزب ومنعت جريدته من الصدور[٨٩] .

وقد رفض بورقيبة الالتزام بهذا القرار ودعا الى مظاهرة جماهيرية في يوم ١٠ نيسان عام ١٩٣٨ ، الا ان اعتقال علي البلهوان في ٩ نيسان كان سبباً في قيام مظاهرة كبيرة في مدينة تونس طالبت باطلاق سراح البلهوان وبقية المعتقلين السياسيين[٩٠] .

وواجهت سلطات الحماية هذه المظاهرة بالقوة مما تسبب في استشهاد ١٢٢ شخصاً وجرح مئات اخرين من المتظاهرين ، واعلنت حالة الطوارئ في البلاد ثم قامت بحملة اعتقالات واسعة ، بلغ عدد المعتقلين نحو ثلاثة الاف شخص من اعضاء الحزب[٩١] ، وفي ١٠ نيسان عام ١٩٣٨ اعتقلت بورقيبة ، الذي لم يشارك في المظاهرة بسبب مرضه الا ان سلطات الحماية اتهمته بتحريض السكان ضدها ، مما دفع الحزب الى تشكيل ديوان سياسي خامس برئاسة الباهي الادغم واخذ يقود الحركة الوطنية بصورة سرية [٩٢] .

لكن الحكومة الفرنسية ارادت تهدئة الوضع فعينت مقيماً عاماً جديداً في تونس هو ايريك لابونية Eirik Labonne (تشرين الثاني عام ١٩٣٨–حزيران عام ١٩٤٠) وفور وصوله الى العاصمة تونس في ٢٢ تشرين الثاني قامت مظاهرة كبيرة طالبت باطلاق سراح المعتقلين السياسيين واعلنوا رفضهم لسياسة الاضطهاد التي تمارسها سلطات الحماية[٩٣] .

وبعد زيادة تأزم الوضع في تونس ، قررت الحكومة الفرنسية ارسال لجنة برلمانية لدراسة القضية التونسية ثم تبعتها زيارة رئيس وزراء فرنسا ايدور دالاديير Edouard Daladier (١٨٨٤–١٩٧٠) /١٠ نيسان عام ١٩٣٨ – ٢٠ اذار

عام ١٩٤٠ الى تونس في ٢ كانون الثاني عام ١٩٣٩ فقامت مظاهرات جماهيرية في معظم المدن التونسية في ذلك اليوم[٩٤] .

وكان الديوان السياسي الخامس على اتصال مع بورقيبة في هذه الاثناء من خلال محامية ، فكان بورقيبة قادراً على ان يعيد تنظيم الحزب ، الا ان سلطات الحماية اعتقلت أعضاء الديوان السياسي في ١٥ كانون الثاني عام ١٩٤٠ ، ثم تمكنت في ١٤ شباط من اعتقال أعضاء لجنة المقاومة[٩٥] .

ولم يستسلم الحزب اذ شكل ديواناً سياسياً سادساً برئاسة الحبيب ثامر[٩٦] الذي قاد مظاهرة في يوم ٥ تموز عام ١٩٤٠ طالبت بسقوط نظام الحماية واطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، الذين نقلوا الى مرسيليا (جنوب فرنسا) [٩٧] ، فقامت سلطات الحماية بالقاء القبض على اعضاء الديوان السياسي السادس في ٢٤ كانون الثاني عام ١٩٤١ وقدمت الحبيب ثامر للمحاكمة بتهمة الاخلال بالامن العام وصدر بحقه في ٢٥ شباط عام ١٩٤٢ حكماً بالسجن مدة عشرين سنة مع الاشغال الشاقة[٩٨] .

وأرسل الحبيب بورقيبة ، من سجن مرسيليا ، رسالة الى الحبيب ثامر في ٨ اب عام ١٩٤٢ دعاه فيها الى عدم التعاون مع المانيا وضرورة التعاون مع انصار الجنرال ديغول في تونس[٩٩] ، فقد ادرك بورقيبة الخطر الذي سينجم عن انتصار قوات المحور وسقوط تونس تحت سيطرتها ، اذ اعد التعاون مع قوات المحور خطأً سياسياً كبيراً ، لذلك فضل بورقيبة التعاون مع قوات الحلفاء [١٠٠] .

رابعاً : تعاون الحبيب بورقية مع دول الحلفاء :

وبعد احتلال الجيش الالماني الاراضي الفرنسية ، قام في ١٨ تشرين الثاني عام ١٩٤٢ بنقل السجناء التونسيين الى سجن مونليك (قرب مدينة ليون الفرنسية) ثم نقلوا الى سجن فانيسا (في مقاطعة ان الفرنسية) ، وفيه قابل بورقيبة في ١٨ كانون

الاول عام ١٩٤٢ قائد القوات الالمانية في فرنسا ، وبقوا هناك الى ان اطلق سراحهم في ٨ كانون الثاني عام ١٩٤٣ ونقلوا الى روما[١٠١] .

وفالتقى الحبيب بورقيبة ممثل وزير الخارجية الايطالية الذي طلب منه التعاون مع دول المحور ، لكن بورقيبة اشترط اعلان استقلال تونس اولاً ، ورفض بورقيبة فكرة انشاء حكومة تونسية في المنفى (مقرها روما) وطلب عرض الفكرة على الباي محمد المنصف[١٠٢] عاهل البلاد الشرعي[١٠٣] .

ثم القى بورقيبة كلمة في اذاعة باري الايطالية في ٦ نيسان عام ١٩٤٣ ، دللت على حنكته ودهائه السياسي ، فبعد ان شكر دول المحور لتخليصه من السجن ، لم يلزم نفسه بشيء واعلن ان بلاده تضررت نتيجة الحرب بين قوات المحور وقوات الحلفاء ثم دعا الشعب التونسي الى الالتفاف حول الباي محمد المنصف واتباع توجيهاته[١٠٤] .

وبينما كان بورقيبة في روما تلقى رسالتين الاولى من الامير شكيب ارسلان والثانية من امين الحسيني (مفتي القدس) طلبا منه التعاون مع دول المحور ، الا ان بورقيبة بعث رسالة جوابية الى أمين الحسيني نصحه فيها بعدم التعاون مع دول المحور قبل الحصول على وعد باستقلال بلاده[١٠٥] .

ثم عاد بورقيبة الى تونس ، بعد ان سمحت له الحكومة الايطالية بذلك ، في ٩ نيسان عام ١٩٤٣ والتقى الباي واعضاء الحكومة التونسية ثم التقى المقيم العام (الموالي لحكومة فيشي) الذي طلب منه تشكيل حكومة جديدة الا ان بورقيبة رفض ذلك[١٠٦] .

وبعد اقتراب قوات الحلفاء من عتبات مدينة تونس قرر زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد ، وهم الحبيب ثامر والطيب سليم[١٠٧] والرشيد ادريس[١٠٨] والهادي السعيدي وحسين التريكي الهرب الى ايطاليا في ٥ ايار عام ١٩٤٣ فيما قرر بورقيبة

البقاء في تونس لكنه فضل الاختفاء لخشيته من سوء فهم علاقته مع دول المحور[١٠٩].

وبعد دخول قوات الحلفاء مدينة تونس في ٧ ايار عام ١٩٤٣ اصدر بورقيبة من مخبئه منشوراً اعلن فيه وقوف حزبه الى جانب الحلفاء وطالب بتأسيس مجلس مشترك (بين التونسيين والفرنسيين) واكد عدم مطالبته بالاستقلال في الوقت الحاضر[١١٠] .

ثم بدأ في توضيح موقفه من خلال اتصالاته مع هوكر دوليتل (قنصل الولايات المتحدة الامريكية في تونس) وكان اول اتصال معه تم في ١٧ ايار عام ١٩٤٣[١١١] ، وبعد هذا اللقاء تولى دولتيل مهمة توضيح موقف بورقيبة الى المقيم العام جان استيفوا Jeen Esteva (٢٦ تموز عام ١٩٤٠–ايار عام ١٩٤٣) اذ قال دولتيل : "ان بورقيبة هو بجانب الحلفاء"[١١٢] وبعد الضغط الذي مارسه دولتيل على المقيم العام طلب الاخير مقابلة بورقيبة في ١٢ حزيران عام ١٩٤٣ وفي نهاية المقابلة حصل بورقيبة على قرار يسمح له حرية التحرك في البلاد[١١٣] .

فاسرع في القيام بجولات في عدد من المدن التونسية لاعادة تنظيم حزبه ، وعندما شعرت السلطات الحماية الفرنسية بذلك وضعته تحت الاقامة الجبرية في مدينة تونس[١١٤] . وثم اقدم الجنرال جيرو (قائد القوات الفرنسية في شمال افريقيا) على عزل الباي محمد المنصف في ١٤ حزيران عام ١٩٤٣ متهماً اياه بالتعاون مع قوات المحور[١١٥] ونصب بدله الباي محمد الامين[١١٦] (١٤ حزيران عام ١٩٤٣– ٢٥ تموز عام ١٩٥٧) ويرجع السبب الحقيقي في الاطاحة بالباي لكونه ذو نزعة وطنية[١١٧] .

ولم يدخر بورقيبة جهداً الا واستثمره خدمة للقضية التونسية ، ففي ٢٢ اذار عام ١٩٤٤ بعث مذكرة الى المقيم العام ايمانويل ماست Emmanuel Mast

(١٩٤٣-١٩٤٧) يطالب فيها باقرار السيادة التونسية والغاء جميع النصوص القانونية التي تحظر عمل الحزب[١١٨] .

وفي الاجتماع السري الذي عقده المجلس الملي في ٢ كانون الاول عام ١٩٤٤ تقرر استغلال الضغط الدولي على فرنسا ، من اجل تحقيق استقلال تونس، فقرر الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد في ١٩ اذار عام ١٩٤٥ ايفاد بورقيبة الى المشرق للتعريف بالقضية التونسية[١١٩] .

الخاتمة :

تبين لي من خلال البحث ان دور الحبيب بورقيبة في تجديد الحركة الوطنية في تونس واتباع سياسة واقعية لتعامل مع الاحداث وكان يحاول الاستفادة من الظروف التي تمر بها بلاده ليكون قائداً ، ففي المرحلة الاولى من نشاطه السياسي ، قبل استقلال تونس ، دافع عن التقاليد العربية الاسلامية في المقالات الصحفية التي كتبها عام ١٩٢٩ ، لاعتقاده بانها وسيلة مهمة لالتفاف الجماهير حوله في النضال ضد الاستعمار الفرنسي ، الا انه سرعان ما خرج على الحزب الحر واسس حزب الحر الدستوري بزعامته واستطاع اتباع سياسة واقعية لبرالية في تطوير عمل الحركة الوطنية والتعامل مع الاحداث بواقعية ورفض التعاون مع القوات الالمانية التي احتلت بلاده وكان يعتقد انها ستهزم في نهاية الحرب لذا وضع اماله للتعاون مع فرنسا في الحصول على الاستقلال . واتبع بورقيبة سياسة معتدلة ، وهي سياسة المراحل ، في النضال ضد فرنسا، استطاعت هذه السياسة ان تقنع الأخيرة بوجهة نظره بضرورة منح تونس الاستقلال حتى لا تتحول الى جانب الثورة الجزائرية التي طالبت بانهاء الوجود الفرنسي في بلادها .

الهوامش:

(1) **Norma Salem , Habib Bourguiba Islam and creation of Tunisia , London , Dover Biddles Ltd , 1984**, p. 74.

(٢) مقتبس من : بورقيبة ، حياتي ، ص٨٠.

(٣) نظام الحماية : وهو حكم غير مباشر تفرضه الدول الاستعمارية على البلد المستعمر، غالباً ما يكون من المستوطنين وتتولى الدولة الحامية السياسة الخارجية والدفاع . ينظر :
C.F.Mary Hodges , East African History for certificate year , London , George Allen & Unwinlted , 1971 , p. 261.

(٤) من اجل توحيد الطبقة العاملة ، دعا لينين عمال العالم الى الاتحاد وقامت الاممية الثالثة (١٩١٩–١٩٤٣) كان هدفها توحيد الجهود بقيادة سوفيتية لإقامة احزاب شيوعية.

(5) Salem , op . cit ., p. 134 .

(٦) مؤتمر الافخرستي : اقامته الكنيسة الكاثوليكية لمناسبة قيام مملكة قرطاجنة في شمال افريقيا عام ١٢٧٠م . ينظر : C.F.Ibid ., p. 75.

(٧) مقتبس من : بورقيبة ، حياتي ، ص٨٢.

(٨) الصوت التونسي : جريدة اسسها الشاذلي خير الله وترأس تحريرها . بدأت في الصدور بصورة اسبوعية منذ عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣١ باللغة الفرنسية . ثم اصبحت جريدة يومية وتوقفت عن الصدور في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩٣٢ ثم عادت للصدور في ٢٨ اذار عام ١٩٣٣ بصورة اسبوعية واستمرت حتى عام ١٩٥٠ . ينظر :
C.F.Salem , op. Cit ., p. 74.

(٩) مقتبس من : فيلكس فاراس ، بورقيبة ومولد امة ، ترجمة بوراوي الملوح واخرون ، تونس ، مطبعة العمل ، ١٩٥٧ ، ص٥١.

(١٠) مقتبس من : سعيد ، المصدر السابق ، ص٨١.

(١١) كاظم ، المصدر السابق ، ص٦١.

(12) Salem , op . cit ., pp.74-78.

(13) Ganarl , op . cit ., p. 56 .

(١٤) مقتبس من : بورقيبة ، حياتي ، ص٨٦.

(١٥) الحبيب بورقيبة ، مقالات صحفية (١٩٢٩-١٩٣٤) ، تونس ، دار العمل ، ١٩٧٩ ، ص ص٩٩-١٠٥.

(١٦) المصدر نفسه ، ص١١٠ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص١١٤.

(١٨) كان بورقيبة على اتصال مع الحزب من خلال صديقه صالح فرحات (عضو الحزب) ، ينظر :

C.F.Salem , op . cit ., p. 79 .

(١٩) محمد شنيق : من اعيان تونس ، كان عضواً في غرفة التجارة التونسية منذ عام ١٩٢٤ ، وفي عام ١٩٢٨ انتخب رئيس المجلس الكبير ، كان يميل الى جماعة بورقيبة التي اسست الحزب الحر الدستوري الجديد ، اصبح رئيساً للوزراء عام ١٩٤٢ ثم استقال ، واصبح مرة اخرى رئيساً للوزراء عام ١٩٥٠ في الوزارة التفاوضية مع فرنسا من اجل الحصول على الاستقلال الذاتي . ينظر : بوذينة ، المصدر السابق ، ص٣٨٣.

(٢٠) المجلس الكبير : في عام ١٨٩٦ اسست لجنة استشارية من المستوطنيين الفرنسيين مهمتها مد المقيم العام بارائها فيما يتعلق بالشؤون الاقتصادية . وفي عام ١٩٠٧ قرر المقيم العام قبريال الابتيت استحداث لجنة استشارية اخرى تتكون من تونسيين . وفي عام ١٩٢٢ صدرت اوامر احداث مجلس كبير بدلاً من اللجنتين ، وقد اشتمل على قسمين يتكون الاول من ستة وخمسين عضواً يتم انتخابهم من المستوطنيين الفرنسيين البالغ عددهم ١٦٠ الف شخص اما الثاني فيتكون من ٤١ عضواً يتم تعيينهم من المجالس البلدية والغرف التجارية والفلاحية يمثلون ٣ ملايين تونسي كانت مهمة المجلس استشارية ، له حق النظر في ميزانية الدولة ، لكن لا يقر شيء ، مدة دورة المجلس خمس سنوات . ينظر : شارل اندريه جوليان ، افريقيا الشمالية تسير ، ترجمة المنجي سليم واخرون ، تونس ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤ ، ص٩٦.

(٢١) الا انه استطاع كسب البحري قيقة من جديد الى الجريدة . ينظر :

C.F. Salem , op . cit ., p. 80 .

(٢٢) قضية التجنس : صدر قانون فرنسي في عام ١٩٢٣ يشجع منح الجنسية الفرنسية للتونسيين ، فبدأت سلطات الحماية تشجيع ذلك ، حتى وصل عدد المتجنسين في عام ١٩٣١ الى ٧١٠

اشخاص اكثرهم من اليهود التونسيين او الذين تطوعوا في الجيش الفرنسي ، وقد قامت مظاهرات ضد دفن موتى المتجنسين في مقابر المسلمين ، فقد قامت مظاهرة في ١٤ نيسان عام ١٩٣٣ وقد واجهت سلطات الحماية هذه المظاهرة بالقوة ، مما اوقع عدداً من الضحايا في صفوف المتظاهرين ، ثم حاولت ايجاد مكان جديد لدفن موتى المتجنسين لكن دون جدوى ، لذلك قرر المقيم العام مارسيل بيروتون (١٩٣٣-١٩٣٦) فرض ذلك بالقوة في ٨ آب فتجمعت الجماهير في المقبرة ، وقد اطلقت الشرطة النار على الجماهير مما تسبب في قتل عدد منهم . ينظر :

C.F. Salem , op . cit ., pp.87-89.

(٢٣) مقتبس من : بوتار ، المصدر السابق ، ص ص٩٩-١٠٠.

(24) Ganarl , op . cit ., pp. 65-67.

(٢٥) الصافي سعيد ، الحبيب بورقيبة سيرة شبه محرمة ، بيروت ، ص٨٥.

(٢٦) حزب الحر الدستوري ، المؤتمر العام (مؤتمر البعث ٢ مارس ١٩٣٤) ، تونس ، مطبعة العمل ، ١٩٦٢، ص١٦.

(٢٧) سعيد ، المصدر السابق ، ص٨٦.

(28) Salem , op . cit ., p. 87 .

(٢٩) إسماعيل حقي ، تونس العربية ، بيروت ، دار الثقافة ، دون تاريخ ، ص١٥٥.

(٣٠) قصر هلال : وهي مدينة تقع على بعد ١٥٠ كم جنوب مدينة تونس ، وقد تأسس فيها اول شعبة لحزب الحر الدستوري في عام ١٩٢٢ وهي تعد اقوى شعبة في البلاد اذ تسيطر على شعب اخرى قريبة منها. ينظر : كاظم ، المصدر السابق ، ص٦٩.

(٣١) بوتار ، المصدر السابق ، ص١١٢.

(٣٢) ينعقد المؤتمر العام للحزب كل سنتين وكان اخر مؤتمر انعقد في ١٢ ايار عام ١٩٣٣ . ينظر : كاظم ، المصدر السابق ، ص٦١.

(٣٣) بورقيبة ، حياتي ، ص٩٩.

(٣٤) لمزيد من التفاصيل عن اسماء هذه الشعب واسماء مندوبيهم . ينظر : حزب الحر الدستوري ، مؤتمر العام ، ص ص٤٠-٤١.

([٣٥]) مقتبس من : حزب الحر الدستوري ، المؤتمر العام ، ص ص٤٩–٥٠.

([٣٦]) بعد هذا المؤتمر اخذت جماعة اللجنة التنفيذية تعرف بالحزب الحر الدستوري القديم . ينظر : وزارة الشؤون الثقافية والاخبار ، الحزب الاشتراكي الدستوري (لوائح ومقررات من ٢ اذار ١٩٣٤–١٤ نيسان ١٩٧١) ، تونس ، شركة العمل للنشر ، ١٩٧١ ، ص٧.

([٣٧]) الديوان السياسي : وهو الهيئة التنفيذية العليا للحزب الحر الدستوري الجديد وهو المسؤول عن سير الحزب ومنفذ لقرارات التي يتخذها مؤتمر الحزب ، الذي ينتخبه بالاقتراع السري ، لمزيد من التفاصيل . ينظر : كاظم ، المصدر السابق ، ص٨٠ ؛ علي البلهوان ، تونس الثائرة ، دون مكان ولا طبع ولا تاريخ ، ص ص٧٧–٧٨.

([٣٨]) المجلس الملي : وهو مكلف بمراقبة سير اعمال الديوان السياسي ، يجتمع مرة واحدة كل اربعة اشهر، وتحول اسمه بعد مؤتمر عام ١٩٦٤ الى المجلس القومي . ينظر : جهاد عودة ، تجربة الاشتراكية في تونس ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ ، ص٣٨.

([٣٩]) المؤتمر العام : وهو اعلى سلطة في الحزب وهو الذي يقر النظام الداخلي للحزب ويستطيع ان يجري عليه أي تعديل وهو الذي يقرر سياسة الحزب واتجاهه وهو الذي ينتخب اعضاء الديوان السياسي . ويتكون المؤتمر من اعضاء الديوان السياسي واعضاء المجلس الملي والنواب الذين تعينهم قيادات الشعب خصيصاً لهذا الغرض ، كان مقرراً ان ينعقد مرة كل سنتين ، الا ان اجراءات سلطات الحماية بالقاء القبض على قادة الحزب حال دون انتظام اجتماعاته وبعد الاستقلال جعل بورقيبة اجتماعاته كل خمس سنوات . ينظر : كاظم ، المصدر السابق ، ص٨٢ ؛ البلهوان ، المصدر السابق ، ص٧٧.

([٤٠]) لمزيد من التفاصيل عن اهداف الحزب . ينظر : وزارة الشؤون الثقافية والاخبار ، الحزب الاشتراكي ، ص٧ وما بعدها .

([٤١]) معن عبد الرحمن بركات ، المنهاج الديمقراطي في الجمهورية التونسية ، بحث غير منشور ، سفارة جمهورية العراق في تونس ، بتاريخ ١٠ حزيران ١٩٩٧ ، نسخة شخصية لدى نغم اكرم الجميلي ، ص١٣.

([42]) Salem , op . cit ., p.97.

([43])Salem , op . cit ., p.98 .

(٤٤) خدوري ، المصدر السابق ، ص٢٠٨.

(٤٥) محمد الأمين خلفه ، بورقيبة والجانب النفساني من خطته ، تونس ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، ١٩٧١ ، ص ص٨٧–٩٠.

(٤٦) مقتبس من : المصدر نفسه ، ص٤٥.

(47) Salem , op . cit ., pp. 98-99.

(٤٨) مقتبس من : فاراس ، المصدر السابق ، ص٥٤.

(٤٩) برج البوف : وهو مركز عسكري يقع في شمال غربي تونس قرب الحدود الجزائرية ، كان أهل المنطقة يطلقون عليه اسم برج القصيرة بينما أطلق عليه الفرنسيون اسم أحد ضباطهم (الذي قتل في حادث انفجار طائرة)، وبعد الاستقلال سمي برج بورقيبة. ينظر : كاظم ، المصدر السابق، ص٩٦.

(٥٠) بورقيبة ، حياتي ، ص١١٠.

(٥١) حزب الحر الدستوري ، بعث امة وبناء دولة ، تونس ، نشريات كتابة الدولة للشؤون الثقافية والارشاد ، ١٩٦٤ ، ص٢٠٩.

(٥٢) صالح بن يوسف : ولد في قرية مفرادة الواقعة في جزيرة جربة (جنوب تونس) في ١١ تشرين الاول عام ١٩٠٥ من عائلة ميسورة . سافر الى العاصمة تونس يرافقه اخوه الاكبر ودخل المدرسة الابتدائية . وفي عام ١٩٢٢ التحق بمعهد ليسيه كارنو وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٣٠ . ثم سافر الى باريس ودرس في كلية الحقوق بجامعة السوربون وتخرج فيها عام ١٩٣٣ . ثم عاد الى العاصمة تونس وعمل بالمحاماة وفي عام ١٩٣٤ شارك في مؤتمر قصر هلال . واعتقل واطلق سراحه عام ١٩٣٦ . وفي مؤتمر عام ١٩٣٧ انتخب عضواً في الديوان السياسي واعتقل مرة اخرى في ٦ نيسان عام ١٩٣٨ واطلق سراحه في ٢٦ شباط عام ١٩٤٣ . وبعد هجرة بورقيبة الى القاهرة (١٩٤٥–١٩٤٩) اصبح الامين العام للحزب وادى دوراً بارزاً في المؤتمر الوطني المسمى بـ (ليلة القدر) في ٢٣ اب عام ١٩٤٦ الذي طالب باستقلال تونس التام . واصبح وزيراً العدل في عام ١٩٥٠ وشارك ضمن الوفد التونسي الذي سافر الى باريس للتفاوض مع فرنسا على الاستقلال الداخلي عام ١٩٥٠ وبعد فشل هذه المفاوضات سافر الى باريس لتقديم شكوى تونس الى مجلس الامن . وبعد القاء المقيم العام القبض على

اعضاء الحكومة التونسية هرب الى بلجيكا عام ١٩٥٢ ثم سافر الى القاهرة ، وعاد الى تونس عام ١٩٥٥ . ينظر : المنجي وارده ، جذور الحركة اليوسفية ، المجلة التاريخية المغربية ، ع٧١-٧٢ ، سنة ٢٠ ، ايار ١٩٩٣ ، ص٤٨٠.

([53]) Salem , op . cit ., p. 104 .

([٥٤]) كاظم ، المصدر السابق ، ص ص٩٨-١٠١.

([55]) Salem , op . cit ., p. 104.

([٥٦]) فاراس ، المصدر السابق ، ص٦٥.

([٥٧]) الحبيب بورقيبة ، بين تونس وفرنسا ، تونس ، المطبعة الرسمية ، ١٩٥٧ ، ص٩٧.

([٥٨]) جوليان ، افريقيا الشمالية تسير ، ص١٠٦.

([٥٩]) فاراس ، المصدر السابق ، ص٦٣.

([٦٠]) كاظم ، المصدر السابق ، ص١٠٤.

([٦١]) بيار فيينو : بعد تشكيل حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا اسندت الى بيار فيينو مهام وكيل وزير الخارجية الفرنسية للشؤون التونسية والمغربية اضافة الى مسؤوليته السابقة وكيل وزير الخارجية للشؤون الشرق الاوسط . ينظر : المصدر نفسه ، ص١٠٣.

([٦٢]) فاراس ، المصدر السابق ، ص٧٨.

([63]) Salem , op . cit ., p. 107.

([٦٤]) كاظم ، المصدر السابق ، ص ص١٠٧-١٠٨.

([٦٥]) خدوري ، المصدر السابق ، ص٢١٠.

([٦٦]) الهادي نويرة : مناضل تونسي ، ولد في مدينة المنستير في ٦ نيسان عام ١٩١١ وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينة تونس . واكمل دراسة الحقوق في باريس وترأس الشعبة الدستورية فيها بعد عودته الى تونس عمل بالمحاماة منذ عام ١٩٣٧ وعين اميناً عاماً لجامعة عموم العملة التونسية في السنة نفسها واسهم في ربط الصلة بين المنظمة والحزب وانضم الى هيئة تحرير جريدة العمل التونسي والقي القبض عليه عام ١٩٣٨ وصاحب بورقيبة في عدة معتقلات واطلق سراح نويرة في عام ١٩٤٣ ، وانتخب عضواً في الديوان السياسي في مؤتمر الثالث للحزب عام ١٩٤٨ . وشارك في الوزارة التفاوضية عام ١٩٥٤ شغل منصب وزير

التجارة وفي عام ١٩٥٥ تقلد مهام المالية بعد الاستقلال الداخلي واستمر بهذا المنصب الى تشرين الثاني عام ١٩٥٨ اذ عين مديراً البنك المركزي وفي ٧ تشرين الثاني عام ١٩٦٩ عين وزيراً للدولة مع احتفاظه بمهام منصب مدير البنك المركزي وفي حزيران عام ١٩٧٠ كلف بشؤون الاقتصاد وكلفه الرئيس بورقيبة في ٩ تشرين الاول عام ١٩٧١ بمنصب نائب رئيس الوزراء وبعد شهر عينه بمنصب رئيس الوزراء وشغل منصب وزير الداخلية ايضا . ينظر : و.و.خ.ع، سفارة الجمهورية العراقية في تونس ، رقم الوثيقة عربية / ٦٢/١، تقرير عن تشكيل الديوان السياسي للحزب ، بتاريخ ١٩٧١/١٠/٢٦.

(٦٧) كان هدف اللجنة دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في تونس لوضع الاصلاحات المناسبة لذلك .

(٦٨) وزارة الشؤون الثقافية والاخبار ، الحزب الاشتراكي ، ص١٠.

(٦٩) فاراس ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٧٠) فاراس ، المصدر السابق ، ص ص٨٠–٨٢.

(71) Salem , op . cit ., p. 107.

(٧٢) فاراس ، المصدر السابق ، ص٨٥.

(٧٣) احمد القصاب ، تاريخ تونس المعاصر (١٨٨١–١٩٥٦)، ترجمة حمادي الساحلي ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٨٦ ، ص ص٥٥٦–٥٥٧.

(74) Salem , op . cit ., p. 105.

(٧٥) سعيد ، المصدر السابق ، ص١٠٥.

(٧٦) تشكلت هذه اللجنة من الطاهر صفر وسليمان بن سليمان وعلي بو حاجب وصالح فرحات هدفها توحيد الحزب . ينظر : نحلة ، المصدر السابق ، ص١٣١.

(٧٧) فاراس ، المصدر السابق ، ص٨٤.

(٧٨) خدوري ، المصدر السابق ، ص٢١٠.

(٧٩) فاراس ، المصدر السابق ، ص٨٤.

(٨٠) و.م.ت.ق، رقم الملف A-4-30 ، بتاريخ ٢٠ نيسان عام ١٩٦٦ ، عدد ٤ .

([٨١]) وزارة الاعلام ، الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثانية ، وثائق رقم ٧ ، تونس ، شركة فنون الرسم للنشر ، ١٩٨٣ ، ص٢١.

([٨٢]) جامعة عموم العملة التونسية : اخذ محمد علي الحامي ، بعد عودته من المانيا ، يسعى الى انشاء نقابة للعمال التونسيين وبعد اضراب عمال ميناء تونس في اب عام ١٩٢٤ اسس نقابة عمال الميناء في مدينة تونس . ثم اسس نقابة لعمال الميناء في بنزرت ونقابة لعمال السكك الحديد ثم حاول توحيد هذه النقابات في نقابة واحدة واجرى عدة اتصالات مع هذه النقابات اثمرت جهوده الى عقد اجتماع عام لهذه النقابات في مدينة تونس وتمت فيه المصادقة على القانون الاساسي لجامعة عموم العملة التونسية في ٢٣ شباط عام ١٩٢٥ ، وبعد نفي محمد علي الحامي تولى بلقاسم قناوي قيادة جامعة عموم العملة التونسية ، وقد فضل قناوي عزل العمل النقابي عن السياسة . ينظر : الطاهر عبدالله ، تاريخ الحركة النقابية في تونس ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٤ ، ص ص٢٧–٣٣.

([٨٣]) بينما يدعي بورقيبة بانه طلب من العمال عدم المشاركة . ينظر : بورقيبة ، حياتي ، ص ص١٢٤–١٢٥.

([٨٤]) وزارة الاعلام ، قضية بورقيبة (٩ نيسان ١٩٣٨) ، وثائق رقم ٥ ، تونس ، دار العمل ، دون تاريخ ، جـ٢ ، ص٨.

([٨٥]) عندها استقال محمود الماطري من رئاسة الحزب بسبب رفضه استخدام العنف في النضال . ينظر : بورقيبة ، بين تونس وفرنسا ، ص ص٢٠٤–٢٠٥.

([٨٦]) البلهوان ، المصدر السابق ، ص٤٩.

([٨٧]) علي البلهوان (١٩٠٩–١٩٥٨) : مناضل تونس ولد في مدينة تونس اكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها . ثم سافر الى باريس عام ١٩٢٤ ودرس في كلية الآداب قسم اللغة العربية . وبعد تخرجه عاد الى تونس في عام ١٩٣٥ وعمل مدرساً للغة العربية في المدرسة الصادقية . وفي عام ١٩٣٦ انخرط في صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد . والقي عليه القبض عام ١٩٣٨ وبقي حتى عام ١٩٤٣ . وفي عام ١٩٤٨ انتخب عضواً في الديوان السياسي للحزب وانتخب عضواً في المجلس التأسيسي عام ١٩٥٦ . وفي عام ١٩٥٧ اصبح مديراً لبلدية العاصمة تونس وترأس وفد تونس الى المؤتمر الاسلامي في لاهور عام ١٩٥٨ وشارك في

مؤتمر طنجة عام ١٩٥٨ وتوفي في ١٠ ايار عام ١٩٥٨ في مدينة تونس ودفن في مقبرة الزلاج . ينظر : بوذينة ، المصدر السابق ، ص٢٥٦.

(٨٨) البلهوان ، المصدر السابق ، ص٤٩.

(٨٩) كتابة الدولة للاخبار والارشاد ، الحبيب بورقيبة ، تونس ، الشركة التونسية لفنون الرسم، ١٩٦٥ ، ص١٧.

(٩٠) بورقيبة ، حياتي ، ص١٢٧.

(٩١) يذكر ان الاعتقال شمل حتى البحري قيقة ، الذي كان في باريس بتهمة تحريض الطلاب التونسيين على التظاهر في باريس . ينظر : وزارة الاعلام ، قضية بورقيبة ، ص٤٥.

(92) salem , op . cit ., p. 11.

(٩٣) و.م.ت.ق، رقم الملف A-4-30 ، بتاريخ ٣١ ايار ١٩٦٦ ، عدد ٧.

(٩٤) حزب الحر الدستوري ، بعث امة وبناء دولة ، ص٢٤.

(٩٥) لجنة المقاومة : شكلها البشير زرق العيون (وهو احد اعضاء حزب الحر الدستوري الجديد) وعمر بن علي حميدة ومحمد بن عمارة ، اخذت على عاتقها مقاومة فرنسا ، الا ان سلطات الحماية تمكنت من القاء القبض على اعضائها واصدرت بحقهم حكم الاعدام ولم ينفذ بسبب دخول قوات المحور تونس في عام ١٩٤٢ . ينظر :

C.F.Salem , op . cit ., pp. 111-112.

(٩٦) الحبيب ثامر (١٩٠٩–١٩٤٩) : ولد في مدينة تونس وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المدرسة الصادقية وسافر الى فرنسا ودرس في كلية الطب . ثم عاد الى تونس بعد تخرجه ودار جريدة افريقيا الفتاة . كان يدعو الى الكفاح المسلح مما دفع سلطات الحماية الى اعتقاله في عام ١٩٤١ ، الا ان الجماهير اطلقت سراحه في ايار عام ١٩٤٢ بعد انتفاضتها . اذ غادر تونس الى ايطاليا في ٥ ايار عام ١٩٤٣ ثم حصل على اللجوء السياسي في اسبانيا وسافر الى مصر عام ١٩٤٦ وانتخب عام ١٩٤٧ لادارة مكتب المغرب العربي ، توفي في ١٣ كانون الاول عام ١٩٤٩ بعد تحطم الطائرة الباكستانية التي تقله . ينظر : كاظم ، المصدر السابق ، ص١٣٠.

([٩٧]) نقلت سلطات الحماية الفرنسية بورقيبة و١٨ عضواً من اعضاء حزبه في ٢٦ ايار عام ١٩٤٠ الى ميناء بنزرت وفي اليوم التالي نقلوا على متن سفينة حربية الى سجن سان نيكولا في مدينة مرسيليا وبقوا هناك الى ان اطلق الجيش الالماني سراحهم . ينظر :

C.F. Salem , op . cit ., p. 112.

([٩٨]) وبعد الاضطرابات التي وقعت في جنوب تونس استطاع الوطنيون اطلاق سراح الحبيب ثامر من السجن في الاول من شهر ايار عام ١٩٤٢ . ينظر : الحبيب ثامر ، هذه تونس ، دون مكان ، مطبعة الرسالة ، دون تاريخ ، ص ص١٠٠–١٠١.

([٩٩]) حقي احسان ، المصدر السابق ، ص١٦١.

([١٠٠]) وزارة الاعلام ، الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثانية ، ص٤٧.

([١٠١]) كتابة الدولة للاخبار والارشاد ، الحبيب بورقيبة ، ص٢٠.

([١٠٢]) الباي محمد المنصف (١٨٨١–١٩٤٨) : ولد في مدينة تونس ودرس في المدرسة الصادقية . وتولى العرش في ١٩ تموز عام ١٩٤٢ قدم مذكرة للمقيم العام الموالي الى حكومة فيشي في ٢ اب عام ١٩٤٢ احتوت على برنامج واسع من الاصلاحات التي عرفت بوثيقة المنصف ومن جملة ما كانت تحتويه هذه الوثيقة من مطالب هو تأسيس مجلس استشاري تشريعي يمثل فيه التونسيون تمثيلاً واسعاً . ثم قرر الباي عزل حكومة الهادي الاخوة وتكليف محمد شنيق بتشكيل حكومة جديدة ضمت اعضاء من الحزب الحر الدستوري الجديد ، دون استشارة المقيم العام ، واعلن الباي حياد تونس في الحرب العالمية الثانية وطالب باطلاق سراح المعتقلين السياسيين . ينظر : جوليان ، المعمرون الفرنسيون ، ص ص١١٨–١٢٠.

([١٠٣]) سعيد ، المصدر السابق ، ص١٢٦.

([١٠٤]) حقي ، المصدر السابق ، ص١٦٦.

([١٠٥]) فاراس ، المصدر السابق ، ص٩٥.

([١٠٦]) حكومة فيجي : بعد دخول الالمان الى باريس نصبوا حكومة موالية لهم سميت حكومة فيجي . ينظر : سعيد ، المصدر السابق ، ص ص١٢٧–١٢٨.

([١٠٧]) الطيب سليم : مناضل تونسي ، ولد في ١٩ كانون الثاني عام ١٩١٤ في مدينة تونس ودرس في معهد ليسيه كارنو ثم سافر الى باريس ودرس الحقوق . انضم الى الحركة الوطنية منذ

حداثة سنة . وبعد استقلال تونس عام ١٩٥٦ عين سفيراً في عدد من العواصم الاجنبية وانتخب في مؤتمر الحزب لعام ١٩٦٤ عضواً في اللجنة المركزية للحزب وعين عام ١٩٦٧ ممثلاً شخصياً للرئيس بورقيبة بدرجة وزير دولة . وفي عام ١٩٧٠ عين سفيراً في الرباط . ينظر : و.و.خ.ع، سفارة الجمهورية العراقية في تونس ، تقرير عن تشكيل الديوان السياسي للحزب .

(١٠٨) الرشيد ادريس : مناضل تونسي ، ولد في ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٢٠ بمدينة تونس وناضل في صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد منذ حداثة سنة . عاد الى تونس في ٢٢ أب عام ١٩٥٥ بعد ان قضى مدة طويلة في التعريف بالقضية الوطنية بالشرق الاوسط . وانتخب في عام ١٩٥٦ عضواً في المجلس التاسيسي . وفي عام ١٩٥٩ انتخب نائب بمجلس الامة وعضو في الديوان السياسي . وعين كاتب الدولة للبريد والبرق والهاتف واستمر بهذا المنصب حتى عام ١٩٦٤ عندما عين سفيراً في واشنطن . ثم عين سفيراً في مكسيكو . وفي عام ١٩٦٩ عين بمنصب مندوب تونس في الامم المتحدة. ينظر : المصدر نفسه .

(١٠٩) اختفى بورقيبة في احياء مدينة تونس وهي ترنجة وباردو ووادي الليل واستمرت مدة الاختفاء شهراً وبضعة ايام . ينظر : و.م.ت.ق، رقم الملف A-4-30 ، بتاريخ ٥ حزيران ١٩٦٦ ، عدد ١١ .

(١١٠) بوتار ، المصدر السابق ، ص١٣١.

(111) Salem , op . cit ., p. 114 .

(١١٢) مقتبس من : بورقيبة ، حياتي ، ص١٧٤.

(١١٣) وزارة الاعلام ، الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثانية ، ص٥٢.

(١١٤) وزارة الاعلام ، الدستور الجديد يحطم جدار الصمت ، وثائق رقم ١٠ ، تونس ، شركة فنون الرسم للنشر ، ١٩٨٤ ، ص١٤.

(١١٥) تم نفي الباي محمد المنصف الى منطقة الاغواط وهي في صحراء الجزائر وقد بعث رسالة الى ايمانويل ماست (المقيم العام) من هناك اعرب عن رغبته بالتنازل بصورة رسمية عن العرش مقابل تغيير مكانه فوافق المقيم العام الذي بعث بممثل عنه في ١٤ ايار عام ١٩٤٤ ووقع الباي وثيقة التنازل . عندها نقل الى مدينة نيس في فرنسا ثم نقل الى مدينة البو (جنوب

غربي فرنسا) وبقي فيها حتى وفاته في ايلول عام ١٩٤٨ . فنقل جثمانه الى تونس ودفن في مقبرة الزلاج . ينظر : حقي ، المصدر السابق ، ص١٥٨.

([116]) الباي محمد الامين (١٨٨١–١٩٦٢) : وهو اخر من حمل لقب الباي من ملوك تونس نصبه الفرنسيون عام ١٩٤٣ وبقي حتى ان الغى المجلس التاسيسي عام ١٩٥٧ الملكية . ينظر : بوذينة ، المصدر السابق ، ص ص٣١٨–٣١٩.

([117]) Michael Crowder , The cambridge History of Africa (1940-1975) volum 7 , press , ferst published , 1980 , p. 567.

([118]) كاظم ، المصدر السابق ، ص١٤٢.

([119]) حزب الحر الدستوري ، ، بعث امة وبناء دولة ، ص٣٤.

مدارس نيسابور في القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد

م.د: حسين إبراهيم محمد

قسم الاجتماعيات/كلية التربية الأساسيَّة

عقرة/ جامعة دهوك

مدارس نيسابور في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد

م.د. حسين إبراهيم محمد

ملخص البحث:

ساهمت مدارس نيسابور بنشر العلم والمعرفة لمكانتها العلمية المرموقة ، فهي المدينة الإسلامية الأولى في المشرق الإسلامي التي أقيمت فيها المدارس بشكل منظم، وتخرج من مدارسها عددٌ وافرٌ من العلماء في شتى صنوف المعرفة.

لقد أسس العلماء النيسابوريون والواردون اليها المدارس، كما شارك رجال الحكم والعلماء والأهالي وعنوا بتوسيعها والاهتمام بها، وكما حدث تماماً بالنسبة للدول ولإمارات التي حكمت نيسابور إذ ظهر على ايدي حكامها أعظم وأشهر المدارس الإسلامية في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد على الاطلاق مما جعل بعض المؤرخين ينسبون الى حكامها، ولاسيما سلاطين السلاجقة بأنهم أول من أنشاء المدارس في الإسلام، ومما يوكد ذلك هو أن الحركة المدرسية في نيسابور ضعفت وبدأت بالأفول مع انتهاء الحكم السلجوقي لهذه المدينة سنة(٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

Abstract

Nisaboor schools contributed in spreading the scientific status. It is the first Islamic city at the Islamic west at which schools were founded systematically. Form these schools , alot of scientists in all fields of knowleclg.

The incoming Nisaboorian scientists have founded schools. Furthermore , people in power , scientists , and citizens participated in expanding them. As what happened exactly for states and nation who ruled Nisaboor , it emerged the greatest and most important Islamic schools in the fifth century A.H. \ The Eleventh B.C which made some historians attribute it to their

rulers. Among them salagiqa sultans as the first who founded Islamic schools. What assures our claim , is that the school movement at Nisaboor became weaker and started to fanish with the end of salgoq regime of this city in (548 A.H\1153 B.C).

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على نبيّه، والخيرة من أهل بيته، وصحبه الطيّبين أما بعد.

إن دراسة إحدى جوانب الحياة العلمية عند المسلمين الا وهي الحركة المدرسية، تعد من أهم فروع الدراسات التاريخية الحضارية التي تهتم بأبرز النشاط العلمي والفكري في التراث الإسلامي، المتمثل في المدارس، ودورها في التقدم العلمي وأثره على الحياة الإنسانية بعامة، والحياة العلمية والثقافية بخاصة.

كانت مدينة نيسابور [١] درة مدن المشرق الاسلامي على مر العصور في تاريخها الإسلامي ومن أهم مراكز العلم من بين مدن إقليم خرسان، ولاسيما في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، إذ وصفها العلماء والمؤرخون بأنها مدينة العلم ومعقل لمشاهير علماء الإسلام، وتميزت عن غيرها من مدن خراسان بالنشاط العلمي والفكري _ والنشاط المدرسي _ بفضل جهود العديد من حكامها وعلمائها وأعيانها وفضلائها، الذين كان لهم إثر واضح في تكوين وتسير تاريخها من قبل الدول والامارات التي تعاقبت على حكمها. ومما زاد من أهمية نيسابور العلمية في تلك الحقبة وجود الصراع المستمر بين المذاهب الفقهية الإسلامية خصوصاً المذهبين الكبيرين في المشرق الإسلامي الشافعي والحنفي، فقد تفرد كل مذهب بعلمائه ومدارسه فكان لذلك أثره الكبير على النهضة الحضارية الشاملة.

كان التوجه نحو اختيار موضوع البحث الموسومة بـ((مدارس نيسابور في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد)) من خلال تأثرها بالأوضاع السياسية ،

والاقتصادية،والاجتماعية الدينية ، ونتيجة العلاقة بينها، التي تركت آثاراً واضحةً في مجرى الحياة العلمية ، والمتمثلة في ظهور العديد من رواد العلم في شتى صنوف العلم والمعرفة في هذه الفترة، وكان السبب وراء تحديد الاطار الزمني لهذه الفترة ، يرجع لكون نيسابور عاصمة إقليم خراسان لعدة دول وامارات شبه مستقلة لها أهميتها ودورها القيادي في اثراء الحضارة الإسلام في المشرق والتي بلغت القمة في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، بفضل جهود حكامها في بناء المدارس والمنشأة العلمية، فكان لذلك اثاره الطيبة على الأوضاع العلمية عامةً.

ساهمت مدارس نيسابور بنشر العلم ، والمعرفة لمكانتها العلمية المرموقة فهي المدينة الإسلامية الأولى في المشرق التي أقيمت فيها المدارس بشكل منتظم، وغدت أعظم أماكن التعليم وأهمها خلال فترة البحث ، إذ غصت مدارس نيسابور بمئات طلاب العلم من شتى بقاع وأمصار العالم الإسلامي، كما تجدر الإشارة هنا أن هذه المدارس وفَرت كافة متطلبات العلم وهيأت أسباب الدافع العلمي للوافدين اليها من المناطق البعيدة بشكل مرضٍ ومحمود، إذ كانت المدارس فضلاً عن عملها العلمي، مسكناً للعلماء والطلبة القادمين من بلدان أخرى.

واخيراً لابد من القول : بأن المصادر تفتقر الى الكثير من المعلومات عن مدارس نيسابور في فترة البحث، الأمر الذي يؤدي الى حدوث نقص في المعلومات التي تفيدنا في بحثنا هذا،لاسيما فيما يتعلق: بتاريخ إنشاء البعض منها، وموقعها وتصاميم مبانيها، وشكل قاعات الدراسة، والمرافق الملحقة به، وآلية منح الإجازة_ الشهادة_ للطالب، وشروط الحصول عليها،لذلك فإن أغلب المعلومات التي حصلنا عليها من المصادر هي استخلاص من تراجم الشخصيات التي أنارت دروب هذا البحث، لما لها من مساس مباشر به.

تمهيد/ نشوء المدارس في نيسابور:

ظهرت المدارس الإسلامية منذ أواخر القرن الثالث للهجري/ التاسع للميلاد لدى العلماء الموسرين كحاجة ملحة لغرض التوسع في أماكن التعليم ، كما استعملت أماكن أخرى كمنازل العلماء , وحوانيت الوراقين ، والربط ، والمكتبات ، والبيمارستانات(المستشفيات)، فضلاً عن المسجد للغرض نفسه في القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد ، وقد تناول المؤرخون الكلام عن نشأة هذه المدارس بين بغداد , وخرسان وما وراء النهر منذ القرن الثالث أو الرابع للهجرة/ التاسع أو العاشر للميلاد ، وعموماً فإن الأسبقية في إنشاء أول المدارس في الإسلام يعود للسامانيين[٢]،الذين استطاعوا أن يحكموا سيطرتهم على خراسان وما وراء النهر ، وأن يسخروا كافة الإمكانات لخدمة العلم والعلماء ، وبالتالي ظهرت أول إشارة إلى وجود مدارس مستقلة عن المساجد على يد حكام بخارى، إذ كان للأمير إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان (ت:٢٩٢هـ/٩٠٧م) مدرسة ببخارى كان يقصدها طلاب العلم ليستكملوا دراستهم فيها ويبحثوا بدار كتبه التي وقف عليها الأوقاف ، ومدرسة فارجك التي احترقت سنة(٣٢٥هـ/٩٣٦م)، ومدرسة أخرى كانت موجودة بها قبل سنة(٣٤٨هـ/٩٥٩م) [٣]، وعلى الرغم من اسبقية مدارس بخارى الا أن هذه المدارس لم تجد شهرة واسعة النطاق في أنحاء المشرق الإسلامي ، بخلاف المدارس التي أنشئت في نيسابور ، والتي حظيت بدور الطليعة في الظهور والانتشار قبل غيرها من المدارس في الدولة الإسلامية ،إذ تشير المصادر التاريخية إلى ان اول مدرس منتظمة قامت في نيسابور هي مدرسة حسان بن محمد القرشي المتوفى سنة(٣٤٩هـ/٩٦٠م) مما جعل الكثير من المؤرخين يؤكدون على أن أهل نيسابور هم أول من بنى مدرسة منتظمة في الإسلام[٤]،واستمره مسيرة بناء المدارس في نيسابور حتى بلغة الذروة على عهد الدولة السلجوقية(٤٢٩-٥٩٠هـ/١٠٣٧-١١٩٤م) إذ ظهر على أيدي حكامها أعظم واشهر المدارس الإسلامية في القرن الخامس

الهجري/الحادي عشر للميلاد على الإطلاق، ولاسيما الوزير نظام الملك السلجوقي(ت:٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، مما جعل بعض المؤرخين ينسبون إلى حكامها بأنهم أول من أنشأ المدارس في الإسلام[٥], على الرغم من أن هناك من المؤرخين من يرى أن نظام الملك هو أول من وضع المعاليم للمدرسين والطلبة ، ولم يكن أول من أنشأ المدارس[٦]،الا ان هذه النهضة المدرسية تعرضت الى انتكاسة كبيرة في أواخر القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، واستمرت بالضعف حتى منتصف القرن السادس للهجرة / الثاني عشرة للميلاد عندما تعرضت مدينة نيسابور الى خطر داهم جسيم كادت ان تأتي بالحركة المدرسية من القواعد، ففي سنة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) انتهت سيطرة السلاجقة على نيسابور فكانت بمثابة نقطة البداية لنهاية دورها الحضاري الذي امتدت زهاء ثلاثة قرون متتالية ذلك ان قبائل الغز[٧]، هاجموا خراسان ودخلوها ولم يكن باستطاعة السلطان السلجوقي سنجر (ت: ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) التغلب عليهم وانتهى الامر بان أُسر هو وجماعته من الامراء، واستولى الغز على نيسابور فاكثروا فيها القتل والفساد، وقتلوا العلماء وخربوا المساجد والمدارس [٨]، قال ابن الاثير: ((فركب الغز ودخلوا نيسابور ونهبوها نهباً مجحفاً، وجعلوها قاعاً صفصفاً، وقتلوا الكبار والصغار واحرقوها، وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد كلها))[٩].

أولاً/ مدارس الأمراء والوزراء:

لقد أسس رجال الحكم النيسابوريون المدارس وعنو بتوسيعها والاهتمام بها في هذه الفترة ،إذ اعتنى الأمراء والوزراء ببناء المدارس، وترجع العناية الى قوة الاقتصاد في مدينة نيسابور في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد، خاصة إذ علمنا ان المدارس تحتاج الى نفقات مالية ضخمة ، إذ كان أهل نيسابور على سعى من عيشهم ، وعلى الرغم من الأحوال السياسية المضطربة التي بدأت تعصف بإقليم خراسان بعامة ونيسابور بخاصة، ومنذ بداية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، الى منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد ، إلاَ أن هذه الأحوال

لم تؤثر نهائياً على حركة النهضة المدرسية وتطورها ، وبقيت تسير في مدارج الرقي والتقدم والازدهار بفضل الرعاية الواعية والحثيثة لحكام نيسابور.

ومما تجدر الإشارة إليه أن جهود الأمراء والوزراء المسلمين في إنشاء المدارس في نيسابور، ووضع المعاليم لأهل العلم، لم تكن وليدة وإنما جاء ذلك دعماً لجهود العلماء الذين كان لهم فضل السبق في إنشاء المدارس المستقلة عن المساجد في نيسابور، وكانت هذه المدارس تشتمل على السكنى لأهل العلم، من المدرسين والطلبة ولها أوقافها والمعاليم التي تجري على أربابها[١٠].ومن أهم وأشهر المدارس التي بناها الأمراء والوزراء في نيسابور هي:

١-مدرسة الإمام ابي بكر بن فورك :

وعلى الرغم من كثرة المدارس التي ورد ذكرها في نيسابور إلا أن ما بناه الأمراء والوزراء منها كان محدوداً ، من تلك المدارس مدرسة الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت:٤٠٦هـ/١٠١٥م) والتي قام ببنائها له الأمير ناصر الدولة أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور (ت:٣٧٨هـ/٩٨٨م) صاحب الجيش في نيسابور[١١] ، ذلك أن علماء نيسابور اجتمعوا والتمسوا من الأمير أن يحث الإمام ابن فورك ويدعوه للحضور إلى نيسابور والإقامة بها ، فراسله الأمير وحثه على ذلك وورد إلى نيسابور فبنى له الأمير المدرسة والدار،واستوطنها وأحياء الله تعالى به فيها أنواعاً من العلوم ، وتخرج على يديه جمع غفير من العلماء والفقهاء، وظلت هذه المدرسة احدى الشواخص الحضارية البارزة في نيسابور حتى منتصف القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد[١٢] .

٢-المدرسة السعدية أو (السعيدية):

وتعد المدرسة السعدية من مدارس الأمراء التي بناها الأمير نصر بن سبكتكين أبو المظفر ، وقد قدم نيسابور والياً عليها سنة(٣٩٠هـ/٩٩٩م)، وأحسن الولاية وأكثر من أعمال البر وصحبة والأئمة ، فأمر ببناء مدرسته في المدينة مطلع

القرن الخامس للهجرة، وأنفق في ذلك أموالاً طائلة حتى استقامت وجعل لها أوقافاً على من آواها ، وعاد الى غزنة (مدينة حدودية بين خراسان والهند)وتوفي بها سنة(٤١٢هـ/١٠٢١م)[١٣] .

٣-مدرسة عميد خراسان:

كان محمد بن منصور أبو سعد ابن النسوي المعروف بعميد خراسان (ت٤٩٤هـ/١١٠٠م) كثير الرغبة في الخير محسناً على الرعية، بنى عدداً من المدارس في بغداد وخراسان، منها مدرسة بنيسابور، بناها لأهل العلم وفيما أراه أنها كانت من مدارس اللغة والأدب إذ كان هو شخصياً يميل إلى الأدب ومعرفة كلام العرب [١٤].

٤-المدرسة النظامية:

أنشأها الوزير نظام الملك في حدود سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، لأبي المعالي الجويني إمام الحرمين (ت:٤٧٨هـ١٠٨٥م)، وقعد للتدريس فيها وبقي على ذلك قرابة ثلاثين سنة ، مسلم له المحراب ، والمنبر ، والخطابة ، والتدريس ، ومجلس التذكير يوم الجمعة والمناظرة، وكان يحضر دروسه الأفاضل من العلماء ، والأئمة ، والجمع الغفير من الطلبة وأهل العلم [١٥]، وتعد نظامية نيسابور من أشهر المدارس الإسلامية فيها وقد ذكرت المصادر عدداً هائلاً من كبار العلماء من بين مدرسيها أو الذين عقدت لهم مجالس الإملاء والمناظرة عدا من تخرج منها [١٦].

وقد انتدب عدد كبير من مشاهير العلماء في المشرق الإسلامي للتدريس فيها في هذه الفترة، وفي جميع فنون العلم من قبل الوزير نظام الملك، منهم: أبو القاسم يوسف بن علي ابن جبارة الهذلي البسكري (ت:٤٦٥هـ/١٠٧٣م) الذي كان يدرس النحو وعلم الكلام والفقه، بعثه نظام الملك للتدريس فيها فجلس في المدرسة للإقراء وأجرى عليه الجرايات الحسنة فبقي فيه سنين واستمر بها الى أن توفي [١٧].

وكان أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيدالله الحفصي المروزي ممن قدم إلى نيسابور سنة(٤٦٥ هـ/١٠٧٢م)، وأكرمه نظام الملك ، وعقد له مجالس القراءة في مدرسته ، وقرئ عليه أمهات الكتب في الحديث النبوي الشريف ، وحضر مجالسه القضاة والأئمة والرؤساء، وجمع غفير من أهل العلم ، وبقي يدرس في النظامية الى أن توفي بها سنة(٤٦٦هـ/١٠٧٣م)[١٨].

ويعد أبو سعد عبدالرحمن بن منصور الرامشي(ت:٤٧٤هـ/١٠٨١م) ابرز ممن عقد له مجالس الإملاء في المدرسة النظامية أول ما فرغ من بنائها وأملى سنين يوم الجمعة من بعد الصلاة الى وقت العصر، واستمر الى أن توفي فيها[١٩] ، ثم أتى بعده أبو نصر محمد بن محمد ابن هميماه الرامشي (ت:٤٨٩هـ/١٠٩٦م) كان من كبار العلماء بنيسابور، محدثاً وعالماً بالقراءات ، وعلوم القرآن ، والنحو , واللغة ، وله رحلة واسعة في طلب العلم وخاصة القراءات والحديث أوكل إليه الوزير نظام الملك مدرسته بنيسابور ليقرئ في المسجد المبتنى فيها ، فتخرج به جماعة من أهل العلم ولم يزل يفيد إلى آخر عمره[٢٠].

وكان أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل الجرجاني (ت:٤٧٧هـ/١٠٨٤م) من بيت الإمامة والعلم والحديث قدم نيسابور مرات، وعقد له مجالس الإملاء في المدرسة النظامية فأملى وروى، وكان إليه المنتهى في التدريس والفتوى والإملاء في وقته [٢١].

وممن قدم كذلك على نيسابور أبو الفضل محمد بن أحمد بن أبي جعفر الطبسي (ت:٤٨٢هـ/١٠٨٩م)، مكث فيها مدة وكان يدرس العلوم في المدرسة مدة إقامته، قال الصيرفيني: ((قدم علينا وأفادنا في آخر عمره ، وأملى في المدرسة النظامية أياماً وأقام بنيسابور مدة ثم رجع))[٢٢]. ومن علمائها أيضاً أبو بكر أحمد بن علي بن عبد الله بن عمرو بن خلف الشيرازي (ت:٤٨٧هـ/١٠٩٤م) محدث زماني ، عقد له مجلس الإملاء في المدرسة النظامية بنيسابور يوم الجمعة بعد الصلاة، وأملى سنين [٢٣].

ومن مدرسيها كذلك أبو سعيد عبد الواحد ابن عبد الكريم ابن هوزان القشيري (ت:٤٩٤هـ/١١٠٠م)، ركن الإسلام ومن أبرز خطباء الجامع المنيعي في نيسابور، عقد لنفسه مجلس الإملاء عشيات الجمع في المدرسة النظامية بنيسابور[٢٤]،ومنهم أيضاً أبو القاسم إسماعيل بن زاهر بن محمد بن عبدالله النوقاني (ت:٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، كان من أركان فقهاء أصحاب الشافعي في وقته، حدث وروى سنين وعقد له مجلس الإملاء في النظامية، وحضر مجلسه الأفاضل والأكابر من أهل العلم [٢٥].

وأما حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ/١١١١م) فكان ممن انتخبه الوزير فخر الملك ابن نظام الملك للتدريس في المدرسة النظامية بنيسابور[٢٦]، ودرس فيها أيضاً أبو المعالي الوزير عبد الرزاق بن عبد الله بن علي الطوسي (ت:٥١٥هـ/١١٢١م) ،إذ كان إمام نيسابور في عصره، ومن مشاهير العلماء، وولي التدريس في مدرسة عمه نظام الملك مدة [٢٧].

ويعد أبو سعد محمد بن يحيى بن منصور محي الدين النيسابوري (ت:٥٤٨هـ/١١٥٣م) ممن انتهت إليه رئاسة الفقهاء بنيسابور في وقته من العلماء المتأخرين، والذين درسوا في اواخر القرن الخامس للهجرة بنظامية نيسابور مدة [٢٨].

وأما من تخرج بها من الأئمة والفحول والذين بلغوا محل الصدارة في العلم والتدريس فكثيرون ، ولم تخرج أية مدرسة بنيسابور من نبلاء الأساتذة مثلها، ومن أبرز وأشهرهم على سبيل لا الحصر: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الكيا الهراسي (ت:٥٠٤هـ/١١١٠م)،وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ/١١١١م) ، وابو طاهر إبراهيم بن المطهر الشباك الجرجاني (ت:٥١٣هـ/١١١٩م)، وأبو نصر عبدالرحيم بن عبدالكريم بن هوزان القشيري (ت:٥١٤هـ/١١٢٠م) ، وأبو المعالي عبدالرزاق بن عبدالله ابن علي بن إسحاق الطوسي (ت:٥١٥هـ/١١٢١م) , وأبو سعيد بن أسعد بن سعيد ابن الحسين الخواري (ت:٥١٨هـ/١١٢٤م)،وأبو نصر محمد بن

عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله الأرغياني (ت:٥٢٣هـ/١١٢٨م)،وأبو عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي الفراوي (ت:٥٣٠هـ/١١٣٥م) ، وأبو المعالي مسعود بن أحمد ابن محمد بن المظفر الخوافي (ت:٥٥٦هـ/١١٦٠م) وغيرهم كثيرون[٢٩].

٥-مدرسة الأمير أبي نصر ابن أبي الخير:

ومن المدارس التي أنشأها الأعيان في اواخر فترة بحثنا هذا مدرسة الأمير أبي نصر ابن أبي الخير، بنيت هذه المدرسة قبل عام(٥١٠هـ/١١١٦م) [٣٠].

٦-مدرسة السلطان:

وتعد مدرسة السلطان من مدارس الامراء التي بنيت بينسابور[٣١] ، وأبرز مدرسيها أحمد ابن محمد بن عبدالله بن الحسين الناصحى القاضي (ت:٥١٥هـ/١١٢١م)، من بَيت الْعلمَاء الْقُضَاة،خلف أسلافه في تحصيل العلم والتدريس فيها وعقد المناظر في المحافل مع الفحول إلى آخر عمره[٣٢].ومن مدرسيها كذلك أبو الفتح ادريس بن علي بن ادريس الأديب البياري (ت:٥٤٠هـ/١١٤٥م)،الذي درس في سن مبكر في نظامية نيسابور، إذ كان أديباً شاعراً ، فوض إليه ايضا التدريس بالمدرسة السلطانية بينسابور ، وكان يدرس الفقه ويفتى إلى أن مات[٣٣] .

ثانياً: مدارس المذاهب الاسلامية:

غلب على مدارس نيسابور المذهبان الشافعي والحنفي، في الوقت ذاته عثرنا على مدرسة مالكية واحدة فقط، كما أن أغلب المدارس أسسها شافعيون أو حنفيون، وهذا يوكد ان نيسابور كانت تربة خصبة لشيوع المذهبين: الانفة الذكر دون سواهما من المذاهب الأخرى، ويمكن التعليل ذلك بسياسة التساهل التي انتهجها المذهبان في كثير من الأمور والقضايا التي كانت تتلاءم مع الطبيعة التركيبة السكانية في مدينة نيسابور، فمعظم سكانها مسلمون من الفرس لا يعرفون العربية الا القليل، لذلك كان هذان المذهبان يسهل عليهم بعض القضايا الدينية .

١-**المدارس الشافعية:** من مدارس العلماء بنيسابور مدارس أصحاب الشافعي [٣٤] ، والتي كانت تفوق في عددها المدارس الأخرى ، وأشهر هذه المدارس :

أ- مدرسة أبي علي الدقاق :

تقع هذه المدرسة في سكة الدقاق في نيسابور شيدها ابو علي الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق الدقاق (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) [٣٥] ، إذ كان أبو علي يعقد المجلس للتدريس في بعض الخانات كما كان الرسم القديم الى أن بنى المدرسة المعروفة به ، وكان الدقاق إمام عصره في العربية والنحو ولسان وقته في العلم والعبادة والتدريس ، وتخرج على يديه جماعة من كبار العلماء [٣٦]. وتحولت هذه المدرسة بعد أبي علي الدقاق الى الاستاذ أبي القاسم عبد الكريم ابن هوزان القشيري (ت٤٦٥هـ/١٠٧٢)، وبها دفن القشيري الى جانب استاذه الدقاق كما دفن بها بعض أبنائه أيضاً [٣٧].

وانتسب اليها عدد كبير من كبار أهل العلم ومارسوا فيها أنواعاً من الخدمة منهم : أبو علي الفضل بن محمد الفارمذي (ت٤٨٨هـ/١٠٨٤م) الذي دخل نيسابور والتحق بالمدرسة وانخرط في سلك خدم الإمام أبي القاسم ، ومارس فيها التعليم ، ولما تمكن عقد له فيها مجلس التدريس والوعظ واجتمع عليه الطلبة [٣٨]. ومن مدرسيها أيضاً أبو حرب المطهر بن علي بن المحسن الهمداني (ت٥٠٣هـ/١١٠٩م) ، وكان فقيهاً مناظراً ، قدم نيسابور ، وسمع وناظر وعقد له مجلس التذكير في المدرسة سنتين[٣٩] .ومن علمائها كذلك أبو نصر عبدالرحيم بن عبدالكريم بن هوزان القشيري (ت٥١٤هـ/١١٢٠م) الذي لازم الوعظ والتدريس فيها[٤٠]

ب-المدرسة الصابونية :

تقع في سكة الحرب، وتنسب الى شيخ الإسلام أبي عثمان اسماعيل بن عبدالرحمن ابن احمد الصابوني (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م) وقد بناها في وقت مبكر من

عهده، قيل قبل سنة(٤٠٥هـ/١٠١٤م)، واشتهرت بنشاطها، وارتادها العلماء والطلبة، واستمر عطاؤها مدة طويلة، إذ خلف أبو بكر الصابوني أباه في التدريس وعقد مجلس الإملاء فيها الى أن توفي في حدود(٥٠٠هـ/١١٠٦م). ومن علمائها أبو القاسم عبدالرحيم بن محمد المقرئ اللبيكي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وكان إماماً ومؤذناً فيها [٤١].

ت-مدرسة الصعلوكي :

ومن مدارس أصحاب الشافعي المهمة أيضاً مدرسة أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن هارون الصعلوكي بنيسابور (ت٤٠٤هـ/١٠١٣م) ، مفتي نيسابور الملقب بشمس الإسلام ، تصدر الفتوى والقضاء والتدريس في وقته[٤٢] ، وتصدر الصعلوكي للتدريس والفتوى في نيسابور، وحدث وأملى في مدرسته التي بناها، وكان يتواجد في مجلسه أكثر من خمسمائة محبرة كناية عن عدد جُلاَسه [٤٣] .

ث-المدرسة البيهقية :

تعد المدرسة البيهقية من أشهر المدارس الشافعية في فترة البحث ، بناها أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن الشيخ الموفق البيهقي (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م) وكان من وجوه أصحاب الشافعي ، قيل: أنه بنى مدرسة من خالص ماله وأنفق على عمارتها ومصالحها، وهي التي تقع في سكة سيار بنيسابور وتسمى بالمدرسة البيهقية نسبة إلى من بناها[٤٤].

وكانت الدراسة في هذه المدرسة مقسمة الى ثلاث حصص: حصة للعلوم والآداب ، وحصة للإملاء ،وحصة اخرى للتذكير والوعظ[٤٥] ومن أساتذتها أبو بكر أحمد بن محمد ابن أحمد بن عبدالله بن الحارث الاصبهاني (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، والذي قدم نيسابور سنة (٤٠٩هـ/١٠١٨م) مقيماً وعقد له التدريس في هذه المدرسة،

وكان مقرئاً نحوياً تصدر للتحديث وتدريس العربية[٤٦]، ومن مدرسيها كذلك أبو القاسم عبدالجبار بن علي بن محمد بن حسكان المعروف بالاسكاف (ت٤٥٢هـ/١٠٦٠م) ، إمام دويرة البيهقي في النظر والتدريس والفتوى[٤٧]،ومن منتسبيها كذلك أبو صالح المؤذن (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م) والذي كان يقوم بمهام كثيرة فيها فضلاً عن التدريس والوعظ[٤٨]، ومنهم أبو بكر محمد بن مأمون بن علي الأبيوردي (ت٤٩٤هـ/١١٠٠م) والذي كان يتولى التدريس ، كذلك الكثير من أمورها [٤٩].

ج- مدرسة أبي إسحاق الاسفراييني :

من المدارس المهمة التي بنيت بنيسابور والتي شيدها الإمام ركن الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم مهران الاسفراييني(ت٤٢٨هـ/١٠٢٧م) المتقدم في الفقه والأصول والكلام ، وصفها العلماء بأنها مدرسة عظيمة لم يبن قبلها بنيسابور مثلها ، وذلك قبل سنة(٤٠٥هـ/١٠١٤م) ودرس فيها وحدث سنين، وعنه أخذ علمي الكلام والأصول علماء وشيوخ نيسابور[٥٠]، ومن مدرسيها البارزين الاستاذ أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفراييني(ت:٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، ورد نيسابور مع والده فأخذ العلم عن أبي إسحاق ولازمه وحضر دروسه إلى أن برع وتصدر العلم والتدريس، وكان يدرس في سبعة عشر علماً وفناً،وأناب أستاذه ابو اسحاق في المدرسة بعد وفاته مداوماً عليها حتى آخر حياته[٥١] .

ح- مدرسة المشطى :

كانت من المدارس المشهورة بنيسابور والتي أنشئت قبل سنة (٤٥٤هـ/١٠٦٣م)، إلا أنها اشتهرت بأسماء مدرسيها[٥٢] ، وقد تعاقب التدريس فيها علماء أفاضل منهم أبو سعد أحمد بن ابراهيم بن موسى الشاماتي المقرئ (ت:٤٥٤هـ/١٠٦٢م) الذي كان يباشر التدريس فيها القراءات وعلوم القرآن سنين ، فضلاً عن مجلس الإملاء الذي كان يعقد له فيها بعد الدرس[٥٣]،ومن مدرسيها كذلك

أبو الحسن على بن الحسين الدهان المروزي (ت:٤٦٤هـ/١٠٦١م) القاضي والمحدث ، قدم نيسابور عدة مرات ونزل المدرسة سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٤م) وعقد له مجالس الحديث فيها فحدث وروى[٥٤] ، وممن درس فيها كذلك المبارك بن محمد بن عبدالله أبو الحسين ابن السوادى الواسطي (ت:٤٩٢هـ/١٠٩٨م) نزيل نيسابور استوطنها وسكن هذه المدرسة ، وكان يدرس فيها ، ويناظر ، ويحضر المجالس الى آخر حياته[٥٥].

خ- مدرسة الشحامي :

تنسب هذه المدرسة الى الأسرة الشحامية المعروفة بنيسابور ، أهلها من بيت علم وزهد وصلاح ، واشتهر منهم عدد من الأئمة وكبار العلماء ، وكان لهم مدرسة وحديقة قريبة من الجامع القديم بنيسابور ، وكان يقام فيهما نشاط كبير في التعليم ، مما جعلهما ملتقى لأهل العلم من الأئمة والعلماء وطلبة العلم من كل مكان , من علمائها البارزين أبو بكر محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الشحامى المقرئ (ت:٤٤٢هـ/١٠٥٠م) أزهد عصره وأحسنهم عبادة وقراءة للقرآن ، حدث وروى عن علماء عصره[٥٦] ، وابنه طاهر بن محمد بن محمد بن أحمد أبو عبدالرحمن الشحامي (ت:٤٧٩هـ/١٠٨٦م) الذي كان محدثاً ومقرئاً[٥٧]، وكان من أنشطهم زاهر ابن طاهر بن محمد ابن محمد أبو القاسم الشحامي (ت:٥٣٣هـ/١٠٣٨م) مسند نيسابور ومحدثها في عصره ، الذي أملى قريباً من عشرين سنة في البستان المنسوبة اليهم [٥٨] ، ومن علماء هذه المدرسة أبو القاسم مسعود بن أبي بكر بن أحمد بن محمد الهروي الأنصاري الذي توفى كهلاً ، فجأة في المدرسة بعد سنة(٤٧٠هـ/١٠٧٧م)[٥٩]، ومن مدرسيها ايضاً أبو بكر محمد ابن اسماعيل بن محمد بن السري التفليسي (ت:٤٨٣هـ/١٠٩٠م)[٦٠]، الإمام القدوة المقرئ والمحدث سمع من علماء نيسابور، وحدث وأملى سنين في البستان الشحامية ،الى أن توفى[٦١]،ومن

علمائها البارزين كذلك ابو الحسن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن علي الشحامي (ت:٤٩٠هـ/١٠٩٦م)، كان من فقهاء المذهب الشافعي ومن أركان أصحاب الحديث،[٦٢] .

د- مدرسة أبي سعد الزاهد الخركوشي :

أنشأها عبدالملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم أبو سعد الخركوشي (ت٤٠٤هـ/١٠١٣) المجمع عليه من العلماء والمشايخ , وذلك أنهم لم يروا له مثيلاً بين جميع العلماء في وقته بنيسابور ديناً وزهداً ، بنى في سكة خركوش في نيسابور مدرسة لأهل العلم ووقف عليها أوقافاً[٦٣]، من علمائها أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه العبدوي (ت:٤١٧هـ/١٠٢٦م) أحد حفاظ خراسان والذي كان من أبرز المدرسين في هذه المدرسة[٦٤]،ومن ثم خلفه بعد وفاته أبو بكر أحمد بن علي محمد بن إبراهيم بن فنجويه(ت:٤٢٨هـ/١٠٣٦م) أحد حفاظ زمانه ، فاق أهل الحديث من أقرانه ، دخل نيسابور مرات ثم استوطنها ، واشتغل بالتصنيف والتخريج والتدريس حتى صار من الحفاظ والأئمة المذكورين في هذا الفن [٦٥] .

ذ- مدرسة أبي بكر البستي :

كان أبو بكر أحمد بن محمد بن عبيدالله البستي (ت:٤٢٩هـ/١٠٣٧م) من كبار أئمة نيسابور، وصدر فقهاء أصحاب الشافعي مدرساً مناظراً من أصحاب الرئاسة والحشمة والثروة الوافرة، بنى لأهل العلم مدرسة على باب داره ، برأس حارة المسيب ووقف عليها جملة من ماله،وكانت من المدارس المشهورة بنيسابور ، كما كان هو من أبرز مدرسيها[٦٦] .

ر- مدرسة الاستراباذي :

أسسها أبو سعد إسماعيل بن علي المثنى الاستراباذي (ت:٤٤٨هـ/١٠٥٦م) قدم نيسابور وبنى بها مدرسة لأصحاب الشافعي تنسب إليه [٦٧] .

ز- مدرسة السيوري :

لم تسعفنا المصادر بمعلومات جيدة ومؤكدة عنها وعن مؤسسها غير أنها تقع في محلة باب عزره بنيسابور، ولها حركة دائبة في التعليم ، يرتادها كبار العلماء من أنحاء نيسابور وغيرها لإقامة مجالس العلم فكانت ملتقى العلماء، منهم أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت:٤٥٨هـ/١٠٦٥م) الذي قدم اليها سنة(٤٤١هـ/١٠٤٩م) ونزل فيها لإقراء مؤلفاته[٦٨]، وأما أبو العباس أحمد بن محمد الإمام الشقاني الحسنوي (ت:٤٥٨هـ/١٠٦٥م)[٦٩]، العالم المتكلم واحد عصره في تبحره في علم الأصول ، فكان من سكان هذه المدرسة ومدرسيها [٧٠] ، ومن علمائها أبو جعفر محمد بن أسحاق بن علي بن داود بن حامد البحاثي الزوزني (ت:٤٦٣هـ/١٠٧٠م) القاضي أحد الفضلاء المعروفين والشعراء المشهورين ، صاحب التصنيفات المفيدة[٧١] .

٢/ مدارس الأحناف : من مدارس العلماء بنيسابور أيضاً مدارس أصحاب أبي حنيفة [٧٢]، والتي كانت لا تقل أهمية من المدارس الشافعية من أهمها:

أ- المدرسة الصاعدية :

وتنسب هذه المدرسة الى القاضي أبي العلاء صاعد بن محمد بن أحمد بن عبدالله عماد الإسلام (ت:٤٣٢هـ/١٠٤٠م)[٧٣]، وبيت الصاعدية بيت العلم ، وكان القضاء بنيسابور في بيتهم مدة طويلة ، وكان القاضي صاعد من أنشط المدرسين في مدرسته ، إذ كان له مجالس الوعظ والتذكير والتدريس فيها ، وكان يحضره كبار العلماء وطلاب العلم[٧٤] ، ومن وجوه الأئمة العلماء والفقهاء المدرسين فيها:أبو القاسم

عبدالله بن محمد بن عمر القاضي الزيادي (ت:٤٣٠هـ/١٠٣٨م)[٧٥] ،والذي استخلفه القاضي صاعد للتدريس فيها عند خروجه الى الحجة الثانية وذلك في سنة(٤٠٤هـ/١٠١٣م) [٧٦]، ومن أبرز مدرسيها أبو القاسم منصور بن إسماعيل بن صاعد بن محمد القاضي بن قاضي القضاة الصاعدي (ت:٤٩٠هـ/١٠٩٦م) ، كان عالماً فاضلاً مشهوراً ، تولى القضاء مدة نيابته عن أبيه بنيسابور ، وصار قاضي القضاة بها ، فاق أهل بيته في العلم والتدريس والفتوى ، درس بالمدرسة الصاعدية سنين [٧٧] ، ومن علماء الصاعدية والمدرسين في مدرستها أيضاً أبو الفتح عبدالملك بن عبيدالله بن صاعد القاضي ابن القاضي (ت:٥٠١هـ/١١٠٧م) ، كان عالماً فاضلاً ومدرساً من وجوه بيت الصاعدية[٧٨] ، وأما أبو العلا صاعد بن منصور بن إسماعيل (ت:٥٠٦هـ/١١١٢م) فكان من المدرسين البارزين فيها ، وكان يحضر المجالس والمحافل والمجامع مع عمه وأبيه وينوب عن والده في الخطابة،وأقعد في المدرسة ودرس وحضر درسه في مواضيع كثيرة[٧٩] .

ب-المدرسة الناصحية :

الناصحية أسرة من بيت علم ورئاسة كان منهم أئمة وعلماء وقضاة كثيرون ومن مدارس الحنفية المشهورة بنيسابور المدرسة الناصحية[٨٠] ، والتي أسسها ناصح الدولة أبو ومحمد عبدالله ابن الحسين الناصحي قاضي القضاة (ت:٤٤٧هـ/١٠٥٥م) ، شيخ الحنفية في عصره ، كان له مجلس التدريس والنظر والفتوى فضلاً عن مجلس الإملاء في مدرسته ودرس سنين[٨١].

وكان أبو القاسم عبدالله بن إسماعيل بن محمد البوشنجي(ت:٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، من وجوه الفقهاء والمدرسين البارزين ، وأقعده الفقيه ناصح الدولة في مدرسته فكان يدرس فيها سنين[٨٢] ، ومن مدرسيها أيضاً أبو الحسن عبدالرحيم بن أحمد بن عروة العدل النيسابوري (ت:٥١٠هـ/١١١٦م) كان فقيهاً زاهداً لزم التدريس

والإملاء في المدرسة[٨٣] ، وكان أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد الصاعدي (ت:٥٣٠هـ/١١٣٥م) ممن قعد للتدريس في تلك المدرسة سنين وأفاده الطلبة فيها[٨٤] .

ت-مدرسة الصندلي :

كانت من المدارس المعروفة والمشهورة في تلك الفترة بنيسابور، وتنسب الى أبي الحسن على بن الحسن بن علي الصندلي (ت:٤٨٤هـ/١٠٩١م)، كان إماماً زاهداً من وجوه أئمة أصحاب أبي حنيفة في عصره [٨٥]، وفيها تفقه أبو أسحاق إبراهيم بن محمد الدهستاني (ت:٥٠٣هـ/١١٠٩م)، حضر نيسابور في منتصف سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) واشتغل في تلك المدرسة وتوجه الى دراسة علم الفقه فيها حتى صار من المدرسين البارزين فيها[٨٦] .

وهناك الكثير من المدارس لم تعطنا المصادر أية تفصيلات عنها منها : مدرسة أبي صادق الخفاف عبدالعزيز بن محمد بن أحمد (ت:٤٢٧هـ/١٠٣٦م) كان فاضلاً من بيت العلم صاحب مدرسة بنيسابور وكان لهذه المدرسة نشاط ملموس للتعليم وتخرج منها علماء بارزون،[٨٧]،ومدرسة الحدادين التي كان يعمل فيها الحافظ المعروف بأحمد محمود(ت:٤٧٨هـ/١٠٨٥م) خدم فيه أهل العلم سنين [٨٨]، وكذلك مدرسة أبي علي العلوى (ت:٤٨٠هـ/١٠٨٧م) والتي أنشئت في تلك الفترة بنيسابور[٨٩] ، ومدرسة أبي سعد المستوفي للحنفية والموجودة في نيسابور في حدود(٤٥٠هـ/١٠٥٨م)[٩٠] .

٣- مدارس المالكية: وقد عرفت نيسابور في هذه الفترة مدرسة واحدة فقط للاتباع المذهب المالكي[٩١] وهي:

أ- مدرسة القطان :

تنسب هذه المدرسة الى أبي إسحاق إبراهيم بن محمود بن حمزه المالكي المعروف بالقطان ، كان له مسجد ومدرسة معروفان ، وتقطع هذه المدرسة بميان دهية ولم يكن بعده للمالكية بنيسابور مدرس[٩٢] ، يدل ذلك على أن المذهب المالكي غير شائع بنيسابور .

ثالثاً/ مدارس أهل الحديث : وهناك عدد من المدارس المشهورة في نيسابور والتي لا تقل أهمية من المدراس المتقدمة والتي تنسب الى أهل الحديث من أشهرها :

١- مدرسة الصبغي أو دار السنة :

أسسها الإمام أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد الصبغي (ت٣٤٢هـ/٩٥٣م)[٩٣] ، عالم نيسابور ومحدثها وإمام وقته ، بنى مدرسته لأهل الحديث ، ودرس فيها سنين ، حيث مكث سبعاً وخمسين سنة بنيسابور يدرس ويفتى[٩٤]، وينسب لهذه المدرسة علماء أجلاء من المدرسين منهم : أبو عبدالرحمن عبدالله بن أبي بكر بن إسحاق الصبغي الفقيه (ت:٣٥٥هـ/٩٦٥م)، كان من الأدباء المشهورين، تعلم الفقه والكلام وتقدم فيهما، وتولى التدريس والافتاء في المدرسة مدة [٩٥]، وأما أبو منصور محمد بن سمعان الحيري المذكر (ت:٣٨٢هـ/٩٩٢م) ، فكان ممن اختص للإمام الصبغي ، ولما بنى دار السنة عقد له مجلساً للتذكير فيها[٩٦]، ومنهم كذلك أبو محمد عبدالله بن يوسف بن ماميه الأصبهاني (ت:٤٠٩هـ/١٠١٨م) من كبار مشايخ المحدثين ووجوه أصحاب الشافعي بنيسابور وممن انتهت اليه الرحلة ، عقد له مجلس الإملاء في دار السنة فحدث وأملى أربعين سنة[٩٧] ، ودرس فيها كذلك أبو القاسم حمزة بن علي بن محمد بن الحسين البياري القمى ، قدم نيسابور من الري(طهران حاليا) في سنة(٤٢٦هـ/١٠٣٤م)فنزل في محلة سكة أبي بكر بن اسحاق الصبغي من نيسابور وقام فيها مدة يدرس أهل العلم[٩٨] ، وممن درس فيها

أيضاً أبو بكر أحمد بن محمد ابن عبيدالله بن محمد السبتي (ت:٣٢٩هـ/١٠٣٧م) ، والذي درس فيها مدة ليست بالقصيرة[٩٩] .

٢- مدرسة ابن حيان البستي :

ومن مدارس أهل الحديث بنيسابور كذلك مدرسة الإمام أبي حاتم ابن حبان البستي (ت:٣٥٤هـ/٩٦٥م) ، الذي حول داره الى مدرسة لأصحابه من أهل الحديث ، وسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة ، واوقف لهم جرايات مستمرة يستنفقونها [١٠٠] .هذا فضلاً عن عدد كبير من الأماكن التي خصصت للدراسة لأهل الحديث منها حانوت الصبغي:والذي بناه أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد ابن الحسين الصبغي (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م)، كان من كبار العلماء وأعيان فقهاء الشافعية ، كثير السماع والحديث ، كان حانوته مجمعاً ومدرسةً للحفاظ والمحدثين في محلة مربعة الكرمانيين من نيسابور [١٠١] .ومنها أيضاً مدرسة البسطامي:والتي أنشأها أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الرئيس البسطامي(٣٣١هـ/٩٤٢م) ، والذي كان يسكن محلة باغ الداريين بنيسابور, وبنى بها مدرسته وداراً وأوقفها لأهل الحديث[١٠٢] .وقد تكفلت المدارس الانفة الذكر بتحديد ملامح تدريس علم الحديث النبوي الشريف في نيسابور في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد.

رابعاً/مدارس أخرى:

وقد انتشرت مدارس أخرى في مدن قصبات نيسابور المختلفة منها : مدرسة ابن أبي الطيب أنشأها أبو القاسم علي بن محمد بن الحسين بن عمر في سنة (٤١٠هـ/١٠١٩م) ، وكان أبو القاسم أنشأها لعلي بن عبدالله بن أحمد النيسابوري المعروف بأبي الطيب (ت:٤٥٨هـ/١٠٦٥م) وجعلها باسمه[١٠٣] ، ومدرسة زريسك وتقع هذه المدرسة في زريسك ، وهي قرية من زام من نواحي نيسابور [١٠٤] ، ومدرسة العراقي أنشئت هذه المدرسة على يد القاضي أبي علي محمد بن إسماعيل بن محمد

الطوسي المعروف بالعراقي (ت:٤٥٩هـ/١٠٦٦م) ، بنأها على باب جامع الطابران وهي احدى قصبات مدينة بطوس ، وكان له الفضل الظاهر واللسان والتدريس[١٠٥] ،وأيضاً مدرسة الجاجرمي ، والتي انشئت قبل سنة(٤٩٧هـ/١١٠٣م) بنيسابور[١٠٦]، ومدرسة شهفور الاسفراييني في طوس[١٠٧] ، وغيرها من المدارس التي نجهل الكثير عنها والتي كانت موجودة في مدن ونواحي وقصبات نيسابور المختلفة[١٠٨].

خامساَ: نظم العمل ووسائل التعليم في مدارس نيسابور:

كان لكل مدرسة من هذه المدارس نظمها الخاصة بها طبقاً لما رسم لها صاحبها بحيث بني بعضها لأصحاب الشافعي، والبعض الاخر لأصحاب أبي حنيفة, أو المالكية ، وكان الكثير منها لأهل الحديث[١٠٩] ، وعلى الرغم من ذلك كله وجدت مجموعة كبيرة من بينها كانت أبوابها مفتوحة لجميع أهل العلم من المدرسين وطلبة العلم .

وكان يتم اختيار المدرسين في هذه المدارس من قبل أصحابها ، ويكون عادة من هو على مذهبه ، من الذين يتمتعون بالتقدير والاحترام من خاصة الناس وعامتهم[١١٠] ، كما خصص لمعظم هذه المدارس أوقافاً من قبل أصحابها تشمل نفقات المدرسين والقائمين والطلبة[١١١] ، وألحق بمعظم هذه المدارس مسجد وسكن للمدرسين وطلاب العلم ، كما أعدت كذلك لاستقبال الوفود الوافدين عليها من أهل العلم[١١٢] .

وأما التعليم في هذه المدارس فكان متاحاً لجميع الناس على جميع الأعمار والمستويات، وكانت مجالس الوعظ والتذكير تكاد تكون مجمعاً للذين لا يتخذون العلم حرفة أو وسيلة للعيش[١١٣].

ولم يكن نظام التدريس فيها يختلف كثيراً عما كان عليه في المساجد ومنازل العلماء أو في حوانيت الوراقين والمكتبات ، وخانقاهات (التكايا أو الزوايا) العلماء ، أو الأربطة ، وإنما وجد نوع من التوسع والتنوع في الأساليب المتبعة في هذه المدارس

لكونها امتداداً طبيعياً للأمكنة السابقة ، وجامعاً لأسلوبها طبقاً لكثرة المقبلين على التعليم ، وقد تعددت مجالس الدرس على حسب تنوع التخصصات وأنواع العلوم التي كانت تدرس فيها ، وكانت المحاضرات التي تعقد في هذه المجالس متنوعة من أهمها مجلس الدرس ، ولإملاء ، والقراءة , والكلام , والوعظ أو التذكير والإفتاء، والمناظرة[١١٤] ، ولكل من هذه المجالس تنظيم خاص به .

ولم تكن مدة التعليم محددة وإنما كان ذلك متروكاً لجهد الطالب ورغبته ، أو لاطمئنان استاذه عليه مما جعل بعض الطلبة يلازمون أساتذتهم فترة طويلة[١١٥] ، وكان لطلاب العلم في هذه المدارس حرية تامة لاختيار العلم الذي يريد أن يتعلمه قبل غيره من العلوم وكذلك المدارس الذي يريد أن يحضر درسه مما أتاح الفرصة لبعض الطلاب لدراسة أكثر من علم في حلقات مختلفة في يوم واحد[١١٦] , لأن الدراسة كانت مستمرة ليلاً ونهاراً في معظم الحالات[١١٧] , كما كان للعلماء أيضاً نصيب وافر في تنشيط الحركة العلمية ، فكان معظم علماء نيسابور في تلك الفترة يقومون بتدريس أكثر من علم واحد في مجلس واحد ، فكان أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين يقعد للتدريس والإفتاء والإملاء والمناظرة في مجلس واحد[١١٨] ولأبي محمد الناصحي مجلس التدريس والاملاء والافتاء والنظر[١١٩] ، وإمام الحرمين الجويني كان يتولى التدريس والوعظ والتذكير والافتاء والمناظرة فضلاً عن المنبر والمحراب في مسجده[١٢٠] ، وكذلك أبو إسحاق الاسفراييني كان يدرس اللغة والفقه واصوله ، وعلم الكلام والتفسير والحديث فضلاً عن الوعظ والتذكير والإفتاء والمناظرة[١٢١] ، وأما أبو منصور عبد القاهر بن طاهر النيسابوري المعروف بالبغدادي ، فكان يدرس سبعة عشر فناً من فنون العلم[١٢٢] ، وعلى كل فإن المدرس والتلميذ والكتاب والمحبرة والقلم والحلقة كانت محاور أساسية ومعالم بارزة في عملية التعليم[١٢٣].

الخاتمة:

هذا البحث الذي نتقدم به عن الحركة المدرسية في نيسابور في القرن الخامس للهجرة /الحادي عشر للميلاد، توصل الى عدة نتائج يمكن حصرها في مجملها الى طبيعة الاوضاع والتطورات التي كان يعيشها أهل نيسابور في تلك الفترة ، وذلك يعكس مدى ما وصل إليه الواقع العلمي والفكري لأهل اقليم خراسان بعامة واهل نيسابور بخاصة، ومن هذه النتائج مايأتي

١. تعد نيسابور من أهم مناطق المشرق الاسلامي نشاطاً في الجانب العلمي كونها أول مدينة في هذا البقاع يبنى وينشأ فيها مدرسة علمية منتظمة، وبلغت قمة ازدهارها العلمي في فترة البحث،إذ أصبحت مركزاً للإشعاع العلمي والثقافي للعالم الإسلامي، وخير شاهد على ذلك كثرة المدارس والمراكز العلمية فيها، فضلاً عن كثرة المشاهير من أهل العلم المنتسبين الى مدنها ونواحيها وقراها.

٢. أقبل حكام الدول والامارات المتعاقبة من الأمراء والوزراء والولاة والاعيان على العلم والعلماء إقبالا عظيماً وسخروا جميع الامكانات تشجيعاً لهم على الانتاج العلمي وشاركوا العلماء في إثراء الحركة العلمية من خلال انشاء المدارس والمرافق العلمية.

٣. لم تكن جهود العلماء قاصرة على تدوين والتفقه في العلوم الشرعية واللغوية ، وإنما اشتمل كذلك جانباً كبيراً من جهودهم على انشاء المؤسسات التعليمية من قبيل المدارس وقاموا بالتدريس فيها وعقدوا فيها المجالس للتحديث والإملاء والوعظ، وجميع العلوم الشرعية واللغوية ، من جانب أخر نجد بأن مساهمة الكثير من العلماء الذين زاروا المدينة في بناء المدارس ودعمها بالمال والنفقات، وذلك لتحقيق نشر العلوم القرآنية واللغوية المختلفة.

٤. غلب على مدارس نيسابور المذهبان الشافعي والحنفي، وفي الوقت ذاته عثرنا على مدرسة مالكية واحدة فقط، إذ أن أغلب المدارس اسسها شافعيون أو حنفيون، وهذا

يوكد شيوع هذين المذهبين في نيسابور في فترة البحث دون غيرهما من المذاهب، وأنهما كانا المذهبين الرئيسين في نيسابور في هذه الفترة.

٥. نلحظ أن بعض المدارس التي أنشئت في نيسابور قد اقيمت خصيصاً لتدريس المذهبين الشافعي والحنفي تحديداً، فضلاً عن مدارس قد اختصت بدراسة علوم الحديث النبوي الشريف،علاوة عن مدارس قد اختصت بدراسة وتعليم مختلف المذاهب والعلوم.

٦. تخرج من المدارس النيسابورية مئات الطلبة، على الرغم من الاضطرابات السياسية التي أثرت على المنطقة في تلك الفترة، وإذا تتبعنا نسب مؤسسي هذه المدارس نلحظ أن أصولهم عربية،وهذا يؤكد أن معظم تلك المدارس التي أسست في نيسابور عربية، وأنها درست شتى أنواع المعرفة من العلوم الدينية واللغوية باللغة العربية، وقد يكون السبب رغبتهم بتعريب المنطقة، علماً بأن أصل أغلب سكان المدينة من الفرس ، وعلى الرغم من ذلك لم نعثر على أية شخصية فارسية لها دور في تكوين المدارس، أو في نهضة العلوم وازدهارها في المدارس النيسابورية.

الهوامش :

(١) تقع مدينة نيسابور في الشمال الشرقي من اقليم خراسان وبها يمر طريق الحرير العظيم العابر الى أكناف المشرق والصين وتعد من كبريات مدن هذا الاقليم، ، أما اسم هذه المدينة ونسبتها فقد سميت بنيسابور نسبة إلى الملك الساساني سابور الثاني ابن هرمز (ذو الاكتاف) (٣٠٩-٣٧٩م)، الذي جدد بناءها في القرن الرابع الميلادي، وأما مؤسسها فكان سابور الاول بن اردشير بايكان (٢٤١- ٢٧٢م) ، وكان الفرس يطلقون عليها (نيشابور) فعربت فقيل (نيسابور)، وهو مشتق من (نيوشاه بور) الفارسية ومعناه (شيء، أو عمل، أو موضع سابور الطيب) ويطلق

عليها ايضاً (ايرانشهر) أي بلد الخيار (أي الخير) لان اير بالفارسية الاولى اسم جامع للخير والفضيلة. للمزيد، ينظر، اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب(ت ٢٩٢هـ/٩٥١م): البلدان ،وضع حواشيه: محمد امين الضناوي، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٢م)، ص ١٢٧- ١٤٤؛ ابن حوقل، ابو قاسم محمد بن علي النصيبي(ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الارض، مطبعة بريل، ط٢، (ليدن، ١٩٣٨)، ص ٤٢٦؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، مج٥، ص ٣٨٢؛ ارثر كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، ١٩٩٨م)، ص ٢٠٩؛ كي لسترنج. بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية: بشير فرانسيس وكوركيس عواد، مطابع المجمع العلمي العراقي، (بغداد، د. ت)، ص ٧٣.

(٢) السامانيين: ينتسب السامانيون إلى جدهم الاعلى سامان بن خداه بن حسمان بن طغاث، ولذلك يسمون بالسامانيين، الذين استطاعوا من تأسيس الامارة السامانية (٢٦١- ٣٨٩هـ/ ٨٧٤- ٩٩٩م): في بلاد ما وراء النهر، واتخذوا مدينة بخارى حاضرة لهم وتمكنوا ان يمدو نفوذهم إلى جميع خراسان بما فيها مدينة نيسابور، وانهارت الامارة السامانية على يد الاتراك بقيادة ملك الترك ايلك خان ابو نصر احمد بن علي شمس الدولة (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)،. للمزيد، ينظر، النرشخي، ابو بكر محمد بن جعفر(ت ٣٤٨هـ/٩٥٩م): تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: الدكتور امين عبد المجيد بدوي، ونصرت مبشر الطرازي، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٥م)، ص ١٠٥- ١٠٦؛ البيهقي، ابو الفضل محمد ابن حسين(ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م): تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت، مكتبة الانجلو المصرية، دار الطباعة الحديثة (القاهرة، ١٩٦٥م)، ص ٧٠٩؛ الجوزجاني، ابو عمرو منهاج الدين منهاج السراج عثمان بن محمد(توفي في القرن ٧هـ/١٣م): طبقات ناصري، ترجمة وتقديم: عفاف السيد زيدان، المركز القومي للترجمة، (القاهرة، ٢٠١٣م)، ج١، ص ٣٣٦.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٠ ؛ ١٣٤ ؛ ناجى معروف : مدارس قبل النظامية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،(بغداد: ١٩٧٣م) ، ص٨.

(٤) الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت ، ١٩٨٤

)،ج٢، ص٢٨٧؛ وله ايضاً: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية ، ط١،(بيروت، ١٩٩٨م)، ج٣، ص٧٤؛ السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢(١٤١٣هـ)،ج٣،ص٢٢٦؛ المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ (الخطط المقريزية)، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٨م)،ج٤،ص١٩٢ .

(٥)ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٨م)، ج٢،ص١٢٩.

(٦) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣). آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٠م) ، ص٤١٢ ؛ المقريزي: الخطط المقريزية، ج١٩٢،٤.

(٧) الغز: جنس من الترك، والغز هو اللفظ العربي الذي يطلقه العرب على قبائل البدو والترك الذين كانوا في الصحراء الواسعة والسهوب التي تبدأ عند حدود الصين وتمتد حتى شواطئ بحر الخرز، وان كلمة الغز أو الطوقوز اي (تسعه) مأخوذة من عدد قبائلهم أو اسرهم المتفرقة وكان هذا الاسم يطلق على الغالبية من الاتراك. للمزيد، ينظر، الراوندي، محمد بن علي سليمان(ت: ٥٩٩ هـ/١٢٠٢م):راحة الصدور واية السرور، نقله إلى العربية: ابراهيم امين الشواربي (واخرون) مطابع دار القلم (القاهرة، ١٩٦٠م)، ص ٢٦٨- ٢٧٢.

(٨) الراوندي: راحة الصدور، ص ٢٦٨- ٢٧٢.

(٩) ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،ط١، (بيروت ، ١٩٩٧م)، ج٩، ص ٢٠٠.

(١٠) القزويني، أبو يعلى الخليل بن عبدالله بن احمد بن الخليل (٤٤٦هـ/١٠٥٤م): الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد بن عمر ادريس ، مكتبة الرشد، ط١، (الرياض ، ١٩٨٩م) ،ج١، ص٨٤١.

(١١) النرشخي،: تاريخ بخارى، ص١٣٤ ؛ العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار، (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م): التاريخ اليميني، بحواشي كتاب المنيني (شرح تاريخ العتبي)، المسمى بـ(الفتح الوهبي)، جمعية المعارف بالمطبعة الوهبية(القاهرة،١٨٦٩م)،ج١،ص١٥٣.

(١٢) الصيرفيني، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت:٦٤١هـ/١٢٤٣م): المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ضبطه: خالد حيدر، المكتبة التجارية،(مكة المكرمة، د–ت)، ص١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج٤،ص٢٧٢.

(١٣) العتبى: التاريخ اليميني،ج٢،ص٣٣٠ ؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ، ج٤، ص٣١٤؛ ناجي معروف: مدارس قبل النظامية، ص٢٨.

(١٤) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج٩، ص١٢٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م). البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، (القاهرة، ٢٠٠٤ م)، ج١٢، ص١٩٨.

(١٥) الصيرفيني : المنتخب ، ص٢٠٠ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارناؤطي ومحمد نعيم بوقوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط٧ ، (بيروت ، ١٩٩٠) ،ج١٩، ص٩٤ ؛ السبكي : طبقات الشافعية،ج٥،ص١٧١.

(١٦) السبكي : طبقات الشافعية ،ج٥،ص١٧٦؛ ناجي معروف : علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، د–ن ، ط١،(بغداد ١٩٧٣م), ص٤١–٦٠ .

(١٧) الصيرفيني : المنتخب ، ص٥٣٩ ؛ ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ / ١٤٢٩م): غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية،(بيروت،١٩٨٤)،ج٢، ص٣٩٧.

(١٨) الصيرفيني : المنتخب ، ص٤٣١ ؛ الذهبي : العبر،ج٢،ص٣٢٠ .

(١٩) الصيرفيني : المنتخب ، ص٣٤٤ ، ناجي معروف : علماء النظاميات ، ص٤٤ .

(٢٠) السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور(ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م): الأنساب ، تعليق: عبدالله عمر البارودي، دار الجنان، ط١، (بيروت،١٩٨٨) ،ج٣، ص٢٨؛ ابن الجوزي: المنتظم ،ج٩،ص١٠٢ .

(٢١) السمعاني: الأنساب ،ج١،ص١٥٤؛ ابن الجوزي: المنتظم ،ج٩،ص١٠.

(٢٢) المنتخب ، ص٥٩.

(٢٣) الصيرفيني : المنتخب ، ص١١٦ ، ناجي معروف : علماء النظاميات ، ص٤٥ .

(٢٤) السمعاني : الأنساب ،ج٤،ص٥٠٣ ؛ الصيرفيني: المنتخب، ص٣٧٠ ؛ الذهبي : العبر،ج٢،ص٣٦٩ .

(٢٥) الصيرفيني : المنتخب ، ص١٤٤ ؛ الحنبلي ، عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الافاق الجديدة ، (بيروت ، د – ت)،ج٣،ص٣٦٣.

(٢٦) الكتبي ، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) : عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داؤد ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام (بغداد، ١٩٨٤)، ج١٢،ص٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان،ج٤،ص٢١٦.

(٢٧) السبكي : طبقات الشافعية ،ج٧،ص١٦٨ .

(٢٨) ابن قاضي شُهبة ، تقي الدين الأسدي (ت٨٥١هـ / ١٤٤٧): طبقات الشافعية، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية،ط١،(حيدر اباد،١٩٧٨)،ج١،ص٣١٩ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج٢٠،ص٣١٢.

(٢٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان،ج٤،ص٢١٦ ؛ ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية،ج١،ص٣٤٨ ؛ الأسنوي : طبقات الشافعية،ج٢،ص٤٢٠؛ الكتبي : عيون التاريخ ،ج١٢،ص١١٧،٢٨٢؛ الصيرفيني : المنتخب ،ص١٧٥، ٢٨٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ ،ج٤،ص٢٧٧؛ السمعاني: الأنساب،ج٢،ص٤١٢ ، ؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج٧، ص٣٦ ،١٦٨، ٢٩٥.

(٣٠) ناجي معروف : مدارس قبل النظامية ، ص٦٠ .

(٣١) ولم أقف على أسم الأمير أو الحاكم الذي قام ببناء هذه المدرسة بعد .

([٣٢]) محيي الدين الحنفي ، أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي (ت: ٧٧٥هـ/١٣٧٢م): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، (كراتشي، د-ت)،ج١،ص١٠٦.

([٣٣]) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م):التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٩٧٥م)،ج١،ص١٢٧؛ ناجي معروف : مدارس قبل النظامية ،ص٦٠ .

([٣٤]) ينسب هذا المذهب الى الإمام محمد بن ادريس الشافعي والمتوفى سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) ولد بغزة سنة(١٥٠هـ/٧٦٧م) وانتقل الى مكة وفيها تلقى العلم عن شيوخه ثم رحل الى المدينة حيث التقى بالإمام مالك وأخذ عنه العلم وانتقل الى بغداد وكان على صلة وثيقة بالإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٧هـ/٨٠٢م) تلميذ أبي حنيفة فأخذ عنه كثيراً من علمه وفقهه ثم رحل الى مصر سنة (١٩٩هـ/٨١٤م) واستقر بها الى ان توفي ودفن فيها. ان أساس المذهب الشافعي (هو الأخذ بالقرآن والسنة والاجماع اما القياس فلم يتشدد فيه تشدد مالك ولم يتوسع فيه توسع أبي حنيفة أي ان المذهب الشافعي قام على اساس التقريب بين مدرستي أبي حنيفة ومالك أو بين مدرستي العراق والحجاز) .للمزيد، ينظر،ابن النديم ، محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥هـ/١٩٩٥م) :الفهرست ، دار المعرفة ، (بيروت ، ١٩٧٨)،ص٢٩٤ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):معجم الادباء ، دار الفكر ، ط٣ ، (بيروت ، ١٩٨٠) ، ج١٧، ص٢٨١-٣٢٧.

([٣٥]) الصيرفيني: المنتخب ، ص١٨٩؛الذهبي: العبر،ج٢،ص٢١٢؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج٤،ص٣٢٩.

([٣٦]) الصيرفيني : المنتخب ، ١٨٩ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤،ص٣٢٩ .

([٣٧]) السمعاني : الأنساب،ج٤،ص٥٠٣ ؛ الصيرفيني : المنتخب ، ص٣٦٥.

([٣٨]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٤٥٢ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج٥، ص٣٠٤ .

([٣٩]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٥٠٣ ؛ ناجي معروف : مدارس قبل النظامية ، ص٥٨ .

([٤٠]) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي(ت:٥٧١هـ/١١٧٥م): تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الإمام أبي الحسن الاشعري، دار الفكر،ط٢،(دمشق،١٩٧٨م)، ص٣٠٨-٣١٨ .

([٤١]) السمعاني : الأنساب ،ج٣،ص٥٠٦ ؛ الصيرفيني : المنتخب ، ص١٣٨ ، ٣٤٨؛ ناجي معروف : مدارس قبل النظامية، ص٣٥-٣٦.

([٤٢]) ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ، ص٢١١ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ٣٩٣/٤ ؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ،١٧٤/١ .

([٤٣]) الصيرفيني: المنتخب ، ص٥٨؛ الذهبي : العبر،ج٢،ص٣٣٣؛ الحنبلي : شذرات الذهب،ج٣،ص٣٤٦ .

([٤٤]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٤١٣ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ٣١٤/٤ ؛ ناجي معروف ، مدارس قبل النظاميات ، ص٤٠ .

([٤٥]) محمد حسن العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، دار الكندي للنشر والتوزيع،(اربد،١٩٩٧م)،ص٢٥٨ .

([٤٦]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٩٢ ؛ الذهبي : العبر،ج٢، ص٢٦٢ .

([٤٧]) ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ، ص٢٦٥ ، ٢٧٩ ؛ السبكي : طبقات الشافعية،ج٥، ص١٦٥.

([٤٨]) ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء،ج٣، ص٢٢٥؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ،ج٣،ص ١١٦٣ .

([٤٩]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٦٨ .

([٥٠]) ابن عساكر: تبيين كذب المفترى ، ص٢٤٣ ؛ السمعاني : الأنساب،ج١،ص١٤٤؛ الصيرفيني : المنتخب ، ص١٢٧ ؛ ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ،ج١،ص١٥٩؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج١٧،ص٣٥٣.

([٥١]) ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ،ج١،ص٢١٣؛ الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) : طبقات الشافعية ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، دار العلوم للطباعة والنشر ، (الرياض ، ١٩٨١)،ج١، ص١٩٥ .

([٥٢]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٦٠، ١٠١ ، ٢٢٠ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج٥،ص٣١١، .

([٥٣]) الصيرفيني : المنتخب ص١٠١ .

([٥٤]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٦٢ ،٩١ ، ١١٢ ، ١٧٤ ، ٣٥٦ ؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ،ج٣،ص١٠٨٥.

([٥٥]) الصيرفيني : المنتخب , ص٥٠٠ ؛ السبكي : طبقات الشافعية،ج٥،ص٣١١.

([٥٦]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٤٧ ، ٢٨٩ .

([٥٧]) الصيرفيني: المنتخب، ص٢٨٩ ؛ الذهبي: العبر،ج٢،ص٣٤١ ؛ الحنبلي: شذرات الذهب،ج٣،ص٣٦٣

([٥٨]) الذهبي: سير أعلام النبلاء ،ج١٨،ص٤٤٨ ؛ الحنبلي: شذرات الذهب،ج٣، ص٣٦٣.

([٥٩]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٤٧٦ .

([٦٠]) السمعاني: الأنساب،ج١،ص٤٧١.

([٦١]) الصيرفيني: المنتخب ، ص٥٧ ؛ الذهبي: العبر،ج٢،ص٣٤٦؛ وسير أعلام النبلاء،ص١٩،ص١١.

([٦٢]) الصيرفيني : المنتخب ، ص١٢١ ؛ السبكي : طبقات الشافعية،ج٤،ص٧٨ .

([٦٣]) السمعاني : الأنساب ،ج٢،ص٣٥١؛ ابن الجوزي : المنتظم ،ج٧، ص٢٧٩.

([٦٤]) الذهبي: سير أعلام النبلاء ،ج١٧،ص٣٣٣؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج٥،ص٣٠٠.

([٦٥]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٩١؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج١٧،ص٤٣٨.

([٦٦]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٩٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية،ج٤،ص٨٠.

([٦٧]) الصيرفيني : المنتخب ، ص١٣٨ .

([٦٨]) الصيرفيني : المنتخب ، ص١٠٨ .

([٦٩]) السمعاني: الأنساب ،ج٣، ص٤٤٢.

([٧٠]) الصيرفيني : المنتخب ، ص١١٢ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج٤، ص٩٠ .

([٧١]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٥٣ ؛ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ،ج٥، ص٢٨٨ .

([٧٢]) ينسب المذهب الحنفي إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي (ت:١٥٠هـ/٧٦٧م) ولد بالكوفة سنة(٨٠هـ/٦٩٩م) وقد تلقى تعليمه بالكوفة وعرض عليه

القضاء مرتين ولكنه رفض ، قام هذا المذهب (على اساس الأخذ بالقرآن والسنة مع التشديد في قبول الحديث والتدقيق فيه والتحري عنه الأمر الذي جعله يتوسع في القياس والاجتهاد واعمال العقل). للمزيد، ينظر، ابن النديم: الفهرست، ص٢٨٤-٢٨٥؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي(ت:٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تأريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي،(بيروت، د.ت)، مج١٣، ص٣٢٣-٣٣٠.

(٧٣) الصيرفيني : المنتخب ، ص٢٧٧ .

(٧٤) السهمى ، أبو القاسم حمزة بن يوسف(ت:٤٢٧هـ/١٠٣٥م): تاريخ جرجان ،عالم الكتب، ط٢،(بيروت،١٩٨١م)، ص٥٠٩ ؛ السمعاني : الأنساب،ج١،ص١٣٤ .

(٧٥) الصيرفيني : المنتخب ،ص٢٧٩؛ ناجي معروف:مدارس قبل النظامية، ص٣٠ .

(٧٦) الصيرفيني : المنتخب ، ص٤٠٣ .

(٧٧) الصيرفيني : المنتخب ، ص٤٨٠ .

(٧٨) الصيرفيني : المنتخب ، ص٣٦٢ .

(٧٩) الصيرفيني : المنتخب ، ص٢٨٠ .

(٨٠) السمعاني : الأنساب، ج٥،ص٤٤٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج٤، ص١٩٥.

(٨١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج٩،ص٤٤٣ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج٤، ص١٩٥.

(٨٢) الصيرفيني : المنتخب ، ص٣٧٢ .

(٨٣) السمعاني : التحبير في معجم الكبير ،ج١،ص٣١٧ .

(٨٤) ابن عساكر : تبين كذب المفتري ، ص٣٢٤ ؛ الكتبي : عيون التاريخ ،ج١٢، ص٣١٠ .

(٨٥) الصيرفيني : المنتخب ، ص٤٢٧ ؛ محيى الدين الحنفي : الجواهر المضيئة ،ج١، ص٣٥٨.

(٨٦) الصيرفيني : المنتخب ، ص١٣٣ ؛ محيى الدين الحنفي: الجواهر المضيئة،ج١، ص٤٧ .

(٨٧) الصيرفيني : المنتخب ، ص٣٧٩ .

(٨٨) الصيرفيني : المنتخب، ص١٢٥ .

(٨٩) ناجي معروف : مدارس قبل النظامية ، ص٦٠ .

(٩٠) ناجي معروف : مدارس قبل النظامية ، ص٦٠.

(٩١) ينسب المذهب المالكي إلى الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الاصبحي (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) يعتمد المذهب المالكي في أحكامه :على القرآن والحديث الصحيح السند ثم ياتي بعد ذلك عمل

أهل المدينة. فإذا اتفق أهل المدينة وعلمائها على عمل معين راى الامام مالك في هذا العمل حجة تجعله يقدم على القياس لانه بمنزلة الرواية. للمزيد، ينظر، ابن النديم : الفهرست، ص٢٨٠-٢٨١؛ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) .:تهذيب التهذيب ، دار صادر ، (بيروت ، د – ت) .، جـ١٠، ص٨-٩.

([٩٢]) ناجي معروف : مدارس قبل النظامية ، ص٣٧ .

([٩٣]) السمعاني : الأنساب ،٥٢٢/٣ .

([٩٤]) السمعاني : الأنساب،ج٣،ص٥٢١؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء،ج١٥،ص٤٨٣.

([٩٥]) السمعاني : الأنساب ، ٥٢٢/٣ .

([٩٦]) السمعاني : الأنساب ،ج٣، ص٣٠٢.

([٩٧]) السمعاني : الأنساب،ج١،ص١٠٨؛ الصيرفيني : المنتخب ، ص٢٩٦ ؛ الذهبي : العبر،ج٢، ص٢١٦ .

([٩٨]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٢٢١ .

([٩٩]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٩٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج٤، ص٨٠.

([١٠٠]) السمعاني : الأنساب،ج١،ص٣٤٨ ابن كثير : البداية والنهاية،ج١١،ص٢٩٣ .

([١٠١]) السمعاني: الأنساب،ج٥، ص٥٧.

([١٠٢]) السمعاني: الأنساب،ج١،ص٣٥١ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج١٧،ص٢٤٠.

([١٠٣]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٤١٤ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ،ج٤،ص١٤٠.

([١٠٤]) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية،(القاهرة،١٩٦٣م)،ج٥،ص٧٧.

([١٠٥]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٥٤ .

([١٠٦]) ناجي معروف: مدارس قبل نظامية ،ص٦٠.

([١٠٧]) الأسنوي : طبقات الشافعية،ج١،ص٦٧.

([١٠٨]) وهناك مدارس كثيرة كانت موجودة بنيسابور في تلك الفترة والتي لم تفصل المصادر عنها كمدرسة أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حامد القطان (ت:٤٠٥هـ/١٠١٤م) وكان من المدرسين المناظرين وأملى في مدرسته ؛ ومدرسة بالويه لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن بالويه النيسابوري(ت:٤١٠هـ/١٠٩١م) الذي حول داره الى مدرسة وعقد فيه مجلس

الاملاء فأملى سنين؛ ومدرسة البسطامي ، أبي سعيد الحسين بن طيفور البسطامي(ت:٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، شيخ من محلة سكة المعنى من نيسابور وبها مدرسته وكان يدرس فيها قبل سنة(٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ؛ كذلك مدرسة المنشكى أنشأها صديق بن عبدالرحمن المنشكى (ت:٤٨٦هـ/١٠٩٣م) ؛ ومدرسة أبي عمرو النسوى (ت:٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ؛ ومدرسة أحمد الثعالبي والتي دفن فيها أبو جعفر الشاماتي (ت:٤٧٤هـ/١٠٨١م) ؛ ومدرسة سالم النيسابوري التي انشئت بنيسابور قبل (٤٩٧هـ/١١٠٣م)؛ ومدرسة أبي الحسن علي بن أحمد المتوى (ت:٤٤٤هـ/١٠٥٢م) الذي بنيت له مدرسة بنيسابور واستوطنها ودرس فيها سنين ؛ ومدرسة السراجين وممن سكنها أبو الفرج محمد بن علي بن الخضر الفندجاني الذي قدم الى بنيسابور سنة (٤٦٣هـ/١٠٦٠م) فاستوطن بها . للمزيد عن هذه المدارس، ينظر، السمعاني : الأنساب ،ج١،ص٣٥١ ، ٥١٩ ؛ الصيرفيني : المنتخب ، ص٢١٠ ، ٢٩٧ ، ٣٣١، ٤١٩ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء،ج١٧،ص٢٤٠ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ١٧٥/٤ .

(١٠٩) الحموي: معجم الأدباء ،ج٤،ص١٤٠.

(١١٠) من امثال ك إمام الحرمين الجويني ، وحجة الإسلام الغزالي ، وأبو إسحاق الاسفراييني ، وابن فورك ، وغيرهما من العلماء الاعلام.

(١١١) الصيرفيني : المنتخب ، ص١٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ , ١١٣ .

(١١٢) الصيرفيني : المنتخب ، ص٦٢ ، ٩١ ، ١١٢ ، ١٧٤ ، ٧٣ ، ٣٥٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء،ج١٧،ص٤٣٨ ؛ وله أيضاً: وتذكرة الحفاظ،ج٣، ص١٠٨٥ .

(١١٣) الصيرفيني : المنتخب ، ص٩٧ ، ١٣٨ ، ٤٥٩ .

(١١٤) ابن عساكر : تبين كذب المفتري ، ص٥٤، ص٢٦٥،ص٢٨٣؛ الصيرفيني : المنتخب ، ص٩٧ ،١٢٧، ١٣٨ ،١٤٨،١٤٤ ،٢٩٦،ص٣٠١-٣٠٢، ٣٥٤،٣٤٤ ٤٥٩، ؛ السبكي : طبقات الشافعية، ج٣،ص١٤٨؛ ج٥،ص٧٤؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء،ج٩٨،١٧؛ج١٨،ص١٦٤.

(١١٥) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص٢٦٥، ٢٨٨؛ السبكي : طبقات الشافعية،ج٥،ص٩٩، ١٧٠،١٧٥

(١١٦) الصيرفيني : المنتخب ، ص٣١٤ ؛ السبكي : طبقات الشافعية،ج٥،ص١٧٠ .

([117]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٦٣ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ٢٦٨ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء،ج١٧،ص١٧ .

([118]) ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ، ص٢٥٧ ؛ الصيرفيني : المنتخب ، ص٣٠١ .

([119]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٣٠٢ .

([120]) ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ، ص٢٧٨ .

([121]) ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ، ص٢٤٣ .

([122]) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري ، ص٢٨٠.

([123]) الصيرفيني : المنتخب ، ص٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٤٤ ، ٣٥٦ .

علامة العبودية والعملية الجراحية لإزالتها
في العراق القديم
"دراسة في ضوء الكتابات المسمارية القانونية"

د. قصي منصور عبدالكريم

علامة العبودية والعملية الجراحية لإزالتها في العراق القديم "دراسة في ضوء الكتابات المسمارية القانونية"

د. قصي منصور عبدالكريم

المقدمة:

أصناف الكتابات المسمارية القديمة عديدة ومتشبعة من بينها الكتابات التاريخية والدينية والعلمية والأدبية والإدارية، فضلا عن أهمها وأكثرها نضوجا وهي القوانين التي تعد إحدى أهم سمات حضارة بلاد الرافدين، لاسيما وأنها أقدم محاولات الإنسان المعروفة في تدوين القانون وتطبيقه وممارسة قواعده ، أذ لا يضاهيها من حيث السبق الزمني وتنوع المضامين ووفرة النصوص أية نصوص أخرى.(١)

إن مادة دراستنا هذه تتمحور حول القوانين البابلية التي ترقى بزمنها إلى أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، وأهمها قانون حمورابي، فضلا عن بعض الاشارات الخاصة بعلامة العبودية الواردة في النصوص المسمارية، ويجب التذكير بان قانون حمورابي لم يكن أقدم القوانين العراقية القديمة بل سبقته قوانين أخرى عرف منها حتى الآن ثلاثة، هي قانون الملك أور. نمو من القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد وقانون لبت عشتار من القرن التاسع عشر قبل الميلاد فضلا عن القوانين الآشورية، وجميعها مدون بالخط المسماري، أي انه وعلى مدى أربعة قرون شهد كل قرن منها ولادة قانون جديد للبلاد.

وتهدف الدراسة الى إثبات ماهية نوع علامة العبودية وكيفية ازالتها في العراق القديم، بالاستعانه بالنصوص المسمارية القانونية وبعض الاشارات النصية الاخرى. ومن

الجدير بالذكر أن النصوص الطبية لم تبين لنا بشكل واضح وصريح إجراء مثل تلك العمليات، لذلك فإننا مضطرون لان نحاكي النصوص القانونية وبعض الوثائق الخاصة بالعبيد، اذ انه من المفيد ذكره بهذا الخصوص أن تبنّي الأرقاء أو تحريرهم وعتقهم من ربقة العبودية، لا يصح معهم وهم في وضعهم الجديد بوصفهم أحرارا أو أشخاصا متبنون، عند بقاء علامة العبودية ظاهرة على اجسادهم، بل لابد من إزالتها، لان مسالة عتق سيد لعبده أو عتقه لغرض التبني، يقصد بها تغيير نوع العلاقة التي تربطهم معا وتحويلها من علاقة بين عبد وسيده إلى علاقة بين متبنى ومتبنيه، أي كالعلاقة بين الأب والابن الشرعي أو بين الأشخاص الأحرار.[٢]

والإشكالية المطروحة هنا والمعتمدة على أدلة الكتابات المسمارية بشكل عام والقانونية بشكل خاص، حول علامة العبودية التي كانت توضع على العبيد ومن ثم إثبات تغييرها (إزالتها) دون أن يبقى لها اثر دالٌ عليها وكأنها عملية ازالة علامة العبودية للعبد الذي وسم أو وشم بعلامة ما، عندها سيكون من الممكن أن يكون الطب العراقي القديم قد عرف عمليات لإزالة جروح او حروق قد وقعت اثر حوادث عارضة أو أثناء الحروب، تصيب الرجال والنساء على حد السواء أو بفعل تشوه خلقي، من الممكن طمسها أو محوها بإجراء عملية جراحية كالتي سنثبتها من خلال إزالة علامة العبودية التي لم تكن على ما اعتقد وبموجب الأدلة، قصة شعر معينة بل عبارة عن وسم أو وشم أو جرح مميز ظاهر للعيان تميز العبد أو الأمة عن غيره من عامة الناس.

وسياق البحث سينصب حول الكيفية التي يتم بها إزالة علامات مميزة من المرجّح أنها كانت توضع للدلالة على العبيد، وبشكل أدق يمكن أن نصطلح عليها تلك العمليات المعروفة في وقتنا الحاضر بالوشم أو الوسم، والأكثر شيوعا هو الوشم في أيامنا هذه على الأجساد الظاهرة وغير الظاهرة من البدن.

ويبقى استنتاجنا المتعلق بماهية علامة العبودية وكيفية إجراء عملية إزالتها، قيد التخمين حتى تكشف لنا الكتابات المسمارية مستقبلا بشكل قاطع ما يمكن أن يدل على استنتاجنا من خلال عناصر البحث ويدعم ما ذهبنا إليه.

أولا. قوانين العمليات الجراحية الطبية والمتعلقة بعلامة العبودية:

أن تسمية القوانين التي سيكون محور بحثنا عنها، مشتق من اللغة الاكدية بصيغة "دينُ" (dinu) أي "حُكمٌ" والتي تعني في الأصل قضية أو قرار وهي من المصدر الثلاثي للفعل"دانُ" (dânu) والذي يترجم منه اشتقاقا حَكَم،[٣] وربما قاضي، ومن المصدر نفسه اشتقت المفردات الاكدية الأخرى ذات العلاقة به مثل "ديان" (diyānu/dayānu) بمعنى قاضٍ ، و "بيت دين" (bīt dīni) أي قاعة المحكمة،[٤] وقد أشار الملك حمورابي صراحة إلى مصطلح القوانين في مقدمة قوانينه بقوله:"القوانين العادلة التي ثبتها حمورابي" وباللغة البابلية ما نصه: "دينّات ميشارم شا حمورابي أوكينم".[٥]

dināt mišarīm ša ḫammurabi ukinma

وفي اللغات الجزرية (السامية) الأخرى نجد نفس الفعل لفظا ومعنى، ففي الآرامية والسريانية "دان" وفي العبرية "دين" بكسر الدال، بمعنى حاكم،[٦] ويرادف الفعل الاكدي dināt في اللغة العربية "ديان" ومن الماضي والمضارع "دان . يدين"،[٧] والذي يحمل معنى مشابه لما اشتق منه بلفظ "ديّان" و"يوم الدين"، أي يوم القيامة حيث يقضي الله أمرا كان مفعولا. و"الدّيان" هو اسم من أسماء الله، واللفظ بهذا المعنى قريب من القاضي أو الحاكم المرتبط بالقضاء والقوانين المعتمدة عليه، أما لفظ الشرائع التي شاع استخدامها للدلالة على القوانين العراقية القديمة، فنرى أنها لا تنطبق على مصطلح القوانين التي أصدرها ملوك العراق القديم ومنهم حمورابي، لان

مصطلح الشرائع ومفردها شريعة في اللغة العربية تعني" كل ما سَنّ الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر"،[٨] والتعبير كما هو مفهوم وواضح من الشرائع السماوية وملتصق بالإرادة الإلاهية، ولا يتماشى مع ما يصدره الحكّام والملوك من قوانين.[٩]

لقد عرف الطبيب في اللغة السومرية باسم "آزو" (A.ZU) وتعني المعرفة عن طريق الماء أو "إيازو" (IA.ZU) وتعني المعرفة عن طريق الزيت، وأخذت اللغة الاكدية من اللغة السومرية الاسم "آسو" (asu) لتعني معرفة أسباب المرض عن طريق الماء أو الزيت.[١٠]

إن من أهم وأدق العمليات الجراحية في نظر الطب القديم والحديث هي الجراحة المتعلقة بالعيون، فمن القرن الثامن عشر قبل الميلاد وردتنا نصوص قانونية تتعلق بجراحة العيون فالمادة القانونية المرقمة "٢١٥" من قانون حمورابي (ينظر نص المادة بالخط المسماري) نقرأ فيها النص التالي:

šum_ma A . ZU a_wi_lum sí_im_ma_am kab_tam i_na " GÍR.NI UD.KA.BAR i_pu_uš_ma a_wi_lam ub_ta_al_li_it ù UD.KA.BAR (!)lu na_qab_ti a_wi_lim i_na GÍR.KAK ip_te_me i_in a_wi_lim ub_ta_al_li_it 10 GÍN.KU.BABBAR i_li_qi"[١١]

والترجمة: " إذا عمل طبيب جرحا عميقا لرجل بسكين برنزية وأنقذ الرجل ، أو فتح محجر (عين) الرجل بآلة برنزية ، وأنقذ عين الرجل، يستلم ١٠ شيقلات فضة".

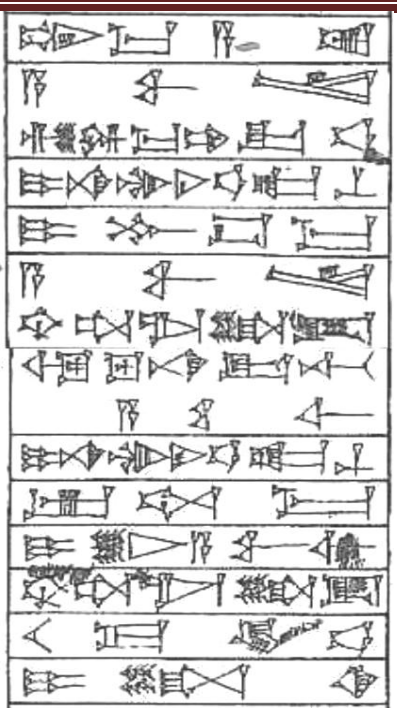

النص المسماري للمادة القانونية رقم ٢١٥، بتصرف من:

Richardson M E J (2008) A Comprehensive Grammar to Hammurabi's Stele, Gorgias Press Edition, new jersey, p.64. first

أردنا أن نمهد لموضوعنا الأساسي بهذا النص القانوني المتعلق بجراحة العين وذلك للدلالة على أن عمليات من هذا النوع والخطورة كانت معروفة في علم الجراحة للطب العراقي القديم. ثم نأتي إلى ما نستدل من خلال تناوله وعرضه بأنه محاولة أولية لازالة علامة العبودية، وحتى نثبت أن هناك علامات مميزة سواء بالوشم أو بالوسم بالنسبة للعبيد في العراق القديم، فانه من الجدير بالذكر إن النصوص القانونية وغير القانونية لم تذكر بدقة نوع العلامة التي تميز العبد عن غيره من الناس العاديين، والى حد كتابة هذا البحث لم ترد ادلة قاطعة تثبت نوع العلامة الخاصة بالعبيد، فكان السائد بين أوساط الباحثين والمتخصصين من العرب، واخص بالذكر

أستاذنا الجليل المرحوم فوزي رشيد وكتابه المعروف بالشرائع العراقية القديمة،[١٢] أو الأجانب من المختصين في دراسة النصوص القانونية ومن بينهم"درايفر و ميلز"(Driver & Miles)،[١٣] يعتقد جلّهم بان العلامة المميزة للعبد هي قصة شعر معينة، وقد استندوا في بيان ذلك على مادتين قانونيتين وردتا في قانون حمورابي وهما المواد رقم ٢٢٦ و ٢٢٧، والتي سنأتي على شرحهما لاحقا، (ينظر محتوى نص المادتين لاحقا).

I . علامة العبودية:

من الناحية اللغوية فان الكلمة الاكدية المتعلقة بعلامة العبودية هي "أبُتُم" (abuttum)،[١٤] والتي تعني فيما تعنيه من معاني عديدة أنها توضع كعلامة دالة على العبيد،[١٥] وقد ورد ذكرها لأول مرة في السلسلة القانونية المعروفة بـ "آنا اتيشو" (ana ittišu) والتي تترجم إلى "حين أو عند الطلب"، حيث وردت في اللوح السابع والذي يعرف بقانون العائلة السومرية،[١٦] ومصطلح العبودية الوارد في هذا النص التعليمي يتحدث بشكل سرد قصصي متقطع مبتدئا بالحديث عن شراء العبد والإجراءات المتبعة في ذلك، حيث ترد العبارات التالية:

" قصّ (المالك) شعره (شعر رأس العبد) ووضع عليه شارة العبودية،

باعه لقاء مبلغ من الفضة،

لم يسمع كلام سيده،

اختفى من بيت سيده،

أعيد بعد اختفائه،

وضعت عليه الأغلال والأصفاد،

هرب، قبض عليه، جرحه في وجهه،

دعّم شارة العبودية،

..... الخ من المصطلحات والعبارات".[١٧]

ثم تتوالى الاشارات حول ذكر علامة العبودية في "قانون اشنونا" و"قانون حمورابي"، وفي العديد من النصوص البابلية والآشورية، ويبدو أن "الابُتُم" كعلامة للعبودية تختلف في وضعها من حالة إلى أخرى،[١٨] وفي صيغتين هما:

١. تفرض على الفرد الحر وتنقله إلى حالة العبودية، ومن بين ذلك :

أ- الابن العاق الذي ينكر والديه أو الذي لا يطيعهما.

ب- الزوجة التي تنكر زوجها أو تخل بشروط عقد الزواج.

٢. تفرض على من هم عبيد في الأصل وبموجب ظروف معينة ومن بين ذلك:

أ- الأمة المتكبرة على سيدتها.

ب- العبيد المودعين على سبيل الأمانة عند شخص آخر.

ت- العبيد الذين لديهم ميل للهروب.

وعودة الى بدء علينا ان نبين ماذكرته النصوص القانونية حول الوسم او الوشم بشكل عام والادلة النصية عن نوع الابُتُم والتي أُفترض أنها علامة وشم أو وسم أو جرح مميز بشكل خاص ورد ذكرها في نصوص الكتابات المسمارية القانونية وغيرها.

II- ادلة علامة العبودية:

تشير النصوص القانونية وغير القانونية صراحة الى وجود علامات خاصة تعبر بشكل مادي على عائدية املاك الاشخاص سواء من العبيد او الحيوانات، وذلك في وضع علامة خاصة على الاجساد تخص مالك العبد او الامة او الحيوان الذي يملكه، ويمكن الاشارة اليها في عدة ادلة من بينها:

١- عرف العراقيون القدماء الوسم بالكي والمعروف حتى يومنا هذا بشكل واسع بالنسبة لقطعان الحيوانات لبيان عائديتها لأصحابها، وقد وردت الإشارة إلى مثل هكذا

علامات بالكي في قوانين حمورابي (ينظر النص المسماري للمادة رقم ٢٦٥) وخلاصة نص المادة وترجمتها الآتي:

" šum_ma SIBA ša ÁB.GAD.HÁ ú lu GANÁM.UDU.HÁ a_na ri_im in_na_ad_nu_šum ú_sa_ar_ri_ir ši_im_tam ut_ta_ak_ki_ir ú a_na KU.BABBAR it_ta_di_in ú_ka_an_nu_šu_ma A.RÁ_10_šu ša iš_ri_qú ÁB.GAD.HÁ ú GANAM.UDU.HA a_na be_li_šu_nu i_ri_a_ab".[١٩] (

وترجمة المادة : "إذا الراعي الذي أعطيت له ماشية أو غنم للرعي، غشّ أو غيّر (العلامة الموسومة بها ماشيته) أو باع بالفضة، يثبتون ذلك عليه ويعيد عشرة أمثال ما سرق من الماشية والغنم إلى صاحبها".

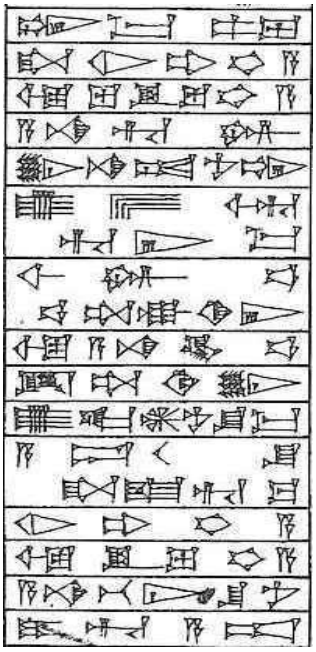

النص المسماري للمادة القانونية رقم ٢٦٥، بتصرف من: Richardson M E J, op.cit, p.72

عند دراسة عقود البيع والشراء الخاصة بالعبيد، نجد أن وضع علامة العبودية من خلال الوسم أو الوشم ليس بالأمر المطلق، بل يرجح انه يقتصر على العبيد الذين يحاولون الهرب أو الذين هربوا فعلا وتم إلقاء القبض عليهم، ويبدو أن مالك العبد الذي يرى أن عبده غير منضبط وبنيته الهرب يضع عليه علامة العبودية سواء بالوشم أو الوسم على الوجه أو اليدين او القدمين أو في أي بقعة ظاهرة من الجسم، وقد أثبتت لنا هذه الحالة المادة رقم ١٧ و ١٨ من قانون حمورابي ونصهما:

" إذا قبض رجل على عبد هارب أو امة هاربة في ارض زراعية وأرجعه إلى صاحبه، فعلى صاحب العبد أن يدفع له شيقلين من الفضة.

فإذا لم يذكر العبد (اسم) سيده، فعليه (أي الرجل الذي قبض عليه) أن يأخذه إلى القصر، ثم يتحرى عن هويته (داخل القصر) ويعيدوه إلى سيده".[٢٠]

" šumma awilum lu wardam lu amtam ḫalqam ina şerim işbatma "ana bilešu irtediaššu.

" šumma wardum šu belšu la izzakar ana ekallim ireddišu "warkassu ipparrasma ana belišu utarrušu".[٢١]

ومن خلال دراسة نص المادتين أعلاه يبدو واضحا أن وسم العبيد من قبل المالكين لهم يتم من خلال تثبيت شكل مميز لعلامة معينة يتم المصادقة عليها من قبل سلطة الدولة وهذا هو المقصود من عبارة "يتحرى عن هويته"، وبالتالي فان شكل العلامة معروف من قبل سلطة الدولة، إذ أن شكل العلامة يدل على ملكية العبد (وهذا الشكل يشابه إلى حد كبير التوقيع أو الختم المعروف في وقتنا الحالي).

كما يفهم من نص المادة القانونية أعلاه أن علامة العبودية لا توضع إلا على العبيد الميالين إلى الهرب، فيضطر مالك العبد بوضع علامات ظاهرية متعارف عليها تعمل

على تنبيه السلطات وإفراد المجتمع لمراقبة العبيد الحاملين لها بوصفهم ميالين للهرب وذلك لتساعدهم على التعرف عليهم بسهولة ثم إلقاء القبض عليهم.

وبالنتيجة يصح الاعتقاد بان هناك علامة مميزة تستحدث على جسم العبد إمّا بالكي أو بالوشم أو بالحز، يتم وضعها على أماكن مرئية من الجسم وبالأخص على أماكن الوجه والجبهة أو على اليدين أو القدمين، ومن المرجح عند ذلك أن يكون مصطلح " ابُتُم أو ابُتُّو" (abbuttu /abbuttum) يدل على وضع علامات مميزة وبأدوات ومواد متنوعة، وهذا ما أكدته النصوص السومرية والبابلية حيث يرد المصطلح مسبوقا بالعلامة الدالة على الجلد (uzu) مرة، أو مسبوقا بالعلامة الدالة على البرونز (urud) مرة أخرى،[٢٢] وقد تعزز ذلك من خلال العبارة الخاصة بعملية تثبيت علامة العبودية، ربما باستخدام أداة من البرونز أو من الجلد ، إذ يرد في النصوص السومرية والبابلية ما نصه وترجمته:

SUM GA.RA.AŠ MI.NI.DU.E // Bab ab_bu_ut_tum i_ša_ak_kan_šu

والتي تعني، "تثبيت (أو وضع) ابُتُم"[٢٣]، أي علامة العبودية.

وفي ضوء ما سبق علينا أن نفكر بالطريقة التي يمكن من خلالها إزالة مثل هكذا علامات من على الجلد او الجسد بشكل عام، من قبل متخصص، ولنتعرف على هوية الشخص الذي يقوم بعملية الازالة هذه.

ثانيا . أدلة إزالة علامة العبودية:

من خلال ما يرد في نص المواد القانونية المرقمة ٢٢٦ و ٢٢٧ من قانون حمورابي (ينظر النص المسماري للمادتين رقم ٢٢٦-٢٢٧) سيتبين لنا أن من يقوم بعملية إزالة علامة العبودية هو الحلاق، وذلك في الترجمات الخاصة بالمادتين المذكورتين، ونصهما وترجمتهما الآتي :

šum_ma ŠU.I ba_lum be_el ERU(M) ab_bu_ti ERU(M) la . "še_e_im ú_gal_li_ib ŠID.LAL ŠU.I šu_a_ti i_na_ak_ki_sú šum_ma a_wi_lum ŠU.I i_da_aṣ_ma ab_bu_ti ERU(M) la še_e_im ug_tá_al_li_ib a_wi_lam šu_a_ti i_du_uk_ku_šu_ma i_na KÁ_šu i_ha_al_la_lu_šu ŠU.I i_na i_du_ú la ú_gal_li_bu i_tam_ma_ma ú_ta_aš_šar".[٢٤]

والترجمة : "إذا أزال حلاق علامة عبد بحيث لا يعرف بلا (معرفة) صاحب العبد، يقطعون يد ذلك الحلاق.

إذا خدع رجل حلاقا وأزال علامة العبد بحيث لا يعرف، يقتلون ذلك الرجل ويعلقونه في بابه (و) يقسم الحلاق" لم احلق عن معرفة" ويخلى سبيله".

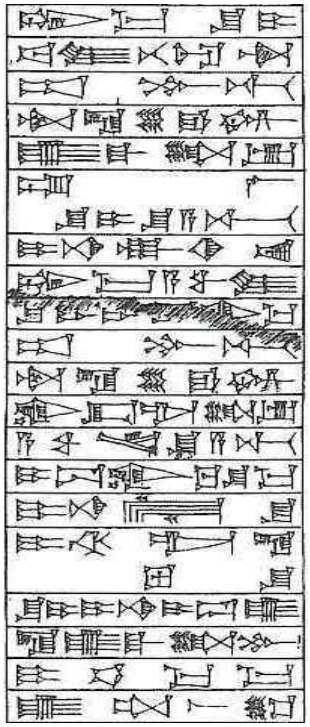

النص المسماري للمواد القانونية رقم 226 و المادة ٢٢٧، بتصرف من: Richardson M E J, op.cit, p.66.

كما لا حظنا أن من يقوم بعملية إزالة علامة العبودية هو الحلاق، وارجوا أن لا يتبادر إلى الذهن أن الحلاق قديما متخصص في قص الشعر وتزيينه فقط كما هو الحال اليوم، فقد كان يقوم والى وقت قريب من خمسينيات القرن الماضي في اغلب مدن العراق بأجراء عمليات صغرى لاسيما الختان والحجامة،[٢٥] وتعني جرح جزء من الجسم عادة ما يكون في الجبهة من الرأس أو الرقبة أو الظهر لإخراج الدم الفاسد، كما يقوم الحلاق بمداواة بعض الأمراض ويمتلك في حانوته أو حقيبته بعض الأدوية والمساحيق لاسيما الأعشاب الطبية.

ومن بين الأعمال والواجبات التي كانت تقع ضمن اختصاص الحلاق في العراق القديم، وضع علامة العبودية وإزالتها، وهذا العملية تؤكد التقارب الشديد بين مهنته ومهنة الطبيب الجراح ، ومن الجدير بالذكر ان ترتيب المواد القانونية في قانون حمورابي الشهير يضع الفقرات القانونية الخاصة بالحلاقين مباشرة بعد المواد القانونية الخاصة بالطبيب الجراح والطبيب البيطري، كما ان النصوص المسمارية المعجمية الخاصة بالاسماء والاعلام قد رتبت بحيث جاء اسم الحلاق بعد اسم الطبيب، علما وان ترتيب هذه الاسماء في السياقات المعجمية يخضع للتقارب بين التخصصات.[٢٦]

وعودة إلى بدء فان اغلب من ترجم المواد القانونية أعلاه . كما ذكرنا . قد أشار إلى أن الحلاق هو الذي أزال علامة العبودية، وهذا أمر بديهي وواضح من خلال ترجمة العلامات الدالة على الحلاق باللغة السومرية " ŠU.I" وباللغة البابلية "gallābu"،[٢٧] بيد أن الشيء الملفت للنظر هو تخصيص قَصة معينة للشعر بوصفها هي علامة العبودية على اعتبار أن الفاعل هو الحلاق الوارد صفته في المواد القانونية السابقة الذكر.

بيد أنه من المرجّح أن علامة العبودية ليست عبارة عن قصة شعر، لان الإشارات الواردة في النصوص الأخرى وفي مواد قانونية بابلية لا تدع مجالا للشك لارتباط

علامة العبودية بشيء ابعد ما يكون إلى قصة الشعر، بل تجعلنا نميل الى أن تغيير علامة العبودية يتم من خلال إجراء عملية جراحية وليس قصة شعر، أطلقنا عليها مجازا عملية جراحية، لاسيما إذا عرفنا وان تلك العمليات تمت قبل حوالي أربعة آلاف عام، وندعم ما ذهبنا إليه بالاتي:

I- إذا كانت علامة العبودية مجرد قصة شعر فليس من الصعب أن يقوم العبد الهارب بالذهاب إلى أي شخص آخر ليقص خصلة شعر رأسه أو حتى أن يقوم هو بنفسه بقصها، وربما لا يضطر إذا نوى الهرب أن يذهب إلى الحلاق أصلا فعليه وببساطة أن يغطي شعر رأسه بوضع خطاء عليه دون الحاجة إلى قصه وبالتالي يمكنه أن يخفي علامة العبودية التي يقترح البعض بأنها قصة شعر أو خصلة مميزة من الشعر.[٢٨]

وإذا كان ما قام به الحلاق مجرد تغيير قصة شعر الرأس فهذا لا يدعو أن تدرج مادة قانونية بذلك، بل إن المادة القانونية عاقبت الحلاق لأنه قام بإزالة وشم ملكية العبد والعقوبة كما رئينا قاسية بحق الحلاق (قطع اليد)، لأنه أزال علامة العبودية، وفي المحصلة فانه قام بعملية مكنت العبد من الفرار بعد أن تخلص من علامة العبودية التي يعرف بها العبيد عادة، وربما لهذا السبب تشير النصوص في عصور متقدمة إلى وشم العبد بعلامة لا تمحى كان تكون في الجسم تماما مثلما يفعل أصحاب المواشي بماشيتهم ليتعرفوا عليها.[٢٩]

وعندما يقوم الحلاق باجراء عملية جراحية بدل الطبيب، فانه ليس بالأمر الغريب، فغالبا ما يفعل الحلاق شيء مشابها لعمله هذا، وقد مارس فعلا الحلاقون مهنة الطب وخاصة طب الأسنان زمنا طويلا في أوربا، كما تذكرنا أدواة الحلاق البغدادي قبل نصف قرن بمثل هكذا أعمال تقع على عاتقه.[٣٠]

II. مما يدل على أن عملية إزالة علامة العبودية هي إجراء جراحي طبي هو أن فعل إزالة العلامة في المادتين المذكورتين في قانون حمورابي جاءت متسلسلة مع المواد القانونية المتعلقة بالشؤون الطبية وليس لها علاقة بشؤون العبيد وقص شعرهم ، فكما هو معروف فان قانون حمورابي مقسم إلى مواد تتوالى حسب موضوعات محددة يصل عددها إلى أكثر من ٢٨٢ مادة قانونية فالطب والطب البيطري والعمليات الجراحية جاءت متسلسلة من المادة رقم ٢١٥ إلى المادة رقم ٢٢٥ وتأتي بعدها مباشرة المواد السابقة الذكر مباشرة والتي تحمل الرقم ٢٢٦ و ٢٢٧، أي أن كلا المادتين مكملة لشؤون الطب والعمليات الجراحية، بينما خصص القانون المذكور للعبيد وشؤونهم مواد متسلسلة تبدأ بالمادة رقم ٢٧٨ وتنتهي بالمادة رقم ٢٨٢.[٣١]

III . إن تأكيد وسم العبيد بإحداث علامة مميزة على الجسم كالوسم أو الوشم، مما يتطلب إزالتها عملية جراحية، أثبتتها لنا المادة رقم ٥٢ من قانون دوّن باللغة البابلية يسبق قانون حمورابي بحوالي نصف قرن أو أكثر من الزمن وهو القانون المعروف بقانون"أشنونا" (Eshnunna)،[٣٢] ومن خلال قراءة نص المادة القانونية (ينظر قراءة وترجمة نص المادة رقم ٥٢) وترجمتها يتضح أن هناك قيود وأغلال وعلامة عبودية توضع على العبد أو الأمة في حال دخولهم بوابة المدينة، عبارة عن وسم يعرفون به طوال فترة عبوديتهم، ومحتوى النص وترجمته الآتي:

" ERÌ ù GÉME ša it_ti DUMU ši_ip_ri_im na_aṣ_ru_ma KÁ.GAL eš_nun_na[ki] i_te_er_ba_am ka_an_nam maš_ka_nam ù ab_bu_tam iš_ša_ka_an_ma a_na be_lí_šu na_sir".[٣٣]

" يوسم العبد أو الأمة الذي في عهدة مبعوث ودخل بوابة اشنونا بالقيود (كَنم) أو الأغلال (مَشكَنم) أو علامة العبودية (ابُتُم) ويحافظ عليه لصاحبه".

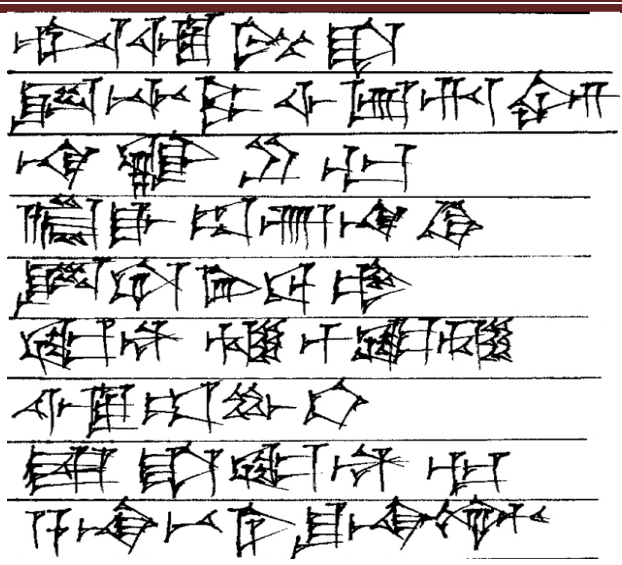

النص المسماري للمادة القانونية رقم ٥٢ من قانون اشنونا، وقد قام الباحث برسم العلامات المسمارية للنص المقروء من قبل :عامر سليمان، (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص ٨٥.

وعندما ندقق في الأفعال الواردة في النص أعلاه نجد المعنى اللغوي مترابط بين الفعل "naṣrum" وهو من المصدر"eṣeru"بمعنى يرسم أو ينقش أو يخط، وكلها معاني تفيد للدلالة على الوشم أو الوسم، والمرتبط بالمصطلح المعروف لدينا بـ"ابُتُم" (abuttum) والذي يعني في هذه الحالة نقش أو رسم علامة العبودية.[٣٤]

وتضيف لنا مادة قانونية معلومة اخرى وردت في نص قانوني من العصر البابلي القديم تعرف بمجموعة النصوص المعجمية[٣٥]، (مادة رقم١) سميت بـ "آنا اتيشو" (ana ittišu)، والتي كانت معدة أصلا لتعليم الكتبة بالخط المسماري واللغة السومرية والاكدية، وهي مقتبسة من مواد قانونية كانت معروفة لديهم على ما يبدو(ينظر النص المسماري للمادة)، ونص المادة القانونية وترجمتها الآتي:

" šum_ma ma_ru a_na a_bi_šú ul a_bi at_ta _am(!)] ù a[ab_šu ab_bu_ut_tum i_ša_ak_kán_šú]la_[ù_gal_ ."KU.BABBAR i_nam_din_šu [٣٦]

" إذا قال ابن لأبيه أنت لست أبي، يحلقه (أي الأب)، ويضع علامة العبد عليه ويعطيه بالفضة".[٣٧]

المادة القانونية رقم ١ من مواد قانونية بابلية سميت بـ "آنا اتيشو" (ana ittišu) ، وقد قام الباحث برسم العلامات المسمارية للنص المقروء من قبل: عامر سليمان، (٢٠٠٢) ، مرجع سابق، ص ٢١١.

يفهم من خلال دراسة المادة القانونية أعلاه أن هناك فرق بين حلاقة الشعر ووضع علامة العبودية بدليل أن النص يعاقب الابن الذي لايعترف بأبوة والده بان يقوم الأب بحلاقة شعر ابنه ثم يضع عليه علامة العبودية، أي أن هناك رمزيتان في العقوبة،

ويمكن التأكد من ذلك من خلال ارتباط مصطلح "ابُتُم" مع مصطلح الحلاقة في النصوص اللغوية، حيث يرد المصطلح "گلابو" أو "قلابو" (gullubu)،[٣٨] . ربما إشارة إلى من يقوم بوضع علامة العبودية أو إزالتها . وهو الحلاق الذي يقلب الرأس وكذا الشعر. وللعودة إلى نفس النص فانه على ما يبدو إن إنكار الابن لأبيه الذي لم يولد من صلبه أي الابن المتبنى بقوله "أنت لست أبي" ولأمه التي ربته وأنشأته وأحسنت تربيته "أنت لست أمي"، يؤدي ذلك الى عقاب يتمثل بحلق الشعر كعقوبة مؤقتة، تتمثل بحلق الشعر، وبالتالي سيطول الشعر حتما مع مرور الوقت، ثم تعقب عملية الحلق مباشرة عقوبة طويلة الأمد عندما يوصم بعلامة العبودية،[٣٩] إلا إذا قام الحلاق بإجراء عملية إزالة للعقوبة الطويلة الامد والمتمثلة بعلامة على الجسم كعلامة للعبودية، عندها يكون ذلك الحلاق جراحا ماهرا سيجرى عملية لذلك الابن المتبنى عندما يعود لرشده ويحترم متبنيه من الأب والأم.

IV . علامة العبودية كوشم أو وسم على القدمين واليدين:. بعيدا عن حلاقة الشعر تثبت لنا نصوص متأخرة من العصر البابلي الحديث، أن علامة العبودية توضع على القدم أو الرسغ، يبدو واضحا أن وضع علامة العبودية "ابُتُم" (abuttum) لم تكن قصة شعر بل علامة ظاهرة على القدم أو اليد، فقد جاء في نص من"نوزي" (اسم مدينة أثرية على بعد ١٢ كلم جنوب مدينة كركوك شمال العراق) يتناول موضوعه وصية أب بتركته لأولاده وزوجته ، وترد في الوصية عبارات تهديد إلى الأولاد في حالة إنكارهم لنصيب أمهم من الميراث وعدم تطبيقهم لنص الوصية،(ينظر نص الوصية بالخط المسماري) ومما يفيدنا في النص ذكره لوضع علامة العبودية "ابُتُم" (abuttum) على قدم من لا ينفذ الوصية، والنص والترجمة كالآتي:

i_na_ad_din ab_bu_ta_šu_nu [……]I_na bit[it] nu "
I_na šépi_šu_nu i_na_an_di_nu ú šu_ú [U]ú_maš_šar_šu
qi_ir_bā_na la i_he_ip_pé". (٤٠)

"في جناح الخدم سيرمى وستوضع علامة العبودية على قدمه، (إلا أن) علاقته بالعائلة لن تنتهي"
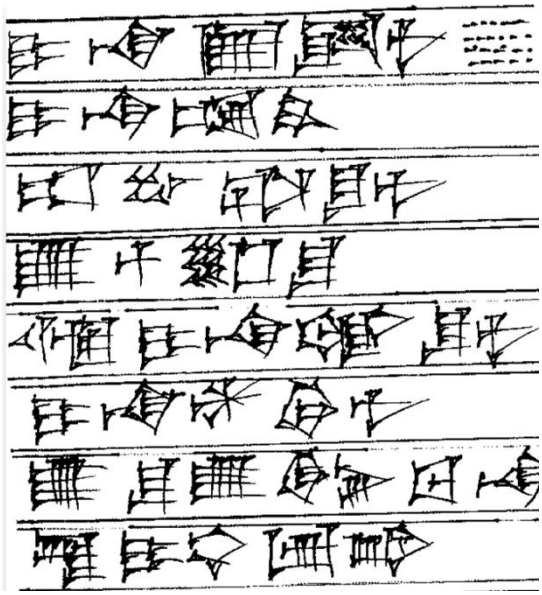
جزء من نص الوصية التي تعاقب من يخالف تنفيذها بوضع علامة العبودية على قدمه، وقد قام الباحث برسم العلامات المسمارية للنص المقروء من قبل : صالح حسين الرويح، مرجع سابق ، ص١٢٤.

يبدو واضحا من النص أن علامة العبودية كانت توضع على الأقل من خلال هذا النص الصريح على القدم "šépi " والتي يقابلها باللغة السومرية "GÌR"وتعني قدم أو رِجل.(٤١) وعند هذا المعنى تكون علامة العبودية عبارة عن وسم أو وشم مميز، مما يستوجب فيما لو تمكن الشخص الذي وضعت عليه العلامة من إزالتها أن يتدخل

الحلاق لإجراء عملية جراحية لإزالة علامة العبودية ، لان الحلاق هو الشخصية المسؤولة قانونيا عن مثل هذه العمليات.(٤٢)

وقد توضع علامة العبودية على اليد دون القدم، ومن ذلك نقرأ في نص من العصر البابلي الحديث عن وسمم بعلامة العبودية، والنص صريح وواضح في انه لم يذكر الوسم فقط، بل أشار إلى شكل الوسم والمتمثل في علامة النجمة، التي وسمت بها الأمة المهداة إلى معبد مكرس لأحد الآلهة ، فيقوم الشخص المتخصص بوضع علامة العبودية المتمثلة بشكل نجمة على يد الأمة (ينظر النص المسماري لوضع السمة) وقراءة النص وترجمته كالآتي:

" Kak_kab_ti ú
ar_ra_a_ti i_na
[ni] eli ^{šir}rit_ti_šu it_ta_di_ ".[٤٣]

وترجمة النص: " وضع سمة النجمة على يد (رسغ) الأمة"

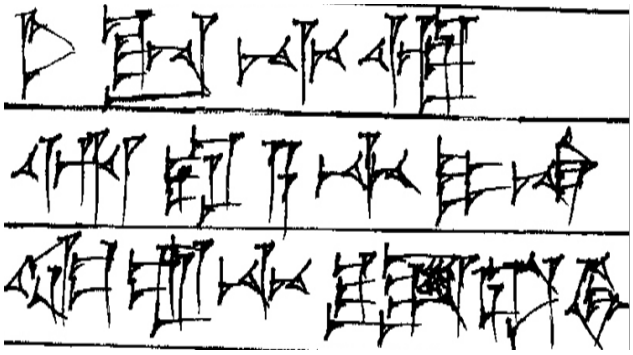

النص المسماري من العصر البابلي الحديث يبين وضع سمة العبودية وشكلها المتمثل بالنجمة على يد الأمة، وقد قام الباحث برسم العلامات المسمارية للنص المقروء من قبل : صالح حسين الرويح، مرجع سابق ، ص١٢٥.

ومن خلال النص اعلاه يفهم بشكل واضح أن السمة (Kak_kab_ti) كانت عبارة عن نجمة (ar_ra_a_ti) وضعت على رسغ (^{šir}rit_ti_šu) الأمة، فأصبحت بذلك عبدة تابعة للمعبد الذي أهديت له. وإذا ما قدر وان أصبحت هذه الأمة حرة، فما عليها إلا أن تسعى إلى طبيب مختص (حلاّق) ليسعفها بإزالة علامة النجمة التي وضعت على رسغها.

ويجرنا نص الأمة السالف الذكر إلى مسالة أخيرة تتعلق بعدم التوافق مع من يذهب بالقول ان علامة العبودية هي قصة شعر،وذلك من خلال الإشارة إلى نوع لعلامة مميزة على القدم أو اليد أو الوجه أو في أي مكان ظاهر للعيان، ولو دققنا النظر بشكل حول نوع علامة العبودية لقص الشعر، فلربما يصح القول مع العبيد من الذكور، بينما لا يصح الأمر بتاتا مع الإماء في حلق شعر رأسهم كعلامة للعبودية، لان في ذلك تشويه لشكلها ومنظرها، فأكثر الإماء فضلا عن عملهم وخدمتهم لأسيادهم يكونون مرتعا للاستبضاع من قبل أسيادهم، وبالتالي لا يمكن أن يكون السيد راغبا بمعاشرة أمته من دون زينة شعرها، فيفضل عند إذن أن يضع الوشم على يديها أو قدمها أفضل من أن يقص شعر رأسها، ودليل ذلك نجده في حالة معاقبة الأمة التي تقصر مع سيدها أو سيدتها، فان عقوبتها تكون بجز شعر رأسها ثم بيعها، ففي إحدى الوثائق التي تعود إلى السنة الثانية عشر من حكم الملك حمورابي، نجد أن زوجا اشترى امة تدعى "شمش نوزي" من والدها وقد تزوجها السيد الذي اشتراها ويدعى"بونيني أبي" لتكون امة لزوجته الأصلية والتي تدعى"بليسونو"، وكتب في نص عقد الشراء، إذا ما قالت الأمة يوما ما للزوجة "أنت لست سيدتي"، يجز شعر رأسها وتباع في سوق النخاسة،(٤٤) وبذلك يشوه منظرها فلا يقبل احد شرائها إلا بعد مدة ليطول شعر رأسها، عندها نتبين أن علامة العبودية لا يمكن في هذه الحالة أن تكون قصة شعر تشوه منظر الأمة. بينما في المقابل لم يتردد المشرع القانوني بقص شعر

العبد الذكر المخالف والذي لا يستجيب لسيده، بل ويصل الأمر أحيانا إلى أن تصلم أذنه، كما ورد ذلك في المادة رقم ٢٨٢ من قانون حمورابي والتي تنص على الآتي:

" šumma wardum ana belišu ul beli atta iqtabi kima warassu ukanšuma belšu uzunšu inakkis".[٤٥]

" إذا قال عبد لسيده أنت لست سيدي، وثبت انه عبده، فعلى سيده أن يقطع أذنه".[٤٦]

النص المسماري للمادة القانونية رقم 282، بتصرف من: Richardson M E J, op.cit, p74.

ومن الاشارات الوارده اعلاه تأكد لنا وجود علامة مميزة مخصصة للدلالة على الشخص الذي يوسم بالعبد او الامة، على الرغم من اختلاف نوع وموضع هذه العلامة بالنسبة للعبد الذكر أو الانثى.

الخاتمة والإستنتاج:

الإشكالية التي حاولنا الإجابة عليها من خلال الملاحظات التي طرحناها حول علامة العبودية، بينت لنا أن تخصيص نوع معين من العلامات وفي أماكن محددة من الجسم للعبيد لم يثبت قطعيا، بينما ثبت لدينا أن علامة العبودية لم تكن قصة شعر مميزة أو ما شاكل ذلك، وفي تحديدنا لشخصية من يقوم بإزالة تلك العلامة التي كانت لا تتعدى كونها وشما أو وسما ظاهرا على البدن على اختلاف الأماكن سواء بالنسبة للإماء أم الذكور من العبيد، كان يمتهن هذا العمل الحلاق باعتباره من يقوم بمثل هذه العمليات، ثم بدلالة المادة رقم ٢٢٦ و٢٢٧ والتي أشارت بصريح العبارة إلى أن الحلاق هو الذي يقوم بإزالة علامة العبودية، وقد افترضنا أن الحلاق في ذلك العمل يقوم بلعب دور الطبيب، على الرغم من عدم ورود أي إشارة إلى حد الآن تشير إلى قيام الطبيب بإجراء مثل هكذا عمليات لإزالة علامة العبودية، علما وان الطبيب كان يقوم بعمليات اخطر واكبر من هذه لاسيما في محجر العين، وهذا يجعلنا نرجح أن عملية ازالة علامة العبودية لم تكن من اختصاص الطبيب بل من اختصاص الحلاق، والدليل على ذلك وارد في نص المواد القانونية المشار اليها في البحث، فالنصوص لم تشر إلى صيغة التعميم في عملية إزالة علامة العبودية كما هي العادة في اغلب المواد القانونية التي تبدأ بعبارة "šum_ma a_wi_lum" بمعنى اذا رجل، بل حددت الحلاق بالقول "šum_ma ŠU.I" أي "إذا حلاق"، وبذلك خصص المشرّع للحلاق هذه المادة واعتبره مسؤولا عن إزالة علامة العبودية بعملية جراحية قد تكون اقرب إلى عمليات التجميل، بيد أنها أولية مع الأخذ بنظر الاعتبار عامل الظرف والمظروف، واخذ التطورات التي طرأت على المهنة بشكل أكثر قبولا، فيما لو اعتبرنا أن محاولة بحثنا هذه بمثابة لفت الانتباه إلى جانب مهم من جوانب التقدم العلمي والطبي بشكل خاص في الفكر العراقي القديم والتي وصلتنا

من خلال الكتابات المسمارية التي لولاها لما عرفنا الشيء الكثير عن اغلب العلوم والمعارف الإنسانية.

الهوامش والاحالات:

[1]- عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم ـ موجز التاريخ الحضاري، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٩٣، ص١٨١ وما بعدها.

[2]- هورست كلينكل، حمورابي البابلي وعصره،تعريب محمد وحيد خياطة، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، ط١،دمشق،١٩٩٠،ص٢٢٧.

[3] - René Labat, Manuel D'épigraphie Akkadienne, société Nouvelle librairie orientaliste ,Paris, 2002, no.12,457, p.47,205.

[4]- عامر سليمان وآخرون، المعجم الاكدي ـ معجم اللغة الاكدية (البابلية والآشورية) باللغة العربية والحرف العربي، الجزء الأول أ ـ د ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٩٩، ص٢١٦.

[5]-عامر سليمان، نماذج من الكتابات المسمارية ـ النصوص القانونية، ج١، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٢، ص١٧.

[6] - Brown F and others, Hebrew and English Lexicon of the old Testament, Oxford 1972, p.192

[7]– إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة،١٩٧٢، ط٢، ص٣٣٠.

[8]- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، الجزء العاشر، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص ٤٠ وما بعدها.

[9]- عامر سليمان وآخرون ، مرجع سابق ، ص٢٧.

[10] -Driver G.R , and Miles J.C The Babylonian Laws, Oxford, 1955, vol.1, p.416.

[11] - Richardson M E J, A Comprehensive Grammar to Hammurabi's Stele, Gorgias Press Edition, New Jersey, 2008, p.65. first

[12]- فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة،دار الرشيد للنشر، ط٢، بغداد ،١٩٧٩.

[13] - -Driver G.R , and Miles J.C The Babylonian Laws, Oxford,1952& 1955, two vols.

[14] - René Labat, op.cit,p.153,no.333.

[15] - Jeremy B and other, A Concise Dictionary of Akkadian,(= CDA) , Wiesbaden, 1999,p.2b.

[16]- عامر سليمان، (٢٠٠٢)، مرجع سابق ، ص ٢١١.

[17]- هورست كلينكل، مرجع سابق، ص٢٤٦.

[18]- لمزيد من المعلومات حول طبيعة الأبُتُم وارتباطها بالعبيد يمكن مراجعة: صالح حسين الرويح، العبيد في العراق القديم، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الآثار ـ كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٧٦، ص ١١١ وما بعدها.

[19] - عامر سليمان، (٢٠٠٢)، مرجع سابق ، ص ٢١١.

[20]- فوزي رشيد ، مرجع سابق، ص١٢٢.

[21]- Richardson M E J, op.cit, p.23

[22]- صالح حسين الرويح، مرجع سابق ، ص ١١٤.

[23] - Driver G.R , and Miles J.C, part B, Op .Cit, p.308.

[24]- عامر سليمان، (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص١٨٥.

[25]- عزيز جاسم الحجية، بغداديات ـ تصوير للحياة الاجتماعية والعادات البغدادية خلال مائة عام، وزارة الثقافة والإرشاد، السلسلة الثقافية، بغداد،١٩٦٧، ص٦٥،٤٧. ومن الجدير بالذكر ان

السكان المحليين في بعض الدول العربية ومنها تونس على سبيل المثال يطلقون على الحلاق اسم الحجّام، وعلى الحلاقة مصطلح الحجامة.

[26] - The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, Chicago, 1956- ff , (=CAD),G. (gallabu) "گلابو" انظر تحت كلمة

[27] - René Labat, op.cit,p.163,no.353.

[28] - CAD, vol.1, A, p.49-50

[٢٩] - هورست كلينكل، مرجع سابق، ص٢٣٨.

[٣٠]- رضا جواد الهاشمي، الأطباء والحلاقون في العراق القديم دورهم ومكانتهم، مجلة سومر، المجلد ٥١، ٢٠٠١-٢٠٠٢، بغداد ،ص١٩٨.

[٣١]- عامر سليمان، القانون في العراق القديم ، الموصل ، ١٩٧٧، ص٢٢٥-٢٢٨.

[٣٢]- Albrecht G,The Law of Eshnunna Discovered at tell Harmal, SUMER, vol.4, 1948, pp.63-102.

[٣٣]- عامر سليمان، (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص ٨٥.

[34] - CDA , op.cit, p.81b.

[٣٥]- كشفت الألواح المسمارية في بلاد الرافدين عن العديد من النصوص المعجمية باللغتين السومرية والاكدية على شكل حقلين، كتب الأول منهما إلى اليسار النص باللغة السومرية في حين كتب نفس النص في الجانب الأيمن باللغة الاكدية، انظر: عامر سليمان، المعاجم اللغوية من مظاهر أصالة حضارة بلاد الرافدين ، مجلة المجمع العلمي العراقي، ٢/٤٤،بغداد،١٩٩٧،ص٣٣٩-٣٥٦.

[٣٦]- عامر سليمان، (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص ٢١١.

[٣٧]- فوزي رشيد ، مرجع سابق، ص ١٧٥.

[38] - CDA, op.cit, p.2b.

[٣٩]- هورست كلينكل، مرجع سابق، ص٢٢٨

[٤٠]- صالح حسين الرويح، مرجع سابق ، ص ١٢٤

[41] - René Labat, op.cit,p.199,no.444.

[٤٢]- رضا جواد الهاشمي، مصدر سابق ، ص ١٩٧.

[٤٣]- صالح حسين الرويح، مرجع سابق ، ص١٢٤-١٢٥.

[٤٤]- هورست كلينكل، مرجع سابق، ص٢٤٤.

[45] - Richardson M E J, op.cit, p.75.

[٤٦]- فوزي رشيد، مرجع سابق،ص١٦٦.

المصادر والمراجع :

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢ .
- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، الجزء العاشر، دار صادر ، بيروت ، د.ت.
- رضا جواد الهاشمي، الأطباء والحلاقون في العراق القديم دورهم ومكانتهم، مجلة سومر، المجلد ٥١.
- صالح حسين الرويح، العبيد في العراق القديم، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الآثار ـ جامعة بغداد، ١٩٧٦.
- عامر سليمان وآخرون ، المعجم الاكدي ـ معجم اللغة الاكدية (البابلية والآشورية) باللغة العربية والحرف العربي، الجزء الأول أ ـ د ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٩٩.
- عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم ـ موجز التاريخ الحضاري، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٩٣.

- عامر سليمان، القانون في العراق القديم ، الموصل،١٩٧٧.
- عامر سليمان، نماذج من الكتابات المسمارية . النصوص القانونية، الجزء الأول، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠٢.
- عزيز جاسم الحجية، بغداديات ـ تصوير للحياة الاجتماعية والعادات البغدادية خلال مائة عام، وزارة الثقافة والإرشاد، السلسلة الثقافية، بغداد،١٩٦٧.
- فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة،دار الرشيد للنشر، ط٢، بغداد ،١٩٧٩.
- هورست كلينكل، حمورابي البابلي وعصره، تعريب محمد وحيد خياطة، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، ط١، دمشق،١٩٩٠.-
- Brown F and Others, Hebrew and English Lexicon of the old Testament, Oxford, 1972.
- Driver G R , and Miles J C, The Babylonian Laws, Oxford,(1952&1955),Two Vols.
- Jeremy B and Others A Concise Dictionary of Akkadian ,Wiesbaden, (1999).
- René Labat, Manuel D'épigraphie Akkadienne, société Nouvelle librairie orientaliste, Paris, 2002.
- Richardson M E J, A Comprehensive Grammar to Hammurabi's Stele, first Gorgias Press Edition, new jersey, 2008.
- The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, Chicago, 1956- ff.

Abstract:

The discussion point that shown in the research and based on cuneiform evidence in law, in particular, focus on the slavery mark , which was placed on the slaves and then removed without any effect like surgery for beauty for those who was marked or tattooed Then it would be possible that the ancient Iraqi medicine had known processes to remove wounds or burns effects which occurred by accidents or casual during the wars to both men and women, or by a congenital malformation, that is possible erased by such operation a slavery mark what I thought and as shown in the evidence, a special haircut but marking or tattoo or visibly injured distinguish a slave from others.

Our knowledge of medicine and special operations Enhanced by exercise mark the medical jobs through the study of some law materials, where laws of ancient Iraqi among the most important sources that took in its consider the medical profession, for example the famous laws of King Hammurabi (1792 -1750 B.C), which considered the oldest laws indicated clearly to the laws of the medical profession till now and those laws which are more than 282 law material, material numbered from 215 to 227 for Medical Sciences.

المربية (في ضوء نص مسماري غير منشور من العصر الاكدي)

أ.د . باسمة جليل عبد

جامعة بغداد – كلية الاداب –قسم الاثار

المربية (في ضوء نص مسماري غير منشور من العصر الاكدي)

أ.د . باسمة جليل عبد

المقدمة

كان بيع الاطفال في بلاد الرافدين من الامور التي تكاد ان تكون طبيعية ، فقد يلجا الابوين الى بيع اطفالهم لاسباب اقتصادية تتعلق بالعوز والفقراو لاسباب طبيعية كالكوارث والفيضانات التي تؤدي الى قلة المواد الغذائية وبالتالي الى ارتفاع أسعارها مما يسبب ازمة اقتصادية تضغط على الناس الفقراء وتضطرهم الى بيع اطفالهم ،او اعطاء ابنائهم الى التربية لغرض تعليمهم حرفة معينة او لعتق اطفالهم من العبودية هذا بالنسبة الى الاماء.

وقد كانت اسعارهؤلاء الاطفال تتراوح ما بين ٥ ال ٢١ شيقل من الفضة وان الجهات التي تقوم بشرائهم هي المعابد والمتنفذين لغرض الاستفادة منهم فيما بعد كأيدي عاملة سواء بالاعمال الزراعية او الحرف والصناعات الاخرى.وهناك من يلجأ الى ترك اطفالهم في الشارع وربما كانت المعابد ايضا مكانا ملائما لترك الاطفال عند مداخلها لانهم اولاد غير شرعيين فكانت الامهات يحاولن التخلص منهم بأية طريقة خوفا من الفضيحة والعار وربما القتل لاسيما الكاهنات اللواتي لايسمح لهن الانجاب . ومن الطبيعي عندما يقوم المعبد او اي جهة اخرى بشراء عدد من الاطفال او العثور عليهم مرميين فلابد من ان يكون هناك مرضعات ومربيات للاعتناء بهم .

التسمية

وردت تسمية المربية لاول مرة في عصر سلالة اور الثالثة بالصيغة UM.ME.DA[١] والتي هي بالاصل Ì.AMA.DA ومعناها الحرفي ***مع/بغاية الام***[٢] وقد فرق في هذا العصر المربية عن **المرضعة** والتي وردت بالصيغة : UM.ME.GA.LÁ/EMÉDA.Ga.LÁ[3]

والتي معناها ***أم الحليب*** لان GA يعني حليب والذي يقابله بالاكدية šizbu [٤]

وفي العصر البابلي القديم فقد وردت المربية بالصيغة taritu من الاصل taru [٥] التي تقابل الصيغة السومرية UM.ME.DA . كما وردت بالصيغة murabitu[٦] وهي مطابقة للكلمة العربية والمشتقة من المصدر rabu بمعنى يربي او يكبر[٧] ولم تقتصر هذه المهنة في هذا العصر على النساء وانما اصبحوا الرجال كذلك يشغلون هذه المهنة ايضا فقد وردت هذه المهنة بالصيغة murabi مربي[٨].

وفي العصر الاشوري الوسيط والحديث بقي استخدام ما كان مستخدم في العصر البابلي القديم بالاضافة الى كلمة murabbianu الذي يترجم في المعاجم المسمارية المربي[٩] لكننا نعتقد انها جمع بمعنى مربيون.

اما في العصور السابقة ونقصد العصر الاكدي وربما حتى عصر فجر السلالات وجود تربية الاطفال موجودة ولكنها كمهنة مستقلة ربما لم تكن موجودة اي ان التي تقوم بالتربية في هذه العصور هي GÉME ألامة (وهذا ما وجدناه في نص الذي سنعرضه ادناه) حالها حال كثير من المهن التي تقوم بها الامة مثل:

géme uš-bar	النساجة
géme àr-ra	الطحانة
géme é-lunga	عاملة الحانة
géme kar-kíd	البغي
géme kíkkin	عاملة معجنات[١٠]

ويتضح هنا بأن ال géme اصبحت لاتعني فقط أمة(عبدة) وانما تعطي معنى عاملة أذ اصبحت توازي كلمة guruš فنجد في النصوص مثلا guruš 4 و 3géme وتعني ٤عمال و٣ عاملات.(١١)

المربيات في المواد القانونية

غالبا ما ارتبطت التربية بالرضاعة والتبني،فقد كان من التقاليد المعروفة في العصور العراقية القديمة ان يسلم الرضيع الى مرضعة ممتهنة التي وردت باللغة السومرية UM.ME.GA ويقابلها بالاكدية mušeniqtum من المصدر enequ بمعنى يرضع مقابل أجرة معينة تتضمن كمية معينة من المواد الغذائية الاساسية ،فقد كانت الدوافع خلف تسليم الاطفال حديثي الولادة الى المرضعة للرضاعة والتربية كثيرة منها وفاة الام او مرضها او عدم استطاعتها ارضاع الطفل لقلة الحليب او انعدامه لديها،مما قد يؤدي في بعض الاحيان الى تبني الطفل عندما لم تتمكن الام من دفع التكاليف او اذا كان الطفل لقيطا.(١٢)

ان السبب الرئيس وراء ترك الاطفال في الشارع او عند مداخل المعابد ،هو انهم كانوا اولاد غير شرعيين فكانت الامهات يحاولن التخلص منهم بأية طريقة خوفا من الفضيحة والعار وربما القتل اذ كانت من الكاهنات اللواتي لايسمح لهن الانجاب(١٣) وهذا مانجده واضحا في قصة الملك سرجون الاكدي عندما وضعته والدته التي كانت كاهنة عليا في سلة ورمته في النهر وخذه بستاني ورباه .

وقد اشارت النصوص ايضا الى حالات عدة تخص انتشال مثل هؤلاء الاطفال مثلا انتشاله من البرد القارص "عثر على طفل ....بحاجة الى ملابس" او "وجد الطفل عاريا وهو بحاجة الان الى ملابس"،وهذه تشير الى العثور على اطفال غير مرغوب فيهم منهم وجدوا في مكان ما وان مصير مثل هؤلاء الاطفال اما العبودية وهي ايسر الطرائق وافضلها بالنسبة للشخص الذي ينتشله او يربيه ويعلمه

حرفته ولكن لايحمل اسمه او يتبناه ويعده ابنا او بنتا له ويحمل اسمه ويعتبره عضوا من عائلته .[١٤]

وقد تدخلت القوانين لتنظيم شؤون التربية والمربيات وان اول اشارة عن التربية هي ما جاء في قانون أشنونا المادة (٣٢)

šumma Lú DUMU-šu ana šunuqím ana tarbitim iddinma ŠE.BA tarbit DUMU- Ì.BA SÍG.BA MU.3.KAM la iddin 10 MA.NA šu Ì.LA.E-ma DUMU-šu i-ta-a-ar-ru

أذا اعطى رجل ابنه للرضاعة والتربية ولم يدفع جرايته من الحبوب والزيت والصوف طوال ثلاث سنوات عليه ان يدفع عن تربية ابنه ١٠ منات من الفضة ويستعيد ابنه.[١٥]

وكذلك المادة (٣٤)

šumma GÉME É.GAL-im DUMU-ša lu DUMU-SAL-sa ana MAŠ-EN-KAK ana tarbitim ittaddin DUMU lu DUMU.SAL ša iddinu É.GAL-um it-ta-ba-al

اذا أعطت أمة القصرأبنها او أبنتها الى مشكينم للتربية فللقصر ان يأخذ الابن او البنت التي أعطت[١٦].

وقد خصص قانون حمورابي بعض المواد القانونية المتعلقة بالمربيات اذ نلاحظ في هذا القانون تمييز واضح بين التربية والتبني والرضاعة.ففي المادة ١٨٨ نرى

ši-pí-ir il-qí-ma DUMU a-na tar-bi-tim UM.ME.A šum-ma DUMU ú-ul ib-ba-qar uš-ta-ḫi-sú qá-ti-šu

اذا اخذ حرفي ابنا للتربية وعلمه صنعة يديه،لن يطالب (به)[١٧] .

šum-ma DUMU GIR.SÈ.GA ù lu DUMU. SAL ZI-IK-RU-UM É a-bi-šu ú-wi-id-di-ma a-ba-am mu-ra-bi-šu ù um-ma-am mu-ra-bi-su i-zí-ir-ma a-na É a-bi-šu it-ta-la-ak i-in-šu i-na-sà-ḫu

اذا عرف ابن حاجب القصر او سال زكرم[١٨] بيت ابيه وكره الاب مربيه والام مربيته وذهب الى بيت ابيه يقلعون عينه [١٩].

šum-ma DUMU GIR.SÈ.GA ù lu DUMU. SAL ZI-IK-RU-UM a-na a-bi-im mu-ra-bi-šu ù um-mi-im mu-ra-bi-ti-šu ú-ul a-bi at-ta ú-ul um-mi at-ti iq-ta-bi EME-šu i-na-ak-ki-su

اذا قال ابن حاجب القصر او سال زكرم الى ابيه مربيه وامه مربيته انت لست ابي وانت لست امي يقطعون لسانه[٢٠] .

وفيما يلي سنعرض نص من العصر الاكدي نتعرف فيه على دور الامة في رعاية الاطفال وعلى اسماء دور الرعاية (الحضانات)

م.ع(226740)

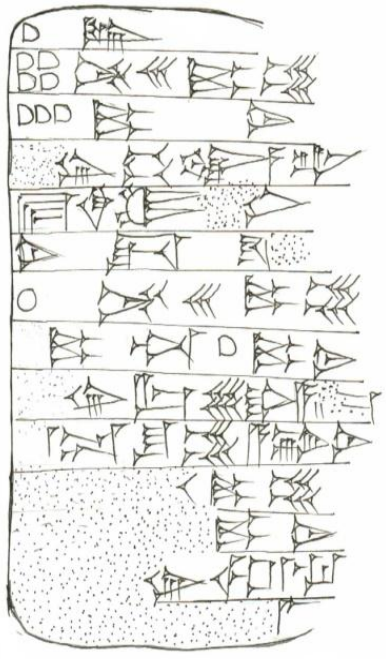

Obv.

1 lú[……]

4 géme 30 dumu-gab

3 dumu-munus

lú amar-kiš-al

é ki-sa_4[….]

ì-da-sig_7[1]

10 géme 30 dumu-gab[2]

[x] dumu-níta 1 dumu-munus

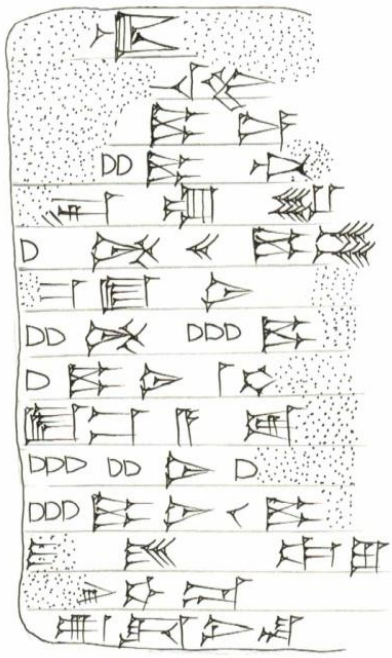

lú ur-li a-[x]

[é]-du-šu-gab a-bi-ni

[…….]10 dumu-gab

[…….] dumu-munus

[……..] ù-má

[……]-la

Rev.

[……] ùz

[….]-šul

[….] dumu-kal

[….] 20 dumu-níta

[x]-dub-sar

1 géme 20 dumu-gab

[é]ú-šal

2 géme 3 dumu-[gab]

1 dumu-munus ^{m}dè[…..]

a-su-[….]-giš é

5 sal 1[….]

3 dumu-munus 10 dumu-[gab]

x-x-ka-lu

[lú] ud-du

da-ni-šu é

الترجمة

الوجه

رجل .....

٤ أماء ٣٠ طفل رضيع

٣ بنات

الرجل امار كيشال

بيت (حضانة) كيسا .....

ربى و رعى

١٠ اماء ٣٠ طفل رضيع

....ذكر ١ فتاة

الرجل اورلي

بيت (حضانة) دوشو-كاب- ابيني

..... ١٠ طفل رضيع

..... بنات

القفا

ثلاثة اسطر مكسورة

٢٠ ولد

..... الكاتب

١ أمة ٢٠ طفل رضيع

بيت (حضانة) اوشال

٢ أمة ٣ طفل رضيع

١ فتاة .....

بيت (حضانة) كش- اسو

٥ بنات .....

٣ بنات ١٠ طفل رضيع

.....

الرجل اود-دو

بيت (حضانة) دانيشو

المعنى العام

النص عبارة عن احصائية لدور رعاية الاطفال (الحضانات)

شرح المفردات

Ì.DA.SIG_7[(1)] : صيغة فعلية سومرية تدل على الزمن الماضي.

SIG_7 : جذر الفعل بمعنى " رعى" ينظر:
USP, p.21; MAD, Vol.4, p.15, No.20.

dumu-gab[2] : مفردة سومرية يقابلها بالاكدية dumugabu وتعني ولد ذكر غير مفطوم اي طفل رضيع, ينظر CAD,D,p.183; MDA,p.101;144

dumu-munus : مفردة سومرية يقابلها بالاكدية martum التي تعني ابنة .ينظر CAD,D,p.183; MDA,p.101;144

dumu-níta : وتعني ولد ذكر اذ ان níta يقابلها بالاكدية zikaru التي تعني ذكر .ينظر

MDA,p.59,50

التعليق

ورد في النص اطفال ذات اعمار مختلفة بينهم الرضع واولاد وبنات كما ورد عدد من الاماء التي بالتاكيد تقوم برعاية هؤلاء الاطفال وبعدها يذكر اسم صاحب الحضانة ومن ثم اسم الحضانة . وهذه الحضانات على مايبدو شخصية مثلما في الوقت الحاضر الاهلية وهي غير تابعة لا للمعبد ولا القصر وانما تدار من قبل اثرياء ومتنفذين

المصادر

1- MDA,p.398
2- Halloran,J.A., Sumerian Lexicon , Los Angelesm ,2006,p.61
3- Ibid,p.61
4-CDA,p.378
5- CAD,T,p.232

٦- عامر سليمان

نماذج من الكتابات المسمارية (النصوص القانونية) الجزء الاول، مطبعة المجمع العلمي ،٢٠٠٢ ، ص ١٧٧ المادة ١٩٢

7- CDA,p.294

٨- عامر سليمان ،نماذج من الكتابات .... ، ص ١٧٧ المادة ١٩٢

9- CDA,p.218

2,p.434/10- Nisaba,15

١١- رأي الباحثة صاحبة البحث

١٢- عامر سليمان، موسوعة القانون في العراق القديم،جامعة الموصل ،٢٠١٤ ،ص٤٠٠

١٣- المصدر نفسه

١٤- حسين ظاهر حمود ،مكانة الاولاد في المجتمع العراقي القديم ، رسالة ماجستير ، الموصل ، ١٩٩١ ،ص٧٤-٧٥

١٥- عامر سليمان ،نماذج من الكتابات ..... ، ص١٧٥

١٦- المصدر نفسه

١٧- فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة،بغداد،١٩٧٩،ص١٥٤

١٨- ان ذكر سال زكرم مع حاجب القصر يشير الى ان هذا الصنف من النساء كن يعملن اما في القصر او المعبد فهل كن مع الخدم في جناح الحريم ،ان ذكرهن بما له علاقة بالكاهنات يشير من جانب اخر انهن كن يعملن في ال gagu وربما كن يقمن على خدمة الكاهنات في المراتب العليا ويوازين الطواشي الذين كانوا يعملون في حريم القصر . ينظر :عامر سليمان ،موسوعة القانون في العراق القديم،جامعة الموصل ،٢٠١٤،ص٢١١

١٩- المصدر نفسه ، ص١٧٧

٢٠- المصدر نفسه ، ص١٧٧.

دور الوزير في مصر القديمة

أ.م.د. احمد لفته محسن

دور الوزير في مصر القديمة

أ.م.د. احمد لفته محسن

المقدمة:

نشأت في مصر القديمة ثلاث ممالك هي المملكة القديمة و الوسطى والحديثة , فنظام الحكم المتبع في كل مملكة يختلف عن بعضها البعض، فالمملكة القديمة كان نظام الحكم فيها مطلقاً يدافع عن مصالح الطبقة الحاكمة ، ويعد الملك فيها آلهاً مقدساً ويطلق عليه بالآله العظيم ، أما غاية التآليه فهو لتخويف الشعب وأرغامه على أطاعة الاوامر الملكية المقدسة بكل صورها والتي تصدر من الملك. أما في المملكة الوسطى فالملك لم يعد فيها ألهاً بل أصبح أبناً للاله وأطلق عليه الراعي والصالح والساهر على مصالح الشعب، أما في المملكة الحديثة فقد تغيرت صورته كلياً وأن بقي كأبناً للإله الا أنه كان يقود الجيوش ويعلن الحرب بأسم إله الدولة الاعظم ويعقد المعاهدات ويرسل السفراء وأحياناً يسمع شكوى الناس ويرعى مصالحهم وهذه بادره لم يعهدها الشعب من قبل, ومن القصر الملكي يقوم الملك بأدارة شؤون الدولة , وقد تميزت الدولة الحديثة بقصورها ومعابدها الجميلة بعد طرد الهكسوس وخروج مصر من عزلتها القديمة وأحتكاكها بحضارات العالم القديم.

ففي أرض وادي النيل أرض الكنانه أقيمت حضارة عريقة شهد لها التاريخ بفضل العوامل الطبيعية المتمثلة بنهر النيل وترابهاوأرضها الخصبة حتى تمكن الانسان المصري من أستغلال تلك العوامل بعد تهيئتها وأعدادها لبناء الحضاره حتى أصبحت الحضارة المصرية من قدرة الانسان المصري وليس كما يقول هيرودوت عندما زار مصر خلال القرن الخامس قبل الميلاد وأخذ الجغرافيون يرددونها بمقولته المشهورة (أن مصر الحضاره هبة النيل) في حين أن لولا قدرة

الانسان المصري من أستغلال الارض و التراب المصري بمياة نهر النيل لما أصبحت البيئة صالحة لقيام الحضارة, فالمياه بدون العوامل لما تكونت تلك الحضارة العريقة منذ الاف السنيين وأصبحت لها شأن في التاريخ .

وهنا لابد من التنويه أن المياه والارض ليست كافية من خلق حضارة مالم تكن هناك قدرة بشرية كفيلة تبلور تلك العوامل, فكان للطبيعة الجغرافية أثرها في حماية أرض مصر من كل الجهات , فهي محاطة بصحارى جرداء من كل الجهات وهذا ما ساعدها على مقاومة الغزوات الخارجية, وعلى أيجاد نوع من الهدوء والطمأنينة في نفوس سكانها فأذا ما أستطاعت غزوة أن تدخل مصر فانها لاتلبث أن تندمج مع أهلها .

لقد كان الملك هو رأس الدولة والمهيمن على شؤونها ويليه شخصية ذات أهمية كبيرة وهي شخصية الوزير والذي يعد حلقة أتصال بين الملك وموظفي الدولة فكان يعاون الملك في أدارة الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد وأصبح الملوك نتيجة أعبائهم وأنشغالهم يلقون بعبء أدارة الامور المالية والدينية والعسكرية والاقتصادية والقضائية على عاتق الوزير ولذا أناب الوزير عن الملك في كثير من المهام ومن جراء ذلك هيمن الوزير على أغلب الاعمال , ولكثرة مسؤولياته فقد لقب بآلقاب عديدة .

منصب الوزير:

أن كلمة وزَير / اسم وجمعها وزراء وهي صفة من وَزَرَ ل لمؤازر ومعين وناصر , والوزير خاصة الملك الذي يحمل ثقله ويعينة برآية أي كان وزيراً له بمعنى مؤازراً ومعيناً[١]. وقد ورد ذكر الوزير في القرآن الكريم في قوله تعالى(وأجعل لي وزيراً من أهلي* هارون أخي* أشدد به أزري وأشركه في آمري)[٢] . كما كشفت التنقيبات الأثرية في بلاد النيل[٣] (مصر[٤]) وخصوصا ما ذكر في الكتابات الهيروغليفية على

أسم " تاني " يعني وزيراً في المملكة القديمة ، وقد اكدت المصادر التأريخيه أن هذا المنصب وجد بصورته الفعلية مابين عصر التأسيس والاسرة الرابعة وأن كان هناك أختلاف في أي من الاسر بدأ فيها هذا المنصب[٥], فمن المؤرخين من يقول أنه وجد في الاسرة الاولى بأشارة الى لوحة الملك نارمر (الذي يرجح أنه الملك مينا) [٦] فقد ظهر فيها شخصان يلازمان الملك ويعتقد ان احدهما هو الوزير[٧]. ويعتقد (كادوا ردماير) أن هناك كتابة فوق رأس احد هؤلاء الموظفين والذي يقف خلف نارمر ويرتدي جلد فهد وهذه الكتابة تقرأ (تث) ومعناها في اللغة المصرية القديمة الوزير ولكن ذلك غير مؤكد ولايمكن الاعتماد عليه بينما يرى البعض أن هذا الشخص هو ربيب الملك نارمر (نعرمر) وعده اخرون أنه موظفاً أدارياً والبعض الاخر يرى انه كان كاهناً ومن ذلك نعرف أن هذه الوظيفة قديمة قدم الدولة القديمة[٨].

ففي عهد الاسرة الثالثة (٢٧٨٠-٢٦٨٠ق.م) فقد كان الوزير ذو علاقة قربى بالملك وهناك من المؤرخين من يرى أن وظيفة الوزير بدأت منذ أيام الملك سنفرو[٩] مؤسس الاسرة الرابعة(٢٦٨٠- ٢٦٥٠ ق. م) واول وزير له لقب هو (نفر ماعت) أبن هذا الملك[١٠].

وفي عهد سنفرو ظهر اكبر لقب هو (تبي خرنيسو) [١١] ومعناه الاول كبير بلاط الملك والثاني بعد الملك وربما يعني الذي على رأس الادارة المركزية , وهناك فريق ثان يرى أن وظيفة الوزير قد ظهرت منذ عهد الملك زوسر[١٢] حيث كان الوزير امنحوتب[١٣] كاهناً لمعبد بتاح وبعد موته تأله هذا الوزير وصار إلهاً للحكمة والطب وبنيت المعابد لعبادته، وهناك نقش من وادي الحمامات يظهر أن أمنحوتب هذا كان يحمل لقب الوزير[١٤] .

كما في الاسرة الرابعة أصبح الوزير كبير القضاة بأعتقاد المصريين القدماء أن الوزير يجب أن يتساوى في الاحكام مع الجميع ولذلك أعتبر الوزير هو كاهن ألاله تحوت أما في عهد الاسرة الخامسة (٢٦٥٠ –٢٤٣٠ق .م) فقد تبلور منصب الوزير وتوسعت صلاحياته حتى أصبح يتمتع بنفوذ ومكانة كبيرتين[١٥] وتلقب بلقب (حم ماعت)[١٦] ومعناه خادم العدالة " .

وعلى ما يبدو ان ظهور لقب حاكم الجنوب بدأ في الاسره الخامسه للاشراف على الجنوب ومصالح الادارة المركزيه , فقد تولى الموظف (رع شبس) حاكم الجنوب والذي ارتقى الى منصب الوزارة في ما بعد والذي سجل في قبره خطابات من الملوك ومايتميز به كونه اول من شغل وظيفة مايشبة محافظ مصر العليا التي نشأت لاحكام الرقابة على المقاطعات[١٧] , كما كان خلفاءه من بعده من امثال (اخ حتب) ثم (بتاح حوتب) [١٨] صاحب التعاليم المشهورة في التاريخ المصري القديم ثم كاجمني الذين كانوا ايضا وزراء . الا ان هذا القب قد أُلغي في عهد الملك (تتي) مؤسس الاسره السادسة(٢٣٤٠–٢٢٨٠ ق.م) بسبب معارضه حكام الاقاليم الذين رأوا فيه اضعاف لنفوذهم [١٩], اما في عهد الملك (مري آن رع) من الاسرة السادسة فقد اعاده مرة ثانيه رغبته منه في تقويض سلطان حكام الاقاليم المتزايده في مصر العليا واعادتهم الى الى حظيرة الحكومه المركزيه[٢٠] .

فقد حظى منصب الوزير خلال عهد الاسرة الخامسة (٢٩٦٠–٢٨٣٠ق.م) بمهام أشرافية على الاعمال الانشائية والمراسلات الملكية[٢١] وعلى سبيل المثال الوزير "كاي" الذي حمل لقب "المشرف على كل أعمال الملك والمشرف على كتبة الوثائق الملكية وكذلك كل من "سنجم أب وأخ حتب[٢٢].

لقد سمح ملوك الاسرة الخامسة أفراد الطبقة العليا بتولي منصب الوزاره [٢٣] , وهناك ملوكاً قلدوا الوزارة لاكبر أبناءهم من الملكات الثانويات وذلك أرضاءاً لهن وتعويضاً عن وراثة العرش لابنائهن[٢٤].

اما في الاسر السادسه (٢٨٣٠-٢٦٣٠ق.م) فقد اعتبر(ونـي) من اهم الشخصيات المهمة في هذه الاسرة حيث عاش في عهد الملك(تتي) ثم علا نجمه في ايام الملك (بيبي الاول) والذي يعد من اكبر الموظفين وقد اكتشف عن احد جدران مقبرته اطول نقش عن حياة شخص والتي تعد اهم وثيقه تأريخية وصلت من الدوله القديمة[٢٥] ,كما تدرج في السلم الوظيفي حتى اصبح قاضياً ثم حاكماً على الوجه القبلي ولقب بحاكم الجنوب ولما تولى (مري آن رع) العرش أستمر في مهام خدمة العرش[٢٦] , فقد ذكر (ونـي) في سيرته الذاتيه في عهد مليكه (مري آن رع) اذ يقول[٢٧] :

((عندما كنت مسؤولا عن مسند القدمين في القصر وحامل الصندل ,فأن ملك مصر العليا والسفلى (مري آن رع) سيدي له الحياة للابد , جعلني (حاتي عا) نبيلاُ وحاكماً للجنوب (ايمر اشمع) من أبر : أسوان جنوباً الى برتب تب أيح : أطفيح شمالاً . لاني كنت المفضل لدى جلالته والمحبوب الى قلبه لان جلالته أحبني....)).[٢٨]

كما ظهر بعد (ونـي) شخص يدعى (حرخوف) وهو من كبار حكام الفينيقيين وقبره الحالي في شلال اسوان وقد لقب ب (هديل القوافل) و (الكاهن المرتل) ونائب الملك في نخن ورئيس عبادة نخن وحامل الختم الملكي ورئيس الاسرار الخاصة بالحدود , وبسقوط الاسرة السادسة انشغل كل امير بتدبير شؤون امارته بعد ان كانت تحت حكم واحد [٢٩].

وفي عصر المملكة الوسطى وصل الوزير الى مكانة عالية لدى الملوك حتى أصبحت السلطة الوحيدة في طيبة[٣٠] في يده فمثلاً الوزير عنخو قد خدم في عهد اكثر من خمسة ملوك وهو الذي خلف جده وخلفه اثنان من ابنائه ومن هنا نعلم أنها كانت تورث [٣١]. ففي اواخر ملوك الاسرة الثانية عشر اصبح الملوك ضعافاً مما افلت زمام السلطة من ايديهم وانتقلت الى وزراءهم الذين صاروا بالتدرج اصحاب

الامر والنهي[٣٢] . ولأهمية ومكانة الوزير اصبحت طموحاته تدفعه الى التطلع الى اعلى من ذلك فمثلاً امنحمات الاول (٢٠٠٠-١٩٧٠ق.م) مؤسس الاسره الثانيه عشر والذي كان يشغل منصب وزير منتوحوتب الرابع اخر ملوك فراعنه الاسره الحادية عشر[٣٣] .

يعتبر الوزير "عحا نخت (نختي)" من الذين حملوا لقب وزير وهو من الاسرة الحادية عشر (٢١٤٣-٢٠٠٠ق.م) والذي أخذ القابا عديدة منها "المشرف على الكهنة". و"حامل ختم الوجه البحري" و"القاضي"[٣٤]. وفي عهد منتوحوتب الاول الذي عمل على دعم الادارة المركزيه من خلال تعيين وزراء من ابناء طيبه والذين هم على التوالي تبوأوا الوزارة هم (داجي) و(ببي) و(أيبي) [٣٥] ومن الاسرة الثانية عشر (٢٠٠٠-١٧٨٧ق.م) لدينا عدد ممن شغلوا هذه الوظيفة منهم على سبيل المثال، (أنتف اوكر) [٣٦] و(خنم حتب) و(سامنتو) ولكل منهم أشراف على "البيوت الست الكبيرة [٣٧]. اما الاسره الثالثه عشر فلدينا الوزير (تتي نفر) والذي يحمل لقب (عمده المدينه , والوزير) [٣٨] .

أما الوزير في الدولة الحديثة (١٥٨٥-١٠٨٥ق.م) لم يتغير الحال اذ كان الوزير على قمة الجهاز الاداري والذي ربما أصبح أكثر تنظيماً، " ومن عهد تحوتمس الاول "ايمحتب ومن عهد حتشبسوت [٣٩] "حبو سنب ، وفي عهد تحوتمس الثالث اصبح الوزير يعادل رئيس الوزراء ويدير الكثير من الوزارات (الحربية والداخلية والزراعية والاشراف على المالية ..) ، بسبب إنشغال الفرعون في غزواته خارج البلاد[٤٠] ، ومنهم (رخمي رع ، احمس(عامثو) [٤١] ووسر آمون) .

لقد أتخذ الوزير مقر عمله في العاصمة حيث يقوم بأدارة الدولة من خلال مجموعة من الموظفين تكون تحت أشرافه مع وجود مراكز أدارية مهمة للدولة في العاصمة حيث يكون الوزير وادارات الدولة قريبة من الملك فكان الوزير يعاون الملك في أدارة الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد وأصبح الملوك نتيجة أعبائهم وانشغالهم يلقون

بعبء أدارة الامور المالية والدينية والعسكرية والاقتصادية والقضائية على عاتق الوزير ولذا أناب الوزير عن الملك في كثير من المهام ومن جراء ذلك هيمن الوزير على أغلب الاعمال[٤٢] .

يبدأ الوزير عمله الرسمي بعد مقابلة الملك لغرض مناقشته حول مستجدات أمور الدولة حيث يعرض عليه أحوال البلاد وسير أداء الحكومه والدوائر المهمة والامور التي تتطلب رأيه فيها مع سرعة البت واصدار القرارت اللازمه لها حتى يكون للملك رأيه فيها[٤٣], وخلال المقابلة يكون بأنتظار الوزير شخص عند أحد مداخل القصر الملكي لاشعاره عن الاوامر الجديدة الصادرة من الملك وعند خروجه يتم التداول بين الاثنين وبعد أنتهاء الوزير يدخل رئيس المالية على الملك ليعرض عليه أمور الدولة المالية وماجرى فيها من نقص أو زيادة ثم يصدر الملك أمر البدء في عمل دواوين الدولة ليباشر الموظفون عملهم اليومي المعتاد ، رغم ان الوزير على دراية بكافة الامور المالية كونه المشرف الاعلى حيث تعرض عليه تقارير من رئيس المالية وعن طريق الوزير ورئيس المالية يكون الملك قد تعرف على سير الامن الداخلي في البلاد وعن سير أداء ادارات الحكومة والقضاء والضرائب والجزية[٤٤].

صلة الوزير بالملك :

يعتبر الوزير الشخص الثاني بعد الملك ويتلقى منه ما يعرضه عليه من أمور, فكان يحق للوزير عندما يتقدم في السن ان يطلب من الملك مباشرةً أن يعين معه احداً من يساعده[٤٥] ، كما حدث مع (عامثو) واستجاب له الملك تحوتمس الثالث [٤٦] وعين وسر امون نائباً له. ولا يتصرف الوزير من تلقاء نفسه , وقد جاءت في الحوليات :**(على حسب ما أُمر به (الملك)... وكنت قريباً من الفرعون ورأيت شخصه... وكنت قلب سيد البلاد واذنى الفرعون وعينيه والواقع اني كنت ربان السفينة فلا أعرف النعاس ليلا ولا نهارا وذلك لان ملك مصر يعدّ ألًها تعيش الناس بأرشاده...)** [٤٧].

فالوزير بمثابة نائب الملك أي انه يعمل مساعداً للملك فالوزير هو الذي يمد جلالته بالمعلومات عن المملكة وبعبارة أخرى فالوزير هو حلقة الوصل مع الملك ولعل النص الآتي يوضح ذلك (٤٨):

ᶜk.f hrt r ndw ḫrt nb ᶜnḫ wdȝ snb íw smí n.f ḫrt tȝwy mpr.f rᶜnb ᶜk.f r prwy–ᶜȝ ḫft ímy–r ḫtm ᶜhᶜ.f r snt mhtt ḫr mn mn tȝty m wbn mpȝ sbȝ n r wty wrty ḫr ímy–r ḫtm íy.f mhsí.f hnᶜ smí.tw n.f r–dd hȝw nb nb ᶜdw smí.n n. í íry nb sšm r–ddw hȝw nb ᶜdw pr–nsw ᶜd–wdȝ ḫr tȝty smí.f n ímy–r ḫtm r–dd hȝw nd ᶜd wdȝ st nbt n hnw ᶜd wdȝ (49).

وهو يدخل (أي الوزير) للتحية لدى السيد (الملك) له الحياة والسعادة والصحة ويقدم له تقريراً عن حالة البلاد في قصره كل يوم وهو يدخل القصر قبل رئيس الخزانة، بعدما دخل ووقف في مكانه عند العمود الشمالي وعندما يتحرك ركاب الوزير ويظهر عند مدخل البوابتين العظيمتين،ان يأتي رئيس الخزانة وينضم اليه، ليقدم له تقريراً يقول: "ان كل الاعمال في اَمان، وكل موظف قائم بعمله قدم له تقريرا قال: ان كل الاعمال في اَمان وسليمة، وان ديوان الادارة امن وسليم، وعلى الوزير ان يقدم تقريراً لرئيس الخزانة يقول: كل الاعمال في أمان وسليمة وكل ادارة من ادارات المقر الملكي في اَمان وسليمة....(٥٠)

فمثلاً الوزير (رخمي رع) مثل سلفه ذا منزلة خاصة لدى ملكه غمره بالمنح والتكريم بل نراه مصورا على جدران قبره وهذا تكريم كبير لاول مرة نراه في عهد تحوتمس الثالث وله دلالاته فلا نراه قبل هذا العهد(٥١). فنراه يقول في حولياته:

hd n tȝ n snw sw [dwȝt ḫpr] wn ḫr nis.k wí m whm rtp–ᶜ n ntr nfr n–swt–bíty (Mn–ḫpr–Rᶜ)| ᶜnḫ dt..... íst hm.f rḫ ḫprt nn wn ḫmt nn.f rs Dhwty pw m ḫt nb nn mdt tmt.n.f||||| (52)

"عندما يشرق يوم جديد والصباح يأتي [استدعيت] ثانية الى حضرة الاله الطيب ملك مصر العليا والسفلى (مستجد رع) فليحيا للابد، حورس الثور القوي يشرق في طيبة، انظر ان جلالته يعرف ما يحدث، لا يوجد شيء يجهله ولا يوجد موضوع لا يفهمه....[٥٣]

ومما تجدر الاشارة الى أن هناك أدارة حكومية مهمة وقريبة من الملك وهي أدارة الوثائق الملكية يكون مقرها العاصمة يتحدد واجبها في ان الملك عندما يصدر مراسيمه وأوامره بتعيين الوزراء أو كبار الموظفين او فرض الضرائب او اعفاء هيئات او اشخاص من هذه الضرائب فأن هذه الاوامر كانت تسجل وتنسخ من قبل هذه الدائرة لترسل بعدها الى أنحاء الدولة لغرض تطبيقها فعلياً, ومن يقوم بأرسال هذه المراسيم مجموعة متخصصة لذلك ترسل الى الاقاليم وتذاع وتوضع نسخ منها على أبواب المعابد حتى تكون ظاهرة لكل الشعب[٥٤].

مهام الوزير :-

حسب ما ورد في البرديات والنقوش المصرية القديمة أن يقوم الملك بتوجيه تعاليم الى الوزير الجديد يحدد فيه المهام الادارية للمملكة وخلال فترة زمنية محددة, وتعد هذه التعاليم وثيقة رسمية مهمة وموروثة منذ القدم[٥٥].

فعند صدور مرسوم ملكي بأسناد وظيفة الوزير الى شخص محدد فأن الملك يأمر بأجتماع لمجلس مكون من كبار الموظفين في قاعة مجلس الملك(الفرعون)[٥٦] ثم يأمر بأحضار الوزير الجديد لتبليغه بأمر التعيين للمنصب وكذلك لبيان النصائح ، ومن أولى توجيهات الملك لوزرائه هو تطبيقه للعدالة الاجتماعية ، موضحاً بأن الغاية من الوزارة ليس أظهار التفضيل لامراء الدولة أو كبار الموظفين على غيرهم ولاتعني أحترام أشخاص الامراء أوالنبلاء أوالمستشارين وأستعباد احد من أفراد الشعب وأنما

الغاية هي في نشر وتحقيق العدالة على الجميع دون تمييز وحسب القانون والحياد المطلق والتسوية بين الناس[٥٧] .

فالوزير يجب أن يتساوى أمامه الجميع سواء من يعرفه أولا يعرفه قريب من الملك أوبعيد عنه ، فالواجب على الوزير ان يظهر منتهى الحكمة عند غضبه حتى يستحق أكرام الشعب له وهيبته منهم فمهمة هذه الوظيفة هي في اقامة العدل المطلق بين الناس دون تمييز بين طبقات المجتمع[٥٨] , فجميع أعمال وتصرفات الوزير هي ظاهرة وبارزة للعيان فمجمل نصائح الملك هي تصب في أقامة العدل, فكلما كان الوزير حذراً وعادلاً ومنصفاً طال بقاؤه في منصبه وأحبه الشعب[٥٩] .

ومن أهم تعاليم الملك هي:-

١. على الوزير ان يدرك أهمية وخطورة منصبه .

٢. معرفة الوزير مهامه ومدى تطبيقه لمبادئ العدالة على جميع أفراد الشعب دون تمييز بين أمير وفرد من عامة الشعب .

٣. بيان التبعات الملقاة على عاتق الوزير من جراء تسلمه هذا المنصب ومسؤولياته, فأن أستطاع الوزير القيام بهذه المسؤوليات بجدارة أستحق التقدير والاحترام في حياته وبعد مماته , وأن فشل في ذلك أستحق اللوم والخسران والعزل[٦٠].

ومن الجدير بالذكر أن الوزير في المملكة القديمة يتم أختياره من أبناءأو احفاد الملوك أما في الحقب التالية فكان الاختيار يقع على الموظف الذي يستحق رضُى الملك أو ألاله ولتميزه بالخصال الحميدة[٦١]، ولقد تباهى أحد الوزراء متفاخراُ بنفسه حيث يقول (كان محبوبا عند الملك اكثر من جميع سكان القطرين ذا سطوة نافذة في القطرين الصديق الاوحد لملك والذي ليس له مثيل والعظماء يسعون اليه عند باب القصر منحنية ظهورهم, فهو الذي يسن القوانين ويرقى الناس في وظائفهم, وهو الذي

ينشر السلام في ربوع البلاد, وكلماته تؤلف بين الاخوة فيعودون الى بيوتهم في سلام, وهو مطلع على ما تخفيه كل نفس ويحسن الانصات وينطق بالحكمه, وكان يجعل الذي تحدثهم انفسهم بالشر او التألب على الملك يرتعدون فرقاً)[٦٢].

سعى ملوك مصر القديمة الى توجيه وزرائهم وحثهم على العدل فحينما يوجة الملك وزير بقوله اعلم ان الخوف من الامير يأتي من اقامته للعدل كما يجب ان يكبح ولي الامر غضبه حتى يستطيع ان يحكم بين الناس بالقساط المستقيم فملوك مصر الفراعنة لم يكونوا ملوكاً مستبدون يعملون ما يشاؤون لاهوائهم غير خاضعين لرقابة معينة بل ان القوانين قد حددت لهم حياتهم الخاصة والعامة ، وقد الغت كل الفوارق وان الناس رجالاً ونساءً يعاملون على قدم المساواه وعندما قال افلاطون في مقالته السياسية (الدولة تجسيم العدالة المنظم) ، ربما لم يكن يعلم ان مصر كانت قد اتخذت منذ الف وخمسمائة سنه هذا المثل الاعلى ، وحاولت ان تجعله حقيقة واقعية [٦٣].

ومن بين الامور المهمة التي يوضحها الملك الى الوزير الجديد هو أن يعرف انه مسؤولاً وأن لايترك موظفيه بدون حساب وأن ما يلاقيه الوزير من طاعة الموظفين الذين هم تحت أمرته أنما هو لا يعني أنهم أصبحوا عبيداً لاشارته بل هو أحترام للمنصب وتأدية لوظائفهم العامة وخدمة لبلادهم وشعبهم[٦٤]، فالملوك في مصر القديمة يميلون الى الضعيف الذي لانصير له اكثر من ميلهم الى المتكبر, ويختم الملك خطابه التكليفي للوزير أن هذا هو القانون الملقى على عاتقك تنفيذه فتحقيق العدالة في المجتمع المصري القديم لم تكن فكرة تراود الحاكم بل هي واقعا يسعى الملوك الى ترسيخه والحفاظ عليه والوزير عند تلقيه الخطاب التكليفي بالوزارة مع مجموعة النصائح هذه أنما يقوم الوزير بتحويلها الى أوامر للموظفين الادنى منه مرتبه حتى يلتزم الجميع بالتنفيذ والالتزام بتطبيق العدالة والقانون [٦٥].

علاقة الوزير بالاحوال الداخلية:

يبدو أن الوزير هو الذي يفرض الضرائب ويعين الموظفين في الاقاليم والقرى ويخولهم سلطات الفصل في منازعات الحدود ومشاكل الري(٦٦) فيقول النص:

[ntf] htr htr nb m ᶜk[n] ddw [n].f sw nb [ntf] ddw tp rd r ỉmy–r w n šntw nts] Mnnw mȝȝ ỉpw ỉpw n ḫȝ ntȝty n mỉwt rsyt ỉpw r hȝtyw– ᶜhkȝw hwt knbwt nw w whmw nw spȝwt sšw. sn sšw ỉhts nty m tp rsy šȝᶜ m ȝbw Mnnw Snmt(67)

(انه هو الذي يفرض اية ضريبة عينية على أي انسان يجب عليه ان يدفعها له (ضريبة الخل) وهو الذي يعطي النظم للمشرف على الارض الزراعية وللموظف في القلعة مراجعة الحسابات)(٦٨).

ويخبرنا الوزير رخمي رع انه "هو الذي يقسم الارض الى حقول" وهذه الحقول يمسحها المساحون الذين يصحبهم الكتبة لكي تعطى الدخل للخزانة لاسيما ضرائب الماشية وضرائب الحبوب التي تختلف حسب منتجات الاراضي الزراعية والتي كانت تدفع طواعية من المزارعين وقد أشارت بعض النصوص بأن البعض يدفع الضرائب لجامعي الضرائب بالمقاطعة وربما دفعها الاخر للمعابد". ونرى مناظر الضرائب وجبايتها مصورة على جدران الحائط الجنوبي بالصالة المستعرضة بقبره بالشيخ عبد القرنة(٦٩).

وكانت هذه الضرائب تجبى من قسمين لكل قسم أربعون وحدة مالية من جهة الجنوب حتى أسيوط شمالاً ونلاحظ أن الذين يدفعون الضرائب لا يدفعونها فقط حبوباً بل مواشي بأنواع متعددة وعقود وقلائد وخواتم وملابس(٧٠).

خصص في مقبرة الوزير (رخمي رع) جزء كبير من القسم الجنوبي من الجدار الغربي للصالة المستعرضة سلسلة من مناظر تصور أحضار الجزى والغنائم من الخارج والتي يقوم بأستقبالها الوزير(رخمي رع) بوصفه وكيل عن الملك, وهذا ما

يشير الى تمتع الوزراء بمكان عالية من خلال المقابر الضخمة وتنوع مناظرها ونصوص تكريم الملك لهم(٧١) .

كما تشير النصوص الى أشراف الوزير (رخمي رع) على أسطول البحرية (٧٢) ثم يقول النص موضحاً صلته بالاسطول:

"ntr šȝ ᶜḥᶜw r šȝw nb n.f sw ntr sbb wpwt nb n pr-nsw r sbbw nb n.f st snḍt n.f ḍn knbt nbt nt hȝt ᶜḥᶜw phwy ᶜḥᶜwt" (73)

"انه هو الذي يعين المراكب لكل من تعين له وهو الذي يرسل كل رسل القصر الى كل ما يرسلون له وابلاغه (حرفيا: الابلاغ له) بواسطة كل الموظفين من مقدمة الاسطول- ومؤخرة الاسطول (٧٤)...

هذا النص يوضح الى أشرافه على البحرية وكذلك يشير الى توجهاته للمراكب وعلمه ببواطن الامور الملاحية رغم أن هناك مناظر لاشخاص ساجدين أمام(رخمي رع) يقدمون له التقارير بشأن الاسطول.

لقد أعتمد الملك تحوتمس الثالث في سياستة الداخلية في المقام الاول على عائلة واحدة تناقل أعتمادها الوزارة فمثلاً الوزير عامثو المسن والذي خدم في عهد حتشبسوت لم يجد تحوتمس الثالث غضاضة في أن يستعين به في تسيير أمور دولته ثم يخلفه أحد ابنائه وهو (وسر أُمون)ثم يخلفه بعد ذلك أبن أخيه الوزير الاشهر(رخمي رع)(٧٥).

لقد حصل الوزير(رخمي رع) ولاول مرة في عهد تحوتمس الثالث على لقب "كاتب القرابين الاول لامون".(٧٦) ولعل دافع ذلك هو تعاظم قرابين آمون كما حصل على لقب "رئيس كل حرف امون" ولعل ذلك لكثرة الاعمال الفنية التي تمت داخل معبد آمون مما جعل تحوتمس يعهد بالاشراف عليها الى أكبر موظفيه ويمنحه سلطة جديدة خاصة بهذا المجال كما حصل على لقب "المشرف على كل أعمال امون وأصبح اللقب اكثر تخصصاً أو أصبح أمون محط أهتمام الملك(٧٧).

ان من بين الامور التي تميزت بها الاسره الثامنه عشر وخاصة عهد الملك تحوتمس الثالث والتي ترقي من دور الوزير هو مناظر التكريم التي خصت الوزراء حيث علقت في مقابرهم , ففي مقبره وسر آمون الخاص بترقيته لمنصب الوزير حيث يظهر فيه مشتركاً في منصب الوزير بجانب والده عامثو , ويشغل هذا المنظر الجانب الشمالي من الجدار الشرقي من صاله مقبرة وسر امون. فنجد على اليمين تحوتمس الثالث مرتديا تاج الاتف ممسكا شارته ومتوج تحت العرش الملكي وخلفة الكا في الشكل بشري امامه الوزير واقف يصحبه الحاجب ورجلان من البلاط ثم وسر امون نفسه الذي يحمل لقب "كاتب خزانه الاله بمعبد امون" وفوقه نص طويل عبارة عن حوار بين رجال البلاط والملك فهم يشيرون الى الوزير الجالس بانه اصبح مسنا ولايستطيع ان ينهض باعبائه وحده وعندئذ يذكر منه ان ابنه اسمه وسر امون والملك يعينه تبعا لذلك نائبا لوالده(٧٨) .

ويوجد منظر مشابه بمقبره رخمي رع ابن شقيق وسر امون الذي رقاه تحوتمس الثالث لمرتبه الوزير مكان عمه (على الارجح) وسجل المنظر على النصف الشمالي من جانب الجنوبي من الجدار الغربي (الخلفي) من صاله المستعرضه بالمقبره , الى اليمين تحوتمس الثالث في نفس الوضع والمكان وشكل رخمي رع مكشوط تماماً والملك مرتدياً هذه المره تاج الاتف وخلفه الكا والملك يمسك هذه المره بصولجان الحقا والسوط في يديه(٧٩) .

ولعل أنهماك الملك في حروبه وأمتداد الامبراطورية مما عهد بتنفيذ سياسته الداخلية الى وزرائه ومنحهم من السلطات الواسعة مما مكنهم من أداء المهمة على أكمل وجه(٨٠).

منصب وزيري الشمال والجنوب :-

يبدو على الارجح ان منصب الوزيرين قد ظهرا خلال عصر الانتقال الثاني [٨١] أو بدايات الدولة الحديثة الا أنه اصبح وأضحاً مع منتصف الاسرة الثامنة عشرة وأعتلاء تحوتمس الثالث العرش , وهذه تعتبر ظاهرة وسابقة جديدة في تاريخ مصر القديمة لوجود وزيرين يساعدان الملك في آن واحد ويرجع السبب في ذلك هو الحاجة الماسة لهما وتوسع الدولة وازدياد الفتوحات في البلاد الاجنبية الذي تطلب وجود وزير ثان لادارة أعمال البلاد [٨٢].

وفي عهد الاسرة الثامنة عشرة وخصوصاً منتصفها اقتضى تقسيم مصر الى قسمين جغرافيين تبع كل قسم لوزير معين، فوزير مصر العليا كان مقره في طيبة ويقع تحت اشرافه ادارة املاك ملوك طيبة وحتى بلدة القوصية[٨٣] وتميز وزراء مصر العليا هؤلاء بأهمية بالغة وكبيرة وذلك بسبب حكمهم لمنطقة تشمل الموضع الذي بدأ منه تحرير مصر القديمة[٨٤] ، وهي العاصمة طيبة، فان وزير مصر العليا كان يتبعه مجلس أستشاري مكون من عشرة شخصيات مهمة وغرض هذا المجلس هو معاونة الوزير في أدارة ذلك الجزء من مصر[٨٥]، اما في كوش فهناك نائباً للملك ذي سلطة مطلقة يمارسها على بلاد النوبة [٨٦] .

اما الوزير الثاني فكان مقره في منف أو هليوبوليس[٨٧] (عين شمس الحالية), ويحكم مصر السفلى(الدلتا) [٨٨]. ويعاون الوزير مجموعة كبيرة من كبار الموظفين ورؤساء الادارات العامة مثل (الخزانة – الغلال – السجلات – الاشغال – القضاء) وهذه الادارات تضم مجاميع كبيرة من الكتبة المهرة يتم اختيارهم من المتعلمين حصرا , كما ان انتخاب وزراء الدولة الحديثة يكون من بين كبار رجال الدين او الجيش وممن لديهم ولع بالبحث عن العدالة اي ان هذه الوظيفة لم تصبح حكراً فقط على ابناء الملوك او الامراء[٨٩] .

ومن واجبات الوزيرين في الشمال والجنوب ادارة المنشأت المعمارية, وقيامهم بجولات تفتيشية في الاقاليم للاطلاع على سير أعمالها وكما يقوما بتأمين مستلزمات الرحلات الملكية من تجهيز السفن وماتحتاجه من مستلزمات , والتبليغ ايضاً عن منسوب نهر النيل من ارتفاع وانخفاض حتى يتسنى للدوله تقدير جباية الضرائب المفروضة على الاراضي الزراعية (٩٠).

للوزير صلاحيات عديده منها: –

١. القضائية : تشير النصوص الى أن القانون المصري كان يعتمد على الاحكام الوضعية والدينية, فأن القانون المعتاد انذاك هو اوامر تصدر وتنفذ وهذا يدل على عدم وجود قانون مكتوب في مصر القديمة فالقانون مستمداً من الملك الإله, ولاتساع مسوؤلية الوزير فأن الملك في وصاياه للوزير الجديد كان يركز على العدل والنزاهة والرحمة والانسانية , ويحذره من التمييز لان الميل الى احد المتخاصمين رجس عند الالهة . فيجب عليه ان يعامل من يعرفة كمن لايعرفه والقريب كالبعيد(٩١) , حيث جاء ذلك في الوصيه الي وجهها الملك تحوتمس الثالث الى وزيره رخمي رع وقد عثر عليها مدونة على جدران ضريح رخمي رع . وتصف جدران الضريح الملك تحوتمس الثالث متوجا وقد وقف امام الوزير الجديد وهو يصغي بانتباه الى النصائح التي يوجهها له الملك . انه حديث يتسم بالجديه وله نفس فحوى يمين التنصيب الذي يتسم بالقدسية (٩٢) حيث يبدأ تحوتمس حديثه قائلا: ((ليكن اهتمامك بمنصب الوزاره كبيرا وكن يقظا في كل ما يتعلق بها من امور .... واعلم ان العداله تاتي في المقام الاول ضمن مسؤوليات الوزير . وان المحاباة والتمييز هي ابغض الاشياء عند الاله ... وعليك ان تعامل الشخص الذي تعرفه بالطريقة نفسها التي تعامل بها الشخص الذي لاتعرفه وعليك ان تقابل الشخص القريب منك كما تعامل الشخص البعيد منك

..... انظر الى صديقك كانه غريب وانظر الى الغريب كانه صديقك .... لاتصرف صاحب المظلمه دون ان تسمع الى مظلمته , ولا ترفض ما يقول بفظاظه واذا رفضت ما يقوله فوضح له سبب الرفض ... لا تدع الغضب سبيلا على ان يمتلكك فتحكم ظلما على اي انسان .... انك تكون مبجلا في مهنتك اذا تصرفت بحزم وفق ماتمليه العداله)) [٩٣].ويبدو من خلال النص ان الوزير كان المسؤول عن اقامة العدالة . مما حذا ببعض الباحثين الى القول , ان الاربعين شيئاً التي وجدت عند اقدام الوزير في القاعة العدل كما يبدو على جدران الضريح لاتمثل قوانين او رموز لمحتويات قوانين تتحكم بالقرارات بل انها تمثل اربعين سوطا مصنوعا من الجلود والتي كانت رموز للنظام او الانضباط يطبقة الوزير متى مايشاء , والبعض الاخر من الباحثيين يرى بانها تعرف بالقوانين المقدسة التي وضعها تحوت اله الحكمة وقد كتبت على اربعين ملفا من الرق وضعت عند اقدام الوزير (رخمي رع) [٩٤] عندما كان يعقد المحكمة في قاعتة الكبرى والتي تمثل مجموعة القوانيين الرسمية التي كانت تسترشد بها المحاكم والملوك[٩٥] .

كما دعا الملك تحوتمس الثالث وزيره الى عدم المغالاة في تطبيق العدالة حيث يقول[٩٦] (لا تبالغ و لاتفعل كمن ذهب به التمادي في تحقيق العداء كايذاء بعض ذوي قرباءه حتى لايتهم بمحاباتهم ... ان هذا ليس من روح القانون ..)[٩٧] وقد تباهى الوزير رخمي رع بانة طبق العدالة فيقول (لقد حميت الضعيف من جور القوي ودافعت عن الارملة التي لارقيب لها وسلمت للايتام حقهم في ميراث ابيهم.....) وهذا يعني انه ليس هناك دليل على وجود قانون مكتوب حتى عصر

الاسرة الرابعة والعشرين أي بعد فترة الوزير رخمي –رع في الحكم أيام تحوتمس الثالث وأمنحوتب الثاني[٩٨] .

وعندما تبنى الملك حور محب (١٣٤٦– ١٣٢٢ ق.م) بنفسه الاصلاحات اوصى القضاة ان تكون العدالة رائدهم فلا يقبلوا رشوة من احد ولكي يبطل الرشوة بين القضاة والمواطنيين زاد من مرتباتهم واعفائهم من دفع الضرائب قائلاً (لاتاخذوا الرشوة من احد والا كيف يمكنكما ان تحكما بالعدل اذا كنتما انفسكما جناة على القانون)[٩٩].

كانت في مصر القديمة محاكم مدنية ومحاكم جنائية, تختص المحاكم المدنية بالمنازعات العقارية مثل البيع والشراء والوصايا و المواريث والايجار والمحاكم هذه كانت على ثلاث درجات وكما يأتي [١٠٠]:

الاولى : محاكم كانت تعقد في القرى أو المدن الصغيرة وهي المجالس القضائية هناك ولها قضاة ينتخبون من الطبقة الخاصة من الموظفين وتكون جلساتها باشراف حاكم القرية[١٠١] .

الثانيه : محاكم عواصم الأقاليم وقضاتها من كبار الموظفين، وتكون قضاياها تشبه قضايا محاكم الدرجة الاولى وتعقد جلساتها باشراف حاكم الاقليم[١٠٢].

الثالثه : هناك محاكم استئنافية وفيها تنظر قضايا محاكم الدرجة الأولى والثانية وقضاتها يكونون ستة يختارون من مجلس العشرة الكبار وهم من كبار رجالات تلك المنطقة ومن المهمين ومن أصحاب النفوذ، وهذه المحاكم يكون أنعقاد جلساتها برئاسة الوزير بصفته وزيراً للعدل, وقضاتها يعينون بأمر من الملك[١٠٣] .

وكانت المحاكم المدنية والجنائية في مصر القديمة تصدر أحكامها في القضايا المختلفة وعندما لايقتنع المتقاضون بشكل وصيغ هذه الأحكام فأنهم يقومون برفع قضاياهم الى محكمة الأستئناف العليا في طيبة وهي مكتب الوزير بوصفها (محكمة استئناف) بعد أن يتقدموا المشتكين بالألتماسات والمظالم الى محكمة الوزير وهذا بدوره يقوم بتحويل هذه الى قاض مختص في كل قضية لغرض الحكم والبت فيها من

جديد وفي هذه المحكمة يتم تقسيم وفصل المستندات التي تخص الشمال عن الجنوب بسبب كثرة القضايا والاوراق الرسمية والمستندات الخاصة بها[١٠٤] .

تعتبر قاعة الوزير بمثابة مجلس حكم وقضاء ففيها لاتوكل سلطة القضاء الا للوزير فهو المسؤول عن محاسبة أي شخص وحتى أي موظف في المحكمة يستغل وظيفته ويوجه اليه الاتهام لسبب ما فيأمر الوزير هذا الموظف بالمثول أمامه في تلك القاعة ولايجوز لأي موظف في المحكمة أن يضرب شاكياً جاء لتقديم شكواه [١٠٥] .

وكان للوزير الحق عند النظر في أية قضية ما ان يستعين بوثيقة معينة من اية قاعة او محكمة بشرط ان لاتكون هذه الوثيقة سرية كانت ترسل اليه الوثيقة مع أمين السجلات وبعد ان يطلع عليها الوزير يتم غلقها وختمها بختم الوزير مرة أخرى ثم ترجع الى محلها الاصلي[١٠٦] .

ومن صلاحيات الوزير القضائية أيضاً أذا عرضت عليه قضايا تخص الأراضي سواء من الجنوب او الشمال وبعد أستماع الوزير لادعاء المشتكي وأقوال المشرف الزراعي والموظف الذي يسجل الضرائب في سجل تلك الارض فأن من حقه ان يؤجل البت في الحكم لمدة شهرين لصالح المشتكي هذا أذا كانت الارض في الشمال او الجنوب، أما الأراضي الواقعة جنوب العاصمة طيبة فلا يجوز التأجيل فيها اكثر من ثلاثة ايام حسب القانون المصري القديم[١٠٧].

أما لقاءات الوزير مع كبار المسؤولين فتكون في مكتبة تجري وفقاً لتقليد ثابت لايتغير فنراه يجلس على مقعده بينما الارض تكون أمامه مغطاة بالحصير وتعلو فوق راسه مظلة وتحت قدميه وسادة وفي يده عصا وتصطف أمامه أربعين قرطاساً من الرق وهي مفتوحة، وقد سجلت لنا نقوش مقبرة الوزير رخمي رع عن قاعة الحكم للوزير وهي تظهر الناس وهم يقفون صفوفاً لتقديم شكاوهم بصورة مكتوبة ليطلع عليها الوزير ويناقشها مع من حوله مستعيناً بمجموعة قوانين أمامه, ومن حول الوزير تظهر النقوش مجموعة من المستشارين والموظفين الذين لهم صلة بسلك القضاء[١٠٨] .

ولم يكن للوزير برغم صلاحياته الواسعة أن يصدر أحكامه حسب أهواه بل وفق ما يؤدي الى تطبيق القانون. كما ويتم في المحكمة تسجيل جميع الوثائق الخاصة بالدولة ووصاياها والقضايا وحكم وشهادات الشهود, وقد وصفت أحدى المحاضر وهي عن سرقات القبور في اواخر الدولة الحديثة حيث ذكرت هذه ان الجلسات عقدت برئاسة الوزير وجرى فيها النقاش وطرح الاسئلة وبعد ذلك يتم الأنتقال الى موقع الجريمة للتحقيق بهذه السرقة(١٠٩).

وكانت هناك شكاوى تقدم لطرحها امام الملك فيقوم الملك بالاطلاع عليها بمعية الوزير مع وجود مجلس العشرة والمجلس الخاص الاستشاري والمتكون من المقربين من الملك وان وظيفة مجلس المستشارين العشرة هي الاشراف على تنفيذ اوامر الملك في ادارة الجنوب لشق الترع وانشاء المعابد والجسور وتعبئة الجيوش واخماد الفتن وتامين سير القوافل في مقاطعاتهم ومراقبة الفيضانات(١١٠).

٢.الادارية :-

يعد الوزير هو رأس الادارة المركزية بعد الملك ورئيساً للديوان الملكي والبلاط الملكي وكذلك يقوم بالاطلاع كل الاعمال في البلاد ويساعده رئيس البعثات وينحصر عمل هذا الموظف في حمل الاوامر الملكية من الوزير مباشرةً الى المقاطعات ومن واجبه ايضاً ان يضع امام الوزير كل التقارير الخاصة بالاقاليم(١١١).

تعتبر مهمة الاشراف على السجلات الملكية من مهام الوزير الادارية التي يتم فيها حفظ كل المراسيم الملكية والعقود والوصايا ، لذا حتم نظام الادارة في مصر ان يكون الوزير على اطلاع بكل احوال البلاد اليومية وعمل حكومتة ومعرفته بكل صغيرة وكبيرة في الدولة، فحالة الامن الداخلي ومايجري في البلاد والقضاء ومصروفات الحكومة والجزية كل ذلك تعرض علية يومياً وبانتظام حتى يستطيع ان يضع تقريره اليومي المختصر امام الملك(١١٢).

وبما ان بيت المال يقع تحت اشراف الوزير فقد كان المشرف على بيت المال يمد الوزير بالتقارير اليومية باستمرار ليطلعه على الحالة المادية العامة للدولة وهذا بدوره يكون قد اوصل ذلك الى الملك(١١٣).

كما يقوم الوزير بأرسال رسل الملك للبلدان والاقليم التي لها علاقه بالقصر الملكي ويقوم باستقبال السفارات الاجنبية وتسلم الجزية السنوية من البلاد الاجنبية(١١٤).

وعلى عاتق الوزير مهمه أرسال المهندسين الى كافة مناطق البلاد لاقامة الجسور وشق الترع والانهار، وهو من يكلف حكام الاقاليم بتنظيم زراعة المحاصيل الصيفية والشتويه وهو من يقرر حدود الاقاليم ومناطق الصيد (١١٥).

وهو المكلف بفتح الخزانة مع مسؤول الخزانة, ويقوم بمراجعة الموارد المائية في بداية اليوم الاول من كل عشرة ايام, وهو من يتدبر شؤون الصرف المالي وكذلك يعين الموظفين عن الحرث السنوي للاراضي الزراعية و الحصاد وادخاله للمخازن وعند عدم وجود الملك ينوب عنه في تسلم عائدات الحملات من هدايا وغنائم وغرامات(١١٦).

واجبات ومهام الوزير حسب الوثيقة التي دونت على جدار معبد الوزير رخمي رع وكما يأتي(١١٧) :

أولاً : تنظيم الادارة العامة .

ثانياً : تعيين أربعة مقررين ومفتشين واجبهم تزويد الوزير ثلاث مرات بالسنة بتقارير عن احوال المقاطعات الواقعة ضمن اختصاص هذا الموظف مع الوثائق والتفتيش على القائمين بمراجعة الحسابات .

ثالثاً : تسلم التقارير من مفتشي الاقاليم وقوائم الاحصاءات .

رابعاً : النظر بشؤون المقاطعات وحدودها وتحديد الاراضي والفيضانات وقطع الاشجار والنظر باصدار التعليمات بالمحصول وتنظيم الضرائب المتأخرة والنظر في ظلم الحكام المحليين في المنازعات المختلفة .

خامساً : ترقية القضاة وحراس المحكمة والانابة عن الملك في اذاعة اوامره للمقاطعات كافة والجهات ذات العلاقة بهذه الاوامر والاشراف على الحرس الخاص بحفظ حياة الملوك.

سادساً : الاشراف على السفن وتنظيم البعثات الملكية وتنظيم الملاحة في نهر النيل .

٣.العسكرية وادارته للشرطة :-

لقد انيطت مهمات كثيرة الى منصب الوزير من الناحية العسكرية, فمنها الحفاظ على حياة الملك فقد كان مكلف بالاشراف على تكوين الحرس الخاص لضمان حياة الملك وسلامته وهناك فرق خاصة من الحرس الملكي واجبها حماية الملك واسرته, ولم يكن مسموحاً ان يدخل اوينظم في عداد هذه الفرق من غير المصريين وكذلك كان من مهمات هذه الفرق هي حراسة قصر الفرعون وتنقلات الفرعون في اسفاره ومواكبه الرسمية في ايام الاحتفالات او عند اقامة الشعائر الدينية, والفرعون ينتخب من افراد هؤلاء الحرس اشد المقربين اليه ليكون حارسه الشخصي(١١٨).

اما الشرطة فهي مرتبطة بالوزير، وتعتبر الشرطة عصب السلطة في كل نواحيها حيث يتم عن طريق هذا الجهاز اعلام الوزير عن الداخلين والخارجين لمصر, وللوزير الحق في اختيار رئيس الشرطة وحسب شروط خاصة ويكون اختياره من بين ضباط الحرس الملكي الخاص دوماً ، ومن الوظائف التي يرقى لها رئيس الشرطة احياناً هو نائب الملك في بلاد النوبة وهذه تعد كنقلة نوعية في سلم المناصب العليا للدولة. اما في المناطق الصحراوية البعيدة فقد كان هناك ايضاً قائداً للشرطة يدير امورها كما في المدن الكبيرة(١١٩).

أشهر وزراء الدولة الحديثة :-

سنحاول ان نسلط الضوء على اهم وزراء مصر القديمة وحصراً المملكة الحديثة,(الوزير رخمي رع , الوزير احمس (عامثو) , الوزير وسر امون) كونهم لعبوا

دوراً مهماً في تاريخ مصر فمنهم الوزير(رخمي- رع) الذي يعتبر من الشخصيات المهمة التي لعبت دوراً في الدولة الحديثة الذي تسلم مهام منصبه كوزيراً في عهد تحوتمس الثالث في العام الثاني والثلاثين وأستمر حتى أيام أمنحوتب الثاني وتعتبر مقبرته في طيبة من أهم مصادر التاريخ المصري القديم ومعنى أسمه (العارف كالاله رع) [١٢٠] ، ينتمي الى أسرة نبيلة نشأت في طيبة, كان جده عامثو وزير للملكة حتشبسوت وكذلك عمه اوسر آمون وزيراً للملك تحوتمس الثالث وكذلك كان أبيه (نفروبن) يشغل منصب وزير الشمال, وربما شغل نفروبن الوزارة لمدة اربعة أعوام وهي التي تتوسط ما بين "وسر" و"رخمي رع", توارثت الاسرة منصب الوزارة لفترات طويلة لأن هذا المنصب في بعض حقب مصر القديمة عد كوظيفة وراثية يتوارثها الأبناء عن الأباء[١٢١], ويعتقد بعض المؤرخين أن رخمي رع هو أخ للملك تحوتمس الثالث في الرضاعة والذي أرضعته والدة رخمي– رع[١٢٢].

تعد مقبرته سجلاً سياسياً وادبياً واقتصادياً واجتماعياً لذلك العصر الحافل بالامور الجسيمة ، تولى منصب الوزارة في السنة الثانية والثلاثون من حكم تحوتمس الثالث وظل في هذا المنصب حتى وفاته في حكم أمنحتب الثاني، وقد حوت مقبرته على مشاهد اعتلاء الملوك للعرش وضمت ايضاً مناظر عديدة رسمت صوراً عن نظام الحكم ومهامه وقد تحدث عن حفل تنصيبه كوزير وما أوصاه به الفرعون[١٢٣] , ثم سجل على جدران مقبرته نسبه وتأريخ أسرته[١٢٤] ، وفي مقبرته كتابات ونقوش تصور جانباً من قاعة حكمه حيث كان الناس يعرضون شكاوهم امامه بعد الدخول عليه واحدا تلو الأخر, وتقدم هذه الشكاوى بصورة مكتوبة فيبدأ الوزير بدراستها ومناقشتها بأستعانته بالقوانين المرتبة امامه, وتصور المناظر الوزير وهو يجلس ومن حوله مستشاروه ومن له صلة بالقضاء وسجل على جدران مقبرته اعمال الوزير الرسمية[١٢٥].

كان الوزير رخمي رع متمسكاً بالقانون ويلتزم بالأنظمة ويؤدي الصلاة والفروض الدينية في المعبد كل صباح قبل أن يباشر عمله الرسمي اليومي[١٢٦] وهذا يدل على أن تلك الصلاة في المعبد أنما هي رادع أخلاقي يظهر أثره في الحكم والفصل في الدعاوى القضائية، وهكذا حققت تلك المقبرة أمنية الوزير رخمي- رع والتي نقش على جدرانها عبارات قال (انها ستبقى الى الابد وان اسمه سيكتب في سجل الخالدين)[١٢٧].

أهم آلقابه[١٢٨]:

ímy-r nỉwt tꜣty "المشرف على المدينة والوزير"

ímy-r ímyw-r "المشرف على المشرفين"

wr mꜣw n pr-wr "كبير الرائين في المقصورة العظيمة"

íry- pᶜt hꜣty- "الامير الوراثي والعمدة"

ímy-r sdꜣwt "المشرف على حملة الاختام"

ḫrp šndyt (?) "مدير كل الاردية"

rbwt

ímy-r pr n Imn "المشرف على بيت امون"

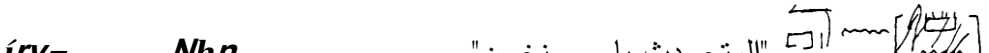

íry- Nḫn "المتحدث باسم نخن"

("كاهن ماعت"

hm-ntr M3ʿt

"حامل ختم الوجه البحري" *sd3wty-*

bíty

"المشرف على البيوت الستة العظيمة" *ímy-r hwt- wrt 6*

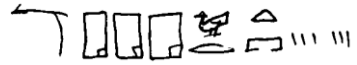

"المشرف على الوظائف الاولى" *ímy-r í3wt hntt*

"كـــــــــــــاهن الســـــــــــــم" *Sm*

"القاضـــــــي" *s3b t3yty*

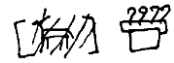

"المشـــــرف علـــــى الكتبـــــة" *ímy-r sšw*

"المشــرف علــى الاعمــال" *ímy-r k3wt*

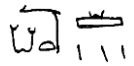

"المشرف على كل اعمال امون" *ímy-r k3wt nbt n [Imn*

"مــــدير كــــل الاعمــــال" *ḫrp k3t*

nbt

ḫrp kꜣwt nbt m ỉpt-swt "مدير كل الاعمال بالكرنك"

ímy-r hmwt "المشـــرف علـــى الحـــرف"

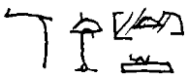

sš htp-ntr tpy n ỉmn "كاتب القرابين الاول لامون"

"**الوزير**" **احمس (عامثو) (١٢٩):**

اسرته: **زوجته:** تاعامثو ، **ابناؤه:** (وسر ، امنمحات ، نفر حتب ، نفروبن ، نخت ، حر، امنموسي و **بنته:** احمس-نفرت ارى).

أهم الالقاب (١٣٠):

"الوزير" tꜣty

"المشرف على المدينة" ímy-r nỉwt

"العمدة" ḥꜣty-c

كاهن ماعت ḥm-ntr Mꜣct

المطلع على الاسرار بالقصر الملكي hry sšꜣt n pr-nsw

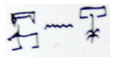

"القاضي" sꜣb tꜣty

"الاب الالهي محبوب الاله" ***ít- ntr mr ntr***

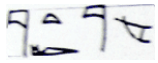
المتحدث باسم نخن ***íry- Nḫn***

"الامير الورائي ***íry- p^{c}t*** "

"**الوزير**" **وسر امون**[١٣١] :

تولى وسر آمون منصبه في العام واحد وعشرين من حكم تحوتمس الثالث حتى العام الثامن والعشرين ، بعد ان وافق تحوتمس ان يخلف اباهٌ احمس (عامثو) في توليه الوزارة ، حيث مارس ابنائه العمل في معبد آمون والتي تتكون اسرته من زوجته ثويو وابنائه (مرى ماعت ، سامنخت، امنمحات، سرحات) وبناته(احمس ، احمى ، باكت ، حنوت)[١٣٢].

وقد تمتع الوزراء بمكانة اجتماعية متميزة في عهد الملك تحوتمس الثالث لذا نرى ان الوزير وسر آمون له قبر فخم حيث صور فيه الكثير من مناظر الخاصة بتعيين الوزير في منصبه وظهور الملك في المقبرة لا سيما صورته مع الالهة ، كما ان الوزير وسر آمون قد منح القاباً شرفية مثل (السير الوحيد) و(حامل الوجه البحري) و(الامير الوراثي) فضلا عن النعوت الاخرى التي تظهر مكانته العالية لدى الملك[١٣٣]. ومن تلك الالقاب[١٣٤] هي :

"المشرف على المدينة والوزير " ***ímy-r níwt tꜣty***

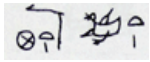

"المشرف على بيتي الفضة والذهب" ***ímy-r prwy-hd nbw***)

"المشرف على شونة امون" ***ímy-r Šnwty n Imn***

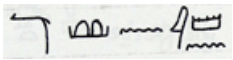

"المشرف على كل اشغال امون" ***ímy-r kꜣwt nbt m Imn***

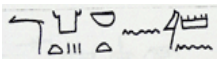

"الامير الوراثي والعمدة وراعي نخن" ***ímy-pᶜt hꜣty- ᶜíry Nḫm***

"كاهن ماعت" ***hm-***

ntr MꜣᶜT

"القاضي" ***Sꜣb tꜣty***

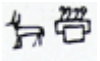

"كاتم اسرار القصر الملكي" ***SŠtꜣ n pr- nswt***

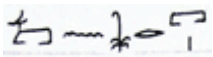

"المشرف على القاعات الست الكبيرة" ***ímy-r hwt ᶜꜣt6***

"الكاهن المطهر" ***Wᶜb***

"حامل ختم ملك الوجه البحري" ***Sdꜣwty bity***

"كاتب الفضة والذهب" ***SŠ hd nbw***

"كاتب كل الاشياء الكبيرة والكريمة" ***SŠ ᶜꜣwt nbwt Špswt***

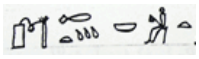

"المنتسب للاله مين" *ímy- ḫt Mnw*

الاستنتاجات:

١. أن سياسة الدولة في مصر القديمة وفي أعلى مستوياتها تسير على مبدأ العدالة الأجتماعية فالوزارة اسمى المناصب وارفعها شأناً, فهي ليست وسيلة لأستعباد الناس وأنما هي وسيلة لتنفيذ العدالة والقانون وأن ينال كل ذي حق حقه وقد أكدته الوثائق الرسمية لتوجيهات الملوك لوزرائه وهذا ما رفع شأن منصب الوزير.

٢. يبدو أن هذا الوظيفة قد تحولت الى وظيفة وراثية كما هو الحال للوزير (عنخو) الذي خدم في عهد اكثر من خمسة ملوك وهو الذي خلف جده وخلفه اثنان من أبنائه ,وكذلك كان الوزيرعامثو(احمس) وزير للملكة حتشبسوت وهو جد الوزير (رخمي رع) ثم أستمر في عهد تحوتمس الثالث ثم خلف من بعده (ابنه) اوسر آمون وزيراً للملك تحوتمس الثالث والأخير عاصر الوزير (نفروبن) والذي كان يشغل منصب وزير الشمال وهو والد رخمي رع , وربما شغل نفروبن الوزارة لمدة أربعة اعوام وهي التي تتوسط ما بين "وسر" و"رخمي رع.

٣. لقد أختير الوزير في الدولة الحديثة من بين الشخصيات الكهنوتية الهامة في الدولة ، وهكذا جمع الوزير أكبر وأعلى منصب ديني ودنيوي في شخص واحد.

٤. لقد لعب منصب الوزير دوراً كبيراً في مصر القديمة بكونه أصبح الرجل الثاني بعد الملك لأدارته كل شؤون الدولة الأدارية ويقصد به النظام المدني والضرائب و الحكم المحلي والشرطة والقضاء وما يخص التوجيه للمرؤوسين وقيامه بالجولات التفتيشية سواء في العاصمة او الاقاليم, وكذلك متابعة النظام الزراعي والري و النظام المعلوماتي والرقابة وكافة التعيينات الحكومية, ومتابعتة للنظام الأقتصاد المدني والأحوال الأجتماعية والمعيشية , وقيادة البعثات لأستثمار المناجم و البعثات الخارجية, وأكثر ما تركز عليه أختصاصات الوزير في الدولة الحديثة الشؤون العسكرية والحملات الحربية .

٥. يبدو أن ظهور منصب الوزيرين قد ظهرا بشكل واضح في منتصف الاسرة الثامنة عشر واعتلاء تحوتمس الثالث العرش وهذه ظاهرة وسابقة جديدة في تاريخ مصر القديمة أحدهما في الشمال والثانية في الجنوب

٦. ان تطبيق العدالة من قبل الوزير هي احدى الواجبات التي خولها الملك له لتحقيقها , فأن التزام الوزير بتحقيقها هو اكتساب رضا الالهة بالدرجة الاساس وخوفه من غضبها وهذا ماسيحقق له بالتالي الثواب في الحياة مابعد الموت . لذلك نجده اي الوزير قد ثبت كل المسؤوليات التي وقعت على عاتقة والتي

قام بتحقيقها على جدران ضريحه لتكون له حسب اعتقاده شفيعا في تصفية حساباته في المحكمة العدل الالهية .

٧. تكمن أهميه منصب الوزير من خلال الالقاب المتعددة و كثرة المسؤوليات والاعباء التي أنيطت اليه الامر الذي دفعته الى التطلع الى اعلى من ذلك وهذا ما نراه عند الملك امنمحات الاول (مؤسس الاسرة الثانيه عشر) عندما كان وزيراً لدى الملك امنحوتب الرابع (اخر ملوك الاسرة الحاديه عشر).

الهوامش:

١. الحموي, ياقوت عبدالله, معجم البلدان, المجلد الرابع(بيروت, دار بيروت للطباعه والنشر,١٩٥٧م) , ص٩٣.
٢. القرآن الكريم, سورة الصافات, ايه ٢٩/٣٠.
٣. **بلاد النيل** : كلمة النيل ليست من اصل مصري قديم ويبدو انها من كلمات الجزيرية القديمة المشتقة من (نهر) او (نهل) او (نخل) وبابدال الراء لاما صارت الكلمة الثانية بصيغة (نيل) ومنها الكلمة اليونانية واللاتينية , والمصريون القدماء دعوا النيل بالالة الخاص بأسم (حعف) او (حعفي) وبالتغيرات المتأخرة دعوه (هوفي واوفي وحوفي) ولا يعرف هذا الاسم المصري القديم وقد الة نهر النيل ونظمت في تمجيده التراتيل الدينية وخصصت لة الاعياد الدينية . انظر: باقر, طه ,المقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ,(بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة, ١٩٥٦ م), ص٤.
٤. **اسم مصر** : في اللغات الاوربية (Egypt) ماخوذ من اسمها باللاتينية (Aegyptus) المشتق من الاسم اليوناني (Aiguptus) والذي يرجح اصله من احد اسماء مدينة (منفس) القديمة (خت- كا-متاح) (Het-Ka-pta) , وتعني معبد كا العائد الى الاله متاح والمرجح ان اسم مصر هو اسم جزري ويعني بالكلمة العربية (مصر)

وقـــــد ورد هـذا الاسم بصـفـــــة (مصر) بضم الميم والصاد . وبصفة (مصرى) في الوثائق الاشورية وفي رسائل تل العمارنة .انظر: باقر , طه , مصدر نفسه ,ص٤.

٥. مهران, محمد بيومي, مصر والشرق الادنى القديم ،ج٢ (الحضارة المصرية القديمة) (الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية) ط ٤, (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية, ١٩٨٩ م) ، ص ١١١.

٦. مينا او منا : اختلف الباحثون في شخصية مينا واسمه, فبعضهم ذكر بان اسمه الذي ورد في الاثار (حورس عحا) ويذكر ان الملك مينا اول من عبد العجل في مصر , وبعده الملك (تيتا) الفرعون الذي الف كتابا في علم الحيوان والتشريح ,كما ينسب هيرودت الى الملك مينا (نعرمر عحا) تأسيس عاصمه لمصر وهي مدينه منف التي تقع في الجزء الجنوبي من مصر وقد شييد معبد بتاح . انظر : حسن , اسامة , مصر الفرعونية , ط١(القاهرة : دار الامل للنشر والتوزيع ١٩٩٨) ص١٠,كذلك انظر : فيركوتير , جين, مصر القديمة , ترجمه ماهر جويجاتي , القاهره : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع , ١٩٩٣ , ص٧٣.

٧. مهران, محمد بيومي, مصر والشرق الادنى القديم (مصر)ج٣ (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية،١٩٨٨م) , ص٢١٥ .

٨. الاخناوي . فوزي ، الفرعونية بين الماضي والحاضر (دراسة عن دور الدولة المركزية في التكوين الاقتصادي والاجتماعي المصري) ط١ (القاهرة: دار الثقافة الجديدة, ١٩٩٣ م) ، ص ١٩٨. كذلك انظر : باقر , طه , المقدمه , ج ٢, مصدر سابق ، ص ٩ ٢ –٣٠ .

٩. الملك سنفرو: مؤسسى الاسرة الرابعة (٢٦٢٠–٢٤٨٠ق.م) وصاحب اهرام الجيزة الخالده ومشيد هرمي دهشور . انظر: فخري , احمد , الاهرامات المصرية , القاهرة , ١٩٦٣, ص ١٠٩ .وكذلك بيكي , جيمس , الاثار المصريه في وادي النيل , ج١ , ترجمة لبيب حبشى وشفيق فريد , مراجعه محمد جمال الدين, ١٩٩٣, ص١٨

١٠. باقر . طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ج٢ ، مصدر سابق, ص١٧٠. كذلك : ابو بكر, عبد المنعم , محاضرات في التأريخ القديم , ط ١ ، (الاسكندرية, مكتبة الاسكندرية, ١٩٣٩– ١٩٤٠ م) , ص١٢٠.

١١. تبي خرنيسو: وهو لقب يدل على حاكم الاقاليم وكان تحت ادارة الملك مباشرة والمسؤول المباشر امامه في اقليمه والذي كان يعاونه في على ادارته عدد من الموظفين اهمهم رجال

القضاء والماليه انظر : السعدي , حسن محمد محي الدين , حكام الاقاليم في مصر الفرعونيه , الاسكندريه : دار المعرفه الجامعيه , ١٩٩١, ص١٠٥ –١٠٦.

١٢. زوسر (نترخب) : يعتبر المؤسس الاول للسلالـه الثالثه (٢٧٠٠-٢٦٢٠ق,م) والتي تعرف بعصر الاهرام والذي من خلاله وصل التطور الحضاري والمعماري , وقد حكم الملك زوسر (٢٩) سنه حيث ارتبط اسمه وهرمه بأسم أمنحوتب الذي لم يكن يرتبط بصله قرابى مع الملك زوسر , ولكن بفضل كفاءته وبناءه قصر (زوسر) على هيئه مصاطب وأعتبره وزيراً له واستعانه في بناء هرمه . انظر : برستد , جيمس هنري ، انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) تقديم: احمد فخري (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية, ١٩٦٩ م)، ص ٧٩. كذلك انظر: بيكي , جيمس , الاثار المصريه في وادي النيل , ج١ , مصدر سابق ، ص ١٨.

١٣. أمنحوتب : كان أمنحوتب وهو (كاتفر) مشرفاً على الاعمال وعرف أسم أمه وهي (خردوعج) وزوجته (نفر– وتب) هذه الاسماء اخذت من نقش على من صخور وادي الحمامات وكتبه مدير الاعمال عندما كان مكلفا بقطع الاخشاب كما نجح في استخدام الحجاره بدلاً عن اللبن وظلت شهرته على مر العصور . انظر : فخري , احمد, مصر الفرعونية (موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق. م) (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية, ١٩٩٧ م) ، ص٦٢.

١٤. شفيق غربال , محمد , تاريخ الحضارة (مصر) , مجموعة مقالات ومؤلفات وزارة الثقافة والارشاد , تقديم ثروة عكاشة , السلسلة الرابعة للوزارة , القاهرة , بلا , ت ، ص١١٢.

١٥. باقر . طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ,ج٢ , ، ص ١٦٩ . كذلك : ابو بكر, عبد المنعم , محاضرات في التأريخ القديم, ط ١ ، مصدر سابق ، ص١٢٠.

١٦. ماعت : تمثل في معناها الحق والعدل وقد كان للاحداث السياسيه التي مرت بها مصر قبل عملية توحيد البلاد اثرها البالغ في جعل كلمه ماعت تعبر ايضا عن النظام الخلقي الذي يسود العالم . وكذلك ينظر: حسن ، سعد الله ، من اسرار الفراعنة، (القاهرة) ، مكتبة مدبولي . د. ت) , ص١٢.

١٧. السعدي,حسن محمد محي الدين ,حكام الاقاليم في مصر الفرعونيه , مصدر سابق , ص١١٢–١١٣ . كذلك انظر: مهران , محمد بيومي , دراسات في الشرق الادنى القديم , ج ١, ص٤٥٨.

١٨. بتاح حوتب:وهو احد امراء الاسرة الخامسه وقد اقترن اسمه مع الملك (جد .كارع .اس)(٢٤٧٨-٢٤٥٠ق.م) حيث ورد من بين أسماء الموظفين الذين عثرعلى مقابرهم في وادي المغارة بشبه جزيرة سيناء .انظر: عثمان,عبد العزيز, معالم تاريخ الشرق الادنى, ج١,ط٢,(لبنان , دارالفكر الحديث ,١٩٦٧).ص٨٩.

١٩. السعدي,حسن محمد محي الدين ,حكام الاقاليم في مصر الفرعونيه ,مصدر سابق . ص١١٥ .

٢٠. السعدي, مصدر نفسه ,ص١١٥ .

٢١. باقر . طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ج٢ , مصدر سابق , ص١٦٩.

٢٢. السعدي, حسن محمد محي الدين ,حكام الاقاليم في مصر الفرعونيه , مصدر سابق ,ص١٢٣ .

٢٣. السعدي, مصدر نفسة ,ص١٢٣.

٢٤. حسين ,احمد , موسوعه مصر القديمة ,ج١(القاهرة , دار الشعب,١٩٧٠م),ص٢١٠.

٢٥. بيكي, جيمس, الاثار المصريه في وادي النيل, ج١, مصدر سابق ، ص٤٠-٤١ . كذلك انظر : السعدي, حسن محمد محي الدين ,حكام الاقاليم في مصر الفرعونيه , مصدر سابق ,ص١١٥

٢٦. بيكي, جيمس, مصدر نفسه , ص٤٠-٤١ . كذلك انظر : السعدي , مصدر نفسة , ١١٥ .

٢٧. بيكي, جيمس, مصد نفسة , ص٤٠ -٤١.. كذلك انظر : السعدي, , مصدر نفسة,ص١١٥

٢٨. السعدي,حسن محمد محي الدين ,حكام الاقاليم في مصر الفرعونيه ,مصدر سابق . ص١١٥ ,كذلك انظر: Breasted,j.,:A.R.E, vol. I,chicage,(1947),PP148-150.

٢٩. بيكي, جيمس,مصدر سابق , ص ٤٢ -٤٣ .

٣٠. طيبة : تعد طيبة من اشهر المدن المصرية القديمة , اذا بلغت ما لم تبلغه غيرها من المدن الاخرى , وهي عاصمة (الاقليم الرابع) في صعيد مصر , وسميت كذلك (نوت امون) والذي يعني (مدينه امون) , وقد اطلق عليها المؤرخ (هيرودوتس) مدينة ذات المائة باب , اما اسمها الحالي المعروف ب(الاقصر) فقد اطلقه عليها العرب لانبهارهم بقصورها

المنتشرة على ضفتي نهر النيل.انظر : مهران , محمد بيومي , المدن الكبرى في مصر والشرق الادنى القديم , ج١ , (الاسكندرية ,١٩٩٢) , ص٧٠. وكذلك : بيكي , جيمس ، الاثار المصريه في وادي النيل(من طيبه أسوان) ، ج٤، ترجمة نور الدين الزراري ، القاهرة ، ١٩٩٨, ص٥.

٣١. اديب , سمير , موسوعه الحضارة المصريه القديمه , ٢٠٠٠.ص ٨٥٥- ٨٥٦.

٣٢. لبيب , باهور, لمحات للدراسات المصريه القديمة , القاهرة :مطبعه المقتطف السنويه, ١٩٤٧. ص٤٠.

٣٣. اديب , سمير ,مصدر سابق , ص ٨٥٥.

٣٤. بيكي, جيمس, مصدر سابق ,ج١,ص٥. كذلك : باقر , طه , المقدمة , ج٢ , مصدر سابق ,ص١٧٠ .

٣٥. السعدي, , مصدر سابق ,ص ١٩٩ .كذلك انظر :

Vallaggia .m.m,Les vizirs des xleet xll Dynasties , B.L.F.A.O,tome 74, La caire ,1974, PP124_125.

٣٦. انتف اوكر : حاكم مدينة طيبة في عهد سنوسرت الاول (١٩٨٠-١٩٣٦ ق.م) والذي اقام اقدم مقبره في الهضبة المعروفة بالشيخ عبد القرنة . بيكي, جيمس, الاثار المصريه في وادي النيل,ج٣, مصدر سابق ,ص٦ .

٣٧. اديب ، سمير، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، مصدر سابق ، ص ٢١٨.

٣٨. بيكي, جيمس, الاثار المصريه في وادي النيل,ج٣, ترجمه لبيب حبشى وشفيق فريد , مراجعه محمد جمال , ١٩٩٣ , ص٦ .

٣٩. حتشبسوت (١٥٠١-١٤٧٩ق.م): وهي ابنة (تحتمس الاول ١٥٢٥-١٥١٢.م) (اخر فراعنة الاسرة الثامنة عشرة) وامها الملكة (احمس) تزوجت من اخيها غير الشقيق (تحتمس الثاني ١٥١٢-١٥٠٤ .م) الذي خلف اباه على العرش مصر بعد موته وانجبت منه ابنتين , وبعد وفاة زوجها خلفة على العرش البلاد أبنه (تحمس الثالث١٥٠٤-١٤٥٠) الذي كان قد انجبه من زوجة اخرى , وكان صبياً صغيراً للغاية , ولذا تولت (حتبشسوت) الوصايه عليه , ويبدو انه بعد ذلك تزوج من احدى بناتها (نفرو رع) وقد استطاع حتشبسوت بقوتها وشخصيتها من أدارة شؤون البلاد وتمكنت بعد سنتين من ابعاده عن الحكم . وخلعت على نفسها جميع ألقاب (الفرعون) وتمثلت بشكل الاله (اوزيرس)

وتشبهت بمظهر الرجال وارتدت زيهم والتحت باللحية الآلهية المستعارة الخاصة بالملوك . انظر : نوبلكور , كريستيان ديروش , حتشبسوت عظمة..و سحر.. وغموض , ترجمة فاطمة عبدالله محمود , (القاهرة ,٢٠٠٥),ص ١٧ . هولمز , ونفرد , كانت ملكة على مصر , ترجمة سعد احمد حسين , (القاهرة ,١٩٩٧),ص٧.

٤٠. رايفشنال , اليزابيث , طيبه في عهد امنحوتب الثالث , ترجمه ابراهيم رزق , مكتبه لبنان , بيروت, ١٩٦٧ , ص٦٩ .

٤١. عامثو(احمس): وهو وزير في عهد حتشبسوت وقد تلقب بعده القاب منها المشرف على المدينه, العمدة ,كاهن ماعت , القاضي , الاب الالهي محبوب الاله, المتحدث بأسم نخن , حيث كان ابنه الوزير وسر وزوجته تاعامثو , انظر : حسن, سعد الله , من اسرار الفراعنة ، القاهرة ، مطبعة اولاد عبده احمد ، ١٩٩٣ ، ص٩٨.

٤٢. فخري , احمد, مصر الفرعونية (موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق. م) مصدر سابق ، ص ٣٠١. كذلك : باقر , طه , المقدمة , ج٢ , مصدر سابق , ص١٧٠ .

٤٣. باقر . طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, مصدر سابق , ص١٧٠ .

٤٤. فخري , احمد, مصر الفرعونية (موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق. م) مصدر سابق ، ص ٣٠١.

٤٥. السيد , رمضان , تاريخ مصر القديمة منذ بداية الاسرة الخامسة عشرة حتى دخول الاسكندر. مصر عام ٣٣٢ ق. م ، ج ٢، (القاهرة: مطبعة الاثار المصرية , ١٩٩٣) ، ص ١٢٣.

٤٦. تحوتمس الثالث : نصب على عرش مصر بعد وفاة والدة تحوتمس الثاني وأتت شرعيته للحكم بعد اختياره من اله الدولة الرسمي الاله امون ليتولى عرش مصر . وفي العام الثاني من حكم تحوتمس الثالث استطاعت حتشبسوت ان تنحيه عن العرش نهائيا وارغمته على الاعتكاف وامرت بتتويجها ملكة بموافقة الاله امون واصبحت ملكة مصر دون منازع, وبعد وفاة حتشبسوت اعتلى العرش مرة اخرى . انظر سعد الله , محمد علي , دراسات في مصر والشرق الادنى القديم , (٢) في تاريخ الشرق القديم (مصر– سورية القديمة)،ج٢ (الاسكندرية: مركز الاسكندرية للكتاب, ٢٠٠١ م) ،ص١٥٤.

٤٧. حسن ، سعد الله ، من اسرار الفراعنة، مصدر سابق ، ص٨٩ . كذلك انظر : ، M.Abdul- Kader Mohamed , the Administration of syro – Palestine during the New Kingdom in ASIA , 56 (1959) ,p14-106.

٤٨. جلال ,احمد عبد القادر ، القاب الامارة وحقوقها واختصاصها في مصر القديمة ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٨٦ ، ص١٠٩ .

49. L.Habachi, Michellanea on Viceroys of kush and their Assistants Buried in Dra Abu El-Nage south , JARCE , 13(1976), p. 113.

٥٠. حسن , سليم ، مصر القديمة،ج٦ ،(القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية, ١٩٤٩ م), ص١٢٠ .

٥١. حسن , سليم ، مصدر نفسه ، ص ١٢٠ .

52. L.Habachi, Michellanea on Viceroys of kush and their Assistants Buried in Dra Abu El-Nage south . p 121.

٥٣. حسن , سليم ، مصر القديمة ، ج٦ ، مصدر سابق ، ص ٢٣٢ .

٥٤. محمد سعيد عطا ، الفراعنة نصوص حضارة ، ط١، (القاهرة بيت الحكمة للاعلام والنشر والتوزيع ١٩٩٦، ص٥١ انظر : اديب , سمير , موسوعة مصر القديمة ، مصدر سابق , ص٨٥٦ . وكذلك Robinson, C.A. , Ancient History From Prehistoric Time to the Death of Justinina , New York , 1958 , p. 59 .

٥٥. اديب , سمير , موسوعة مصر القديمة ، مصدر سابق , ص٨٥٦ .

٥٦. **الفرعون** : ان لفظة الفرعون يعني (برعو) المصرية بمعنى (البيت العظبم) اي قصر الحكم المركزي وكان اقدم ذكر في عهد خفرع (السلالة الرابعة) دليل المتحف البريطاني ١٩٣٠ م , ثم امتدد لفظ (برعو) فأصبح يطلق على القصر والملك وقد حرفت النصوص العبرية لفظ (برعو) الى (فرعو) بناءاً على الاختلاط نطق الباء فينطق فاءاً في بعض اللغات القديمة ثم اضافت اللغة العربية اليه نون اخيره. انظر الى : رمضان , عبد العظيم, موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (لجنة التاريخ,القاهرة,الهيئة المصرية العامة , ١٩٩٧ ,ص ٥٤ كذلك انظر: باقر , طه , مقدمة في تاريخ الحضارات القديمه,ج٢ , مصدر سابق ، ص ٣٠.

٥٧. ابراهيم ، نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الادنى القديم (مصر من قيام الدولة الحديثة الى دخول الاسكندر) ج ٢، ط٣ (القاهرة: دار المعارف بمصر, ١٩٦٢)، ص ٩٢.
٥٨. لبيب,بـاهور, لمحـات للدراسـات المصـريه القديمـه,القاهرة :مطبعـه المقتطـف السـنويه, ١٩٤٧,ص٦٧.
٥٩. المصدر نفسه ,ص٦٨.
٦٠. المصدر نفسه,ص٦٨.
٦١. باقر . طه ، المقدمة,ج٢, مصدر سابق ,ص١٧١.
٦٢. الاخناوي ، فوزي ، الفرعونية بين الماضي والحاضر (دراسة عن دور الدولة المركزية في التكوين الاقتصادي والاجتماعي المصري) مصدر سابق ، ص ١٩٨.
٦٣. الاخناوي ، فوزي ،, مصدر نفسه ,ص٣٠ .
٦٤. الاسكندري . عمر وآ، ج ، سفدج ، تاريخ مصر الى الفتح العثماني, ط ٢ (القاهرة: مطبعة المعارف, ١٩٢٠ م)، ص ١٩.
٦٥. السيد , رمضان عبده علي , تاريخ مصر القديمة منذ اقدم العصور حتى عصر الانتقال الثاني ، ج ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص١٣٢ .
٦٦. السيد , رمضان , تاريخ مصر القديمة ، المصدر نفسه، ص١٣٢ .
67. Naville.E. The Temple of eir El Bahari , II , London, 1896 , p. 46 – 56
٦٨. جاردنر ، آلن ، مصر الفراعنة ، ترجمة نيقولا زيادة ، نجيب ميخائيل ، (مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٦١) ، ص ٢١١.
٦٩. جاردنر ، آلن ، مصدر نفسه ، ص ٢١٣.
٧٠. ارمان ادولف . ورانكة . هنري ، مصر والحياه المصرية في العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ، القاهرة ، ب.ت ، ص١٤٢ .
71. kanawati, Government Reforms in old kingdom Egypt . England , 1980, p22
٧٢. لبيب , باهور, لمحات للدراسات المصريه القديمه,مصدر سابق ، ص٦٨.
73. Germy, J. , Ancient Egyptian Religion, London, 1901 , p. 132

٧٤. السيد , رمضان , تاريخ مصر القديمة منذ اقدم العصور حتى عصر الانتقال الثاني ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ١٠٢.

٧٥. سمير ، اديب ، موسوعة تاريخ مصر القديمة ، مصدر سابق ، ص٨٥٦ .

٧٦. رايفشنال , اليزابيث , طيبه في عهد امنحوتب الثالث ، مصدر سابق ، ٦٩.

٧٧. بدوي ، احمد زكي ، (تاريخ مصر الاجتماعي) ، (الاسكندرية مطبعة صلاح الدين) ، ب ، ت ص١١١ .

78. Russmann.E.R. an Index to Egyptian Sculpture of the Late Period, 1971 , p,5 .

79. Ibid. p,5 .

٨٠. Germy, J. , Ancient Egyptian Religion, London, 1901 , p. 182 وكذلك ينظر : سمير ، اديب ، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، الاسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص١٧٣ .

٨١. لبيب, باهور, لمحات للدراسات المصريه القديمه, مصدر سابق ,ص٦٩.

٨٢. لبيب, باهور, مصدر نفسه, ص٦٦.

٨٣. بلدة القوصية : وهذه البلدة تبعد بمقدار ستين ميلاً شمالي مدينة اسيوط, سعد الله , محمد علي, دراسات في تاريخ مصر والشرق الادنى القديم ,مصدر سابق, ص ١١٥. وكذلك انظر الى : kanawati, Government Reforms in old kingdom Egypt . England ,1980,p 125.

٨٤. لبيب, باهور، مصدر سابق,ص٧١,ايضا انظر: باقر , طه , المقدمه ,ج٢,ص١٧١.

٨٥. رايفشنال , اليزابيث , طيبه في عهد امنحوتب الثالث , مصدر سابق ، ص ٧١.

٨٦. رايفشنال , مصدر نفسه , ص٧١.

٨٧. هليوبوليس: اطلق عليها اليونانيون تسمية هليوبوليس وهي ترجمة ل(بر–رع) اي بيت اله رع ويذكر المؤرخ مانيثون انه جمع تاريخه من سجلاتها , اشتهرت بالملك والدين والحكمة والطب وكان لها مذاهبها الفلسفية والدينيه وقد اختيرت المدينة كعاصمة لمصر منذ فجر التاريخ , انظر الى : السعدي , حسن محمد محيي الدين , حكام الاقاليم في مصر القديمة ، مصدر سابق , ص٥٧.

٨٨. لبيب, باهور, لمحات للدراسات المصريه القديمه، مصدر سابق, ص ٦٧ .

٨٩. السعدي, حسن محمد محي الدين ,حكام الاقاليم في مصر الفرعونيه , مصدر سابق ,ص ١١٥ كذلك : انظر : مهران , محمد بيومي , دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم , مصدر سابق , ص١٥٧ .

٩٠. السعدي, , مصدر نفسة ,ص ١١٥ كذلك : انظر : مهران , محمد بيومي , دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم , مصدر نفسه , ص١٥٧ .

٩١. احمد ، فخري ، مصر الفرعونية ،مصدر سابق , ص٢٠٦ .

٩٢. احمد ، فخري ، ،مصدر نفسة , ص٢٠٦ . وايضاً : kanawati, Government Reforms in old kingdom Egypt . England ,1980, p 129.

٩٣. لبيب, باهور, لمحات للدراسات المصريه القديمه ، مصدر سابق , ص٦٧-٦٨ .

٩٤. لبيب, باهور, ، مصدر نفسه,ص ٦٧ -٦٨.

٩٥. ارمان ادولف . ورانكة . هنري ، مصر والحياه المصرية في العصور القديمة ، مصدر سابق ، ص١٤٢ .

٩٦. صالح , عبد العزيز, الشرق الادنى القديم ،ج١(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية, ١٩٦٧ م)، ص ٨٥.

٩٧. رزقانة , ابراهيم واخرون ,حضارة مصر والشرق القديم، القاهرة ، ب .ت ، ص ١١٠.

٩٨. امنحوتب الثاني(١٤٤٧-١٤٢٠ق.م):خلف والده تح١وتمس الثالث حيث كان اول عمل له هو تأديب المدن السورية التي ثارت علية . حيث أهتم بمعبودات مدينة طيبة وكذلك اتم معبد (عمدا) الذي بداه والده وهذا المعبد مخصص لعبادة الاله آمون . انظر : حسن , سليم ، مصر القديمة،ج٦ ، مصدر سابق ، ص ٢٩.

٩٩. ابو طالب ، صوفي حسن ، تشريع حورمحب ، القاهرة ، ١٩٧٢ , ص٩٨ .

١٠٠. صالح , عبد العزيز, الشرق الادنى القديم ج١، مصدر سابق ، ص١٠٢.

١٠١. صالح , ، مصدر نفسة ,ص١٠٢ .

١٠٢. ابراهيم . بهاء الدين , الشرطة والامن الداخلي في مصر القديمة, مراجعة: محمود ماهر طه (القاهرة: مطبعة الاثار المصرية, ١٩٨٦ م) ، ص ٢٨ Germy, J. , Ancient Egyptian Religion, London, 1901 , p. 132

١٠٣. ابراهيم . بهاء الدين , الشرطة والامن الداخلي في مصر القديمة ، مصدر سابق ، ص ٢٨ وكذلك Germy, J. , Ancient Egyptian Religion, London, 1901 , p. 132

١٠٤. النشار , مصطفى , الخطاب السياسي في مصر القديمة، ط١ (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٨م)، ص ٩١.

١٠٥. ارمان . ادولف وهرمان رانكه ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة, مصدر سابق ، ص ١٢٩.

١٠٦. الاسكندري . عمر وآ، ج ، سفدج ، تاريخ مصر الى الفتح العثماني, ط ٢ ، مصدر سابق ، ص ١٩.

١٠٧. اديب , سمير , موسوعه الحضارة المصريه القديمه ,مصدر سابق , ص٨٥٥. وكذلك انظر الى : Smith.W.S The Old Kingdom in Egypt CAH, J. 1965 , p23.

١٠٨. اديب , سمير , مصدر نفسه, ص ٨٥٦ .

١٠٩. رزقانة , ابراهيم واخرون ,حضارة مصر والشرق القديم، مصدر سابق ، ص ١١٠.

١١٠. مهران, محمد بيومي, مصر والشرق الادنى القديم (مصر)ج٣، مصدر سابق ، ص ١٢١.

١١١. مهران, محمد بيومي, مصر والشرق الادنى القديم ،ج٢، مصدر سابق , ص١٥٧ .

١١٢. مهران, محمد بيومي، مصدر نفسة , ص١٥٧ .

١١٣. اديب , سمير , موسوعه الحضارة المصريه القديمه , مصدر سابق , ص١١٦ .

١١٤. فيركويتر , جان , مصر القديمه , مصدر سابق ، ص ١٢٣.

١١٥. اديب , سمير , موسوعه الحضارة المصريه القديمه , مصدر سابق ,ص١١٦.

١١٦. اديب , سمير , مصدر نفسة ص ١١٦ . وكذلك ينظر : Smith.W.S The Old Kingdom in Egypt CAH, J. 1965 , p121.

١١٧. زايد , عبد الحميد ,مصر الخالدة ،ج ٢ (مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق. م) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب, ٢٠٠٢ م ، ص١٠١.

١١٨. زايد ، مصدر نفسة , ص ١٠٢ .

١١٩. زايد ، مصدر نفسة , ص ١٠٢.

١٢٠. جيميز , ت – ج ، الحياة ايام الفراعنة (مشاهد من الحياة في مصر القديمة, ترجمة: احمد زهير امين, مراجعة: محمود طه (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٩٩٧ م) ، ص١١٤.

١٢١. رزقانة , ابراهيم واخرون ,حضارة مصر والشرق القديم، مصدر سابق ، ص ١١٠.

١٢٢. رزقانة , ابراهيم واخرون ,حضارة مصر والشرق القديم، مصدر نفسه, ص ١١١.

١٢٣. صالح , عبد العزيز, الشرق الادنى القديم ، ج ١، مصدر سابق ، ص ٨٥.

١٢٤. صالح , مصدر نفسه , ص٨٥.

١٢٥. حمزة ، باشا عبد القادر ، على هامش التاريخ المصري القديم ، مج ١ ، (القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٠ ، ص ١٢١.

١٢٦. باقر . طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, مصدر سابق ,ص١٧١ .

١٢٧. زايد , عبد الحميد ,مصر الخالدة ،ج ٢ ، مصدر سابق ص١٠٣ .

128. kanawati, Government Reforms in old kingdom Egypt . England ,1980, p22

١٢٩. جلال ,احمد عبد القادر ، القاب الامارة وحقوقها واختصاصها في مصر القديمة ، مصدر سابق ، ص١٠٩ .

130. S.whale, the Family in the Eighteenth Dynasty Of Egypt , Sydney, 1989, p.131.

131. :M.Abdul- Kader Mohamed , the Administration of syro – Palestine during the New Kingdom in ASIA , 56 (1959) ,p14-106. . وكذلك ينظر : حسن سعد الله ، من اسرار الفراعنة ، مصدر سابق ، ص٨٩

132. M.Abdul- Kader Mohamed , the Administration of syro – Palestine during the New Kingdom in ASIA , 56 (1959) ,p14-106. حسن سعد الله ، من اسرار الفراعنة ، مصدر سابق ، ص٨٩

133. Smith.W.S The Old Kingdom in Egypt CAH, J. 1965 , p. 18

134. N .strudwick , the Adminstration of Egypt in old Kingdom , London , 1985, p 62.

المصادر والمراجع العربية والاجنبية :

القرآن الكريم .

١. اديب , سمير , موسوعه الحضارة المصريه القديمه , ٢٠٠٠.
٢. احمد ، عبد القادر جلال ، القاب وحقوقها واقتصادها في مصر القديمة ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة، القاهرة ، ١٩٨٦ .
٣. ارمان، ادولف . وهرمان رانكه ، مصر والحياه المصرية في العصور القديمة ، القاهرة ، ترجمة: عبد العزيز ومحرم كمال ، ب ت .
٤. ابو طالب ، صوفي حسن ، تشريع حورمحب ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
٥. ابراهيم . بهاء الدين , الشرطة والامن الداخلي في مصر القديمة, مراجعة: محمود ماهر طه (القاهرة: مطبعة الاثار المصرية, ١٩٨٦ م) .
٦. ابراهيم ، نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الادنى القديم (مصر من قيام الدولة الحديثة الى دخول الاسكندر) ج ٢، ط٣ (القاهرة: دار المعارف بمصر, ١٩٦٢.
٧. ابو بكر, عبد المنعم , محاضرات في التاريخ القديم, ط ١ خاصة (الاسكندرية, مكتبة الاسكندرية, ١٩٣٩- ١٩٤٠ م) .
٨. النشار , مصطفى , الخطاب السياسي في مصر القديمة، ط١ (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٨م) .
٩. السيد , رمضان عبده علي , تاريخ مصر القديمة منذ اقدم العصور حتى عصر الانتقال الثاني ، ج ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .
١٠. الاسكندري . عمر وآ، ج ، سفدج ، تاريخ مصر الى الفتح العثماني, ط ٢ (القاهرة: مطبعة المعارف, ١٩٢٠ م)، ص ١٩.
١١. السعدي , حسن محمد محي الدين , حكام الاقاليم في مصر الفرعونيه , الاسكندريه : دار المعرفه

١٢.الجامعيه , ١٩٩١.
١٣.الحموي, ياقوت عبدالله, معجم البلدان, المجلد الرابع(بيروت, دار بيروت للطباعه والنشر,١٩٥٧م).
١٤.الاخناوي . فوزي ، الفرعونية بين الماضي والحاضر (دراسة عن دور الدولة المركزية في التكوين الاقتصادي والاجتماعي المصري) ط١ (القاهرة: دار الثقافة الجديدة, ١٩٩٣ م) .
١٥.باقر , طه , مقدمة في تاريخ الحضارات القديمه,ج٢, شركة التجارة والطباعة المحدودة , ط٢, بغداد , ١٩٥٦.
١٦.برستد , جيمس هنري ، انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) تقديم: احمد فخري (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية, ١٩٦٩ م.
١٧.بيكي,جيمس,الاثار المصريه في وادي النيل ج٣,ترجمه لبيب حبشى وشفيق فريد, مراجعه محمد جمال,١٩٩٣.
١٨.بيكي,جيمس,الاثار المصريه في وادي النيل ج١,ترجمه لبيب حبشى وشفيق فريد, مراجعه محمد جمال,١٩٩٣.
١٩.بيكي , جيمس , الاثار المصريه في وادي النيل (من طيبه اسوان),ج٤,ترجمه نور الدين الزراري , القاهرة ,١٩٩٨.
٢٠.بدوي ، احمد زكي ، (تاريخ مصر الاجتماعي) ، (الاسكندرية مطبعة صلاح الدين ، المدى ، ب ، ت) .
٢١.جيميز , ت – ج ، الحياة ايام الفراعنة (مشاهد من الحياة في مصر القديمة , ترجمة: احمد زهير امين, مراجعة: محمود طه (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٩٩٧ م).
٢٢.جاردنر ، آلن ، مصر الف حسين ,احمد , موسوعه مصر القديمة ,ج١(القاهرة , دار الشعب,١٩٧٠م).

٢٣.هولمز , ونفرد , كانت ملكة على مصر , ترجمة سعد احمد حسين , (القاهرة ,١٩٩٧).

٢٤.زايد , عبد الحميد ,مصر الخالدة ،ج ٢، (مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق. م) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب, ٢٠٠٢ م .

٢٥.حسن ، سعد الله ، من اسرار الفراعنة، (القاهرة) ، مكتبة مدبولي . د. ت).

٢٦.حسين ,احمد , موسوعه مصر القديمة ,ج١(القاهرة , دار الشعب,١٩٧٠م).

٢٧.حسن , سليم ، مصر القديمة،ج٦ ،(القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية, ١٩٤٩ م).

٢٨.حسن , اسامة , مصر الفرعونية , ط١(القاهرة : دار الامل للنشر والتوزيع ١٩٩٨) .

٢٩.حمزة ، باشا عبد القادر ، على هامش التاريخ المصري القديم ، ج ١ ، (القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٠.

٣٠.لبيب , باهور, لمحات للدراسات المصريه القديمه,القاهرة :مطبعه المقتطف السنويه, ١٩٤٧.

٣١.مهران , محمد بيومي , المدن الكبرى في مصر والشرق الادنى القديم , ج١ , (الاسكندرية ,١٩٩٢).

٣٢.مهران, محمد بيومي, مصر والشرق الادنى القديم ،ج٢ (الحضارة المصرية القديمة) (الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية) ط ٤, (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية, ١٩٨٩ م).

٣٣. مهران, محمد بيومي, مصر والشرق الادنى القديم (مصر)ج٣ (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية،١٩٨٨م)

٣٤.محمد سعيد عطا ، الفراعنة نصوص حضارة ، ط١، (القاهرة بيت الحكمة للاعلام والنشر والتوزيع ١٩٩٦.
٣٥.نوبلكور , كريستيان ديروش , حتشبسوت عظمة..و سحر.. وغموض , ترجمة فاطمة عبدالله محمود , (القاهرة ,٢٠٠٥).
٣٦.سعد الله , محمد علي , دراسات في مصر والشرق الادنى القديم , (٢) في تاريخ الشرق القديم (مصر– سورية القديمة)،ج٢ (الاسكندرية: مركز الاسكندرية للكتاب, ٢٠٠١ م.
٣٧.عثمان, عبد العزيز, معالم تاريخ الشرق الادنى, ج١, ط٢, (لبنان , دارالفكر الحديث ,١٩٦٧).
٣٨.فخري , احمد , الاهرامات المصرية , القاهرة , ١٩٦٣.
٣٩.فخري , احمد, مصر الفرعونية (موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق. م) (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية, ١٩٩٧ م).
٤٠.فيركويتر , جان,مصر القديمه , ترجمه ماهر جويجاتي,القاهرة , دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع,١٩٩٣.
٤١.صالح , عبد العزيز, الشرق الادنى القديم ،ج١(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية, ١٩٦٧ م).
٤٢.رزقانة , ابراهيم واخرون ,حضارة مصر والشرق القديم، القاهرة ، ب .ت .
٤٣.رايفشنال , اليزابيث , طيبه في عهد امنحوتب الثالث , ترجمه ابراهيم رزق , مكتبه لبنان , بيروت, ١٩٦٧.
٤٤.رمضان , عبد العظيم, موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (لجنة التاريخ,القاهرة,الهيئة المصرية العامة , ١٩٩٧.
٤٥.شفيق غربال , محمد , تاريخ الحضارة (مصر) , مجموعة مقالات ومؤلفات وزارة الثقافة والارشاد , تقديم ثروة عكاشة , السلسلة الرابعة للوزارة , القاهرة , بلا , ت.

46. Vallaggia .m.m,Les vizirs des xleet xll Dynasties , B.L.F.A.O,tome 74, La caire ,1974

47. M.Abdul- Kader Mohamed , the Administration of syro – Palestine during the New Kingdom in ASIA , 56 (1959)

48. L.Habachi, Michellanea on Viceroys of kush and their Assistants Buried in Dra Abu El-Nage south , JARCE , 13(1976)

49. Robinson, C.A. , Ancient History From Prehistoric Time to the Death of Justinina , New York , 1958

50. Naville.E. The Temple of eir El Bahari , II , London, 1896

51. kanawati, Government Reforms in old kingdom Egypt . England , 1980

52. Russmann.E.R. an Index to Egyptian Sculpture of the Late Period, 1971

53. Germy, J. , Ancient Egyptian Religion, London, 1901

54. Smith.W.S The Old Kingdom in Egypt CAH, J. 1965

55. S.whale, the Family in the Eighteenth Dynasty Of Egypt , Sydney, 1989

56. N .strudwick , the Adminstration of Egypt in old Kingdom , London , 1985

57. Breasted,j.,:A.R.E, vol. I,chicage,(1947)

دور الثقافة المدنية في العراق بعد عام ٢٠٠٣.

م.م إيثار عبد الجليل علي الطاهر

دور الثقافة المدنية في العراق بعد عام ٢٠٠٣.

م.م إيثار عبد الجليل علي الطاهر

المقدمة

تعتبر الثقافة المدنية هي الركيزة الاساسية في البناء الديمقراطي إذ لايكون هناك بناء ديمقراطي سليم بدون وجود ثقافة مدنية رصينة .

فما هو تعريف الثقافة المدنية ؟

هي الثقافة التي تقوم على التسامح والتقدير المتبادل والقول بالتعدد والاختلاف في الفكر والرؤى والمصالح واحترام القوانين والاحساس بالانتماء للوطن واللجوء إلى الطرق السلمية في إدارة الصراعات والخلافات .

وبالنسبة للمجتمع العراقي فقد عاش لمدة (٣٥) خمس وثلاثين سنة في ظل نظام حكم شمولي مستبد وتم اسقاط هذا النظام على يد قوات اجنبية محتلة وليس بأيدي ابناء الشعب .

ومنذ ٢٠٠٣/٤/٩ وحتى الزمن الحاضر تسود حالة من عدم الاستقرار والفوضى في هذا البلد وذلك لأسباب متعددة أهمها انعدام الامان وعدم وجود ركائز متينة لاقتصاد حر يقوم على المنافسة وتطوير الانتاج وتشغيل الايدي العاملة ، وليست هناك حكومة عراقية وطنية حريصة على مصلحة البلاد ، تعمل من اجل ازدهارها ورفاهية شعبها ، بل وتنتشر السرقات الكبيرة المنظمة بين المسؤولين من رجال الدولة في السلطتين التشريعية والتنفيذية ، لذلك فالعراق يعتبر من الدول الاوائل في مستوى الفساد فيه .

ومن الطبيعي ان لاتهتم حكومة كهذه بنشر ثقافة وطنية مدنية ، وهذا مما ادى إلى انتشار ثقافات فرعية متعددة ، فالعراق بلد متعدد الاديان والطوائف والقوميات ولكل منها ثقافتها الخاصة بها والتي تكون محدودة في الغالب .

وقد شجع المسؤولون الأمريكيون الذين حكموا العراق بعد احتلاله على اثارة النعرات الطائفية سواء بقراراتهم لسياسية والادارية الخاطئة (مثل انشاء وقف شيعي ووقف سني ووقف مسيحي) او في اعلامهم الموجه في الاذاعة للمرافقة لقوات الاحتلال .

لذلك يبدو المشهد الثقافي اليوم بعيداً عن معالم التطور الحديث لأن العراقي يعيش في ازمات متتالية اقتصادية وسياسية وأمنية لاتتيح فرصة لتطوير ثقافة مدنية صحيحة .

فرضية الدراسة :-

تقوم هذه الدراسة على فرضية اساسها ان المجتمع الديمقراطي لايتبلور بدون وجود ثقافة مدنية صحيحة وشعب يمتلك الوعي والادراك الذي يؤهله لاستيعاب معاني تلك الثقافة وتطبيقها في حياته الاجتماعية وهذا حتماً لن يكون سهلا بالنسبة لشعب عاش طويلاً في ظل نظام دكتاتوري مستبد سعى لفرض فكرته ونظريته على شعب بأكمله دون السماح لأي فكر اخر بالظهور على الساحة السياسية .

أهمية الدراسة :-

تأتي أهمية هذه الدراسة من التحولات الايجابية والسلبية التي حدثت في العراق بعد احتلال قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة لأراضيه ومحاولاتها لفرض نمط جديد من الحكم شبيه بما هو موجود في الغرب دون معرفة حقيقة لمكوناته الاثنية والقومية ولا حتى لتاريخه الحديث ، مما جعل العملية الديمقراطية تواجه صعوبات جمة جعلتها غير متكاملة فعلياً .

منهجية الدراسة :-

كان المنهج العلمي التحليلي هو الاساس المستخدم في هذه الدراسة ؛ وذلك لمعرفة الاسباب الحقيقية والمعوقات التي تقف حائلاً دون تحقيق مجتمع ديمقراطي سليم .

المبحث الاول :-

الثقافة العراقية والمجتمع المدني بعد ٢٠٠٣ :-

لم تشهد الثقافة العراقية بعد ٢٠٠٣ تطوراً ملموساً كما كان يتوقع الكثيرون ممن ينتمون لهذه الثقافة وبقيت مقيدة بما تفرضه ايديولوجية وافكار المؤسسة الثقافية الرسمية وذلك للسببين التاليين :-

١- لم تحقق عملية التغيير بإرادة الشعب العراقي تحت قيادة احزاب سياسية مهتمة بالقيام بثورة كبرى على النظام الدكتاتوري المستبد . وانما تحققت على يد قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة وبريطانيا .

٢- سعت القيادة الامريكية التي حكمت العراق إلى فرض قوانين تكرّس الطائفية والانقسام في المجتمع العراقي ومنها قوانين المحاصصة الطائفية مما أدى إلى انتشار العنف والحرب الداخلية .

وأدت سيطرة الاحزاب السياسية الدينية على المشهد السياسي إلى تراجع وتوقف الكثير من الفنون مثل السينما والمسرح والرسم حيث تراها تلك الاحزاب مخالفة للأديان والعرف[١] .

هذا عدا عن ان حالة العراق الأمنية مهددة وغير مستقرة ؛ إذ تكثر حالات الاغتيالات للشخصيات المثقفة كأساتذة الجامعة والاطباء ، هذا عدا عن التفجيرات بسيارات مفخخة وعبوات ناسفة وخاصة في العاصمة بغداد .

ولذلك يبدو من الصعوبة الحديث عن مجتمع مدني في العراق ؛ لأنه لم يحدث تحول حقيقي نحو الديمقراطية ؛ وذلك لأسباب عديدة افرزتها مجمل الاوضاع

الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بعد الاحتلال الامريكي ، اذ أدى هذا الاحتلال إلى زيادة تردي الحالة الاقتصادية بل وانهيار الاقتصاد العراقي وتوقفت كافة المشاريع الزراعية والصناعية وليس هناك تخطيط للقيام بتنمية تعتمد الاسس الحديثة . والاسوء من ذلك هو انتشار الفساد الاداري والمالي في الاقتصاد العراقي وفي كافة قطاعات الدولة الاخرى .

وهذا أدى إلى تدهور الحالة الاقتصادية للأسرة العراقية بشكل عام وانخفاض دخلها قياساً إلى اسعار السوق الغارق بالسلع المستوردة وإنعدام فرص العمل للشباب . إضافة إلى غياب الطبقة الوسطى من المجتمع وعدم وجود تحول ديمقراطي بالمعنى الصحيح . إذ تصدرت الاحزاب الدينية الموقع الاول في السلطة منذ ٢٠٠٣ لحد الان ولم تأت احزاب مدنية لكي تعمل على نشر المفاهيم الديمقراطية[٢] .

وتعتبر الاحزاب هي الركيزة الاساسية لقيام نظام ديمقراطي إذ لاوجود للديمقراطية بدونها ، فالديمقراطية تشجع على تعبير مختلف فئات المجتمع عن آرائهم ومنها حق المواطنين في حرية انشاء احزاب سياسية والانتماء إليها . لكن وجود احزاب او تنظيمات سياسية لا يكفي بحد ذاته لقيام ديمقراطية بمعناها المتكامل دون وجود ثقافة سياسية ووعي لدى المواطنين بضرورة المشاركة الفعالة في كل القرارات المتعلقة بوطنهم ومجتمعهم الذي يعيشون فيه وهذه كلها تتحقق في ظل مجتمع مدني متطور قائم على العدالة والمساواة ، فالديمقراطية لا يمكن فرضها عبر القوانين والقرارات التشريعية ولا تتحقق عبر اجندات خارجية تفرضها سلطات محتلة للبلد .

فهي ثقافة وسلوك وتبدأ من الاسرة ثم المراحل التعليمية بأكملها وخصوصاً الجامعات وتساهم فيها أيضاً مؤسسات المجتمع المدني وتهدف هذه الثقافة اساساً الى الاعتراف بحقوق الانسان وحرياته الخاصة والعامة والى تحقيق العدالة بين افراد الشعب على اختلاف اديانهم ومذاهبهم وقومياتهم وعن طريق تكافؤ الفرص وفي كافة مجالات الحياة[٣] .

لكن العراق يعاني من التخلف الثقافي والسياسي بشكل عام وتسود فيه قيم وقوانين العرف العشائري وكذلك المفاهيم الدينية المتعلقة بالثقافة الاسلامية التقليدية مما يجعل عملية تحقيق الديمقراطية تواجه صعوبات جمة وسوء فهم خاصة وان المجتمع العراقي عانى ولفترة طويلة من نظام حكم دكتاتوري مستبد يسود فيه فكر الحزب الحاكم دون معارضة , وكانت الثقافة العراقية خاضعة لذلك الفكر الحزبي الشمولي , وكان المثقف العراقي لا يستطيع التعبير عن رأيه لأسباب سياسية او دينية . ويرى كثيرا من الباحثين ان المجتمع العراقي المعاصر يفتقد الى هوية مواطنة موحدة ينتمي اليها كل العراقيين ومن اسباب ذلك ضعف الدولة وعدم فعالية مؤسساتها ولم تسن قوانين او تشريعات تعمل على تكريس تلك الهوية ، كما ان السلطة ضعيفة وليس لها دور فعال رغم خطورة وجسامة المهمات الواقعة على عاتقها في المرحلة التاريخية الحالية وهذا ادى الى تراجع الاوضاع في العراق وخاصة الوضع الامني[٤] .

وفي ظل الوضع الامني المتردي في العراق وعجز الحكومات المتعاقبة منذ ٢٠٠٣ وحتى الان في فرض سلطة القانون وبسط الامن في كافة انحاء البلاد فقد تراجع المستوى التعليمي والثقافي بشكل ملحوظ وذلك بسبب استمرار الحرب وازدياد وتيرة الصراع الطائفي وشهدت الكثير من المدارس اعمال نهب وتخريب , كما اغلقت مدارس اخرى تتواجد في مناطق الصراع او القتال ؛ مما ادى الى عجز الطلاب عن مواكبة الدروس بفعالية وانخفاض مستوياتهم الدراسية وانحطاط في القيم الاخلاقية والتربوية .

والتعليم العالي في العراق يعاني من ازمة حادة ؛ نتيجة للأوضاع التي يمر بها البلد . فالطالب الجامعي يصل الى هذه للرحلة وهو ضعيف المستوى ولا يمتلك الطموح لزيادة معلوماته وخاصة وهو يرى ان البطالة متفشية بين اقرانه الشباب وان الشهادة لن تساعده في الحصول على عمل[٥] .

وفي وسط هذه المشاكل الكبيرة التي يعيشها العراق تبدو عملية البحث عن ثقافة عراقية تؤمن بنشر الديمقراطية وتأسيس مجتمع مدني امراً في غاية الصعوبة , وذلك بسبب انهيار المجتمع بكل مؤسساته بعد الاحتلال وان كل ما يتعرض له المجتمع من خطورة هو لا يهدد حياة المواطنين فقط بل يهدد هويتهم وثقافتهم الوطنية ايضاً .

ولا يمكن ان ينشا المجتمع المدني دون وجود طبقة وسطى مثقفة وفي ظروف يكون فيها الاقتصاد مستقراً ويسير باتجاه تطوير البنى التحتية ورفع مستوى الانتاج اذ تساعد الحالة الاقتصادية المزدهرة على ايجاد البيئة المناسبة لتطوير قدرات ومواهب النخب المتميزة في الثقافة والفن مما يمهد لنشوء مجتمع مدني كما حدث في المجتمع العراقي في فترة الخمسينات ويرى الباحث د. علي وتوت ان عقد السبعينات شهد ايضاً تطوراً اقتصاديا لكن هذا لم يؤد الى نشوء مجتمع مدني بسبب قمع سلطات البعث لكل رأي او نقد معارض[٦] .

وفي حوار اجرته صحيفة من جريدة الشرق الاوسط مع عدد من المثقفين العراقيين اكد الناقد فاضل ثامر رئيس اتحاد الادباء والكتاب ان الثقافة العراقية بعد ٢٠٠٣ قد دخلت الصراعات السياسية والطائفية ومؤسساتها فاشلة لا يمكن الانكار ان هناك منجزات ثقافية قليلة تقوم بها بعض المؤسسات العملية كالجامعات ومراكز البحوث مثل المؤتمرات العلمية السنوية او المهرجانات الادبية لكنا لم تصل الى بلورة ثقافة عراقية موحدة[٧] .

ولتأسيس او وضع ركائز متينة لثقافة عراقية موحدة علينا ان نعمل على :

١- تأسيس دستور جديد يضعه اكاديميون قانونيون عراقيون , يتضمن الاعتراف بكل القوميات والطوائف والاديان الموجودة في العراق على قدم المساواة وحقها في التفكير والتعبير عن آرائها ضمن اطار الوحدة العراقية

٢- وضع كتب ومناهج دراسية جديدة لكافة المراحل الدراسية بدءاً بالمراحل الابتدائية وحتى نهاية المرحلة الجامعية تتضمن تعليم مبادئ التسامح وقبول الرأي الاخر والحوار الهادئ البناء وصولا الى ثقافة مدنية متطورة تتجلى في دولة ديمقراطية متحضرة يكون انتقال السلطة فيها عبر انتخابات حرة نزيهة .

٣- تداول السلطة بين مختلف الاحزاب العراقية الموجودة على الساحة السياسية مع الاتفاق على مبادئ عامة اساسية للنهوض بالبلاد واولها تأسيس اقتصاد وطني متين وصناعات متعددة لتشغيل الشباب العاطلين وعدم الاعتماد على مورد النفط وحده .

٤- العمل على تأسيس جهاز امني قوي يتكمن من السيطرة وحفظ الامن والقضاء نهائيا على الارهاب وكل عناصره . اذ لا يمكن ان يكون هناك مجتمع مدني او حكم ديمقراطي فعال في ظل اوضاع مهددة وغير مستقرة فحالة الامان والاستقرار هي العامل الاساس لنشوء ثقافة عراقية وطنية رصينة[٨] .

٥- من الضروري ان تتسع هذه الثقافة لتشمل كافة ابناء الشعب بمختلف مستوياتهم وذلك من اجل بناء هوية وطنية عراقية واحدة والابتعاد عن التعصب واستخدام اساليب العنف بين ابناء الوطن الواحد .

٦- ان تكون هناك برامج ثقافية في مختلف القنوات الفضائية العراقية اضافة الى وسائل الاعلام الاخرى ترتكز على القواسم المشتركة العديدة التي تجمع ابناء الشعب العراقي كالتاريخ المشترك والثقافة المشتركة وعدم اثارة النعرات القومية والطائفية[٩] .

المبحث الثاني :

تحولات البناء الديمقراطي في العراق .

ليست هناك تحولات جذرية ملموسة في هذا المجال لكون التغيير جرى بأيدي قوات احتلال . ويمكن ان نشهد ذلك في كافة نواحي الحياة ومنها النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

فمن الناحية السياسية جرت في العراق منذ ٢٠٠٣/٤/٩ وحتى الوقت الحاضر أربعة انتخابات نيابية مصيرية وكانت انتخابات ٢٠١٤/٤/٣٠ هي الاخيرة مع افتقاد السلطة السياسية لشيئين مهمين وهما : الاحصاء السكاني الذي يبين اعداد السكان وتصنيفهم حسب القوميات والاديان الموجودة في البلاد . وكذلك قانون الاحزاب الذي يحدد شروط تأسيس الحزب وينظم قوانينه والعلاقة بينه وبين السلطة الحاكمة . وجرت الانتخابات وفقاً للقرار رقم (٩٦) الذي اصدرته سلطة الائتلاف المؤقتة بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٥ ولم يصدر اي قانون او تشريع خاص بها من جانب مجلس النواب العراقي .

كما ان مفوضية الانتخابات هي مستقلة دستورياً ونظرياً فقط . لكن في الواقع الملموس تسيطر على عملها الاحزاب المهيمنة على السلطة منذ ٢٠٠٣ وحتى الزمن الحالي وعلى رأسها حزب الدعوة الاسلامية ، ولم يستطع اي حزب اخر او حتى ائتلاف من عدة احزاب الفوز والاخذ بمقاليد السلطة كما هو معروف في الدول ذات الديمقراطية العريقة رغم تنافس اكثر من (٢٧٧) حزباً وتياراً عراقياً وهناك دلائل تشير إلى تزوير نتائج الانتخابات لصالح الحزب الحاكم[١٠] .

وهناك قرار سابق اصدرته سلطة الائتلاف المؤقتة وكان خاطئاً ايضاً هو قرار رقم (٦) بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١٣ وبانشاء مجلس الحكم والذي قام على اسس طائفية على اساس ان العراق يتكون من عدة قوميات واديان ويجب ان تكون لكل منها حصتها في ذلك المجلس اولاً وفي المجلس النيابي فيما بعد وقد استمرت الكتل

والاحزاب السياسية باعتماد ذلك النظام لاسباب متعددة منها إنها اتخذت السلطة هدفاً وغاية لها فالسياسيون تورطوا بأعمال فساد كبيرة وحتى بالإرهاب او العمل لصالح دول معادية للعراق بأجر مدفوع الثمن ، وكذلك هناك نوع من عدم الثقة بين الاطراف السياسية المختلفة وتمسك كل منها بوجهة نظرها وبمصالحها الخاصة وعدم اهتمامها بمصلحة الوطن او شؤون المواطنين .

والأسوء من ذلك انه منذ صدور القرار رقم (٢) بتاريخ ٢٠٠٣/٥/٢٣ بحل كل أجهزة ودوائر الجيش والشرطة والعراق يعيش حالة من الانفلات الامني لم يشهد لها مثيل منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة في العام ١٩٢١ [١١].

فقد هوجمت المباني والممتلكات العامة وجرى تدميرها وسلب كل مافيها ومن بينها المتحف العراقي الذي يضم اثاراً عريقة القدم لتعود للحاضرات القديمة وفي هذا خسائر فادحة لا تقدر بثمن ، واستمرت عمليات التدمير والسرقة لفترة تجاوزت عدة اسابيع وتزايدت حوادث الاختطاف وقتل الابرياء وقيدت كلها ضد مجهول ، فليست هناك احصاءات دقيقة عن اعداد القتلى او عن السيارات المفخخة والعبوات الناسفة التي تنفجر في كافة المدن العراقية وتزداد بشكل ملحوظ في العاصمة العراقية بغداد واذا اطلعنا على تقارير الجهات الرسمية مثل وزارات الداخلية والدفاع والصحة وحقوق الانسان فسوف نجدها متباينة ومتناقضة فيما بينها مما يدل على عدم اهتمام السلطات الحاكمة بحياة العراقيين واهمالها الكبير في توفير الامن والاستقرار لهم[١٢].

اما بالنسبة للاقتصاد العراقي فقد عانى من التراجع سواء في مجال التنمية اوفي مجال انجاز المشاريع الخدمية منذ قيام الحرب العراقية الايرانية في عام ١٩٨٠ التي اقتصرت على مشاريع تخدم المجهود الحربي . وكانت بعض المشاريع مثل انشاء شبكة كهرباء وماء في الريف قد استمرت خلال الفترة ١٩٨٣-١٩٨٥ لكن منذ ١٩٨٦ تدهورت الظروف المالية في العراق لانخفاض الاسعار النفطية وازدادت احوال العراق سوءاً بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ وفرض الحصار الاقتصادي

عليه اذ توقفت محطات تصفية مياه الشرب عن العمل ، وشكل هذا احد الاسباب الخطيرة لتراجع المستوى الصحي العامة الناس . اذ لم يعد ماء الاسالة صالحاً للشرب واضطر الكثير من السكان الى شراء مياه معبأة في قناني او استخدام اجهزة تحلية وتصفية المياه كما ادى الحصار الاقتصادي الى نقص في الادوية والمعدات الطبية بصورة عامة وانخفض معدل الدخل الفردي للمواطن العراقي في حين ارتفعت اسعار المواد الغذائية والاستهلاكية بشكل فاحش وبلغ معدل التضخم في اسعار المستهلك ٣٥٠% لعام ١٩٩٢ . وعاش غالبية المواطنين العراقيين في ظرف صعب اذ لاتكاد مواردهم المالية تكفي لسد متطلبات عيشهم وكانوا يعتمدون على الحصة التموينية .وهذه الظروف الاقتصادية البالغة الصعوبة التي فرضت على ابناء الشعب العراقي ساهمت في انتشار الفساد بينهم كالسرقة والرشوة والتزوير والغش[١٣]

وقد استفحلت هذه الظواهر السيئة وسادت في المجتمع العراقي بعد احتلال قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة لأراضيه ولم يقتصر الفساد على المحتلين الذين سرقوا الكثير من الاموال التي كانت مخصصة لصندوق تنمية العراق وتلاعبوا بسجلات ميزانية الدولة بل تعداه الى الحكومات العراقية التي تولت زمام الحكم في العراقي من بعدهم فقد اصبح نهب المال العام يجري بشكل علني وتوقفت كل المشاريع الانشائية والخدمية والصناعية التي كان من المؤمل العمل بها لإعادة البنى التحتية والتي تدمرت بسبب القصف المستمر لقوات التحالف ولعدة ايام على كل المواقع الحيوية في مفاصل الدولة العراقية . واصبح غالبية سكان العراق رغم ميزانية البلد الهائلة يعانون من الفقر والبطالة . كما اصبح العراق وحسب تقارير منظمة الشفافية العالمية يحتل المركز الاول في العالم في مستوى الفساد المنتشر فيه[١٤] .

وقد اثرت هذه الاحداث الكبيرة التي مر بها العراق الى حد بعيد على حياة المواطنين فيه سواء على المستوى الفردي ام على المستوى الاجتماعي , فلم يعد هناك قانون نافذ وملزم تطبيقه على كل المجتمع العراقي وبانحلال الدولة وتفكك اجهزتها

شاع الفساد وانتشرت الجريمة بل واصبحت واقعاً يومياً في احداث هذا البلد فلا يمر يوم الا وتحدث انفجار السيارات الملغمة والعبوات الناسفة ويجري قتل عدد من المواطنين بشكل متعمد وعلى ايدي مجرمين مجهولي الهوية ويرى الاساتذة والباحثون في علم الاجتماع ان الفرد العراقي بسبب هذه الحقبة التاريخية الطويلة من الحروب التي مرت عليه وخاصة الاخيرة ودخول المحتلين على اثرها الى العراق واستباحة اراضيه ، اصبح هذا الفرد يعاني من اليأس والاحباط واللامبالاة وعدم الاكتراث وكثرت حوادث الانتحار بين العراقيين من مختلف الفئات العمرية[١٥] .

كما ان المجتمع العراقي قد مر بتغيير هائل من السلطة المطلقة والهيمنة الشاملة التربوية والفكرية والاقتصادية الى حالة جديدة لمجتمع مختلف كلياً . واذا كان الدستور العراقي يشير في المادة (٢) بعدم جواز سن قانون يتعارض مع الديمقراطية وفي المادة (٦) بان تداول السلطة يتم سلمياً عبر الوسائل الديمقراطية الا ان الواقع يشير الى اتجاه الحكومات المتتالية نحو تحقيق مصالحها الفردية وليس نحو ارساء اسس الديمقراطية[١٦] .

وابرز دليل على ذلك هو هذا التناقض الصارخ بين الحقائق الدامغة المثبتة بالأرقام عن ميزانية العراق للعام الحالي والتي وصلت الى (٣٩) ترليون دينار وبين تصريح وزير المالية السيد هو شيار زيباري بعدم قدرة الدولة على دفع رواتب موظفي الدولة وابتداءاً من مطلع شهر نيسان القادم ، ثم تصريح عضو اللجنة الاقتصادية في مجلس النواب العراقي السيدة نجيبة نجيب بان تلك الرواتب مؤمنة حتى نهاية العام الحالي , غير ان السلطة التنفيذية قد تلجا الى خيارات متعددة لتقليص النفقات من جهة. ودفع الرواتب من جهة اخرى ومنها منح اجازة بدون راتب بشكل اجباري لعدد كبير من الموظفين , وكذلك بيع سندات مالية للمواطنين , ومنها ايضاً اللجوء الى مجموعة البنك الدولي او المنظمات الدولية للافتراض منها[١٧] .

وهذا كله بسبب السياسات الخاطئة منذ ٢٠٠٣ وحتى الوقت الحاضر , فبعد التخريب المتعمد الذي جرى لكل المنشآت الصناعية سواء بقصف قوات الاحتلال لها ، او بدخول مجموعات ارهابية مسلحة والعبث بها وسرقة كل ما فيها لم تقم اي من الحكومات التي تولت مقاليد الحكم بعد ٢٠٠٣/٤/٩ بإصلاحها او ببناء البدائل عنها , ولا يبدو اي مشروع لديها بهذا الشأن . كما لم يتم اصلاح المنظومة الكهربائية لعموم العراق , ومازالت الطاقة الكهربائية تعتمد على المولدات الكبيرة والصغيرة ، ومن المعلوم ان هذه الطاقة هي العصب الرئيس لقيام كافة الصناعات الخفيفة والثقيلة في بلد ما كما ، لم تسن قوانين جديدة لضبط الحالة الامنية وتوفير الامان والاستقرار ، مما ادى الى استمرار حالات القتل والسلب والنهب . وهذا يجعل المستثمرين العراقيين والاجانب يحجمون عن القيام بأي تعاقد مع الدولة سواء لاعادة البنية التحتية او لانشاء مؤسسات صناعية جديدة .

كما لم تقم السلطة التنفيذية بأي خطوة لتطوير الزراعة في العراق , بل لقد اصبح هذا البلد يستورد حتى قوته اليومي من البلدان المجاورة .

كما ان الاهم من ذلك كله هو كثرة اعضاء السلطتين التنفيذية والتشريعية ورواتبهم الضخمة جداً هم وحماياتهم يؤثر على الميزانية العراقية بشكل واضح . ويرى الباحث الاقتصادي د.محمد علي زيني ان الاقتصاد العراقي يعاني من[١٨] ازمات متعددة ومن احدى اسبابها هو اعتماده الكلي على استخراج وتصدير النفط ، يتبين لنا من هذه الوقائع ان العراق لا يزال بعيداً عن مفهوم الديمقراطية الحقة .

المبحث الثالث :-

النتائج المتوقعة للبنى الثقافية في العراق :-

يعترف الدكتور سيار الجميل الثقافة بانها مجموع المعارف المكتسبة التي يتمكن الانسان بواسطتها من تنمية ملكاته في النقد والذوق والابداع واقرار الاحكام في الحياة . والثقافة هي الركيزة الاساسية للبنية الفوقية في المجتمع وهذه البنية هي

مجموع القيم والمفاهيم والتصورات المتعلقة بالوجود والتي تنتجها البنية التحتية في ذهن الانسان . واذا كانت البنية التحتية للمجتمع العراقي قد جرى تدميرها بفعل الحروب والازمات ثم الاحتلال الاميركي والبريطاني لاراضيه ولم تحاول الحكومات العرقية المنتخبة منذ ٢٠٠٦ وحتى الان اعادة وضع اسس تلك البنية , فلم تجري اي اصلاحات جذرية في مجال الصناعة والزراعة . ولم تبني مصانع جديدة , فكيف يمكن ان تكون البنية الثقافية في مثل هذه الاوضاع ؟[١٩] .

ان اغلب الذين تولوا شؤون الثقافة في العراق بعد ٢٠٠٣/٤/٩ جاءوا و الى الوزارة المعنية بهذا الشأن اي وزارة الثقافة وفقا لمبدأ المحاصصة وليس وفقا للكفاءة والمؤهلات , ولذلك بقيت وزارة الثقافة جامدة ومعطلة عن اداء دورها الحقيقي فلم تستطع فتح المسارح ودور السينما في بغداد والمحافظات واعادة بنائها وتأهيلها , بل وانشاء الجديد منها , كما لم تقم بأي مهرجان فني او ابداعي ولم تهتم حتى بالمطبوع العراقي ؛ ولكون المواطن العراقي عموما والمثقف بشكل خاص يقع تحت طائلة العديد من الازمات الحياتية اليومية فأنه لا يستطيع ان يساهم مساهمة فعالة في تغيير الواقع المتأزم من حوله , بل والاسوء من ذلك ان يتعرض الكثير من المثقفين البارزين الى القتل او التهديد الذي يرغم على مغادرة البلاد ان من يدرس ويطلع على واقع الثقافة العراقية في القرن الماضي يجد المثقفين العراقيين في الطليعة بالنسبة لتفاعلهم مع احداث بلادهم ومشاركتهم في الاحزاب السياسية من خلال الكتابة او من خلال ممارسة النضال الفعلي ضد الحكومات العميلة , وتعرض كثير منهم الى الاعتقال والتعذيب والى صدور احكام الاعدام ضدهم وكانت الثقافة العراقية نشطة وحاضرة في كل المجالات[٢٠] .

ومثال ذلك انبعاث حركة التجديد في الشعر العربي من العراق وكان روادها نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وبلند الحيدري . وفي علم الاجتماع د. علي الوردي و د.مصطفى شاكر سليم و د. عبد الجليل الطاهر . وفي التاريخ د. حسن امين .

وفي الفيزياء د. عبد الجبار عبدالله وغيرهم كثيرين في كافة فروع العلم والمعرفة وما زالت كتبهم ومقالاتهم ودواوينهم ذات قيمة علمية يقدرها الباحثون والدارسون كل في مجال اختصاصه . كما بلغ المستوى العلمي في الجامعات العراقية ذروته وكانت شهادة الجامعات العراقية محترمة ومعترف بها لدى الجامعات العالمية[٢١] .

وكان من الممكن استمرار تلك المسيرة نحو مزيد من التقدم والرقي ولكن مجيئ صدام حسين الى الحكم في عام ١٩٧٩ قد جعل الثقافة العراقية الغنية بمضامينها والمتنوعة بمصادرها تتحول الى ثقافة نمطية مؤطرة بفكر الحزب الحاكم – آنذاك – وانقسم المثقفون الى ثلاث اتجاهات : الاول الذي ساند السلطة واعتنق مبادئها وراح يثني عليها ويدافع عن ممارستها على الصعيد السياسي والاجتماعي والثاني فضل الانزواء بعيداً وعدم ابداء اي رأي بهذا الشأن اما الثالث فقد هاجر الى خارج البلاد وانضم الى صفوف المعارضة وراح ينتقد السلطة وفي وسائل الاعلام علناً كما اثر الحصار المفروض على العراق في شل الحركة الثقافية لعدم قدرة المثقفين على مواكبة المسيرة الثقافية والعلمية في البلدان الاخرى في العالم . لكن بعد سقوط نظام الحكم السابق وجد المثقف العراقي نفسه في ظل اوضاع صعبة للغاية وهو اذا كان خاضعاً للسلطة الحاكمة في الزمن الغابر , فهو في الزمن الحاضر المتردي والوضع الامني يجد نفسه مقيدا بأوامر وتعليمات السلطة من جهة , والصراع الطائفي من جهة من جهة اخرى ، ويقول الناقد فاضل ثامر رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين : ((الحركة الثقافية في العراق ركزت جهودها لأجل بناء ثقافة وطنية ديمقراطية وتقيميه في المحتوى)) . لكن المؤسسات الثقافية الرسمية لم ترضى عن هذه الثقافة فأهملت المشروع الثقافي لأنه لا يسير في خدمة مصالحها الخاصة ، ويرى د . نوفل ابو رغيف مدير عام دار ثقافة الاطفال ان على المثقف ان يؤدي دوره في نشر الوعي في المجتمع وان لا يبتعد عن الاخرين . وان الثقافة

العراقية تحتاج الى عقدين من الزمان لكي يمكن ان تكتسب صورة الديمقراطية بما فيها من تنوع واختلاف وقبول الرأي الاخر[٢٢] .

وقد بين عدد من الباحثين المختصين بهذا الشأن انه لا يمكن قيام مجتمع مدني يؤدي دوره الفعال ولا يمكن ان تقوم ثقافة وطنية راسخة بدون بناء اسس ديمقراطية حقيقية تقوم على المشاركة الفعالة لكل فئات واطياف المجتمع قبل حوالي عقد من الزمان توقع عدد من اساتذة العلوم السياسية العراقيين ان البناء الديمقراطي في العراق لديه فرص للنجاح لو توافرت شروط معينة منها السعي للنهوض بالاقتصاد العراقي ووضع خطط تنمية شاملة لكل القطاعات وتشجع الاستثمارات واعادة تأهيل المصانع المتوقفة عن العمل وتغيير المناهج العلمية في المدارس والجامعات , بما يجعل ابناء الجيل الجديد يفهمون معنى الديمقراطية ليست مجرد نظام سياسي بقدر ما هي اسلوب في الحياة[٢٣].

وقد نشأت الثقافة العراقية الحديثة في مطلع القرن العشرين وانقسم المثقفون العراقيون الى ثلاثة اتجاهات : الاشتراكي والقومي والليبرالي . واستمر التنوع الثقافي يقدم نتاجاته الفكرية على الساحة العراقية حتى جاء حزب البعث وفرض فكرة وأيدولوجيته على كل النواحي في العراق وهناك عامل مهم يلعب دوراً اساسياً في بنية الثقافة العراقية الا وهو هويتها الوطنية ولم يطرح هذا التساؤل الا بعد ظهور النزعات الطائفية بعد ٢٠٠٣/٤/٩ فالعراقيون يجمعهم واقع جغرافي تاريخي مشترك. ولكن معظم الاحزاب العراقية التي ظهرت على الساحة السياسية لم تتحدث عن ذلك , بل انشغلت بمشاريع خارجية قومية وطائفية واممية منافية تماما للوحدة الوطنية وهذا مما ساهم في صعوبة بلورة فكرة الهوية الوطنية الموحدة ان احد الاسس الهامة لبناء الدولة العراقية العصرية المدنية هو الاتفاق على مبدأ الهوية الجماعية , ولم تنجح الدولة العراقية في تأصيل الهوية الوطنية لهذا البلد وهذا يعود الى سببين رئيسيين : اولهما تعدد الانتماءات العرقية والطائفية في العراق وصعوبة الشخصية العراقية التي تتوزع

على عدة ولاءات , فيؤدي هذا الى تشتت الهوية في بحر من التناقضات ولذلك يمكن القول عن البنية الثقافية في العراق انها من الممكن ان تتكون بصورة جديدة بعد التغيرات التي طرأت على البلاد ويكون لها اساس راسخ متين لو توافر لها المناخ السياسي والاجتماعي الملائم[٢٤]

المصادر :-

١- الكتب .

١- عبد العظيم جبر حافظ , التحول الديمقراطي في العراق , الواقع ... المستقبل مطبعة جعفر العصامي بغداد ٢٠٠٩

٢- برهان غليون الديمقراطي وحقوق الانسان في الوطن العربي مشكلة الانتقال وصعوبة المشاركة مجموعة باحثين حقوق الانسان العربي مركز دراسات الوحدة العربية ط١ , بيروت ١٩٩٩

٣- الدولة والمجتمع في العراق المعاصر , سوسيولجيا المؤسسة السياسية في العراق ١٩٢١-٢٠٠٣ ط١ , مركز دراسات الشرق العربي لبنان ,٢٠٠٨

٤- عامر حسن فياض , ديمقراطية العرب البحث عن هوية مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية . ط١ , بغداد , ٢٠١٣

٥- علي عودة العقابي العراق بين سجال الانسحاب الاميركي واستراتيجية بناء الدولة الجديدة مطبعة دار الضياء , ط١ , بغداد , ٢٠١٢

٦- نمير امين البيرقدار , انقاذ العراق دار الساقي , ط١ , بيروت , ٢٠١٠

٧- محمد علي زيني , الاقتصاد العراقي الماضي والحاضر وخيارات المستقبل مطبعة جعفر العصامي , ط٣ , بغداد , ٢٠٠٩

٨- طالب مهدي السوداني , المجتمع العراقي دراسات وابحاث اجتماعية دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع , ط١ , بغداد , ٢٠١٥

٩- وائل عبد اللطيف الفضل , دساتير الدولة العراقية , للفترة من ١٨٧١ لغاية عام ٢٠٠٥ جمع وترتيب وتعليق دار الشؤون الثقافية العامة , ط٢ بغداد , ٢٠٠٦

١٠- كريم ابو حلاوة اشكالية مفهوم المجتمع المدني النشأة والتطور والتجليات , الاهالي للطباعة والنشر ط١ , دمشق , ١٩٨٨

١١- سيار الجميل , العرب والاتراك , الانبعاث والتحديث من العثمنة الى العلمنة , ط١ , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ١٩٩٧

البحوث :-

١- عدنان ياسين , تداخل المرجعيات واثره في الهوية الوطنية , بحث مقدم الى المؤتمر المركزي لبيت الحكمة "بناء الانسان.. بناء للعراق" بغداد ٢٠٠٩

٢- سالم محمد البياتي حسناء ناصر ابراهيم . اثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية على تسرب طلبة الجامعات , دراسة جامعة بغداد نموذجاً مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة , العدد (١٤) ٢٠٠٧

٣- مها عبد اللطيف الحديثي , معوقات بناء ثقافة سياسية مشاركة في العالم الثالث مجلة دراسات استراتيجية مركز الدراسات الاستراتيجية , العدد (٤) بغداد , ٢٠٠٥

٤- عامر حسن فياض اثر تدريس حقوق الانسان في تعزيز الفكر الديمقراطي اللبرالي العراقي المعاصر بحث منشور في مجلة : اوراق عراقية . العدد (١) ٢٠٠٥,

٥- سيار الجميل البنية الفوقية والبنية التحتية , المفاهيم المستترة والمعاني الحقيقية الحوار المتمدن

٦- سيار الجميل , بنية الثقافة العراقية , دراسة في الاجيال الراحلة , محاضرة القيت في المجتمع الثقافي العراقي , ابو ظبي , الامارات العربية المتحدة

الصحف :-

١- المدى .

٣-المواقع الالكترونية :-

١- www.iasj.net

٢- www.akhbaar.org

٣- www.iraqpressagency.com

٤- www.ahawar.org

٥- www.sayyaraljamil.com

الخلاصة

دخلت قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة وبريطانية الى العراق بهدف احتلاله والسيطرة على اراضيه وموارده النفطية وكل ما فيه من ثروات هائلة وسعت لفرض اجندات وسن قوانين تشجع الفكر الطائفي والمذهبي وتراجع العراق قروناً الى الوراء بسبب التدمير الكامل للبنية التحتية فيه وانحسار مستوى الخدمات , وانتشار الفوضى والعصابات المجرمة التي تستهدف حياة المواطنين وامنهم وسلامتهم . وفي ظل هذه الاوضاع المتردية وشل الحياة الاقتصادية وتوقف كل المشاريع الصناعية لا يمكن ان تقوم ديمقراطية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة فالديمقراطية اساسها الوعي العام بقبول الاخر والتعايش بين الاديان والقوميات والمذاهب المختلفة تحت راية الهوية الوطنية الموحدة ومنذ تكون مجلس الحكم وحتى وقتنا الحاضر لم يشهد الشعب العراقي اي تطور او تقدم ملموس كما اقتصرت السلطات الثلاث وبعد كل دورة انتخابية على الاحزاب المساندة للولايات المتحدة والمتحالفة فيها ومما زاد الامر سوءاً هو تفشي السرقة والرشوة والفساد بكل انواعه وتصدر العراق لقائمة الفساد في في العالم . ان

السماح للمواطنين بالمشاركة في الانتخابات ، او منحهم الحرية للدخول الى الشبكة الدولية والتعبير عن آرائهم من خلال وسائل التواصل الاجتماعي لا يكفي بحد ذاته كدليل دامغ على وجود الديمقراطية في العراق فالديمقراطية لا تنشأ الا في دولة يسود فيها الامان والاستقرار وقد حققت مستوى معين من التطور والتقدم وبلغ مواطنيها درجة من الوعي تؤهلهم ليس للذهاب لصناديق الاقتراع فقط , بل والمشاركة في صنع القرارات التي تمس شؤون حياتهم اليومية , وهذا يتطلب بناء ثقافة جديدة تساعد في ترسيخ مفهوم الهوية الوطنية الموحدة لكل اطياف وفئات الشعب المختلفة .

Abstract

Coalition forces led by united states and Britain entered to Iraq with a view to its occupation and control of the mineral resources especially oil wealth and sought to impose agendas and laws encourage sectarian and religious thought . All the infrastructure has been destroyed , the services was receded and the crimes was spread and menaced the lives of citizens and their security, under and these deteriorating condition it is impossilble to based demoeracy . Allowing citizens to participate in elections or by accessing the internet and express their opinions through social media is not enough in itself as conclusive evidence for the existence of democracy , because it arises only in the state , where are security and stability prevail , achieving a certain degree of development and progress , when the citizens can participate in the decisions that affect the daily life and this requires the construction of a new culture to establish the conceot of a single national identity of each different classes of people

الهوامش :

[١]- الكاتب : قحطان جاسم جواد ، الموضوع : المشهد الثقافي في العراق بعد ٢٠٠٣ باب : ثقافة. جريدة المدى ، العدد (٢٧٧٠) ، التاريخ : ٢٠١٣/٤/٨ .

[٢]- عبد العظيم جبر حافظ ، التحول الديمقراطي في العراق ، الواقع .. المستقبل . طبع : مطبعة جعفر العصامي للطباعة الحديثة ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص٣١٩ ، ٣٢٧ .

[٣]- برهان غليون ، الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي : مشكلة الانتقال وصعوبة المشاركة ، مجموعة باحثين . حقوق الانسان العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٩ . ص٣٦ .

[٤]- د. عدنان ياسين ، تداخل المرجعيات وآثره في الهوية الوطنية ، بحث مقدم إلى المؤتمر المركزي لبيت الحكمة "بناء الانسان ... بناء العراق" ١٨-٢٠ كانون الاول ٢٠٠٨ ص٧٤ .

[٥]- م.م.د سالم محمد البياتي . م.م حسناء ناصر ابراهيم . أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية على تسرب طلبة الجامعات ، دراسة جامعة بغداد ، نموذجاً . مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ، العدد الرابع عشر / ٢٠٠٧ من موقع : www.iasj.net.

[٦]- د. علي وتوت ، الدولة والمجتمع في العراق المعاصر سوسيولوجيا المؤسسة السياسية في العراق ١٩٢١-٢٠٠٣ البعة الاولى مركز دراسات المشرق العربي لبنان ، ٢٠٠٨ .

[٧]- افراح شوقي ، واقع المشهد الثقافي في العراق بعد ١٠ سنوات من التغيير الاحد ٢٤ اذار ٢٠١٣ . www.akhbaar.org

[٨]- د. مها عبد اللطيف الحديثي : معوقات بناء ثقافة سياسية مشاركة في العالم الثالث ، مجلة دراسات استراتيجية ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، العدد/٤ . بغداد ٢٠٠٥ ، ص١٨٣-١٨٤.

[٩]- م.م.د عامر حسن فياض ، اثر تدريس حقوق الانسان في تعزيز الفكر الديمقراطي اللبرالي العراقي المعاصر ، بحث منشور في مجلة (اوراق عراقية) العدد (١) ، ٢٠٠٥ . ص١٧ .

[١٠]- د. عامر حسن فياض . ديمقراطية العرب ، البحث عن هوية ، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية ، ط١ ، بغداد ، ٢٠١٣ ، ص٨٠ .

[١١]- علي عودة العقابي ، العراق بين سجال الانسحاب الامريكي واستراتيجية بناء الدولة الجديدة ، مطبعة دار الضياء ، ط١ ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص١٥ .

[١٢]- نمير امين قيردار , انقاذ العراق دار الساقي ط١ بيروت ,٢٠١٠ ص١٣٦,١٣٧

[١٣]- د. محمد علي زيني , الاقتصاد العراقي , الماضي والحاضر وخيارات المستقبل مطبعة جعفر العصامي للطباعة الفنية الحديثة ط٣ بغداد ٢٠٠٩ ص٢٧٠ ، ٣٢٨ .

[١٤]- محمد علي زيني , مصدر سبق ذكره . ص٣٦٥,٣٦٦ .

[١٥]- طالب مهدي السوداني , المجتمع العراقي دراسات وابحاث اجتماعية دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع بغداد . ط٢٠١٥ . ص٢٣٥,٢٣٦ .

[١٦]- وائل عبد اللطيف الفضل . دساتير الدولة العراقية للفترة من ١٨٧٦ لغاية عام ٢٠٠٥, جمع وترتيب وتعليق . دار الشؤون الثقافية العامة . ط٢ بغداد .٢٠٠٦ ص٤٠٦,٤٠٨.

[١٧]- الموقع الالكتروني : www.iraqpressagency.com .

[١٨]- د. محمد علي زيني , مصدر سبق ذكره , ص٤٦٤ .

[١٩]- دسيار الجميل , البنية الفوقية والبنية التحتية , المفاهيم المستترة والمعاني الحقيقية ، الحوار المتمدن , العدد : ١٠١٢, تاريخ النشر : ٢٠٠٤/١١/٩ . www.ahewar.org

[٢٠]- د. سيار الجميل , بنية الثقافة العراقية دراسة في الاجيال الراحلة محاضرة القيت في المجمع الثقافي العراقي , ابو ظبي , الامارات العربية المتحدة ٢٠٠٦/٢/٨ . من موقع : WWW.SAYYARALIAMD.COM .

[٢١]- د. حامد السهيل الشعب العراقي في الافواه . ٢٠١٠/٩/٢٧ . www.sotaliraq.com

[٢٢]- واقع المشهد الثقافي في العراق بعد ١٠سنوات من التغيير مثقفون عراقيون : الثقافة دخلت الصراعات السياسية والطائفية ومؤسساتها فاشلة . الاحد ٢٠١٣/٣/٢٤ www.akhbaar.org

[٢٣]- د. كريم ابو حلاوة . اشكالية مفهوم المجتمع المدني النشأة والتطور والتجليات ، الاهالي للطباعة والنشر ط١, دمشق ,١٩٨٨ ص١٢٧

[٢٤]- د. سيار الجميل , العرب والاتراك , الانبعاث والتحديث من العثمنة الى العلمنة ط١ , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت ١٩٩٧, ص١٠٠ – ١٠٥

الأبنية الدينية التراثية في مدينة العمارة

أ.د. رفاه جاسم السامرائي

صلاح الدين محسن زاير

الأبنية الدينية التراثية في مدينة العمارة

أ.د. رفاه جاسم السامرائي

صلاح الدين محسن زاير

يؤلّف المسلمون الغالبية العظمى من سكان مجتمع مدينة العمارة، إذ بلغت نسبتهم ٩٨%[١] ، بحسب إحصاء عام ١٩٤٧[٢].

وتُؤدّى طقوس المسلمين الدينية في الجوامع والمساجد التي تقام فيها الفرائض الخمسة وصلاة الجمعة ، وصلاة العيدين ، فضلاً عن المناسبات الدينية ، وحظيت الجوامع باحترام من قبل جميع الطوائف الأخرى ، مثل اليهودية والمسيحية والصابئة[٣].

وكان لازدياد السكّان في مدينة العمارة عام ١٩٣٢م أثر كبير في ازدياد عدد الجوامع التي بُنيت من قبل أهل الخير والإحسان وأبناء الطبقة الميسورة ، فضلاً عن دور الدولة في هذا المجال، وتعدّدت أهداف هذه الجوامع فهي فضلاً عن كونها أماكن للعبادة فإنها كانت بمثابة مدارس لتدريس العلوم الإسلامية، واللغة العربية، والقراءة، والكتابة، والحساب للمبتدئين . ومن أشهر هذه الجوامع جامع العمارة الكبير ، جامع الشيخ الأنصاري ، وجامع النجارين في محلة السراي ، وجامع آل المفتي الذي شُيّد داخل السوق ، ويشرف على هذه المؤسسات الدينية للمسلمين شريحة اجتماعية تتألف من خليط من الفقهاء والوعاظ والخطباء ، ويرتكز دورهم بإرشاد الناس ووعظهم عن طريق الخطب، وحثّهم على الالتزام بمبادئ الدين الإسلامي والسنة النبوية الشريفة[٤].

من خلال الزيارة الميدانية لمباني الجوامع التراثية في مدينة العمارة وجدنا أنها قد جددت عدة مرات مما أفقدها بعض العناصر العمارية والزخرفية الاصلية لهذه المبان . ويمكن تقسيم الابنية الدينية التراثية في مدينة العمارة الى :

أولاً – الجوامع الاسلامية ثانياً – دور العبادة اليهودية

ثالثاً – دور العبادة للصابئة المندائيين رابعاً– دور العبادة المسيحية

وسنتناول في هذا الفصل شرح التفاصيل العمارية والزخرفية للجوامع في مدينة العمارة (خارطة ٦) ، وسنترك شرح تفاصيل الابنية الدينية التراثية للديانات الاخرى الى الفصل الرابع .

أ – جامع العمارة الكبير:

ويُعدّ جامع العمارة الكبير في محلة القادرية من أبرز وأقدم الجوامع في مدينة العمارة ، وقد بناه عبد القادر الكولمندي عام ١٨٦١م (شكل ٢٢) ، وقد أرخ الشاعر عبد الغفار الأخرس ذلك

فقال في تاريخ بناء منارة الجامع[٥] :

ومنارة بالقادريــة أنشـــأت وتاريخها والي لبغداد نامق[٦]

يقع جامع العمارة الكبير في أحدى الشوارع الجانبية التي تربط شارع دجلة بشارع التربية ، وقد جدد عدة مرات منذ تاريخ بنائه حتى الآن ، كان أخرها سنة ١٩٦٨م ، إذ أعيد بناء الجامع بالكامل مع المئذنة[٧].

المدخل : (شكل ٢٣)

الجامع مستطيل الشكل أبعاده (٣٦,٤٠ × ٣٠ م) ، وله مدخل يقع في الضلع الشمالي للجامع ، أبعاده (٢,٩٠ × ٢,٤٥ م) ، وقد كُسي الجدار الخارجي للجامع بالواح من الحجر الابيض ، ويضم مدخل الجامع باباً حديدياً حديثاً ، ذا ثلاثة مصاريع، كل مصراع زين بأربعة الواح معدنية معمولة على هيئة حلقات دائرية وأشكال مخروطه جميلة تمتد عمودياً على طول الباب تقريباً، وقد زود المصراع الاوسط بمقبض معدني لفتح الباب وغلقه ، فضلاً عن كتابة تمثل البسمله ، ويعلو

أسكفة الباب مجموعة من القضبان الحديدية المعمولة على هيئة رأس الرمح أو السهم (لوح ١٤٥)

الرواق :

بعد الدخول من باب الجامع تجد نفسك في رواق عرضي يتقدم واجهة بيت الصلاة ، أبعاده (٢٩,٥٠ × ٣,٤٠ م) ، وهو يؤدي الى بيت الصلاة بعد صعود ثلاث درجات بأرتفاع (٠,٥٠م) تتقدم بيت الصلاة ، وهذا الرواق من جهة اليمين يؤدي الى رواق ثاني يمتد على طول بيت الصلاة ويصل الى حجرة شيخ الجامع والى أماكن الوضوء الواقعة خلف حجرة شيخ الجامع ، أما من جهة اليسار فأن هذا الرواق يصل الى مئذنة الجامع ، وقد تم تسقيف هذا الرواق بالكامل بواسطة الدعامات الحديدية التي تعلوها صفائح معدنية(الجينكو)(لوح ١٤٦) ، وقد رُصفت أرضية الرواق بنوع من البلاط المعروف بـ (الشتايكر) بأبعاد مختلفة .

القسم الاول في الطابق الارضي (بيت الصلاة) : (شكل ٢٣)

يتمثل هذا القسم ببيت الصلاة (١) ، والمئذنة (٢) ، أما بيت الصلاة فهو عبارة عن قاعة كبيرة مستطيلة الشكل أبعادها(٢٠,٥٠ × ١٤,٣٥ م) ، وهو يتقدم باقي الوحدات البنائية التابعة للجامع ، وله مدخل متراجع عن واجهة بيت الصلاة يقع في منتصف ضلعه الشمالي تقريباً ، أبعاده (٣,٣٠ × ٢,٣٥ م) ، ينتهي من الاعلى بهيئة عقد نصف دائري ، وهو يضم باب خشبي ذو مصراعين ، زين كل مصراع بشكل مربعين كبيرين ، وفي وسط كل مربع شكل نجمة وهلال[٨] ، وقد زود المصراع الايمن بمقبض معدني لفتح الباب وغلقه ، في حين زود المصراع الايسر بعارضة خشبية تمتد على طول الباب تستعمل لتثبيت الباب ، ويعلو أسكفة الباب نافذة تزين باطن العقد الذي يعلو الباب ، وقد زينت النافذة بالزجاج الشفاف الذي تتقدمه أشكال

أشعاعات وأقواس تتقاطع فيما بينها وتنطلق من منتصف النافذة بأتجاه محيطها، وقد نفذت هذه الاشكال الزخرفية بواسطة القطع الخشبية الصغيرة المعروفة بـ(الترايش) (لوح ١٤٧) .

ويحيط بمدخل بيت الصلاة شريط زخرفي مستطيل الشكل يتضمن آيات قرآنية منفذة على بلاطات خزفية (القاشاني)[٩] بشكل بديع جداً ، إذ أستعمل الفنان العراقي اللون الابيض لكتابة الآيات القرآنية على أرضية زرقاء ، ويحيط بها من الجانبين أطار زخرفي مكون من لونين الازرق الفاتح والاصفر بالتناوب (لوح ١٤٨) .

وعلى كل من جانبي مدخل بيت الصلاة (الضلع الشمالي) نجد شباكين حديديين جميلين ، ينتهي كل منهما من الاعلى بهيئة عقد نصف دائري ، وكل من الشباكين مكون من طلاقتين ، وكل طلاقة مقسمة الى ستة مستطيلات مزينة بالزجاج الشفاف الذي تتقدمه الاشكال الحلزونية المتداخلة مع بعضها على هيئة القلوب ، والتي تشكل واجهة معدنية جميلة للشبابيك ، وتغطي هذه الاشكال الزخرفية الشباكين بالكامل(لوح ١٤٩) و(لوح ١٥٠).

ويزين واجهة الضلع الشمالي لبيت الصلاة المطلة على الشارع شريط زخرفي كتابي يتضمن آيات قرآنية منفذة بشكل جميل على بلاطات خزفية ، وقد أبدع الفنان العراقي بأستخدام اللون الابيض لكتابة الآيات القرآنية على أرضية زرقاء ، ويحيط بها من الجانبين أطار زخرفي مكون من لونين هما الازرق الفاتح والاصفر بالتناوب ، وتنتهي واجهة الضلع الشمالي من الاعلى بأشكال شرفات متدرجة(لوح ١٥١).

واذا ما أنتقلنا الى داخل بيت الصلاة نجد أنفسنا في داخل قاعة كبيرة ، يعلو مدخلها ظلة مستطيلة الشكل أبعادها (٣ × ١,٥٠م) ، لها محجر مكون من المساند الخشبية التي تحصر فيما بينها القضبان الحديدية الملوية على هيئة أشكال حلزونية جميلة تشبيه شكل القلوب ، ويتم الوصول الى هذه الظلة عن طريق سلم خشبي مكون من (١٠) درجات ، ملاصق للضلع الشمالي لبيت الصلاة ، ولهذا السلم محجر

مكون من مسند خشبي ممتدة على طوله ، والذي يحصر فيما بينه وبين السلم القضبان الحديدية الملوية على هيئة أشكال حلزونية جميلة تشبيه شكل القلوب ، وهي شبيه بالاشكال الحلزونية التي تزين الظلة والشبابيك(لوح ١٥٢).

أما الضلع الغربي لبيت الصلاة فقد فتحت فيه أربعة شبابيك حديدية ، ينتهي كل منها من الاعلى بهيئة عقد نصف دائري ، وكل شباك مكون من طلاقتين ، وكل طلاقة مقسمة الى ستة مستطيلات مزينة بالزجاج الشفاف الذي تتقدمه الاشكال الحلزونية المتداخلة مع بعضها على هيئة القلوب ، وتغطي هذه الاشكال الزخرفية الشبابيك بالكامل ، وتطل هذه الشبابيك على الرواق الذي يربط الوحدات البنائية في الجامع مع الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة (لوح ١٥٣) .

كذلك هو الحال في ضلع بيت الصلاة الجنوبي فقد زين بأربعة شبابيك حديدية تتوزع على طول الضلع ، ينتهي كل منها من الاعلى بهيئة عقد نصف دائري ، وكل شباك مكون من طلاقتين ، وكل طلاقة مقسمة الى ستة مستطيلات مزينة بالزجاج الشفاف الذي تتقدمه الاشكال الحلزونية المتداخلة مع بعضها على هيئة القلوب ، وتغطي هذه الاشكال الزخرفية الشبابيك بالكامل (لوح ١٥٤) ، فضلاً عن محراب مجوف جميل يتوسط الضلع ، ينتهي من الاعلى بهيئة عقد مدبب ، أبعاده (٣,٥٠ × ٢,١٥ م) ، وهو مبني بالآجر والجص ، ويبرز عن مستوى الضلع الجنوبي بحدود (٠,٧٥م) ، وقد كُسي داخله بالجص ، ثم طلي بلون أخضر فاتح جميل ، في حين زينت واجهته بنوع من البلاط المعروف بـ (السيراميك) ذو اللون الاخضر الفاتح الى أرتفاع (١,٥٠م) ، أما باقي واجهة المحراب فقد زينت بطريقة تبدو فيها وكأن كل قطعة من قطع الآجر لونت بلون أخضر فاتح ، في حين لونت الفواصل ما بين قطع الآجر باللون الابيض ، مما أضفى على الواجهة لمسة فنية راقية(لوح ١٥٥) .

وعلى يمين المحراب يوجد منبر بسيط وجميل ، مكون من ثلاث درجات تنتهي بمجلس للخطيب ، وهو مبني من الآجر والجص ، ومكسي بنوع من البلاط المعروف

بـ(السيراميك) ذو اللون الاخضر الفاتح ، ويحيط بمجلس الخطيب وبدرجات المنبر محجر خشبي مكون من المساند والعوارض الخشبية ، والتي تحصر بينها الالواح الخشبية المعموله بشكل حلقات دائرية وأشكال مخروطه جميل جداً(لوح ١٥٥) .

بقي الضلع الاخير لبيت الصلاة (الشرقي) وهو خالي من أي نوع من أنواع الزخرفة(لوح ١٥٦) ، وبيت الصلاة مبني بالآجر والجص ، أما سقفه فهو من الكونكريت المسلح القائم على عمدين أسطوانيين من الخرسانة (لوح ١٥٦) و(لوح ١٥٧) ، كما كُسيت قاعدة كل عمود بنوع من البلاط المعروف بـ(السيراميك) ذو اللون الاخضر الفاتح ، وقد رُصفت أرضية بيت الصلاة بنوع من البلاط المنقط أبعاده (٠,٣٠ × ٠,٣٠ × ٠,٠٣ م) .

أما مئذنة الجامع (٢) ، والتي تمثل الجزء الاخير في هذا القسم وهي ذات قاعدة مثمنة أبعادها (٤ × ١ م) ، وقد كُسيت القاعدة الى أرتفاع (متر) بالاسمنت ، يليها شريطين زخرفيين يدوران حول قاعدة المئذنة ، وهما من الآجر المزجج ذو اللون الاسود ، وقد زين وسط هذين الشريطين الزخرفيين بأشكال معينية متصلة تدور حول قاعدة المئذنة ، وهي منفذة بواسطة الآجر المزجج الازرق ، ويعلو هذين الشريطين الزخرفيين أشكال معينية كبيرة وصغيرة متصلة نفذت بواسطة الآجر المزجج الازرق ، وقد زين وسط الاشكال المعينية الكبيرة بأشكال معينية صغيرة نفذت بواسطة الآجر المزجج الاسود ، وتلتقي هذه الاشكال المعينية في قمة القاعدة المثمنة للمئذنة بشريطين زخرفيين يدوران حول قمة القاعدة ، وهما شبيهان بالشريطين الزخرفيين اللذين يدوران حول أسفل قاعدة المئذنة (لوح ١٥٨) .

ويعلو قاعدة المئذنة بدنها وهو أسطواني الشكل مزين بزخرفة هندسية ، قوامها صفوف من الاشكال المثلثة التي تمتد بشكل عرضي على طول بدن المئذنة ، والتي تكون مره بوضعية صحيحة ، ومره أخرى بوضعية مقلوبة ، وقد زينت رؤوس هذه الاشكال المثلثة بأشكال معينية ذات لونين الأزرق والأبيض ، وتنتهي هذه الاشكال الزخرفية من الاعلى بشريط كتابي يدور حول بدن المئذنة تضمن ذكر آيات من

القرآن الكريم ، يلي هذا الشريط الكتابي شرفة المؤذن القائمة على صفوف من المقرنصات[١٠] التي أستعملت هنا لغرض عماري بالدرجة الاولى ، فضلاً عن غرضها الزخرفي الذي أضفى لمسة جمالية على بدن المئذنة بالكامل ، وقد شكلت هذه المقرنصات الجميلة قاعدة لشرفة المئذنة ، وقد زينت واجهة شرفة المئذنة ببلاطات خزفية ، وزودت بمجوعة من مكبرات الصوت التي تستعمل لرفع الآذان في أوقاته ، ويعلو شرفة المئذنة الجوسق ، وهو أصغر حجماً من بدن المئذنة ، وقد زين بأشرطة زخرفية قوامها أشكال معينية ذات لونين أزرق وأبيض تمتد بشكل مائل مع بدن الجوسق ، ويعلو الجوسق قبيبة صغيرة مضلعة الشكل ، كُسيت بقطع من الآجر المزجج ، والمعروف عند أهل الصنعة بـ (الشياف)[١١]،(لوح ١٥٩) ، وقد فتح في بدن المئذنة نوافذ صغيرة مستطيلة الشكل ، لغرض إنارة وتهوية سلم المئذنة القائم في جوفها[١٢]، وللمئذنة مدخل فتح في أحد أضلاع قاعدتها ، أبعاده (١× ٠,٥٠ م) ، يؤدي الى سلم حلزوني يصل الى شرفة المؤذن ، وهو مبني بالآجر والجص .

القسم الثاني في الطابق الارضي (الضلع الغربي) : (شكل ٢٣)

يشمل القسم الثاني حجرة خطيب الجامع (٣) ، فضلاً عن حجرة أخرى (٤) للمنام أما الحجرة (٣) فهي مستطيلة الشكل أبعادها (٤,٩٠ × ٤,٥٠ م) ، لها مدخل يقع في الركن الايمن من ضلعها الشرقي ويطل على الساحة الخلفية للجامع ، وهو يضم باب حديدي ذو مصراع واحد ، ويعلو الباب فتحة مربعة الشكل ، أبعادها(٠,٢٥ × ٠,٢٥ م) ، زودت بمفرغة للهواء ، وعلى الجانب الايسر من الباب يوجد شباك حديدي مكون من ثلاث فردات ، وكل فردة مقسمة الى أربع أقسام ، تعلوها نافذة ذات فردتين ، وقد زين الشباك بالزجاج الشفاف الذي تتقدمه الاشكال الحلزونية المتداخلة مع بعضها على هيئة القلوب ، وتغطي الشبابيك الاشكال الزخرفية بالكامل (لوح ١٦٠) ، وهناك شباك ثان فتح في ضلع الحجرة الشمالي وهو شبيه بالشباك السابق في كل تفاصيله ، والحجرة مبنية بالآجر والجص ومعقودة

بالروافد الحديدية ، وأرضيتها رصفت بنوع من البلاط المنقط أبعاده (٠,٣٠ × ٠,٣٠ × ٠,٠٣ م) .

وعلى يسار الحجرة السابقة توجد الحجرة (٤) وهي مستطيلة الشكل أبعادها (٥,٩٠ × ٥ م) ، ولها مدخل يقع في ضلعها الشمالي ، وهو يضم باب حديدي ذو مصراع واحد ، في حين ضم الضلع الشرقي منها شباك حديدي مكون من ثلاث طلاقات ، وكل طلاقة مقسمة الى أربع أقسام ، تعلوها نافذة ذات طلاقتين ، وقد زين الشباك بالزجاج الشفاف الذي تتقدمه الاشكال الحلزونية المتداخلة مع بعضها على هيئة القلوب ، وتغطي الشباك الاشكال الزخرفية بالكامل(لوح ١٦١).

والحجرة مبنية بالآجر والجص ومعقودة بالروافد الحديدية ، وأرضيتها رصفت بنوع من البلاط المنقط أبعاده (٠,٣٠ × ٠,٣٠ × ٠,٠٣ م) .

القسم الثالث في الطابق الارضي (الضلع الجنوبي) : (شكل ٢٣)

يمثل الوحدة البنائية (٥) ، وتشمل المرافق الصحية (الحمامات) ، فضلاً عن أماكن الوضوء (٦) ، أما المرافق الصحية فأبعادها (٥,٩٠ × ٥ م) ، ولها مدخل يقع في الركن الايسر من ضلعها الشرقي ، ويطل على الساحة الخلفية للجامع ، وهو يضم باب حديدي ذو مصراعين ، خال من أي نوع من أنواع الزخرفة ، ويعلو أسكفة الباب مشبك حديدي، مصنوع من قضبان الحديد المتقاطعة (لوح ١٦٢) ، وتضم الحمامات ستة مرافق صحية ، أبعاد كل منها (١ × ١ م) ، وهي مبنية بالآجر والجص والروافد الحديدية ، وقد كُسيت من الداخل بنوع من البلاط الابيض (السيراميك) الى أرتفاع (متر) ، وأرضيتها رصفت بنوع من البلاط المنقط أبعاده (٠,٣٠ × ٠,٣٠ × ٠,٠٣ م).

وعلى يسار المرافق الصحية توجد أماكن الوضوء وهي عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل ، أبعادها (٥ × ٤,٥٠ م) ، ولها مدخل مفتوح يقع في الركن

الايمن من ضلعها الشمالي ويطل على الساحة الخلفية للجامع ، وتضم أماكن الوضوء عدد من صنابير الماء ، فضلاً عن دكات مبنية من الاجر والاسمنت ومكسية من الاعلى بنوع من البلاطات المنقطة أبعادها(٠,٣٠ × ٠,٣٠ × ٠,٠٣ م) ، قد زود الضلع الشرقي لأماكن الوضوء بشباكين حديديين ينتهيان من الاعلى على هيئة عقد نصف دائري ، وكل شباك مكون من طلاقتين ، وكل طلاقة مقسمة الى ثلاث أقسام ومزينة بالزجاج الشفاف ، أما باطن العقد الذي يعلو الشباك فقد قُسم الى ثلاث أقسام مزينة بالزجاج الشفاف ، ويتقدم كل من الشباكين كتائب حديدية معموله على هيئة أشكال هندسية مثمنة تعتبر واقية للشباك ، كما كُسيت الجدران الداخلية لأماكن الوضوء بنوع من البلاط الاخضر الفاتح الى أرتفاع (٢ م)(لوح ١٦٣) ، وأماكن الوضوء مبنية بالآجر والجص ومعقودة بالروافد الحديدية ، وأرضيتها رصفت بنوع من البلاط المنقط ابعاده (٠,٣٠ × ٠,٣٠ × ٠,٠٣ م).

القسم الرابع في الطابق الارضي (الضلع الشرقي) : (شكل ٢٣)

وهو خال من أي وحدة من الوحدات البنائية .

ب- جامع الانصاري[١٣] :

يقع الجامع في شارع بغداد ويعد واحد من أقدم الجوامع في مدينة العمارة ويرجع تاريخ بنائه الى العشرينيات من القرن المنصرم ، وقد جدد عدة مرات كان أخرها سنة ١٩٩٨م[١٤].

المدخل : (شكل ٢٤)

الجامع مستطيل الشكل أبعاده (٥٦,١٠ × ٣٦,٧٠ م) ، وله مدخل يقع في الضلع الشمالي للجامع ، أبعاده (٢ × ١,٥٠ م) ، ينتهي هذا المدخل من الاعلى بعقد مدبب ، زخرف باطنه بأشكال هندسية تشبه خلايا النحل ، في حين زينت حواف العقد الداخلية بصفوف من المقرنصات الجميلة المطلية باللون الذهبي ، ويعلو العقد

أسم الجامع (جامع الانصاري) ، ويحيط به شريط كتابي يضم آيات من القرآن الكريم ، ويعلوه صف من المقرنصات الجميلة (لوح ١٦٥) .

ويضم مدخل الجامع باباً خشبياً قديماً ، ذا مصراعين ، كل مصراع زين بثمان أشكال هندسية مستطيلة الشكل تمتد عمودياً على طول الباب ، وقد زود المصراع الايمن بمقبض معدني لفتح الباب وغلقه ، في حين زين المصراع الايسر بعارضة خشبية تمتد على طول الباب وتعمل على تثبيته ، ويعلو أسكفة الباب نافذة مستطيلة الشكل مزينة بالزجاج الشفاف(لوح ١٦٦) .

الممر (المجاز) :

بعد الدخول من باب الجامع تجد نفسك داخل ممر(مجاز) ، أبعاده (١٨,٧٠ × ٢,٧٠ م) يؤدي الى ساحة تتقدم بيت الصلاة ، والممر ذو سقف مستوي مبني بالآجر والجص والروافد الحديدية ، وأرضيته رصفت بنوع من البلاط المنقط أبعاده (٠,٣٠ × ٠,٣٠ × ٠,٠٣ م) (لوح ١٦٧) .

القسم الاول في الطابق الارضي (الضلع الشرقي) : (شكل ٢٤)

يتمثل هذا القسم بالوحدات البنائية التي تقع على يمين الممر (المجاز) ، وهي حجرتين يفصل بينهما سلم ، فضلاً عن مئذنة الجامع .

أما الحجرتان فهما الحجرة (١) و (٢) ، الحجرة (١) تقع على يمين الداخل الى الممر (المجاز) ، وهي مستطيلة الشكل أبعادها (٨,٦٠ × ٦,٢٠ م) ، لها مدخل يقع في ضلعها الجنوبي يطل على شارع بغداد ، وقد تم تحويل هذه الحجرة الى محل تجاري(لوح ١٦٨) ، والحجرة مبنية بالآجر والجص ومعقودة بالروافد الحديدية،وأرضيتها رصفت بنوع من البلاط المنقط أبعاده(٠,٣٠ ×٠,٣٠ ×٠,٠٣م).

يلي هذه الحجرة سلم مكون من (١٧) درجة ، وهو مبني بالآجر والجص والروافد الحديدية ، ويؤدي هذا السلم الى سطح الحجرتين (١) و (٢) وسطح الدار الخاص بأمام الجامع والواقع في الجانب الايسر من الممر (المجاز) ، والذي يمثل

القسم الرابع في الطابق الارضي ، ويتم الوصول الى هذا السلم عن طريق الشارع الفرعي المجاور للجامع ، والمعروف بشارع الحسينية .

ويلي السلم الحجرة (٢) وهي مستطيلة الشكل أبعادها (٨,٦٠ × ٥,٦٠ م) ، لها مدخل يقع في ضلعها الشرقي والذي يطل على شارع الحسينية ، وقد تم تحويل هذه الحجرة الى محل تجاري ، والحجرة مبنية بالآجر والجص ومعقودة بالروافد الحديدية ، وأرضيتها رصفت بنوع من البلاط المنقط أبعاد كل منه(٠,٣٠ × ٠,٣٠ × ٠,٠٣ م).

بقيت مئذنة الجامع (٣) ، والتي تمثل الجزء الاخير في هذا القسم وهي ذات قاعدة مثمنة أبعادها (٣ × ١ م) ، وقد كُسيت القاعدة الى أرتفاع (متر) بالواح من الحجر الابيض ذات الحزوز ، فضلاً عن قراميد خزفية الى أرتفاع(متر) ، تزين أحد أضلاع القاعدة ، وقد زينت القراميد الخزفية بشكل محراب جميل يشغل معظمها ، كتب في داخله بخط جميل معلومات تبين أسم باني المئذنة ، وسنة البناء ، والاسطوات الذين أشرفوا على البناء[١٥]، وقد نفذت هذه الكتابة بلون أبيض على أرضية زرقاء مما أضفى عليها لمسة فنية لطيفة ، وقد توزعت فيما بين سطور الكتابة أنواع جميلة من الورود والاغصان ، فضلاً عن أن أسفل القراميد الخزفية مزين بشكل زهريتين جميلتين تخرج من كل منهما مجموعة من الورود البديعة الالوان ، ويحيط بشكل المحراب من الاعلى زخرفة نباتية جميلة ، قوامها فروع نباتية ملتوية وملفوفة ومتداخلة ، ويحيط بكل هذه التشكيلات الزخرفية الجميلة شريط زخرفي مستطيل الشكل ، قوامه فرع نباتي ملتوي تخرج منه تارة ورقة نباتية ثلاثية الفصوص ، وتارة أخرى تخرج منه وردة جميلة وبشكل متناوب لتغطي الشريط الزخرفي بالكامل ، وهناك شريط زخرفي أخير يحيط بالقراميد الخزفية ، وهو ذو لونين أحدهما أزرق والاخر أصفر وهما يزينان الشريط بالكامل(لوح ١٦٩) .

وللمئذنة مدخل فتح في أحد أضلاع قاعدتها المثمنة ، أبعاده(١ × ٠,٥٠ م) ، يؤدي الى سلم حلزوني يصل الى أعلى المئذنة ، وهو مبني بالآجر والجص ،

ويزين أضلاع قاعدة المئذنة أشكال معينية جميلة وأنصاف معينية متدابرة ، محصورة بين شريطين من الآجر المزجج ذو اللون الاسود (لوح ١٧٠) .

ويعلو قاعدة المئذنة بدنها وهو أسطواني الشكل مزين بأشرطة زخرفية جميلة ذات لونين أزرق وأبيض تلتف مع بدن المئذنة ، وقد توزعت فيما بين هذه الاشرطة الزخرفية كلمات هي " الله – محمد – علي " ، والتي تتكرر في داخل كل شريط زخرفي على حده ، وتنتهي هذه الاشرطة الزخرفية من الاعلى بشريط كتابي نفذ على القراميد الخزفية الزرقاء اللون ، وقد تضمن الشريط الكتابي البسمله وآيات من القرآن الكريم التي كُتبت بخط جميل وبلون أبيض على أرضية زرقاء اللون ، وقد تساقطت بعض أجزاء هذا الشريط الكتابي ، يليه شرفة المؤذن أو حوض المئذنة وهو دائري الشكل قائم على صفين من المقرنصات الجميلة التي تشكل قاعدة لحوض المئذنة ، وقد زينت واجهة حوض المئذنة بقراميد خزفية تساقطت بعض أجزائها ، وقد زود حوض المئذنة بمجوعة من أجهزة مكبرات الصوت التي تستعمل لرفع الآذان في أوقاته ، ويعلو حوض المئذنة جوسقها ، وهو أيضاً أسطواني الشكل زين بأشرطة زخرفية مشابه للآشرطة الزخرفية التي تزين بدن المئذنة ، وينتهي جوسق المئذنة من الاعلى بقبة مخروطية الشكل ، وهي مبنية بطريقة الاضلاع التي تنطلق من قاعدة القبة بأتجاه قمتها(لوح ١٧١) .

القسم الثاني في الطابق الارضي (الضلع الشمالي) : (شكل ٢٤)

يشغل بيت الصلاة (٤) القسم الثاني في الطابق الارضي ، وهو مستطيل الشكل أبعاده (٣٦,٧٠ × ٢٤ م) ، وله مدخلان متجاوران يتوسطان منتصف ضلعه الجنوبي تقريباً ، أبعاد كل منهما (٣ × ٢ م) ، وينتهي كل منهما من الاعلى بهيئة عقد مدبب ، وكل منهما يضم باباً خشبياً ذا مصراعين ، زين كل مصراع بشكلين هندسيين مثمنين ، ويعلو أسكفة الباب نافذة تزين باطن العقد الذي يعلو الباب ، وقد زينت النافذة بأشكال هندسية على هيئة العقود المدببة تتقاطع فيما بينها ، ومن خلفها

الزجاج الشفاف ، ويتقدم هذه الزخارف الهندسية والزجاج الشفاف ، أشكال عقود متداخلة مع بعضها معموله من قضبان الحديد (لوح ١٧٢) .

وعلى الجانب الايمن من المدخلين نجد شباك خشبي جميل ينتهي من الاعلى بهيئة عقد مدبب ، وهو مكون من أربع طلاقات ، وكل طلاقة مزينة بالزجاج الشفاف الذي يتقدمه شكل مستطيل هندسي ينتهي من طرفه العلوي والسفلي بهيئة عقد مدبب ، وقد قُسمت كل من هذه الطلاقات الاربعة الى ثلاثة أقسام بواسطة لوحين خشبيين (ترايش) تمتد بشكل أفقي على طول الشباك ، وقد زين باطن العقد المدبب الذي يعلو الشباك بأشكال عقود مدببة متقاطعة فيما بينها ، ومن ورائها زجاج شفاف. ويتقدم الشباك الخشبي واجهة من قضبان الحديد المعموله بهيئة أشكال هندسية متنوعة متداخلة فيما بينها ، تجمع بين الشكل البيضوي والكمثري والمعين ، فضلاً عن أنواع من العقود الهندسية ، وكتابة البسمله والصلوات على محمد وال محمد (لوح ١٧٣).

أما على الجانب الايسر من المدخلين والذي يمثل ما تبقى من الضلع الجنوبي لبيت الصلاة فقد زين بثلاثة شبابيك خشبية جميلة ، لا تختلف في تفاصيلها العمارية أو الزخرفية عن الشباك الخشبي السابق والواقع على الجانب الايمن من المدخلين الرئيسين لبيت الصلاة (لوح ١٧٤).

ويعلو كل من هذه الشبابيك التي تزين الضلع الجنوبي من بيت الصلاة والتي تطل على صحن الجامع ، نافذة خشبية مستطيلة الشكل ، أبعادها (١ × ٠,٥٠ م) ، تنتهي من الاعلى بهيئة عقد مدبب مزين بالزجاج الشفاف(لوح ١٧٥).

واذا ما أنتقلنا الى داخل بيت الصلاة نجد أنفسنا داخل قاعة كبيرة ، فتح في ضلعها الشرقي أربعة شبابيك خشبية جميلة ، تعلوها أربع نوافذ خشبية تطل على الشارع الفرعي المجاور للجامع ، وهي لا تختلف في تفاصيلها العمارية والزخرفية عن الشبابيك والنوافذ التي تزين الضلع الشمالي لبيت الصلاة والتي سبق الحديث عنها(لوح ١٧٦).

أما ضلع بيت الصلاة الشمالي فيتوسطه محراب جميل ، ينتهي من الاعلى بهيئة عقد نصف دائري ، وهو يميل قليلاً الى جهة الغرب ، لذا فقد عمل المعمار العراقي على معالجة ذلك بطريقة فنية لطيفة من أجل تصحيح أتجاه المحراب في بيت الصلاة ، فقام ببناء المحراب بشكل مائل ليصبح بأتجاة القبلة فبرز الجانب الايمن للمحراب عن مستوى الضلع الشمالي لبيت الصلاة ، في حين كان الجانب الايسر للمحراب غائر في الضلع الشمالي لبيت الصلاة ، وعلى كل من جانبي المحراب هناك عمود نصف دائري مندمج في البناء ، تعلوه قاعدة تاج دائرية الشكل ، وقد كُسي المحراب والعمودان المحيطان به بالجص ، وتحيط بالعقد النصف دائري الذي يعلو المحراب زخرفة نباتية منفذة على الجص بطريقة القوالب الجاهزة ، وقوام هذه الزخرفة شكل نجمة ذات أثنا عشر رأس تتوسط الزخرفة وتحيط بها أشكال أزهار وأوراق ثلاثية الفصوص (لوح ١٧٧) ، أما الجدارين الجانبيين للمحراب فقد زين كل منهما بزخرفة نباتية ، قوامها وردة متعددة الفصوص تحيط بها الاغصان والفروع النباتية المتنوعة(لوح ١٧٨) .

وعلى يمين المحراب يوجد منبر خشبي جميل جداً ، مكون من أربع درجات تنتهي بمجلس للخطيب ، ويعلو مجلس الخطيب آية من القرآن خاصة بالتطهير(أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ، ويعلو هذه الآية البسمله والصلاة على محمد وال محمد، ويحيط بمجلس الخطيب أسماء الائمة الاثني عشر(عليهم السلام) ، ويحيط بدرجات المنبر من الجانبين محجر خشبي مكون من المساند والعوارض الخشبية ، والتي تحصر بينها الالواح الخشبية المعموله بشكل حلقات دائرية وأشكال مخروطه جميل جداً(لوح ١٧٩) .

وبيت الصلاة مبني بالآجر والجص ، أما سقفه فهو من الكونكريت المسلح القائم على ستة أعمدة خرسانية مضلعة تنتهي من الاعلى بتاج مضلع مزين بالمرايا (لوح ١٧٦) و(لوح ١٨٠) ، وقد رُصفت أرضية بيت الصلاة بنوع من البلاط المنقط أبعاده (٠,٣٠ × ٠,٣٠ × ٠,٠٣ م) .

بقي الضلع الاخير من بيت الصلاة وهو الغربي ، وهو يضم حجرة مستطيلة الشكل(٥)، أبعادها (٥ × ٤ م) ، ولها مدخل يقع في الركن الايسر من ضلعها الشمالي ، أبعاده (٢ × ١ م) ، وهو يضم باباً خشبياً ذا مصراع واحد ، خال من أي نوع من أنواع الزخرفة ، وتعلو الباب نافذة مستطيلة الشكل مزينة بالزجاج الشفاف الذي تتقدمه قضبان الحديد الممتدة بشكل عمودي ضمن الاطار الخشبي للنافذة (لوح ١٨١) .

أما داخل الحجرة فقد خلا كل من ضلعيها الشرقي والغربي من أي نوع من أنواع الزخرفة ، في حين فتح في ضلعها الجنوبي شباك خشبي جميل تعلوه نافذة ، كنا قد تحدثنا عنه بالتفصيل عندما تناولنا شرح الشبابيك المفتوحة في الضلع الجنوبي لبيت الصلاة (لوح ١٨٢).

القسم الثالث في الطابق الارضي (الضلع الغربي) : (شكل ٢٤)

وهو يمثل الوحدة البنائية (٦) ، وتشمل أماكن للاستحمام والوضوء ، فضلاً عن مرافق صحية عددها أربعة ، مساحة كل منها (١ × ١م) ، وهي مكسيه من الداخل بنوع من البلاط الابيض(السيراميك) الى أرتفاع (متر) .

والمرافق الصحية مبنية بالآجر والجص والروافد الحديدية ، وقد فتح في ضلعها الشمالي فتحتان تنتهي كل منها من الاعلى بعقد مدبب يطل على الحجرة (٥) الملحقة ببيت الصلاة ، أما ضلعها الشرقي فقد فتحت فيه فتحة واحدة تنتهي من الاعلى بعقد مدبب تطل على صحن الجامع ، وأرضية المرافق الصحية ترتفع بحوالي(٠,٣٠ م) عن أرضية الجامع ، ولذلك هناك درجتان تتقدمان مدخل المرافق الصحية ، وقد رصفت أرضيتها بنوع من البلاط الابيض المنقط أبعادة (٠,٣٠ × ٠,٣٠ × ٠,٠٣ م) ، ويوجد خارج المرافق الصحية مجموعة من أماكن الوضوء تسعمل للوضوء فقط (لوح ١٨٣) .

القسم الرابع في الطابق الارضي (الضلع الغربي) : (شكل ٢٤)

يقع هذا القسم (٧) على يسار الداخل الى ممر(مجاز) الجامع ، وهو يضم دار أمام الجامع[١٦] .

المصادر والمراجع

١- جمال بابان ، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٦م .

٢- الجواهري ، عبد الهادي ، العمارة بلد الوحي والنسيم ، مطبعة الرشيد ، ١٩٣٩.

٣- الجيلاوي ، كمال محمود كمال ، موسوعة الافكار الرمزية في العمارة المصرية بعد دخول الاسلام ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .

٤- الحسني ، عبد الرزاق ، العراق قديماً وحديثاً ، ط٢ ، مطبعة العرفان ، صيدا ،١٩٥٨م .

٥- د. ك . و. ملفات وزارة الداخلية، تقارير لواء العمارة، ١٩٣٧- ١٩٣٨، رقم الملف: ٨٢٦٦.

٦- فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية – ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ط١ ، الرياض ، ١٩٨٢.

٧- علي ، فاروق محمد ، القراميد العمارية في العراق الى نهاية القرن السادس عشر ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار ، ١٩٨٩م .

٨- ل . ن . كوتلوف ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، ترجمة : عبد الواحد كرم ، بغداد ، ١٩٨٥.

٩- مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد التاسع والعشرون ، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م .

١٠- مظلوم ، طارق عبد الوهاب ، نماذج من النوافذ والفتحات البنائية في العمارة العراقية ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، دورة المعالجات البيئية لتصميم المباني عند العرب ، ١٩٨٨م .
١١- المملكة العراقية ، مديرية النفوس العامة ، إحصاء السكان لسنة ١٩٤٧.
١٢- المملكة العراقية ، وزارة الداخلية ، مديرية النفوس العامة ، المجموعة الإحصائية لعام ١٩٥٧م .
١٣- نصر الله ، ميثم مرتضى ، تخطيط وعمارة المراقد الدينية في مدينة كربلاء المقدسة حتى نهاية الفترة العثمانية ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ٢٠١٠.

14-Vital cuinet turoie dasie geographi administrative Vol 3, Paris, 1894

الأبنية الدينية التراثية في مدينة العمارة

من خلال الزيارة الميدانية لمباني الجوامع التراثية في مدينة العمارة وجدنا أنها قد جددت عدة مرات مما أفقدها بعض العناصر العمارية والزخرفية الاصلية لهذه المبان ، وسنتناول في هذا البحث التفاصيل العمارية والزخرفية لجامع العمارة الكبير ، وجامع الشيخ الانصاري في مدينة العمارة ، وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة الى ان المعمار العراقي اتبع في تخطيط وبناء الجوامع في المدينة اسلوب بناء الجوامع الاسلامية الاولى في صدر الاسلام ، فتمثل تخطيط الجوامع بقاعة كبيرة مستطيلة الشكل لها مدخل أو أكثر ، ولها سقف مستوي قائم على أعمدة خرسانية هي بمنزلة الاعمدة أو الاكتاف الحاملة للسقف في الجوامع ، وقد قسمت هذه الاعمدة القاعة الكبيرة الى أساكيب وبلاطات ، وأتخذ هذا التخطيط الشكل العرضي أكثر منه الطولي ، أي أنهم

زادوا في عرض بيت الصلاة على طوله ، وأغلب جوامع بغداد من الفترة العثمانية تخضع لهذا التخطيط مثل جامع الخفافين وسيد سلطان علي والاحمدي والحيدرخانة في بغداد .

Abstract

Religious heritage buildings in the city of Amara

Through the field visit to the mosques heritage buildings in the city of Amara and found it has renewed several times causing it to lose some Ammaria original and decorative elements to this Alamban. We will discuss in this paper details Ammaria and decorative Grand Mosque Amara , mosque, Sheikh Ansari in the city of Amara, we have found through this study that the architecture of the Iraqi follow in the planning and construction of mosques in the city style building mosques, Islamic first in early Islam, represents mosques planning a large hall rectangular Figure her entrance or more, and have a roof level based on concrete pillars they are like columns or shoulders bearing roof in mosques, has divided these columns the large hall to the bays and tiles, and made the planning cross shape rather than linear, ie, they have increased in the presentation of the house of prayer on in length, and most of the mosques in Baghdad from the Ottoman period, subject to planning such as this mosque Alkhvavin and Mr. Sultan Ali Ahmadi and Alhaidarkhanh in Baghdad.

لوح رقم (١٤٥)
مدخل جامع العمارة الكبير

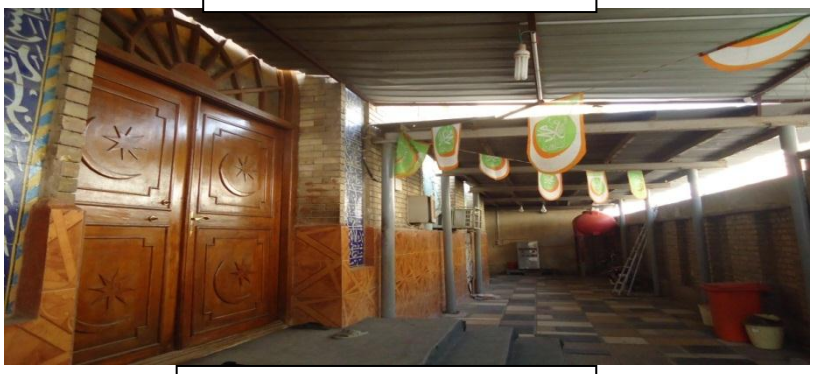

لوح رقم (١٤٦)
الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة

لوح رقم (١٤٧)
مدخل بيت الصلاة في جامع العمارة الكبير

لوح رقم (١٤٨)

الاطارات الزخرفية التي تحيط بمدخل بيت الصلاة

لوح رقم (١٤٩)

الشبابيك التي تزين الضلع الشمالي من بيت الصلاة

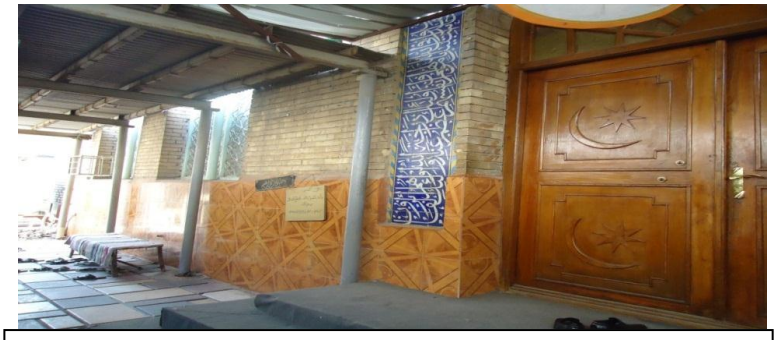

لوح رقم (١٥٠)

الشبابيك التي تزين الضلع الشمالي من بيت الصلاة

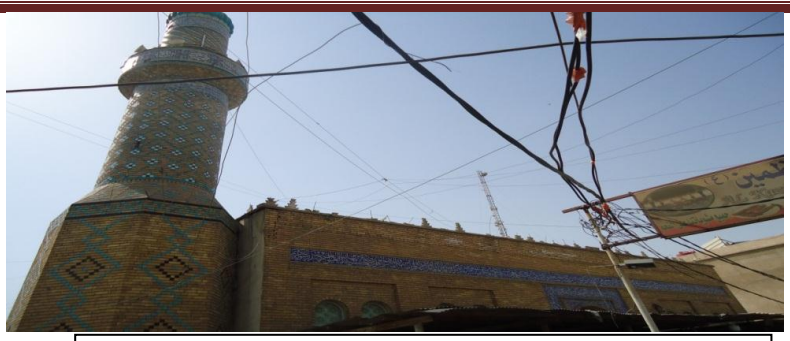

لوح رقم (١٥١)
الشريط الكتابي الذي يزين واجهة بيت الصلاة

لوح رقم (١٥٢)
الظلة التي تعلو مدخل بيت الصلاة

لوح رقم (١٥٣)
الضلع الغربي لبيت الصلاة

لوح رقم (١٥٤)
الضلع الجنوبي لبيت الصلاة

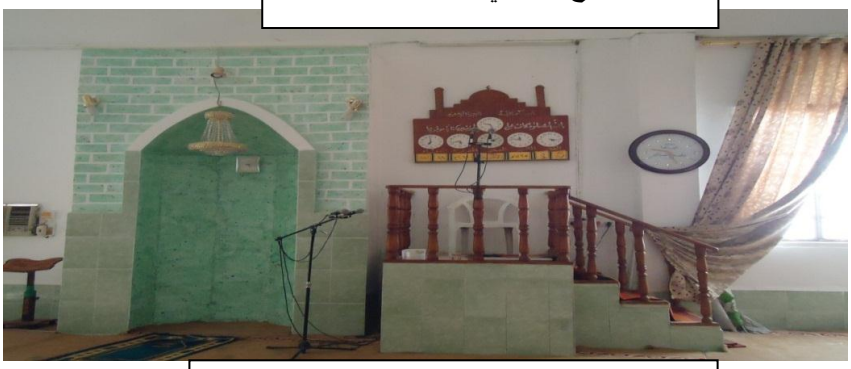

لوح رقم (١٥٥)
المحراب في جامع العمارة الكبير

لوح رقم (١٥٦)
الضلع الشرقي لبيت الصلاة

لوح رقم (١٥٧)
الضلع الغربي لبيت الصلاة

لوح رقم (١٥٨)
مئذنة جامع العمارة الكبير

لوح رقم (١٥٩)
الزخارف التي تزين مئذنة جامع العمارة الكبير

لوح رقم (١٦٠)
حجرة أمام الجامع

لوح رقم (١٦١)
الحجرة رقم (٤)

لوح رقم (١٦٢)
المرافق الصحية وأماكن الوضوء

لوح رقم (١٦٣)
أماكن الوضوء

لوح رقم (١٦٤)
اللوحة التي تؤرخ أخر تجديد لجامع الانصاري

لوح رقم (١٦٥)
العقد المدبب الذي يعلو مدخل جامع الانصاري

لوح رقم (١٦٦)
مدخل جامع الانصاري

لوح رقم (١٦٧)
ممر(مجاز) جامع الانصاري

لوح رقم (١٦٨)
واجهة الحجرة رقم (١)

لوح رقم (١٦٩)
القراميد الخزفية التي تزين قاعدة المئذنة

لوح رقم (١٧٠)
مدخل وسلم المئذنة

لوح رقم (١٧١)
مئذنة جامع الانصاري

لوح رقم (١٧٢)

مدخل بيت الصلاة في جامع الانصاري

لوح رقم (١٧٣)

شباك يزين الجانب الايمن من الضلع الشمالي

لوح رقم (١٧٤)

أحد الشباك الثلاثة التي تزين الجانب الايسر من الضلع الشمالي

لوح رقم (١٧٥)

أحدى النوافذ التي تعلو الشبابيك في الضلع الشمالي لبيت الصلاة

لوح رقم (١٧٦)

الشبابيك والنوافذ التي تزين الضلع الغربي لبيت الصلاة

لوح رقم (١٧٧)

محراب جامع الانصاري

لوح رقم (١٧٨)

الزخارف النباتية التي تزين جانبي المحراب

لوح رقم (١٧٩)

المنبر في جامع الانصاري

لوح رقم (١٨٠)

أحد الاعمدة الخرسانية المضلعة في جامع الانصاري

لوح رقم (١٨١)

مدخل وباب الحجرة الملحقة ببيت الصلاة

لوح رقم (١٨٢)

شباك الحجرة الملحقه ببيت الصلاة

لوح رقم (١٨٣)

المرافق الصحية في جامع الانصاري

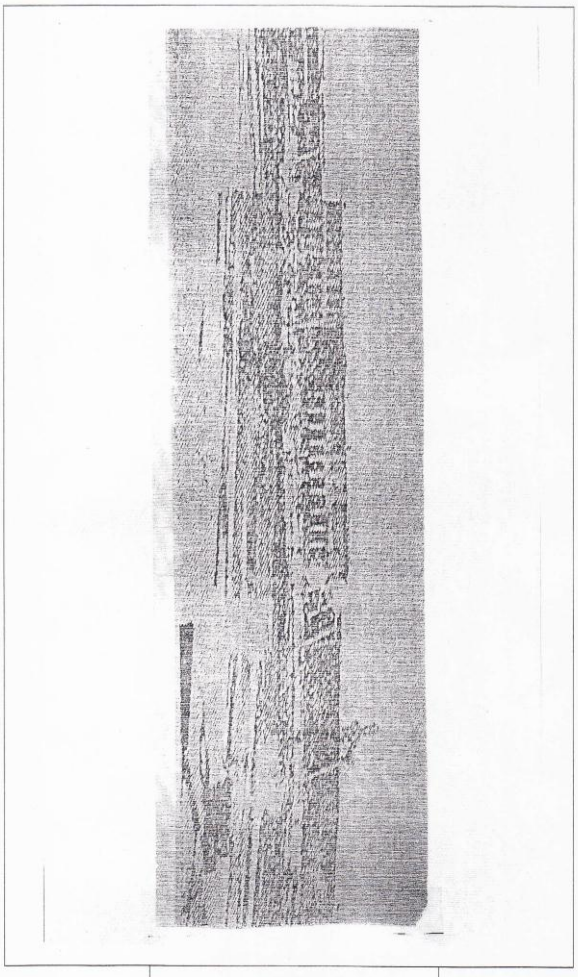

شكل (٢٢)
جامع العمارة الكبير عام ١٨٦١م
جغرافية العراق – ج٢ – طه الهاشمي

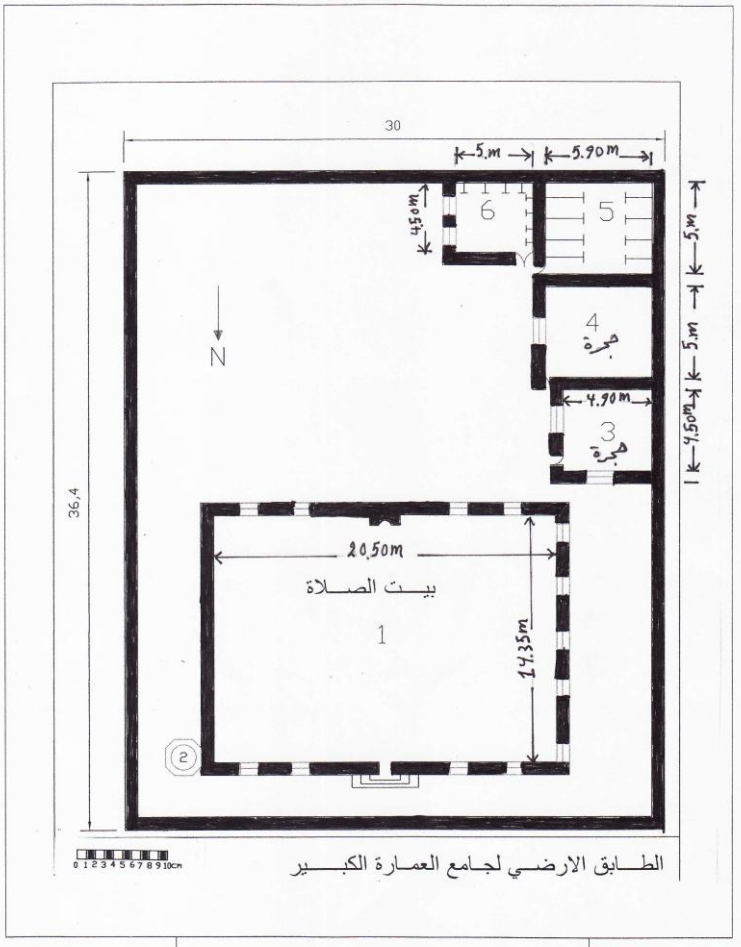

شكل (٢٣)
مخطط الطابق الارضي لجامع العمارة الكبير
عمل الطالب

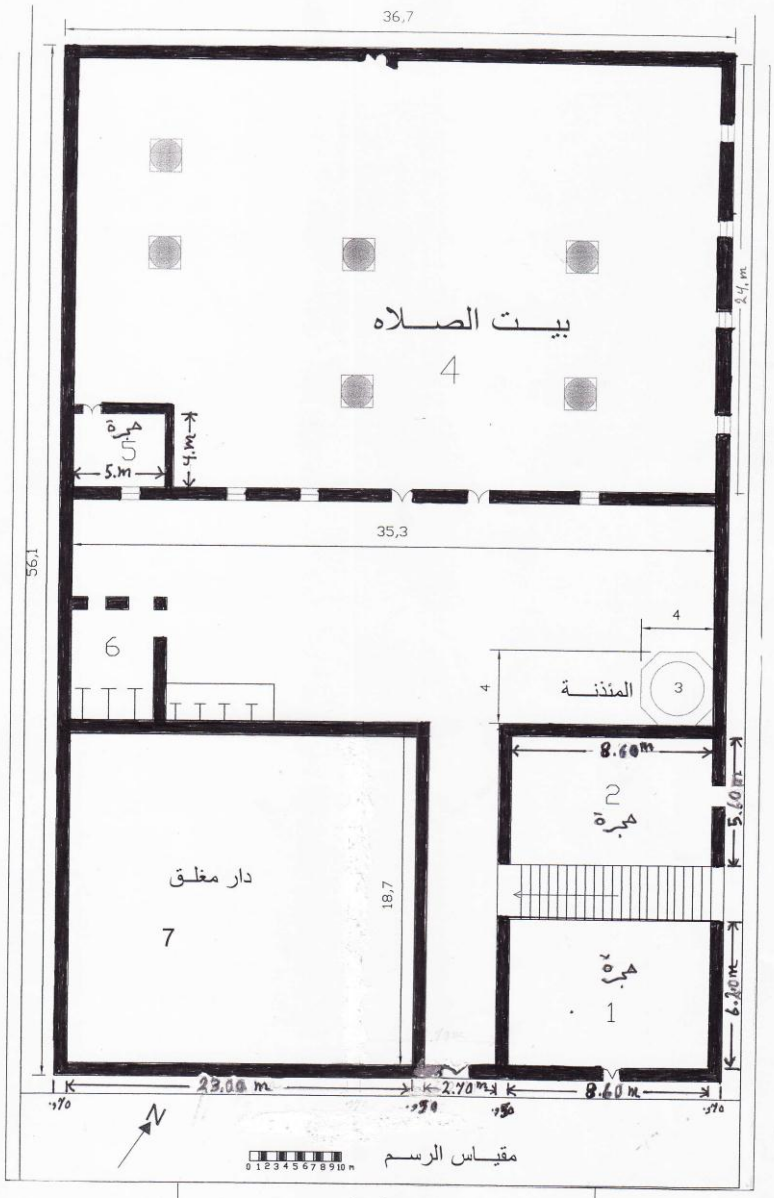

شكل (٢٤)

مخطط الطابق الارضي لجامع الانصاري

عمل الطالب

شكل (١) تحديد مواقع الابنية التراثية في مدينة العمارة

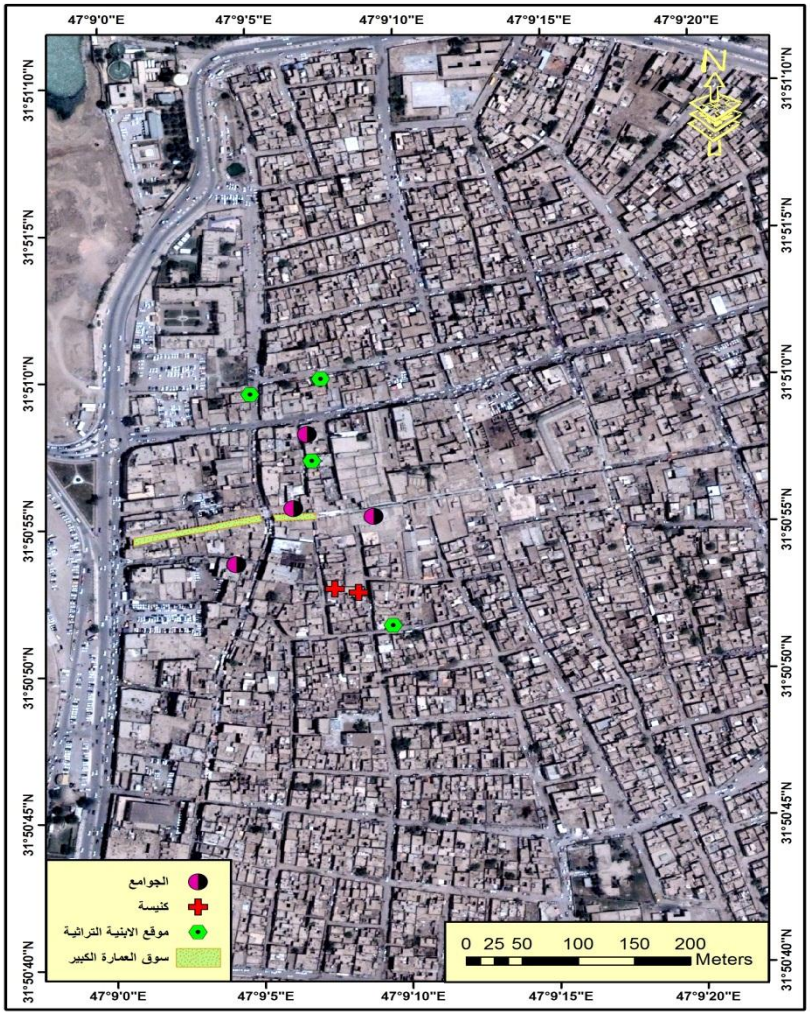

خريطة رقم (٦)

الابنية الدينية التراثية في مركز مدينة العمارة

تم تحديد مواقع الابنية بواسطة جهاز GPS – عمل الطالب بالتعاون مع م. م محمد الحميري – جامعة ميسان – كلية التربية – قسم الجغرافية

الهوامش:

(١) د. ك . و. ملفات وزارة الداخلية، تقارير لواء العمارة، ١٩٣٧– ١٩٣٨، رقم الملف: ٨٢٦٦، ٣٢٠٥٠ و ٥٣ ، ص١٥٨؛ المملكة العراقية ، مديرية النفوس العامة ، إحصاء السكان لسنة ١٩٤٧ ، ص١٠ – ٦٠ .

(٢) المملكة العراقية ، وزارة الداخلية ، مديرية النفوس العامة ، المجموعة الإحصائية لعام ١٩٥٧م ، ص ٨ .

(٣) ل . ن . كوتلوف ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، ترجمة : عبد الواحد كرم ، بغداد ، ١٩٨٥، ص٢٧ ؛ للمزيد :

Vital cuinet turoie dasie geographi administrative Vol 3, Paris, 1894, P. 301.

(٤) الجواهري ، عبد الهادي ، العمارة بلد الوحي والنسيم ، مطبعة الرشيد ، ١٩٣٩ ، ص ١١٥.

(٥) الحسني ، عبد الرزاق ، العراق قديماً وحديثاً ، ط٢ ، مطبعة العرفان ، صيدا ،١٩٥٨م ، ص١٩٠

(٦) محمد نامق باشا تولى الحكم في العراق للفترة من (١٢٧٨ – ١٢٨٤ هـ / ١٨٦١ – ١٨٦٧م) ؛ جمال بابان ، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٦م ، ص٢١١ .

(٧) مقابلة شخصية أجريت مع مدير ملاحظية الوقف السني في مدينة العمارة ، الشيخ (علي عبد الجبار) بتاريخ ٣٠ / ٩ / ٢٠١٤ .

(٨) وهما شعارا الدولة العثمانية . الجيلاوي ، كمال محمود كمال ، موسوعة الافكار الرمزية في العمارة المصرية بعد دخول الاسلام ، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ص ٢٧٠ .

(٩) الكاشاني أو القاشاني : بلاط معمول من الفخار ، وجهه ملون ولماع ويسمى الآن في بغداد الكربلائي ؛ مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد التاسع والعشرون ، ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م ، ص ٢٥٤ . والقاشاني لفظة صارت تتداول بعد القرن السادس الهجري (١٢م) نسبة الى مدينة قاشان في ايران ؛ علي ، فاروق محمد ، القراميد العمارية في العراق الى نهاية القرن السادس عشر ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار ، ١٩٨٩م ، ص٤ .

(١٠) زخرفة معمارية تشبه خلايا النحل ، تتألف من مجموعة من المحاريب والحنايا الصغيرة المتراكبة والمترابطة في صفوف مرتبة بعضها فوق البعض الاخر؛ فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية – ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ص ٤٠ .

(١١) نصر الله ، ميثم مرتضى ، تخطيط وعمارة المراقد الدينية في مدينة كربلاء المقدسة حتى نهاية الفترة العثمانية ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ٢٠١٠م ، ص ٢١١ .

(١٢) أستعملت في العمارة العراقية نوافذ صغيرة الحجم في ابدان المآذن ، وذلك لإنارتها وتهويتها من الداخل ؛ مظلوم ، طارق عبد الوهاب ، نماذج من النوافذ والفتحات البنائية في العمارة العراقية ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، دورة المعالجات البيئية لتصميم المباني عند العرب ، ١٩٨٨م ، ص ٢٩٥ .

(١٣) جامع الأنصاري الذي شيّده الشيخ الأنصاري ، ويرجع نسبه إلى عبد الله بن جابر الأنصاري ، وهو من صحابة رسول الله (صلى الله عليه واله) وهو على درجة من العلم والتقوى ؛ عبد الهادي الجواهري ، المصدر السابق ، ص١١٣ – ص١١٥.

(١٤) يذكر أمام الجامع أن الجامع تم تشييده في سنة ١٩١٩م ، وقد جُدد عدة مرات ، كان أخرها من قبل المرحوم الحاج عبد السلام المحمود الدفاعي وبأشراف الشيخ عبد الغفار الانصاري سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، وهذا ما تشير اليه اللوحة التي تعلو مدخل الجامع (لوح رقم ١٦٤).

(١٥) تبرع الحاج محمد العلي محمد الصالح الكويتي ببناء المئذنة على نفقته الخاصة سنة ١٣٣٨هـ ، وقد أشرف على تصميم المئذنة أسطوات من مدينة العمارة منهم محسن ليلو ، خلف عذيب ، وقام ببنائها الحاج حمود شبان العماري ، هذه المعلومات مثبته على القراميد الخزفية التي تزين أحد أضلاع قاعدة المئذنة المثمنة .

(١٦) لم أتمكن من الدخول الى الدار واخذ الأبعاد والصور للوحدات البنائية للدار ، على الرغم من الزيارات الميدانية العديدة التي قمت بها الى الجامع والتي كان أخرها بتاريخ ٢/ ٩ / ٢٠١٤ ، لذا تم أستثناء الدار من البحث .